



دكتور محمد مؤنس عوض

# الإمبراطورية البيزنطية

دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة



مكتبة المهتدين الإسلامية

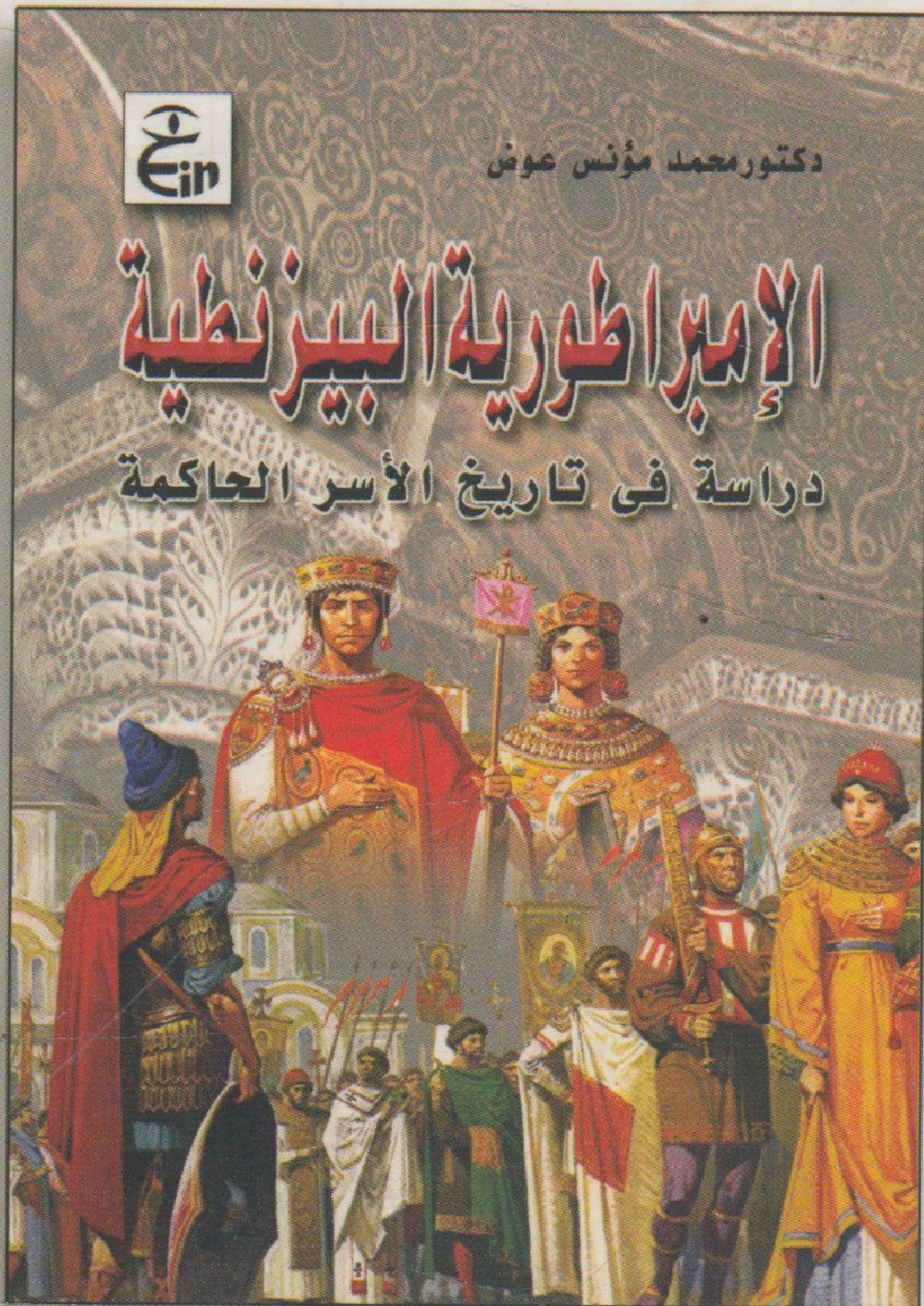




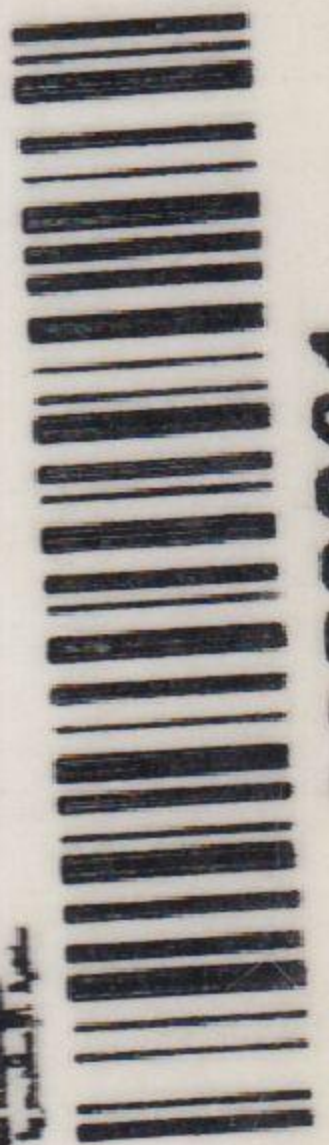
دكتور محمد مؤنس عوض

# الإمبراطورية البيزنطية

دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة



Bibliotheca Alexandrina



0652261



للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية  
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

<http://www.al-maktabeh.com>





# الإمبراطورية البيزنطية

دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة

( ٣٣٠ - ١٤٥٣م )

إعداد

أ.د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة عين شمس

وكلية الآداب والعلوم - جامعة الشارقة

الطبعة الأولى



عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES



المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

حقوق النشر محفوظة ©

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

هـ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع تليفون وفاكس ٢٨٧١٦٩٣

Publisher: EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

E-mail : dar\_Ein@hotmail.com

book ein @ yahoo.com

web site: WWW.Dar -Ein.com

الموقع الإلكتروني

المستشارون

د. أحمد إبراهيم الهولوى

د. شوقي عبد القوى حبيب

د. قاسم عبده قاسم

المدير التنفيذي :

شريف قاسم

مدير الإنتاج :

جسمال عابد

تصميم الغلاف : محمد أبوطالب



على قدر أهل العزم تأتي العزائم  
وتأتي على قدر الكرام المكارم  
وتعظم في عين الصغير صغارها  
وتصغر في عين العظيم العظائم  
أتوك يجرون الحديد كأنهم  
سروا بجياد مالهن قوائم  
خميس بشرق الأرض والغرب  
زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم

المتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني







## الإهداء

إلى روح إيمان سالم ؛ التقيّة النقيّة .. التي  
اختطفها الموت فجأة (ت ٢٠٠٣م) ، وهي في  
ربيع العمر الأخضر الوثّاب ... فبكت عليها كل  
عين رأتها ... !!! وعَصَفَ الحزن القتّال بكل قلب  
عرفها ... !! ، ورثتها في عنان السماء طيور  
مدينة رشيد الجميلة ... وإنا لله وإنا إليه  
راجعون....!!







## المحتويات

الإهداء .....	٥
التقديم .....	٩
المقدمة .....	١١

## القسم الأول

مدخل بـبليوغرافى للتاريخ البيزنطى- نماذج مختارة ومشكلات الدراسة .....	١٧
---	----

## القسم الثانى

تاريخ الأسرات البيزنطية الحاكمة ( ٣٣٠-١٤٥٣م) .....	١٢٣
أولاً : أسرتى قسطنطين ( ٣٢٤-٣٧٨م) وثيودوسيوس ( ٣٧٩-٥١٨م) .....	١٢٩
ثانياً : أسرة جستنيان ( ٥١٨-٦٢١م, ٣) .....	١٥٦
ثالثاً : الأسرة الهرقلية ( ٦١٠-٧١٧م) .....	١٨٥
رابعاً : الأسرة الأيسورية ( ٧١٧-٨٢٠م) .....	٢١٠
خامساً : الأسرة العمورية ( ٨٢٠-٨٦٧م) .....	٢٣٧
سادساً : الأسرة المقدونية ( ٨٦٧-٩٥٩م) .....	٢٥١
سابعاً : أسرتى دوكاس وكومنين ( ١٠٥٧-١١٨٥م) .....	٣٠٢
ثامناً : أسرة أنجيلوس والاحتلال اللاتينى ( ١١٨٥-١٢٦١م) .....	٣٤٦
تاسعاً : أسرة باليولوج ( ١٢٦١-١٤٥٣م) .....	٣٧٨
الخاتمة .....	٤٢٧
الملاحق .....	٤٣٥
الخرائط .....	٤٥٧
قائمة المختصرات .....	٤٧١
قائمة المصادر والمراجع .....	٤٧٣







## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### التقديم

يشرفنى أن أقدم هذا العمل العلمى المتميز بقلم الأستاذ الدكتور محمد مؤنس عوض إلى القارئ العربى الخاص والعام جميعاً، ولعل أكثر ما يشير الإعجاب فى هذا المؤلف الرائع ذلك المدخل الببليوغرافى للتاريخ البيزنطى بطريقة تحليلية نقدية التى هى ما سمات المؤرخ محمد مؤنس ؛ فلقد عالج فى هذا القسم المصادر اليونانية واللاتينية من خلال الباترولوجيا وأيضاً الجامع للمخطوطات البيزنطية ومجموعة مؤرخى الحروب الصليبية التى تضم المصادر الأرمنية والشرقية ، والجامع للنقوش اليونانية وتلك الخاصة بآسيا الصغرى ، ومجموعة مؤرخى ألمانيا، والجامع للكنائس البيزنطية فى الأرض المقدسة ، ومجموعة مؤرخى الغال وفرنسا وحوليات بريطانيا وأيرلندا ، والباترولوجيا الشرقية ، وأعمال الكتابات الإيطالية ومجموعة نصوص حجاج فلسطين إلى جانب عمد المؤرخين البيزنطيين من أمثال يوساب القيسارى وميناندر ويوحنا الأفسوسى ، وثيوفيللاكت ، وأميانوس ماركليانوس ، وحنّا مالالاس، وسقراط، وسوزيمين وميخائيل بسللوس ، ويوحنا اللىدى، وجورج الراهب ، ومانويل فيليس وجورج كدريوس والامبراطور الأديب قسطنطين بورفيريونيتس ، وليو الشماس، وليو الحكيم ، وجورج البسيدي، وبولس الصامت ، وثيوفانس، والقائد كيكومينوس، وبطرس الصقلي ، وزوسيموس، وبروكوبيوس القيسارى ، وإيفاجريوس اسكولاستيكوس ، وجورج باخيميرس وثيودوس الراهب وصولاً إلى الأميرة المؤرخة أنا كومينا والعلاقين كيناموس ونيكتاس خونيّاتس.

أما المصادر اللاتينية فتشمل إكهارد ورادولف ديكاين وجيبرت النوجنتى وأودو الدولى وفوشيه دى شارتر ، ورينولد داجيل ، وروبرت كلارى ، وأوتو الفريزى، ووليم الصورى ونيامين التطيلى، ومارينو سانودو وغيرهم .

أما المصادر الأرمنية فتشتمل على : متى الرهاوى ، وسيببوس، وجيفوند وسمويل من أنى، وموسى خورنيه إلى جانب المصادر السريانية وتتضمن ميخائيل السريانى وابن العبرى وغيرهم كذلك يعرج المؤلف على المصادر الروسية من قبيل حولية نسطور وحولية نوفوجورد .

ومن المصادر العربية المسعودى ، وياقوت الحموى، وأبا الفداء ، والقزوينى، والطبرى، وابن الأثير، وغيرهم كثر .



ويتجرد خالص أود أن أقرر فى هذا التقديم أن هذه أول دراسة نقدية نزيهة لمصادر التاريخ البيزنطى شرقا وغربا .

ويعالج المؤلف فى القسم الثانى تواريخ الأسر البيزنطية ما بين سنة ٣٣٠م - وهى سنة تأسيس مدينة القسطنطينية على يدى القسطنطين الكبير - مروراً بأسر قسطنطين وثيودسيوس وجوستينيان وهرقل وليو الأيسورى والعموريين والمقدونيين وآل دوكاس وكومنين وصولاً إلى الغزو الصليبي للقسطنطينية سنة ١٢٠٤م ، ثم تحريرها على يد أسرة باليولوغوس سنة ١٢٦١م ، وأخيرا الفتح العثمانى لمدينة القسطنطينية على يد السلطان محمد الثانى الفاتح سنة ١٤٥٣م .

وبهذ يغطى المؤلف تاريخ الدولة البيزنطية من الألف إلى الياء والجميل أنه يزود عمله الرائع بخاتمة وملاحق تخدم المتخصصين من طلاب الدراسات العليا فى التاريخ البيزنطى ومن أمثلتها تواريخ الأسرات البيزنطية الحاكمة من ٣٣٠م إلى ١٤٥٣م والخلفاء الفاطميين فى مصر من ٩٧٢م إلى ١١٧١م ، السلاطين العثمانيين من ١٢٩٩م إلى ١٥٢٥م ، والترتيب الزمنى لأهم أحداث التاريخ البيزنطى وأبيات من القصيدة الأرمينية التى أرسلها نقفور فوكاس إلى الخليفة العباسى المطيع ليه متهدداً ومتوعداً ، إلى جانب المستعمرات البيزنطية التى خضعت للبندقية بعد عام ١٢٠٤م .

ويؤكد المؤلف فى خاتمته لهذا المؤلف الضخم على فاعلية العوامل الداخلية ودورها البارز فى سقوط بيزنطة مرتين الأولى ١٢٠٤م فى أيدي الصليبيين ، والثانية فى ١٤٥٣م على يدى السلطان الفاتح متبعاً رؤية المؤرخ البريطانى المرموق أرنولد توينبى وأستاذه عبد الرحمن ابن خلدون مؤكداً على أن السقوط فى التاريخ دائماً من الداخل وليس من الخارج .

كما يتوقف الأستاذ الدكتور المؤلف عند النموذج للأخلاقي البيزنطى والذى ورثه عنهم العثمانيون من دسائس ومؤامرات البيت الحاكم ، كذلك يوضح المؤلف للقارئ أن التعامل مع المصادر التاريخية وقراءتها بالنسبة لبيزنطة يختلف من مدرسة إلى أخرى وذلك بحكم الايدلوجية التى تحكم هذا الكاتب أو ذاك .

أخيراً يسعدنى أن أقرر فى موضوعية ونزاهة كاملة ؛ أن هذا العمل يعد إضافة علمية موقرة للمكتبة العربية .

**أ.د. اسحق عبيد**

أستاذ العصور الوسطى - كلية الآداب جامعة عين شمس



## المقدمة

يتناول هذا الكتاب بالدراسة : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة الممتدة من القرن الرابع الميلادي إلى ما زاد على منتصف القرن الخامس عشر الميلادي . وبالتحديد من عام ٣٣٠ إلى ١٤٥٣م. أي على مدى ما فاق أحد عشر قرنًا من عمر الزمان من خلال الأسرات الحاكمة .

والواقع : أن ذلك التاريخ يحتل أهميته الخاصة : إذ أخضعت تلك الإمبراطورية بلاد الشام، ومصر . وبقية الشمال الأفريقي لسيطرتها السياسية إلى أن ظهر الإسلام وأخضع الفاتحون العرب تلك المناطق لسيادتهم وانتزعوها من السيادة البيزنطية، وهكذا : فإن المرحلة البيزنطية ليس في الإمكان إسقاطها من تاريخ منطقتنا ، كما أن تلك الإمبراطورية دخلت في علاقات سياسية وحربية، وحضارية مع الأمويين والعباسيين والأتراك السلاجقة والعثمانيين، وبالتالي : فإن فهم تاريخها يعد أمراً ضرورياً من أجل دراسة تاريخ العلاقات بين عالم الإسلام وعالم المسيحية في المرحلة القروسطية .

جدير بالذكر : يرجع إهتمامي بالتاريخ البيزنطي إلى نحو ثلاثة عقود، فالملاحظ أن المتخصص في تاريخ الحروب الصليبية خلال القرنين الثاني عشر ، والثالث عشر الميلاديين؛ يدرك حجم الاتصال الوثيق بين التاريخ البيزنطي، وتاريخ الصليبيين في الشرق، كما أنه في أطروحتي للدكتوراه- عن السياسة الخارجية للدولة النورية (١١٤٦-١١٧٤م) خصصت فصلاً عن العلاقات النورية - البيزنطية ، ولا أغفل كذلك جانب الخبرة التدريسية وتأثيرها الوضّاح؛ فقد قمت بتدريس التاريخ البيزنطي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها بالمملكة العربية السعودية طوال ست سنوات كاملة، ولانزع في أن تدريس التاريخ البيزنطي يعطي للباحث في رحابه أبعاداً فكرية جديدة لا تتوافر إلا لمن خاض غمار التجربة تأليفاً وشرحاً ومعاشة العصر التاريخي ذاته، ومن خلال دراسة العلاقات الدولية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى.

مهما يكن من أمر : فتأليف كتاب عن تلك المرحلة الزمنية يحتاج إلى مجهود كبير، خاصة أن هناك العدد الوافر من الدراسات في الغرب الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية عن كافة جزئياته، كذلك توجه أطروحات علمية للماجستير والدكتوراه من جانب عدد من الباحثين العرب، ناهيك عن إصدارات متعددة لمؤرخين مصريين، وعرب ساهموا في تطوير الدراسات



البيزنطية فى العالم العربى وذلك على مدى نحو سبعين عاماً ، ولاشك فى أن ذلك يضع عبئاً ثقيلاً على من يسعى إلى عرض التاريخ البيزنطى فى دراسة واحدة مستقلة .

من ناحية أخرى ؛ سيلاحظ القارئ أن الكتاب يهتم - قدر الإمكان - بالجانب النقدى، فليس هدف كاتب هذه السطور اللهث وراء الأحداث وتوهم اقتناصها بل البحث فيها، وتأملها قدر الجهد الممكن.

وقد انقسم الكتابُ إلى قسمين ، اهتم الأول منهما بتقديم عرض ببليوغرافى أولى لمصادر ومراجع التاريخ البيزنطى، وذلك من خلال أسلوب النماذج المختارة ويهدف إلى تقديم لمحة بانورامية عامة عن مصادر ذلك التاريخ وحيث أن إيجاد دراسة ببليوغرافية شاملة أمر خارج القدرات الفردية نظراً لوفرتها وتعددتها ؛ لذا فإن جهدى يظل فى هذا المجال جهداً فردياً ومن المفترض فى المستقبل - بإذن الله تعالى - سيتم تخصيص دراسة أكثر شمولية عن ذلك الجانب الببليوغرافى البالغ الأهمية بالنسبة للباحثين . كما اهتم بدراسة المشكلات المنهجية الخاصة بتاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، والأمر المؤكد؛ أن تلك المشكلات لها أهميتها الواضحة عند التعامل مع مصادر ذلك التاريخ التى تمتاز بالتنوع الكمى، والكيفى فى آن واحد.

وفيما يتصل بالقسم الثانى ؛ فنجده يتناول عرضاً للتاريخ البيزنطى فى صورة ملامح بانورامية عامة ، وذلك من خلال دور الأسر البيزنطية الحاكمة ، والعمل - قدر الإمكان - على المقارنة بين كل أسرة وأخرى وعوامل النجاح والإخفاق، وذلك من خلال الظروف الدولية المختلفة التى صاحبت تاريخ كل أسرة حاكمة، وشكلت أدوارها فى السياستين الداخلية ، والخارجية . وأود لفت انتباه القارئ إلى أن بيزنطة لا يزال هناك إمكانية تقديم تصورات تاريخية مغايرة بشأنها ؛ فالتاريخ - عموماً - لم يقل كلمته الأخيرة بعد !

كذلك تم تزويد الدراسة بخاتمة احتوت على أهم ما أمكن التوصل إليه من نتائج، وكذلك تم إيراد عدد من الملاحق والخرائط . ثم أخيراً قائمة بالمصادر والمراجع بلفات متعددة كالإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والعربية .

وقد يتصور البعض؛ أن تناول التاريخ البيزنطى من خلال الأسرات الحاكمة يعد أمراً تقليدياً نمطياً لا جديد فيه، وللدرد على ذلك ؛ نقول ؛ أن طبيعة المعالجة هى التى تحسم الأمور؛ إذ أن عهد إمبراطور بيزنطى ما؛ لا يمكن فهمه دون فهم طبيعة التطور التاريخى للأسرة الحاكمة التى وجد فيها من خلال إيجابيات ، وسلبيات سياستها.



من زاوية أخرى ؛ من المهم التنويه إلى أن المقارنة بين الأباطرة في الأسرة الحاكمة الواحدة، وكذلك بين أسرة وأخرى؛ يعتمد على الاقتراب أكثر من طبيعة التاريخ البيزنطى التى لم تتخذ أشكالاً ثابتة أو نمطية خاصة فى الصراع، من أجل البقاء مع القوى الخارجية . وما أكثرها التى عرفت بمعاداتها للإمبراطورية المترامية الأطراف جغرافياً ، والمترامية تاريخياً على نفس المقدار !

وهكذا ؛ ففى تصورى أن التعامل مع الأسرات البيزنطية الحاكمة، يمكن الدارس من تسليط الأضواء على جوانب محددة لا تتوافر له وفى حالة دراسته لتاريخ بيزنطة وفق تصور مغاير.

والآن ؛ أتى موعد قطف زهور الشناء ، وورود الشكر والتقدير، وأقدمها إلى عدد من المؤرخين المصريين فى صورة المؤرخ والمترجم والمحقق الراحل أ.د. حسن حبشى ؛ أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية التربية جامعة عين شمس الذى رحل عن عالمنا عام ٢٠٠٥م<sup>(١)</sup>، تاركاً فى القلب غصة لا تنتهى !، وقد عكف ابن مصر البار على ترجمة عدد من مصادر التاريخ البيزنطى والتعليق عليها على نحو يعجز عن القيام به فريق عمل من الباحثين حالياً ؛ وكل ذلك باقتدار ، وأستاذية العالم الراهب الذى توحد مع المداد والأوراق، ولا يفوتنى هنا ؛ الإشادة بترجماته الثرية بالتعليقات لكتابات كيناموس Kinnamos ، وأنا كومينا Anna Comnena ، ونيكتاس خونيئاتس Nicetas Choniates وقد طالعتهما وهى مخطوطة ومنها ما لم يطبع بعد، بالإضافة إلى معجم التراجم البيزنطية الذى أعده دونالد نيكول Donald Nicol عالم البيزنطيات الشهير .

أما المؤرخ الثانى ؛ فهو أ.د. إسحق عبيد أستاذ العصور الوسطى بكلية الآداب- جامعة عين شمس الخبير بالتاريخ البيزنطى، والعلاقات البيزنطية - اللاتينية، وأغتتم الفرصة للإشادة بمؤرخ تدين له الدراسات البيزنطية فى جامعات نوتنجهام Nottingham بانجلترا، ومصر وبنى غازى بليبيا ، والكويت، واليمن بالكثير، وقد أفدت من خبرته العلمية الواسعة منذ أن تتلمذت على يدى ابن أسبوط عام ١٩٧٧م، وما زالت ذكرى محاضراته منتعشة فى الأذن، والقلب والعين ، والروح وكأنه ألقاها على التسو منذ لحظات على الرغم من توالى الأعوام مهولة ولا أستطيع لها دفعا !!!

١- عن سيرته أنظر: محمد مؤنس عوض، عصر الحروب الصليبية ٢٠٠٦م، ص ٢٤٣- ص ٢٦٢ .



كذلك لا أغفل الإشادة بكتابات مؤرخين بارزين فى حقل الدراسات البيزنطية من أرض الكنانة وأذكر منهم أ.د. محمود سعيد عمران ، أ.د. وسام عبد العزيز فرج ، أ.د. محمد مرسى الشيخ أ.د. عليه الجنزورى ، أ.د. زبيدة عطا ، أ.د. عفاف صبره ، أ.د. ليلى عبد الجواد ، وقد أقدت من مؤلفاتهم، ومن سوريا - الشقيقة الجغرافية والتاريخية لأرض الكنانة - أذكر أ.د. عادل زيتون ، أ.د. نعيم فرح ، د. عبد السلام زيدان ، الذى قدم لى كل عون فى الحصول على بعض المؤلفات الصادرة فى دمشق ، وللزميل الفاضل د. حاتم الطحاوى لمراجعته الدقيقة لقسم كبير من الكتاب وللأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائى لافادتى من مكتبته العامرة فى كلية الآداب والعلوم بجامعة الشارقة، والدكتور سلامه البلوى بنفس الكلية للملاحظات القيمة التى قدمها لى بعد مطالعة مخطوط الكتاب ، كذلك أشكر عدداً من تلاميذى خاصة محمد فوزى، وأحمد عبدالله، وهنادى السيد خاصة الأخيرة التى صورت لى عدداً من المقالات والمراجع المهمة . كذلك لا أغفل تقديم شكر خاص للزميلة د. زينب توفيق خبيرة اللغة اليونانية.

بصفة عامة ؛ أقدت من مكتبات اليونان ، وتركيا ، والسعودية، والإمارات العربية، ومصر، وذلك على مدى زمنى طويل، وفى الأخيرة أذكر مركز البحوث الأمريكى ، والجامعة الأمريكية والكلية القبطية والمعهد الفرنسى والمعهد الألمانى للآثار ، ومكتبات جامعات القاهرة وعين شمس والاسكندرية وأسيوط، بالإضافة إلى المكتبات الخاصة لعدد من الأساتذة الأفاضل فى حقل الدراسات البيزنطية.

لقد كان إعداد هذا الكتاب فرصة سانحة لاقتناء مئات الكتب والمقالات عن التاريخ البيزنطى ، وقد استغرق العمل فيه ثلاث سنوات من الجهد المتواصل وقد نتج عن ذلك قائمة المصادر، والمراجع فى نهاية الدراسة، وأتصور أن القارئ الموضوعى سيقدر ما بذل فيه من جهد علمى.

على أية حال ؛ أدعو القارئ إلى تصفح صفحاته، ودائماً وأبداً أردد قول الحق تبارك وتعالى : « وفوق كل ذى علم عليم ». صدق الله العظيم

أ.د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

القاهرة - مصر الجديدة - مساكن الشيراتون



## القسم الأول

مدخل بيليوغرافى للتاريخ البيزنطى

ومشكلات دراسته







## مدخل ببليوغرافى للتاريخ البيزنطى

### ومشكلات الدراسة

يتناول هذا القسم من الكتاب ؛ لمحة عن نماذج لأهم المصادر والمراجع التاريخية التى من خلالها يمكن للباحث الإطلاع على وقائع التاريخ البيزنطى ، وبداية أود الإشارة إلى أن ذلك المدخل ليس من مهمته إيراد حصر شامل للمصادر والمراجع المذكورة ؛ إذ أن ذلك خارج عن حدود النطاق الفردى ويتطلب فريق عمل من الباحثين خاصة أنها مصادر تاريخ أحد عشر قرناً من عمر الزمان .

واقع الأمر ؛ من المهم التعرض لمجموعات مصادر التاريخ البيزنطى ، ثم الكتابات العلمية ، والآثار ، والنقوش ، والنقود ، وتقديم نماذج مختارة من كل نوع من تلك المصادر حتى يمكن للباحث الذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك من خلال مطالعة المزيد منها من خلال قدراته الشخصية البحثية .

وفيما يتصل بمجموعات المصادر ، من الممكن إيرادها على النحو التالى :

- الباترولوجيا اليونانية ، إصدار ج.ب ، ميني ، باريس ١٨٥٧-١٨٦٦م ،  
١٨٨٠-١٩٠٣م وتقع فى (١٦١) جزءاً :

Patrologiae Cursus Completus , Series Graeco - Latine, ed J.P. Migne , Paris  
1857 - 1866 , 1880-1903 , 161 vols .

- الباترولوجيا اللاتينية ، إصدار ج.ب ميني ، باريس ١٨٤٤-١٨٥٥م ،  
١٨٦٢-١٨٦٤م وتقع فى (٢٢١) جزءاً .

Patrologiae Curus Completus Series Latina , ed . J.P. Migne , Paris 1844-  
1855, 1862-1864 , 221 vols ,

- الجامع للمخطوطات البيزنطية .

Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae , Bonn, 1828-1897 , 50 vols.

- مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية :

Recueil des Historiens des Croisades, Paris .



وتنقسم إلى :

- الوثائق الأرمنية، مجلدان ، باريس ١٨٦٩-١٩٠٦ م .  
Documents armeniens, 2 vols ., Paris 1869 - 1906 .

- المؤرخون الاغريق ، مجلدان ، ط. باريس ١٨٧٥-١٨٨١ م .  
Historiens grecs , 2 vols ., Paris 1875-1881 .  
Lois, 2 vols , Paris , 1841-1843 .

- المؤرخون الغربيون ، ٥ مجلدات في ٨ أجزاء باريس ١٨٤٤-١٨٩٥ م .  
Historiens Occidentaux , 5 vols ., in 8 pts, Paris 1844-1895 .

- المؤرخون الشرقيون ، ٥ مجلدات في ٦ أجزاء ، باريس ١٨٧٢-١٩٠٦ م .  
Historiens Orientaux, 5 vols , in 6 pts , Paris 1872 - 1906 .

ومن مجموعات المصادر نذكر أيضاً :

- الجامع للنقوش اليونانية ، ٤ أجزاء، ط. برلين ١٨٢٨-١٨٧٧ م .  
Corpus Inscriptionum Graecarum , 4 vols , Berlin 1828- 1877 .

- مجموعة النقوش اليونانية المسيحية لآسيا الصغرى، ط. باريس ١٩٢٢ م .  
Recueil des Inscriptions Grecques Chretiennes d'Asie Mineure, Paris 1922 .

- مجموعة مؤرخي ألمانيا<sup>(١)</sup> .

Monumenta Germaniae historica.

١- من المهم الإقرار بأن مجموعة تاريخ ألمانيا التذكارية قام بنشرها ج. ه. برتز G.H. Pertz، وتتناول تاريخها فيما بين عامي ٥٠٠ - ١٥٠٠ م، ووقعت في ١٢٠ مجلداً وقد صدرت في برلين وهانوفر فيما بين عامي ١٨٢٦-١٩٢٥ م ويلاحظ أنها تعد من أكبر مجموعات التاريخ القومي في كل أوروبا ، ولاريب في أنها صدرت على مدى قرن كامل ، وعكست حرص الألمان على تجميع ونشر مصادر تاريخهم القومي.  
عن هذه المجموعة أنظر:

على الفمراوي : « المؤلفات الدينية في آدب الفقهاء اللاتين من القرن السادس حتى القرن الثامن » ،  
مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت، ديسمبر كانون الأول ١٩٧٤ م، ص ١٢٧ ، «معالم ألمانيا التاريخية Monumenta Germaniae Historica مجموعة مصادر التاريخ والتراث الألماني في العصور الوسطى» ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٩٨٦ م.

محمد مؤنس عوض، فصول بلبوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية ، ط القاهرة ١٩٩٦ م، ص ٥٢ .



وتنقسم إلى :

- Monumenta Germaniae historica: Aucta - rerum antiquissimorum, 15 vols. , Berlin 1877-1919 .
- Monumenta Germaniae historica: Epistolarum, 8 vols , Berlin 1887-1939 .
- Monumenta Germaniae historica: Legum, 5 vols, Hannover 1835-89 .
- Monumenta Germaniae historica Poetarum latiuorum medi aevi, 6 vols , Berlin - Leipzig - Weimar 1880-1951 .
- Monumenta Germaniae historica: Scriptorum , 32 vols : Hannover 1826-1934 .
- Monumenta Germaniae historica, Scriptores rerum langobardicarum et italicarum Saec., Hannover 1878 .
- Monumenta Germaniae historica Scriptores rerum merovingicarum 7 vols , Hannover 1885-1920 .

- الجامع للكنائس البيزنطية في الأرض المقدسة ، نشر أوغاديا ، ط. بون ١٩٧٠م.  
Corpus of the Byzantine Churches in the Holy land , ed. by Ovadia , Bonn 1970 .

Nicene and post Nicene Fathers of the Church of the Christian Church , ed. by Philip Schaff and Henry Wace , Michigan 1891 .

- مجموعة مؤرخي الغال وفرنسا ، ٢٧ جزءاً باريس ١٧٣٨-١٨١٨م.  
Recueil des Historiens des Gaules et de la France , Par des religieux Bénédictins , 27 vols ., Paris 1738-1818 .<sup>(١)</sup>

---

١- تجدر الإشارة إلى أن المجموعة المذكورة ؛ تعد بمثابة أول مجموعة ضخمة شملت مصادر التاريخ القومي في أوروبا ، وقد بدأ بوكيه Bouquet في نشرها في باريس ، وذلك عام ١٧٣٨م ، وصدر منها في عام ١٧٨٦م ثلاثة عشر مجلداً ، وتوقف إصدارها خلال أحداث الثورة الفرنسية وعادت بعدها للصدور ، وللمجموعة المذكورة طبعة أخرى نشرها ل. دلسيل L. Delisle في باريس من عام ١٨٦٨ إلى عام ١٨٨٠ مع ملاحظة أنه اقتصر على المجلدات التسعة عشر الأولى ، عن ذلك أنظر : على الغمراوي: تقرير بيبليوغرافي عن بحوث فرنسا ونشراتها في القرن الثامن =



- حوليات بريطانيا وأيرلندا خلال العصور الوسطى. ٩٩ جزءاً ، لندن ١٨٥٨-١٨٩٦م<sup>(١)</sup>.

Rerum Britannicarum medii devi Scriptores , or Chronicles and memorials of Great Britain and Ireland during The Middle Ages, published by the authority of her Matesty's Treusury under the direction of the Master of the Rolls, 99 vols ., London 1858-1896 .

- الباترولوجيا الشرقية ، نشر ل. جرافين، ف. ناو ، ط. باريس ١٩٠٤ .

Patrologia Orientalis , ed . R. Graffin et F. Nau , Paris 1904 FF.

Corpus Fontium Historiae Byzantinae.

وهي مجموعة مصدرية بيزنطية مهمة صادرة عن مركز دامبرتون أوكس Dumbarton Oaks<sup>(٢)</sup> في واشنطن وقد صدر منها حتى عام ١٩٩٢م (١٠) أجزاء ، وتحتوى على النصوص اليونانية ، وترجماتها الإنجليزية . ومن أمثلة إصداراتها الآتى :

= عشر ، مجلد كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود العدد (٧) عام ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ، ص ١١١ ، محمد مؤنس عوض ، فصول بيليوغرافية فى تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٤٨ .

١- عن بعض محتويات تلك المجموعة المصدرية انظر: زينب عبد القوى، الإنجليز والحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ١١ . وتذكر الباحثة أن عددها يقترب من المائة مجلد والواقع أن العدد الحقيقى هو (٩٩) مجلداً أنظر رأيها فى الصفحة المذكورة .

٢- أقيم مركز الدامبردون أوكس Dumbarton Oaks Center فى واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٠م . وقد توالى على المركز المذكور عدد من العلماء الذين عملوا على دراسة التاريخ البيزنطى من كافة جوانبه السياسية والحضارية ونشر المصادر وترجمتها وكذلك الأبحاث التاريخية، نذكر منهم : جون س. تاكر John S. Thacher (١٩٤٠-١٩٦٩م) وكان مسئولاً عن إدارة التنظيم الداخلى، ثم هناك ألبرت م. فرنديز Ernest Kitzingeo (١٩٤٣-١٩٥٦م) ، ومن بعده نذكر إرنست كترنجير Romilly J. H. Jenkins (١٩٦٧-١٩٦٩م) ووليم ر. تيلور William R. Tyler (١٩٦٩-١٩٧٧م) ، ثم جيلز كونستابل Giles Constable (١٩٧٧-١٩٨٤م) وروبرت و. تومسون Robert W. Thompson (١٩٨٤-١٩٨٩م) ، عن ذلك المركز البحثى الذى يعد من أعظم المراكز المتخصصة على مستوى العالم إن لم يكن أهمها مع عدم إغفال دور مركز جامعة برمنجهام ومركز الدراسات البيزنطية فى سالونيك ومركز جامعة السربون فى باريس، أنظر : =



- Constantine Porphyrogenitus, *De Administrando Imperio* , ed . by Gy . Moravcsik, Trans . by R. J. H. Jenkins , 1967 .
- Nicholas I, Patriarch of Constantinople Letters , ed . and Trans. by R.J.H. Jenkins and L.G. Westerink , 1973 .
- The Correspondence of Athanasius I Patriarch of Constantinople: Letters to the Emperor Andronicus II, Members of the imperial Family and officials , ed . with Translation and commentary by Alice - Mary Maffry Talbot , 1975 .
- The Letters of Manuel II Palaeologue , ed. and Trans . by George T. Dennis , 1977 .
- The Synodicon Vetus , ed. with Translation by John Duffy and John Parker, 1979 .
- Nicholas I , Patriarch of Constantinople : Miscellaneous Writings, ed. and Trans. by L.G. Westerink
- Letters of Gregory Akirdynos , ed. and Trans. by Angela Constantinides Hero , 1983 .
- The Correspondence of leo , Metropolitan of Synada and Syncellus , ed. and Trans . by Martha Pollard Vinson , 1985 .
- Three Byzantine Military Treatises, ed . and Trans . by George T. Dennis , 1985 .
- Nikephoros , Patriarch of Constantinople , Short History , ed. and Trans. by Cyril Mango , 1990 .<sup>(١)</sup>

---

= Anastos , " Dumbarton Oaks and Byzantine Studies , a Personal Account", in Laiou and Maguire (eds.) *Byzantium A World Civilization* , D.O., Washington 1992, pp. 5-18 .

١- عن ذلك أنظر : Laiou and Maguire (eds) , *Byzantium A world Civilization* , D.O., Washington 1992, pp. 159-160 .



- أعمال الكتابات الإيطالية ، نشر ل. ز. موراتوري (٢٥) مجلد في (٢٨) جزء ، ط. ميلانو ١٧٢٣-١٧٥١ م .

- Rerum Italicarum Scriptores ed. L.A. Muratori , 25 vols ., in 28 pts., Milan 1723-1751 .

وأيضاً :

Rerum Italicarum Scriptores, Citta di Castello- Bologna 1900 .

- Historici Graeci Minores, ed. L. Dindorf, 2 vols ., Leipzig 1870-1871 .

- Fragmenta Historicorum Graecorum , ed. Muller , 5 vols ., Paris 1874-1885 .

مجموعة نصوص حجاج فلسطين (١٣) جزءاً وتحتوى على عدد من الحجاج الأوروبيين الذين مروا بمناطق الدولة البيزنطية أو كانوا من مناطقها المختلفة وقدموا إلى فلسطين ودونوا رحلاتهم ومن أمثلتهم يوحنا فوكاس Joannes Phocas وغيره .

وهناك أيضاً مجموعة :

- Palestine Pilgrims Text Society , 13 vols ., 1880-1897 .

- Byzantine Monastic Foundation Documents, Acomplete Translation of the Surviving Founders Typika and A.C. Hero , 5 vols . Washington 2000 .

وتختص بوثائق المؤسسات الديرية البيزنطية وتقع في ٥ مجلدات ، وصدرت في واشنطن عام ٢٠٠٠ م.

كذلك لمجد مجموعات وثائق في الكتاب التالية :

- Gumel (V.), Les Regesta des actes du patriarcat de Constantinople , I, Paris 1972 , II, Chalcedon 1936 , III, Chalcedon and Buchares 1947 .

- Tafel (G.) and Thomas (G.), un kunden zur Alfaren Handels und Staats geschichte der Republik Venedig Mit Besondr Beziehung Auf Byzanz und Dielevante (814-1205), Wien 1856 .

---

١ عن المجموعة المذكورة انظر: محمد مؤنس عوض ، فصول بيليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية .



- Movozzo Della Roca and Lombardo, Documenti del Commercio Veneziano nel secoli XI- XII , Romg 1940 .
- Miklosich (F.) et Muller (J.) Acta et Diplomata Graeca Medii Aevi.
- Pothasti (A.), Regesta Pontificum Romanorum (1198-1304) , 2 vols., Berlin 1874 - 1878 .
- Jaffe (P.), Regesta Pontificum Romanorum .
- Dolger , Regesta Von Kaiserur kenden des Ostromischen Reiches von 565-1453 .

وبعد ؛ فتلک لمحة من مجموعات مصادر التاريخ البيزنطی ، ويضاف إلى ذلك الكتابات القلمية ونذكر منها :

- المصادر البيزنطية .
- المصادر اللاتينية .
- المصادر السريانية .
- المصادر الروسية .
- المصادر العربية .

وفي العرض التالي ؛ نذكر أمثلة كنماذج مختارة من كل مجموعة من المصادر المذكورة .  
أولاً ؛ المصادر البيزنطية :

يوساب القيساري Eusebius of Caesarea <sup>(١)</sup> مؤلف كتاب Vita Constantini ؛

١- يوساب القيساري ؛ رجل كنيسة ومؤرخ ولد عام ٢٦٠م ، وقد تلقى العلم على يدى بامفيليرس ؛ وهو راهب فى قيسارية تأثر بأفكار كليمنت السكندري Clement of Alexandria الذى كان أحد آباء الكنيسة ، ويلاحظ أنه عقب صدور مرسوم التسامح عام ٣١٣م ، صار يوساب أسقفًا على قيسارية ، ونعلم أن صلاته توطدت بالإمبراطور قسطنطين وبعد مؤرخ سيرته ، ونعرف أن يوساب قام بدور بارز فى المجمع المسكونى الأول الذى عقد فى نيقية Nicaea عام ٣٢٥م ، وقد توفى عام ٣٣٩م ، عنه أنظر :

Grant , Eusebius as Church Historian , Oxford 1980 .

Nicol, A Biographical dictionary of the Byzantine Empire , London 1991 , pp. 37-38 Cantor , Medieval History . the life and death of civilization , New york 1969 , pp. 37-38 , p. 42. p. 46 .



أى حياة قسطنطين وكذلك كتاب Historia Ecclesiastica<sup>(١)</sup>، أى التاريخ الكنسى ويعد الكتاب الأول تاريخاً للإمبراطور قسطنطين الأول، وهو عامر بالثناء عليه، وبالتالي؛ يقدم لنا رؤية منحازة له ولأعماله، ولا يتحدث، إلا عن إيجابياته، ويلاحظ أنه إعتبره الحواري الثالث عشر للسيد المسيح، وقد ألفه بعد وفاة ذلك الإمبراطور عام ٣٣٧ م<sup>(٢)</sup>.

أما الكتاب الثانى؛ فتناول فيه الأحداث التاريخية التى مرت بالكنيسة منذ عهد السيد المسيح عليه السلام حتى معركة خريسوبوليس Chrysopolis عام ٣٢٣م التى انتصر فيها قسطنطين على منافسه ليكينىوس.

= على الفمراوى، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربي الوسيط، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص ٦٨، زبيدة عطا، الدولة البيزنطية من قسطنطين إلى أناستاسيوس، ط. القاهرة ب-ت، ص ٩، جونز، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ت. إحسان عباس، ط. عمان ١٩٨٦م، ص ٢٧، حاشية (٢)، جورج عطيه، «الأثر السريانى فى الحياة الفكرية والعلمية فى بلاد الشام»، ضمن كتاب بلاد الشام فى العهد البيزنطى، الندوة الأولى من أعمال المؤتمر الدولى الرابع لتاريخ بلاد الشام، تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد عصفر، ط. عمان ١٩٨٦م، ص ١٥٧.

ويلاحظ أن هناك مدينتين حملتا اسم قيسارية الأولى على الساحل الفلسطينى إلى الشمال من أرسوف Arsuf وبعدت عنها ١٨ ميلاً، والثانية فى إقليم كبادوكيا Cappadocia فى آسيا الصغرى ومن المقرر أن يوساب عمل أسقفاً لقيسارية فلسطين، عن ذلك أنظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، تحقيق رينودى سنان، ط. باريس ١٨٤٠م، ص ٢٨، حسن عبد الوهاب، قيسارية الشام فى التاريخ الإسلامى، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م، مرجعى الدومنيكى، بلدانية فلسطين العربية، منشورات المجمع الثقافى، ط. أبوظبى ١٩٩٣م، ص ٢٧٧، محمد مؤنس عوض، فى الصراع الإسلامى الصليبي معركة أرسوف - ١١٩١م / ٥٨٧هـ ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٢٨، أسامة زكى زيد، صيدا ودورها فى الصراع الصليبي - الإسلامى، ط. الاسكندرية ١٩٨١م، ص ١٠٠، حاشية (٥).

انظر: Eusebius, Extrails from Eusebius life of Constantine, Trans. by Gohn Bernard, P.P.T.S., vol. I, london 1896.

وتوجد ترجمة عربية انظر: يوساب القيسارى، حياة قسطنطين العظيم، ت. مرقص داود، ط. القاهرة ١٩٧٥م.

Eusebius, The Ecclesiastical History, Thrans. by Kirsopp - Lake, L.C.L., London 1930-1940.

١- التاريخ الكنسى، ت. مرقص داود، ط. القاهرة ١٩٧٩. عرفان شهيد، روما والعرب مقدمة لدراسة بيزنطة والعرب، ت. محمد فهمى عبد الباقى محمود، ط. القاهرة. ب-ت، ص ١٤٤، حاشية (٢).

Nicol, A Biographical dictionary., p. 37.



ميناندر<sup>(١)</sup> Menander مؤلف Excepta ex historia<sup>(٢)</sup> أى التاريخ المتوالى أو المتعاقب، ويتناول الأحداث التاريخية التى جرت فيما بين عامى ٥٥٨-٥٨٢ م. يلاحظ أنه ارتبط بخدمة الإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢م) الذى لقبه بلقب موظف البلاط الكبير.

ألف ميناندر كتابه ليكون مكملاً لكتاب أجاثيوس Agathius - كما لاحظ دونالد نيكول- وقد فقد ذلك العمل ، ولم يبق منه إلا النذر اليسير، ولا نغفل أنه اعتمد على الوثائق الرسمية كذلك روايات شهود العيان ، ويقرر المؤرخ السالف الذكر؛ أن تاريخ ميناندر يعد المصدر التاريخى الوحيد عن السنوات الأخيرة من حكم جستنيان الأول وكذلك الأعوام التى حكم خلالها خلفه جستين الثانى (٥٦٥-٥٧٨م) ، وهى من المراحل الشاقة التى ظهرت فيها بيزنطة ككائن مثقل بالأعباء والجراح .

يوحنا الافسوسى John of Ephesus<sup>(٣)</sup> مؤلف Historia Ecclesiastica<sup>(٤)</sup> أى التاريخ الكنسى .

١- ميناندر : محامى ومؤرخ ، ولد فى القسطنطينية ودرس بها القانون ، وقد عمل فى بلاط الإمبراطور موريس الذى منحه لقب موظف البلاط الكبير، بصفة عامة وبعد ذلك الإمبراطور معاصراً للنصف الثانى من القرن السادس الميلادى عنه انظر:

Nicol, A Biographical dictionary , p. 83 .

Ure, Justinian and his age , London , 1951 , pp. 187-190 .

أرنولد توينبى ، الفكر التاريخى عند الاغريق، ت. لمعى المطيعى ، ط. القاهرة ١٩٩٠م، ص١٢٤-١٢٥ .

هارى ألز بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية، ت. محمد عبد الرحمن برج، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ج ١ ، ص١٣١ .

٢- نشره نيبور فى مجموعة الكوريس وصدر عمله فى عام ١٨٢٩ انظر:

Menander, Excepta ex historia , ed. Niebuhr, C.S.H.B., Bonn 1829 .

وظهرت ترجمة إنجليزية له من جانب ر.سى. بلوكلى فى ليڤرول عام ١٩٨٥م، انظر:

- Menander , The History of Menander The Guardsman , ed . and Trans . by R.C. Blockley , Liverpool 1985 .

٣- يوحنا الافسوس : مؤرخ عاصر القرن السادس الميلادى، عنه انظر: نعيم فرح، تاريخ أوربا السياسى فى العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٩٥م، ص٢٤ .

٤- John of Ephesus , Ecclesiastical History . Trans. by W.J. van Douwen and J.P.N. Land - Amsterdam 1889 .



وقد احتوى على إشارات مهمة عن إغارات العناصر السلافية على أراضي الإمبراطورية البيزنطية خلال النصف الثاني من القرن السادس الميلادي .

مجهول ، *Miraciula Sancti Demetri* أى معجزات القديس ديمتري<sup>(١)</sup> .

ويتناول أمر محاصرة العناصر السلافية لمدينة سالونيك خلال المرحلة الواقعة بين أخريات القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلاديين؛ كذلك يتعرض لدور القديس ديمتري من أجل إنقاذ المدينة المذكورة ، كما أنه قدم إشارات مهمة عن الغزو السلافي لمقدونيا وحوض البحر الايجي .

ثيوفيلكت سيموكاتس *Theophylact Simocattes*<sup>(٢)</sup> ، ألف كتاب *Historiae*<sup>(٣)</sup> .

ويعد المؤرخ المذكور من مؤرخي العصر البيزنطي المبكر ، وقد ألف تاريخاً للإمبراطور موريس *Maurice* (٥٨٢-٦٠٢ م) ، ويعد مكملاً لتاريخ ميناندر<sup>(٤)</sup> ، ويقدم فيه معلومات لها

١- نعيم فرج، المرجع السابق، ص ٢٤ .

وعن ذلك المصدر انظر أيضاً :

وسام عبد العزيز فرج ، السلاف Slavs فى شبه جزيرة البلقان وجهود الامبراطورية البيزنطية لاسترداد وسيادتها (٥٩١-١٠١٨ م) ، ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ السياسى والإدارى، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ١٥٧ . وانظر الترجمة الفرنسية التى قام بها ليميرل *Lemerle* وظهرت فى باريس عامى ١٩٧٩م ، ١٩٨١م .

*Les Plus anciens recueils des miracles de Saint Demetrius et la Penetration de Slaves dans les Balkans. trad . par lemerle , 2 vols, Paris 1979-1981 .*

٢- ثيوفيلكت سيموكاتس : مؤرخ مصرى قدم من الاسكندرية، وعرف بتلك التسمية نظراً لأنه كان يشبه إلى حد كبير "نقط الأنطس الأنث"، وقد اتجه إلى اللقسطنطينية لدراسة القانون فى بدايات عهد الامبراطور هرقل عام ٦١٠م، وقام بتولى عدد من الوظائف ، وبعد ما نعرفه عنه عموماً أمراً محدوداً .

عنه انظر:

*Nicol, A Biographical Dictionary. p. 129 .*

٣- نشره دى بور فى ليزج عام ١٨٨٧م، انظر:

*Theophylact Simocatta, Historiae . ed. de Boor , Leipzig 1887 .*

٤ . وسام عبد العزيز فرج، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، الإمبراطورية البيزنطية، ٣٢٤ ١٠٢٥ م . ط. الاسكندرية ١٩٨٧ . ص ٢٢٤ .



شأنها عن بلاد فارس، والصقالبة، والآثار خلال حكم ذلك الامبراطور ، مما عكس أهمية في شأن العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والعالم المحيط بها .

أيوردانوس<sup>(١)</sup> مؤلف جيتكا Getica أى تاريخ الشعب القوطى ، واعتمد فى تأليف كتابه على عدد من المصادر التاريخية المفقودة مثل مقالات كاسيدور<sup>(٢)</sup>، وتناول العلاقات البيزنطية مع عناصر القوط فى عهد الإمبراطور فالنز Valenz (٣٦٤-٣٧٨م) وتعرض لأمر معركة أدرنة الحاسمة عام ٣٧٨م التى هزم فيها الجيش البيزنطى وقتل خلالها الإمبراطور نفسه .

أميانوس ماركلينوس<sup>(٣)</sup> Ammianus Marcellinus مؤلف كتاب Res Gestae : أى الأعمال تناول فيه الأحداث التاريخية من عام ٣٥٣ إلى ٣٧٨م، ويلاحظ مشاركته فى الأحداث بوصفه محارباً أو مفاوضاً أو قائماً بمهام سرية تتصل بتلك العمليات، كما شارك فى إحدى العمليات العسكرية ضد الفرس عام ٣٦٣م .

جدير بالذكر : تكون كتاب إميانوس مارسيلينوس من (٣١) جزءاً ، وقد فقدت بعض الأجزاء ، ووصلت إلينا الأجزاء من (١٤) إلى (٣١)<sup>(٤)</sup>، وهناك من يقرر أن كتاب ذلك المؤرخ يعد تكملة لتاريخ تاكيتوس Tacitus<sup>(٥)</sup> .

١- أيوردانوس : مؤرخ معاصر للقرن الرابع الميلادى عنه انظر:

نعيم فرح، تاريخ أوروبا السياسى فى العصور الوسطى، ص ٣٦ .

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- مؤرخ ولد فى أنطاكية عام ٣٣٠ م وقد توفى فى روما فى أخريات القرن الرابع الميلادى عنه انظر:

نفسه ، ص ٣٦ .

رأفت عبد الحميد ، الدولة والكنيسة المسيحية الجديدة . ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٣٨ .

٤- نعيم فرح ، تاريخ أوروبا السياسى فى العصور الوسطى، ص ٣٦ .

٥- نفسه، نفس الصفحة.



حنا مالالاس John Malalas<sup>(١)</sup> مؤلف Chronographia ؛ أى الزمنة<sup>(٢)</sup>.

وقد عاصر القرن السادس الميلادى، وتناول فى حوليته تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥ م)، وبعد أول حولية بيزنطية عالمية<sup>(٣)</sup>؛ مما عكس ريادة ذلك المؤرخ.

من الملاحظ أن تلك الحولية؛ يلقى فيها مؤرخها الأضواء إلى جانب الأحداث السياسية والحربية على جوانب من الحياة اليومية بما أعطاها أهمية خاصة.

سقراط<sup>(٤)</sup> Socrates مؤلف؛

١- حنا مالالاس، ولد فى أنطاكية حوالى عام ٤٩٠م ويلاحظ أن كلمة مالالاس، Malalas تعنى الخطيب أو معلم البلاغة فى اللغة السريانية، وقد تلقى تعليمه فى المدينة المذكورة ثم انتقل إلى العاصمة البيزنطية عام ٥٣٠م أو فى أعقاب عام ٥٤٠م وتوفى عام ٥٧٠م، عنه أنظر:

Jeffreys, Croke and Scott (eds.) Studies in John Malalas, Sidney 1990.

دراسة قيمة عن ذلك المؤرخ خاصة أن ممن شارك فيها قام بترجمة تاريخه إلى الإنجليزية وعلى غير المعتاد لم يظهر العمل المذكور فى أوربا والولايات المتحدة، بل فى استراليا.

Nicol, A Biographical dictionary . p. 77, (O.D.B., vol . 2 . p. 1215 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 183-184 .

هارى المزبارتز، تاريخ الكتابة التاريخية، ص ١٣١.

٢- نشر ل. ديندورف تاريخ مالالاس وصدر عمله فى بون عام ١٨٣١م.

Malalas, Chronographia, ed, L. Dindorf, Bonn 1831 .

وقد صدرت ترجمة إنجليزية لتاريخ حنا مالالاس فى استراليا من جانب اليزابيث جيفريز، وميشيل جيفريز، وروجر سكوت وصدر العمل من جانب الجمعية الاسترالية للدراسات البيزنطية عام ١٩٨٦م، عن ذلك انظر:

The Chronicle of John Malalas, Trans. by Jeffreys, Michael Jeffreys, R Scott (eds.) Byzantine Australiensia Australian Association for Byzantine Studies, University of Sidney 1986

(O.P.B., vol . 2, p. 1275 .

-٣

٤- سقراط؛ مؤرخ كنسى؛ ولد فى القسطنطينية عام ٢٨٠م، وفيما بعد تلقى تعليمه على أيدي عدد من كبار علماء عصره مثل أمونيس Ammonios، وهيلادوس Hellados، وقد توفى عام ٤٥٠م، عنه أنظر-



Historia Ecclesiastica<sup>(١)</sup>. أى التاريخ الكنسى ، وتناول فيه الأحداث ذات الطابعين الدينى والسياسى منذ عام ٣٠٥ م إلى عام ٤٣٩ م، ووقع فى سبعة أجزاء، وقد خصص كل جزء من الأجزاء لعهد إمبراطور من الأباطرة منذ عهد قسطنطين الأول إلى ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨-٤٥٠ م) .

ويقرر دونالد نيكول Donald Nicol ؛ أن ذلك المؤرخ يعد أول رجل علمانى حاول كتاب تاريخ للكنيسة ، على الرغم من أنه يدين بالفضل إلى درجة كبيرة فى هذا الموضوع إلى سلفه يوسيبس<sup>(٢)</sup>، وقيمة الكتاب من وجهة نظر المؤرخ المذكور إحتوائه على عدد من الوثائق الدينية ، وكذلك الديوانية على نحو أثيرى كتابته التاريخية<sup>(٣)</sup>.

سوزومين<sup>(٤)</sup> Sozomenos ألف كتاباً عنوانه<sup>(٥)</sup> : Historia Ecclesiastica أى التاريخ الكنسى.

---

= Nicol, A Biographical dictionary , p. 115 , O.D.B., vol . 3, p. 1923 .

سلوى بالحاج صالح، المسيحية العربية وتطورها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص ٨ حاشية (١) .

١- نشر الكتاب المذكور من جانب ر. هسى وراجع عمل ب. برايت ، وصدر فى أكسفورد عام ١٨٩٣م.

Socrates , Ecclesiastical History , ed . R. Hussey, revised by W. Bright, Oxford 1893.

O.D.B., vol . 3, p. 1923 .

Nicol , Op. cit., p. 115 .

-٢

Ibid, p. 115 .

-٣

٤- سوزومين ؛ ولد فى باثيليا Bathelia (بيت لاهب حالياً) فى القرن الخامس الميلادى وتحديداً عام

٤٠٠م، وقد مارس المحاماة فى القسطنطينية، توفى عام ٤٥٠. عنه أنظر :

O.D.B., vol . 3 , pp. 1922 - 1923 .

Nicol, Op. cit., p. 115 .

رأفت عبد الحميد ، «سوزميين المؤرخ الفزائى» ضمن كتب فلسطين عبر التاريخ إعداد حامد غانم زيان،

مركز البحوث والدراسات التاريخية ، جامعة القاهرة ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٨٥-١٢٨ .

سليم عرفات البيضا، النصرانية وآثارها فى غزة وما حوله ، ط. غزة- فلسطين ١٩٩٨م، ص ١٠٥ .

٥- نشر هذا التاريخ الكنسى وصدر عمله فى باريس ١٩٨٣م .

عاصر المؤرخ المذكور القرن الخامس الميلادي حتى منتصفه، وقد احتوى كتابه على الأحداث التي وقعت منذ بواكير الكنيسة الأولى حتى الربع الأول من القرن الخامس وتحديدًا من عام ٣١٤م إلى ٤٣٩م وقام باهداء كتابه للإمبراطور ثيودوسيوس الثاني Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠م).

تجدر الإشارة؛ إلى أن نهاية ذلك التاريخ تعد مفقودة، وهي التي تتناول الأحداث الواقعة بين عامي ٤٢٥-٤٣٩م وبصفة عامة يعد مصدراً مهماً للتاريخ البيزنطي المبكر، ويقرر دونالد نيكول عنه «أن الكتاب مصدر فريد للعديد من الأحداث المبكرة في التاريخ الكنسي»<sup>(١)</sup>.

ديميتريوس كيدونيس Demetrios Kydones<sup>(٢)</sup>، مؤلف الرسائل Letters<sup>(٣)</sup>، ألف ذلك المؤرخ (٤٥٠) رسالة تناولت عدداً من الأحداث التاريخية خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، وترجع أهميته إلى أنه كان من دعاة الوحدة بين الكنيستين الشرقية والغربية. بصفة عامة؛ تعد رسائله مصدراً مهماً من مصادر العصر البيزنطي المتأخر، خاصة من خلال الوضعية السياسية التي احتلها كرئيس للوزراء في مرحلة قلقلة من مراحل التاريخ البيزنطي.

= Sozomenos, Hisoire Ecclesiastique, ed. par J Bidez, Paris 1983.

N.P.NF., vol. 2.

كما توجد له ترجمة في

Nicol. A Biographical dictionary, p. 116.

-١

٢- ديميتريوس كيدونيس؛ عاش خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١٣٢٤م، ١٣٤٧م، وقد صار رئيساً لوزراء الإمبراطور يوحنا السادس كونتاكوزين ١٣٤٦-١٣٥٥م John V Cantacuzene ومن الملاحظ أنه تحول إلى المذهب الروماني ثم تقاعد حيناً من الوقت، وأمضى الأعوام المتبقية من عمره وذلك بين كرمت والبندقية، ومات عام ١٣٩٧م.

عنه أنظر :

Nicol. A Biographical dictionary, Id, p. 719. The Reluctant Emperor. A biography of John Cantacuzene, pp. 134-135, pp. 144-148, pp. 157-159.

٣ نشرها لونسونز في الفاتيكان في جزأين فيما بين عامي ١٩٥٦م، ١٩٦٠م، انظر Demetrios Kydones ed. R.J. Loenertz 2 vols. vatican city 1965 - 1960. Nicol. the Reluctant, p. 189



جريجورى النيسى Gregory of Nyssa<sup>(١)</sup> وهو مؤلف عدة كتب هي «ليس بآلهة ثلاث»  
On not three Gods ، «العذرية» on Virginity ، و«حياة مكرينا»<sup>(٢)</sup> The life of  
Macrina عاصر القرن الرابع الميلادى، ويعد من أكبر مفسرى اللاهوت المسيحى، وفق مجمع  
نيقية . ويعد ما ألفه مصدراً تاريخياً مهماً عن الجدل الدينى فى القرن المذكور.

أجاثياس سكولاستيكوس Agathias Scholasticus<sup>(٣)</sup>، مؤلف Historiarum<sup>(٤)</sup> أى  
التواريخ ألف تاريخاً فى خمسة كتب بدأه بأحداث عام ٢٥٢م حتى عام ٥٨٠م، وأهتم فيه  
بذكر حملات القائد نارسيس Narses ضد عناصر القوط، والوندال، والفرس، ويلقى الضوء  
على الكوارث الطبيعية التى حدثت فى عهد جستنيان كزلزال عام ٥٥٧م وهناك من يقرر أن  
تاريخ أجاثياس هو تكملة لما كتبه بروكوبيوس Procopius<sup>(٥)</sup>.

١- جريجورى النيسى : هو أسقف نيسا Nyssa فى إقليم كبادوكيا Cappadocia بآسيا الصغرى Asia  
Minor عام ٣٣٥م ، وهو الأخ الأصغر للقديس باسل الكبير St. Basil The Great ، وقد تزوج من اسمها  
ثيوسيبيا Theosebeia ، ويلاحظ معارضته لفكر الأريوسية وقد توفى عام ٣٩٥م وصار قديساً ويوم عيده  
يوافق يوم ٩ مارس ، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary, p. 46 .

Altwater , The penguin dictionary of Saints , Penguin Book, London 1977, p. 161 .

على الفمراوى، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربي الوسيط . ص ٦٨-٧٠ ، حاشية (٣) .

٢- عن تلك المؤلفات انظر:

Nicol , op. cit , Cit ., p. 46 .

٣- أجاثياس سكولاستيكوس ، هو مؤرخ وشاعر كانت ولادته فى ميرينا فى آسيا الصغرى وتلقى  
تعليمه فى كل من الاسكندرية والقسطنطينية ودرس القانون ومارس المحاماة وقد توفى حوالى عام ٥٨٢م،  
عنه أنظر:

Nicol , op. cit, p. 1.

هارى ألزبارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ص ١٣١ .

٤- نشره ديندرووف وصدر فى ليزج فيما بين عامى ١٨٧٠-١٨٧١م، عنه أنظر:

Agathius Schlasticus , Historiarum , ed . L.A.Dindorf , Historici Graeci Minores, Vol . II,  
Leipzig 1870-1871 .

وقد صدرت ترجمة إنجليزية من جانب أ.ج. رفرنديو فى نيو يورك عام ١٩٧٥م ، عنها أنظر:

Agathius , The Histories , Trans. by J.D. Frendo , New York, 1975 .

٥- زبيدة عطا، الدولة البيزنطية ، ص ١٠ .

ميخائيل بسللوس<sup>(١)</sup> Michael Psellus مؤلف كتاب Chronographia<sup>(٢)</sup>؛ أي المزملة عاش المؤرخ المذكور بين عامي ١٠١٨ ، ١٠٧٨ م . وترجع أهميته إلى أنه عمل لدى كل من الإمبراطورين ميخائيل الخامس Michael V (١٠٤١-١٠٤٢ م) وقسطنطين التاسع Constantine IX (١٠٤٢-١٠٥٤ م) . وقد تناول في كتابه أربعة عشر إمبراطوراً بيزنطياً في المرحلة الممتدة من وفاة باسل الثاني حتى عهد نقفور الثالث Nicephor III (١٠٧٨-١٠٨١ م) .

بصفة عامة : يعد كتابه مصدراً أساسياً من مصادر القرن الحادي عشر الميلادي .

يروحنا الليدي<sup>(٣)</sup> John The Lydian مؤلف كتاب De Magistratibus Populi Romani<sup>(٤)</sup> ويعد من المصادر التاريخية المهمة عن عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥ م) .

١- ولد ميخائيل بسللوس عام ١٠١٨ م من أسرة متواضعة ، وتلقى تعليمه على أيدي عدد من الأساتذة ومنهم يروحنا سورويوس John Mauropus ، وقد عمل في مجال الإدارة المدنية ، وارتبط بمجموعة من المفكرين الشباب، مثل يروحنا الثامن اكسفيلينوس John VIII Xiphilinos ، وقسطنطين الثالث ليودوس Constantine III Leiyhoudes وكان يحذره الأمل في أن يثقلوا قوة ضغط في عهد الإمبراطور قسطنطين العاشر Constantine X (١٠٥٩-١٠٦٧ م) ، وفيما بعد؛ أجبر ميخائيل بسللوس على أن يحيى حياة ديرانية في جبل أوليمبس، ثم عاد أدراجه إلى العاصمة البيزنطية ، وشارك في الحياة السياسية ، وقد توفي عام ١٠٨١ م، عنه انظر : O.D.B., 1935 , pp. 81-90 . S. vol. X , Hussey, "Michael Psellus", vol. 2, p. 1754 - 1755 .

Jugie , " Michael Psellus " , D.T.C., T.XIII, 1936 , pp. 1149-1158 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 367 .

تقوم حالياً الباحثة آمال حامد غانم زيان المدرس المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة بإعداد أطروحتها للدكتوراه بعنوان الدور السياسي للمؤرخ البيزنطي بسللوس.

٢- انظر الترجمة الإنجليزية : Psellus . Fourteen Byzantine Rulers: The Chronographia . Trans. by E.R.A. Sewter Penguin Book, London. 1966 .

٣- يروحنا الليدي ، ولد وفي فيلادلفيا Philadelphia (ليديا Lydia) عام ٤٩٠ م، وتقدم إلى القسطنطينية عام ٥١١ م، وهناك عمل في الخدمة المدنية أربعين عاماً، وحظى بإعجاب وتقدير الإمبراطور جستنيان، وألف كتابه De Maytistrations وتوفي حوالي عام ٥٦٥ م ، عنه انظر . O.D.B., vol 2, 1061 .

Maas , John Lydus and the Roman past, London 1992 .

٤- انظر الترجمة الإنجليزية التي أعدها باندي وظهرت في فيلادلفيا : =



جورج الراهب<sup>(١)</sup> George Monachos وهو المعروف باسم Hanarkolus (أى المذنب) مؤلف كتاب حوليه العالم World Chronicle<sup>(٢)</sup> عاصر المؤرخ المذكور القرن التاسع الميلادى، وفى كتابه : تناول الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة حتى عام ٨٤٢م، أى حتى نهاية عهد الإمبراطور ثيوفيلوس من أباطرة الأسرة العمورية ، حيث حكم خلال المرحلة من ٨٢٩ إلى ٨٤٢م<sup>(٣)</sup>، وهناك من يقرر: أنه انتهى من تأليف عام ٨٦٦م و٨٦٧م<sup>(٤)</sup>؛ أى خلال عهد الامبراطور ميخائيل السكير، وهو من أباطرة نفس الأسرة وحكم خلال المرحلة من ٨٤٢ إلى ٨٦٧م وقد ظهرت : ظهرت تكملة لذلك التاريخ عنوانها : تكملة جورججيوس وقد ألفت فى عهد الامبراطور نقفور فوكاس وتشمل الأحداث التى وقعت من نهاية تاريخه، إلى عام ٩٤٨ وهو عام وفاة رومانوس الأول<sup>(٥)</sup>.

مجهول ، الوصف الكامل للعالم والشعوب<sup>(٦)</sup> Exposito Totius mundi et gentium

=John The Lydian, John Lydus , De Magistratibus , ed. with Trans. by A.C. Bandy , Philadelphia , 1983 .

١- جورج الراهب هو جورج موناخوس George Monachos ، وقد عاصر القرن التاسع الميلادى. وهناك من يقرر أنه اجتمع فيه كل من صفة الراهب وكذلك صفة المؤرخ ، ويلاحظ أن مؤلفاته لقيت استحساناً شعبياً كبيراً وتمت ترجمتها خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين إلى اللغتين السلافية والجرجية ، عنه أنظر:

Nicol, Biographical dictionary, p. 43 .

2- Ibid , p. 43 .

3- Ibid , p. 43 .

4- Ibid, p. 43 .

5- Ibid , p. 43 .

٦- نعيم فرح ، «ثلاثة مصادر تلقى بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاقتصادية فى بلاد الشام فى العهد البيزنطى» ، ضمن مؤتمر بلاد الشام فى العهد البيزنطى. الندوة الأولى من أعمال المؤتمر الدولى الرابع لتاريخ بلاد الشام تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور، ط. عمان ١٩٨٦م، ج ١ ، ص ١٩٩ .

ويلاحظ أن ذلك المصدر نشر من جانب موليربوس، وصدر فى باريس عام ١٨٦١م، انظر:

Geographi Graeci Monores , ed . Par C. Mullerus , Paris 1861 .

عن ذلك انظر: نعيم فرح ، المرجع السابق، ص ١٩٩ .

وقد أطلق البعض على ذلك المصدر إسم « الجغرافيا الاقتصادية أو التجارية للإمبراطورية البيزنطية فى القرن الرابع » .

جدير بالذكر ؛ تناول المؤلف فى كتابه الأوضاع الاقتصادية فى مدن إيطاليا، وأسبانيا ، وموريتانيا ، ونوميديا ، وشبه جزيرة البلقان، وآسيا الصغرى، ومصر ، وسورية ؛ مما عكس اتساع النطاق الجغرافى الذى تناوله .

يلاحظ أن ذلك المصدر ؛ يقدم لنا إشارات مهمة عن مدن بلاد الشام مثل صور، وبيروت، وصيدا ، وأنطاكية ، واللاذقية ، وكانت من المراكز الصناعية ، والتجارية البارزة فى العصر البيزنطى المبكر<sup>(١)</sup>.

من ناحية أخرى؛ أشار ذلك المصدر إلى بعض المدن التجارية الواقعة فى مناطق الحدود البيزنطية الفارسية فى بلاد ما بين النهرين مثل نصيبين ، والرها Edessa، وذكر أنهما كانتا تحتويان على تجار برعوا فى التجارة مع الفرس وقاموا باحتكارها، كما قاموا ببيع المنتجات البيزنطية ماعدا النحاس والحديد، التى فرضت الدولة البيزنطية الحظر عليهما حتى لا يستخدمها الفرس فى صناعة الأسلحة وقد امتد ذلك الحظر حتى القرن السادس الميلادى .

قزما الملاح البحر فى الهند ، الطبوغرافية المسيحية<sup>(٢)</sup> Cosmas Indicopleustes , The Christian Topography.<sup>(٤)</sup>

١- نعيم فرح ، ثلاثة مصادر تلقى بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص ٢٠١ .

٢- نفسه ، ص ٢٠٤ - ص ٢٠٥ .

٣- عن قزما الملاح البحر فى الهند وكتابه أنظر:

Wolska , la Topographie Chretienne de Cosmas indreopleustes: Theologie et Sience au vie Siecle , Paris 1962 .

Beazley . The Dawn of Modern geography , vol . I , p. 190-196 , p. 273-303 .

Vasiliev . History of the Byzantine Empire , p. 163 , p. 165-167 .

يورى ميخايلوفتش كويشانوف ، الشمال الشرقى الأفريقى فى العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاتها بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع ، ت. صلاح الدين عثمان هاشم ، ط. عمان ١٩٨٨م، ص ١٦ .

٤- يلاحظ أن نص الكتاب المذكور تجده لدى الباترولوجيا اليونانية مجلد (٨٨) عن ذلك أنظر: =



( تعنى كلمة indicopleutes المبحر إلى الهند ) وهو مصدر مهم عن التجارة البيزنطية خلال القرن السادس الميلادى ، ويلاحظ أن المؤلف عمل بالتجارة فى بحار ثلاثة هى: البحر الرومى أو المتوسط ، والبحر الأريتري أو المحيط الهندى، البحر الفارسى أو الخليج العربى. جدير بالذكر؛ استمد المؤلف معلوماته التى أوردها فى كتابه من السكان أنفسهم الذين عاشوا فى المناطق التى زارها، مما عكس أهمية مصدره فى هذا المجال كذلك نعرف أنه قام بزيارة الحبشة فى عام ٥٢٢ أو ٥٢٥م فى زمن معاصر لعهد الامبراطور البيزنطى جوستين الأول .

مانويل فيليس<sup>(١)</sup> Manuel Philes له أشعاره.

وهو من شعراء القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وتعد كتاباته مصدراً تاريخياً مهماً عن المرحلة التى عاصرها<sup>(٢)</sup> فى العصر البيزنطى المتأخر .

جورج كيدرینوس George Kedronos مؤلف Synopsis Historion<sup>(٣)</sup> أى موجز التاريخ، وقد تناول فيه الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة حتى حوالى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى ، وتحديدًا عام ١٠٥٧م، مع تركيزه على المرحلة من ٨١١م إلى العام الأخير ، وقد أفاد من عدة مؤرخين مثل ثيوفانىس Theophanes، وجورج هامارتولوس George Hamartolos ، وغيرهما .

= Cosmas Indicopleustes, Topographia Christiano , XI , ed . Migne , p. G., T. LXXXVIII.

vasiliev, op cit ., p. 165 . not (100) .

عن ذلك :

وتوجد ترجمة إنجليزية له أنظر:

The Christion Topography of Cosmos, An Egyptian Monk, Trans . by J.W. McCrindle, London , 1897 .

١- يعد مانويل فيليس من شعراء القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادى ، ولد عام ١٢٧٥م، ووصف بأنه شاعر البلاط فى العاصمة البيزنطية، وقام بدور دبلوماسى حيث شارك فى سفارات إلى كل من روسيا، وفارس، وفيما بعد إتهم وزج به ، فى السجن، وقد توفى عام ١٣٤٦م.

Nicol, A Biographical dictionary , p. 104-105 .

عنه أنظر:

Ibid ,p. 104 .

-٢

٣- لانعرف شيئاً عن حياة جورج كيدرینوس ويلاحظ أن تاريخه نشر من جانب بكر فى جرائن و صدر =

مجهول ، Odoiporiari apo Edem أى طرق الرحلات التى تم استخدامها منذ آدم حتى الرومان<sup>(١)</sup> يحتوى المصدر المذكور على معلومات جغرافية وتاريخية فيما قبل القرن السابع الميلادى ، ويلاحظ أن الطريق المشار إليه بدأ من الهند التى كانت بمثابة المركز التجارى البارز فى الشرق يقوم بتصدير البضائع ، عبر إيران، ووصل إلى روما عبر البحر المتوسط، ومن روما انتقلت إلى غاله أو فرنسا ، ولانغفل هنا الإشارة - كما يقرر نعيم فرح- إلى أن التجار السوريين قاموا بدور بارز فى تلك التجارة العالمية.

يبقى أن نلفت نظر القارئ إلى أن تعبير «جنة آدم» جاء غامضاً فى المصدر المذكور ، ولانغفل أن قوما الملاح الهندي السالف الذكر، لايعترف بوجودها أصلاً وقد ذكر أنه ما من أحد عرف جنة آدم على الأرض أو وصل إليها ففى حالة إمكانية الوصول إليها لذهب إليها الكثيرون ، إذ أن الناس يذهبون إلى أقاصى الأرض للحصول على الحرير الخام، فكيف لا يذهبون إلى جنة آدم لو كانت موجودة فى الأرض فعلاً ؛ مما عكس إنكار البعض لذلك التصور الذى أحيط بالطابع الأسطورى.

قسطنطين السابع بورفيريوجنيتس<sup>(٢)</sup> Constantine VII Porphyrogenitus (٩١٣-٩٥٩م) ، وله عدة مؤلفات :

= فى بون فيما بين عامى ١٨٣٨م و١٨٣٩م انظر:

Georgius Cedrenus, ed. 7 . Bekker , 2 vols. , Boun 1838-1839.

عن ذلك انظر:

O.D.B., vol . 2, p. 118 .

١- أورد نعيم فرح ترجمة عنوان المصدر على أنه « الطريق من جنة آدم حتى الرومان » وهى ترجمة جانبها الصواب والصحيح ما أثبتته فى المتن ، أنظر :

نعيم فرح ، ثلاثة مصادر تلقى بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص ٩٠-٩١ .

ويلاحظ أن أ. كلوتز قام بنشر المصدر المذكور عام ١٩٨٠م، عن ذلك أنظر:

A. Klots. Odoiporiai apo Edem Phelonisches Moseum Fur Philologie , T. LXV, 1910, 11. 608-610 .

عن ذلك انظر: نعيم فرح، المرجع السابق، ص ٩٠-٩١ .

٢- من قسطنطين السابع بورفيريوجنيتس انظر: القسم الثانى.



عن الثغور De Thematibus <sup>(١)</sup> ويتناول فيه الثغور التي وقعت على الحدود بين بيزنطة وجيرانها في القرن العاشر .

عن المراسيم De Ceremoniis aulae Byzantinae <sup>(٢)</sup> وفيه يقدم وصفًا يتسم بالدقة للبلاط البيزنطي، ويتجه إلى الإعلاء من شأن الإمبراطورية البيزنطية كقوة عالمية حينذاك.

عن الإدارة البيزنطية De Administando imperio <sup>(٣)</sup> ويقدم فيه أصول الدبلوماسية البيزنطية، كذلك يشير فيه إلى إشارات جغرافية على جانب كبير من الأهمية .

حياة باسل Vita Basilii <sup>(٤)</sup>، هي سيرة لباسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) ، وقد كتبت من جانب قسطنطين السابع حوالي عام ٩٥٠م <sup>(٥)</sup>، وتقدم لنا «حياة باسل» الإمبراطور على أنه

١- صدرت ترجمة إيطالية له من جانب برتوس، ونشرت في الفاتيكان عام ١٩٥٣م أنظر:

Constantine VII, De Thematibus, ed . with Italian Translation by A. Petusi, Vatican City 1953 .

٢- صدر في مجموعة الكوريس C.S.H.B في جزأين من جانب ريسك بين عامي ١٨٢٩ ، ١٩٣٠م؛

انظر:

Constantina VII , De Ceremoniis, ed . J.J. Reiske, 2 vols , C.S.H.B., 1829-1830 .

٣- صدرت ترجمة إنجليزية له قام بها هنكز عام ١٩٦٧م، أنظر - Constantin VII, De Administran- do Imperio , ed . by Gy . Morovcsik, Trans. by R.J.H. Jenkins 1967 .

كما توجد ترجمة إلى العربية قام بها أ.د. محمود سعيد عمران تحت عنوان : إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ط. بيروت ١٩٨٠م، وهو المصدر الوحيد الذي ألفه ذلك الإمبراطور وتمت ترجمته إلى العربية بما عكس ريادة ابن جامعة الاسكندرية .

٤- عنه : O.D.B., vol . 3, p. 2180 .

وقد نشره بكر وصدر في بون عام ١٨٣٨م.

Theophanes Continuatus, ed. I . Bekker . Bonn 1838 .

وهناك ترجمة ألمانية للمصدر المذكور قام بها ل. براير .

L. Breyer von Bauershof auf den kaiserthron, Trans . by L. Breyer, Cologne 1981 .

عن ذلك أنظر : O.D.B., vol . 3, p. 2180 .

٥- وسام عبد العزيز فرح، «الأتباع والسادة»، دراسة في ظاهرة التبعية الشخصية في العصر البيزنطي=

منحدر من أحد النبلاء، وتؤكد على أنه أقام حكومة عادلة وقام بحماية الفلاحين من ظلم جامعى الضرائب ومما يذكر ؛ أن المؤلف كان كارها لكبار رجالات الدولة ، وعلى نحو خاص للخصيان (١).

بصفة عامة ؛ يقدم المصدر المذكور غرضاً يغلب عليه طابع المديح لباسل الأول ولذلك فعلى الباحث أن يتنبه لتلك الزاوية الأساسية في الكتاب المذكور، لأنه يقدم رؤية منحازة.

ليو الشماس (٢) Leo The Deacon مؤلف كتاب (٣) Historiae أى التواريخ ويعد مصدراً تاريخياً يونانياً وحيداً عن المرحلة الواقعة بين عامى ٩٥٠ م، ٩٧٥ م (٤)، وبالتالى ؛ تعرض لعهدى الإمبراطورين نقفور فوكلس Nicephore Phocas (٩٦٣-٩٦٩ م)، وسوحنا تزيمسكس John Tzimiskes (٩٦٩-٩٧٦ م) وهم من القادة العسكريين الذين وصلوا إلى العرش البيزنطى فى عصر الأسرة المقدونية .

ليو السادس (الحكيم) Leo VI (٨٨٦-٩١٢ م) (٥) مؤلف كتاب Tactica الذى يلتقى أضواء كاشفة على توزيعات الجيش البيزنطى، وعناصره ، وأساليبه الحربية ، وهو مصدر .

---

= الأوسط، ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى . القاهرة ٢٠٠٣ م ، ص ١٦٠ .

O.D.B., vol . 3 , p. 180 .

-١

٢- ليو الشماس ؛ مورخ بيزنطى عاصر القرن العاشر الميلادى ؛ وقد ولد تحديدا عام ٩٥٠ م فى كالوى Kaloe فى آسيا الصغرى ، وقد انضم فيما بعد إلى رجال القصر الإمبراطورى ومدح باسل الثانى واشترك معه فى حملته على البلغار عام ٩٨٦ م، عنه أنظر ؛

Nicol. A Biographical dictionary , p. 75 .

هارى ألزبارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ص ١٣٣ .

٣- تشر الكتاب المذكور فى مجموعة الكوريس C.S.H.B. من جانب ب. هاسيوس B. Hasius عام

١٨٢٨ م .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 770 .

-٤

٥- انظر ما سيتم إيراده بشأنه ضمن الأسرة المقدونية وعن ذلك المصدر انظر:



لاغنى عنه للباحث فى النظم الحربية البيزنطية خاصة خلال القرن التاسع والعشرين الأول والثانى من القرن العاشر الميلاديين ، وهو يذكرنا - بصفة عامة - بكتاب الإمبراطور موريس Maurice (٥٨٣-٦٠٢ م) . الاستراتيجيكون .

جورج البسيدى<sup>(١)</sup> George of Pisidia مؤلف Poemi<sup>(٢)</sup> أى الأشعار وقد عاصر عهد الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١ م) ووصف بأنه أحد شهود العيان على حملته على الفرس التى جرت وقائعها عام ٦٢٢ م ، كذلك وصف من خلال أسلوبه الشعرى الحملة المشتركة التى قام بها كل من الفرس والآفار على العاصمة البيزنطية وحصارهم لها عام ٦٢٦ م ، كما عرض احتفالات الإمبراطورية فى عهد ذلك الإمبراطور بالانتصار النهائى على الفرس .

مجهول ، Chronicon Paschale أى حولية الفصح وتتناول الحولية المذكورة الأحداث منذ بدء الخليقة حتى عام ٦٢٩ م ، ويلاحظ أن المؤلف فى كتابه شاهد وعاصر عدداً من الأحداث ويذكر أسماء مؤلفات عدد من المؤرخين<sup>(٣)</sup> .

بولس السيلنتياري Paul Silentiary (أى الصامت)<sup>(٤)</sup> مؤلف عمل شعرى بعنوان Ek-phrasis أى وصف وقد وصف بأنه شاعر البلاط فى عهد الإمبراطور جستنيان

= طارق منصور ، فن القتال عند البيزنطيين دراسة فى الاستراتيجية فى ضوء تكتيكات ليو الحكيم ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، أبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين ، التحرير حاتم الطحاوى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣ م .  
أيضاً :

Mohammad , "Ibn Mangli between The Arab and Byzantine Worlds: New Evidence" , J.M.I.H., vol. III, pp. 25-43 .

١- جورج البسيدى ؛ أحد موظفى كنيسة أيا صوفيا Hagia Sophia فى عهد البطريرك سرجيوس Ser-gius (٦١٠-٦٣٩ م) ، وقد عاصر عهد الإمبراطور هرقل ، عنه أنظر :

وسام عبد العزيز فرج ، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٢٢ .

Nicol , A Biographical Dictionary , p. 43 .

٢- Haldon , Byzantium in the Seventh Century , Cambridge 1997 , p. XXV .

٣- عن ذلك المؤرخ ومحتويات تاريخه أنظر: أسد رستم ، الروم ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .

Haldon, op. cit , p. XXII .

٤- بولس السيلنتياري؛ شاعر يرجع إلى القرن السادس الميلادى ، وقد وصف بأنه كان صديقاً للمؤرخ=

(٥٢٧-٥٦٥م) ، وقد قام بنظم قصيدتين شهيرتين في وصف كنيسة أيا صوفا Hagia Sophia ، وبالتالي؛ يعد إنتاجه الشعري في هذا الصدد؛ من المصادر الأدبية المهمة عن عصر ذلك الإمبراطور، وكذلك في أمر تاريخ الفن البيزنطي<sup>(١)</sup>، خلال القرن السادس الميلادي.

وتجدر الإشارة أن ما كتبه في هذا الشأن حدث في ظروف إعادة افتتاح الكنيسة المذكورة عام ٥٦٢م بعد أن انهارت قبعتها<sup>(٢)</sup>.

ثيوفانيس<sup>(٣)</sup> Theophanes مؤلف أي الحولية<sup>(٤)</sup> Chronographia ، عاش ذلك المؤرخ

أجاثيوس Agathius ، ووصف بأنه كان من أدياء البلاط في عهد الإمبراطور جستنيان، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary pp. 103-104 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 186 .

Evans , procopius , New York , 1972 , p. 29 .

٣- ثيوفانيس Theophanes : مؤرخ بيزنطي ولد عام ٧٦٠م، في عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١-٧٧٥م) ، وتعرف أنه أقام ديراً في سجريان Sigriane وعرف بتأييده لعبادة الأيقونات ، وتوفي عام ٨١٨م عنه أنظر:

The life and Conduct of and narrative about our thrice Blessed and inspired Fathers David , Symeon , and George, in Talbot (ed.), Byzantine defenders of images, Eight Saints lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1998, p. 183 , note (208) .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 127 .

عبد الشافي المغربي، العصور الوسطى الأوربية رؤية في المصادر والنصوص التاريخية وعمليات التعليق والترجمة، ط. الاسكندرية ، ٢٠٠٤م، ص ٣٧، لطفى عبد الوهاب «حولية ثيوفانيس مصدر بيزنطي عن بلاد الشام في العصر الأموي»، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في العصر الأموي ، عمان ٢٤-٢٩ تشرين الأول ١٩٨٧م.

٤- ترجم أحداث الأعوام من ٦٠٢ إلى ٨١٣م . هاري تورتيديف ، أما أحداث الأعوام من ٢٨٤ إلى ٨١٣م فترجمها سيريل مانجو، وروجر سكوت وجوفري جرير عن ذلك أنظر:

Theophanes, The Chronicle of Theophanes An English Translation of anni mundi 6095-6305 (A.D. 602-813) , with Introduction and notes by Harry Turtledove , Pennsylvania 1982 .

Theophanes, The Chronicle of Theophanes The Confessor , Byzantium and Near Eastern History A.D. 284-813 , Trans. by Cyril Mango and Roger Scot, with assistance , of Goffrey Greater , Oxford 1997 .



خلال المرحلة ما بين عامي ٧٦٠م، ٨١٨م وقد ألف حوليته - كما قرر دونالد نيكول- بين عامي ٨١٠، ٨١٤م، وهي تعد تكملة لما ألفه صديقه جورج سينكيلوس George Synkellos واشتملت على الأعوام من ٢٨٤م إلى ٨١٣م<sup>(١)</sup>، وقد اعتمد على بعض المصادر المفقودة ويلاحظ ؛ أن عدداً من المؤرخين اليونانيين المجهولين عملوا على كتابة ديول على ذلك التاريخ بلغت ستة كتب اشتملت على الأعوام من ٨١٣ إلى ٩٦١م وعرفت باسم تكملة على ثيوفانيس أو Scriptores post Theophaneon<sup>(٢)</sup>.

القائد كيكومينوس<sup>(٣)</sup> Kekaumenos مؤلف كتاب Strategicon أى الاستراتيجية وقد إنتمى إلى عناصر الأرستقراطية العسكرية وقام بتأليف كتابه خلال الأعوام من ١٠٧٥ إلى ١٠٧٨م. اعتماده على خبرته الشخصية ، وفي ختامه كتب فصلاً صغيراً احتوى على نصائح قدمها لمن يتولى المنصب الامبراطورى ، كما احتوى كتابه على إشارات سياسية مهمة خاصة عن منطقة البلقان ، وأرمينية ، والحدود الإسلامية - البيزنطية<sup>(٤)</sup>؛ مما عكس أهمية ذلك المصدر بين مصادر العصر البيزنطى الأوسط .

بطرس الصقلى<sup>(٥)</sup> Peter of Sicily مؤلف كتاب Historia Manichaeorum<sup>(٥)</sup> أى

Nicol, A Biographical dictionary., p. 127 .

-١

Ibid; p. 127 .

-٢

٣- كيكومينوس Kekaumenos ؛ ولد في جنوب مقدونيا Macedonia فيما بين عامي ١٠٢٠ م، ١٠٢٤ م، وقد توفى فيما بعد عام ١٠٧٠م، والواقع أننا لانعرف معلومات مفصلة عن حياته يفر أنه كان من أصل مختلط أرمينى .

O.D.B., vol . 2, p. 119 .

عنه أنظر:

وسام عبد العزيز فرج ، دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٤٣ .

٤- بطرس الصقلى ؛ مؤرخ بيزنطى معاصر للقرن التاسع الميلادى، ووفق ما قرره عن نفسه، ثم إرساله فى سفارة دبلوماسية إلى تفريك Tephrike عام ٨١٩م وهي التي اعتبرت مركزاً لعناصر البولسيين ، ويلاحظ أن ما نعرفه ضئيل عنه، انظر: . O.D.B., vol 3 , p. 1640-1641

هانى عبد الهادى البشير، « البيالصة فى آسيا الصغرى فى ضوء مصنف بطرس الصقلى »، المؤرخ المصرى العدد (٢٤) ، يناير ٢٠٠١م، ص ٤٥ .

٥- تجدر الإشارة إلى أن كتاب بطرس الصقلى باليونانية وترجمته بالإنجليزية هي : =

تاريخ المانويين ويعد تاريخه مصدراً أساسياً لدراسة حركة البولسيين وهي حركة دينية معارضة نظرت إليها الكنيسة البيزنطية على أنها مهرطقة ؛ وقد برز أمرها في عهد الإمبراطور بازل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) .

تجدر الإشارة ؛ إلى أن هناك كتابات أخرى تناولت البولسيين مثل ما كتبه فوشيوس Pho-tios ، وجورج هامارتولوس George Hamartolos ، ، وهناك اعتقاد أن ما كتبه بطرس الصقلي كان بمثابة الأساس الذي اعتمد عليه المؤرخون الذين أرخوا للبولسيين<sup>(١)</sup> .

بصفة عامة؛ يحتوى كتابه على مادة مهمة عن تاريخ وعقائد تلك الطائفة الدينية المعارضة والتي تمثل دراستها أهمية كبيرة في لقاء الأضواء على تاريخ الحركات الدينية المعارضة في الساحة البيزنطية .

زوسيموس Zosimus<sup>(٢)</sup> مؤلف كتاب Historia Nova ؛ أى التاريخ الجديد، وهو مؤرخ بيزنطى عاصر القرن الخامس الميلادى، وتناول في حوليته أحداث التاريخ منذ عهد الإمبراطور أغسطس Augustus حتى سقوط روما على يدى ألاك عام ٤١٠م ، ولا تغفل ؛ الإشارة إلى أنه يقدم تفصيلات مهمة عن عهد الإمبراطور دقلديانوس Diocletian .

= Useful History and refutation of the senseless and Vain Heresy of the Manichaeans .

أى تاريخ مفيد وتفنيد لهرة المانويين الخاطئة والتافهة ويسمى الكتاب أيضاً ؛ Paulicians .  
عنه أنظر :

Peter of Sicily , Historia Manichaeorum qui et Pauliciani dicuntur , ed . ch Astruc, W. Carus - Wolska, J. Gouillard, p. Lemerle , D. Papachryssanthou and p. Paramelle, Les sources greques Pour L'Histoire des Pauliciens d' Asie Mineure , Travaux et Memoire , Paris 1970, O.D.B., vol . 3, p. 1640 .

١- سيتم تناول البولسيين بالتفصيل فى القسم التالى من خاصة خلال عهد الإمبراطور بازل الأول .

٢- زوسيموس ؛ مؤرخ بيزنطى عاصر القرن الخامس ، ولا تعرف عنه الكثير ، ويبدو أنه عمل كموظف فى عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى وخلفائه التالين مباشرة ، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary, p. 138 . O.D.B., vol . 3, p. 2231 .

نعيم فرح، تاريخ أوروبا السياسى، ص ٣٧ .



بروكوبيوس القيساري Procopius of Caesarea<sup>(١)</sup>، مؤرخ معاصر للإمبراطور جستنيان Justinian (٥٢٧-٥٦٥م)، وقد ألف عدة مؤلفات يمكن إجمالها في الآتي:

De Bello Persico , De Bello Vandalico, De Bello Gothico.

أى الحروب الفارسية ، والوندالية ، والقوطية على التوالي. وفيها يقدم وصفاً يتسم بالدقة للحروب التي خاضتها الجيوش البيزنطية خلال عهد الإمبراطور جستنيان ونظراً لكونه شاهد عيان لأحداثها؛ لذا احتلت مؤلفاته أهمية خاصة .

كذلك ألف كتاب: Libri De Aedificiis أى بالمباني، وفيه أورد كافة الإنشاءات التي شيدت في عهد ذلك الإمبراطور حيث شهدت سنوات حكمه ما يوصف «بنهضة معمارية» .

كما أن له كتاب: Historia Arcana أى التاريخ السرى<sup>(٢)</sup>، وفيه قام بنقد كافة

١- بروكوبيوس القيساري Procopius of Caesarea من المرجح أنه ولد عام ٥٠٠م، في مدينة قيسارية بفلسطين ، وفيما بعد درس القانون، وفي عام ٥٣٧م صار بمثابة المستشار القانوني للإمبراطور جستنيان، كذلك عمل كاتباً للقائد بليزاريوس، وقد صحب جيوشه في حروب بيزنطة ضد الفرس ، وكذلك الجرمان ، ويقال أنه ختم حياته بأن صار محافظاً للقسطنطينية عام ٥٦٢م، ويقرر المؤرخ دونالد نيكول أنه يعد من أكبر كتاب التاريخ اليوناني القديم، عنه أنظر:

Procopius, Secret History, Trans. by Richard ATwater , Michigan 1961 , pp. V-XIV Nicol, A Biographical dictionary, p. 108 .

Cameron , Procopius and the Sixth century , Oxford 1989 .

دراسة قيمة متخصصة عن بروكوبيوس والمؤلف له خبرة سابقة في ترجمة مؤلفات ذلك المؤرخ .

Ure , Justinian and his age , pp. 169-184 .

Evans, Procopius, New York, 1972, pp. 15-151 .

ويلاحظ أن دراسة كامبيرون تعد أفضل من الدراسة الأخيرة .

إسحق عبيد «الذات والموضوع في كتابات مؤرخي العصور الوسطى قراءة في يوسابيوس وبروكوبيوس» ،

ضمن كتاب الدراسات التاريخية للحلقة النقاشية السمنار، جامعة الكويت، ط. الكويت ، ١٩٩٥م، ص ١٧ .

٢- هناك ترجمة إنجليزية لتلك المؤلفات في مجموعة اللوب = The Loeb Classical Library

الأعمال التي امتدحها من قبل والتي قام بها الامبراطور جستنيان ، ولانغفل الإشارة إلى أن الكتاب المذكور لم يظهر إلا بعد وفاته .

لقد هاجم بروكوبيوس الامبراطور وزوجته ثيودورا و كمال لها الاتهامات، وترجع أهمية الكتاب إلى المعلومات الخاصة بالجانبين الإداري والمالي خلال عهد الامبراطور المذكور.

إيفاجريوس سكولاستيكوس Evagarius Scholastikos<sup>(١)</sup> مؤلف - Historia Ecclesiastica<sup>(٢)</sup> أي : التاريخ الكنسى .

= فى ٧ أجزاء صدرت فى نيويورك فيما بين عامى ١٩١٤-١٩٣٥م ؛ وهى التى قام بها هـ. ب ديونج H.B. Dewing

كذلك توجد ترجمة إنجليزية أخرى للحروب الفارسية ، والوندالية، والقوطية بالإضافة إلى التاريخ السرى، والمباني من جانب أفيريل كاميرون، وصدر عمله فى نيويورك عام ١٩٦٧م ، عن ذلك أنظر:

Procopius , History of Wars, Secret History and buildinga, Trans. by Averil Cameron, New York 1967 .

توجد ترجمة إنجليزية للتاريخ السرى قام بها ريتشارد أتووتر، وصدرت فى ميتشجان عام ١٩٦١م ، عن ذلك أنظر: Procopius , Secret History , Trans. by Richard A twater , Michigan 1961 .

ولا أغفل الإشارة إلى أن الراحل «أ.د. حسن حبشى» قام بترجمة التاريخ السرى وهو تحت الطبع ، عن هذه الإشارة والأعمال الأخرى التى فى طريقها إلى النشر انظر:

محمد مؤنس عوض ، أ.د. حسن حبشى مؤرخ مصرى رائد للعصور الوسطى، ضمن كتاب عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات ، ط. القاهرة ٢٠٠٦ م، ص ٢٥٨ .

ومع ذلك ؛ يلاحظ صدور ترجمة عربية للكتاب المذكور قام بها الراحل د. صبرى أبو الخير ، انظر: بروكوبيوس ، التاريخ السرى، ت. صبرى أبو الخير، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

وعن مؤلفات بروكوبيوس بصفة عامة أنظر:

Cameron , Procopius and the Sixth century , los Anglos 1985 , pp. 49-207 .

١- إيفاجريوس سكولاستيكوس؛ ولد فى إيفانيا Ephania فى سوريا المجوفة Coele Syria عام ٥٣٦م، وفيما بعد عمل فى مجال الحماماء فى أنطاكية كما التحق بعدد من الوظائف المرموقة إدارياً ، وتوفى فيما بعد عام ٦٠٠م عنه أنظر:

O.D.B., vol .2 , p. 761 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 39 .

٢ نشره بيدز وبارمينيتر فى لندن عام ١٨٩٨م ، كما أعيدت طباعته عام ١٩٦٤م انظر: =



وقد عاصر القرن السادس الميلادي، ووقع تاريخه في ستة أجزاء وأستفاد فيه من كتابات سقراط، سوزومين، وثيودوريت، وتناول الأحداث الواقعة بين عامي ٤٣١م، ٥٩٣م بحكم معاصرته لها (١).

جورج باخميريس George Pachymeres (٢) له كتاب De Michaele et Andronico Palaeologis (٣) أي تاريخ ميخائيل وأندرونيكوس باليولوغوس وقد عاصر النصف الثاني من القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلاديين، واحتوى تاريخه على تناول لعهد الإمبراطورين ميخائيل الثامن (١٢٥٩-١٢٦١م) وأندرونيكوس الثاني باليولوغوس (١٢٦١-١٣٠٨م) واستخدم في تأليفه أسلوباً يونانياً تقليدياً دعمه بكلمات مهجورة (٤).

Evugrios Scholastikos , Ecclesiastical History , ed. J. Bidez, L. Parmentier , London, 1898 , : Amestrdam 1964 .

وهناك ترجمة حديثة من جانب ميشيل وينبي صدرت في ليقربول عام ٢٠٠٠م أنظر:  
Evagrius Scholasticas , The Ecclesiastical History , Trans. by Michael Whitby , Liverpool 2000.

عن ذلك أنظر: O.D.B., vol 2, p. 761 .

Nicol, Abiographical dictionary . p. 39 . -١

٢- جورج باخميريس، ولد في نيقية عام ١٢٤٢م وفيما بعد اتجه إلى العاصمة البيزنطية حيث درس هناك مع جورج أكروبوليتيس، وصار شماساً وعضواً في السلك البطريركي، وقد تعددت اهتماماته الفكرية وتراوحت بين التاريخ، والفلسفة والرياضيات، والقانون، وتوفي عام ١٣١٠م، عنه أنظر:

O.D.B., vol . 3, p. 1550 .

Nicol, Op. cit ., p. 102 .

٣- نشره بيكر في بون عام ١٨٣٥م وصدر في مجلدين أنظر:  
Georgii, Pachymeris , De Michaele et Andronico Palaeologis , ed . Bekker , 2 vols, Bonn 1885 .

عن ذلك أنظر: O.D.B., vol . 3, p. 1550 .

وعن الكتاب المذكور انظر هذه الدراسة:

Laion , "On Political geography : The Black Sea of Pachymeres", in Beaton and Roveche (eds.) , The Making of Byzantine History, Studies dedicated to Donald M. Nicol , Centre of Hellenic Studies, king's College , London 1993, pp. 94-121 .

Nicol , op. cit ., p. 102 .

## حولية المورة The Chronicle of Morca<sup>(١)</sup>.

تعد بمثابة المصدر الأكثر أهمية للتاريخ السياسى للدولة الصليبية فى اليونان خلال القرنين الثالث عشر ، والرابع عشر الميلاديين ولذلك ؛ لاجب أن اهتم بها عدد من الباحثين من خلال ترجمتها ، وكذلك إعداد دراسات عنها ، وتلقى الحولية المذكورة أضواء كاشفة على إمارة أخايا Achaia ، كما تقدم مادة مهمة عن بحر ايجه Aegean Sea تحت السيادة الصليبية.

ولانغفل ؛ أن تلك الحولية تروى لنا أمر اتصال الحكام اليونانيين فى المورة بالفرسان اللاتين حيث كونوا مجتمعاً إقطاعياً ، وقد ورد فيها العديد من المصطلحات الخاصة بالنظام الإقطاعى البيزنطى (البرونويا) ونظام الإقطاع فى الغرب الأوروبى<sup>(٢)</sup> ، مما عكس أهمية تلك الحولية بصفة عامة.

يوحنا سكايلتزيس John Skylitzes<sup>(٣)</sup> ألف كتاباً عنوانه : Synopsis Historiarum أى مختصر التواريخ .

يتناول فى الكتاب المذكور ؛ وقائع الأعوام من ٨١١ إلى ١٠٥٧ م ، وبعد تكملة لما كتبه ثيوفانىس المعترف Theophanes The Confessor

١- عن حولية المورة أنظر هذه الترجمات :

The Chronicle of Morca, Trans . by J. Schmitt, London 1904 , Reprint , New York 1979 .

- Crusaders, Conquerors, The Chronicle of Morea , Trans . by H.E. Lurier , New York 1964 .

- To Chronikon Tou Moreos, p. Kalonaros, Athens 1940 .

ونجد ترجمة عربية للحولية المذكورة لدى: سهيل زكار، الموسوعة الشامية، ط. دمشق ١٩٩٥، ج ١٠، ص ٢٠٥-٥٨٥ .

٢- حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٦٣ .

٣- مؤرخ بيزنطى عاش خلال النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى، ولاتزال حياته يكتنفها الغموض .

عنه أنظر: O.D.B., vol . 3, p. 1914 .

Nicol, A Biographical dictionary . p. 115 .

محمد زايد عيد، العلاقات البيزنطية الألمانية ٩٦٢-١٠٥٩م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب

- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م، ص ٣ .



ثيودوسيوس الراهب Theodosius The Monk<sup>(١)</sup>.

هو شاهد عيان على فتح سيراكوز Syracuse على أيدي المسلمين عام ٨٧٨م ، وقد وصف تلك الأحداث في رسالة أرسلها إلى الشماس ليو The Deacon Leo ، ويلاحظ أن المخطوطة اليونانية الكاملة للخطاب فقدت، وتم نشر النص على أساس مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس B.N ، وتحتوى على جزء فقط من ذلك الخطاب، ولحسن الحظ فإن الترجمة اللاتينية الكاملة من جانب يوسفات أزال Josophat Azzale تم حفظها في مخطوط يرجع إلى القرن ١٧م.

وهناك من يقرر ؛ أنه على الرغم من كونه ثيودوسيوس الراهب شاهد عيان لتلك الأحداث؛ إلا أن عرضه لم يكن شخصياً ، وهو يقدم عرضه على أنه ضمن من مجموعة من رجال الاكليروس السيراكوزيين الذين واجهوا الحصار العربى، ويحتوى وصفه قسماً من المبالغات كما هو متوقع في مصادر ذلك العصر .

وجدير بالذكر؛ كتب نفس المؤرخ قصائد شعرية عن سقوط سيراكوز<sup>(٢)</sup>.

سوفرونيوس Sophronios<sup>(٣)</sup> بطريك بيت المقدس ٦٣٤-٦٣٨م الذى سلمها للخليفة عمر بن الخطاب .

١- مؤرخ معاصر للقرن التاسع الميلادى.

عنه أنظر: . O.D.B., vol . 3, p. 2053 - 2054

٢- . O.D.B., vol . 3, p. 2054

٣- سرفرونيوس : هو بطريك بيت المقدس خلال المرحلة ٦٣٤-٦٣٨م وقد ولد في دمشق عام ٥٦٠م ، وتوفى في بيت المقدس في ١١ مارس ٦٣٨م. والمعتاد أن يورد اسمه على أنه Sophronios The Sophist أي سوفرونيوس المتجادل على الرغم من أن تلك الناحية ما زالت موضع خلاف ويلاحظ أنه كان راهباً ، وقد قام بالاشتراك مع معلمه يوحنا موسكوس John Moschos برحلة على نطاق متسع زار فيها أديرة متعددة في مصر وفلسطين ، وروما ، وعاد أدراجه إلى بيت المقدس للالتحاق بدير ثيودوسيوس - Monastery of Theodosios ، وقد أدت صراعاته اللاهوتية إلى ذهابه إلى مصر عام ٦٣٣م والقسطنطينية ، وعلى الرغم من دفاعه المجيد عن مجمع خلقدونية إلا أنه لم يتمكن من إقناع كيروس السكندرى Cyros of Alexandria أو سرجيوس الأول من القسطنطينية Sergios I of Constantinople

O.D.B., vol . 3, p. 1928 .

عنه أنظر :

وقد ألف سيرة حياته وأرسلها إلى صديقه يوحنا إليمون John Elemon ، ويلاحظ أن أهمية سوفرونيوس تتمثل في كونه يمثل نهاية السيادة البيزنطية على المدينة المقدسة وبداية السيادة الإسلامية عليها في القرن السابع الميلادي.

تيودور ليكتور Theodore Lector<sup>(١)</sup> مؤلف Tripartite أي الكتاب الثلاثي الأجزاء

وقد أفاد في كتابه مما كتب كل من سقراط Socrat ، وسوزيمون Sozomenos وسيودوريت أوف كيرولوس Theodoret of Cyrillus ويتناول المرحلة الممتدة من أوائل القرن الرابع الميلادي وتحديدًا عام ٣٠٥ إلى عام ٤٣٩ م . وله أيضا : التاريخ الكنسي .  
وقد تناول فيه الأحداث التاريخية التي مرت بها لكنيسة حتى عام ٥٢٧ م.

يوحنا زوناراس John Zonaras<sup>(٢)</sup> معاصر للقرن الثاني عشر م ، ومؤلف Epitome Historiarum<sup>(٣)</sup> أي مختصر التواريخ .

وترجع أهميته إلى أنه عمل في بلاط الإمبراطور الكسيوس كومنين Alexius Comnenus (١٠٨٠-١١١٨ م) ، يمتد تاريخه منذ بدء الخليقة إلى عام ١١١٨ م ، ويعتمد اعتماداً كبيراً على ما كتبه سكليتزيس Skylitzes ، وسيللوس Psellus وذلك خلال كتابته للمرحلة بعد عام ٨١١ م غير أنه بالنسبة لعهد ذلك الإمبراطور البيزنطي السالف الذكر، نجد أن ما كتبه زوناراس يعد مصدراً أساسياً يعرضنا عن الرؤية المنحازة التي نجدها في الكسياد أنا كومنيننا .

١- مؤرخ كنسي عاصر قسماً من القرن الخامس ، والرابع الأول من القرن السادس الميلادي ، وتوفي بعد عام ٥٢٧ م.

عنه أنظر : O.D.B., vol 2 , p .

٢- يوحنا زوناراس: مؤرخ ورجل قانون وعالم لاهوت، احتل مكاناً بارزاً في بلاط الإمبراطور الكسيوس كومنين، ومن المحتمل أنه فقد منصبه بعد عام ١١١٨ م ، وصار راهباً في دير القديس جليكيريا St. Glyke-ria ، وقد توفي بعد عام ١١٥٩ م، عنه أنظر :  
O.D.B., vol . 3, p. 2229 .

٣- نشر ل . وندروف تاريخه في ٦ أجزاء ، في لبزج خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١٨٦٨ م . ١٨٧٥ م،  
Anظر: Epitome Historiarum , ed . L. Dindorf , 6 vols ., Leipzig 1868 - 1875 .

عن ذلك انظر: O.D.B., vol . 3, p. 2229 .



من ناحية أخرى ؛ ألف تعليقات على نظم الدساتير البابوية Commentaries on the Apostolic constitutions وقوانين المجامع وآباء الكنيسة Church Fathers ، وكذلك بعض الكتابات الهيجيوغرافية Hagiographical Works (أى الخاصة بسير القديسين) .

جورج سفرانتزيس George Sphrantzes مؤرخ معاصر للقرن الخامس عشر م مؤلف حولية Chronicon Minus وترجع أهميته إلى أنه التحق بالعمل لدى الامبراطور مانويل الثانى Manuel II (١٣٩١-١٤٢٥م) كذلك قام بعدة سفارات إلى الأتراك ، وجورجيا Georgia ، وطرابيزون Trebizond والمورة Morea ، والجزر الايجية Aegean Islands ، كذلك تم تعيينه حاكماً على باتراس Patras عام ١٤٣٠ ، ومسترا Mistra عام ١٤٤٦م .

جدير بالإشارة ؛ يعد الكتاب المذكور يوميات تغطى المرحلة من ١٤٠١ إلى ١٤٧٧م ، ويلاحظ ؛ أن أسلوبه الأدبى فى كتابتها نجد فيه ألفاظاً تركية وإيطالية .

ملحمة ديجنيس أكرتيس Diogenis Akritis (٢) .

١- جورج سفرانتزيس ؛ ولد عام ١٤٠٠م ، وفيما بعد صار أحد موظفى الدولة منذ عام ١٤١٨م ، وعمل فى المجال الدبلوماسى ، بل صار رئيس وزراء الامبراطور البيزنطى الأخير قسطنطين الحادى عشر ، وقد قبض عليه الأتراك العثمانيون بعد نجاحهم فى فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م ، إلا إنه تمكن من الهرب إلى شبه جزيرة البلبونيز أو المورة Morea ثم إلى كورفو ، وهناك مات عام ١٤٧٨م ، عنه أنظر : Nicol, A Biographical Dictionary , p. 116 , O.D.B., vol . 3 p. 1937 .

٢- من الملاحظ أن كلمة ديجنيس Digenes ، لفظ يونانى يعنى المولود من شعبين ، على اعتبار أن والد باسيلوس ديجنيس وصف بأنه كان عربياً مسلماً أما أمه فرومية مسيحية ، وكلمة اكرتيس Akrites ؛ لفظ يونانى يعنى الذى ينتسب إلى حدود الدولة .

عن ملحمة ديجنيس اكرتيس أنظر :

Digenes Akrites, ed . and Trans . by J. Mavrogordat , Oxford 1926 .

Beaton and Ricks (eds.) , Digenes Akrites , New Approaches to Byzantine Heroic Poetry , London 1993 .

طارق منصور ، «الملحمة البيزنطية ديجنيس اكرتيس رؤية أدبية» ، ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطى ،

ط. القاهرة ٢٠٠٢م ، ج ١ ، ص ٦٨-١٠٣ ، الأمين أبو سعد ، «بيزنطة فى الملاحم العربية- قراءة فى سيرة»

وهي ملحمة بيزنطية ظهرت في القرن العاشر الميلادي ، وتدور أحداثها حول محارب مسلم من أصول بيزنطية قام باختطاف فتاة بيزنطية ، وذلك خلال إحدى الغزوات ، ثم قام بالارتداد عن الإسلام، وعاد إلى مناطق الدولة البيزنطية، وهناك؛ ألحجب طفلاً يعد بطل الملحمة المذكورة. وقد أطلق عليه اسم يازيل ديجنيس اكرتيس Basil Digenes Akrites وعاش في مناطق الحدود البيزنطية الإسلامية وهناك أثبت كفاءته الحربية في محاربة خصومه ، وهناك من يقرر أنه رفض الخضوع للسلطة البيزنطية الرسمية. وتعد الملحمة المذكورة ؛ مصدراً أساسياً من مصادر التاريخ البيزنطي خاصة فيما يتصل بالعلاقات البيزنطية - العربية.

الإكلوجا Ecloga <sup>(١)</sup> أي المختارات وهي تلك المجموعة القانونية التي صدرت في عهد الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري Leo III The Isaurian (٧١٧-٧٤١م) ، وقسطنطين الخامس Constantine V (٧٤١-٧٧٥م) ، وهي تلقى أضواء كاشفة على التطور القانوني في الإمبراطورية ، كما أنها تعين الدارسين على دراسة المجتمع البيزنطي من خلال القانون .

الإمبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢م) الذي ينسب إليه كتاب Strategikon <sup>(٢)</sup> أي الاستراتيجية.

---

= الأميرة ذات الهمّة ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى مهداة إلى أ.د. قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين، تحرير حاتم الطحاوي، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٣٣١ ، حاشية (٥٩) ، نعيم فرح، الحضارة البيزنطية ، ط . دمشق ٢٠٠٣م، ص ٢٦٠ .

Rinciman , Byzantine Civilization , p. 201 . Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 132 . Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 369-371 .

Kazhdan and Epdtein , Change in Byzantine Culture in the Eleventh and Twelfth Centuries , los Anglos 1985, pp. 117-119 .

١- عن الأكلوجا أنظر:

Leo III, Ecloga, ed. with German Trans . L. Burgmann, Ecloga: Das Gesetzbuch Leon III und Konstantions, V , Frankfurt 1983 .

٢- هناك ترجمة ألمانية لذلك الكتاب ؛ أنظر:

Dennis G.T.E., Gamillscheg, Das Strategikon des Maurikios , Vienna 1981 .

كما أن له ترجمة إنجليزية ، انظر:

Dennis G.T.E., Maurice's Strategikon Handbook of Byzantine Military Strategy, Philadelphia, 1984 .

O.D.B., vol . 2, p.

عن ذلك انظر:



ويلاحظ أن هناك جدلاً حول نسبة الكتاب المذكور لذلك الامبراطور ، وبصفة عامة ؛ فإنه يعد مصدراً أساسياً لدراسة الفكر العسكري البيزنطي خاصة خلال الربع الأخير من القرن السادس الميلادي، ويحتوى على عدد من النصائح التى تعكس الخبرة الحربية عن كيفية القتال لدى الشعوب التى حاربتها بيزنطة .

يوحنا السادس كانتا كوزين John VI Cantacuzene<sup>(١)</sup> مؤلف Historiae أي التواريخ<sup>(٢)</sup> .

والمؤلف هو الإمبراطور البيزنطي الذى حكم خلال المرحلة من ١٣٤٧ إلى ١٣٥٣م مما أعطى لكتابه أهمية خاصة ، وهو يفيد فى دراسة أوضاع الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الرابع عشر الميلادي، وقد احتوى على إشارات مهمة - إلى جانب الناحية السياسية- تناولت الأوضاع الاقتصادية ، والاجتماعية، ومنها ما اتصل بالفناء الكبير Black Death الذى حدث فى القرن المذكور.

كتاب الإبارخوس Eprchikon Biblion<sup>(١)</sup> أى الوالى وقد ألف فى القرن العاشر

= كما أن له ترجمة إنجليزية ، انظر:

Dennis G.T.E., Maurice's Strategikon Handbook of Byzantine Military Strategy, Philadelphia, 1984 .

عن ذلك انظر: O.D.B., vol . 2, p.

١- عن يوحنا السادس كتناكوزين أنظر القسم الثانى من هذا الكتاب .

٢- تم نشر الكتاب فى مجموعة الكوريس C.S.H.B. فى ثلاثة أجزاء من جانب ل. شوبين و ب. نيبور وصدر فيما بين عامى ١٨٢٨م، ١٨٣٢م، عن ذلك أنظر:

John VI Cantacuzenus , Historiae , ed. L. Schopen and B. Niebuhr , 3 vols., C.S.H.B., 1828- 1832 .

ويشير دونالد نيكول إلى أن هناك ترجمه إنجليزية للجزء الثامن من تاريخ حنا كتناكوزين لم تنشر فى صورة رسالة جامعية أعدها ت.س ميلر من الجامعة الأمريكية الكاثوليكية عام ١٩٧٥م، عن ذلك انظر:

Nicol, The Reluctant Emperor, A biography of John Cantacuzene , Byzantine Emperor and Monk, C. 1295 - 1383, Cambridge 1996, p. 188 .

Vasiliev, History, of the Byzantine, Empire , p. 343 .

٣- عنه أنظر :

الميلادي، وهو مصدر أساسى لدراسة النقابات البيزنطية Byzantine Guilds ، ويلاحظ أن كلمة إيبارخوس كانت تعنى « أمين العاصمة » ، وهو الذى وقع على عاتقه الإشراف على جميع النقابات سواء الصناعية أو التجارية فى القسطنطينية.

على أية حال ؛ من الأهمية بمكان الإقرار بأن الكتاب المذكور<sup>(١)</sup> ، أحتوى على القواعد التى أقرتها الامبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور ليو السادس Leo VI (٨٨٦-٩١٢م)؛ من أجل تنظيم النشاط الاقتصادى فى العاصمة.

= نعيم فرح، الحضارة البيزنطية ، ص ٢٣٥-٢٤٩ . وفيما يتصل بتاريخ كتابته، يلاحظ، أنه فى عام ١٩٣٥م، قام مؤرخ يونانى هو أ.د. كريستوفيلوبوليس A.P. Christophilopoulos بدراسة تمكن من خلالها من تحديد تاريخ كتابته وهى خلال المرحلة الواقعة بين أول سبتمبر ٩١١م إلى ١١ مايو ٩١٢م ، عن ذلك أنظر:

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 188 .

١- عشر المؤرخ السويسرى جوليس نيقولا Julius Nicole على وثيقة كتاب الوالى عام ١٨٩٢م، ونشره مع ترجمة لاتينية فى صيف عام ١١٩٣م، وفى عام ١٩٢٩م؛ قام بوك A.E.Book بترجمة الكتاب إلى الإنجليزية فى: . Journal of the Economic History and Business (J.E.H.B)

أما فى عام ١٩٣٨م، فقد صدرت الترجمة الإنجليزية الثانية انظر.

Freshfield , Roman Law in the lafer Roman Empire, Byzantine Guilds, Professional and Commercial , Cambridge 1938 .

ثم قام السيد الباز العربى بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان : « كتاب عن الحسبة فى بيزنطة فى القرن العاشر الميلادى أو كتاب الوالى » ، مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة ، (١٩) ، ج ١ ، مايو ١٩٥٧م، ص ١٣٥-١٨٧ .

عن ذلك انظر:

وسام عبد العزيز فرج ، « الدولة والتجارة فى العصر البيزنطى الأوسط (من القرن السابع وحتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ١١٩-١٢٠ .

وهناك نص منه انظر:

Lopez and Raymond, Medieval Trade in The Mediterranean World , New York 1961 , pp. 20-23 .



وقد وقع الكتاب في (٢٢) فصلاً، وتناولت الفصول التسعة عشر الأولى نقابات تجارية ، وكذلك حرفية متعددة ، أما الفصل العشرين، فإنه اختص بتناول واجبات ما عرف بنائب السوالى أو Leyatarios ، واختص الفصل الحادى والعشرين بواجبات الوسطاء الرسميين الملحقين بالأسواق المتخصصة فى بيع الماشية، ونجد أن الفصل الأخير وهو والثانى والعشرين إختص بتناول القواعد العامة المؤثرة على نشاط النجار والحرفيين<sup>(١)</sup>، مما عكس تعدد العناصر الاقتصادية التى تناولها الكتاب المذكور ويقرر العلامة فازيليف عنه ؛ أنه بمثابة كنز لتاريخ الأوضاع الداخلية للقسطنطينية<sup>(٢)</sup>، وهو أمر لا تكشفه يمثل هذه الصورة كتب الحوليات الأخرى التى تفيض بالأحداث السياسية ، والحربية.

نقفور برينيوس<sup>(٣)</sup> Nicephor Bryennios مؤلف.

Historiarum Libri quattuor أى كتب التاريخ الأربعة عاصر المؤرخ المذكور قسماً من القرن الحادى عشر الميلادى، وكذا جزءاً من القرن الثانى عشر الميلادى، وقد تناول فى كتابه ؛ الأحداث التاريخيه التى مرت بالإمبراطورية البيزنطية منذ عام ١٠٧٠ إلى ١٠٧٩م، وفيه يقدم إشارات مهمة عن معركة مانزكرت عام ١٠٧١م الحاسمة التى انتصر فيها السلاجقة على القوات البيزنطية وهو ينقل رواياته عن جده الذى اشترك فعلياً فيها<sup>(٤)</sup> ؛ مما أعطى لرواياته أهمية خاصة.

١- وسام عبد العزيز فرج، الدولة والتجارة، ص ٨١ .

٢- vasiliev, History of the Byzantine, Empire, p. 343 .

٣- نقفور برينيوس ؛ ولد عام ١٠٦٢م، وهو حفيد نقفور برينيوس الذى سعى إلى العرش البيزنطى عام ١٠٧٧م، وقد تزوج من الأميرة البيزنطية انا كومنيننا Anna Comnena عام ١٠٩٧م . ويلاحظ أنه عمل فى الجهاز الإدارى البيزنطى. كذلك التحق بالجيش البيزنطى فى عهدى الكيسوس كومنين وابنه حنا الثانى، وقد حصل على لقب قيصر ، وتوفى عام ١١٣٦م ، عنه انظر .

Nicol, ABiographical dictionary, p. 21 .

٤- عن ذلك انظر:

فايز لمجيب اسكندر ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة مانزكرت (١٠٧١م / ٤٦٣هـ) فى مصنف

نقفور برينيوس دراسة مقارنة للمصادر، ط. الاسكندرية ١٩٨٢م، ص ١١-١٢ .

- البطريك نقفور Nicephorus مؤلف كتاب<sup>(١)</sup> : Breviarium Historicum Gestis : Post imperium Mauricii ؛ أى مختصر تاريخى لما حدث بعد الإمبراطور موريس .

وقد عمل المؤلف بطريكاً للقسطنطينية فيما بين عامى ٨٠٦ ، ٨١٥ م، وبالتالى احتل منصباً دينياً بارزاً ، وفى الكتاب نجده يتعرض للأحداث التاريخية فيما بين عامى ٦٠٢ ، ٧٦٩ م ؛ أى منذ عهد الإمبراطور فوكاس Phocas (٦٠٢-٦١٠ م) حتى نهاية عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١-٧٧٥ م) وتعرض لأمر الصراع البيزنطى - الفارسى، كما قدم إشارات مهمة عن علاقات الإمبراطور البيزنطية مع عناصر الخزر.

نقفور جويجواراس Nicephorus Gregoras :<sup>(٢)</sup> وعاصر القرن الرابع عشر م، وألف

١- البطريك نقفور ؛ بطريك القسطنطينية فى القرن التاسع الميلادى، ولد فى العاصمة البيزنطية عام ٧٥٠ أو ٧٥٨ م، وهو مؤرخ وقديس تولى منصب البطريكية خلال المدة من ١٢ أبريل ٨٠٦ م إلى ١٣ مارس ٨١٥ م، وقد وصف بأنه كان من المدافعين عن عبادة الأيقونات ، وفيما بعد توفى فى دير القديس ثيودور St. Theodore بالقرب من خريسوبوليس Chrysopolis فى ٥ أبريل ٨٢٨ م، عنه أنظر: Life of the Patriarch Nikephoros I of Constantinople , Trans. by Elizabeth A. Fishcrin Talhot (ed.) Byzantine defenders of images , Eight Saints, Lives in English Translation , Dunbarton Oaks, Washington 1998, pp. 25-147 .

هانى عبد الهادى البشير، «نقفور بطريك القسطنطينية (٨٠٦-٨١٥ م) ومؤلفه التاريخ المختصر» المؤرخ المصرى. العدد (٢٦) ، يناير ٢٠٠٣ م ص ٣٩-٧٥ .

O.D.B., vol . 3, p. 1477 .

٢- الترجمة الانجليزية قام بها مانجو ، وصدرت فى واشنطن عام ١٩٩٠ م. Nicephorus , Short History , ed. C. Mango Washington 1990 .

٣- نقفور جريجوراس ؛ عالم ومؤرخ ، عاصر القرن الرابع عشر م ، فى صفه قام بكفالاته عمه يوحنا الذى عمل أسقفا لهرقلية بونتيكاHerrakleia Pontika ، وارتبط ذلك المؤرخ بالإمبراطور يوحنا السادس كرنيتاكورين John VI Contacuzen (١٣٤٦-١٣٥٥ م) ومبعوثاً من جانبه للقوى السياسية المعاصرة له، ويقرر دونالد نيكول أن نقفور جريجوراس وصف بأنه من أعظم رجال القرن الرابع الميلادى ، وقد توفى عام ١٣٦١ م.

Nicol, Abiographical dictionary, pp. 44-45 .

عنه أنظر:

كتابه التاريخ Historia <sup>(١)</sup> الذى وقع فى ٣٧ كتاباً واشتمل على المرحلة الزمنية بين عامى ١٣٢٠ ، ١٣٥٩م، وهو مصدر مهم لعصره.

من جهة أخرى؛ ألف ذلك المؤرخ عدداً من تراجم القديسين ، كذلك نعرف أنه نظم قصيدتين لرتاء كل من الإمبراطورين أندرونيكوس الثانى Androniicus II (١٢٨٢ - ١٣٢٨م)، وأندرونيكوس الثالث Andronicus III (١٣٢٨ - ١٣٤١م) .

- يوستاش السالونيكى <sup>(٢)</sup> Eustathios of Thessalonike مؤلف <sup>(٣)</sup> : سقوط سالونيك On the Capture of Thessalonike وتحسين الحياة الديرانية On the improvement of Monastic life.

١- تم نشر تاريخ نقفور جوبجوراس فى ثلاثة أجزاء من جانب كل من شومين، بيكر فى مجموعة الكوريس فيما بين عامى ١٨٢٩ ، ١٨٥٥م.

Nicphorus Gregoras , ed. L. Schopen and I Bekker, 3 vols, C.S.H.B., 1829-1855 .

٢- يوستاش السالونيكى، موظف كنسى وعالم، ولد فى عام ١١١٥م، وقد تعلم فيما بعد فى القسطنطينية ، وصار شماساً ، وفى عام ١١٧٨م صار رئيساً لأساقفة سالونيك ، وقد إنجبه إلى تأليف مؤلفات عبارة عن تعليق وشروح على هوميروس Homer مبدع الإلياذة والأوديسا وكذلك الأديب المسرحى أرسطوفانيس Aristophanes ، ويوحنا الدمشقى John of Damascus ، وقد توفى عام ١١٩٥م عنه أنظر:

Kazhdan and Epstein, Change in Byzantine Culture in the Eleventh and Twelfth centuries , Berkaly 1995, p. 165-166 .

O.D.B., vol . 2, p. 754 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 38 .

عبد العزيز رمضان، العلاقات البيزنطية - اللاتينية فى عهد الامبراطور مانويل الأول كومنينوس ١١٤٣ - ١١٨٠م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م، ص ١، حاشية (١) .

٣- الترجمة الإنجليزية قام بها ماثيل جونز، وصدرت فى كاتبرا عام ١٩٨٨م.

أنظر: Eustasios of Thessaloniki , The Capture of Thessaloniki, ed. Trans. by J.R. Melville Jones, Canberra 1988 .



وهو مؤرخ معاصر للقرن الثاني عشر م. ووصف بأنه مفكر أصيل ، وقد دعم الإمبراطور مانويل كومنين ، وبعد الكتاب الأول مصدراً أساسياً عن سقوط سالونيك وهى من الحواضر البيزنطية البارزة- فى قبضة النورمان عام ١١٨٥ م.

أما الكتاب الثانى؛ فيمثل نقداً للحياة الديرانية البيزنطية فى عصر ذلك المؤرخ.

٨٠- زكريا المتلىنى Zachariah of Mitylene مؤلف Historia Ecclesiastica أى التاريخ الكنسى وهو من رجال الكنيسة وقد شارك بالحضور فى جمع القسطنطينية الذى عقد عام ٥٣٦ م، وقد ألف كتابه التاريخ الكنسى من مظهر مونوفيزيتى ويشتمل على دراسة للمرحلة الواقعة بين عامى ٤٥٠ م ، ٤٩١ ، وهناك احتمال أن يكون قد امتد ليشمل المرحلة من ٤٩٢ إلى ٤٩٥ م. وبعد الكتاب المذكور من المصادر التاريخية عن القرن الخامس الميلادى.

يوحنا فوكاس<sup>(٣)</sup> Joannes Phocas وله رحلته بعنوان Descriptio Tevrae

١- زكريا المتلىنى، رجل كنيسة ولد فى مايوما Maiouma بالقرب من غزوة بين عامى ٤٦٥ ، ٤٦٦ م، وفيما بعد ؛ درس الفلسفة فى الاسكندرية ، والقانون فى بيروت، وقد صار أسقفًا لمتلين Mytilene كذلك حضر المجتمع الكنسى فى القسطنطينية عام ٥٣٦ م، وقد توفى عام ٥٣٦ م.  
عنه أنظر:

O.D.B., vol . 3, p. 2218 .

٢- نشر بروكس التاريخ الكنسى فى أربعة مجلدات فى باريس خلال المرحلة ١٩١٩ إلى ١٩٢٤ م، عن ذلك انظر:

Historia Ecclesiastica, ed. E.W. Brooks , 4 vols , Paris 1919-1924 .

O.D.B., vol . 3, p. 2218 .

٣- ولد يوحنا فوكاس Joannes Phocas فى جزيرة كريت Crete ، ووالده هو ماثيو Mathiew الذى عمل فى السلك الديرانى ووصل فيه إلى رتبة مرتفعة ، وأدركته منيته فى جزيرة باتموس Patmos . وعندما شب يوحنا فوكاس عن الطوق، عمل فى الجيش البيزنطى فى عهد الإمبراطور مانويل كومنين، عن يوحنا فوكاس انظر:

Beazly , The Dawn of modern geography , A History of expedition and geographical Science from " the cloise of the nineth to the middle of the Thirteenth century , vol . II, London 1901, p. 199 .

Tobler , Bibliographia Geogphica Palestinae , Leipzrg 1867, p. 21 .

Sanctae<sup>(١)</sup>؛ أى وصف الأرض المقدسة وهو من كريت وقد عاصر القرن ١٢م وقام برحلة إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين فى فلسطين حوالى عام ١١٨٥م، وقد زار كنيسة الضريح المقدس Church of Holy Sepulchre فى بيت المقدس عندما قام برحلة حج إلى هناك، وأشار فى رحلته إلى النقش الذى وجده هناك تخليداً لذكرى تجديد الكنيسة المذكورة فى عهد الملك الصليبي عمورى الأول (١١٦٣-١١٧٤م) وذلك خلال حكم الامبراطور مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) على نحو يلقى الضوء على العلاقات البيزنطية مع الشرق اللاتيني Levant.

- كيناموس<sup>(٢)</sup> Kinnamos له كتاب Epitome Historiarum<sup>(٣)</sup>، أى مختصر التاريخ.

= محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ص ٢١٤، الرحالة الأوربيون فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٥٧-٦٢.

١- انظر الرحلة فى البترولوجيا اليونانية؛

Descriptio Terrae Sanctae P. G., T. CXXXIII, cols 997-1063.

ومجموعة مؤرخى الحروب الصليبية المؤرخون الإغريق، ج ١.

R.H.C., T.I, Paris 1875, pp. 527-559, T.II, pp. 683-695.

والترجمة الإنجليزية التى قام بها أوبرى ستيوارت فى مجموعة نصوص حجاج فلسطين، مجلد (٥) ط. لندن ١٨٩٦م؛

Joannes Phocas, A Brief Description of the Holy land, Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., vol. V, London, 1890.

محمد مؤنس عوض، فصول بيبولوجرافية فى تاريخ الحروب الصليبية، ص ٦٩، ص ٣٧٥ الترجمة العربية أ.د. سهيل زكار الموسوعة الشامية، رقم ١٩٩٥م، ص ٣٥، ص ٤٠٤.

٢- كيناموس Kinnamos؛ ولد قبل عام ١١٤٣م وهو مؤرخ بيزنطى معاصر للإمبراطور مانويل الأول (١١٤٣-١١٨٠م) وعمل سكرتيراً له، شارك فى معارك متعددة وتوفى بعد عام ١١٨٥م، عنه أنظر: O.D.B., vol. 2, p. 1130.

ليلى عبد الجواد، «حملات مانويل كومنين على انجر (١١٥١-١١٦٧م) فى ضوء كتابات حنا كيناموس»، المجلة التاريخية المصرية، العدد (٣٧)، عام ١٩٩٠م، ص ٧٣-١٠٠.

هارى المزارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ص ١٣٤.

٣- أنظر الترجمة الإنجليزية التى قام بها شارلز بيراند وصدرت فى كولومبيا عام ١٩٧٦م، عنه أنظر:

وقد تناول في كتابه عهد كل من الإمبراطورين حنا كومنين (١١١٨-١١٤٣م) ، ومانويل كومنين (١١١٨-١١٤٣م) ، ويمثل الكتاب أهمية خاصة نظراً لكون المؤرخ المذكور اتصل بالقيادات البيزنطية، وقد توافرت لديه وثائق متعددة أفادته في إعداد كتابه بالإضافة إلى كونه من شهود العيان المشاركين في الأحداث، ولذلك يحتل كتابه أهمية خاصة بين مصادر العصر البيزنطي الأوسط.

نيكتاس خونيئاتس Nicetes Choniates<sup>(١)</sup> وله حوليه بعنوان Historia؛ أى التاريخ وقد عاصر النصف الثانى من القرن الثانى عشر ، والعقد والنصف الأولين من القرن الثالث عشر ميلادى<sup>(٢)</sup>.

وقد قسم كتابه إلى عشرة كتب أو فصول جعل الأول عن عهد حنا كومنين (١١١٨-١١٤٣م) ، والثانى عن مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) ، والثالث عن الكسيوس

= Kinnamos , Deeds of John and Manuel Comnenus , Trans. by Charles M. Brand, Columbia 1976 .

تجدر الإشارة إلى أن العلامة الراحل أ.د. حسن حبشى أستاذ العصور الوسطى بكلية التربية- جامعة عين شمس سابقاً قام بترجمة الكتاب المذكور وسيصدر من جانب الهيئة المصرية العامة للكتاب قريباً وقد طالعت أصله المخطوط.

١- نيكتاس خونيئاتس Nicetas Choniates، ولد في خوناى فى آسيا الصغرى Asia Minos وعاش فيما بين عامى ١١٥٠ ، ١٢١٥م، درس فى القسطنطينية والتحق فى خدمة الامبراطورين الكسيوس الثانى (١١٨٠-١١٨٣م) واسحق الثانى (١١٨٥-١١٩٥م) وعندما حدثت الحملة الصليبية الرابعة ضد القسطنطينية عام ١٢٠٤م، فقد كافة ممتلكاته ، ولذلك بادر بالفرار إلى نيقية حيث عمل لدى الامبراطور تيودور الأول لاسكاريس عنه أنظر:

Nicol, A Biographical Dictionary, p. 22-23 .

فايز نجيب اسكندر . نيكتاس خونيئاتس واعترافه بتسامح المسلمين وبربرية الصليبيين - قراءة نقدية لتجاوزات الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م / ٦٠٠هـ ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. المنصورة ب-ت . المنصورة ص٥٥ - ص٥٧ .

هارى ألز بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية، ص١٣٤ .

٢- توجد ترجمة إنجليزية لها، من جانب هارى ماجولياس وصدرت من جامعة ولاية واين عام ١٩٨٢م. Nicetas Choniates O'city of Byzantium , Annals of Nicetas Choniates. Trans. by Harry Magolias Wayne state University, Detroit 1984 .

وقد قام أ.د. حسن حبشى بترجمته إلى العربية وسيصدر من الهيئة العامة للكتاب قريباً.



الثانى ابن مائويل كومنين (١١٨٠-١١٨٣م) ، والرابع عن أندرونيكوس كومنين (١١٨٣-١١٨٥م) ، والخامس عن إسحق أنجيلوس (١١٨٥-١١٩٥م) ، والسادس عن عهد الكسيوس الثالث إنجيلوس (١١٩٥-١٢٠٣م) والسابع عن المدة القصيرة التى عاد فيها إسحق أنجيلوس، وابنه الكسيوس الرابع إلى الحكم عام ١٢٠٣م ، كذلك خصص الثامن لمدة حكم الكسيوس الخامس دوقاس، كما خصص الفصلين التاسع ، والعاشر لتناول الحملة الصليبية الرابعة والاحتلال اللاتينى للعاصمة البيزنطية عام ١٢٠٤م<sup>(١)</sup>.

والكتاب المذكور يعد مصدراً على جانب كبير من الأهمية من علاقات الامبراطورية البيزنطية بالمدن الإيطالية خلال المرحلة الممتدة من ١١٨٠ إلى ١٢٠٤م ، كذلك يعد المؤرخ شاهد عيان لسقوط القسطنطينية لأول مرة فى العام الأخير<sup>(٢)</sup>.

لانغفل أن نيكيتاس خونيئاتس كان عاشقاً لبيزنطة، ورأى بعينى رأسه كيف تذبح معشوقته بسكين الغرب الأوربى الغازى لها ، ويصل إلى التوحد مع بيزنطة خاصة خلال الفصل الأخير من حوليته، ومنطقى- والأمر كذلك- أن نجده يكتب حوليته بمداد المراءة والكراهية الشديدة لللاتين.

- أنا كومنيننا Anna Comnena<sup>(٣)</sup> مؤلفة كتاب Alexiad<sup>(٤)</sup> (أى المنسوب إلى الكسيوس).

١- عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى فى العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٨٠م، ص ٢٦ .

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- أنا كومنيننا Anna Comnena؛ أميرة بيزنطية ومؤرخة ولدت فى ديسمبر عام ١٠٨٣م، وتعد أكبر بنات الإمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين (١٠٨٠-١١١٨م) ، وقد تمت خطوبتها فى صغرها لقسطنطين دوكاس، وعندما مات خطيبها؛ تزوجت من نقفور برينيوس ، ويقرر دونالد نيكول أنها تعد المؤرخة الوحيدة التى أنجبتها الإمبراطورية البيزنطية ، ويلاحظ أنها أنجبت ولدين وابنه ، وقد عاشت بعد وفاة زوجها ١٥ عاماً ، وتوفيت عام ١١٥٣م، عنها أنظر:

Nicol, Aioographical dictionay , p. 9. Buckler, Anna Comnena, London 1929 .

٤- هناك ترجمة إنجليزية له قام بها سوتير وصدرت فى لندن عام ١٩٧٩م،

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. by Sewter , Penguin Book, London , 1979 .

ولابد من الإشارة إلى الترجمة العربية التى أعدها العلامة أ.د. حسن حبشى.

يعد مصدراً أساسياً لعهد الإمبراطور الكسيوس كومنين والد المؤلفة (١٠٨٠-١١١٨م) ، وقد حدث في عهده مقدم الحملة الصليبية الأولى ، وبالتالي ، فإن المؤلفة تعبر عن وجهة النظر البيزنطية تجاه الحملة المذكورة ، وهى نظرة ملؤها الكراهية الدفينة ، والعداء ، والشكوك خاصة تجاه عناصر النورمان التى سبق لها مهاجمة أملاك الامبراطورية فى إيطاليا والاستيلاء عليها .

جدير بالذكر ؛ يظهر فى الكتاب الإعجاب الزائد بالامبراطور الأب ، ولذلك من المهم إدراك الطابع المنحاز بالضرورة من جانب الأميرة المؤرخة تجاه والدها ، ولاينفى ذلك- بطبيعة الحال- أنها فى بعض الجوانب عارضته وكانت لها شخصيتها المستقلة فى عرض الواقع التاريخية منفصلة عن «كاريزما Charisma الامبراطور الأب» غير أن ذلك حدث فى القليل النادر .

ومن المهم هنا ملاحظة ؛ الظروف النفسية التى ألفت فيها تلك الأميرة البيزنطية كتابها المذكور ، فقد قامت بنصب خيوط مؤامرة بالإشتراك مع زوجها ضد شقيقها حنا كومنين وصولاً إلى السلطة ، وذلك فى عام ١١١٩م وأرادت قتله تحقيقاً للرغبة الجامحة للجلوس على العرش الإمبراطورى ، إلا أن المؤامرة كشفت وذلك عن طريق زوجها نفسه ، وقد أحسن حنا كومنين للمتآمرين فلم يفتك بهم ، واكتفى بالقبض عليهم وصادر أموالهم ، ورفض إيداع أخته أحد الأديرة<sup>(١)</sup> ، بل تركها وشأنها فأختارت الانعزال عن الحياة العامة يفترسها الشعور بالمرارة والإحباط وخلال ذلك الحين اتجهت إلى تأليف الكسياد ليكون لها بمثابة العزاء عن تلك الظروف العصيبة .

---

= أنا كومنين ، الكسياد ، ت. حسن حبشى ، المشروع القومى للترجمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٥م. وهى آخر أعمال الراحل العالم المذكور قبل وفاته ، وأحيل القارئ إلى المقدمة الممتازة التى وضعها ، وهناك ترجمة لقسم من الكتاب لدى سهيل زكار ، الموسوعة الشامية ، ط. دمشق ، ١٩٩٠ ، ج٦ ، ص٩ ، ص٧٦ .

Mango. Byzantium The Empire of New Roman, New York 1980, p. 29. p. 242 .

أيضاً : ماجدة حسن صدقى ، العلاقات البيزنطية التركية فى ضوء كتاب الكسياد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٩م .

آمال حامد زيان ، الإمبراطور الكسيوس كومنين والحملة الصليبية الأولى من خلال كتاب الكسياد ، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ٢٠٠٥م .

١- محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٣٤٥ ، ص٣٤٦ .

والأمر المؤكد : أن الكتاب المذكور على النحو الذي وصل إلينا يعكس قدرة أنا كومنيننا على تجاوز ظروفها النفسية العصبية، وهكذا حولت عقدة الإخفاق إلى نجاح عاش بعدها قرونًا!!

- ثيودوروس سكواتاريوتيس<sup>(١)</sup> . Theodoros Skoatariotes

مسؤلف : Syhopsis Chronika وفيها ، يتعرض لأباطرة الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الحادى عشر الميلادى منذ عهد الإمبراطور باسل الثانى Basil II (٩٧٦-١٠٢٥م) حتى رومانوس الرابع ديوجينيس Romanus IV Diogenes (١٠٦٧-١٠٧١م)<sup>(٢)</sup> .

- الكتابات الهجيوجرافية<sup>(٣)</sup> Hagiography وهى عبارة عن سير القديسين والقديسات، وهى تحوى مادة تاريخية على جانب كبير من الأهمية عن النواحي الدينية ، والسياسية على مدى التاريخ البيزنطى.

ويلاحظ أن أهم الدراسات التي تحتوى تلك المصادر هى:

- Bibliotheca Hagiographia Graeca, ed. F. Halkin, 3 vols . , Bruxelles 1957 .

ويعد أشمل كتاب عن الكتابات الهيموجرافية اليونانية، ووقع فى ٣ أجزاء وطبع فى بروكسيل ١٩٥٧م.

- Talbot (ed.), Holy Women of Byzantium , Ten Saints' Lives in English Transtation , Washington 1996 .

١- مؤرخ بيزنطى معاصر للقرن الحادى عشر الميلادى.

وقد أورد د. عبد العزيز رمضان أن ذلك المصدر يتعرض لأباطرة القرن الحادى عشر من باسل الثانى حتى رومانوس السابع ديوجينيس» ، والواقع أنه لا يوجد إمبراطور بهذا الاسم فى القرن المذكور، والأصح رومانوس الرابع ديوجينيس والذي حكم خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٠٦٧ ، ١٠٧١ وهزم فى معركة مانزكرت ، انظر عنه القسم الثالث من هذا الكتاب ، انظر عبد العزيز رمضان ، مدخل إلى مواقع الدراسات البيزنطية، ص ٨٦ .

٢- ترجمة روبرت بيدرو سيان ، انظر عبد العزيز رمضان، المرجع السابق، نفس الصفحة.

٣- عن تلك المصادر فى الغرب الأوربى أنظر هذه المقالة الرائدة بالعربية:

على الغمراوى ، «المصادر الهجيوجرافية قبل النهضة الكارولية» ، مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت، العدد (٢) ، عام ١٩٧٢م، ص ٨٩- ٩٨ .



- Talbot (ed.), Byzantine Defenders of Images, Eight Saints lives in English Translation, Washington 1998 .

وصدرت الدراستان المحتويتان (١٨) سيرة مترجمة إلى الإنجليزية من جانب مركز دامبرتون او كس بواشنطن وتعد المؤرخة اليس ماري تالبوت Alice - Mary Talbot أبرز متخصصة في المجال المذكور وقد أشرفت على فريق عمل من المترجمين لترجمتها إلى الإنجليزية .

mlk Bil jg; hgsgn kc;n:

- سيرة القديسة أنتوسا ابنة قسطنطين الخامس<sup>(١)</sup> - St. Anthousa daughter of Constantine V.

- سيرة القديسة أنتوسا من مانتين<sup>(٢)</sup>.

St. Antousa of Mantine.

- سيرة القديسة أثناسيا الإيجينية<sup>(٣)</sup>

St. Athanasia of Aegina.

- سيرة القديس كيريل الفيليوني<sup>(٤)</sup>.

St. Cyrille le Phileote.

- سير القديسين ديقيد ، وسيميون ، وجورج اللسبوسيين<sup>(٥)</sup>.

١- عنها أنظر: The life of St. Anthous Daughter of Constantine V, Trans . by N. Constas, in Talbot (ed.), Byzantine Defenders of Images Eight Saints Lives in English Translation Washington 1998, pp. 21-24 .

٢- عنها أنظر: The life of St. Anthousa of Mantineon in Byzantine Defenders of Icons, pp. 13-20 .

٣- عنها أنظر: The Aegina , Trans. by L.F. Sherry, in Talbo (ed.) Holy woman of Byzantium, pp. 137-158 .

٤- عنها أنظر : La Vie de Saint Cyrille Le Phileote Mione Byzantim 1100) , Trans. E. Sargoloyos , Brussel 1964 .

٥- عنها أنظر: The Life of Sts . David , Symeon and George of Lesbos . Trans. by D. Do-miugo- A. Foraste and D. Abrahamse , in Byzantine Defenders of Images , pp. 143-241 .

St. David , St. Symein, St. Georye of Lesbos .

- سيرة القديس أيونيكيوس <sup>(١)</sup>.

St. Ioannikios .

- سيرة الإمبراطورة القديسة ايرين <sup>(٢)</sup>.

St. Irene.

- سيرة القديسة ايرين كريسوبالتون <sup>(٣)</sup>.

St. Irene Abbess of Chrysobalantum.

- سيرة القديسة ماريا أو (مارينوس) <sup>(٤)</sup>.

St. Maria Marinos

- سيرة القديسة مريم المصرية <sup>(٥)</sup>:

St. Mary of Egypt .

- سيرة القديسة ثيودور السالونيكية:

St. Theodora of Thessalonike

- سيرة القديسة مريم الصغرى <sup>(٦)</sup>.

١- عنها أنظر: The Life of St. Ioannikios Talbot ces., Trans. by D.F. Sullivan in Talbot (ed.), Byzantine Defenders of Images, pp. 243-391 .

٢- عنها أنظر : La Vie de L'imperatrice Sainte Irene , et Trans. by F. Halkin, A.B 106 , 1988, pp. 5-27 .

٣- عنها انظر: The lif St. Irene Abbess of Chrysobalanton , Trans. by J.O. Resenquist uppsala, 1986 .

٤- عنها أنظر: Life of St. Mary / Marinos , in Talbot (ed.), Holy women of Byzantium, pp. 1-12 .

٥- عنها أنظر: Life of St. Mary of Egypt , in Talbot (ed.), Holy Women , pp. 65-93 .

أيضاً : طارق منصور «ماريا المصرية نموذج للقصص الديني في العصور الوسطى» ، ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطي، أولاً : الأدب، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٤٦ ، ص ٦٥ .

St. Mary The Younger.

٦- Life of St. Theodora of Thessalonike, in Talbot (ed.), Holy woman pp. 159-237 .

- سيرة القديسة ثيودورا الأرتية<sup>(١)</sup>.  
St. Theodora of Arta.
  - سيرة القديسة أثاناسيا الأيجينية<sup>(٢)</sup>.  
St. Athanasia of Aegina.
  - سيرة القديسة ماترونا البرجية<sup>(٣)</sup>.  
St. Matrona of Perge.
  - سيرة القديسة ثيوكتسني الليسبوسية<sup>(٤)</sup>.  
St. theokliste of Lesbos.
  - سيرة القديسة تومايوس اللسبوسية<sup>(٥)</sup>.  
St. Thomais of Lesbos
  - سيرة القديسة إليزابيث صانعة العجائب<sup>(٦)</sup>.  
St. Elisabeth the Wonderworker
- وهناك في مجال كتابات سير القديسين مصدر مهم في صورة:

جاكوبوس القوراجيني Jacobus de Voragine وتحت عنوان : The Golden Legend or Lives of Saints.

وقد ألفه في عام ١٢٧٥م وتم نشره عام ١٤٧٠م.

وقمت ترجمته إلى الإنجليزية على يدى وليم كسون William Caxton ونشر عام ١٤٨٣م، ويلاحظ أنه يقع في ٧ مجلدات كاملة<sup>(٨)</sup>.

- ١- Life of St. Mary The Younger , in Talbot (ed.) Holy women, pp. 239-290 .
- ٢- Life of St. Theodora of Aegina, in Talbot (ed.), Holy Women , pp. 323-333 .
- ٣- life of St. Athanasia of Aegina, in Talbot (ed.) , Holy Women , pp. 137-158 .
- ٤- عنها أنظر : Life of St. Marona of Perge, in Talbot (ed.) Holy Women, pp. 13-64 .
- ٥- عنها أنظر : Life of St. Theokliste of Lesbos in Talbot (ed.) Holy Womeen , pp. 95-116.
- ٦- عنها أنظر : Life of St. Thomais of Lesbos, in Talbot (ed.), Holy Women pp. 291-322.
- ٧- عنها أنظر : Life of St. Elisabeth the Wonder worker , in Tlabot (ed.) Holy Women, pp. 117-136 .
- ٨- عبد العزيز رمضان ، «مدخل إلى مواقع الدراسات البيزنطية على شبكة الانترنت، حولية التاريخ الإسلامية والوسيط، م (٣) ، عام ٢٠٠٣م ص ٨٣ .



## ثانياً : المصادر اللاتينية :

مجهول<sup>(١)</sup> ، مؤلف Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum<sup>(٢)</sup> أى أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس.

والمؤلف أحد الجنود الذين شاركوا فى الحملة الصليبية الأولى ، ووصف بأنه من أتباع الزعيم النورمانى بوهيمند Bohemond ابن روبرت جويسكارد Robert Guiscard وبعد الكتاب المذكور مصدراً أساسياً من مصادر الحملة الصليبية الأولى وبالتالي لا يمكن إغفاله فيما يتصل بالعلاقات البيزنطية اللاتينية<sup>(٣)</sup>.

أوردريك ثيتاليس<sup>(٤)</sup> Ordericus Vitalis مؤلف كتاب Historia Ecclesiastica :

١- عن المؤلف المجهول أنظر: مقدمة الترجمة العربية التى أعدها حسن حبشى ، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ط. القاهرة ١٩٧٠م ، ص ٩-١٦ ، ويلاحظ أن الطبعة الأولى صدرت بالقاهرة ، عام ١٩٥٨م ، محمود الروبضى ، إمارة الرها الصليبية ، ط. مؤتة ٢٠٠٢م ، ص ٢٥-٢٦ .

٢- توجد ترجمة إنجليزية للمصدر المذكور من جانب روزالين هل ، وصدرت فى لندن عام ١٩٦٢م ، أنظر:

Anonymous , The Deeds of the Franks and Other Pilgrims, Trans by R. Hill, London 1962 .

ويلاحظ أن كراى قام بنشر فقرة كانت مفقودة من التاريخ المذكور، أنظر:

Krey , " A Naglected Passage in The Gesta and its Beating on The literature of the First Crusade , in the Crusades and other Historical Essays Presented to Dana C. Munro by his Former Students , New York 1928 , pp.

٣- أوردريك ثيتاليس مؤرخ إنجليزى ولد فى إنجلترا عام ١٠٧٥م لأب نورماندى وأم إنجليزية ، وقد درس فى شروسبرى Shrewsbury فى صغر سنه ، وأرسله أبوه إلى نورمنديا ليصبح راهباً فى دير القديس أفرول St. Evroul وألف تاريخه بناء على طلب روجر أوف لى ساب Roger of le Sap أسقف دير أفرون ١٠٩١-١١٢٧م ، ومات أوردريك عام ١١٤٣م ، عنه أنظر: محمود الروبضى ، إمارة الرها الصليبية ، ص ٣١ ، حاشية (٣) . سرور عبد المنعم ، السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك =

أى التاريخ الكنسى. ويتكون من ثلاثة عشر فصلاً وقام بتأليفه ذلك المؤرخ الإنجليزى بين عامى ١١١٤-١١٤١م، ويعد مصدراً مهماً عن العلاقات بين الصليبيين ، والبيزنطيين خاصة خلال أحداث الحملة الصليبية الأولى ، وما تلاها من أحداث .

ومع ذلك؛ يوجه للمؤرخ وكتابه النقد من خلال عدم التزامه بالتسلسل الزمنى للأحداث .

ويكهارد Ekkehard <sup>(١)</sup> مؤلف كتاب <sup>(٢)</sup> Hierosolymitana ؛ أى بيت المقدس ويعد الكتاب المذكور مصدراً من مصادر الحملة الصليبية الأول . وكذلك أمر العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والصليبيين خلال تلك المرحلة من تاريخ الصليبيين فى الشرق وعلى نحو خاص علاقة الأمير الصليبي تانكرد مع تلك الامبراطورية خلال عهد الكسيوس كومنين (١٠٨٠-١١١٨م).

رادولف دى كاين <sup>(٣)</sup> Radulf de Caen

= الانجوى ١١٣١م - ١١٤٣م / ٥٢٦ - ٥٣٨ هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م، ص ٤ ، حسين عطيه، اماره انطاكية والمسلمون ، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م. ص ٣١ .

١- إيكهارد ؛ مؤرخ ألماني من مدينة مين Main، وارتبط بالرهنة وصار مرتبطاً بدير مدينة أورا، عنه أنظر:

Cahen, la Syrie du nord a l'époque des croisades, paris 1940, p. 11 .

السيد الباز العرينى ، مؤرخو الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ص ٦٠ .

R.H.C., Hist. Occ. , vol . V .

٢- يوجد فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية ، المؤرخون الغربيون ، الجزء الخامس .

٣- رادولف دى كاين ؛ ولد فى مدينة كاين Caen بفرنسا عام ١٠٨٠م تقريباً ، واتجه إلى سلك الرهنة ، وقد رافق بوهمند خلال حملته على بيزنطة عام ١١٠٧م، ثم توجه إلى بلاد الشام عام ١١٠٨م ، حيث مكث بها إلى أن توفى بعد عام ١١٣١م ، عنه أنظر:

مؤلف كتاب Gesta Tancardi<sup>(١)</sup> أي أعمال تانكرد.

ويعد من المصادر المهمة عن الحملة الصليبية الأولى، والعلاقات المبكرة بين البيزنطيين، والصليبيين خاصة في علاقة الأمير تانكرد مع الإمبراطور الكسيوس كومنين، وبالتالي يفيد في تتبع جذور ما عرف بالمشكلة الأنطاكية في السياسة البيزنطية؛ وهي التي سنتناولها فيما بعد بشئ من التفصيل.

جيبيرت أوف نوجنت<sup>(٢)</sup> Guilbert de Nogent مؤلف كتاب Gesta Dei per Fron-cos<sup>(٣)</sup>.

وقد عالج المؤرخ المذكور في كتابه أحداث المرحلة الممتدة بين عامي ١٠٩٥م، ١١٠٤م، وعلى الرغم من عدم مقدمه إلى الشرق؛ إلا أنه اعتمد على روايات شهود العيان الذين شاركوا في أحداث الحملة الصليبية الأولى، وبصفة عامة؛ يعد الكتاب المذكور من مصادر تلك الحملة وأمر العلاقات بين الجانبين البيزنطي والصليبي.

أودو أوف دل Odo of Deul<sup>(٤)</sup>.

= محمود الرويضي، إمارة الرها الصليبية، ص ٢٨، حاشية (١)، السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية، ص ٥٦-٥٧.

Sybel, The History and Literature of The Crusades, Trans. by Duff Grdon, London 1861, p. 147.

١- يوجد التاريخ المذكور في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية المؤرخون الغربيون، الجزء الثالث R.H.C., Hist. Occ., Vol. III.

٢- جيبيرت أوف نوجنت؛ ولد في كلير مونت Clermont بفرنسا عام ١٠٥٣م وانحدر من إحدى الأسرات النبيلة، ودخل سلك الرهبنة، وقد صار رئيساً لأحد الأديرة، توفي عام ١١٢٤م. عنه أنظر: محمود الرويضي، المرجع السابق، ص ٣٣، حاشية (٣)، السيد الباز العريني، السيد الباز العريني، المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦.

Sybel, op. cit, p. 122.

٣- يوجد التاريخ المذكور في مجموعة الحروب الصليبية والمؤرخون الغربيون الجزء الرابع. R.H.C., Hist, Occi, vol VI.

٤- أودو دي دول، راهب فرنسي بندقتي من دير القديس دنيس St. Denis ولد عام ١١٠٠م، من أصول اجتماعية متواضعة وقد خدم الملك الفرنسي لويس السابع Louis VII (١١٣٧-١١٨٠م) كسكرتير وقسيس خلال أحداث الصليبية الثانية، التي إنجذبت إلى الشرق بعد أن تمكن المسلمون بقيادة عماد الدين =



وله كتابه De Profectione Ludovici VII in Orientem<sup>(١)</sup>.

أى ؛ أعمال لويس السابع فى الشرق وهو مؤرخ حملة ذلك الملك الفرنسى (١١٣٧-١١٨٠م) إلى بلاد الشام المعروفة بالصليبية الثانية (١١٤٧-١١٤٩م) .

بصفة عامة؛ يعد الكتاب المذكور مصدراً تاريخياً أساسياً لدراسة تطور العلاقات البيزنطية اللاتينية فى أخريات النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى من خلال وجهة نظر فرنسية بطبيعة الحال.

ويلاحظ أن ذلك المؤرخ يكشف لنا فى ثنايا كتابه عن تطور الصراعات بين بيزنطة والغرب الأوروبى منذ القرن الثانى عشر الميلادى ومع ذلك ؛ يؤخذ عليه تعصبه الشديد للعناصر اللاتينية، وكذلك البابوية ضد البيزنطيين، وكذلك كنيسة القسطنطينية وعلى حين وصف الإمبراطور مانويل كومنين بأنه إمبراطور القسطنطينية ؛ نجده قد زاد فى مديحه لروجر الثانى ملك صقلية Roger II of Sicily ؛ وهو العدو اللدود للإمبراطورية البيزنطية<sup>(٢)</sup>، ولانزع فى أن الصراع السياسى ، والخلاف الدينى المذهبى ؛ إنعكس بدوره على المصادر التاريخية التى وصلت إلينا من ذلك العصر فكان هناك سجل بين مؤرخى كل فريق .

وإلى جانب ذلك ؛ نجد أن ذلك المؤرخ يقدم لنا وصفاً مهماً للعاصمة البيزنطية على نحو يفيد فى تتبع التطور التاريخى لعمرانها خاصة خلال أواسط القرن ١٢م.

---

= زنكى من السيطرة على الرها ، وخلال صحبته ألف كتابه كتاريخ لأعمال لويس السابع فى الشرق، وقد صار رئيساً للدير المذكور عام ١١٥٢م، وتوفى عام ١١٦٢م.

عن أودو دي دول أنظر: O.D.B., vol . 3, p. 1512 .

عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية، ص ٣٢-٣٣ . ؛ شعبان محمد خلف ، هنجاريا والحروب الصليبية (١٠٩٦-١٢١٨م / ٤٨٩-٦١٤هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة المنيا عام ٢٠٠٤م، ص ١١ ، ومقدمة الترجمة الانجليزية.

١- أنظر الترجمة الإنجليزية:

Odo of Deuil , De Profectione Ludovici VII in Orienten, ed. and Trans. by V. Berry, New York 1948 .

٢- عادل زيتون ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .

فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres (١).

مؤلف كتاب : Gesta Francorum Itherusalem Peregrinantium (٢). أى : أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس. وبعد كتابه من المصادر اللاتينية الرئيسية عن التاريخ المبكر للعلاقات بين بيزنطة والغرب الأوربي فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى، والربع الأول من

١- فوشيه الشارترى : ولد بفرنسا حوالى عام ١٠٥٩م وشارك فى الحملة الصليبية الأولى وهناك اعتقاد عن حضوره مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥م وقد رافق بلدوين دى بويون وأقام معه فى الرها Edessa حيث حكمها قرابة العامين، ومن بعد ذلك انتقل معه إلى بيت المقدس حيث حكمها بعد رحيل شقيقه جودفرى دى بويون وصاحب بلدوين الأول حتى وفاته عام ١١١٨م ومكث فى تلك المدينة المقدسة حتى عام ١١٢٧م ، عنه أنظر:

Fulcher of Chartres, A History of the Expedition to Jerusalem , Trans . by Frances Rita Rian , Tennessee 1969, pp. 3-56 .

فوشيه الشارترى ، تاريخ الحملة إلى القدس ، ت. زياد العسلى ط. عمان ١٩٩٥م، ص ١٠-١٢ .  
السيد الباز العرينى ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ص ٣٧-٤٤ ، على أحمد السيد، الخليل والحرم الإبراهيمى فى عصر الحروب الصليبية، (١٠٩٩-١١٨٧م / ٤٩٢-٥٨٣هـ) ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ٢٨ ،  
حاشية (٢) ، نور الدين خاطوم، المدخل إلى التاريخ، ط. دمشق ١٩٦٥م، ص ٤١١ ، محمد مؤنس عوض،  
التنظيمات الدينية الحربية فى مملكة بيت المقدس اللاتينية ، القرنين ٦ ، ٧هـ / ١٢-١٣م، ط. رام الله ٢٠٠٤م، ص ٢١ ، إغارات أسراب الجراد وأثرها فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ١١١٤-١١٥٩م  
٥٠٩-٥٥٤هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م ، ص ٥٠-٥١ ، حاشية (٣) ، جلال حسنى سلامه، عكا أثناء الحملة  
الصليبية الثالثة، ط. نابلس ١٩٩٨م، ص ٢٥ ، سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية فى بيت المقدس  
الصليبية ١٠٩٩-١٢٩٠م / ٤٩٢-٦٩٠هـ ط. الاسكندرية ١٩٩٠م، ص ، نابلس الأوضاع السياسية  
والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠هـ / ١٠٩٩-١٢٩٠م، ط. عمان  
١٩٩٠، حاشية (١٠) ، ص ٢٨ ، «الاستيطان الفرنجى فى بيت المقدس والمناطق المحيطة بها ١٠٩٩-  
١١٨٧م». ضمن بحوث فى تاريخ العصور الوسطى ، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران  
تحرير على أحمد السيد، وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٢٨٧ ، (حاشية (١) . محمود  
الرويسى، إمارة الرها الصليبية ، ص ٢٠-٢٥ ، مفيد الزيد، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية ، ط. عمان  
٢٠٠٤م، ص ٢٢٩ .

٢- الترجمة الانجليزية أشرت إليها من قبل وهناك ترجمتان إلى العربية الأولى إعداد قاسم عبده قاسم  
والثانية أعدها زياد والعسلى ، وعنوانها على التالى : تاريخ الحملة إلى القدس، ط. عمان ١٩٩٥م، سنة  
١٩٩٠م. الوجود الصليبي فى الشرق العربى، الاستيطان الصليبي فى فلسطين تاريخ الحملة إلى بيت المقدس  
١٠٩٨-١١٢٧م ، ط. الكويت، ١٩٩٣م.

القرن الثانى عشر الميلادى وقد عاصر ذلك المؤرخ عهد كل من الكسيوس كومنين (١٠٨٠-١١١٨م) وحنا كومنين (١١١٨-١١٤٣م) ويلاحظ أن تاريخه يتوقف عند عام ١١٢٧م. وقد شارك فى الحملة الصليبية الأولى، ويعد كتابه مصدراً أساسياً عن أحداثها .

- رايوندا اجيل Raymond d'Aguilers <sup>(١)</sup> مؤلف كتاب تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس:

Historia Francorum qui Cepurunt Therusalen

شارك المؤرخ المذكور فى أحداث الحملة الصليبية الأولى خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٠٩٥ ، ١٠٩٩م، ويعد كتابه من المصادر التاريخية الأساسية عن العلاقات بين الغرب الأوروبى وبيزنطة خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الحروب الصليبية.

- روبرت كلارى Rober of Clari <sup>(٢)</sup> له كتاب سقوط القسطنطينية - The Fall of Constantinople <sup>(٤)</sup>.

١- عن رايوندا اجيل أنظر: مقدمة الترجمة العربية التى قام بها حسين عطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م.

٢- وتوجد ترجمة إنجليزية للكتاب من جانب جون هل ولورين هل وصدرت فى فيلادلفيا ١٩٦٨م .

Raymond d'Aguilers, Historia Francorum , Trans. by John Hill and Laurita Hille, Philadelphia 1968 .

كما أن له ترجمة عربية قام بها حسين عطية أنظر:

رايونداجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ت. حسين عطية ط. الاسكندرية ١٩٩٠م.

٣- روبرت كلارى : ولد فى كلارى Clari وهى التى تعرف باسم Clery- les- Pernois ، ويعد المؤرخ الفرنسى للصليبية الرابعة ١٢٠٣-١٢٠٤م، وقد شارك فيها على اعتبار أنه فصل تابع لبطرس الاميانى Pe- ters of Amiens ، وقيم بعد عاد أدراجه إلى فرنسا، ومن المحتمل أن ذلك حدث عام ١٢٠٥م. وقد توفى بعد عام ١٢١٦م، عنه أنظر : O.D.B., vol . 2, p. 1799

٤- توجد ترجمة إنجليزية أعدها مكنيل وصدرت فى نيويورك عام ١٩٣٦م، أنظر:

Robert Clari , The Conquest of Constantinople , Trans. by E.H. McNeal, New York 1936 .

وهناك ترجمة عربية قام بها حسن حبشى أنظر:

روبرت كلارى، فتح القسطنطينية ، ط. القاهرة ١٩٦٤م.



ويعد مصدراً يتسم بالأهمية عن أحداث الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية عام ١٢٠٤م على أيدي اللاتين ، ويلاحظ أنه يتفق مع جوفري أوف فلهاردوين فران تحول الحملة إلى القسطنطينية حدث نتيجة تطور بعض الأحداث ولم يحدث من خلال مؤامرة بندقية<sup>(١)</sup>.

جوفري أوف فلهاردوين Geoffry of Villeharduin<sup>(٢)</sup> وله كتاب The Conquest of Constantiople<sup>(٣)</sup> أي غزو القسطنطينية.

الكتاب المذكور ، مصدر أساسي لأحداث الحملة الصليبية الرابعة وسقوط العاصمة البيزنطية خلالها عام ١٢٠٤م بالإضافة إلى ما كتبه روبرت كلاري Robert of Clari ومجموعة مصادر معاصرة أخرى، ويقدم لنا فلهاردوين وجهة نظر فرنسية لتلك الأحداث .  
أوتو الفريزي<sup>(٤)</sup> Otto of Freising

O.D.B., vol. ii, p. 1799 .

-١

٢- جوفري أوف فلهاردوين ؛ مؤرخ فرنسي ، ولد بالقرب من تروى Troyes قبل عام ١١٥٢م، ويعد المؤرخ الفرنسي للحملة الصليبية الرابعة، وقد توفي فيما بين عامي ١٢١٢، ١٢١٨م عنه انظر: O.D.B., vol 3, p. 2169.

Bear, Villehardouin : Epic Historia, Geneva 1968 .

٣- توجد طبعة فرنسية قام بها فرال أنظر: . Villeharduin, la Conquete de Constantinople , cd . E. Farrat , 2 vols , Paris 1938-1939

توجد ترجمة إنجليزية Villeharduin, Chronicles of the Crusades, Trans. by Shaw, Penguin Book, London 1963 .

وهناك ترجمة عربية قام بها حسن حبشي، تحت عنوان : مذكرات فلهاردوين فتح القسطنطينية ، ط. جدة ١٩٨٢م.

٤- أوتو الفريزي ؛ ولد عام ١١١٤م ،، وفيما بعد عمل كأسقف فريزنج، ويلاحظ أنه عم الامبراطور فردريك بارباروسا ونعرف أنه ألف كتابين شهيرين هما: كتاب المدينتين ، وأعمال الامبراطور فردريك الأول، ويعتبره هاري المز بارتز أول فيلسوف للتاريخ يستحق الذكر في العصور الوسطى، ومن المتصور أن ذلك القول يحوى مبالغة واضحة . وقد توفي ذلك المؤرخ عام ١١٥٨م تقريباً ، عنه أنظر: جوزيف دهموس، سبعة مؤرخين في العصور الوسطى، ت . محمد فتحي الشاعر، ط. القاهرة ١٩٨٩ م، ص ١٢١-١٥٢ .

مؤلف كتاب The Deeds of Frederick Barbarossa<sup>(١)</sup> أى أعمال فردريك بارباروسا ، وهو امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة خلال المرحلة من ١١٥٢ إلى ١١٩٠م وقد دخل فى علاقات عدائية - بصورة متعددة- مع الإمبراطورية البيزنطية ووصل الأمر إلى حد الصدام المسلح بين قواته والبيزنطيين ، بل فكر جدياً فى غزو القسطنطينية دون أن يتمكن من تحقيق ذلك.

وليم الصورى William of Tyre<sup>(٢)</sup>.

مؤلف كتاب : Historia Rerum Impartibus Transmarinis gestarum.

=عبد اللطيف عبد الهادى السيد، «دراسة نقدية لمنهج الكتابة التاريخية عند جاك دى فترى» ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى تحرير محمد مؤنس عوض، ط. القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٦٧ . هارى المزبارتز، تاريخ الكتابة التاريخية، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

١- الترجمة الانجليزية : Otto of Frising , The Deeds of Frederick Barbarossa, Trans. by : Charles Microw , Toronto 1966 .

٢- وليم الصورى : هو المؤرخ الرسمى لمملكة بيت المقدس الصليبية فى القسم الأكبر من القرن ١٢م ، ولد فى بيت المقدس عام ١١٢٧م من أبوين فرنسيين ، وينبغى التفرقة بين اثنين من الأشخاص حملوا اسم وليم الصورى ، أولهما وليم الصورى ؛وهو إنجليزى شغل منصب حارس القبر المقدس A Historian والثانى المؤرخ الصليبي البارز وقد كان مؤرخاً على معرفة بسميه الانجليزى، وقد تلقى مؤرخنا تعليمه الأولى فى إحدى المدارس التابعة للأديرة وفيما بعد سافر إلى الغرب الأوربي حيث تتلمذ هناك على مراكز العلم خلال نهضة القرن الثانى عشر . لمدة عشرين عاماً فيما بين عامى ١١٤٦م-١١٦٥م ، وعندما عاد أدراجه إلى المملكة الصليبية خلال عهد الملك عمورى الأول ١١٦٣م-١١٧٤م جعله مؤدباً لابنه بلدوين الرابع، وطلب منه تأليف تاريخ للمملكة الصليبية وبالفعل ألف تاريخ الأعمال وتاريخ الأمراء الشرقيين والأخير مفقود ، وقد مات مسموماً فى ١٩ سبتمبر عام ١١٨٦م كما قرر البعض ، عنه أنظر:

Edbury and Rowe , William of Tyre Historian of the latin East, Cabridge, 1988, pp. 13-173.

Krey. " William of Tyre , The making of an historian in the Middle Ages", S. vol . XVI,

1941 . pp. 149-166 , Davis", William of Tyre' in Barker (ed) , Relations between East and

West i the Middle Ages , Edinburgh 1973 , pp. 64-75 , Vissey , " William of Tyre and the

art of Historiography" M.S., vol XXXV, 1973 , pp. 433-455 , Edbury," William of Tyre, A

Historian, of the Crusades and the Kingdom of Jerusalem (1130-1148), B.F.A.A.U., 1988,

pp. 43-52 . =

وترجمته الانجليزية A History of deeds done beyond The Sea وهو عمدة مؤرخى الصليبيين فى القرن الثانى عشر الميلادى، وقد عمل رئيساً لأساقفة صور Tyre وهو مؤرخ يعد مصدراً أساسياً للعلاقات البيزنطية - الأنطاكية- الإيطالية خاصة خلال المرحلة الممتدة بين عامى ١١٢٧م ، ١١٨٤م . وقد شارك ذلك المؤرخ فى سفارات دبلوماسية ومؤتمرات إلى كل من روما والقسطنطينية ولذلك وصف بأنه صاحب إطلاع واسع على تطور العلاقات بين البيزنطيين والغرب الأوربي<sup>(١)</sup>.

ويعتبر كتابه<sup>(٢)</sup> مصدراً أساسياً لاغنى عنه لتاريخ العلاقات الصليبية - البيزنطية منذ بداية اندلاع الحروب الصليبية حتى ثمانينيات القرن ١٢م خاصة خلال أحداث الحملتين الأولى، والثانية ، ويلاحظ كراهيته الشديدة لبيزنطة على نحو خاص، ويعدها دوماً خائنة للصليبيين.

---

Hammad , Latin and Muslim Historiography of the Crusades, Acomperative Study of William of Tyre and 127 Addin Ibn Alathir , ph. D., Pennsylvania Universty 1987 .

وهناك فصل مترجم منها فى الكتاب الآتى : منى حماد ، «وليام الصورى والصراع الفرنجى الإسلامى ١٠٩٩-١١٨٤م»، ضمن كتاب أبحاث ودراسات فى التاريخ العربى مهداة إلى ذكرى مصطفى الحيارى، ١٩٣٦-١٩٩٨م، تحرير صالح الحمارنة، الجامعة الأردنية ط. عمان ٢٠٠١م، ص ٢٥٣-٢٧٥ .

وهى دراسة قيمة لمؤرخه أردنية متميزة وتتمنى أن تكمل ترجمة فصول الرسالة الجديدة بالترجمة.

سمايلى ، المؤرخون فى العصور الوسطى، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص ١٨٦-١٨٧ ، عمر كمال توفيق ، «المؤرخ وليم الصورى» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية م(٢١) . عام ١٩٦٧م تقديم حسن حبشى الوافى للترجمة العربية لتاريخ وليم الصورى ج ١، ص ١٠-٤٠ ، محمد مؤنس عوض ، وليم الصورى مؤرخاً للقلع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية فى المرحلة من ١١٣٧-١١٥٠م / ٥٣٢-٥٤٥هـ . سلسلة دراسات شرق أوسطية مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس ، ط. القاهرة ١٩٩٥م، الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية ط. عمان ١٩٩٩م، ص ٦٣-١٠٤ ، محمد الرويضى ، إمارة الرها الصليبية ، ص ٣٩-٤٢ .

١- عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٣٥ .

٢- فيما يتصل بكتاب وليم الصورى نجد أن النص اللاتينى يوجد فى مجموعة مؤرخى الحروب

الصليبية، المؤرخون الغربيون ، المجلد الأول، R.H.C., T.I, Hist. Occ.



بنيامين التطيلي<sup>(١)</sup> Benjamin of Tudela ، وله رحلته<sup>(٢)</sup>.

= وهناك ترجمة إنجليزية قام بها بابكوك وكراي وصدرت في نيويورك عام ١٩٤٨م تحت عنوان:  
A History of deeds done Beyond The Sea , Trans . by E.A. Babcock and A.B. Krey , 2 vols  
., New York 1948 .

كذلك اهتم هاينز بنشر ترجمة أخرى لتاريخ وليم الصوري أنظر:  
Guillaume de Tyre, Chronicon, ed. Robert B.C. Haygens, Corpus  
Continatiorum, 2 vols ., Turnhout 1986 .

كذلك لا تغفل اهتمام هاينز السابق بنشر الفصل المفقود في تاريخ وليم الصوري عن ذلك أنظر:  
= Huygens , : La Tradition manuscrite de Guillaume de Tyr" S.M., , ser. 3, no . 5, 1964,  
pp. 281-373 .

وهناك ترجمتان عربيتان في صورة جهد كل من سهيل زكار ، ط. دمشق ١٩٩٠م حسن حبشي، (٤)  
أجزاء ج ١، ط. القاهرة ١٩٩١م، ج ٢، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ج ٣، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ج ٤، ط. القاهرة  
١٩٩٥م. ويلاحظ أن المترجم الأخير زود ترجمته بتعليقات ثرية وقيمة.

١- بنيامين التطيلي : هو الربى بنيامين ، ووالده يدعى يوحنا Jonah؛ رحالة يهودى أسباني ارتحل إلى  
الشرق من مدينة تطيلة Tudela، وقام بالتجوال في مناطق متعددة في جنوبي فرنسا، وإيطاليا واليونان وبلاد  
الشام والعراق ومصر وغيرهما، ثم عاد أدراجه إلى أسبانيا في سبعينيات القرن الثاني عشر الميلادي، وقد  
تصورت خطأ في بعض كُتبي السابقة أنه من طليطلة والصواب ما أثبتته هنا، عنه أنظر:

Ency . Jud., " Benjamin of Tudela" Jerusalem 1973 , vol . IV , pp. 535-538 .

Wright, Early Travels in Palestine London 1848, p. 63 .

Roth, Ashort History of the Jewish People , London 1953 , p. 16 .

Mayer, Bibliographie Zur Geschichte der Krenzzuge , Hannover 1965 . p. 65.

Rohricht , Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heillgen Landes , Bezu-  
glichen Literatur , von 333 Bis 1878. Berlin 1878, pp. 37-38 .

صلاح الدين المنجد ، المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، ط. بيروت ١٩٦٣م،

ص ٢٨ .

٢- هناك ترجمة إنجليزية لرحلة بنيامين التطيلي قام بها رايت في كتابه عن الرحلات المبكرة في فلسطين  
الصادر في لندن ١٨٤٨م والمشار إليه من قبل.

كما أن هناك ترجمة عربية على يدي عزرا حداد، وصدرت في بغداد عام ١٩٤٥م، كذلك أعيد نشر  
الترجمة المذكورة مع مقدمة من جانب عبد الرحمن عبدالله الشيخ، وصدر من المجمع الثقافي أبوظبي عام  
٢٠٠٢م.

وقد قدم إلى الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) ، ووصف أهم معالم العاصمة البيزنطية حينذاك ، وأفادت رحلته في إلقاء الضوء على الحضارة البيزنطية ومظاهرها العمرانية في عهد أسرة آل كومنين.

وهكذا : يتأكد لنا أن الرحلات من المصادر الأساسية في التاريخ البيزنطي حيث زار القسطنطينية عشرات الرحالة الذين دونوا رحلاتهم واهتموا بجوانب لم تهتم بها حوليات المؤرخين ولذا نقول أن الرحلة - وبحق - هي عين الجغرافيا المبصرة .

٦٣- مارينوسانودو Marian Sanudo <sup>(١)</sup> مؤلف كتاب *Secreta Fidelium Crucis* أي: أسرار للصليبيين الحقيقيين <sup>(٢)</sup> وقد قدمه إلى البابا كليمنت الخامس Clement V (١٣٠٥-١٣١٤م) .

كما ألف تاريخاً لاتينياً عن الإمارة الفرنجية وبيزنطة، وظل قائماً على أساس ترجمة بندقية بعنوان :

*Istoria del regno di Romania* ويلقى أضواءً كاشفة فريدة على دور ميخائيل الثامن -Mi-chael VIII في إستعادة القسطنطينية .

١- مارينو سانودو الملقب بالكبير *The Elder* ، تاجر ودبلوماسي ومؤرخ بندقى ، ولد عام ١٢٧٠م. ومات بعد ٩ مارس ١٣٤٣م، وقد انحدر من عائلة بندقية أرستقراطية ونعلم أنه ارتحل إلى مناطق متعددة في نطاق البحر المتوسط خلال المرحلة الممتدة من عام ١٢٨٩م إلى ١٣٣٣م ، وكان يدعو إلى القيام بحملة صليبية ضد مصر كذلك دعا إلى وحدة الكنائس ، وقد توفي عام ١٣٤٣م، عنه أنظر : جمال فاروق الوكيل، تطور استراتيجية الحروب الصليبية في القرن الرابع عشر الميلادى في ضوء كتابات مارينو سانوتو، رسالة جامعة طنطا عام ٢٠٠٦م، ص٥٨-٥١ . وانظر بعض الرسائل المترجمة ص١٣٣-١٥٩ . حسين السيد متولى النحال، الحروب الصليبية المتأخرة على مصر وتونس في أواخر العصور الوسطى ١٣٦٥-١٤٠٧م ، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس ج. ١٩٩١م، ص١١٥-١١٧ .  
O.D.B., vol . III, p. 1840 .

محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوروبيون في العصور الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص١٠٣-١٠٩ .

٢- هناك ترجمة إنجليزية قام بها أوبرى ستيوارت انظر :

Marino Santo, Secrets for True Crusaders to help Them to recover The Holy land Aubrey Stewart , P.P. T.S. vol V 2 , london 1896 .

وهناك ترجمة عربية غير مكتملة ، أنظر مارينو سانتو . كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها ت. الأب سليم رزق الله . ط. بيروت ١٩٩١م.

كذلك ينسب له تأليف تاريخ مختصر باللاتينية عن ضعف ، وإنهيار الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية<sup>(١)</sup> وجهود بلدوين الثاني Baldwin II (١٢٢٨-١٢٦١ م) .  
ولمارينو سانودو رسائله<sup>(٢)</sup> ، وتبلغ (٤٢) ، رسالة كتبها فيما بين أعوام ١٣٢٣م ، ١٣٣٦-١٣٣٧م ، خاطب فيها - على سبيل المثال - أندرونيكوس الثاني باليولوجوس An-dronicos II Palaiologos ، وستيفن سيروبولوس Stephen Syropoulos وجيروم الأسقف الفرنسيكان لكافا Jerom. Franciscan bishop of kaffa .

١- عن ذلك التاريخ أنظر نشر سى. هوف له فى برلين عام ١٨٧٣م.

C.Hoph. Chroniques greco romanes , Berlin 1873 .

عن ذلك أنظر: O.D.B.. vol . 3 , p. 1840 .

٢- عن رسائل مارينو سانتو انظر نشرها على يدى سرلينى فى مجلة بيليرفيليا العدد (٤٢) عام ١٩٤٠م.

A. Cerlini, Nuove lettere di Marine Sanudo il Vecchio", La bibliofilia. 42 , 1940, pp. 321-459 .

وكافة هذه المعلومات يجدها القارئ فى:

O.D.B.. vol 3, p. 1873 .

ويلاحظ أن الباحث روى S. Roddy أعد أطروحة للدكتوراه عن مراسلات مارينو سانتو ونوقشت فى جامعة بنسلفانيا عام ١٩٧١م ، انظر:

S.Roddy. The Correspondence of Marino Sanudo Torsello, Ph. D., Sanudo Torsello, Ph. D., University of Pennsylvania 1971 .

O.D.B.. vol . 3, p. 1873 .

عن ذلك



### ثالثاً : المصادر الأرمينية :

متى الرهاوى Matthieu d'Edesse <sup>(١)</sup> وله حوليته Chronique <sup>(٢)</sup>.

عاصر المؤرخ المذكور القرن الثاني عشر الميلادي، ووصف بأنه شاهد عيان لأحداث متعددة مرت بها إمارة الرها أولى الإمارات التي أقامها الغزاة الصليبيون في الشرق وتبدأ حوليته بأحداث عام ٩٥٢م وتمتد حتى عام ١١٣٦م . وقد رتب الوقائع التاريخية وفق التقويم الأرميني اعتماداً على مصادر شفوية ومكتوبة ووفق ما قرره ؛ فقد استغرق ثمانى أعوام في تأليفها .

وعمل جريجورى الراهب Gregory The Priest على تكميلته ووصل بالأحداث حتى عام ١١٦٢م <sup>(٣)</sup>.

١- متى الرهاوى ؛ راهب ومؤرخ ولد في الرها Edesaa، وقد عمل رئيساً لأحد أديرتها ، ومن المقرر أنه كان موجوداً في مدينة كيسوم عام ١١٣٦م، وهو العام الذي قام فيه محمد بن غازى بن الدانشمند بمهاجمتها، وهناك من يقرر أنه توفي خلال حصار الأتابك عماد الدين زنكى لتلك الإمارة الصليبية عام ١١٤٤م، وقد وصف بأنه من شهود العيان لأحداث سياسية ، وحربية مهمة حلت بتلك الإمارة ، وكذلك بالعلاقات بين الأرمن والبيزنطيين عنه أنظر:

فايز نجيب اسكندر ، متى الرهاوى والحملة الصليبية الأولى (١٠٩٥ - ١٠٩٩ م / ٤٨٨ - ٤٩٢هـ)، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. المنصورة ب-ت، ص ١٥-١٦ .  
عليه الجنزورى ، إمارة الرها الصليبية ، ص ٤٤ ، ط. القاهرة ١٩٨٦م ص ١١ ، عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٣٩ ، حسين عطية ، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ط. الاسكندرية ، ص ٦٤ .  
محمود الرويضى ، إمارة الرها الصليبية ، ص ٤٤ ، حاشية (٤) .

٢- للحولية المذكورة ترجمة فرنسية قام بها م.ب. بولكلرين ، وصدرت في باريس عام ١٨٥٨م، عن ذلك انظر:

Mathieu d'Edesse, Chronique de Mathieu d'Edesse (962-1136), avec la Continuation de Gregoire le Pretre Jusque 1162, ed. M.B Bulquier, Paris 1858 .

كما نشر في مجموعة : R.H.C. Hist. Arm, vol . I , pp. 1-150 .

أيضاً : محمد مؤنس عوض ، فصول بيبولوجرافية في تاريخ الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٣٢ .

ATiya, The Crusade, Historiography and Bibliography, London 1962 , p. 42 .

O.D.B., vol . II , p. 1316 .

وبصفة عامة؛ تعد حولية متى الرهاوى مصدراً أساسياً للتاريخ البيزنطى ، والصليبي،  
والتركي فى كيليكييا Cilicia، وآسيا الصغرى Asia Minor<sup>(١)</sup>.

ولاتفعل ؛ أنه عارض الإمبراطورية البيزنطية مثل غيره من المؤرخين الأرمن<sup>(٢)</sup> ، ومع ذلك  
نلاحظ امتداحه لعدد من الأباطرة مثل باسل الثانى وغيره .

- سيبوس Sebeos<sup>(٣)</sup>، تاريخ هرقل Histoire d'Heraclius<sup>(٤)</sup>.

والمؤرخ أرمينى معاصر للفتوحات الإسلامية ضد الإمبراطورية البيزنطية فى القرن السابع،  
وتعد حولية مهمة عن عصر الإمبراطور هرقل، وقد أفاد منه مؤرخ أرمينى آخر هو جيغوند  
Ghevond.

ويلاحظ أن سيبوس تعرض فى تاريخه لمعركة اليرموك عام ٦٣٦م وانتصار المسلمين  
الحاسم فيها ضد البيزنطيين .

- جيغوند Ghevond<sup>(٥)</sup>، كتاب : تاريخ حروب وفتوحات العرب فى أرمينيا؛

Histoire des Guerres et des Conquetes des Arabes en Armenie.<sup>(٦)</sup>

يبدأ تاريخه بعام ٦٣٢م، ويستمر فى إيراد الأحداث التاريخية حتى عام ٧٩٠م ؛ أي  
على مدى ما زاد على قرن ونصف من الزمان . ويوصف ذلك المؤرخ وكتابه بأنه من المصادر  
المهمة فى التاريخ الأرمينى فى العصور الوسطى وتاريخ بيزنطة خلال القرن السابع ، والثامن  
الميلادى.

١- O.D.B., vol. 2, p. 1310 .

٢- عادل زيتون ، العلاقات الكنسية ، ص ٣٩ .

٣- عنه أنظر : O.D.B., vol . III, p. 1863 .

٤- أنظر الترجمة الفرنسية :

Sebeos . Histoire d'Heraclius, Trad. Par F. Macler , Paris 1904 .

٥- جيغوند ؛ عالم لاهوتى ، ومؤرخ عاصر القرن الثامن الميلادى . وعمل مستشاراً للكنيسة الأرمينية  
عنه أنظر:

فايز لجيب إسكندر ، الفتوحات الإسلامية لأرمينية ( ١١-٤٠ هـ / ٦٣٢-٦٦١م ) ، ج ١ ، ط .  
الاسكندرية ١٩٨٣م ، ص ٣-١٣ .

٦- أنظر الترجمة الفرنسية:

Ghevond , Histoire des Guerres et des Conquete des Arabes en Armenie, Trad. Par. G.V.  
Chahnazarians, Paris, 1856

عن ذلك انظر: فايز اسكندر ، المرجع السابق ، ص ٤.

صموئيل من آنى<sup>(١)</sup> Samuel of Ani مؤلف حولية<sup>(٢)</sup> :

وقد تناول فيها الأحداث منذ ميلاد السيد المسيح حتى عام ١١٧٩م، وتعرض خلالها للأحداث التى مرت بأرمينيا وعهود الأباطرة البيزنطيين حتى القرن الثانى عشر الميلادى ، ويفيد كتابه فى دراسة السياسة البيزنطية فى الأناضول ويلاحظ أن الكثيرين من الكتاب الأرمن فى القرن الثالث عشر أفادوا منه مما عكس أهميته، بل إن هناك ذيولاً ألفت لتكملة وقائع تاريخه .

موسى خورنييه<sup>(٣)</sup> Moses Khorenots مؤلف كتاب تاريخ الأرمن<sup>(٤)</sup> History of the Armenians.

---

١- صموئيل بن آنى ، كاتب حوليات وراهب ، لانعرف إلا القليل عن حياته ، ويقال أن البطريرك الأرمينى لكيليكييا Cilicia ويدعى جريجورى Gregory، ومن المحتمل أنه جريجورى الثالث (١١١٣-١١٦٦م) ؛ طلب منه أن يكتب حوليته .

عنه أنظر : O.D.B., vol . 3, p. 1837 - 1838 .

فايز نجيب اسكندر، استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية آنى، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م .

٢- تم نشر الحولية المذكورة فى الباتولوجيا اليونانية P.G 19: 607-742 ، وهناك ترجمة فرنسية ، قام بها م.ف بروسية M.F. Brosset ونشرت فى مجموعة مؤرخى الأرمن، المجلد الثانى، ط. ستراسبورج ١٨٧٦م، أنظر:

C. H.A., vol . II , Strasburg 1876

وأعيدت طباعته فى امستردام عام ١٩٧٩م.

عن ذلك انظر: O.D.B., vol 3, p. 1883

كذلك نجد مقتطفات منها لدى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية . الوثائق الأرمينية R.H.C., Docau-ments Armeniens.

عن ذلك انظر: محمد مؤنس عوض ، فصول بيليوغرافية، ص ٣٣ .

Atiya, Op. cit , p. 43 .

٣- عنه أنظر : محمد عبد الشافى المغربى ، مملكة الخزر اليهودية وعلاقاتها بالبيزنطيين والمسلمين فى العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ٢٠٠٣م، ص ٢٤ .

٤- أنظر الترجمة الإنجليزية للتاريخ المذكور التى أعدها روبرت و. طوسون ، وصدرت فى لندن ١٩٧٨م.



وهو مؤرخ أرمني معاصر للقرن السابع الميلادي، قدم في كتابه إشارات مهمة عن علاقة الإمبراطورية البيزنطية بالقوى السياسية المجاورة لها، ومنها الحزر، ولذلك عد من المصادر المهمة في ذلك القرن الذي شهد تحولات محورية في التاريخ البيزنطي.

### رابعاً : المصادر السريانية :

ميخائيل السرياني<sup>(١)</sup> Michael le Syrien مؤلف حولية Chronique<sup>(٢)</sup>.

= عن ذلك أنظر:

Moses khorenots, History of the Armenians , Trans. and Commentarty on the literary Sources by Robert W. Thomson , London 1978 .

١- ميخائيل السرياني ؛ ولد عام ١١٢٦م ، وفيما بعد ؛ صار راهباً ثم أصبح رئيساً لدير سمعان إلى أن تولى منصب بطريرك أنطاكية على مدى المرحلة الواقعة بين عامي ١١٦٦م إلى ١١٩٩م ؛ أي على مدى ثلاثين عاماً ، وقد ألف عدة مؤلفات دينية خاصة بطقوس الكنيسة السريانية ، وتوفي في العام الأخير عن عمر بلغ نحو ٧٣ عاماً ، عنه أنظر : Atiya, The Crusade, Historiography and Bibliography, p. 43 .

O.D.B., vol . II , pp. 1362-1363 .

Cahen , la Syrie du nord a' L'epoque des Croisades , p. 97 .

حسين عطيه ، إمارة أنطاكية الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣م ، ص٣٠ ، إمارة انطاكية والمسلمون ، ص٦٣ ، محمد مؤنس عوض، فصول بليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٣٣ ، محمود الرويضي ، إمارة الرها الصليبية ، ص٤٨ ، حاشية (٤) ، على العواجي ، مواقف نصارى الشام ومصر من الحروب الصليبية في الفترة من ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م إلى ٦٩٠هـ / ١٢٩١م رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٩٩م ، ص١٦ ، فايز نجيب اسكندر ، الفتوحات الإسلامية الأرمنية ، ص١٠٥ . حاشية (١٨٧) .

٢- قام ج.ب.شابر بترجمة الحولية المذكورة إلى الفرنسية وصدرت في ٤ أجزاء في باريس بين عامي ١٨٩٩م . ١٩٢٤م، عن ذلك انظر:

Michael le Syrien, Chronique du Michael Le Syrien Patriarche Jacobite, d' Antioche (1166-1199) , ed. Trad. Par . J.B. Chabot, 4 vols ., Paris 1899-1924 .

وقد عاصر القرن الثانى عشر الميلادى، وبالتحديد خلال المرحلة الممتدة من ١١٢٦م إلى ١١٩٩م وتعد حوليته بمثابة العمل الرئيسى المتكامل فى اللغة السريانية، وتستمد أهميتها من أهمية مؤلفها الذى عمل بطريقاً لأنطاكية Antioch حاضرة شمالى بلاد الشام على مدى ثلاثة وثلاثين عاماً.

تجدر الإشارة : تألفت الحولية المذكورة من (٢١) كتاباً ألقت على النمط الحولى، وتناول فيها ميشيل السريانى الأحداث منذ بدء الخليقة حتى عام ١١٩٥م، أى حتى وفاته بأربعة أعوام<sup>(١)</sup>.

- ابن العبرى<sup>(٢)</sup> الملطى المعروف باسم بارهبرايوس Barhebraeus

مؤلف كتاب<sup>(٣)</sup> The Chronography of Georgory Abul Farag

وقد تعرض فى تاريخه لجوانب متعددة عن علاقات بيزنطة السياسية الخارجية ومنها صراعها مع المسلمين والصليبيين حتى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى. وله أيضاً : تاريخ مختصر الدول وهو من المؤلفات المهمة خاصة فى وقائع القرن الثالث عشر الميلادى حيث عاصرها ذلك المؤرخ .

١- وقد قرر الباحث محمود الروبضى أن الحولية المذكورة تناولت الأحداث الواقعة منذ بدء الخليقة حتى زمن هيثوم ملك أرمينية الصغرى (١٢٢٤-١٢٥٢م) غير أن ذلك القول مردود نظراً لوفاة ميشيل السريانى عام ١١٩٩م ، انظر رأى الباحث ، محمود الروبضى، إمارة الرها الصليبية، ص ٤٩، حاشية (١) .

٢- ابن العبرى ؛ أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون الملطى ولد عام ١٢٢٦م . ويبدو أن أباه كان على الديانة اليهودية ثم تحول إلى البعقوبية ، وقد درس ابن العبرى فى ملطية بالجزيرة اللغات اليونانية والسريانية والعربية ، كذلك درس اللاهوت ، والطب ، والفلسفة ، ومع مقدم الغزو المغولى إلى أنطاكية ويقال أنه اتجه إلى سلك الرهبنة، وقد توفى عام ١٢٨٦م، عنه أنظر:

شاكر مصطفى، التاريخ العربى والمؤرخون ، ط. بيروت ١٩٨٠م، ج ٢، ص ٤٥٥-٤٥٦ .

٣- أنظر الترجمة الإنجليزية :

Bar Hebraeus. The Chronography of Gregory Abup Faraj , The Son of the Aron, Trans. to English from the Syriac by E.A.W. Budge. Oxford 1932 .

- مجهول، الحولية السريانية المجهولة The Anonymous Syriac Chronicle<sup>(١)</sup>.

وتتناول أحداث خاصة بالقرن الثانى عشر الميلادى وتلقى الضوء على علاقات بيزنطة بالقوى الإسلامية والصليبية وتفيد فيما يتصل بأحداث الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية.

### خامساً : المصادر الروسية

ومن أمثلتها ما ألفه نسطور Nestore تحت عنوان حولية نسطور<sup>(٢)</sup> Chronicle of Nestor وتعرف على أنها حولية وقائع الأيام الحالية، وفيها قام نسطور بالتأثر بالكتابة التاريخية البيزنطية، وهى تفيد فى إلقاء الضوء على العلاقات بين الروس والإمبراطورية البيزنطية حيث أورد أمر المعاهدات التى أبرمت بين الجانبين خلال القرنين العاشر، والحادى عشر الميلاديين على نحو مفصل، مثلما فجده فى معاهدات أعوام ٩٠٧م، ٩١١م، ٩٤٥م، ٩٧١م. مما عكس أهميتها التاريخية.

### حولية نوفجورد<sup>(٣)</sup> The Chronicle of Novgorod

وهى حولية تهتم بتاريخ إحدى المدن الروسية فى صورة نوفجورد خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٠١٦، ١٤٧١م أى على مدى خمسة قرون وهى تفيد فى أمر العلاقات الروسية البيزنطية.

#### ١- أنظر الترجمة الإنجليزية:

The First and Second Crusades From an Anonymous Syriac Chronicle, ed. and Trans. by A.S. Tritton and H. Gibb, J.R.A.S., vol. pp. 273-306.

وهناك ترجمة عربية قام بها سهيل زكار انظر: مجهول، الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية، ت. سهيل زكار فى كتاب الحروب الصليبية، ج ١، ط. دمشق ١٩٨٤م.

٢- ولد نسطور حوالى عام ١٠٥٠م ووصف بأنه كان راهباً فى دير الكهوف Caves Monastery عند كييف Kiev منذ الربع الأخير من القرن الحادى عشر وحتى بداية القرن الثانى عشر الميلاديين، وقد ألف عدة مؤلفات عن القديسين بوريس Boris وجليب Gleb وهى ابنى فلاديمير اللذين تم قتلهما عام ١٠٨٠م عنه أنظر:

طارق منصور، الروس والمجتمع الدولى ٩٤٥-١٠٥٤م، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص «ظ» من المقدمة.

٣- عن الحولية المذكورة انظر: طارق منصور، المرجع السابق، ص «ب» من المقدمة.



## سادساً : المصادر العربية

لا يخلو مصدر جغرافى أو تاريخى عربى منذ القرن الثامن حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادى من إشارات هنا وهناك عن العلاقات الإسلامية - البيزنطية، ولذا سأعرض لنماذج مختاره - منها .

من أمثلة تلك المصادر الجغرافية : نذكر المسعودى<sup>(١)</sup> ( ت ٩٥٧م ) وكتابه مروج الذهب ، وابن خرداذبة<sup>(٢)</sup> ( ت ٨٨٥م ) وكتابه المسالك والممالك ، وابن رسته<sup>(٣)</sup> ( ت ٩١٢م ) وكتابه الأعلاق النفيسة ، وابن فضلان<sup>(٤)</sup> ( ت ق ١٠م ) وابن بطوطة<sup>(٥)</sup> ( ت ١٣٧٧م ) فى رحلتيهما ، وشيخ الربوة الدمشقى<sup>(٦)</sup> ( ت ١٣٢٦م ) وكتابه نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر والادريسي ( ت ١١٦٦م ) وكتابه نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق وأبو الفداء<sup>(٨)</sup> ( ت ١٣٣٢م ) وكتابه

١- عنه أنظر: دمتري ميكولسكى ، المسعودى هيرودوت العرب، ت- عادل إسماعيل مراجعة نوفل ينف ط. دمشق ٢٠٠٦م ، ص ٦٥- ص ٢٠٨ .

٢- عنه أنظر : السيد عبد العزيز سالم. التاريخ والمؤرخون العرب ، ط. الاسكندرية ١٩٧٦م، ص ١٨٨ ، الفاخورى، تاريخ الأدب العربى ، ط. بيروت ب-ت ص ٧٧٣ .

٣- عنه أنظر : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة «ابن رسته».

٤- عنه أنظر: نقولا زيادة الجغرافية والرحلات عند العرب ، ط. بيروت ١٩٨٢م، ص ١٤١ - ص ١٤٩ .

٥- عنه أنظر : دائرة المعارف الإسلامية مادة «ابن بطوطة» .

٦- عنه أنظر: كراتشكوفسكى، تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ت. صلاح الدين هاشم ، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ج ١، ص ٣٨٦ .

٧- عنه أنظر: محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ١٧-٧٢ ، أحمد سوسه ، الشريف الإدريسي فى الجغرافية العربية ، ط. تونس ١٩٧٤م إبراهيم خورى، الشريف الإدريسي نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مركز زايد للتراث والتاريخ ، ط. أبوظبى ٢٠٠٠م، ص ١٧-٤٧ .

٨- عنه أنظر: عبد الرحمن حميدة ، أبو الفداء ، ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماء فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٣١م، ط. دمشق - ١٩٧٤م ص ٧-٢٣ ، سهيل زكار، أبو الفداء، ضمن الكتاب السابق، ص ٢٤-٤١ ، حسن الساعاتى ، «منهج أبى الفداء فى البحث»، الكتاب السابق، ص ٥٦-٧٤ ، مصطفى الحاج إبراهيم، «الآفاق الجغرافية عند أبى الفداء وكتابه تقويم البلدان» . الكتاب السابق، ص ١٣٠-١٥٠ ، كامل عياد ، المؤرخ أبو الفداء، ونزعتة العلمية ، الكتاب السابق، ص ٧٥-٩٥ ، عمر فروخ ، أبو الفداء وتعليل التاريخ ، ص ٩٦-١٢٩ .

تقويم البلدان، وياقوت الحموى<sup>(١)</sup> (ت ١٢٢٨م) وكتابه معجم البلدان، والقزوينى<sup>(٢)</sup> (ت ١٢٨٣م) وكتابه آثار البلاد وأخبار العباد وغيرهم من أوردت أسماءهم ومؤلفاتهم فى خاتمة المصادر والمراجع .

أما المصادر التاريخية، فنذكر من أمثلتها، الطبرى<sup>(٣)</sup> (ت ٩٢٢م) وكتاب تاريخ الرسل والملوك والبلاذرى<sup>(٤)</sup> (ت ٨٩٢م) وكتابه فتوح البلدان. وابن الأثير<sup>(٥)</sup> (ت ١٢٣٢م) وكتابه

١- عنه أنظر: عباس فاضل السعدى، ياقوت الحموى دراسة فى التراث الجغرافى العربى مع التركيز على العراق فى معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٩٢م، ص ٩-١٧ .

عبد على الخفاف ومحمد أحمد عقله ، دراسات فى التراث الجغرافى العربى الاسلامى، ط. عامن ١٩٩٩م ، ص ٧٤-٩٠ .

٢- عنه أنظر: ابن القوطى، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ، تحقيق مصطفى جواد، ط. بغداد ١٣٥١هـ، ص ١٣٠ ، ابن الساعى، تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب، تحقيق مصطفى جواد، ج ١٤ / ق ٢ ، ط. بغداد ١٩٦٧م، ص ٧١٥-٧٢٦ .

محمد مفيد آل ياسين ، الحياة الفكرية فى العراق فى القرن السابع الهجرى، ط. بغداد ١٩٧٩م، ص ٣١٦-٣١٧ ، محمد مؤنس عوض ، الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص ١١٣-١٣٤ .

٣- عنه أنظر : أحمد الحوقى، الطبرى، ط. القاهرة ١٩٦٣م، على بكر حسن ، الطبرى ومنهجه فى التاريخ ط. القاهرة ٢٠٠٤م ص ١٨-٤٠ ، مرغوليوث ، دراسات عن المؤرخين العرب، ت. حسين نصار ط. القاهرة ٢٠٠١م ، ص ٩٩-١٠٧ ، محمد الزحيلي ، الامام الطبرى ، ط. دمشق ١٩٩٠، ص ١٥-٨١ .

٤- عنه أنظر: محمد حاسم حمادى مشهدانى، موارد البلاذرى عن الأسرة الأموية فى أنساب الأشراف ط. مكة المكرمة ١٩٨١م، ج ١، ص ٤٤-٦٧ .

أبو القداء، المختصر فى أخبار البشر، ط. صيدا ١٩٦٠م ، ج ٤ ، ص ٣٨٩ ، عبد القادر طلبات، ابن الأثير المؤرخ، ط. القاهرة ١٩٦٩م، فيصل السامر ، ابن الأثير، ط. بغداد ١٩٨٦م.

٥- عنه أنظر:

أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ط. القاهرة ١٣٦٦هـ، ص ١٣٥ ، صلاح الدين المنجد ، المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة، مجلة معهد المخطوطات العربية، م (٢) ، ج (١) عدد مايو ١٩٥٦م، ص ٨٠ ، معجم المؤرخين الدمشقيين ، ط. بيروت ١٩٧٤م، ص ٣٤ ، هاملتون جب، تاريخ دمشق ضمن كتاب صلاح الدين الأيوبي، دراسات فى التاريخ الإسلامى، ت. يوسف أبيض ، ط. بيروت ١٩٧٣م، ص ٤٠ ، روزنتال، =

الكامل فى التاريخ، وابن القلانسى<sup>(١)</sup> (ت ١١٦٠م) وكتابه ذيل تاريخ دمشق، وابن العديم الحلبى (ت ١٢٦١م) وكتابه زبدة الحلب .

ويلاحظ ، أن تلك المصادر تتناول أمر العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين بصورة أو بأخرى، مع إدراك أنه لا توجد هناك مصادر بلغة ما هى المتسيدة فى البحث التاريخى عن الإمبراطورية البيزنطية. إذ أن كافة المصادر سواء كانت البيزنطية أو اللاتينية أو السريانية أو الأرمنية أو العربية جميعها تعين على الاقتراب قدر الإمكان من ذلك التاريخ الذى تعددت مصادره من خلال الاتساع المكانى والزمانى لتلك الإمبراطورية .

أما فيما يتصل بالمؤلفات الحديثة عن التاريخ البيزنطى؛ فيتطلب الآن التعرض على نحو موجز للرحلة التى قطعتها الدراسات البيزنطية إلى أن وصلت إلى مطلع القرن الحادى والعشرين، وسنركز الحديث . إعتياداً على أستروجورسكى- فيما يتصل بأوروبا ، ثم من خلال المتابعات الببليوغرافية عن العالم العربى وخاصة مصر والأخيرة قائمة على ملاحظاتي الشخصية.

ويقرر المؤرخ المذكور ؛ أن هيرويموس ولف Hieronymus Wolf (١٥١٦-١٥٨٠م) عمل على أن ينشر حوله حنا زوناراس John Zonaras، وكذلك تاريخ نيكيتاس خونيا تاس Nicetas Choniates ، ونيقفورس جريجوراس Nicephorus Gregoras ، وبالتالى يوصف بأن دوره العلمى يعد رائداً مقارنة بمن أتى من بعده من الباحثين.

---

= علم التاريخ عند المسلمين، ت . صالح العلى، بيروت ١٩٨٣م، ص ٢٠٣ ، جمال فوزى محمد عمار، التاريخ والمؤرخون فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ٥٢١-٦٦٠هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٢٠٣ - ص ٢٢٥ .

١- عنه أنظر: ابن العديم ، الدرارى فى ذكر الذرارى، تحقيق علاء عبد الوهاب ، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ص ١١-٥ ، عباس عزواوى ، التعريف بالمؤرخين ، ط. بغداد ١٩٨٧م، ص ٧٧-٧٨ ، شاكى مصطفى، التاريخ العربى والمؤرخون، ط. بيروت ١٩٧٩، ج ٢، ص ٣٦٣ .

٢- Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 3 .

وتجدر الإشارة هنا؛ أننى اعتمدت اعتماداً أساسياً فى الجزء الخاص بالمؤلفات الحديثة عن التاريخ البيزنطى على العرض الببليوغرافى الممتاز الذى قدمه أوسترو جورسكى .

أنظر: Ibid, pp. 1-20 .



ولانغفل ؛ أن القرن السابع عشر، وفي منتصفه على نحو خاص ، بدأت الدراسات البيزنطية تنتعش بصورة حقيقية كما قرر المؤرخ السالف الذكر، وخاصة من خلال الإزدهار الفكرى فى بلاط الملك الفرنسى لويس الثالث عشر Louis XIII (١٦١٠ - ١٦٤٣م) ، ومن بعده وبصورة أكبر لويس الرابع عشر Louis XIV (١٦٤٣ - ١٧١٥م) <sup>(١)</sup>.

جدير بالذكر ؛ من خلال رعاية الملك المذكور، ومن خلال دار نشر شهيرة هى كولبرت Colbert التابعة للوثر Louvre بدأ نشر سلسلة كبيرة من أعمال المؤرخين البيزنطيين ، وكان أول ما صدر متمثل فى تاريخ يوحنا كناكوزين John Contacuzene وذلك عام ١٦٤٥م. وفى عام ١٦٤٨م، صدر كتاب عن الامبراطور قسطنطين بورفيروجنيوس -Constantine Porphyrogenitus هو : Constantine Porphyrogenitus Excerpta Legationibus <sup>(٢)</sup>.

من ناحية أخرى، ظهر خلال القرن السابع عشر م عدد من كبار المؤرخين فى صورة جوسويت فيليب لابييه Jesuits Philippe Labbé (١٦٠٧ - ١٦٦٧م) ، وبير جوسين -Pierre Pous-sines (١٦٠٩ - ١٦٨٦م)، جاك جوا Jacques Goao (١٦٠١ - ١٦٥٣م) ، وفرانسوا كومبيف Francois Combefis (١٦٠٥ - ١٦٩٧م) و شارل أنيبال فابرو -Charles Anni-bal Fabrot (١٥٨٠ - ١٦٥٩م) .

= حيث خصص الصفحات المذكورة لتناول الدراسات البيزنطية حتى صدور الترجمة الإنجليزية للكتاب عام ١٩٥٦م. مع عدم اغفال أنه خلال النصف قرن الأخير حدث تطور معرفى غير مسبوق كمًا ونوعًا فى حقل الدراسات البيزنطية فى الغرب الأوربى والولايات المتحدة الأمريكية.

ولمعرفة المزيد عن ذلك المؤرخ اليوغوسلافى الرائد واحداً من أشهر إلى صدور كتاب تذكارى Memorial Book أو Melanges لتكريمه من جانب فرانشو باريسيك وصدر فى بلغراد عام ١٩٦٣م من جانب معهد الدراسات البيزنطية فى بلغراد ، عنه أنظر :

Barisic (ed.) , Melanges Georges Ostrogorsky, Beograd 1963 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 4 .

-١-

أيضاً : وسام عبد العزيز فرح ، «الدولة البيزنطية بين أوهام النظرية وحقيقة الهربة» ، ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ السياسى والإدارى، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ١٧ .

Ibid. p. 4 .

-٢-

ويقرر أوستروجورسكى أن المؤرخ دى كانج Du Cange (١٦١٠ - ١٦٨٨ م) يعد المؤسس الحقيقى للدراسات التاريخية البيزنطية<sup>(١)</sup>، وقد قام بنشر عدة مصادر مثل تاريخ يوحنا كيناموس John Kinnamos، وحولية يوحنا زوناراس John Zonaras، وحولية باسكال Paschal وقد قدم تعليقات مفصلة على تلك المصادر وهنا تكمن أهمية مجهوداته العلمية خلال تلك المرحلة المبكرة فى تاريخ الدراسات البيزنطية.

جدير بالإشارة ؛ قام المؤرخ المذكور بجهود وافر فى مختلف الدراسات كما فى التاريخ، الفيلولوجيا Philology (علم فقه اللغة) ، والطوبوغرافيا Topography، والنوميات المتصلة ببيزنطة وحتى منتصف القرن العشرين عندما أصدر أوستروجورسكى كتابه عن تاريخ الدولة البيزنطية أشار إلى أن الباحثين لا يزالون يستفيدون من مؤلفاته القيمة .

وقد أعد دى كانج عدة مؤلفات مثل:

- Histoire de L'empire de Constantinople Sous les empereurs Francais .
- Historia Byzantina duplici commentario illustrato.
- Constantinopolis Christiana .
- De Familiis byzantinis.

والعمل الأكبر فى الأهمية لكانج يتمثل فى قواميسه المتعددة عن اليونانية واللاتينية الوسيطة، ومنها.

Glosarium ad Scriptores mediae et infimae graecitatis.

وعلى الرغم من وجود قواميس متعددة ، إلا أن ذلك القاموس - على نحو خاص - بما احتواه من إشارات مصدرية متعددة ، وتعليقاته التاريخية يظل - كما اعتقد أوستروجورسكى - من أدوات الباحثين فى حقل الدراسات البيزنطية<sup>(٢)</sup>.

وهناك رائد آخر من أولئك المؤرخين الرواد فى صورة جين مابيلون Jean Mabillon (١٦٣٢-١٧٠٧ م) الذى وضع أساس الدراسات العلمية البيزنطية من خلال الاعتماد على

Ostrogrsky History of The Byzantime State, p. 4 .

-١

وعن مؤلفاته أنظر: p. 4-5 .

Ibid, p. 5 .

-٢

الوثائق الأصلية، ويعد جين مابيلون معاصراً لكانج<sup>(١)</sup> واكمل دوره ، كما نذكر برنارد دى مونتفاكون Bernard de Montfauco (١٦٠٥-١٧١١م) .

وهو مؤلف دراسة: Paleographia Gracca

الباليوغرافيا اليونانية ، وبها افتتح دراسة الباليوغرافيا اليونانية -Greek Palaeography<sup>(٢)</sup> .

كذلك هناك دور مهم قام به ميشيل ليكوين الدومينيكاني The Dominican Michel Lequien (١٦٦١-١٧٣٣م) من خلال عمله بعنوان : Oriens Christianus<sup>(٣)</sup> .

كما نشير إلى دور قام به انسلمو بن ورو الراجوزى البندكتى The Benedictine Anselmo Banduri of Ragusa (١٦٧٠-١٧٤٣م) الذى ألف الامبراطورية الشرقية -Imperio Orientale ، ووفق ما قرره اوستروجورسكى احتوى على مادة طوبوغرافية ، وأثرية مهمة<sup>(٤)</sup> .

ويقرر اوستروجورسكى ؛ أن الدراسات البيزنطية قد واجهت إنتكاسة Setback فى القرن الثامن عشر م وذلك من جراء جهود مفكرى عصر الاستنارة الذين أعلنوا من شأن النزعة العقلية، ومنهم من نظر بازدراء للتاريخ البيزنطى ونذكر فى هذا الصدد المؤرخ الشهير إدوار جيبون Edward Gibbon<sup>(٥)</sup> (١٧٣٧-١٧٩٤م) وكتابه الشهير: History of The decline and Fall of the Roman Empire.

١- Ostrogorsky , History of The byzantine State, p. 5 .

٢- Ibid , p. 5 .

٣- Ibid, p. 5.

٤- Ibid, p. 5 .

٥- أدوارد جيبون، ولد فى ٢٧ أبريل ١٧٣٧م ، وتلقى تعليمه المبكر فى وستمنستر Westminster ، وفى عام ١٧٥٢م انتقل لمواصلة تعليمه فى كلية ماجدالن Magdalen College فى اكسفورد ، وبعد إقامة قصيرة هناك، اتجه إلى لوزان Lausanne فى سويسرا ، حيث مكث ٥ سنوات اهتم فيها بدراسة اللغة الفرنسية والأدب الكلاسيكى والأعمال التاريخية والفلسفية البارزة ، ويقرر فازيليف أن تلك السنوات تركت أثراً كبيراً على عقلية الشاب ادوار جيبون رغدت سويسرا بالنسبة له بمشابة الوطن الثانى، وعندما عاد أدراجه إلى انجلترا نشر أول كتبه بالفرنسية بعنوان مقالة فى دراسة الأدب : Essai sur l'etude de la Literature

وبلاحظ أن أفضل طبعة للكتاب المذكور هي التي قام بها ج.ب. بيوري J.B. Bury التي صدرت خلال المرحلة من ١٨٩٧-١٩٠٠م، نظراً للتعليقات القيمة التي قام بها ذلك العالم على نص جيبيون؛ على نحو أدى إلى إثرائه.

من الملاحظ أن الدراسات البيزنطية لم يقض عليها من خلال جهد مفكرى عصر الاستنارة؛ وفي هذا المجال نذكر جهد ل.ج.أ. J.A. Fabrius الذي أصدر كتابه: *Bibliotheca Graeca*؛ أي المكتبة اليونانية، وفيه يقدم مادة مهمة عن تاريخ الأدب البيزنطى فى (١٤) جزء، وطبع الكتاب المذكور فى مدينة هامبورج خلال المدة الواقعة بين عامى ١٧٩٠م، ١٨٠٩م.

مهما يكن من أمر؛ فى نفس العام الذى اكتمل فيه إصدار كتاب فابريكوس أى عام ١٧٢٨م، قام نيبور Niebuhr بوضع أساس «الجامع للكتابات التاريخية البيزنطية».

#### *Corpus Scriptorum historiae byzantinae*

المعروفة اختصاراً بـ (C.S.H.B.) وهى مجموعة على جانب كبير من الأهمية من حيث اشتمالها على (٥٠) مصدراً من المصادر التاريخية البيزنطية، ونجد فيها النص اليونانى مصحوباً بالترجمة اللاتينية.

من جهة أخرى؛ ظهر دور للمؤرخين الألمان فى صورة كارل كرامبشير Karl Krambacher (١٨٥٠-١٩٠٩م) الذى أصدر عند أخريات القرن التاسع عشر م كتابه عن تاريخ الأدب البيزنطى: *Geschichte der byzantinischen literatur*.

والعمل الذى يذكره له الباحثون فى حقل الدراسات البيزنطية؛ تأسيس المجلة البيزنطية *Byzantinische Zeitschrift* والتي سرعان ما صارت مركزاً للدراسات البيزنطية فى الغرب الأوروبى، وأهمية دورها أنها زودت الباحثين بقاعدة بيبليوغرافية أساسية لدراساتهم.

---

= وقد استقبل الكتاب المذكور بحفاوة فى فرنسا، وهولندا، ولكن بدرجة أقل فى إنجلترا، ومن بعد ذلك اتجه جيبيون إلى وجهة سياسية حيث انفق عامين ونصف فى الانضمام إلى ميليشيا هامبشير Hampshire Militia التى تم تنظيمها خلال حرب السنوات السبع بين إنجلترا وفرنسا، وفى عام ١٧٦٤م تأتت له فكرة كتابه الذائع الصيت تاريخ اضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية، على أية حال؛ توفى ذلك المؤرخ البارز فى أخريات القرن الثامن عشر وتحديدًا عام ١٧٩٤م. عنه أنظر:

Vasiliev, *History of the Byzantine Empire*, p. 8.

وأيضاً: وسام عبد العزيز فرج، «الدولة البيزنطية بين أوهام النظرية وحقيقة الهوية»، ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ السياسى والإدارى، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٢٧، حاشية، (٢٦).



ويذكر لنفس المؤرخ الرائد؛ أن السمنار الذي كان يعقد في مدينة ميونخ München صار بمثابة مركز دولي للدراسات البيزنطية حيث قصده المؤرخون من أنحاء متعددة من أوروبا كما قرر أستروجورسكى .

وعند نهاية القرن ١٩م حدثت نهضة كبيرة من خلال جهد عدد من العلماء الألمان في صورة كل من كارل نيومان Karl Neumann وهنريش جلزر Heinrich Gelzer وقد ألف المؤرخ الأول كتابه: Die weltstellung des byzantinischen Reiches von den Kreuzzugen, 1894 .

وإذا اتجهنا صوب الدراسات البيزنطية في روسيا؛ نجد أن بداياتها كانت على يدى إرنست كونيك Ernest Kunick (١٨١٤-١٨٩٩م)، ويعد من كبار المؤرخين الرواد، وكان عضواً في الأكاديمية الامبراطورية للعلوم في بطرسبرج :

The imperial Russian Academy of Sciences in St. Petersburg

وقد قام بدور بارز فيما يتصل بالتأليف عن التاريخ الروسى، وما يتصل بمصادر التاريخ البيزنطى.

ونذكر كذلك إدوارد دي مورالت Eduard Muralet (١٨٠٨-١٨٩٥م) الذى اهتم بالدراسات الكرونولوجية (الزمنة) Chronological Studies، وله دراسته :

Essai de Chronographie byzantine

ووقعت في جزأين، ط. سان بطرسبرج ١٨٥٥-١٨٧١ م، ويقرر أوستروجورسكى : أنها ذات فائدة على الرغم من أنها لم تعد دراسات حديثة وقت صدور كتاب تاريخ الدولة البيزنطية عام ١٩٤٠م.

على أية حال : فإن المؤرخ الذى يعد المؤسس الحقيقى للدراسات البيزنطية في روسيا هو ف.ج. فاسيلجفسكىج V.G. Vasiljevskig (١٨٣٨-١٨٩٩م) ، وقد اهتم بدراسة العلاقات الروسية - البيزنطية ، وما يذكر عنه تأسيسه دورية هي :

Vizantijskij Vremennik وذلك عام ١٨٩٤م.

وقد قدمت تلك الدورية ومعها byzantinische Zertschrift التى ظهرت قبلها بعامين أى عام ١٨٩٢م قدمت خدمات جليلة لباحث البيزنطيات.

ثم ظهر دور قام به ف.أ. أوسبنسكيج G.I. Uspenskij (١٨٤٥-١٩٢٨م) وقد اهتم بالدراسات الآثارية البيزنطية من خلال معهد عمل على إدارته وبصفة عامة؛ يوصف بأنه قام بدور بارز في تطوير الدراسات البيزنطية في روسيا .

على أية حال ؛ حققت الدراسات البيزنطية نقلة نوعية من خلال جهد العلامة فازيليف Vasilev<sup>(١)</sup> الذي عشق التاريخ البيزنطي حتى النخاع ، وألف عدة مؤلفات أهمها :

- كتابه : بيزنطة والعرب , ed. Bar H. Gregoire et M. Byzantce et les Arabes , Canard, 3 vols , Brussel 1959 .

وقد وقع في ٣ أجزاء ، ونشره هـ. جريجوار وماريوس كنار في بروكسيل عام ١٩٥٩م، ويلاحظ هنا أن محمد عبد الهادي ترجم جزءاً واحداً من ذلك العمل الموسوعي .

- ثم كتابه : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وقد ألفه باللغة الروسية.

وقد تمت ترجمة الكتاب المذكور إلى الإنجليزية وصدر في جزأين في ماديسون بالولايات المتحدة الأمريكية عامي ١٩٢٨-١٩٢٩م :

Vasiliev, History of the Byzantine Empire , 2 vols, Madison 1928-1929 .

كذلك ظهرت له طبعة أخرى عام ١٩٥٢م.

١- يقدم لنا ميلتون ف. أناستوس إشارات مهمة عن شخصية العالم الروسي الكبير الكسندر الكسندروفيتش فازيليف Alexandre Alexandrovich Vasiliev وقد وصف بأنه «توحد» مع تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وعمل في جامعة وسكنسون Wisconsin في الولايات المتحدة الأمريكية ، ونعرف أنه لم يتزوج وظل عاكفاً على كتابة مؤلفات في التاريخ البيزنطي وتدريسه لتلاميذه ، وقد أفادته كراهيته للمرأة حيث وصف بأنه "misogypist" في الإنصراف كلية إلى عشق التاريخ البيزنطي والتأليف في مجاله . ويقرر نفس المؤلف؛ أنه إنخرط في البكاء عندما كان يحاضر تلاميذه عن سقوط القسطنطينية ويفهم من السياق العام للمقالة أن ذلك السقوط هو الخاص بعام ١٤٥٣م ومن المعلومات المهمة ذات المفارقة «التاريخية» ، ما ذكره نفس الباحث من أن فازيليف توفي عن عمر يبلغ السادسة والثمانين (٨٦ عاماً) في يوم ٢٩ مايو ١٩٥٣م، وهو يوافق الذكرى الخمسمائة لسقوط القسطنطينية في ٢٩ مايو ١٤٥٣م؛ وهكذا فقد رحل في نفس اليوم الذي انتهى فيه التاريخ البيزنطي ذاته الذي عشقه ؛ عن ذلك أنظر:

Anastos , " Dumbarton Oaks and Byzantine Studies, a Personal Account " , in Laion and Maguire (eds). Byzantium A World Civilization, D.O. Washington 1992, p. 10 .

يلاحظ أن أهمية الكتاب المذكور لا ترجع فقط إلى إحاطة المؤلف بكافة دقائق التاريخ البيزنطى، والعلاقات بين البيزنطيين والمسلمين، بل استخدامه عدة لغات قديمة وحديثة فى بحثه التاريخى، ثم إنه زود كتابه بقائمة ببليوغرافية ثرية يندر وجودها فى كتاب آخر فى عصره، ولا يزال هذا الكتاب - على نحو خاص - عمدة الدراسات البيزنطية، وعلى مدى نصف قرن من صدور الترجمة الإنجليزية له؛ لم يتمكن باحث آخر من أن يقدم لنا دراسة مسحية للتاريخ البيزنطى سياسياً بمثل تلك الكفاءة دون إغفال أهمية كتاب أوستروجورسكى عن تاريخ الدولة البيزنطية.

يبقى أن نذكر؛ أن كتاب فازيليف عن تاريخ الامبراطورية البيزنطية له ترجمة فرنسية صدرت فى باريس عام ١٩٣٢م عنوانها :

Histoire de L'empire byzantine , 2 vols , Paris 1932 .

كذلك صدرت ترجمة تركية له عام ١٩٤٣م ومن بعد ذلك؛ ظهرت ترجمة أسبانية عنوانها:

Historia del impero Bisantino 2 vols , Barcelona 1948 .

ولانزع فى أن صدور عدة ترجمات للكتاب المذكور يدل على الحرص على الإفادة منه من جانب أكبر قطاع من الباحثين من خلال ترجمة لعدد من اللغات الأوربية وكان الأجدر بالعرب أن يترجموه منذ عقود مضت .

ولانغفل من بين المؤرخين الروس ما ألفه المؤرخ كلاكوفسكىج Kulakovskij الذى ألف كتاباً عن تاريخ الإمبراطورية البيزنطية من عام ٣٩٥ إلى ٧١٧م، ووقع فى ٣ أجزاء، وصدر فى كييف Kiev خلال المرحلة من ١٩١٣ إلى ١٩١٥م.

مهما يكن من أمر، يقرر أوستروجورسكى؛ أن الدراسات البيزنطية فى روسيا تقدمت من خلال إصدار دورية تضاف إلى الدورية السالفة الذكر فى صورة: Vizantijskoe Obozienie أو ما عرف بالمجلة البيزنطية .

أما إذا ما اتجهنا صوب إنجلترا؛ فلا بد من ذكر المؤرخ الكبير بيورى (١٨٦١-١٩٢٧م)

ويفسفه استروجورسكى بأنه كان من الرواد وأنه إمتلك ندرة بارزة على النقد والتحليل<sup>(١)</sup>، وقد أصدر كتابه : History of the Later Roman Empire وتناول فيه المرحلة من ٣٩٥ إلى ٨٠٠ م ، ووقع فى جزأين .

كما ألف كتابه : History of the Eastern Roman Empire وأصدره عام ١٩١٢م. كما يذكر لبيورى؛ تأليفه دراسة عن النظام الإدارى للإمبراطورية البيزنطية فى القرن التاسع الذى صدر عام ١٩١١م.

The Imperial Administration in the ninth century , London 1911 .

وبلاحظ ؛ أن بيورى ترك مؤرخين من خلفه مثل نورمان بينز Norman Panes الذى اهتم بالمرحلة المبكرة من التاريخ البيزنطى، وكذلك فى المرحلة المتأخرة من العصور الوسطى وخاصة مجال العلاقات البيزنطية - اللاتينية فى نطاق بحر إيجه Aegean Sea<sup>(٢)</sup> .

ومما يذكر عنه تأليف دراسته الشهيرة عن الإمبراطورية البيزنطية الصادرة فى لندن عام ١٩٢٦م.

History of the byzantine Empire , London 1926 .

والواقع أننا بعد ثلاثة أرباع قرن من الصعب أن نجد دراسة مناظرة لها على الرغم من الطفرة المعرفية فى العقدين الأخيرين على نحو خاص مما عكس ريادته المستمرة.

كما نذكر أمر تاريخ كمبردج الوسيط Cambridge Medieval History السذى تم التخطيط له من جانب بيورى، وقد تم تخصيص عدة أجزاء لتناول التاريخ البيزنطى مثل الجزء الأول الصادر عام ١٩١١م، والثانى الصادر عام ١٩١٣م . وصدر الجزء الرابع عام ١٩٢٣م ، ونعرف أن الجزء الرابع احتوى تناولاً للمرحلة الواقعة من عهد ليو الثالث الأيسورى (٧١٧-٧٤١م) حتى عهد الامبراطور البيزنطى الأخير قسطنطين الحادى عشر (١٤٤٨-١٤٥٣م)<sup>(٣)</sup> .

Ostrogorsky , History of The Byzantine State, p. 11 .

-١

Ibid , p. 11 .

-٢

Ibid , p. 18 .

-٣



كذلك لانغفل دور بارز للمؤرخ الإنجليزي السير ستيفن رنسيمن Sir Steven Runci-  
man الذي ألف عدة مؤلفات رائدة فى التاريخ البيزنطى أهمها :

- History of the First Bulgarian Empire, London 1930 .

- The Byzantine Civilization, New York 1956 .

- The Eastern Schism, Oxford 1956 .

كذلك ظهر فيما بعد عدد من الباحثين الغربيين من أمثلتهم براند Brand، وهسى Hussey وبروكس Brooks، وبراون Brown، وبروننج Browning، وكاهن Cahen، وشابمان Chap-man، وخرانيس Vharanis، وكولمان Coleman، وكونستانتيس Constantinides، وديل Dichl، وإيثانز Evans وجيرو Gero، وجارلاند Garland، وجرانت Grant، وكريستيدز Christides، وماجدولينو Magdalino، ودوثيرتك Dovrnik، وجيناكوبوليس Geana-koples، وجيل Gill، وهيرن Herrin، وجونز Jones، وابولونسكى Obolensky، وميندورف Meundorff وبرايس Brice، ويرن Byrne، وكنار Canard، ودايجرون Dag-ron، ومافجو Mango، وايكونوميد Oikonomide وجوجى Jugie، وليل Lille، وكزدان Kazhdan وهوتون Hutton، ورايس Rice، وماكريدس Macrides وغيرهم.<sup>(١)</sup>

أما فيما يتعلق بالقواميس : فنذكر من أمثلتها الكسندر كزدان (رئيس تحرير) قاموس أكسفورد للبيزنطيات ، فى ٣ مجلدات ط. أكسفورد ١٩٩١م.

Alexander , p. Kazhdan (ed.), The Oxford Dictionary of Byzantium, Oxford 1991 .<sup>(٢)</sup>

وقد شارك فى إصداره فريق عمل ممتاز عبارة عن عشرات الباحثين البارزين فى حقل الدراسات البيزنطية ومن أبرزهم أليس - مارى تالبوت Alice - Mary Talbot وأنتونى كترل Antony Culter وهو محرر تاريخ الفن .

١- عن بعض مؤلفاتهم أنظر: قائمة المراجع الأجنبية نهاية الكتاب.

٢- سيلاحظ القارئ دون عناء اعتمادى إلى حد كبير على القاموس المفصل المذكور فى إعداد المدخل البيبليوغرافى نظراً لأهميته الخاصة.

وتيموثي إي جريجوري Timothy E. Gregory وهو محرر علم الآثار ، والجغرافيا التاريخية .

وناني ب سيفسكو Nany P. Sevcenko أما رئيس التحرير فهو الكسندر كازدان Alex-ander Kazhdan وهو من كبار مؤرخي الدراسات البيزنطية حالياً على مستوى العالم.

ويعد القاموس المذكور من أشمل ما صدر في التاريخ البيزنطي وأحتوى على مئات المواد المتصلة به في الجوانب السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والأدبية ، والقانونية والدينية ، والآثارية ، وما أتصل بالنقوش والعملات وغيرها ، ومثل هذا الكتاب الجامع الشامل لا يستغنى عنه الباحث في التاريخ البيزنطي ، وتاريخ الحروب الصليبية أيضاً .

ومن الممكن العودة إلى المؤلفات الحديثة عن بيليوغرافيا التاريخ البيزنطي لمعرفة المؤرخين واسهاماتهم<sup>(١)</sup>.

كذلك ؛ لانغفل ما ألفه دونالد أتووتر Donald Attwater تحت عنوان: قاموس بنجوين للقديسين ، الصادر في لندن عام ١٩٧٧م.

Attwater, The Penguin Dictionary of Saints , London 1977.

وهو كتاب يقع في (٣٦٣) صفحة وذو أهمية كبيرة حيث احتوى على تراجم أكثر من (٧٥٠) قديس من قديسي الكنيسة الشرقية والغربية والمؤلف متخصص في سير القديسين .Hagiography

جدير بالإشارة ؛ لايمكن للباحث في مجال الدراسات البيزنطية أو الغرب الأوربي في العصور الوسطى الاستغناء عن الكتاب المذكور.

وهناك أيضاً ما ألفه ج.ت.د. كيلي عن قاموس البابوات الصادر في أكسفورد عام ١٩٩٦م. Kelly , Dictionary of Popes , Oxford 1996 .

١- من المهم للغاية الرجوع إلى كتاب فهرس مؤلفي الدراسات البيزنطية الذي أعده جليسافيدا س. الان والصادر من جانب مركز دامبرتون اوكس في واشنطن عام ١٩٨٦م.

Jelisaveta S. Allen Author Index of Byzantine Studies, Washington 1986 .

ويجد فيه القارئ مادة بيليوغرافية مفصلة وأتمنى أن يقوم أحد الباحثين العرب بإعداد دراسة بيليوغرافية في تاريخ الامبراطورية البيزنطية وبالتالي يسد ثغرة طالما وقفت حائلاً دون تطوير تلك الدراسات.

ويقع فى (٣٤٩) صفحة، واحتوى على تراجم بابوات كنيسة روما من القديس بطرس St.Peteo مؤسس تلك الكنيسة حتى البابا يوحنا بول الثانى John Paul (١٩٧٨-٢٠٠٥م) وهو مثل سابقه صغير الحجم كبير القيمة.

وهناك قاموس اللاهوت الكاثولى فى ١٥ جزء بدأ صدورهما فى باريس عام ١٩٢٣م.  
- Dictionnaire de Theologie Catholique, 15 Tomos Paris, 1923, sqq.

كذلك لانغفل ما ألفه دونالد نيكول تحت عنوان:

قاموس التراجم للإمبراطورية البيزنطية الصادر فى لندن عام ١٩٩٠م.

- Nicol, Biographical dictionary of the Byzantine Empire, London 1991 .

ويحتوى الكتاب المذكور ، على عشرات التراجم لأعلام التاريخ البيزنطى سواء من الأباطرة، أو البطارقة أو المؤرخين ، وغيرهم . ومثل هذا القاموس من الصعب تجنب استخدامه خاصة أن مؤلفه من أعلام التاريخ البيزنطى المعاصرين.

وقد قام العلامة الراحل أ.د. حسن حبشى بترجمته إلى العربية تحت عنوان: معجم التراجم البيزنطية ، وصدر بالقاهرة عام ٢٠٠٣م ويلاحظ أنه لم يزوده بتعليقات على عكس ما حدث لدى ترجماته السابقة الخاصة لدى المصادر البيزنطية والصليبية ، ومع ذلك قدم لنا عملاً متكاملًا فى فن الترجمة الرصينة من الإنجليزية إلى العربية كعهد الباحثين بذلك المؤرخ والمترجم والمحقق الرائد.

أما فيما يتصل بالعالم العربى، واهتمامه بالدراسات البيزنطية ؛ فيلاحظ أن مصر - دوماً مبالغة أو حماس وطنى- كانت الرائدة فى ذلك الحقل من الدراسات التاريخية قبل غيرها من شقيقاتها العربيات ، وقد بدأ الاهتمام بها؛ خلال الترجمة من الإنجليزية إلى العربية ثم من بعد ذلك ، وكان من الطبيعى أن تظهر إلى الوجود مرحلة الترجمة نظراً لعدم توافر دراسات متعددة بالعربية تغطى تاريخ الامبراطورية البيزنطية بصورة بانورامية عامة ، ومن أمثلة ذلك قيام د. مصطفى طه بدر بترجمة كتاب شارلز أومان بعنوان الإمبراطورية البيزنطية . وقد صدر بالقاهرة عام ١٩٥٣م .

١- عنه أنظر : محمد مؤنس عوض، عصر الحروب الصليبية ، بحوث ومقالات، ط. القاهرة ٢٠٠٦م .

ص ٢٥٥-٢٦٥ . حيث تم تخصيص مقال عن المؤرخ الراحل.

ثم من بعده قام أ.د. حسين مؤنس بالإشتراك مع محمود زايد بترجمة كتاب نورمان بينز بعنوان الإمبراطورية البيزنطية وصدر ذلك العمل في القاهرة عام ١٩٥٧م، كذلك إنجبه أ.د. محمد عبد الهادي شعيرة إلى ترجمة جزء من كتاب فازيليف بعنوان العرب والروم وصدر في القاهرة دون تاريخ للطباعة<sup>(١)</sup>. كما حدث تطور مبكر مهم عندما ترجم أول كتاب من مؤلفات السير ستيفن رنسيمان Sir Steven Runciman في حقل الدراسات البيزنطية في صورة الحضارة البيزنطية من جانب عيد العزيز توفيق جاويد في القاهرة عام ١٩٦١م، وهو مترجم كفيف كان مبصراً بنور البصيرة<sup>(٢)</sup>، ساهم في ترجمة عدة دراسات في التاريخ البيزنطي والغرب الأوروبي في العصور الوسطى.

مهما يكن من أمر؛ إلى جانب الترجمة هناك مؤرخون مصريون ألفوا مؤلفات رائدة ونذكر في هذا الصدد : المؤرخ أ.د. محمد عبد الهادي شعيرة الذي ألف دراسة عن الصراع بين العرب والبيزنطيين، فتح وتنظيم الحدود في القرنين السابع والثامن الميلاديين، وقد صدر ذلك العمل بالفرنسية في الاسكندرية عام ١٩٤٧م<sup>(٣)</sup>.

Cheira , la Lutte entre Arabes et Byzantins : la Conquête et l'Organization des Frontieres aux VII et VIII Siecle, Alexandria 1947 .

وبالتالي يمكن القول - دونما مبالغة أو إعتساف في الأحكام - أن ذلك المؤرخ هو الرائد العربي الأول في التأليف الأكاديمي عن تاريخ بيزنطة وإن كان عمله الأول صدر بالفرنسية وليس بالعربية ، وفي وقت مبكر أي عام ١٩٤٧م، وأصدره في الاسكندرية دون القاهرة

١- عن المقرر أن الجزء الذي ترجمه محمد عبد الهادي شعيرة هو الجزء الأول، عن ذلك أنظر:

الأمين أبو سعده ، « بيزنطة في الملاحم العربية قراءة في سيرة الأميرة ذات الهمة، ص ٢٤٣ .

٢- ولد ذلك المترجم البارز الراحل بالقاهرة ، وتدرج في مراحل التعليم المختلفة إلى أن تخرج في مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٢٩م، واشتغل بالتدريس إلى أن وصل إلى منصب وكيل مدرسة مصر الجديدة الثانوية فمديراً للمركز الرئيسي للتدريب بوزارة التربية والتعليم . وقد ترجم عدد آخر من المؤلفات عن الإنجليزية وحصل على جائزة الدولة التشجيعية في الترجمة عام ١٩٨١م. كما نال وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، عنه أنظر ما كتب عنه ترجمة كتاب رنسيمان ، الحضارة البيزنطية.

٣- عن محمد عبد الهادي شعيرة ، محمد مؤنس عوض. رواد تاريخ العصور الوسطى في مصر ، ط.

القاهرة ٢٠٠٧م.



وبالتالى تكون عروس البحر المتوسط قد شهدت ميلاد تلك الدراسات. ولا تغفل كذلك إبراهيم العدوى؛ وقد ألف مقالاً رائداً بعنوان : «أقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى» ونشر فى المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث ، العدد (٢) أكتوبر ١٩٥٠م. وفى العام التالى مباشرة ؛ أى عام ١٩٥١م، أصدر كتاباً عن الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية بالقاهرة عام ١٩٥١م .

ويلاحظ أن خمسينيات القرن العشرين شهدت أيضاً صدور مؤلفات رائدة بالعربية فى التاريخ البيزنطى ، ونذكر فى هذا الصدد إصدار إبراهيم طرخان كتابه الحركة اللايقونية فى الدولة البيزنطية ، وصدر فى القاهرة عام ١٩٥٦م وقيمة الكتاب المذكور أنه تناول موضوعاً جزئياً ارتبط بالأسرة الأيسورية فى الأصل، وخصص له ذلك الكتاب الرائد.

كذلك أصدر السيد الباز العرنى كتاباً عن أجناد الروم بالقاهرة عام ١٩٥٦م، مما يدل على أن العام المذكور شهد بداية التأليف التاريخى المتخصص فى موضوعات محددة من التاريخ البيزنطى.

وقد واصل ذلك المؤرخ الرائد إصداراته فقام بخطوة مهمة حيث أصدر ترجمة لكتاب والى المدينة ، ونشر عمله فى مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة مجلد (١٩) ، ج (١) مايو ١٩٥٧م، ويعد ذلك بمثابة أول ترجمة لمصدر بيزنطى إلى العربية خلال ذلك الوقت المبكر.

من جهة أخرى؛ قام المؤرخ اللبناني أسد رستم بإصدار كتابه الرائد الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب فى جزأين ، عامى ١٩٥٥م، ١٩٥٦م وقيمة ذلك الكتاب تتأتى من خلال إدراكنا أن صاحبه طالع المصادر التاريخية البيزنطية خلال تلك المرحلة المبكرة، وقدم لنا كتاباً مفصلاً يتناول التاريخ البيزنطى منذ البداية حتى النهاية من خلال الجانبين السياسى والحضارى، ومن الملفت للانتباه ؛ أن هذا العام (٢٠٠٦م) ، يمر نصف قرن على صدور الجزء الثانى من ذلك الكتاب الرائد الذى أعده مؤرخ لبنانى بارز.

يضاف إلى ذلك ؛ شهدت مرحلة الستينيات صدور مؤلفات مهمة فى مصر ، وكذلك لبنان، وسوريا وبالنسبة للأولى، نذكر ما ألفه عمر كمال توفيق تحت عنوان: مقدمات العدوان الصليبي الإمبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية الذى صدر فى الاسكندرية عام ١٩٦٦م، ثم فى العام التالى مباشرة أصدر كتابه الإمبراطورية البيزنطية فى نفس المدينة ، وقد حدث ذلك بعد أن عاد من بعثته العلمية فى بنسلفانيا Pennsylvania بالولايات المتحدة الأمريكية حيث اشتهرت الجامعة المذكورة بدراسات العصور الوسطى.

ثم أصدر فتحى عثمان دراسته الموسوعية الرائدة بعنوان : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى، وذلك فى ٣ أجزاء وصدر بالقاهرة عام ١٩٦٦م، وتعد دراسة متميزة من خلال اهتمام مؤلفها بالزاويتين الحربية والحضارية وتمتاز بغزارة التفاصيل ويعد كتابه أول عمل أكاديمى عربى يقع فى ٣ أجزاء كاملة، ولم يسمع من قبل عن مؤرخ عربى يؤلف كتاباً فى عدة أجزاء عن التاريخ البيزنطى قبل ذلك المؤرخ الرائد، وإن تكرر فيما بعد فى صورة أ.د. رأفت عبد الحميد وكتابه الدولة والكنيسة .

وفيما بعد؛ وفى مطلع السبعينيات، أصدر المؤرخ الرائد أ.د. إسحق عبيد دراسته بعنوان روما وبيزنطة الصادر فى القاهرة عام ١٩٧٠م وهى فى الأصل أطروحة الدكتوراه التى أعدها من جامعة نوتنجهام بالإنجلترا بإشراف برنارد هاملتون Bernard Hamilton، وتمتاز هذه الدراسة بأنها تقدم لنا عرضاً موثقاً يعتمد على المصادر البيزنطية واللاتينية فى المقام الأول على تطور العلاقات بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى على مدى عدة قرون.

من بعد ذلك ، نجد مؤرخاً بارزاً فى التاريخ الكنسى هو الراحل أ.د. رأفت عبد الحميد وأهم إسهاماته كتابه الدولة والكنيسة فى ٤ أجزاء .

كذلك نشير إلى مؤلفات عدد من المؤرخين<sup>(١)</sup> كل من العرب البارزين مثل أ.د. عليه الجنزورى ، أ.د. ليلى عبد الجواد، أ.د. عفاف صبره ، أ.د. محمود سعيد عمران ، أ.د. وسام عبد العزيز فرج<sup>(٢)</sup>، أ.د. جوزيف نسيم يوسف ، أ.د. محمد مرسى الشيخ ، أ.د. محمود عبد الغنى عبد العاطى ، أ.د. حسنين ربيع ، أ.د. عادل زيتون، أ.د. نعيم فرج ، د. عبد السلام زيدان وغيرهم.

---

١- عن مؤلفاتهم أنظر قائمة المراجع العربية والمعرية.

٢- من الملاحظ أن ذلك المؤرخ على نحو خاص تتميز مؤلفاته ، وذلك بعد عودته من بعثه إلى مركز الدراسات البيزنطية فى جامعة بترجمتها فى إنجلترا، وقد تناول دراسات ذات طابعين سياسى وحضارى ، وذلك بالاعتماد على المصادر التاريخية البيزنطية وكذلك المؤلفات الحديثة خاصة الدوريات ، ويعد القارئ عدداً من مؤلفاته فى قائمة المصادر والمراجع وقد جعل من كلية الآداب- جامعة المنصورة مركزاً بحثياً مهماً لمجال الدراسات البيزنطية وأشرف على عدة أطروحات علمية لدرجتى الماجستير والدكتوراه.

تلك ملامح الكتابات العلمية المصدرية أو المرجعية الأجنبية والعربية والمعرية ؛ أما المصادر الأخرى للتاريخ البيزنطي مثل الآثار، والنقوش، والنقود فتقدم عرضاً موجزاً لأهم الدراسات عنها .

وفيما يتصل بالآثار البيزنطية ، يمكن الإشارة إلى أمثلة بعض المؤلفات المهمة وهي كالاتى :

- Ross, Catalogue of the Byzantine and Early Medieval Antiquities in the Dambarton Oaks Collection , vol . 1-2 , Washington 1962-1965 .

vol . 3, by Weitzmaun, 1972 .

- Hamilton , Byzantine architecture and Decoration, London , 1958 .

- Foss (C.) , Winfield (D.) Byzantine Fortifications : An Introduction, Pretoria 1986 .

- Grabar (A.), L'Iconoclasme byzantine : le dossier. archaeologique , Paris 1984 .

- The Great Palace of Byzantine Emperors , being a first Report on The exclavations carried out in Istanbul on behalf of the Walker Trust, University of St. Andrews 1935- 1938 , London 1947 .

- Jackson, Byzantine and Romanesque Architectue , Cambridge 1930 .

وفيما يتعلق بالموازيكو البيزنطي أنظر:

Furlan (I) , le Icone byzantine a mosaico , Mylan 1979 .

Demus (O.), The Mosaics of Norman Sicily , London 1949 , Byzantine Mosaic Decoration, London 1976, The Moosaics of San Marco in Venice , 2 vols., Chicago 1984 .

والباحث المذكور متخصص فى أعمال الموازيكو البيزنطي<sup>(١)</sup>.

---

١- وفى معرض تناولنا لأمر غاذج من المؤلفات الخاصة لآثار البيزنطية أود الإشارة إلى أن هناك مجلة =

أما النقوش البيزنطية ؛ فتشير في أمرها إلى المؤلفات التالية :

- Corpus Inscriptionum Graearum , 4 vols ., Berlin 1828-1877 .
- Recueil des Inscriptions Grecques Chretiennes d'Asie Mineure, Paris 1922 .

(ويلامح أنه تم إيرادهما من قبل لدى مجموعات المصادر) .

كما أن هناك دراسات مهمة في هذا المجال من أمثلتها:

Millet (G.), Inscriptions Chretiennes de L'Athos, Paris 1904 .

- Le Fevre (G.), Inscriptions Chretiennes d'Egypte, le Carie 1907 .
- Gregoire (H.) , Inscriptions Chretiennes d'Asie Mineure, Paris 1922 .

أما العملة البيزنطية؛ فهناك دراسات قليلة ومهمة عنها بالفرنسية ، والإنجليزية نذكر من أمثلتها:

- Sabatier (J.), Description Generale des monnies byzantines, 2 vols , Paris 1863 .
- Wroth (W.), Catalogue of Byzantine (Coins in the British Museum, 2 vols ., London 1908 .
- Fagerlie (J.M.), Late Roman and Byzantine Solidi Found in Sweden and Denmark , New York 1967 .
- Witting (P.), Monnaies Byzantine Paris 1975 .

---

= سنوية تصدر من جانب المعهد البريطاني للآثار في أنقرة - British Institute of Archaeology at Ankara  
Kara's Journal .

كذلك هناك مجلة دراسات أناضولية Anatolian Studies ولا تغفل التقرير الأثرى :

Archaeological Report

Journal of Hellenic Studies.

وهو تقرير سنوي يصدر كملحق لمجلة الدراسات الهلينية:

Whittow , The Making of Byzantium 600-1025, p. 426 .

عن ذلك انظر:



- Grierson (p. Byzantine Coins, London 1982 .
- Hendy (M.F.), Coinage and Money in The Byzantine Empire 1081-1261 , Dumbarton Oaks , Washington 1964 .
- Studies in the Byzantine Monetary Economy 300-1450 , Cambridge 1984 .
- Catalogue of the Byzantine Coins in the Dumbarton Oaks Collection and in The Whistmore Collection , ed. by Alfred R. Bellinger and Philip Grierson: vol . I. : الجزء الأول : من أناستاسيوس إلى موريس ٤٥١-٦٠٢ م .  
Anastasius I to Maurice, 451-602, 1966 .

الجزء الثاني : vol . II

- من فوكاس إلى ثيودسيوس الثالث ٦٠٢-٧١٧ م .  
Phocas to Theodosius III, 602-717, 1968 .

الجزء الثالث : Vol . III

- من ليو الثالث إلى نقفور الثالث ٧١٧-١٠٨١ م .  
Leo III to Nicephorus III 717-1081, 1973 .
- وهكذا ؛ فإن ذلك الكاتالوج يحتوى على نماذج من العملات البيزنطية من منتصف القرن الخامس م حتى أوائل ثمانينيات القرن الحادى عشر م .  
وبصفة عامة ؛ يعد هندى أهم من اهتم بدراسة العملة البيزنطية .

- Lopez (R.) , "The Dollar of The Middle Ages", J.E.H., vol . II. 1951 , pp. 209-234 .

ذلك مدخل ببليوغرافى أولى عن التاريخ البيزنطى من خلال النماذج المختارة ، أما الصفحات التالية فيتم تخصيصها لبحث مشكلات دراسة تاريخ الامبراطورية البيزنطية .

أما المشكلات المنهجية التى تواجه الباحث فى دراسة التاريخ البيزنطى فهى تحتل أهمية كبيرة؛ فالباحث الذى لا يدركها ؛ يكرر ما قاله المؤرخون الآخرون دون دراية بالقضايا المنهجية

مكتبة المهتدين الإسلامية

التي هي أساسية في التعامل مع المصادر التاريخية، وكذلك الدراسات الحديثة ، ويلاحظ هنا؛ أن دراسة وقائع التاريخ من زاوية المشكلات المنهجية من شأنه استنطاق موضوعي للنصوص المصدرية والمرجعية، وفي نفس الحين يعين ذلك على التوصل إلى زوايا متجددة في تاريخ تلك الإمبراطورية ، وفي تصوري أنه لاجدوى من دراسة ذلك الفرع من الدراسات التاريخية الخاصة بآسيا الصغرى، وشرقي أوربا في القرون الوسطى دون دراسة إشكالياته المنهجية ؛ فهي المدخل الحقيقي والأساس العلمي الذي لا يمكن تجنبه .

والواقع أن مشكلات دراسة التاريخ البيزنطي متعددة ويمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: الامتداد الزمني للتاريخ البيزنطي؛ إذ عُمِّرت الامبراطورية البيزنطية على مدى المرحلة الواقعة من القرن الرابع م إلى القرن الخامس عشر (تحديداً من ٣٣٠ إلى ١٤٥٣ = ١١٢٣ عاماً) ؛ وهي بالتالي تعد أطول كيان سياسي «معمر» على مدي العصور الوسطى، وبالتالي فاقت بمراحل من قبل الإمبراطورية الرومانية التي عمرت خمسة قرون إلى أن سقطت على أيدي الجرمان عام ٤٧٦ م ، وكذلك الامبراطورية الرومانية المقدسة التي عمرت من القرن العاشر م إلى القرن السادس عشر؛ كما فاقت دولة الإسلام في الأندلس التي عمرت ثمانية قرون، والدولة العباسية التي امتدت نحو ستة قرون، ومعنى ذلك؛ أن الامبراطورية البيزنطية تعد الكيان المعمر الأول في عالم العصور الوسطى وقد أدى ذلك الامتداد الزمني الغير مسبوق إلى تعدد الظواهر التاريخية بها، وتعدد العلاقات الدولية بين تلك الامبراطورية وغيرها من القوى المجاورة مثل القوط والروس والبلغار، والماجبار، والنورمان ، والسلاف ، والمسلمين ، والصليبيين ، وغيرهم، على نحو لا يجده لدى أي كيان سياسي آخر في مرحلة العصور الوسطى، ويلاحظ أن تاريخ بيزنطة لا ينفصل عن تاريخ علاقاتها مع جيرانها حرباً أم سلماً على مدى أحد عشر قرناً من الزمان، وبالتالي ؛ فإن مؤرخها المحدث عليه معرفة أوضاع تلك القوى المجاورة بالضرورة .

من زاوية أخرى ؛ أدى ذلك الامتداد الزمني العابر للقرون إلى تصور بعض المؤرخين أن بيزنطة تمثل ظاهر تاريخية فريدة وأنها تعبر عن المقدرة الفائقة على الاستمرار والبقاء في التاريخ، ومن ثم درس عدد من المؤرخين عوامل استمرارها<sup>(١)</sup> واعتبروا الأمر «خصوصية

١- من أمثلة تلك الدراسات : عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م،

ص ٢٥-٣١ ، جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، ص ٢٧-٣٢ .

تاريخية بيزنطية» ؛ مع ملاحظة ان الاستمرار فى التاريخ ينبغى ألا يقاس بالمقياس الزمنى فقط، بل من خلال الفعالية التاريخية ذاتها.

ولانغفل ؛ الإشارة إلى أن ذلك الوضع جعل المؤرخين الذين أرادوا التخصص فى دراسة التاريخ البيزنطى فى مشكلة حقيقية، إذ كيف يمكن الإحاطة بأحداث أكثر من أحد عشر قرناً من الزمان بصورة علمية ودقيقة ؟ وفى تقديرى؛ أن المتخصص فى ذلك المجال من مجالات الدراسات التاريخية المتصلة بشرقى أوروبا وآسيا الصغرى فى القرون الوسطى يتخصص فى زاوية محددة ثم يحيط - قدر إمكانه - بأهم ملامح التاريخ البيزنطى، وهو وضع أملتته طبيعة دراسة تلك الإمبراطورية.

ولانغفل كذلك؛ اتجه الباحثين إلى تقسيم التاريخ البيزنطى إلى عصور فى صورة العصر المبكر ، والأوسط، والمتأخر، وهو أمر ما كان يحدث فى حالة اقتصره على عدد محدود من القرون.

**ثانيا : النطاق الجغرافى للإمبراطورية البيزنطية وانعكاساته** فيلاحظ أن تلك الامبراطورية شملت مناطق واسعة وامتدت فى مرحلة من مراحل تاريخها مثلما حدث خلال مرحلة من القرن السادس الميلادى من نهر الفرات شرقاً إلى المحيط الاطلنطى غرباً، والأمر المؤكد أن ذلك الوضع ألقى على حكام القسطنطينية تبعات متعددة فى إدارة ذلك الامتداد المتسع بما احتواه من شعوب، وأمم، وأقوام متباينة ذات أبعاد انفصالية عن المركز.

ومع ذلك ؛ فإن النطاق المذكور لم يكن ثابتاً ، بل لحقته تغيرات متعددة على مدى التاريخ البيزنطى المديد، وفى القرن السابع الميلادى وكنتيجة للتوسعات تم إخضاع بلاد الشام ومصر والشمال الافريقى وخرجت بالتالى من نطاق السيادة البيزنطية ، وفيما بعد فى النصف الأول من القرن الخامس عشر م، وفى عهد الامبراطور البيزنطى الأخير قسطنطين الحادى عشر لم يكن له من نفوذ سوى على القسطنطينية فقط، وذلك قبيل سقوطها فى أيدي الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م.

كذلك لانغفل ؛ أن ذلك النطاق الجغرافى امتاز بتعدد مظاهر السطح فيه بين مناطق جبلية وسهلية وتعددت موارده الاقتصادية ونشاط السكان فيه، وفرض ذلك بالتالى على الباحث فى تاريخه إدراك كافة تلك المظاهر الجغرافية المتباينة من أجل فهم الأحداث التاريخية ذاتها.

وهكذا ؛ يتأكد للمرء أن تلك الامبراطورية مثلت كياناً سياسياً معقداً من حيث زاويتي الزمان والمكان، مع عدم إغفال أن «الزمان» البيزنطى كان أكثر استقراراً من «المكان» بحكم استمرارية الأول وتغير الثانى.

تجدر الإشارة ؛ أن ذلك الإتساع المكاني ، ومن قبل الزماني - السالفى الذكر - انعكس بالضرورة على حجم التراث التاريخى المصدري المكتوب عن الامبراطورية البيزنطية وهى التى دخلت فى علاقات سياسية وحضارية متشعبة مع مختلف القوى المجاورة لها، وحتى البعيدة جغرافياً عنها بحكم رابطة المصالح المتبادلة على كافة الأصعدة والمستويات، وهكذا ؛ وجدنا مصادر تاريخية - إلى جانب البيزنطية بطبيعة الحال - روسية، وألمانية، وفرنسية، وسريانية وأرمينية ، وعربية على نحو يجعل المؤرخ الذى يتصدى بالكتابة عن تلك الامبراطورية يفاجأ بوجود كم مصدري يصعب إحصاؤه؛ وهو أمر ما كان من الممكن أن يحدث فى حالة محدودية النطاقين الزماني ، وكذلك المكاني.

من الملاحظ ؛ أن الزاوية المذكورة تتأكد لنا عندما نجد مصادر تاريخية متعددة لحادثة واحدة، ونلاحظ تعدد مشارب المؤرخين وانتماءاتهم الدينية والسياسية على نحو يجعل التوصل إلى الحقيقة التاريخية أو محاولة الاقتراب منها أمراً شاقاً، وهناك من يرى أن ذلك يعد مكسباً لذلك التاريخ نظراً لكون اختلاف المصادر التاريخية من شأنه إثراء الكتابة التاريخية ذاتها، نجد أن ذلك يمثل جانباً واحداً من وجهى القضية ، وعلى هذا الاعتبار ؛ نجد أن ذلك التنوع يدعم الإشكالية العامة لدراسة التاريخ البيزنطى، بل من الممكن القول أن من الصعوبة بمكان أن يحاول الباحث المتخصص فى ذلك النوع من الدراسات التاريخية المتصل بآسيا الصغرى وشرقى أوروبا الاحاطة الشاملة بالمصادر التاريخية ، نظراً لتعددتها البالغ كما وكيفاً ناهيك عن تعدد اللغات التى كتب بها تلك المصادر .

وهكذا ؛ يتضح لنا بجلاء ؛ أن الاتساع الزماني وكذلك المكاني كان له أثره الواضح على الكتابة التاريخية المصدرية ذاتها، على نحو دعم إشكالية كتابة التاريخ البيزنطى ذات الأوجه المتعددة.

ومن المهم هنا الاقرار، أن جانبي الزمان والمكان لا يمكن دراستهما بصورة منفصلة بعد الأخرى نظراً لتلازمهما معاً.



ثالثًا : الطابع الرسمي للمصادر التاريخية ، من المفارقات الحادة فى التاريخ البيزنطى ؛ أن المصادر التاريخية لتلك الامبراطورية مصادر ذات طابع رسمى واضح المعالم فى جانب كبير منها ، فلدينا تاريخ الأباطرة، وليس لدينا تاريخ الشعوب التى صنعت تاريخها ؛ ويتأكد للباحث ؛ أن الإشارات التى تتناول عامة الناس تعد ثانوية ومحدودة مقارنة بالحوليات الكاملة التى تناولت إمبراطوراً ما ، أو عدة أباطرة .

ومن المقرر ؛ أن التاريخ تصنعه الشعوب وينسبه المؤرخون الرسميون للحكام، ويصدق ذلك تماماً على تلك الإمبراطورية، وهى بالتالى مشكلة منهجية أن يقوم المؤرخ المحدث بكتابة تاريخ نخبة سياسية وعسكرية حاكمة ويغفل تاريخ كيانات اجتماعية ضخمة نظراً لصمت المصادر التاريخية فى الغالب الأعم.

حقيقة أن لدينا سير للقديسين Hagiography<sup>(١)</sup> ، وملاحم أدبية، وشواهد القبور Epi-grama ، وغيرها وهى تقدم لنا مادة تاريخية عن عامة سكان الإمبراطورية، ومع ذلك؛ فإن الأمر فى نطاق محدود.

رابعاً : إستثمار العاصمة القسطنطينية بحجم التأليف التاريخى؛ من الملاحظ أن تلك العاصمة استأثرت باهتمام الأباطرة البيزنطيين ، وكذلك المؤرخين المعاصرين أنفسهم، ولم يكن ذلك يتناسب مع المناطق الأخرى من تلك الإمبراطورية ، ولذلك يمكن القول- دون اعتساف فى الأحكام؛ أن تاريخ بيزنطة ما هو إلا تاريخ القلب البيزنطى فى الأساس؛ أى القسطنطينية بصورة طاغية لافكاك منها .

إن الوضع السابق ؛ يجعل المؤرخ الذى يؤرخ لأية مدينة أو إقليم آخرى فى أرجاء الإمبراطورية الشاسعة يجد صعوبة بالغة فى أن تتوافر لديه مادة تاريخية مصدرية متوازنة، وكأن باقى أجزاء بيزنطة كان مُغيَّباً مقارنة بالقلب الذى كان بمثابة «البؤرة التاريخية» المكشوفة التى استأثرت بنصيب الأسد على حساب الأطراف.

وقد يرد البعض بأن العاصمة دائماً تكون محور الأحداث وبالتالي الكتابة التاريخية وأن ذلك ينطبق على عواصم أخرى فى القرون الوسطى مثل دمشق، وبغداد وقرطبة والقاهرة ؛ إلا

---

١- أنظر المدخل الجيولوجى .

أن العاصمة البيزنطية نجد فيها ذلك الأمر بصورة غير مسبقة خاصة أن لدينا مؤلفات تاريخية خاصة بالحواضر الإسلامية خلال تلك القرون نظراً لبروز نمط تأليفى لدى المسلمين فى صورة تواريخ المدن<sup>(١)</sup>.

والواقع ؛ أن نظرة متأنية لمحتويات المؤلفات المصدرية للتاريخ البيزنطى سوف يتضح لنا أن مؤلفيها فى الحقيقة يدرسون العاصمة دون إمكانية الفكاك من سيطرتها السياسية على المعاصرين ، وسطوتها العلمية من حيث المعالجة على الباحثين الأوربيين<sup>(٢)</sup> .

وإذا اتجهنا إلى مقارنة بين تلك الإمبراطورية ومملكة بيت المقدس الصليبية اللاتينية The Latin Kingdom of Jerusalem فعلى الرغم من أن الأولى حكمت ما زاد على خمسة ما يزيد على أضعاف حكم الثانية (القرنان ١٢ ، ١٣ م) ؛ سنجد أن الأخيرة يمكن كتابة مؤلفات

١- من أمثلتها كتاب ، تاريخ مدينة دمشق الذى ألفه ابن عساكر (ت ١١٧٦ م) . وقد وقع فى ( ٨٠٠ ) جزء ، جمعوا فى ٨٠ مجلد فهر أكبر تاريخ ألف عن مدينة إسلامية ، عنه أنظر :

مجموعة من الباحثين ، ابن عساكر فى ذكرى مرور تسعمائة ستة على ولادته ٤٩٩-١٣٩٩ هـ ، وزارة التعليم العالى ، ط. دمشق ١٩٧٩ م ، ص ٣٣- ص ٧٧٥ .

وبعد الكتاب المذكور من أفضل ما نتج عن المؤتمرات العربية فى حفل الدراسات التاريخية، فى القرن الماضى، وهناك أيضا ما ألفه ابن العديم الحلبى ( ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) تمت عنوان زبدة الحلب ، وبغية الطلب فى تاريخ حلب، عن ذلك انظر:

فتحية النبراوى ، علم التاريخ دراسة فى مناهج البحث ، ط. القاهرة ١٩٩٦ م ، ص ١٠٧-١٠٨ .

٢- من أمثلة الدراسات المتخصصة فى القسطنطينية أنظر:

Barth, Constantinople , Paris; 1906 , Hutton, Constantinople: The Story of The Old Capital of the Empire, London 1907 .

Schlumberger, La Pris et le sac le Sac de Constantinople par les Turks, Paris, 1914 .

Janin , Constantinople byzantine development Urbain et repertoire Topographie , Paris, 1950 .

Maclagan, The City of Constantinople. New York 1968 .

Asimov, Constantinople The Forgotten Empire, Boston 1970 .

متخصصة عن كل مدينة من مدنها سواء الإمارات الصليبية أو المدن الساحلية والداخلية ، وساعد على ذلك ؛ أن رقعة مملكة الصليبيين في بلاد الشام كانت محدودة، وبالتالي فالحدث الحربى امتدت تأثيراته السياسية على المناطق المجاورة فأنعكس ذلك كله على ما ورد فى المصادر المعاصرة، وما أكثرها سواء اللاتينية ، والسريانية ، والأرمينية والعربية ، وغيرها .

وهكذا ؛ يمكن القول أن الإتساع الزمانى ، والمكانى لم يُمكن المؤرخين المحدثين فى مجال الدراسات البيزنطية من الخروج من مأزق العاصمة المستأثرة والمستأسدة التى تلغى مناطق شاسعة أخرى من ربوع الإمبراطورية .

وهناك ملاحظة جديرة بالإنابة ؛ تتمثل فى أن هناك مرحلة استثنائية قصيرة فى التاريخ البيزنطى المديد أمكن فيها الخروج من دائرة العاصمة على مستوى الكتابة التاريخية، وهى الفترة من ١٢٠٤ إلى ١٢٧١م، حيث ظهرت إمارة بيزنطية بديلة فى نيقية ، وكذلك وجدت إمارة أخرى فى طرابيزون، وثالثة فى ايبروس وخلال تلك الفترة المحدودة ، والاستثنائية ؛ من الممكن القول أن الكتابة التاريخية البيزنطية خرجت - مرحلياً ومؤقتاً من أسر العاصمة القسطنطينية ، إلا أنها بعد عام ١٢٧١م ؛ عادت إليها مرة أخرى.

نخلص من ذلك كله ؛ أن المشكلة القائمة تتمثل فى أن لدينا مصادر تاريخية بل ودراسات حديثة وفيرة عن بيزنطة العاصمة وليس بيزنطة الإمبراطورية المترامية الأطراف ؛ مما عكس التناقض الحاد بين المعالجة التاريخية للقلب والأطراف .

### خامساً : المركزية الأوروبية ، وتأثيراتها على معالجة تاريخ بيزنطة :

واقع الأمر ؛ أن دراسة التاريخ البيزنطى بدأت من خلال المدارس التاريخية الفرنسية والروسية والإنجليزية، والألمانية، كما أسلفت الذكر من قبل وهكذا ؛ فإن الريادة فى الكتابة التاريخية الحديثة كانت للباحثين الغربيين دون نزاع فى صورة نبشر النصوص المصدرية أو المؤلفات الحديثة .

ولانغفل زاوية أساسية وهى ؛ أن فتح القسطنطينية على أيدي المسلمين بقيادة محمد الفاتح العثمانى عام ١٤٥٣م ؛ جعل المؤرخين الأوربيين يحرصون على الكتابة التاريخية عنها حفظاً لها من "ضياع" ، وتذكراً للعقل الجمعى الأوروبى بمراحل الصدام بين عالمى المسيحية، والإسلام خلال العصر الوسيط، وتجنباً لتكرار التجربة مرة أخرى فى غير صالح الأوربيين.

ويلاحظ ؛ أن من أولئك المؤرخين الغربيين من نظر إلى بيزنطة بنوع من الحنين المتدفق والألم الدفين على ضياع درع المسيحية الأرثوذكسية على أيدي المسلمين ، وهو أمر يتشابه إلى حد كبير في نظرة المؤرخين المسلمين المحدثين عندما يتناولون دولة الإسلام في الأندلس وسقوطها على أيدي الأسبان الكاثوليك عام ١٤٩٢م بالدراسة ، ويعتبرونها بمثابة الفردوس المفقود ؛ وتفاؤلاً للفردوس الموعود !

جدير بالإشارة ؛ أن من أولئك المؤرخين الغربيين من أراد خلق نماذج من البطولة الأوروبية في القرون الوسطى ولذلك أحاطوا كل إمبراطور بيزنطي محارب بجيوش جرارة ؛ بهالة من التقدير والإنبهار ، ومن ثم ظهرت في عناوين مؤلفاتهم تعبيرات مثل: « قسطنطين الكبير » ، و« جستنيان العظيم » ، وغيرهما من العبارات التي تعكس المبالغة أكثر من المعالجة الموضوعية ذاتها .

ومن المهم ملاحظة؛ أن الباحثين العرب المحدثين عندما اتجهوا إلى تأليف مؤلفات عن التاريخ البيزنطي تأثروا بتلك المركزية بحكم أسبقيتها ، وريادتها <sup>(١)</sup> ، ولم يكن في الإمكان الفكاك منها خاصة خلال تلك المرحلة المبكرة من مراحل التأليف التاريخي العربي الحديث عن بيزنطة وهو لا يتجاوز سبعة عقود ، ولامراء في أن زاوية الترجمة كان لها دورها في ذلك المجال ، باستثناء مراحل تاريخية معينة كتلك التي حدث خلالها الصراع العربي - البيزنطي كما نجده في عهود الأسرة الهرقلية ، والأيسورية ، والعمورية ، والمقدونية ، وذلك كله يعنى؛

---

١- من أمثلة مثل ذلك التأثير ما أورده عادل زيتون عن الصراع بين المسلمين والبنادقة في البحر الأدريكاتيكي حيث ذكر ما نصه : « في عام ١٠٠٤م هزم التجار البنادقة القراصنة المسلمين في بارى ورفعوا الحصار عنها ، وطردها المسلمين من أبوليا ، وبهذا نجح البنادقة في تنظيف البحر الأدرياتي من القراصنة وكسبوا بذلك مدخلاً هاماً إلى البحر المتوسط الشرقي » ، انظر: عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ١١٥ .

مثل تلك العبارات أبعد ما تكون عن الواقع التاريخي لقد كان دور المسلمين حينذاك جهاداً بحرياً مشروعاً ولم يكونوا البتة قراصنة ، ومثل ذلك الرأي قد يقبل من مؤرخ أوربي لا من مؤرخ عربي مسلم مع تقريرى الشخصى له لمؤلفاته .



أن المركزية الأوروبية كان تأثيرها محدوداً نسبياً فيما اتصل بالعلاقات الحدودية العربية-البيزنطية، أما ما تعلق بالتاريخ السياسى ، والحضارى لتلك الإمبراطورية ؛ فالاعتماد الأوفر تأتى من خلال كتابات المؤرخين الأوربيين المحدثين .

وقد ساعد على تفاقم المشكلة ؛ غياب مركزية عربية مقابلة، فالملاحظ أن جانباً وافراً من الكتابات العربية الحديثة فى مجال البيزنطيات تقف عند حد الترجمة من المصادر اليونانية ، واللاتينية ، والمراجع الحديثة الإنجليزية والفرنسية دون تصورات نقدية تحليلية منطلقة من مركزية خاصة مع وجود بعض الاستثناءات على أيدى مؤرخين رواد<sup>(١)</sup> ليس فى الإمكان إغفال دورهم بأي حال من الأحوال.

ومن ناحية أخرى؛ من الملاحظ أن تلك المركزية الأوربية، كان لها تأثيرها فى مجال آخر، من حيث مهاجمة الدولة العثمانية التى كان لها فضل إسقاط العاصمة البيزنطية عام ١٤٥٣م والوصول بالإسلام إلى شرقى أوروبا ، وجعل البحر الأحمر بحيرة إسلامية مغلقة وحماية الأماكن الإسلامية المقدسة فى الحجاز من مؤامرات البرتغاليين ، كذلك عمل العثمانيون جاهددين على إنقاذ الأندلس واسترداده فى مطلع العصر الحديث ، وقد حرص المؤرخون الأوربيون على الإساءة إليها بكل وسيلة بل والهجوم على شخص السلطان محمد الفاتح لإسقاطه من مكانته السامية كقائد عسكري شاب فذ وسياسى قدير حقق - ومعه المسلمون- ما عجز عنه السابقون عبر قرون عديدة واتهموها بأنها السبب الرئيسى فى تخلف المسلمين خاصة مطلع العصر الحديث ، وقد رفع ذلك الأمر، الذى تأثر به قطاع من المؤرخين العرب المحدثين- إلى قيام الراحل أ.د. عبد العزيز الشناوى بتأليف دراسته الشهيرة بعنوان: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها<sup>(٢)</sup>.

١- فى هذا الشأن انظر: محمد مؤنس عوض، رواد العصور الوسطى فى مصر ط. القاهرة ٢٠٠٧م.

٢- لم يكفى للتدليل على ازدواجية المعايير لدى الغربيين أن الدولة العثمانية - كما لاحظ عبد العزيز الشناوى- عمرت أكثر من ٦ قرون، أما إمبراطورية نابليون بونابرت فقد دامت ١١ عاماً فقط (١٨٠٤-١٨١٥م) ثم انهارت عقب هزيمة الفاضحة فى ووترلو Waterloo، أما الامبراطورية الثانية التى أقامها نابليون الثالث فقد انهارت هى الأخرى بعد ١٨ عاماً ، فقط (١٨٥٢-١٨٧٠م) عقب هزيمته فى معركة سيدان Sedan ومن الغريب أن نابليون الأول والثالث لقبا اهتماماً بالغاً دعائياً من جانب المؤرخين=

وهكذا ؛ فإن المركزية الأوروبية تعد مشكلة حقيقية عند كتابة التاريخ البيزنطى؛ نظراً لكون بيزنطة تمثل جزءاً رئيسياً من تاريخ شرقى أوروبا فى القرون الوسطى ، ولأسبقية المؤرخين الأوروبيين المحدثين فى التأليف التاريخى عنها، فلم يتركوا شاردة، ولا واردة عنها إلا وكتبوا بشأنها - من وجهة نظرهم بطبيعة الحال.

ولانغفل هنا زاوية على جانب كبير من الأهمية، تتمثل فى أن تلك المركزية تدعمت حالياً على نحو بارز من خلال شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) التى من خلال التعامل معها يتضح للباحث بجلاء وجود ما يوصف - بطوفان- من المصادر التاريخية ، والمراجع الحديثة خاصة الإنجليزية، والفرنسية والروسية والألمانية فى مجال الدراسات البيزنطية. أما الوجود العربى فيها فلا يكاد يُذكر ، ولانزاع فى أنه خلال 'العشر سنوات الأخيرة حدث ما يوصف «بانفجار معرفى» كان لتلك الدراسات نصيب منه، على نحو جعل التعامل مع نتاج الرؤية التاريخية الأوروبية أمراً لا مفر منه ، وبكثافة كمية ونوعية غير مسبقة ولم تحدث فى عهود رواد الدراسات البيزنطية أنفسهم وبذلك فإن «الثروة المعرفية» تزيد من مازق ضالة الإسهام العربى فى كتابة التاريخ البيزنطى وتدعم المركزية الأوروبية الطاغية .

#### سادساً : مؤسسو الأسرات البيزنطية الحاكمة ودورهم الريادى<sup>(١)</sup>.

يعد مؤسسو الأسرات البيزنطية الحاكمة بمثابة القرة الفعلية، والمحركة للتاريخ البيزنطى مع عدم إغفال أوجه الاختلاف بينهم من حيث الدور التاريخى ذاته، والظروف الداخلية والدولية المصاحبة لحكمهم وكذلك الحصاد الختامى لكل منهم.

= الغربيين خاصة الفرنسيين على حين وصفوا السلطان العثمانى على أنه: «السلطان المسلم الجاهل المتبربر المستغرق فى ملذاته مع جواربه الفاتنات»، وأمام كافة تلك التوجهات المتناقضة لم يكن غريباً أن يختار المؤلف العنوان السالف الذكر لكتابه. عبد العزيز الشناوى، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج. ١ ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص ٦-٧ .

ولانغفل أن المفكر المصرى، د. حسن حنفى رأى أن الحل يكمن فى الاستغراب لمواجهة الاستشراق وقد فصل ذلك فى كتابه ، انظر:

حسن حنفى، مقدمة فى علم الاستغراب ، ط. بيروت مع ملاحظة أن تنفيذ ذلك على المستوى الواقعى أمر صعب المنال لأمر ليس هنا مجال تفصيل الحديث فيها .

١- تجدر الإشارة إلى أن القسم الثانى من كتابى أتناول فيه الأسرات الحاكمة البيزنطية، ولا يدل ذلك =

وهكذا : من اليسير ملاحظة أن الأباطرة : قسطنطين الأول (٣٠٦-٣٣٧م)، وثيودوسيوس الأول (٣٧٩-٣٩٥م) وهرقل (٦١٠-٦٤١م) وليو الثالث الأيسوري (٧١٧-٧٤١م) وميخائيل الثاني العموري (٨٢٠-٨٢٩م) والكسيوس كومنين (٨١٠-٨١٨م) ، وإسحق الثاني أنجليوس (١١٨٥-١١٩٥م) ، وميخائيل باليولوغرس (١٢٦١-١٢٨٢م) ، هؤلاء وغيرهم هم التاريخ الفعلي البيزنطي - إلى حد كبير - ومن أتى من بعدهم يعدون في الغالب مجرد أباطرة ثانويين ، ويعانى ذلك التاريخ مما يوصف «بعقدة الامبراطور المؤسس» ، الذى يقوم بالدور التاريخى البارز ويحقق نجاحاً أو فشلاً ، ويجعل من يأتى من بعده من الأباطرة يجنون حصاد ما زرع إيجابياً أو سلبياً ، ويلاحظ هنا : أن الإمبراطور المؤسس يحظى بوفرة مصدرية بارزة على عكس الاهتمام المحدود الذى وجهه المؤرخون البيزنطيون المعاصرون لمن أتى من بعده ، وأنعكس ذلك بالتالى على معالجات المؤرخين المحدثين أنفسهم.

بناءً على ذلك : ليس من الغريب ملاحظة أن التاريخ البيزنطي وافر النشاط خلال عهد أولئك الأباطرة المؤسسين ويعانى من الخمول، والنمطية فى عهود الأباطرة التاليين مع وجود استثناءات بالطبع ولايستطيع الباحث فى التاريخ البيزنطي الفكاك من ذلك الوضع الذى يأتى على حساب الدور التاريخى لباقي الأباطرة ، وما أكثرهم، وهكذا يتأكد لنا أن مجريات ذلك التاريخ تم حسمها فى الغالب الأعم من خلال دور أولئك الأباطرة المؤسسين على نحو خاص.

ومع ذلك : قد يرد البعض بأن هناك أباطرة بيزنطيين لعبوا أدواراً بارزة فى التاريخ البيزنطي ولم يكونوا من مؤسس الأسرات، ومن أمثلتهم الإمبراطور جستنيان الأول Justin-ian I (٥٢٧-٥٦٥م) ، والإمبراطور باسل الثانى قصاب البلغار Basil II Bulgaroctonus (٩٧٦-١٠٢٥م) ، وقد لعب كل منهما أدواراً محورية فالأول حارب الجرمان، والثانى يعد - فى تقدير البعض - آخر الأباطرة البيزنطيين الكبار ، وللدرد على ذلك : يمكن القول بأن الإمبراطورين المذكورين يعدان من الحالات الاستثنائية النادرة غير أن مؤسسى الأسرات

---

على الوقوع فى دائرة الاعجاب بمؤسس تلك الأسرات غير أن تاريخ الامبراطورية البيزنطية يمكن أن يدرس من خلال ذلك التوجه مع الحرص على المقارنة بين التطورات التى حدثت فى عهد كل أسرة.

أنظر الملحق الخاص بأباطرة التاريخ البيزنطي والتعليق عليهم خاصة من خلال دور مؤسسى الأسرات البيزنطية الحاكمة.

-بوجه عام- يعدون أصحاب الأدوار الكبرى فى التاريخ البيزنطى ومن أتى من بعدهم مجرد أباطرة تابعين ومدد حكمهم معروفة سلفاً من حيث طبيعتها على اعتبار أنهم صدى للأباطرة السابقين الكبار<sup>(١)</sup>.

سابعاً : مشكلة الطابع الذكورى للتاريخ البيزنطى وتغيب دور المرأة خاصة البعيدة عن السلطة:

من الملاحظ أن المجتمع البيزنطى كان مجتمعاً يسيطر عليه الرجل ولم يكن للمرأة<sup>(٢)</sup> الدور البارز فيه إذا ما قورنت بالرجل، وهكذا؛ كان المؤرخون من الرجال، ويكتبون تاريخ الإمبراطورية وتجاهلوا المرأة، والإشارة إليها إلا فى القليل النادر، ووجدت كتابات منحازة بحكم التكوين الدينى الكنسى لأغلب أولئك المؤرخين، وهكذا؛ كان الرجل هو الخصم والحكم فى آن واحد مما انعكس بدوره على نصوص المصادر ذاتها.

وإذا ردَّ البعض بأن هناك إشارات ثرية عن المرأة البيزنطية خاصة فى عالم السياسة مثل ثيودورا Theodora زوجة جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) والامبراطورة إيرينى Irene (٧٩٧-٨٠٢م)، وأناكومينا Anna Comnena ابنة الامبراطور الكسبوس كومنين (١٠٨١-١١١٨م) وغيرهن، إلا أن الدور النسوى فى الحياة العامة، لا نجد عنه إلا النذر اليسير، والتاريخ البيزنطى من خلال المصادر الأصلية غير متوازن والكفة الراجحة - على نحو مؤكد- فى جانب الرجال لا النساء، وانعكست ذات الصفة على المعالجات الحديثة لدى المؤرخين الأوربيين أنفسهم ومن الأمور ذات الدلالة؛ أنه فى وسط الكم الكبير من المؤرخين الرجال لا يظهر لنا سوى مؤرخة واحدة هى أنا كومينا ابنة الكسبوس كومنين. ولو لم تكن ابنة ذلك الامبراطور لما ظهرت إلى الساحة أصلاً كمؤرخة قديرة ذات تكوين ثقافى، وعلمى

١- سيتم تناول ذلك على نحو مفصل فى ملحق خاص قى القسم المخصص للملاحق.

٢- لاتزال الدراسة الثرية والقيمة التي ألفتها أ.د. عليّ الجنزورى؛ أستاذ العصور الوسطى بكلية البنات - جامعة عين شمس عن المرأة البيزنطية والصادرة بالقاهرة عام ١٩٨٠م على مدى التاريخ البيزنطى بأكمله، بمثابة الدراسة الرائدة بالعربية فى الموضوع المذكور وأوفته بحثاً ودرساً على نحو يجهد كل من يحاول دراسته من بعدها، وعلى الرغم من صدور دراسات متعددة عن المرأة البيزنطية بالإنجليزية فى الأعوام الأخيرة؛ إلا أنه لا توجد دراسات منشورة بالعربية- حتى الآن- تصل إلى مستوى دراسة تلك المؤرخة الرائدة وتمتاز بأنها مؤرخة ولذلك فى مقدورها إدراك الجوانب النفسية المتعلقة بتاريخ المرأة ناهيك عن قدرتها على التحليل والعرض السلس.



خاص ! وبذلك توصف بأنها مؤرخة استثنائية . ولا يمكن اتخاذها بالتالى كقاعدة عامة عن المرأة البيزنطية.

وهكذا : فإن المؤرخين المحدثين - دون قصد منهم- يكتبون « تاريخاً ذكورياً » للإمبراطورية البيزنطية، ودائماً كانت المرأة فى تلك الامبراطورية بمثابة «الجندي المجهول» الذى لم تسلط عليه الأضواء الكافية خاصة القطاعات البعيدة عن السلطة السياسية وهى القطاعات الأوسع نطاقاً بطبيعة الحال.

ولانغفل كذلك؛ أن المرأة البيزنطية دفعت الثمن غالياً خاصة خلال مراحل الحروب المتعددة التى خيض غمارها مع الأعداء، وما أكثرهم، وكذلك خلال أحداث الثورات، والصراعات الداخلية وبالتالى ؛ والصراعات الداخلية وبالتالى ؛ فإن ذلك الوضع الذى لا يمكن الفكك منه ؛ يجعلنا ندرك أن تاريخ تلك الامبراطورية يشوبه النقص الدائم من خلال غياب عناصر أساسيه فى تكوينه المصدري ويمثل تهميش دور المرأة عن عمد مظهرأ واضحاً دالاً على ذلك النقص.

ومع ذلك ؛ أود أن ألفت نظر القارئ ؛ إلى خطورة تبني توجهات بعض المؤرخات حالياً- فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية من أصحاب وجهات نظر الحركات النسوية التى تعصبت لدور المرأة، ورأت أن التاريخ النسوى لم يكتب البتة بعد بروح الموضوعية ، وهكذا ؛ فعندما قدم ذلك القطاع من المؤرخات إسهاماته وجدنا لديه التعصب للمرأة ودورها التاريخي، وكأنها فى خصومة أبدية تاريخية مع الرجل ! وهو تصور مغلوط يكرر ذات المأزق الذى وقع فيه المؤرخون الرجال الذين تجاهلوا « حواء البيزنطية » إلا ما ندر من إشارات متناثرة هنا وهناك . وأتصور أن كلاً من الطرفين لم يقدم إلا رؤية جزئية مهتسرة لأحداث التاريخ البيزنطى الذى صنعه الرجال والنساء معاً.

#### ثامناً : الطابع الدينى لمصادر تاريخ الإمبراطورية البيزنطية:

من الملاحظ أن تاريخ تلك الإمبراطورية تم تغليفه بالدين فى العديد من أحداثه فى عصور عرفت بعصور الإيمان من خلال تعاظم الظاهرة الدينية خلالها، وهكذا ؛ نجد أن المصادر التاريخية التى ألفها مؤرخون تلقوا تعليماً كنسياً فى المقام الأول؛ تفيض كتاباتهم بالطابع

الدينى ، وهو أمر يجعل المؤرخ الذى يريد تفسير الأحداث تفسيراً عقلياً من خلال البحث عن الدوافع الحقيقية المحركة للحدث التاريخى ، وكذلك النتائج الناتجة عنه - تجعله يواجه مشكلة حقيقية هى هل يأخذ دائماً بالتفسير الدينى للأحداث ؟ أم أن هناك الجوانب الأخرى التى حرص قطاع من المؤرخين المعاصرين على إخفائها؛ دعماً للتفسير المذكور؟ ولانغفل أن الامبراطور البيزنطى نفسه ؛ نظر إليه المعاصرون على أنه نائب السيد المسيح ولذلك تم ترك الجانب الأيسر من العرش شاغراً<sup>(١)</sup>؛ على نحو لم يخل من الدلالة الدينية .

كما أن الامبراطور كان إمبراطوراً وأسقفاً معاً ، ولانغفل أيضاً أن الغرب الأوروبى خلال القرون الوسطى شهد الصراع بين الامبراطورية والبابوية ، أما فى بيزنطة فمثل ذلك الصراع لم يوجد إلا فى حالات نادرة لا تمثل بأى حال من الأحوال ما يوصف بأنه ظاهرة تاريخية .

ولانغفل ؛ أن الخلاف حول طبيعة السيد المسيح مثل جدلاً محتدماً لا يمكن إنكاره ، وفى مرحلة من المراحل ؛ حدث صراع محتدم على عبادة الأيقونات Icons ، وكان لازماً على كل إمبراطور أن يوضح موقفه من تلك القضية التى أثارت صراعاً واسع النطاق واستهلكت طاقة الإمبراطورية فى مرحلة من مراحل تاريخها .

ويندرج تحت ذات المشكلة ؛ توافر عدد كبير من القديسين<sup>(٢)</sup> فى تاريخ بيزنطة ، ومن أمثلتهم وأشهرهم القديس يوحنا الذهبى الفم St. John Chrysostom<sup>(٣)</sup> ، والقديس

١- هسى، العالم البيزنطى ، ص ٢٣٠ .

٢- عن ذلك انظر المدخل الجيوجرافى الجزء الخاص بالكتابات الهجوجرافية .

٣- القديس يوحنا الذهبى الفم؛ ولد فى أنطاكية عام ٣٤٧م، وتعنى كلمة Chrysostom أى ذهبى الفم Golden mouth ، وكان الابن الوحيد لأحد ضباط الجيش الامبراطورى ، وصار مبشراً بالمسيحية لمدة ١٢ عاماً وفى عام ٣٩٨م تم انتخابه رئيس أساقفة للقسطنطينية ، وقد واجد عدداً من جهنيين تحالفوا ضده فى صورة أبودوكسيا Eudoxia زوجة الامبراطور اركاديوس Arcadius ورئيس أساقفة الاسكندرية ثيوفيلوس Theophilus ، ويلاحظ أن عدداً من أعماله قد ترجمت إلى الانجليزية ، وتعرف أنه توفى فى كومانيا Co-mana فى بوتونس Potus فى ١٤ سبتمبر عام ٤٠٧م ، ويوم عيده هو ٢٧ يناير عنه انظر:

Atwater, The Penguin dictionary of Saints , p. 198-199 .

خليل رستم، القديس يوحنا الذهبى الفم، ط. دمشق ١٩٨٣م.

جريجورى النزيانزى Gregory of Nazianzus<sup>(١)</sup> ، والقديس ديمترى St. Demettry ، وغيرهم ، وقد فصلت المصادر التاريخية - معجزاتهم - على نحو عكس اعتقاد معاصريهم الراسخ فيهم وتأثيرهم الكبير على الوجدان الشعبى البيزنطى العام.

وهكذا : فإن تاريخ بيزنطة يرتبط دائماً (بالتابو) أو الدينى والمقدس الذى تعمق على مدى توالى القرون ، وصار جزءاً من «العقل الجمعى البيزنطى» حتى لحظة السقوط الأخيرة عام ١٤٥٣م.

ومن زاوية أخرى؛ كثيراً ما إحتوى تاريخ تلك الإمبراطورية على ظاهرة واضحة المعالم فى صورة «تسييس الدين»؛ من أجل إضفاء طابع أخلاقى تبريرى لسلوك رجال السياسة البرجماتيين ولإرضاء الجماهير التى كانت فى أحيان كثيرة تعاني من التدين العاطفى.

ويلاحظ : أن تسييس الدين لم يقم به الأباطرة فقط ، بل شارك المؤرخون الرسميون فى أمره ، وأيسر دليل وضّاح دال على ذلك يتمثل فى المؤرخ البيزنطى الأول يوساب القيسارى أسقف قيسارية فلسطين Eusebius Caesarinus Eusabius of Caesarea مؤلف كتاب حياة قسطنطين The life of Constantine, Vita Eusebius Caesarinus Eusabius of Constantini حيث إعتبره الحوارى الثالث عشر للمسيح عليه السلام ، على الرغم من أن الدراسة المتأنية تثبت أنه كان رجلاً سياسياً ماهراً ، ودموياً عنيفاً حتى مع أقرب الأقربين ، ولم يكن الدين يمثل له أكثر من قنطرة عبور لتحقيق أهدافه السياسية العليا .

تاسعاً : الطبيعة الجدلية للتاريخ البيزنطى ووجود أكثر من رؤية تقويمية له.

واقع الأمر؛ يملك ذلك التاريخ طبيعة خاصة فى صورة الجدل بشأن أباطرته ، ودوافع سياساتهم ، ونتائجها ، ولذلك إختلف مؤرخو الدراسات البيزنطية فى العديد من وقائع ذلك

١ - جريجورى النزيانزى Gregory of Nazianzus عالم لاهوت ، ولد فى اريانزوس Arianzus وكان والده أسقفاً على نزيانزوس Nazianzus فى كبادوكيا Cappadocia ، وتم ترسيمه كاهناً على يد والده عام ٣٦٢م ، وكان ذلك على عكس رغبته حيث أراد أن يكون راهباً . على أية حال فى عام ٣٧٩م التحق بالارثوذكسية فى القسطنطينية ، ويلاحظ أنه توفى بالقرب من اريانزوس Arianzus عام ٣٨٩م. ويوم

عيدة يرافقه ٩ مايو ، عنه أنظر : Attwater, Dictionary of Saints, p. 160-161 .

التاريخ منذ بدايته حتى نهايته ، ولانغفل ؛ أن الشعب البيزنطي نفسه اتسمت حياته بالجدل حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام ، وصار «الجدل البيزنطي» مضرب الأمثال .

ولانغفل ؛ أن ذلك الوضع منح التاريخ المذكور نوعاً من الحيوية الخاصة ، على نحو لا نجد معه الاتفاق على مختلف قضاياها الكبرى بل الإختلاف الحيوى المستمر ، وهو أمر لا نجده على نفس الدرجة فى تاريخ الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى المتزامن معه.

وبمقياس «الثابت» و«المتغير» فى التاريخ البيزنطي ؛ نجد أن عناصر التغير فى رصد أحداثه وتحليلها تعد متفوقة على عناصر «الثبات»<sup>(١)</sup>، ودعّم ذلك كله إختلاف المؤرخين فى تقويمه ، ويكاد لا توجد أحداث فى ذلك التاريخ دون أن تكون فى دائرة الجدل بين المؤرخين .

واقع الأمر ؛ فقد مر التاريخ البيزنطي بعدة مراحل، فخلال القرن ١٨م ، الذى عرف بعصر الإستنارة نجد أن فولتير Voltaire (١٦٩٤-١٧٧٨م) ندد بما أسماه الامبراطورية الإغريقية ، ولم يجد فى أحداث تاريخها إلا كل ما يبعث على الحزى، والعار كما لاحظ العلامة شفيق غريال<sup>(٢)</sup>.

١- يلاحظ هنا أن تعبير «الثبات» هنا استعمارى لأنه لا يوجد ثبات حقيقى فى حركة التاريخ فالثابت الوحيد هو التغير.

٢- عن ذلك انظر المقدمة التى كتبها المؤرخ الراحل فى تصديره لترجمة عبد العزيز توفيق جاويد للحضارة البيزنطية الذى ألفه ستيفن رنسيمان .

فولتير ؛ لقب أطلق على فرانسو مارى أرويه Francois Marie Arouet de Voltaire وهو مفكر فرنسى عاش فيما بين عامى ١٦٩٤ ، ١٧٧٨م وقد تناول بالنقد اللاذع أفكار عصره وسخر من أغلب الشخصيات المعاصرة، وتعرض من جراء ذلك للسجن فى الباستيل. كذلك تم نفيه إلى إنجلترا، وقد خلد الحرية فى مأساته بروتوس عام ١٧٣٠م. وهاجم النظام السياسى الفرنسى من خلال الرسائل الفلسفية عام ١٧٣٤م، وتعد مؤلفاته أحد الروافد الأساسية التى أدت إلى إندلاع الثورة الفرنسية.

عن فولتير انظر:

Hunt, The French Revolution , London 1998, p. 7 .

Doyle , Origins of the French Revolution, Oxford 1999, p. 37, p. 82, p. 84 .

جورج كوسى، تاريخ الثورة الفرنسية، ط. بيروت - باريس ١٩٨٩م، ص ٥٥-٥٦ .

محمود المقداد ، تاريخ الدراسات العربية فى فرنسا، سلسلة عالم المعرفة ط. الكويت نوفمبر / تشرين الثانى ١٩٩٢م، ص ١٤٦، حاشية (٣) .

إسماعيل ياغى، تاريخ أوروبا المعاصر، ط. الرياض ٢٠٠٣م، ص ١٠ .



وعلى ذات النهج؛ نجد أن المؤرخ البريطانى إدوارد جيبون Edward Gibbon مؤلف الكتاب الشهير . A History of the decline and Fall of the Roman Empire أى تاريخ اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية وقد نظر إلى تاريخ العصور الوسطى بصفة عامة نظرة عقلانية وقد رأى أن تاريخ بيزنطة ما هو إلا سلسلة متصلة الحلقات من عمليات سفك الدماء . والاغتيالات والمؤامرات للوصول إلى المنصب الامبراطورى . وبوجه عام ؛ لم ينظر نظرة تعاطف تجاهه ، بل نظرة ازدراء<sup>(١)</sup> .

كذلك ؛ لانغفل إسهام فنلاى Finlay الذى ألف كتاباً عن تاريخ الاغريق من سيطرة الرومان حتى عصره أى حتى عام ١٨٦٤م على وجه التحديد ووقع فى (٧) مجلدات .

ويلاحظ أنه- على عكس جيبون- تحمس لتاريخ الاغريق خاصة لشورتهم ضد الحكم التركى . وقد نظر إلى تاريخ الدولة البيزنطية على أنه تاريخ دولة إغريقية قومية<sup>(٢)</sup> . ويلاحظ هنا؛ أن المؤرخين الإغريق المحدثين نظروا إلى تاريخ تلك الدولة كما لو كانت دولة إغريقية قومية ، ولذلك ؛ أشادوا بها ، ولم يعملوا على إبراز ما فيها من سلبيات .

وقد انتقل الأمر إلى الروس؛ نظرا لكون القياصرة الروس قد اعتبروا أنفسهم خلفاء لأباطرة القسطنطينية<sup>(٣)</sup> ، ولانغفل دور بيزنطة السابق فى نشر المسيحية فى صفوف الروس ، ونشر حضارتها بينهم ، وهكذا؛ اهتم المؤرخون الروس المحدثون بإبراز التاريخ البيزنطى من خلال اهتمامهم بالتاريخ القومى الروسى .

وهكذا ؛ تتضح لنا أبعاد المشكلة من خلال رصد سريع لتطور الاهتمام بالدراسات البيزنطية ، فكل عصر كان يُشكِّل تصورات مؤرخيه ، وبالتالى يظهر لنا تبنى المؤرخين

= عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الحديث أوروبا من الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية ، ١٧٨٩-١٨٧١ ، ط. القاهرة ب-ت ، ص ٣٩-٤٣ .

١- ويلاحظ أن أفضل عمل جماعى لدراسة فكر جيبون كمؤرخ من خلال كتابه المذكور هو :

Mckitterick and quinault (eds.) Edward Gibbon and Empire, Cambridge 1997 .

ويحتوى على (١٣) بحثاً لتقييم توجهات جيبون كمؤرخ ووقع الكتاب المذكور فى ٣٥١ صفحة. أما جيبون نفسه فانظر ما أسلفت الإشارة إليه من قبل .

٢- رنسيما ، الحضارة البيزنطية ، ص (من مقدمة شفيق غربال) .

اليونانيين والروس المحدثين للتاريخ البيزنطى على إعتبار أنه جزء لا يتجزأ من تاريخهم القومى <sup>(١)</sup>، ويلاحظ أن كل فريق رأى فى ذلك التاريخ جوانب تدعم وجهة نظره بل ومصالحه القومية حتى فى العصر الحديث بتأصيله تاريخياً وامتلاك المبررات الكافية من أجل دعم تصوراتهم، ولذلك يحق لنا القول : أن التاريخ البيزنطى؛ نظراً للوضع السالف الذكر احتوى على تصورات تتسم بالتباين، والاختلاف حتى أن الطبيعة الخلافية صارت جزءاً لا يتجزأ منه ، حقيقة أن ذلك أوجد نوعاً من الحيوية فى دراسته غير أنه - من زاوية أخرى - يرهق باحثيه المجادين .

والواقع : أن هناك جوانب بالغة القسوة ، والعنف ، والدموية عبر فصوله المتعددة خاصة عند التصارع على المنصب الإمبراطورى مطلق السلطات ، ومع ذلك؛ هناك جوانب حضارية لا تنكر فيه فى صورة العمارة الدينية ، والمدنية والحربية وكذلك الأدب البيزنطى الكنسى ، والملحمى ولا تغفل : كتابات المؤرخين البيزنطيين الذين عبروا عن روح أمه كاملة : على نحو عكس أن « الصورة » لم تكن قائمة تماماً ، بل احتوت على جوانب أخرى مضيئة لا تنكر كذلك دور بيزنطة فى التبادل الحضارى فى العصور الوسطى مع العباسيين ، والروس ، وغيرهم؛ مما دلّ على دورها الإيجابى حينذاك .

وهكذا : فالمنطق يدعو إلى التصور بأن كلاً من الطرفين يحوى جانباً صائباً ، من خلال وقائع التاريخ البيزنطى ذاتها ، وبصفة عامة؛ فإن الهجوم الزائد، والتعاطف الزائد لا يفيد فى تقويم ذلك التاريخ الحافل بالتناقضات التى قد نجدها فى سياسات أسرة حاكمة واحدة ، بل ربما سياسة إمبراطور واحد !

---

١- نفسه ، ص .

٢- ولا أدل على ذلك من إشارة المؤرخ استروجورسكى حيث قال ما نصه بشأن اليونانيين والتاريخ

البيزنطى:

“Greece had long been concerned with Byzantine history for to Greek Scholars Byzantium was Simply apart of Their own national History “، Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 11 .

### عاشراً : مشكلة تأثير القيادات الكارزمية (١) :

احتوى التاريخ البيزنطى على عدد من القيادات السياسية والحربية التى تركت تأثيراً كبيراً على المؤرخين المعاصرين ، وكذلك المحدثين ، وكانت شخصياتهم آثرة بحيث صعب التخلص من تأثيرها ، وهكذا ؛ فعندما تناولهم المؤرخون المعاصرون ، واللاحقون وجدنا قطاعاً منهم إنبهر بهم ، وكتب تاريخهم من خلال ذلك الطابع ، وبالتالي لم يلتزم بروح الموضوعية العلمية الواجبة .

وينطبق ذلك على عدد من الشخصيات مثل قسطنطين الأول (٣٢٤-٣٣٧) ، وباسل الثانى (٩٧٦-١٠٢٥ م) .

لانغفل ؛ أن المؤرخين المعاصرين لذلك التاريخ ومنهم من اقترب بدرجات متفاوتة من عدد من الأباطرة بالغوا - فى أحيان متعددة- فى تقويمهم ، وارتبطت زاوية الكارزما بالدعائية التى تفيض بها المصادر التاريخية البيزنطية عندما يكون المؤرخ المعاصر متأثراً بأحد الأباطرة على نحو خاص ممن شارك فى رفعة شأن الإمبراطورية على الصعيد الحربى والسياسى وزاد الأمر من خلال احاطة مثل تلك الشخصيات بالطابع الدينى كما أسلفت الإشارة من قبل.

ومن المهم الإشارة هنا؛ إلى أن تأثير الكارزما يجعل المؤرخ لا يرى قادة التاريخ البيزنطى بالرؤية الموضوعية ، بل من خلال نظرة الإعجاب الزائد بهم وتعظيم شأن كل عمل قاموا به ، - على الرغم من أن المعاصرة حجاب- وهنا يتحول المؤرخ ليصبح جزءاً لا يتجزأ من مشكلة كتابة

---

١- الكاريزما Charisma هى إحدى الخواص التى تتصف بها القيادة ، وتعنى القدرة على بث واستلهم الإيمان لدى الآخرين والتأثير فيهم إلى حد كبير، ويرى ماكس فيبر Max Weber أن الكارزمية قوة خلاقة مؤثرة فى التاريخ وأنه من الضرورى دراستها من خلال البيئة الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية، والثقافية التى تحيط الزعيم صاحب مثل تلك الشخصية.

عن مصطلح الكاريزما أنظر:

مدوحة محمد سلامه ، «الكارزمية- القدرة على التأثير على الآخرين» ، مجلة علم النفس، العدد (١٤) ، أبريل - مايو - يونيو ١٩٩٠م، ص١٥٨-١٦٤ ، أحمد الحشاش التفكير الاجتماعى ، ط. بيروت ١٩٨١م، ص٥٦٩ ، عبدالله محمد عبد الرحمن، علم اجتماع التنظيم، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م، ص٢٠٧  
جاسم بونس الحريرى، دور القيادة الكارزمية ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، =

التاريخ المذكور ؛ خاصة عندما يقوم بدراسة إمبراطور ما من الأباطرة لعدة أعوام من خلال « التوحد » مع المادة التاريخية المصدرية، والمرجعية ، على نحول يجعله « جزءاً » لا يتجزأ منها ويلاحظ أن التاريخ البيزنطى حينئذ يعانى من تصارع « الذات » و « الموضوع » ، ومثل تلك الحالة من « التشبع » بالبطل التاريخى تجعل المؤرخ الحديث يتحول كأنه مؤرخ رسمى معاصر يكتب دراسته بعيداً عن الموضوعية التاريخية الواجبة دون أن يدري ، مع ملاحظة ؛ أن « التوحد » ، و « المعاشية » مع أحداث التاريخ البيزنطى - وما أكثرها تتعارض مع الانفصال الضرورى من جانب المؤرخ عندما يقوم بالحكم بموضوعية على وقائع الأحداث، لكى ينجو بنفسه ، وبأبطاله، وبقرائه - وهذا هو الأهم - من أسر الكاريزما التى من الصعب الفكاك منها .

### حادى عشر : واقع الكتابة التاريخية العربية المدينة عن التاريخ البيزنطى (المشكلة الإقليمية) :

تعانى الدراسات التاريخية البيزنطية فى العالم العربى من عدم توافر مراكز بحثية متخصصة على شاکلة المعروف على المستوى العالمى وكذلك المجلات العلمية المتخصصة ، ومن أمثلة تلك المراكز :

- مركز الدراسات البيزنطية واليونانية الحديثة والعثمانية فى برمنجهام بإنجلترا .
- مركز الدراسات البيزنطية فى سالونيك باليونان .
- مركز دامبرتون او كس بواشنطن بالولايات المتحدة الامريكية .
- مركز الدراسات البيزنطية التابع للأكاديمية الصربية للعلوم فى بلجراد .
- معهد دراسات العصور الوسطى والدراسات البيزنطية بجامعة نوتردام . وذلك على الرغم من توافر الإمكانيات المادية ، وأهمية العلاقات العربية البيزنطية وهى جزء لا يتجزأ من

---

= ط. أبوظبى ٢٠٠٣م. ص ١٠ : محمد مؤنس عوض «أضواء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية فى القرنين ١٢ ، ١٣ م / ٧٠٦ هـ» ، ضمن حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٣) ، عام ٢٠٠٣م، ص ٢٦٧ ، « من مشكلات دراسة تاريخ الحروب الصليبية » ، ضمن كتاب الحروب الصليبية ، السياسة - المياد - العقيدة . ط. القاهرة ٢٠٠١م. ص ٩ - ص ٢٤ ، ميشيل مان ، موسوعة العلوم الاجتماعية، ت. عادل مختار الهوارى، وسعيد عبد العزيز مصلوح ، ط. الكويت ١٩٩٤م، ص ١٠٢ .

Jary and Jary, Collins dictionary of Sociology, Glasgow 1995, p. 68 .



تاريخنا القومي؛ ولذلك فإن جهود الباحثين في المجال المذكور تعاني من التشرذم وعدم التنسيق ، ولا أمل في تطويرها دون القيام بتأسيس مركز عربي متخصص في التاريخ البيزنطي؛ كي يعمل على عقد حتى هذه اللحظة أي مؤتمر دولي واحد عن الدراسات البيزنطية في أي دولة من الدول العربية على الرغم من الإمكانيات المادية البارزة التي يشهد عليها الجميع .

ولانزاع؛ في أن أي تطور في حقل الدراسات البيزنطية - على المستوى العربي - لا يمكن تحقيقه دون عقد مثل تلك المؤتمرات التي من شأنها تقديم الجديد من البحوث والدراسات وإيجاد الاحتكاك مع المؤرخين الأوروبيين ، لتكوين تصور واقعي عن الفجوة المعرفية التي تتسع بين العالم العربي وبينهم.

على أية حال ؛ فإن كافة تلك المشكلات تعكس لنا أن التاريخ البيزنطي له خصوصيته خلال توافر عدد منها عند التصدي له بالكتابة .

وقد يتصور البعض؛ أن كل كيان سياسي ما في العصور الوسطى سواء في الشرق الإسلامي أو في آسيا الصغرى أو شرقي أوروبا أو في الغرب الأوربي ، كانت له مشكلاته الخاصة به في المعالجة التاريخية من خلال طبيعة المصادر ذاتها على نحو إنعكس بدوره في معالجة المؤرخين المحدثين أنفسهم . ومع ذلك ؛ تبقى هناك « خصوصية مشكلات الكتابة التاريخية » ، وهكذا ؛ فإن الامبراطورية البيزنطية لها طابعها الخاص على نحو ميزها على غيرها من الكيانات السياسية الكبرى خاصة لدى عالم العصور الوسطى العامر بالأحداث والصراع ، والمواجهات بين مختلف القوى الدولية.

ذلك عرض عن مصادر التاريخ البيزنطي ثم مشكلات دراسته ، أما الصفحات التالية، فيتم تخصيصها لعرض أهم ملامح ذلك التاريخ من خلال تناول الأسر الحاكمة.

القسم الثاني

تاريخ الأسر البيزنطية الحاكمة

٣٣٠ - ١٤٥٣م



## تاريخ الأسر البيزنطية الحاكمة

٣٣-١٤٥٣م

يتعرض هذا القسم من الكتاب لملامح التاريخ البيزنطى على مدى القرون المتعددة التى شكلت التطور التاريخى لتلك الإمبراطورية المعمره.

واقع الأمر؛ افتتحت بيزنطة تاريخها بالجدل بين الباحثين بشأن عام الميلاد <sup>(١)</sup>، وفيما يلى أقدم عرضاً موجزاً عن أهم الآراء التى قيلت فى هذا الشأن:

أولاً: هناك من تصور أن عام ٢٨٤م يصلح لميلاد تاريخ الإمبراطورية البيزنطية على اعتبار أنه يمثل حداً فاصلاً فى تاريخ الدولة الرومانية حيث تولى حكمها الإمبراطور دقلديانوس وهو أول من اتجه إلى تقسيم الإمبراطورية إلى قسمين شرقى ، وغربى <sup>(٢)</sup>.

١- اعتمدت فى هذا الشأن على ما أورده أ.د. جوزيف نسيم يوسف حيث قدم أفضل عرض بالعربية أنظر:

جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨-١٤٥٣ ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م ، ص ١٥-٢٣ .  
كذلك هناك تناول مهم فى المقدمة التى كتبها أ.د. رأفت عبد الحميد فى تقديم الترجمة العربية لكتاب هسى، أنظر هسى، العالم البيزنطى، ترجمة . رأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٣ - ٦٥ .

٢- يتطلب الأمر تسليط الضوء على ما عرف بأزمة القرن الثالث الميلادى؛ حتى يمكن معرفة قيمة الدور الذى قام به دقلديانوس ، فيلاحظ أن الإمبراطورية الرومانية خلال المرحلة من ٢٣٥م إلى ٢٨٥م اعتلى العرش خلالها أكثر من ٢٦ إمبراطوراً وقد اغتيل أغلبهم وكان من يصل إلى العرش يقوم باغتيال معارضيه ، ولا تغفل أن من مظاهر تلك الأزمة عدم الاستقرار السياسى والإضطراب الاقتصادى ، وتأثير غارات القبائل الجرمانية والفرس وعند تولى دقلديانوس الحكم تمتع بموهبة الإدارة ، فعمل على الفصل بين السلطتين العسكرية والمدنية ، وجعل الامبراطورية تنقسم إلى قسمين قسم شرقى وآخر غربى وكل قسم يتولاه امبراطور يتلقب بلقب أغسطس Augustus ، كذلك اتخذ إجراءات أخرى كان من شأنها إنقاذ الامبراطورية فيما هى فيه من اضطراب عن ذلك انظر:

رستوفتوف ، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى ، ت. زكى على ومحمد سليم سالم، ط. القاهرة ، ١٩٥٧م، ج ١ ، ص ٦٠٤-٦١٧ .

سيد الناصرى : تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، ط. القاهرة ١٩٧٥م، ص ٢٧٩-٢٨٠ .  
حسنى ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٣-١٨ . =



ثانيًا رأى البعض أن عام ٣٢٣ م وهو عام تولية الامبراطور قسطنطين عرش الامبراطورية، هو الأجدر بذلك نظرًا للتغيرات الفعالة التي حدثت خلال عهده.؛ وهو أمر سيتضح من خلال الصفحات التالية.

ثالثًا : وجد إقحاه آخر يقرر أن عام ٣٣٠ م<sup>(١)</sup>؛ الأجدر بأن يكون تاريخ ميلاد الامبراطورية البيزنطية نظرًا لافتتاح القسطنطينية في ١١ مايو منه، والتي عدت عاصمة تلك الامبراطورية.

رابعًا : فضل البعض عام ٣٩٥ م على اعتبار أنه العام الذي قام فيه الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I بتقسيم الامبراطورية إلى قسمين شرقي حكمه ابنه أركاديوس Arcadius ، وغربي، وحكمه ابنه هونوريوس Honorius<sup>(٢)</sup>.

خامسًا : اتخذ فريق آخر من المؤرخين عام ٤٧٦ م ، بداية ذلك التاريخ على اعتبار إسقاط روما فيه على أيدي الجرمان بقيادة ادواكر Odoacer وانتهاء حكم الإمبراطور رومولوس أوجستيلوس Romulus Augustulus آخر امبراطور روماني، وبذلك انتهت الامبراطورية في الغرب- وعند أصحاب ذلك الرأي - بدأت الإمبراطورية الرومانية الشرقية أي البيزنطية.

سادسًا : هناك من قرر أنه حتى عهد الامبراطور جستنيان الذي امتد عهده بين عامي ٥٢٧ إلى ٥٦٥ م ؛ لم يكن هناك دولة بيزنطية بالمعنى الشائع لتلك العبارة ؛ إذ حاول استعادة القسم الغربي من الإمبراطورية من أيدي الجرمان، ولذلك ؛ اعتبره ذلك الفريق آخر إمبراطور روماني، كما أوضح جوزيف نسيم يوسف<sup>(٣)</sup>.

= أيضًا هذه الدراسة:

محمد السيد محمد عبد الغنى، لمحات من تاريخ مصر تحت حكم الرومان، ط. الاسكندرية ١٩٩٩م، ص ١٢٧ - ص ١٤٠ .

١- وفي هذا المجال يقرر السير ستيفن رنسيمان ما نصه:

"The year 330 is the best date to take as The Starting- point for Byzantine History".

Runciman, Byzantine Civilization, p. 11 .

٢- اعتقد محمد صلاح سالم؛ أن ذلك التقسيم حدث بعد مصرع الامبراطور جوليان وهو أمر بعيد عن الصواب . انظر: محمد صلاح سالم، القدس - الحق - التاريخ والمستقبل، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٥٣ .

٣- تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٨ .

سابعاً : رأى فريق آخر ؛ أن بداية ذلك التاريخ عام ٥٦٥م؛ وهو عام وفاة الامبراطور السالف الذكر؛ حيث فشلت جهوده فى استعادة القسم المفقود من الامبراطورية . وكان على القسم الشرقى أن يتجه اتجاهاً هليلينياً خاصاً به .

ثامناً : وهو اتجاه يقول بعام ٧١٧م ؛ وهو عام تولية الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى Leo III The Isaurian الحكم فى القسطنطينية وتصديه لحصار المسلمين لها حينذاك وكذلك ظهور الخلاف حول عبادة الأيقونات .

تاسعاً : هناك قطاع من المؤرخين قرر أن عام ٨٠٠م، هو العام الذى يبدأ به التاريخ البيزنطى؛ ففي ذلك العام؛ تم تتويج شارلمان إمبراطوراً فى كنيسة القديس بطرس St. Peter فى روما، فمنذ تلك الحادثة- فى تقدير ذلك الفريق - ظهرت إمبراطوريتان واحدة فى الغرب وأخرى فى الشرق فى صورة الإمبراطورية البيزنطية.

ومن وجهة نظرى ؛ أرى أن عام ٣٣٠م ؛ وهو العام الذى شيدت فيه القسطنطينية العاصمة البيزنطية ، هو الأرجح لبداية التاريخ البيزنطى، حيث أن تلك المدينة كانت بمثابة القلب بالنسبة للإمبراطورية واستمرت الأخيرة قائمة طالما استمرت الحياة متدفقة فى ذلك القلب. وبالتالى ، فإن تأسيسها وافتتاحها فى العام المذكور لا يمثل حدثاً عادياً ؛ بل محورياً فى تاريخ تلك الإمبراطورية على نحو خاص ، وتاريخ العصور الوسطى بصفة عامة.

على أية حال ؛ فإن ذلك الجدل حول الميلاد البيزنطى عبّر خير تعبير عن الطبيعة الجدلية العامة لذلك التاريخ منذ خطواته الأولى.

أما الممات البيزنطى فقد اتفق عليه غالبية المؤرخين بأنه ٢٩ مايو ١٤٥٣م عندما فتحت على أيدي الأتراك العثمانيين بقيادة محمد الفاتح وكان حاكمها حينذاك قسطنطين الحادى عشر آخر الأباطرة البيزنطية.

جدير بالتنويه؛ على مدى تاريخ تلك الإمبراطورية كان شبح الموت يتهددها ، وفى مرات متعددة كانت على وشك السقوط إلا أنها قاومت ذلك بكل ما أوتيت من عزيمة وقوة وقدرة على البقاء وقد أفادت من إمكاناتها المتوافرة ؛ الجغرافية والعسكرية والاقتصادية.

وهكذا ؛ ندرك تماماً أن تاريخ بيزنطة ذاته مما هو إلا تاريخ تصارعها مع فكرة الموت<sup>(١)</sup> إلى أن حل بها في العام السالف الذكر كقضاء محتوم لا يمكن الفرار منه.

مهما يكن من أمر؛ نبدأ في تناول عرضنا لمعالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية من خلال الأسرات الحاكمة ونبدأ بأسرتى قسطنطين وثيودوسيوس.

---

١- فكرة الحياة والموت للكيانات الأوربية في العصور الوسطى سبق أن تناولها كل من يرييه بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية، ونورمان كانتور بالنسبة لتاريخ أوروبا العصور الوسطى بصفة عامة ، من ذلك مؤلفاتهما وهى:

Brehier, Vie et mort de Byzance, Paris 1946 .

Cantor . Medieval History birth and death of civilization, New York 1969 .

وأتصور أن تلك الثنائية جذيرة بأن تطرح بصفة مستمرة نظراً لمحوريتها ولتعدد معالجتها بين الحين والآخر.

## أولاً : أسرتى قسطنطين وثيودوسيوس (٣٢٤-٥١٨م) :

نتناول فى العرض التالى : أسرتى قسطنطين وثيودوسيوس ودورهما فى التاريخ المبكر للإمبراطورية البيزنطية ، ويلاحظ أنهما يعدان وحدة تاريخية من خلال تواصل الأحداث التى وقت خلال عهديهما .

أما فيما يتصل بأسرة قسطنطين ؛ فقد حكم فيها عدد من الأباطرة فى صورة قسطنطين Constantine الذى يحلو للبعض تلقيبه بالكبير (٢٢٤-٣٣٧م) وقسطنطين الثانى Con-stantine II (٣٣٧-٣٤٠م) وقسنطاز Constance (٣٣٧-٣٥٠م) وقسطنطيوس Con-stantius (٣٣٧-٣٦١م) ، وجولييان المرتد Julian The Apostate (٣٦١-٣٦٣م) ، وجوفيان Jovian (٣٦٣-٣٦٤م) ، وفالنز Valenz (٣٧٤-٣٧٨م) ، ويعد الامبراطور قسطنطين<sup>(١)</sup> صاحب أكبر تأثير من بين أولئك الأباطرة جميعاً ليس فى تاريخ تلك الأسرة فقط ، بل على مدى مراحل التاريخ البيزنطى بصفة عامة.

ومن الممكن إيراد أبرز أعمال ذلك الامبراطور على النحو التالى :

أولاً : الاعتراف بالمسيحية كإحدى الديانات القائمة فى الامبراطورية ، ودوره فى مجمع نيقية عام ٣١٥م.

ثانياً : تشييد مدينة القسطنطينية ، وإفتتاحها عام ٣٣٠م.

وفيما يتصل بالإنجاز التاريخى الأول؛ من الملاحظ أن السيد المسيح عليه السلام ولد أثناء عهد الإمبراطور أغسطس Augustus (ت ١٤م) فى بيت لحم واتجه إلى الدعوة للديانة الجديدة

١- قسطنطين الأول؛ هو فلانيوس فاليريوس كونستانتينوس Flavius Valerius Constantinos ، ابن كونستانتينوس وهيلينا ، وقد قام الإمبراطور دقلديانوس بالإشراف على تربيته فى نيقية ، وعندما تنازل عن العرش عام ٣٠٥م شارك والده فى حكم القسم العربى ، وعندما مات والده عام ٣٠٦م نادى به جنوده إمبراطوراً ، وفيما بعد قام بهزيمة ماكسنتيوس Maxintius فى معركة جسر ميليفيان بالقرب من روما عام ٣١٢م كما قام فى عام ٣٢٤م بهزيمة ليكينيوس Lecinius فى تراقيا ، وقد توفى قريباً من نيقوميديا فى ٢٢ مايو ٣٣٧م.

عنه أنظر:

Eusebius, Extrats from Eusebius life of Constantine, Trans. by John Bernard, P.P.T.S., vol I , London 1896 . Nicol, A Biographical dictionary , pp. 24-25 .

رأفت عبد الحميد ، الدولة والكنيسة ، ج ٢ قسطنطين ، ط . القاهرة ١٩٩٩م.



ونجد في العهد الجديد صوراً متعددة لسيرة حياته ودعوته والأفكار التي أتى بها مع ملاحظة أن القديس بولس<sup>(١)</sup> St. Paul قام بدور بارز في مجال تنظيم المجتمعات المسيحية المبكرة ، وكذلك وضع أسس اللاهوت المسيحي ، ويلاحظ الانتشار الواسع للمسيحية؛ جنباً إلى جنب بجوار العقائد الوثنية مثل ديانة سيبيل Cybele في آسيا الصغرى ، وديانة إيزيس<sup>(٢)</sup> Isis المصرية ، وميثرا Mithras الفارسي<sup>(٣)</sup> .

جدير بالذكر؛ تمكن المسيحيون من تشكيل جالية في وقت مبكر خلال القرن الميلادي الأول، ويلاحظ أنها ظلت على مدى ثلاثة قرون؛ غير معترف بها من جانب الرومان .

١- القديس بولس St. Paul ؛ ولد في طرسوس Tarsus في كيليكية Cilicia بآسيا الصغرى Asia Mi- nor وقد عرف باسم سول Saul ، ومن المعروف أنه ورث المواطنة الرومانية من والده اليهودي، وقد توفي في روما عام ٦٧م؛ وعين عيده يوافق ٢٩ يونيو ، عنه أنظر؛

Allwater, The Penguin dictionary of Saints, pp.266-278 .

أحمد زكي ، إنزعوا قناع بولس عن المسيح ، ط. الرياض ١٩٩٥م، أحمد على عجيب ، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٥٣-٦٠ .

٢- إيزيس Isis؛ معبودة مصرية قديمة لها تاريخ ممتد عبر القرون وأول إشارة إليها لمجدها في نصوص الأهرامات التي ترجع إلى عام ٢٣٥٠ ق.م ونجدها هي وأختها نفتيس Nephthys تلعب دوراً بارزاً في إعادة ميلاد الفرعون، ويلاحظ أنها كانت في الأصل تجسيدا للعرش واعتبرت الأم الرمزية للفرعون، ويلاحظ أنها ظهرت في صورة التماثيل البرونزية وهي جالسة تقوم بإرضاع طفلها حيث قامت تبحث عن جسد زوجها أوزوريس الذي قتله ست واعتبر الأول إله الخير والثاني إله الشر، عنها أنظر؛ مانفرد لوركر ، معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، ت. صلاح الدين رمضان، مراجعة محمود ماهر، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٧ ، جورج يوزنر ، معجم الحضارة المصرية القديمة، ت أمين سلامة، مراجعة سيد توفيق، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٧٦ - ٧٧ .

E. W.W. R., Isis", ed. by Sernity young vol . I, New York 1999, pp, 487-488 .

٣- ميثراس Mithras؛ إله آري الأصل عبد في فارس بوصفه إلها للعقود، والاتفاقيات ، واعتبر حاقظاً للحق ، والنظام ، وقد دخلت عبادته روما في القرن الأول للميلاد عنه أنظر ؛

محمد الصابر سالم ، عبادة ميثراس في روما ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩٦م، ص ٦-٩٧ .

كذلك تعرض أتباعها للإضطهاد خاصة في عهد الإمبراطور نيرون Neron (٥٤-٦٨م)، ووصل الأمر إلى الذروة في عهد الإمبراطور دقلديانوس Deocletianus<sup>(١)</sup> (٢٨٤-٣١٣م) حيث نعرف أنه أصدر خلال عامي ٣٠٣، ٣٠٤ م : أربعة مراسيم قضت بهدم الكنائس ، وإيداع رجال الدين المسيحي السجن<sup>(٢)</sup>، وقد اشترط تقديمهم القرابين للآلهة الوثنية ؛ حتى يتم إطلاق سراحهم ، ويلاحظ أن المسيحيين؛ اعتبروا كافة من قتلوا من جراء الإضطهاد الروماني خلال تلك المرحلة من الشهداء وهكذا ؛ عرف ذلك العصر بعصر الشهداء ، ولانغفل هنا الإشارة ؛ إلى أن الكنيسة المصرية جعلت عام ٢٨٤م الذي اعتلى فيه الإمبراطور دقلديانوس العرش؛ بداية لتقويمها ؛ مما عكس أهمية ومحورية ذلك العام<sup>(٣)</sup>. بالنسبة لأقباط مصر .

مهما يكن من أمر؛ استمر الحال على هذا النحو إلى أن قام الإمبراطور قسطنطين ، وشريكه في الحكم حينذاك ليكيانيوس بإصدار ما عرف بمرسوم ميلان Melan عام ٣١٣م،<sup>(٤)</sup> ومن خلال نصوصه يمكن استنتاج الآتي :

١- عن الإمبراطور دقلديانوس انظر ما سبق ذكره عنه وأيضاً:

Diehl, History of the Byzantine Empire, Trans . by George B. Ives, Princeton 1925 , p. 3 .

Grant, The Collapse and Recovery of The Roman Empire, New York 1999, pp. 39-48 .

٢- عن ذلك انظر:

Jones, The Later Roman Empire 284-602 , vol . I, Baltimore 1986, pp. 71-76 .

٣- Kamil, Coptic Egypt ,History and Guide, Cairo, 1990, p. 25 .

٤- تجدر الإشارة إلى أن المؤرخ الألماني أو. سيك O. Seck خرج بنظرية عام ١٨٩١م ترى أنه لا يوجد هناك مرسوم يسمى مرسوم ميلان Edict of Melan؛ إذ أن المرسوم الوحيد هو ذلك الذي عرف بمرسوم التسامح Edict of Tolerance الذي صدر من جانب جاليريوس Galerius عام ٣١١م، ولمدة طويلة فإن أغلب الباحثين لم يتقبلوا ذلك التصور وفي عام ١٩١٣ م وبمناسبة مرور ١٦٠٠ عام على تلك الحادثة ظهرت احتفالات في العديد من الأقطار المسيحية وظهرت كتابات متعددة حول ذلك الأمر، ويقرر فازيليف أن الوثيقة التي صدرت في ميلانو في مارس ٣١٣ م من جانب قسطنطين وليكيانيوس لم يكن مرسوماً بل مجرد خطاب إلى حكام مقاطعات آسيا الصغرى والشرق عموماً شارحاً لهم كيفية التعامل مع المسيحيين وحالياً أدرك الباحثون ذلك التصور ، عن ذلك أنظر: =

- ١- إن المسيحية ظلت أشبه شئ بحركة سرية منذ بدايتها حتى إعلان المرسوم المذكور .
- ٢- لم يكن ما عرف بمرسوم ميلان أول مرسوم من نوعه يعبر عن التسامح تجاه المسيحيين بل سبقه ذلك المرسوم الذى حمل اسم كل من جالوريوس وليكينيسوس . وهما من القيادات البارزة حينذاك ، مع ملاحظة أنه لم يعمل به<sup>(١)</sup> .
- ٣- أقر ما عرف بمرسوم ميلان برد كافة الحقوق الدينية للمسيحيين الذين حرموا منها، كذلك أقر بأن تعاد للكنيسة أماكن العبادة، والأراضي التى صودرت من المسيحيين دون إبطاء، مع الإقرار بدفع تعويض مالى كبير من الخزانة الإمبراطورية لأولئك الذين اشتروا من قبل أملاك الكنيسة<sup>(٢)</sup> .
- ولانزاع ؛ فى أن ما عرف بمرسوم ميلان يعد تحولاً نوعياً له شأنه فى تاريخ تلك الديانة حيث نقلها من مرحلة الاضطهاد إلى مرحلة الاعتراف بها بين الأديان، والعقائد الموجودة فى ربوع الإمبراطورية الرومانية المترامية الأطراف.
- على أية حال؛ ثار جدل واسع النطاق حول دوافع قسطنطين لإيقاف الاضطهاد بالمسيحية، وكذلك احتمالية إعتناقه شخصياً تلك الديانة أو إنعدام ذلك<sup>(٣)</sup>، وبصفة عامة ؛من الممكن القول بإدراكه مبكراً أن المسيحية حتماً سيكون لها الشأن الأكبر فى مستقبل الأيام، وأن كافة المجهودات التى بذلتها الإمبراطورية الرومانية فى سبيل اضطهادها ذهبت أدراج الرياح لمنع

---

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 51-52 .

أنظر أيضاً : ممدوح درويش مصطفى ، التاريخ الرومانى من أقدم العصور حتى بداية العصر الإمبراطورى، ط. الرياض ٢٠٠٤م، ص ٣٦٧-٣٦٨ .

١- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م، ص ٣٨ ، معالم تاريخ الإمبراطورية، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م، ص ٢٦ .

٢- وسام عبد العزيز فرج. دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٤٦ .

٣- أفضل عرض باللغة العربية عن مسيحية قسطنطين نجده لدى : المؤرخ الراحل الكبير أ.د. رأفت عبد الحميد ، أنظر: رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ج ٢، قسطنطين ، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٠١-١٤٠ . وهو أفضل مؤرخ عربى تخصص فى التاريخ الكنسى للإمبراطورية البيزنطية وقدم فى هذا المجال ٤ أجزاء من كتابه الدولة والكنيسة ، انظر : القائمة الببليوغرافية فى نهاية الكتاب.

إنتشارها، وإجبار المسيحيين على العدول عنها، ورأى الوسيلة الأفضل للاستقرار السياسى ، وكذلك دعم النشاط الاقتصادى؛ أن يتم الاعتراف بها ضمن المنظومة الدينية القائمة فى الإمبراطورية الرومانية ، ولا نغفل ؛ أن ذلك السياسى المحنك؛ أدرك ضرورة مشاركة المسيحيين فى بناء الإمبراطورية ، وذلك لن يتأتى إلا من خلال روح التسامح ، ونبذ الاضطهاد الذى لم يفد الإمبراطورية بشئ بل شجع المسيحيين على التمسك بديانتهم، وسقط الكثيرون منهم ضحية له واعتبروا شهداء حظوا بأكبر تقدير فى صفوف مقتنعى تلك الديانة.

أما فيما يتصل بمسيحيته ؛ فمن المتصور أنه كان رجلاً سياسياً ، ولم يكن الدين يلعب دوراً بارزاً فى تفكيره بل مارس ببراعة لعبة توازن القوى Balance of Powers؛ فكان مسيحياً مع المسيحيين ، ووثنياً مع الوثنيين ، ويقال أنه اعتنق المسيحية ، وهو على فراش الموت، وإذا صحت تلك الرواية؛ فإنها تؤكد أنه طوال حياته لم يكن مؤمناً بها واعتنقها فى اللحظة الأخيرة!

من ناحية أخرى ؛ يلاحظ أن ذلك الإمبراطور تدخل فى الخلاف الذى نشأ بين آريوس Ar-ius ، وهو أحد رجال الدين المصريين ، وبين أثناسيوس Athanasius أسقف الاسكندرية، وقد نادى الأول بوحداية الله، وعارض فى فكرة مساواة الألقوم الأول والثانى فى نطاق الثالوث المقدس الذى يعتقد به المسيحيون.

وقد إتجه ذلك الإمبراطور إلى معالجة الموقف من خلال دافع سياسى فى صورة أن يظل السلام قائماً فى ربوع الإمبراطورية، ولذلك؛ عقد مجمعاً كنسياً فى مدينة نيقية<sup>(١)</sup> Nicea عام ٣١٥م شارك فيه (٣١٨) عضواً ، وفيه تم تأييد أفكار اثناسيوس ، وتكفير آراء آريوس الذى أمر الإمبراطور بنفيه .

١- عن مجمع نيقية أنظر:

Diehl, History of The Byzantine Empire, p. 9 .

Jones, The later Roman Empire, p. 47 Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 44 .

السيد الباز العرنى، الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص ٢٨-٢٩ ، ميشيل جرجس ، الكنيسة المصرية ، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص ٧٠-٧١ . صبرى أبو الخير سليم، تاريخ مصر فى العصر البيزنطى، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٤٤-٤٥ .



ويلاحظ هنا؛ أن الخلاف حول طبيعة السيد المسيح، وتصارع البعض على الجانبين البشرى والإلهى - كما يتصور المسيحيون ذلك - مثل ركنًا ركينًا فى تاريخ الفكر الكنسى، وقد استهلك طاقة الامبراطورية فى جدل واسع النطاق ، ولا أدل على ذلك من أن نفس الامبراطور قام فيما بعد بعقد مجمع آخر فى صور<sup>(١)</sup> Tyre وذلك فى عام ٣٣٤م؛ أى قبل وفاته بنحو ثلاثة أعوام تم فيه إلغاء قرارات مجمع نيقية السالفة الذكر ، وتم تأييد آراء آريوس Arius ، على نحو عكس أن عصر المؤسس البارز شهد بداية صراعات المجمع الكنسية حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام.

ويلاحظ هنا؛ أن موقف ذلك الإمبراطور، وتدخله فى أمور الكنيسة قد بدأ به ما عرف بالقيصرية البابوية Caesaropapism<sup>(٢)</sup>؛ أى أنه إمبراطور، وأسقف معًا .

ولتوضيح ذلك ؛ تؤكد على أن الامبراطور قسطنطين ومن أتى بعده من الأباطرة - وعلى نحو خاص جستنيان<sup>(٣)</sup>، (٥٢٧-٥٦٥م) - اعتقدوا أنهم أصحاب سلطة مزدوجة فباعثهم

= ويلاحظ هنا؛ أن ذلك المجمع أدى إلى صدور ما عرف بعقيدة الإيمان النيقى وتنص على أن الابن مساو للأب فى الجوهر Homousius (الهوموسية) وأن الابن مولود غير مخلوق (كما يعتقد قطاع من المسيحيين) وأصبح هذا القانون هو الأساس الإيمانى الأرثوذكسى إلى يومنا هذا على الرغم من التعديلات التى دخلت عليه بصور متعددة ، عن ذلك انظر:

رأفت عبد الحميد ، «سوزومينوس Sozomenus المؤرخ الغزارى»، ص ١٢١، حاشية (٢٦) ، عبد الواحد داود الآشورى، الانجيل والصليب، قدم له وعلق عليه محمد على سلامة، ط. القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٣٤ .

١ - عنه أنظر: رأفت عبد الحميد ، «السمو البابوى بين النظرية والتطبيق»، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط م (١٣) ، تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص ١٦٣ .

٢ - عن مصطلح القيسارية البابوية أنظر:

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 148-150, pp. 257-258 .

رأفت عبد الحميد ، سمو البابوى بين النظرية والتطبيق»، ص ١٦٣ .

٣ - جدير بالإشارة؛ أن جستنيان - الذى سنفصل الحديث عنه فيما بعد - قرر ما نصه : «حيث أن الامبراطورية Imperium، والكهانة Sacerdotium تنبعان من مصدر واحد، فليس هناك ما يهيم الامبراطور فى المقام الأول إلا خبرية الكنيسة وسمعتها »، عن ذلك أنظر: رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص ١٦٣ .  
وأيضًا  
Vasiliev, Op. cit , p. 148 .

رومان عدوا أنفسهم الورثة التاريخيين والشرعيين للأباطرة الرومان من الناحية السياسية ، ومن الناحية الدينية اعتبروا أنفسهم ورثة الرسل ، وقد أطلق المؤرخون على تلك السلطة المزدوجة؛ مصطلح «القيصرية البابوية» السالف الذكر ، للدلالة على أن ما يمثل البابا في الكنيسة الغربية ؛ يمثل الإمبراطورية في الكنيسة الشرقية ، وهو ما شكل ظاهرة عرفت باسم اللاهوت السياسي Political Theology في تاريخ الديانة المسيحية<sup>(١)</sup>.

بصفة عامة؛ وضع ذلك الإمبراطور قاعدة اتبناها الأباطرة الرومان المسيحيون، أو الأباطرة البيزنطيون وهي رئاسة الإمبراطور للمجامع الدينية<sup>(٢)</sup>.

جدير بالإشارة ؛ يعد تأسيس مدينة القسطنطينية بمثابة الإنجاز التاريخي البارز لذلك الإمبراطور وهي التي ستغدو بمثابة القلب البيزنطي. وقد فكر في بداية الأمر ، في إتخاذ عاصمة جديدة بدلاً من روما ، وقد راوده تفكيره في إتخاذ مسقط رأسه نيش Nich الواقعة في شمالي البلقان، كذلك تصور في مرحلة أخرى إمكانية إتخاذ مدينة سرديكا Sardica لذلك الغرض؛ وهي المعروفة باسم صوفيا Sophia<sup>(٣)</sup>، في نيقوميديا Nicomedia في الطرف الشرقي من بحر مرمرة كعاصمة له<sup>(٤)</sup>، غير أن كافة تلك الاختيارات نحاها جانباً ، ومال تفكيره إلى إتخاذ العاصمة في جهة الشرق حتى يتمكن من مراقبة تحركات كل من الفرس، والعناصر الجرمانية<sup>(٥)</sup>.

١- عرفان عبد الحميد فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها ، ط. عمان ٢٠٠٠م، ص ٧٥ .  
دراسة ممتازة لباحث يمتاز بالتحليل والعمق.

٢- Nicol, A Biographical dictionary, p. 25 .

٣- شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ت. مصطفى طه بدر. ط. القاهرة ١٩٥٣م، ص ١٦ .  
محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية . ص ٢٨-٢٩ .

٤- شارلز أومان، المرجع السابق، ص ١٦ .

٥- محمود سعيد عمران ، المرجع السابق، ص ٢٩ ، وعن الجرمان بصفة عامة أنظر:

Tacitus, Tacitus on Britain and Germany. Trans. by H. Muttigly, The Penguin Book , London 1954 , pp. 101-140 , La Monte, The World of the Middle Ages, New York 1949 , pp. 36-50 .

وبالفعل كان ذلك الاختيار الأفضل مقارنة بغيره من الاختيارات السابقة وأكدت وقائع التاريخ صحته .

وأخيراً ؛ توصل إلى موضع جغرافى عبقرى فى صورة قرية بيزنطيوم Byzantium التى كان قد أسسها قائد يسمى بيزاس Byzace ومعه مجموعة من إغريق مدينة ميجارا Megara عام ٦٥٧ ق.م<sup>(١)</sup> ضمن حركة الاستعمار الإغريقى الكبرى، وقد اتخذت شكل مثلث تحيط به المياه من ثلاثة جوانب فى صورة البسفور Bosphore، وبحر مرمرة Marmara Sea، والقرن الذهبى Golden Horn.

---

= Wolfram, History of the Goths. Trans. by Thomas J. Dunlop, Berkeley 1990, pp. 19-573 .

من أفضل الدراسات فى موضوعها أنظر:

Howarth, Attila king of the Huns , The Man and Myth, New York 1994 .

Wells, The Barbarian Speak how The Copnquered Peoples Shaped Roman Europe , Princeton 1999 .

Katz The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe, New York, 1960 , p. 88-89 .

إبراهيم طرخان ، تآكيثوس والشعوب الجرمانية ، ط. القاهرة ١٩٥٩م.

على القمراوى ، ملحمة البطولة الجرمانية، ط. القاهرة ١٩٧٢م، محمد محمد مرسى الشيخ، الممالك الجرمانية فى أوربا فى العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٧٥م.

محمد شاكر محمود، الجرمان ، نظمهم وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن الثالث الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٩٣م، ص١-ص١١، ص١٥-٢٣٥.

١- Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 57 .

محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٤م، ص١٣، حاشية (١٦) .

وميجارا Megara؛ مدينة وقعت فى وسط شبه جزيرة اليونان بالقرب من خليج كورنثا، وفصل ميجارا عن كورنثاجبل جيرانيئز Geraniens ، كذلك فصلها عن أثينا جبل كيراتا Kerata، وقد عرفت ميجارا سكانا منذ الفترة الموكينية، وتعرضت فيما بعد للغزو الدورى، ويبدو أن الدورين أطلقوا عليها اسم ميجارا نسبة إلى تصور الميجاريون. وهى على غط معمارى خاص. واشتهر أهل ميجارا بالملاحة، وبالفعل صاروا من أرائل الإغريق الذين اتجهوا إلى إنشاء المستوطنات خلال مركز الاستعمار الإغريقى الكبرى، وقد أقاموا =

جدير بالذكر : أن العاصمة الجديدة وقعت على خط عرض ٤٣ ، وخط طول ٢٩ ، وكان خليج البسفور ، وكذلك خليج الدردنيل بمثابة بوابتين للمدينة<sup>(١)</sup> التي حملت اسم مؤسسها فصار اسمها القسطنطينية Constantinople وقد أعطى لها ذلك الموقع الفريد إمكانية التحكم فى حركة السفن القادمة من البحر الأسود والمتجهة إلى البحر المتوسط.

والأمر المؤكد : أن القرن الذهبى مثل أهمية خاصة بالنسبة لتلك الامبراطورية الوليدة، فقبل مرور مياه البسفور فى بحر مرمرة وجد هناك من الداخل إلى الشمال الغربى خليج كبير مقوس بلغ طوله سبعة أميال عرف بالقرن الذهبى، وكذلك وجد بين ذلك القرن وبحر مرمرة نتوء جبلى أشبه شئ بمثلث متساوي الساقين له رأس مستويه فى مواجهة قارة آسيا ، وبالتالي؛ صار البحر يحميها من كافة الجهات باستثناء جهة واحدة<sup>(١)</sup>.

= مستوطنة ميجارا هيبلايا Megara Hyblalia فى صقلية تقريباً فى عام ٧٣٨ ق.م ومستعمرة سليمبيا Selymbria على بحر مرمرة عام ٦٦٧ ق.م ، كذلك أقاموا مستعمرة بيزنطة على البسفور، وفيما بعد صار أهل ميجارا يتحكمون فى تجارة البحر الأسود، عن ذلك انظر: عزت زكى حامد قادوس ، العملات اليونانية والهلينستية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، ص ١١٩-١٢٠ ، محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ط. دمشق ١٩٩٣م، ج ١: ص ١٩٩، فوزى مكاوى، تاريخ العالم الاغريقى وحضارته من أقدم عصوره حتى عام ٣٣٢ ق.م ط. القاهرة ، ١٩٩٩م، ص ٨١ ، حاشية (١٣) ، حسن صبحى بكري، الاغريق والرومان والشرق الاغريقى الرومانى، ط. الرياض ١٩٨٥م، ص ١٨ .

Faoflaub, " The Transformation of Athens in The Fifth century", in Boedeker & Raaflaub (eds.), Democracy , Empire and the Arts in the Fifth Century Athens, Cambridge , 1998 , p. 18 .

وعن حركة الاستعمار الاغريقى أنظر:

حسين عبد الحميد الأشرم، دراسات فى تاريخ الاغريق وعلاقته بالوطن العربى، ط. بنى غازى ١٩٩٦م، ص ٩٩ .

٢- محمد سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٩ .

٣- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٤٩ .

وفى هذا الشأن يذكر إسحاق بن الحسين ( ق ١٠ م / ٤ هـ ) عن القسطنطينية ما نصه : « لها ثلاثة أبواب وجوانب ، جانباً إلى البحر ، وجانب إلى البر بما يلى الروم » عن ذلك أنظر: إسحاق بن الحسين ، أكام المرجان فى ذكر المدائن المشهورة فى كل مكان ، إعتناء فهدى سعد ، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص ١١٦ . =



فإذا لاحظنا أن ذلك الموقع «العبرى» قد أعطاها مناعة طبيعية تزايدت من خلال الدفاعات الصناعية التي شيدت بها بالإضافة إلى أهلها الذين دافعوا عنها دفاعاً مستميتاً عندما ادلهمت الأخطار ؛ أدركنا كيف أن تلك المدينة وقفت خاصة في العصرين المبكر والأوسط كقلعة حصينة تنظر بعين السخرية الساخرة تجاه كل من رام إسقاطها أو نجحت في ذلك على مدى عدة قرون باستثناء حادثتين تاريخيتين سوف يتم تفصيلهما في الصفحات التالية.

من زاوية أخرى؛ أدى ذلك الموقع الجغرافى الفذ إلى أن لعبت بيزنطة دوراً محورياً في تجارة عالمى البحر الأسود والمتوسط وتجارة الشرق والغرب وغنمت من وراء ذلك أموالاً طائلة<sup>(١)</sup> وبالتالي ؛ حققت ثراءً عريضاً اعترفت به المصادر اللاتينية الغربية فيما بعد<sup>(٢)</sup> ، وصارت موضع حسد جيرانها ، ودفعت - فيما بعد - ثمنًا فادحاً لذلك.

على أية حال ؛ لا يفهم من القول السابق؛ أن التاريخ البيزنطى أسير الحتمية الجغرافية ؛ إذ أن تلك الأخيرة لا قيمة لها دون الفعل الإنسانى تفاعلاً معها ، ومن المؤكد أن شعوب الإمبراطورية التي وصفت بالحيوية والنشاط الاقتصادى الزاخر؛ استثمرت ذلك الموقع الجغرافى لصالحها بوجه عام.

---

= وينبغى ألا يفهم من المزايا المتعددة لموقع القسطنطينية أنها كانت متكاملة العناصر ، إذ أن أحوالها المناخية اتسمت بالحر الشديد فى الصيف ، والرياح الشمالية الباردة فى الشتاء عبر البحر الأسود ، عن ذلك أنظر: جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٤٩ .

١- نورمان بينز ، الإمبراطورية البيزنطية ، ت. حسين مؤنس ومحمود زايد ، ط. القاهرة ١٩٥٧م ، ص ٧-٨ .

وعن التجارة فى الإمبراطورية البيزنطية أنظر:

Runciman. Byzantine Civilization, pp. 130-142 .

وسام عبد العزيز فرج ، الدولة والتجارة فى العصر البيزنطى الأوسط من القرن السابع وحتى نهاية القرن الحادى عشر ، ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م ، ص ٧٧-١٣٠ .

٢- عن ثراء القسطنطينية أنظر شهادتين من الغرب الأوروبى:

Robert Clari. The Conquest of Constantinople , Trans. by E. it . Mc Neal, New York 1936. p. 81. p. 101 .

ويتجه بعض الباحثين الغربيين إلى تصوير دور قسطنطين في إختيار موقع العاصمة الجديدة على أنه يعكس «عبقرية» خاصة ، والأمر - في تقديرى- لا يعدو أن يكون إحياءاً لموقع جغرافى قديم، وحسن تقدير ، والعبقرية هنا هى فى الأصل عبقرية المكان فى المرتبة الأولى، ومن بعدها الخبرة الإنسانية حتى عصر قسطنطين .

مهما يكن من أمر ؛ تم إفتتاح العاصمة الجديدة فى ١١ مايو عام ٣٣٠م<sup>(١)</sup>، وذلك بعد أن تم إنفاق الأموال الطائلة على تشييدها كى تتنافس روما التبر، ونعرف أن تشييدها استغرق المرحلة من عام ٣٢٤ إلى عام ٣٣٠م ؛ أى على مدى سبع سنوات إلى أن افتتحت فى اليوم المذكور فى احتفال امبراطورى مهيب<sup>(٢)</sup>.

على أية حال ؛ احتوت العاصمة على مرافق مدنية ودينية متعددة فى عصر قسطنطين وإمتد عمرانها إلى درجة كبيرة فيما بعد عهده، وبصفة عامة يمكن إيراد أهم معالم القسطنطينية على النحو التالى :

---

= Villehardouin, The Conquest of Constantinople , in Joinville and Villehard ouin, Chronicles of the Crusades, Trans. by M.R.B. Shaw, Penguin Book, 1963 , pp. 58-49 .

ومن المسلمين أنظر: مجهول: حدود العالم من الشرق إلى الغرب، ت. عن الفارسية وتحقيق يوسف الهادى، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص ١٨٤ .

١- على الرغم من الاتفاق على أن افتتاح القسطنطينية حدث فى ١١ مايو ٣٣٠م ، إلا أن نوريش اعتقد أن ذلك حدث فى يوم الاثنين ١٢ مايو ٣٣٠م. وهو ما لا يجد من يؤيده ، انظر رأيه : Norwich, Byzantium , The decline and Fall, New York 2000, p. XXXIII .

أما رأى صاحب نجهه لدى:

Runciman, Byzantine Civilization, p. 11 .

٢- عن ذلك هذه المقالة المهمة:

Emercau, " Notes Sur Les Origines et la fondation de Constantinople ", R.A.T., XXI, 1925 . pp. 1-25 .

وأيضاً :

Diehl. Byzantium. Greatnes and Decline. New Jersy 1957, pp. 94-111 .

اشتملت على القصر الإمبراطورى : وهو مركز المدينة ، ووقع فى الجزء الجنوبى الشرقى .

- تم إقامة الهبدروم Hippodrome أو ساحة السباق وطل على مرفأ القصر . واحتوى على مقصورة عرفت باسم الكاسيسما Kathisma ويطل من خلالها الامبراطور على الشعب عند مخاطبته له .

- ابتداءً من مدخل القصر وساحة السباق إلى امتداد ميلين كان هناك الشارع المسمى « الشارع الأوسط » وهو متسع تحف به من جانبيه العقود (البواكى) وكان يمر من خلال سوقين أحدهما سوق قسطنطين الملاصق للقصر ، وفيما بعد : تم إقامة سوق ثيودوسيوس الذى فاقه فى المساحة ، وتفرع فى النهاية إلى شارعين رئيسيين كذلك وجد عدد من الكنائس وبكثافة عديدة ومن أشهرها كنيسة القديس سرجيوس ، والقديس باكوس .

- لانغفل اللسة الجمالية التى وجدت فى القسطنطينية، حيث أقيمت التماثيل ، ومن بينها تمثال لأفروديت . - إلهة الجمال عند الإغريق فى حى زيجماء الواقع على القرن الذهبى .

- احتوت المدينة على شوارع متسعة ، وأخرى ضيقة، وفيما بعد اشتملت على القصور الفخمة، والأكواخ الصغيرة، كذلك الحدائق الغناء .

- احيطت بسور قوى كان فى عهد قسطنطين يمتد من القرن الذهبى إلى بحر مرمرة (١) . ومع تعاقب القرون بعد عصر قسطنطين ازداد عمرانها، واحتوت على مظاهر للفخامة والعظمة حتى أن السائحين والرحالة الذين قدموا إليها اعجبوا بما شاهدوه فيها (٢) .

Runciman, The Byzantine Civilization, p.

٢- عن أوصاف الرحالة والجغرافيين 'مسلمين - على سبيل المثال - للقسطنطينية أنظر ابن الفقيه، كتاب البلدان، تحقيق يوسف النهادى، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص ١٨٣ ، ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ط. 'لقاهرة بـ٣٦٦، ص ١٠٩-١١٠، ابن رسته، الأخلاق النفيسة ، ط. ليدن ١٨٩٢م، ص ١١٩-١٢٣ : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ط. بيروت ١٩٩٢ ، ص ١٧٧ : المقدسى ، أحسن التقاسيم إلى معرفة الأقاليم، ط. بيروت ب-ت ، ص ١٤٥ ، القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد ، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص ٦٠٤ : ليلى عبد الجواد، «القسطنطينية فى ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين»، الموزخ المصرى، العدد (٣) ، يناير ١٩٨٩م، ص ١٥١-٢٠٢، العدد (٤) ، ص ١٠٩-١٤٥ . شمس الدين الكيلانى، صورة أوروبا عند العرب فى العصر الوسيط، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص ٣٠٥-٣٠٦ =.

ولانغفل هنا الإشارة ؛ إلى أن قيام الإمبراطور قسطنطين بالانتقال إلى الشرق وتشبيده لتلك العاصمة جعلت بعض المتحمسين للبابوية يعتقدون أنه ابتلى بمرض الجذام ، ولم يشف إلا بصلوات من البابا سلفستر الأول Silvester I<sup>(١)</sup> (٣١٤-٣٣٥م) ، ورددوا أن ذلك الإمبراطور كافأه بإصدار قانون يمنح البابا لبس التاج ، واستعمال الصولجان كالأباطرة تمامًا ، وحتى لا تتأثر السلطة البابوية بوجود الإمبراطور في روما؛ فكر في تركها للبابوية، وقد اشتهر ذلك بما عرف بهبة قسطنطين Donation of Constantine ، وهي هبة مزعومة ظلت ذات تأثير طوال العصور الوسطى إلى أن فندها الباحث الإيطالي لورانزو فاللا Loranzo Valla عام ١٤٤٠م من خلال بحث تناولها بالدراسة والتحليل ، حيث قرر أن انتقال الإمبراطور قسطنطين إلى الشرق لادخل له اليته بتلك الهبة المزيفة<sup>(٢)</sup> ، وبالتالي سقطت تلك الهبة

= وعن الرحلة والرحالة الغربيين في الإمبراطورية البيزنطية أنظر هذه الدراسة الممتازة:

Ciggaar , western Travellers to Constantinople , The West and Byzantium 962-1204 : cultural and Political Relations, Leiden 1996, pp. 1-77 .

وأيضاً :

Majeska (G.), Russian Travelers to Constantinople in The Fourteenth and Fifteenth Centuries, Washington 1984 .

وعن الوصف الطبوغرافى للقسطنطينية وعمرانها أنظر:

Janin, Constantinople byzantine : developement urbain et repertoire Topographie , Paris, 1950 .

١- سلفستر الأول ؛ بابا وقديس ، تولى المنصب البابوى خلال المرحلة من ٣١ يناير ٣١٤ إلى ٣١ ديسمبر ٣١١م إلى ١٠ يناير ٣١٤م، عن ذلك انظر:

Kelly , Oxford dictionary of Popes , pp. 26-28 .

٢- عن هبة قسطنطين أنظر: هارتمان وباراكلاف ، الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، ت. جوزيف نسيم يوسف، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، ص ٥٥ .

ميلاد المقرحى، تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨م، منشورات جامعة قار يونس، ط. بنغازى ١٩٩٦م، ص ٣٥ .



الأكاذيب بعد أن ظلت سيفًا مشرعًا لعدة قرون يسلطه أنصار البابوية ضد أنصار الإمبراطورية.

من ناحية أخرى ؛ نلاحظ عن ذلك الإمبراطور المؤسس روايات تاريخية صاحبها جانب أسطوري، وقام المؤرخ البيزنطي الأول يوساب القيساري Eusebius Caesarensus - كما وصفه البعض - بدور بارز في هذا المجال حيث اعتبره الحواري الثالث عشر للسيد المسيح - كما أسلفت الإشارة من قبل - ومن قبيل تلك التصورات الأسطورية؛ تلك الرواية الشائعة عندما رأى في ليلة من ليالى خريف عام ٣١٢م صليبيًا من النور مكتوب عليه «بهذا سوف تنصر»<sup>(١)</sup>، وردد المؤرخون أن تلك الحادثة كانت سببًا في إتخاذه للصليب شعاراً ، ومن الجلى البين ؛ أن الوقائع التاريخية لا تفسر بمثل تلك التصورات بل من خلال الدوافع السياسية ونتائجها المتوقعة على المدى القصير والبعيد. خاصة بالنسبة لقيادة بارزة مثل قسطنطين .

١- ترددت تلك الرواية كثيراً ، وتم الأخذ بها على اعتبار أنها صادرة من يوساب القيساري مؤرخ سيرة حياة قسطنطين، بينما علينا ألا نغفل أن ورودها لديه؛ عكس الطابع الدينى الذى أضفاه على الامبراطور، مع ملاحظة أن ما نسب إليه من قتله لزوجته الثانية، وابنه ينفيان تلك الصبغة الدينية التى أراد إضافتها ذلك المؤرخ على سيده .

عن ذلك أنظر: هارولد أيدن سميل، مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى، ت عبد اللطيف أحمد علي ومحمد عواد حسين، ط. القاهرة ١٩٥٤م، ص ١٣ ، عبد القادر اليوسف ، الإمبراطورية البيزنطية، ط. بيروت ١٩٦٦م، ص ١٣ .

من جهة أخرى؛ وتعميقاً للفكرة السابقة؛ من الملاحظ أن زوجته الثانية فاوستا Faustu؛ قامت بدور بارز فى التآمر على ابنه كرسبوس Crispus من زوجته الأولى منرفينا Minervina وقد اتهمته بأنه هام بها حباً، ولذا قرر قسطنطين بالفعل إعدام ابنه فى بولا Pola عام ٣١١م فمات إما بالذبح أو بالسّم، وفيما بعد عندما اكتشف براءة ابنه من ذلك الاتهام؛ ندم ندمًا شديدًا وشيد له تمثالاً ذهبياً نقش عليه عبارة تقول «إلى ولدى الذى أعدمته بغير حق»، أما قارستا ، فقد اتهمتها أمه هيلينا انتقاماً من مقتل كرسبوس بوجود علاقة مشينة لها مع أحد العبيد فى الاسطبلات الإمبراطورية، وبالفعل ؛ تم قتلها عن طريق البخار المتصاعد الناتج عن غلى الماء.

عن ذلك انظر: إدوارد جيبون ، إضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ت. محمد على أبو درة، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ج ١ ص ٣٨٠ - ٣٨١ ؛ عليه الجنزورى ، المرأة فى الحضارة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٨٨م، ص ١٩٨ - ٢٠٠ .

لقد تأثر بالرؤية اليوسابية المؤرخون في العصر الوسطى وامتد الأمر إلى العصر الحديث ودائماً يورد اسمه على أنه « قسطنطين الكبير » ، وانتقل الأمر إلى المؤرخين العرب بالضرورة !! والأمر لا يخلو من زاوية الدعاية التي تفيض بها مصادر تاريخ العصور الوسطى سواء في الشرق البيزنطي أو في الغرب الأوروبي على حد سواء .

كذلك لا تغفل أن المؤرخين الذين وقفوا في أسر « كاريزما » البطل المؤسس؛ نظروا إليه بإنبهار؛ فبالغوا في مختلف سياساته ، وأنعكس ذلك بدوره على كتاباتهم التاريخية .

تبقى زاوية محورية عن عهد الامبراطور قسطنطين ، تركت أثراً كبيراً على التراث الروحي خلال العصور الوسطى؛ إذ أن أمه هيلينا Helena<sup>(١)</sup> ، زارت مدينة بيت المقدس، ويقال أنها عثرت هناك على بعض الآثار المسيحية المبكرة ، وقامت بتشيد كنيسة المهد في بيت لحم ، وكنيسة القيامة في بيت المقدس<sup>(٢)</sup> اللتان صارتا أهم المزارات المسيحية في فلسطين طوال العصور الوسطى وحتى عصرنا الحالي.

#### ١- عن دور القديسة هيلانة أنظر:

Eusebius, Extrait From Eusebius life of Constantine , Trans. by John Vernard , P. P. T.S., vol . I , London 1896, p. 11 .

Kuelzer, " Byzantine and Early Post Byzantine Pilgrimage to The Holy Land Travel, in Macrids, (ed.) Travel in Byzantine World Byzantine World , Bullington 2002, . 152-153 .

إسحق عبيد ، قصة عشور القديسة هيلانة على خشبة الصلب أسطورة أم حقيقة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، م (١٧) ، عام ١٩٧٠م، ص ٥-٢١ ، عليه الجنزوري ، المرأة في الحضارة البيزنطية، ص ١٢٩-١٣٤ ، هنري كتن، القدس الشريف، ت. نور الدين كنانة، ط. عمان ١٩٨٩م، ص ٥٨ ، حاشية (٢) محمد مؤنس عوض ، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ٦٢، حاشية (٥٠) .

٢- كنيسة القيامة Church of Resurrection بنتها هيلانة أم قسطنطين عام ٣٢٥م، عند الجلجثة ؛ وهو الموقع الذي يقال أنه عنده تم اكتشاف ما يعتقد أنه خشبة الصليب . ويلاحظ أن الفرس قاموا بإحراقها في عهد كسرى عام ٦١٤م و تمت إعادة بنائها على يدى الراهب مودستين عام ٦١٧م ، وفيما بعد؛ عندما قدم الخليفة عمر بن الخطاب إليها عام ٦٣٦م، رفض الصلاة فيها حتى لا يحولها المسلمون إلى مسجد، وقد قام الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي عام ١٠٠٩م بتدميرها وإن عمل ابن الخليفة الظاهر على إعادة بنائها بمعاونة

لقد دعمت هيلانة أمر الحج إلى فلسطين ، ومنذ القرن الرابع الميلادي ، تدفقت جموع غفيرة من الحجاج إلى هناك لزيارة تلك المواقع التي شهدت الذكريات المبكرة للمسيحية ، وفيما بعد ، صارت هيلانة تحمل لقب قديسة ، St. Helena .

بصفة عامة ؛ وصلت إلينا كتابات عدد كبير من الحجاج الأوربيين الذين زاروا تلك البقاع ، وسجلوا خواطرهم ، ومشاعرهم حتى صار أدب<sup>(١)</sup> الحج المسيحي ركنًا ركينًا من أداب العصور الوسطى ، وصار مصدرًا أساسيًا من مصادر دراسة تلك الحقبة التاريخية التي نشطت فيها الظاهرة الدينية .

مهما يكن من أمر ؛ خلفَ قسطنطين ، أبناؤه الثلاثة قسطنطين الثاني (٣٣٧-٣٤٠م) وقنسطانز (٣٣٧-٣٥٠م) وقسطنطيوس (٣٣٧-٣٦١م)<sup>(٢)</sup> .

= عام ١٨٣٤م ، ولم يتم إصلاحها إلا عام ١٨٦٩م باتفاق فرنسا وروسيا وإشراف الدولة العثمانية؛ عن كنيسة القيامة أنظر:

Arculfus, The Pilgrimage of Arculfu in The Holy land , Trans . by Machpherson ,  
P.P.T.S., vol . III, London 1885 , p. 45 .

ناصر خسرو ، سفرنامه ، ت. يحيى الخشاب ، ط. بيروت ١٩٨٣م ، ص ٧٤-٧٦ ، الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط. بيروت ١٩٨٩م ، ص ٣٥٨ ، فاروق عز الدين ، القدس تاريخيًا وجغرافيًا ، ط. القاهرة ١٩٨١م ، ص ٧٤-٧٥ ، عماد الدين خليل ، «فلسطين في الأدب الجغرافي العربي» ضمن كتاب ، دراسات تاريخية ، ط. بيروت ١٩٨٣م ، ص ١٣٩ ، رشدي الأشهب ، المعالم الأثرية في فلسطين ط. القدس ٢٠٠٢م ، ص ٢٩ ، محمود سعيد عمران ، «أركونف ورحلته إلى الشرق ، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط ، م (٣) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٨٥م ، ص ٢٣٢ .

وقد تصور زياد المدني أنها شيدت في عهد قسطنطين الرابع . وهو رأي جانبه الصواب ، انظر زياد عبد العزيز المدني ، مدينة القدس ، وجوارها خلال الفترة ١٢١٥م / ١٢٢٥هـ / ١٨٠٠-١٨٣٠م ط. عمان ١٩٩٦م ، ص ٢٩٦ .

٢- محمود سعيد عمران ، الامبراطورية البيزنطية وحضارتها ، ط. بيروت ٢٠٠٢م ، ص ٣١ .

توفى قسطنطيوس وقنسطانز ، وهكذا ؛ إنفرد قسطنطين الثاني بالسلطة عام ٣٥١م ،

ليحكم الإمبراطورية عشر سنوات حتى موته عام ٣٦١م<sup>(١)</sup>، وخلالها؛ تنامي الخطران الفارسي والجرماني من خلال ظهور قبائل الهون، وإن أمكن تحجيم ذلك الخطر مرحلياً من خلال الامبراطور جوليان .

على أية حال؛ يعد الامبراطور جوليان الملقب - من جانب أعدائه - بالمرتد Julian The Apostate (٣٦١-٣٦٣م)<sup>(٢)</sup>، من أهم الأباطرة في أسرة قسطنطين وخلال مدة حكمه

١- محمود سعيد عمران، الامبراطورية البيزنطية، ص ٣١ .

٢- جوليان Julian هو فلافيوس كلاوديوس جوليانوس Flavius Claudius Julianus، وهو ابن أخى قسطنطين الأول، كما أنه ابن عم الإمبراطور قسطنطيوس Constantius وقد أطلقت عليه الكنيسة تعبير المرتد Apostate، وتولى في شهر يونيو عام ٣٦٣م، عنه أنظر : Julian. Works, Trans. by W.C. : wright, 3 vols ., London 1913 .

Gardiner, Julian Emperor and Philosopher and the last Struggle of Paganism against Christianity, London 1895 .

Ridley, Julian the Apostate and the Rise of Christianity, London . 1937 .

Browning , The Empeor Julian , London , 1975 .

Bowersock , Julian the Apostate, London 1978 .

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society , California 1997, pp. 59-6 .

Jones, The Later Roman Empir, pp. 119-123 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 68-78 .

Ostrogorsky. History of the Byzantine State, pp. 46-47 .

Norwich , A short History of Byzantium , Penguin Book, London 1997 , pp. 25-26 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 65 .

رأفت عبد الحميد «مصرع جوليان الفيلسوف الإمبراطور» ، ضمن كتاب قطوف دانية مهداة إلى ناصر الدين الأسد، تحرير عبد القادر الرباعي، ط . عمان ١٩٩٧م، ج ١، ص ٤٨١- ص ٥٣٣ ، نورمان بينز ، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٤١ . هارفي بوتز، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ط. القاهرة ١٩٩١م، ص ٥٥١-٥٥٢ .

القصيرة اتجه إلى إحياء الوثنية من جديد، ويلاحظ تأثره بأفكار الفيلسوف ليبانيوس Liban-ius<sup>(١)</sup>؛ الذى نادى بأفضلية الوثنية مقارنة بالمسيحية<sup>(٢)</sup>، وقد اتجه إلى إصدار عدة قرارات من أجل إحيائها فأمر بإعادة فتح معابدها، وتقديم القرابين للآلهة الوثنية وفى بداية الأمر، وقف موقفًا وسطًا بين الوثنية والمسيحية، غير أنه فيما بعد؛ انحاز للأولى ضد الثانية؛ فعزل المسيحيين من المناصب العسكرية، وكذلك المدنية لتحجيم نفوذهم وحتى لا يمثلوا أية أخطار فى مواجهة الإمبراطور، كذلك اتجه إلى إبعاد الصلبان، وصور السيد المسيح، والسيدة مريم العذراء عليهما السلام، وجعل بدلاً منهما الرموز الوثنية<sup>(٣)</sup>.

والواقع أن سياسة جوليان كانت بمثابة الصخرة المؤقتة للوثنية؛ لأنه عملياً لم يكن من الممكن إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، ولم يكن فى الإمكان أن يتخلى المسيحيون عن المكاسب التى حققوها من خلال عهد الامبراطور قسطنطين، وانتهت تلك المرحلة المؤقتة التى لم يكتب لها الاستمرار بمقتله عام ٣٦٣م<sup>(٤)</sup>.

جدير بالذكر؛ لم يجد الإمبراطور جوليان من المؤرخين الكنسيين إلا العداء الشديد، ولم يعملوا على إنصافه، وكالوا له الإتهامات على نحو ضاعت معه حقيقته.

---

١- ليبانيوس، فيلسوف أنطاكي وثني رأى أن الآلهة الوثنية هى التى كانت من وراء صنع مجد روما، وقد تأثر به جوليان وقد اتهم المسيحيين صراحة بأنهم كانوا من وراء قتل ذلك الامبراطور، عنه: رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص ٥٢٩.

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص ٦٥.

٣- عن ذلك أنظر:

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 72-76.

٤- عن ذلك أنظر:

Baynes, "The death of Julian The Apostate in a Christian Legend", in Byzantine Studies and other Essays, Connecticut 1974, pp. 271-281.

يلاحظ أن هناك من قرر أن ذلك الإمبراطور لم يمارس أى نوع من أنواع الإضطهاد التى مارسها من قبل الأباطرة الوثنيون ضد المسيحيين؛ وإنما إتبع نمطاً فكرياً اتفق مع تكوينه الفلسفى فى مواجهة المسيحيين حتى أن القديس جيروم لقبه «الاضطهاد النبيل» عن ذلك أنظر:

رأفت عبد الحميد، الفكر المصرى فى العصر المسيحى، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٨٨.



على أية حال ؛ تولى من بعده الإمبراطور جوفيان Jovian ٣٦٣-٣٦٤ م<sup>(١)</sup> ، الذى لا يذكر له التاريخ سوى عقده هدنة مع الفرس بلغت مدتها ثلاثين عامًا ، وكأنه تصور أن الإلتزام بها سيستمر إلى ذلك العدد المبالغ فيه من الأعوام ، وقد تنازل لهم عن مناطق فى بلاد ما بين النهرين وكذلك أرمينيا<sup>(٢)</sup> ، ومن ناحية أخرى ؛ نجد أنه عاد إلى رعاية المسيحية على حساب الوثنية ، على عكس السياسة التى سار عليها سلفه جوليان من قبل .

يتفق كل من جوليان وجافيان ؛ فى قصر مدة الحكم وإن اختلفا فى السياسة تجاه الفرس ؛ حيث حاربهم الأول ، وهادنهم على نحو مذل الثانى ، كذلك أيد الأول الوثنية وخالفه خلفه بتأييد المسيحية . بصفة عامة ؛ حكم الإمبراطورية خلال الأعوام الواقعة بين عامى ٣٦٤ ، ٣٧٨ م الإمبراطور فالنز Valens<sup>(٣)</sup> ، وفى عهده تنامى خطر عناصر القوط الشرقيين الذين

١- تولى جوفيان المنصب الإمبراطورى فى ٢٧ يونيو ٣٦٣ م وتوفى فى ١٧ فبراير ٣٦٤ م ، ويلاحظ أنه اختلف عن جوليان فى بعض الجوانب منها اتجاهه نحو الخمر والنساء ، كما أن تعليمه كان محدوداً وبالتالي اختلف عن سابقه ، ويلاحظ أن جافيان على الرغم من كونه مسيحياً إلا أنه تسامح مع معتقدات الوثنيين عنه أنظر :

O. D.B., vol 2 , pp. 107 , 1077 . Nicol, A Biographical dictionary, p. 65 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 78 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , p. 47 .

Jones, The Later Roman Empire , p. 138 . Treadgold, A History of the Byzantine State and Society , p. 62 . O.D.B., vol 2, p. 1076-1077 .

محمود سعيد عمران ، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها ، ص٣٢- ص٣٣ ؛ نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسى ، ط. دمشق ٢٠٠٤ م ، ص٥٨ نورمان بينز ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص٤١ .

Ostrogorsky, Op.cit., p. 47 .

-٢

٣- الإمبراطور فالنز Valens ؛ ولد فى سيبلاى Cibale في بانونيا Pannonia عام ٣٢٨ م ، وفيما بعد؛ تولى المنصب الإمبراطورى فى ٢٨ مارس ٣٦٤ م ، وكان ضابطاً فى الجيش فى عهدى جوليان Julian ، وجافيان Javian ، وقد توفى بالقرب من أدريانوبل Adrianople فى ٩ أغسطس ٣٧٨ م .

O.D.B ., Vol . 3, p. 3149 . عنه أنظر :

Nicol, Op. cit , p. 134 . Diehl, History of the Byzantine Empire , p. 7 .

تزايد عددهم وكانوا قد اعتنقوا المسيحية على المذهب الأريوسي ويحثوا عن موارد للطعام، وسمع لهم -مضطراً- بعبور نهر الدانوب، وكان ذلك من القرارات التاريخية القاتلة التي اتخذها ودفع الإمبراطور ثمنًا فادحًا في مقابلها .

وقد أدى ذلك العبور ؛ إلى استقرارهم داخل ربوع الإمبراطورية ، وقد قرر البعض أعدادهم بنحو ٢٠٠,٠٠٠ شخص وذلك دون حساب ذويهم وعبيدهم<sup>(١)</sup>، دون إمكانية التأكد من مثل تلك الأرقام في عصر لم يشهد إحصاءات دقيقة وعندما اشتد بهم الجوع وقد يكون في الرقم مبالغة لكنه- على أية حال - لا يخلو من دلالة تاريخية ، وفيما بعد ؛ إزداد العداء بين الطرفين؛ على نحو أدى إلى وقوع معركة أدرنه في ٩ أغسطس من عام ٣٧٨م<sup>(٢)</sup>، التي أورد وقائعها المؤرخ أميانوس ماركلينوس Ammianus Marcellinus<sup>(٣)</sup>، وهي - بلاريب - من المعارك الحاسمة في التاريخ وقد نتج عنها عدة نتائج يمكن إجمالها في الآتي:

أولاً : تم إلحاق الهزيمة المروعة بقوات الإمبراطور فالنزا، بل قُتل خلالها ثلثي جيشه، وكان القتل كذلك من نصيب الإمبراطور شخصيًا .

ثانيًا : من المقرر أن الرومان لم يصيبوا بهزيمة مروعة في تاريخهم مثل تلك الهزيمة في أدرنه منذ صراعهم مع القائد القرطاجي هانيبال<sup>(٤)</sup>.

١- إسحق عبيد، من ألارك إلى جستنيان ، دراسة في حويلات العصور المظلمة ، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص ١٦ .

٢- عن معركة أدرنه أنظر:

Oman , A History of the art of war in the Middle Ages vol . I, London 1927, p. 14-15 .

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, p. 67 .

شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣٢-٣٣ ، رأفت عبد الحميد ، الإمبراطورية البيزنطية ، العقيدة والسياسة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٢٤ ، الدولة والكنيسة، ج ٤ ، ثيودسيوس وأمبروز، ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص ٤١-٤٢ .

جدير بالذكر؛ أن هناك من المؤرخين من تصور أن تلك المعركة فاصلة وتصلح لتكون بداية للعصور "الوسطى الأوروبية" .

عن ذلك أنظر: جوزيف نسيم يوسف ، دراسات في تاريخ العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م، ص ٢٠ ، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها ، ط. بيروت ١٩٨٧م، ص ٢٧ .

٣- رأفت عبد الحميد ، المرجع السابق، ص ١٢٣ .

٤- شارلز أومان ، المرجع السابق، ص ٣٣ .

ثالثاً : كانت النتيجة المباشرة لمعركة أدرنة أن إتجه القوط الشرقيون الذين انتشوا بخمر النصر إلى مهاجمة القسطنطينية ذاتها، إلا أن حصانتها، ومناعتها، وقفت حائلاً دون إخضاعهم لها، وهكذا : يمكن القول : أن أسوار تلك المدينة منعت القوط من استثمار إنتصارهم التاريخي وهو أمر تكرر مرات متعددة لأعداء آخرين على مدى عدة قرون تالية<sup>(١)</sup>.

رابعاً : يقرر البعض أن تلك المعركة كانت بمثابة فاتحة عهد جديد بين الجرمان والإمبراطورية؛ فمن قبل كانوا ينظرون إليها بالتقدير والاحترام خاصة مع وجود الفارق الحضاري الشاسع بينهم وبين الرومان، أما من بعد المعركة؛ زاد طموحهم إلى حد كبير، ورجبوا في الإستفادة من حصاد الحضارة الرومانية<sup>(٢)</sup>.

خامساً : لا نغفل - في معرض عرضنا لنتائج تلك المعركة- الإشارة إلى أنها جاءت مقدمة لمرحلة محورية في القرن التالي فبعدها بأقل من مائة عام وبالتحديد عام ٤٧٦م؛ ستسقط روما القديمة Roma Antiqua حاضرة نهر التيبر على أيديهم، وستبقى روما الجديد Roma Nova أي القسطنطينية بعيدة عن ذلك المصير، لتقوم بدور العمق الاستراتيجي والعاصمة البديلة عن روما التي صارت خاضعة للسيادة الجرمانية.

على أية حال؛ من الممكن إدراك عدة أحداث رئيسية وضحت من خلال دراسة أسرة قسطنطين وتتمثل في تأسيس العاصمة، والتسامح مع المسيحية، والارتداد القصير إلى الوثنية، ثم الهزيمة الفادحة في أدرنه.

أما أسرة ثيودوسيوس وهي مكملة في أعمالها لأسرة قسطنطين؛ فقد حكمت خلال الأوام من ٣٧٩ إلى ٥١٨م، وبالتالي؛ امتد عهدها إلى قرن، وقرابة أربعة عقود من الزمان، وتوالى عهدها من خلال عدد من الأباطرة في صورة ثيودوسيوس Theodosius (٣٧٩-٣٩٥م)، وأركساديوس Arcadius (٣٩٥-٤٠٨م) وثيودوسيوس الثاني Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠م)، ومرقسيان Marcian (٤٥٠-٤٥٧م)، وليو الأول الكبير Leo I (٤٥٧-٤٧٤م) ليو الثاني Leo II (٤٧٤م) وزينون Zenon (٤٧٤-٤٩١م) واناستاسيوس Anastasius (٤٩١-٥١٨م).

١- سيتدعم ذلك خاصة بعد الدور الذي قام به الامبراطور ثيودوسيوس حيث عمل على اقامة أسوار مدعمة للأسوار الموجودة من قبل هو ما سنفصله في موضع تالٍ.

٢- رأفت عبد الحميد، الإمبراطورية البيزنطية، العقيدة والسياسة، ج ١، ص ١٣٠.

والواقع ؛ أن أهم أولئك الأباطرة من حكم خلال المرحلة الممتدة من ٣٧٩ إلى ٣٩٥م وكذلك من ٤٠٨ إلى ٤٥٠م في صورة ثيودوسيوس الأول ، و تيودوسيوس الثاني ومن ثم سيتم تسليط الضوء عليهما نظراً للإنجازات التاريخية التي حدثت خلال عهديهما .

وفيما يتصل بالإمبراطور ثيودوسيوس الأول<sup>(١)</sup>؛ نجد أنه ما قام بمواجهة تزايد خطر العناصر الجرمانية بأن عمل على استيعابهم في الإمبراطورية ، ولذا عقد معاهدة مع عناصر القوط وعلى أساسها ؛ صاروا معاهدين Foederati للإمبراطورية<sup>(٢)</sup>، كذلك تم إعتبارها قوة احتياطية للجيش الروماني ، ثم أعطاهم إقليم تراقيا ليتخذوه مسكناً لهم. ولاريب؛ في أن كارثة معركة أدرنة كانت ماثلة أمام ناظريه على نحو أكد له تزايد خطر العناصر الجرمانية وضرورة التعايش معها ؛ تجنباً لمزيد من الأخطار في المستقبل.

من زاوية أخرى؛ اتجه ذلك الإمبراطور إلى تقسيم الإمبراطور بين ولديه أركاديوس Ar-cadius الذي حصل على القسم الشرقي، وهونوريوس Honorius الذي نال القسم الغربي<sup>(٣)</sup>، وهكذا؛ فإنه بوفاة ثيودوسيوس الأول عام ٣٩٥م انفصل الشرق عن الغرب، وصار كل في مسار تاريخ مختلف عن الآخر.

---

١- ثيودوسيوس الأول ؛ كان أسبانياً تفوق في ساحات الوغى، وقد عينه الإمبراطور جراتيان Gratian عام ٣٧٩م بمثابة إمبراطور مشارك ، وقد حكم خلال المرحلة من العام المذكور حتى عام ٣٩٥م حيث توفي في ميلان بايطاليا وتم نقل جثته إلى القسطنطينية عنه أنظر :

Nicol, A Biographical dictionary . pp . 124-125 .

Vasiliev, History of the Byzantine State, pp. 48-50 .

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٧١ .

حسنين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٤١ .

داوني ، أنطاكية في عهد ثيودوسيوس الكبير ، ت. البرت بطرس، ط. بيروت ١٩٦٨م.

٢- عن ذلك انظر :

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 48 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 88 .

Ostrogorsk , Op. cit., p. 49 .

حسنين ربيع ، المرجع السابق، ص ٤٢.

نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسي، ص ٦٠ .

وفى عهد ثيودوسيوس : حدث تطور حاسم فى تاريخ الديانة المسيحية عندما إتخذها الديانة الرسمية للإمبراطورية ؛ وبذلك تأكد لنا ؛ أن المسيحية مرت بثلاث مراحل على مدى أربعة قرون ؛ الأولى مرحلة الإضطهاد ، ثم مرحلة التسامح والاعتراف بها كديانة من الديانات الموجودة فى الإمبراطورية، ثم التحول إلى أن تكون الديانة الرسمية ، وقد صدر فى عهد ثيودوسيوس مرسوم إمبراطورى يحظر على معتنقى العقائد الوثنية أن يظهروا شعائرهم الدينية ، وفرض عقوبات رادعة من أجل العمل على مقاومة الوثنية ومناصرة المسيحية<sup>(١)</sup> وبذلك قام بخطوة جديدة لم تكن لدى الإمبراطور قسطنطين من قبل.

من ناحية أخرى؛ إتجه إلى عقد مجمع كنسى عرف بمجمع القسطنطينية عام ٣٨١م<sup>(٢)</sup>، وأعلن فيه بصورة نهائية عدم مشروعية الآريوسية وبالتالي حاربها فى أنحاء الإمبراطورية ، وهكذا ؛ يتأكد لنا؛ أن عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول يعد مكملاً ومتشابهاً مع عهد المؤسس البارز قسطنطين ، وعلى نحو خاص فى الناحية الدينية من خلال دعم المسيحية ، وكذلك عقد المجمع الكنسية لمناقشة الخلافات الدينية بين الفرق المسيحية المتصارعة.

أما عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى<sup>(٣)</sup> (٤٠٨-٤٥٠م)؛ فإن أهم ما حدث فيه يتمثل

١- عن إتجاه ثيودوسيوس الأول إلى إتخاذ المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية أنظر:

Angold , Byzantium The Bridge From Antiquity to the Middle Ages, London 2001, p.4

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 82 .

بارو ، الرومان، ت. عبد الرازق يسرى، ط. القاهرة ١٩٦٨م، ص ١٩٢-١٩٣ .

٢- عنه :

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 9 .

٣- ثيودوسيوس الثانى؛ لم يكن قد تجاوز السابعة من عمره عندما توفى والده أركاديوس فى يناير عام

٤٠٨م فتولى الوصاية عليه انتيموس وزير والده، ومن بعد ذلك أخه بولخيريا ، وقد تزوج فيما بعد من اثيناس يودوكيا عام ٤٥٠م، عنه أنظر:

Diehl , History of The Byzantine Empire , p. 10 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 51, p. 55 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 66, p. 96 .

Nicol, A Biographical dictionary, pp. 126-126 .



فى الإسهام القانونى البارز ؛ حيث أصدر عام ٤٣٨م ، مجموعة قانونية وهى التى عرفت بإسم Codex Theodosianus<sup>(١)</sup> التى يراها الباحثون حدثاً مهماً فى تاريخ التشريع الرومانى فى مرحلة ما قبل جستنيان ، قد دلت على ما حققته المسيحية من تأثير فى مجال التشريع ، وكذلك فى الحياة الاجتماعية<sup>(٢)</sup>.

جدير بالذكر؛ احتوت تلك المجموعة على التشريعات القانونية التى صدرت منذ عهد الامبراطور قسطنطين حتى تلك التى أصدرها ثيودوسيوس ، ويلاحظ أنها كانت مصدراً مهماً من المصادر القانونية التى اعتمد عليها الإمبراطور جستنيان<sup>(٣)</sup> فى مرحلة تالية من التاريخ البيزنطى.

ولانغفل هنا ؛ أن تلك التشريعات صدرت خلال مرحلة الغزو الجرمانى لمناطق الغرب الأوروبى وبالتالى أثرت بصورة مباشرة أو غير مباشرة على التشريعات الجرمانية التالية مثل قوانين القوط ويلاحظ أن جميعها كما قرر أحد المؤرخين البارزين إصطبغت بالصبغة المسيحية<sup>(٤)</sup>.

بصفة عامة؛ من الملاحظ أن الأباطرة البيزنطيين الذين اهتموا بالجانب القانونى ، كانوا أكثر بقاءً فى التاريخ على المستوى الحضارى من أولئك الذين اهتموا فقط بعالمى الحرب والسياسة وتلك ملاحظة جديرة بالاهتمام فى دراسة التاريخ البيزنطى ، مع عدم إغفال حقيقة محورية وهى أن هناك أباطرة قللوا اهتمامهم بالجانبين ؛ أى بالقانون والحرب والسياسة ، على نحو ضمن لهم المكانة الأكثر فعالية فى مسار ذلك التاريخ الحافل بالأحداث.

كذلك تم فى عهد ثيودوسيوس الثانى حدث مهم على الصعيد الحربى الاستراتيجى فى صورة إقامة أسوار جديدة للقسطنطينية امتدت من بحر مرمرة حتى القرن الذهبى نحو ميلين غربى السور القديم الذى شيد من قبل وقد حدث ذلك عام ٤١٣م ، بعد خمس سنوات فقط من تولى ذلك الإمبراطور العرش ؛ مما عكس إدراكه لأهمية تشييد ذلك السور خلال تلك المرحلة

١- حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٥٠ ، حاشية (٧٠) .

Vasiliev ,p. 101 .

٢- نفسه ، نفس الصفحة والحاشية.

٣- نفسه ، نفس الصفحة والحاشية.

٤- نفسه ، نفس الصفحة والحاشية (٧) .

المبكرة من عهده ، دَعُم الأمر من خلال إقامة أسوار بحرية عام ٤٣٩م<sup>(١)</sup> ، اتصلت بالأسوار البرية السالفة الذكر، ولاريب ؛ فى أنها دعمت دفاعات القسطنطينية ، وصارت فى مأمن من غزواتها على تعددهم، وقوتهم ، وعلى مدى عدة قرون تالية.

واقع الأمر؛ من الممكن القول أن ثيودوسيوس الثانى بتلك الأعمال العمرانية الحربية الدفاعية ؛ ساهم بصورة كبيرة فى تدعيم القلب البيزنطى فظل ينبض بالحياة قرون تالية دون أن يسقط فى قبضة أعدائه، وذلك دون إغفال تأثير العوامل الأخرى بطبيعة الحال، كوجود الأباطرة الأقوياء، واستبسال البيزنطيين فى الدفاع عن عاصمتهم ونحو ذلك.

لانغفل كذلك أنه خلال عهده حدث تطوير مهم فى صورة صدور قرار تنظيم جامعة القسطنطينية عام ٤٢٥م التى كان لها دورها فى الحياة العلمية البيزنطية وهو قرار محورى أثر على تاريخ بيزنطة الحضارى لعدة قرون تالية .

على أية حال ؛ فى عهد الإمبراطور زينون (٤٧٤-٤٩١م) حدث تطور على جانب كبير من الأهمية فى مسار الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى فى العصور الوسطى ، قى صورة سقوط روما على أيدي الجرمان وذلك فى عام ٤٧٦هـ ، وقد تزعم الجرمان القائد ادواكرا Odauacer ، الزعيم الجرمانى لقبائل الهول Heruls ، والروجيين Rugians ولم يكن الإمبراطور الرومانى الأخير رومولوس أوجستيلوس Romulus Augustelus<sup>(٢)</sup>

١- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٧٢ .

ويلاحظ أن تلك الأسوار لم يكتمل تشييدها إلا حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى، ومنها سور ارتفاعه بلغ ١٢ متراً وتم تزويده بـ ٩٦ برج مراقبة، ومن ورائه وجد سور ثانى إرتفاعه ١٠ أمتار واحتوى هو الآخر على ٩٢ برجاً كما تم حفر خندق عميق تراوح عمقه بين ٥ ، ٧ أمتار. ومن بعد ذلك كان هناك سور ثالث.

عن تفصيل تشييد تلك الأسوار أنظر:

محمود سعيد عمران ، «تحصينات مدينة القسطنطينية فى مواجهة الغزوات الخارجية»، بحث ألقى فى ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحار ، واتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ٦-٨ نوفمبر ١٩٩٣م.

Whitow, The Making of Byzantium 600 . 1025, Los Angeles 1996, p. 426 .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 125 .

٢- رومولوس أوجستيلوس ؛ تولى العرش الإمبراطورى خلال المرحلة من ٣١ أكتوبر ٤٧٥م إلى =

(٤٧٥-٤٧٦م) الذى يصلح لمواجهة الأحداث الخطيرة التى واجهت الإمبراطورية حينذاك، ومن المهم هنا الأخذ بذات التصور الذى قال به المؤرخ البريطانى أرنولد توينبى Arnold Toynbee صاحب نظرية التحدى والاستجابة Challenge and Respons التى أوردها فى كتاب دراسة التاريخ Astudy of History عندما أدرك أن إدواكر ليس له الادعاء بأنه صاحب إسقاط روما ؛ لأنها سقطت من الداخل قبل الخارج بعد أن إنهار نظامها السياسى ومعه البناء الاقتصادى ، والاجتماعى، والإدارى.

جدير بالذكر؛ طلب ذلك القائد الجرمانى من الإمبراطور زينون الموافقة على وضعه السياسى الجديد فى الغرب الأوروبى لكن الإمبراطور البيزنطى لم يكن ليقبل ذلك؛ لإعتقاده بأن النظرية السياسية الرومانية لم تكن لتقبل سوى إمبراطور واحد لإمبراطورية واحدة.

لانغفل أن تلك النظرية؛ ستكلف بيزنطة ثمنًا باهظًا من الرجال، والأموال والوقت والجهد على الرغم من أن أحداث التاريخ كانت تتغير من حولها، وإذا بها تصر على تبنى تلك التصورات !! ولذلك لم تكن لتقبل باستمرار التغير الذى حدث على أرض الغرب الأوروبى، ومن هنا ؛ كان تدخلها فى قلب قضاياها دعمًا لتلك النظرية السالفة الذكر.

مهما يكن من أمر؛ فى عهد آخر إمبراطور من أباطرة أسرة ثيودوسيوس ؛ ونعنى به أناستاس (٤٩١-٥١٨م) حدث إنقلاب عسكري من جانب أحد القادة هو جستين، وتمكن من خلاله من الوصول إلى العرش الإمبراطورى .

وجدير بالإشارة ؛ أن ذلك المشهد تكرر كثيراً فى التاريخ البيزنطى، فكلما ظهر فى الجيش البيزنطى قائد بارع رفعه إنتصاره العسكرى إلى عليين ؛ دفعه ذلك إلى التطلع إلى المنصب الإمبراطورى الرفيع الشأن، وفيما بعد؛ حكم الإمبراطورية قادة عسكريون «ديماجوجيون»

---

= ٤ سبتمبر ٤٧٦ م. ومن المحتمل أنه توفى بعد عام ٥٠٧ أو ٥١١ م، وكان قد أعلن كأوجستس -Au- gustus من جانب والده أورستس Orestes الذى عمل بمثابة السكرتير السابق لأتيلا Atila.

عنه أنظر :

O.D.B., vol . III, p.1812 . Vasiliev, History of the Byzantime Empire, p. 267 .

وعن سقوط الإمبراطورية الرومانية أنظر هذه الدراسة المتخصصة : محمود الحورى باللغة العربية، رؤية فى سقوط الامبراطورية الرومانية ، ط. القاهرة ١٩٩٣م.

وهى دراسة قيمة لم تنل اهتمامًا يليق بها من الباحثين .

عملوا على إثارة مشاعر الجماهير من خلال الانتصارات العسكرية ، وهكذا ؛ ندرك أن الجيش البيزنطى كان قاداته أحياناً على استعداد لدخول معترك السياسة ، ولم يكن لهم مؤهل لذلك سوى الحرب والتفوق فيها ودغدغة مشاعر الجماهير الملهبة بنتائجها المظفرة ومن أمثلة ذلك ما حدث خلال عهد الأسرة المقدونية حيث تولى أمرها بعض القادة العسكريين على نحو كشف عن دور المؤسسة العسكرية البيزنطية فى صنع تاريخ تلك الإمبراطورية وبصورة عكست صعوبة الفضل أحياناً بين السياسة والحرب فى ذلك التاريخ الحافل بالأحداث.

يبقى أن نذكر عن أسرة ثيودوسيوس أن الإمبراطور أناستاسيوس الأول (٤٩١-٥١٨م) عمل على تجديد أسوار القسطنطينية عام ٤٩٧م من أجل تأمينها فى أعقاب هجوم الجرمان على البلقان عام ٤٩٣م<sup>(١)</sup> ؛ مما عكس أن أكثر من إمبراطور شارك فى ذلك .

وعند المقارنة بين أسرة قسطنطين وثيودوسيوس نجد أنهما تمثلان مرحلة تاريخية واحدة، ومتراصة، ولاريب فى أن أسرة ثيودوسيوس تعد إمتداداً طبيعياً لأسرة قسطنطين ، فإذا كان الأخير شيد القسطنطينية وأوقف الاضطهاد الذى لحق بالمسيحية ، فإن ثيودوسيوس الأول جعلها الديانة الرسمية للإمبراطورية ، وقام ثيودوسيوس التالى بتدعيم حصانتها ، على نحو أكد التواصل بين الأسرتين.

كذلك لانغفل اهتمام المؤرخين القدامى ومن بعدهم المؤرخين المحدثين بـقسطنطين من خلال أعماله ؛ فاق اهتمامهم بالإمبراطور ثيودوسيوس الأول على الرغم من أن كلا منهما من مؤسسى الأسرات البيزنطية الحاكمة، ولانغفل أيضاً؛ أن الأول أحيط بهالة من التقديس أما الثانى فلم يتوافر له ذلك.

من ناحية أخرى ؛ من الملاحظ أن أسرة ثيودوسيوس تميزت باهتمام إمبراطورها ثيودوسيوس الثانى بالجانب القانونى، كذلك هناك إصداره قراراً بتنظيم جامعة القسطنطينية؛ مما انعكس بدوره على النظم التعليمية البيزنطية فيما بعد؛ فإذا أضفنا إلى ذلك جميعه دعمه لدفاعات المدينة وهى التى ظلت العامل الأول فى مواجهة أعدائها؛ أدركنا أهمية تلك الأسرة فى التاريخ البيزنطى.

ذلك أمر أسرتى قسطنطين ، وثيودوسيوس ودورهما فى العصر البيزنطى المبكر؛ أما الصفحات التالية، فيتم فيها تناول أسرة جستنيان.

١- وسام عبد العزيز فرج ، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٤٣ .

## ثانيًا : أسرة جستنيان (٥١٨-٦١٠م)

نتناول في الصفحات التالية؛ بالعرض أبرز الأحداث التاريخية التي وقعت خلال عهد أسرة جستنيان ؛ لتكوين رؤية موضوعية عن حجم الإنجاز التاريخي الذي تحقق حينذاك ، وتقويمه بين الإيجابيات ، والسلبيات وذلك ضمن المسار العام للتاريخ البيزنطي.

لقد تولى العرش الإمبراطوري من تلك الأسرة ٦ أباطرة هم: جستين الأول Justin I (٥١٨-٥٢٧م) وجستنيان الأول Justinian I (٥٢٧-٥٦٥م) ، وجستين الثاني Justin II (٥٦٥-٥٧٨م) ، وتيبيريوس الأول Tiberius I (٥٧٨-٥٨٢م) ، وموريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢م) ، وفوكاس Phocas (٦٠٢-٦٢٠م) ، قد امتد عمر تلك الأسرة (٩٢) عامًا. على أبة حال ؛ تولى جستين حكم الإمبراطورية خلال الأعوام من ٥١٨ إلى ٥٢٧م وعاونه ابن أخته جستنيان الذي كان على مستوى أفضل من التعليم ، وبعد انقضاء حكم جستين تولى الأمر الأخير حتى عام ٥٦٥م<sup>(١)</sup>.

مهما يكن من أمر ؛ هناك عدة مشكلات تواجه الباحث عند التصدي لأعمال جستنيان على نحو خاص يمكن إجمالها في الآتي :

أولاً : وجود مصادر تاريخية معلنة، وأخرى سرية عن عهده ومن أمثلة الأولى؛ ما ألفه بروكوبيوس Procopius وكذلك يوحنا اليلدي John Lydus ، ومن أمثلة النوع الثاني من المؤلفات ما ألفه بروكوبيوس نفسه تحت عنوان التاريخ السري، وهكذا؛ نجد روايات تاريخية متناقضة ومختلفة لمؤرخ واحد عن نفس الإمبراطور<sup>١١١</sup>.

### ١- عن عهد الإمبراطور جستنيان بصفة عامة أنظر :

Procopius, Secret History, Trans. by Richard Atwater, Michigan 1961 .

Holmes, The Age of Justinian and Theodora , 2 vols., London 1912 .

Ure, Justinian and his age , London 1951 .

Moorhead , Justinian , London 1994 .

Browning, Justinian and Theodora, London 1987 .

Evans , The Age of Justinian, the circumstances of imperial Power, London 1996 .

اسمت غنيم ، إمبراطورية جستنيان، ط. جدة ١٩٧٧م ، محمد فتحى الشاعر، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى القرن السادس الميلادى عصر جستنيان. رسالة دكتوراه ، كلية الآداب- جامعة الزقازيق ١٩٨٥م.



ثانيًا : ظهر في عهد جستنيان تأثير قوى لحواء البيزنطية في صورة زوجته الإمبراطورة ثيودورا Theodora<sup>(١)</sup> التي - وفق ما أورده - بروكويوس كانت من أصول اجتماعية وضبعة، وعملت كراقصة وانحرفت وتزوجها الإمبراطور ، وتمتعت بإرادة قوية ، وذكاء حاد وبصفة عامة لا يمكن الفصل بين الإمبراطور وتأثير زوجته عليه حتى وفاتها عام ٥٤٨م. على امتداد ٢١ عامًا ؛ أي أكثر من نصف مدة حكمه ، ومن بعد ذلك العام المذكور حتى وفاته عام ٥٦٥م من الممكن القول بإطمئنان أن جستنيان حكم منفرداً بعد أن حطمه رحيلها على مدى ١٨ عامًا هي السنوات العجاف على مستواه الشخصي .

بصفة عامة ؛ من الممكن إجمال أهم أحداث عصره على النحو التالي.

أولاً : ثورة النصر Nika عام ٥٣٢م.

ثانيًا : حروبه ضد العناصر الجرمانية .

ثالثًا : النهضة القانونية والعمرانية .

رابعًا : السياسة الدينية.

خامسًا: الكوارث الطبيعية. سادسًا: الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في عهده.

---

١- ثيودور : زوجة جستنيان ، كانت في الأصل ابنة ساق في إحدى الحانات التي وجدت في الهيبودروم (ساحة السباق) وعاشت حياة ماجنة خليعة ، وسافرت إلى ليبيا ، وكذلك مصر ، وتحديدًا الاسكندرية، وقيل أنه كان لها ابن غير شرعي، وعملت على إيواء التائبين من بائعات الهوى البيزنطيات، وقد ماتت بمرض السرطان في ٢٨ يونيو عام ٥٤٨م، ويقال أن وفاتها أدت إلى أسوأ الأثر على نفسية جستنيان ، وافتقد القدرة على الابتكار كما قرر دونالد نيكول ، عن ثيودورا بالتفصيل أنظر:

Procopius , pp. 20-31 .

Evans , The Empress Theodora Partner of Justinian, Texas 2002. pp. 13-119 .

Nicol, ABiographical dictionary , p. 120 .

Hussey , The Byzantium World , New York 1961 , p. 21 .

Id., Theodora , Empress of Byzantium , Trans. by Samuel R. Rosenbaum, New York 1972, pp. 45-147 .

Diehl , History of the Byzantine Empire, p. 20-22 .

Evans, Procopius , New York 1972 , p. 128 .

حبيب جاماتي، ثيودورا الممثلة المتوجة ، ط. القاهرة ب-ت .

أيضًا : بول وليمان، ثيودورا ، جزآن ، ط. بيروت ١٩٦٥م.

وفيما يتصل بالعنصر الأول؛ وجد في العاصمة البيزنطية حزبان سياسيان؛ حزب الزرق وحزب الخضري، وقد تنافسا، كما أن الإدارة الإمبراطورية اشتدت في فرض الضرائب على المعاصرين، وفيما بعد؛ اتحد الحزبان المذكوران للثورة ضد جستنيان وقامت أحداث شغب واسعة النطاق في العاصمة البيزنطية وتمكن الثوار الذين قدر عددهم بعشرات الآلاف من هزيمة قوات الإمبراطور.

وعندما اضطرت الأمور خلال أحداث إندلاع الثورة على مدى الأيام من ١١ - ١٩ يناير ٥٣٢م<sup>(١)</sup>؛ فكر الإمبراطور في أن يلوذ بالفرار، إلا أن زوجته ثيودورا التي امتلكت إرادة قوية، ورغبة صادقة في قبول التحدي، قالت له عبارات حاسمة حازمة «ما من إنسان يأتي إلى هذه الدنيا إلا ومصيره الموت في النهاية، ومن يمارس السلطة لا يطبق الحياة في المنفى، فإذا أردت أن تنجو بنفسك أيها الإمبراطور فليس ثمة ما يمنعك من ذلك، وهاك البحر والسفن والأموال. تراث قليلاً، وسل نفسك، ألا تندم على فرارك، ووصولك إلى ملاذ آمن فتود أن لو كنت أثرت الموت على النجاة بالهزيمة؟ أمّا أنا فباقية هنا والحلة الملكية الأرجوانية هي عندي أجمل الأكفان»<sup>(٢)</sup>.

وقد كانت لتلك الكلمات التأثير البارز على الإمبراطور الذي استمد منها طاقة للمقاومة، ومن المفترض أن ثيودورا نظراً لأصولها الاجتماعية الفقيرة كانت أقدر على التعامل مع تلك الثورة التي دامت ثمانية أيام عاصفة تعد من أصعب الأيام في حياة ذلك الإمبراطور على مدى سنوات حكمه فيما بين ٥٢٧-٥٦٥م<sup>١</sup>.

على أية حال؛ تمكن الإمبراطور من مواجهة تلك الأحداث العاصفة، وساعده على ذلك؛ حدوث إنشقاق في صفوف الثوار، حيث استطاع رئيس الخصيمان ويدعى نارسييس من إستمالة زعماء حزب الزرق بالأموال، ولذلك طالبوا أنصارهم بالتوقف عن المشاركة في تلك

١- نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص ١٢٧، وعن ثورة النصر أنظر:

Barker, Justinian and the Later Roman Empire, Wisconson 1966, pp. 82-91 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 154-157 .

رأفت عبد الحميد، «الثورة الشعبية في القسطنطينية ٥٣٢م»، ضمن كتابه بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٩٩-٢٤٩، وهي الدراسة العربية المتخصصة عن الموضوع.

٢- عن ذلك النص أنظر: نعيم فرح، المرجع السابق، ص ١٢٧.

الأحداث<sup>(١)</sup>، كما لابد من الإشارة ؛ إلى دور بارز للقائد بلزاريوس Belisarius<sup>(٢)</sup> الذى تمكن ومعه قواته من الفتك بقسوة بآلاف الثوار الذين دفعوا حياتهم ثمناً للثورة ونظر المؤرخون الرسميون إليهم على أنهم مجرد مشيرى شغب. على اعتبار أن التاريخ دوماً يكتبه المنتصر.

فى نهاية المطاف؛ أصيبت ثورة النصر بالهزيمة؛ ومن بعدها شدد الإمبراطور قبضته على العاصمة من أجل تجنب تكرارها فى المستقبل بعد أن لقنته درساً قاسياً .

لاريب فى أن الأيام العصيبة السالفة الذكر كان لها أثرها على الأعوام التالية من حكم جستنيان ، ويرى البعض أن هناك عدة نتائج نجمت عن ثورة النصر.

فقد أدى فشلها إلى انتصار الأتوقراطية وتدعمت سلطة الإمبراطور بينما - من جهة أخرى- أصيبت الأحزاب السياسية بالشلل<sup>(٣)</sup>، كما أن المدن البيزنطية قد فقدت الحرية المدنية، والمنظمات البلدية التى كانت موجودة فى مدن الامبراطورية الرومانية القديمة<sup>(٤)</sup>.

كذلك أكدت وقائع تلك الثورة أهمية دور الشعب البيزنطى الذى كان يثور أحياناً عندما يتعرض لضغط فتصادى زائد خارج عن قدرته على تحمله .

= وعن موقف ثيودورا من تلك الثورة أنظر:

Evans, " The Nika Rebellion and the Empress Theodora", B. vol . LIV , 1984 , pp. 380-387

١- نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسى، ص ١٣١ .

٢- بليزاريوس ؛ قائد عسكري خبير عمل فى خدمة الإمبراطور جستنيان وهناك من يقرر أنه كان المخطط لأغلب المعارك التى مكنت ذلك الإمبراطور من استرداد عدد من الأقاليم من أيدي الجرمان، خلال المرحلة الأولى من حروب الاسترداد ، ويلاحظ مواجهة لعدد من المضاعف ، من ذلك اتهامه بالخيانة، ولم ينقذه من ذلك سوى الإمبراطورة ثيودورا التى كانت صديقة لزوجته، ومن بعد وفاة ثيودورا انقلبت الأمور فى غير صالحه، وتولى نارسيس قيادة الجيش وتقاعد بلزاريوس وإن تم استدعاؤه فيما بعد لقتال الهون عام ٥٥٩ م . على أية حال ؛ توفى فى مارس ٥٦٥م، وقد نسجت حوله عدة روايات من جانب البيزنطيين ، عنه أنظر:

Procopius , pp. 5-9 .

Nicol , Biographical dictionary, p. 19 . Diehl, History of the Byzantine Empire, p.20, p. 22 .

٣- نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسى، ص ١٣٢ .

٤- نفسه، ص ١٣٢-١٣٣ .

أما التأثير الأكبر - فى تصورى - الذى أحدثته ثورة النصر عام ٥٣٢م، فقد تمثل فى السياسة الخارجية ، فمن أجل أن يصرف الإمبراطور الشعب البيزنطى عن المشكلات الداخلية وليوحده تحت شعار واحد وحلم جماعى يترسخ فى النفوس جميعها ؛ اتجه إلى إتباع سياسة توسعية على المستوى الخارجى ، مع ملاحظة أن جانباً من تلك السياسة وقع من قبل أحداث تلك الثورة اتجه إلى نفس الوجهة ، لكن ثورة النصر دعمت ذلك التصور بقوة.

من ناحية أخرى؛ أكدت وقائع الثورة أهمية دور الذى لعبه بلزاريوس فى إخمادها، ولاريب فى محورية دوره بصفة عام خلال عهد الإمبراطور المذكور على الرغم من أن المؤرخين الرسميين ركزوا اهتمامهم على رأس السلطة ولم يعطوه التقدير الجدير به ويشبه دوره دور أسد الدين شيركوه فى عهد نور الدين محمود فى القرن ١٢م<sup>(١)</sup>.

أما حروب جستنيان ضد القبائل الجرمانية<sup>(٢)</sup> ؛ فقد اتسعت حياتها ؛ حيث استقرت عناصرهم فى عدة أقاليم، فالقوط الشرقيون استقروا فى إيطاليا، والقوط الغربيون فى أسبانيا<sup>(٣)</sup>، والفرنجة فى غالة (فرنسا) ، والأنجلو سكسون فى إنجلترا ، والوندال فى

١- نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسى ، ص ١٣٣ .

٢- عنه أنظر:

ابن الأثير، الكامل، ج ١١ ، ص ١٢١ .

محمد مؤنس عوض ، فى الصراع الإسلامى- الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ١١٤٦ - ١١٧٤ م، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ٨٩-٩٩ ، أحمد الببلى ، حياة صلاح الدين الأيوبي، ط. القاهرة، ١٩٤٦ م، ص ٨٤ . حسن إبراهيم، الفاطميون فى مصر ط. القاهرة، ١٩٣٢م، ص ٣٠٣ .

٣- أود هنا توجيه نظر القارئ إلى عدم استعمال كلمة «البرابرة» فى وصف الجرمان ، ويلاحظ أن تلك الكلمة تنطلق من المركزية الأوروبية ، وتحوى نوعاً واضحاً من التحيز ، حقيقة أن الجرمان قاموا بمذابح وأعمال تخريب واسعة ؛ لكن ماذا عن الصليبيين الذين اتوا من بعدهم بعد قرون وقاموا بمذابح أشد منهم ولم يوصفوا بالبرابرة ؟! أورد التأكيد على ازدواجية المعايير لدى المؤرخ الغربى المحدث فى نظرتة للفريقين الجرمانى والصليبي، وإنحيازه للفريق الآخر ، وعن الوصف الأول انظر الفصل الذى خصه نورمان كانتور تحت عنوان: "The age of Barbarian invasions"

نورمان كانتور ، التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية ، ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ج ١، ص ١٤٥-١٨٢ .

شمالي أفريقيا<sup>(١)</sup>، وكانت مواجهة كافة تلك القوى بالإضافة إلى الفرس؛ يعنى أن تتسع ميادين المعارك التى على بيزنطة أن تخوضها خاصة مع توزعها بين أوروبا، وأفريقيا، وآسيا أى بقاع مختلفة من العالم القديم وهو أمر كان خارج إمكانياتها بطبيعة الحال.

على أية حال ؛ هناك عدة ملاحظات أساسية من الضرورة إبرادها عن صراع بيزنطة مع الجرمان وهى كالآتى :

أولاً : لم يرد جستنيان أن تخلد اسمه القوانين والمنشآت المعمارية فقط، بل إتجه إلى ليكون حاكماً على روما حاضرة نهر الشير، وبالتالي تخضع له روما القديمة ، والمجديدة معاً والأخيرة هى القسطنطينية على ضفاف البسفور ، وقد دفعه إلى ذلك ثلاثة عناصر فى صورة تقاليد الحكم الأوتوقراطى الإمبراطورى ؛ كذلك لانغفل تقاليد البلاط البيزنطى الذى ساهه تقديس الإمبراطور، وجعله نائباً للسيد المسيح ، ثم هناك الطموح غير المحدود الذى اتصف به<sup>(٢)</sup>.

ثانياً : كانت حروب جستنيان ضد عناصر القوط الشرقيين فى إيطاليا<sup>(٣)</sup>؛ وهى التى عرفت بالحروب القوطية مجعدة إلى حد كبير من الناحية العسكرية، وقد استمرت أمداً طويلاً، واحتاجت الإمبراطورية إلى ثلاثين عاماً - أى معظم سنوات حكم جستنيان البالغة ٣٨ عاماً ؛

٥- عن حروب جستنيان ضد القوط الغربيين فى أسبانيا أنظر:

Collins, Visigothic Spain 409-711, in Carr (ed.) Spin, A History , Oxford 2000, p.50 .

١- عن حروبه ضد الوندال أنظر:

Procopius of Caesarea, the Vandal War, in Evans, Procopius, New York 19 . pp.47-51 .

Procopius , The Wandalic War, Trans .by Dewing, Cambridge 1968.

أنظر أيضاً : إسحق عبيد ، من آلارك إلى جستنيان ، ص١٢٦-١٥٦ . : محمود سعيد عمران ، مملكة الوندال فى شمال أفريقيا ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م، ص٥٧-١٦١ ، نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسى، ص٩٢-٩٩ .

٢- نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، ج١، ص١٨٧ .

٣- عن ذلك انظر: Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 24-25 .

Moorhead, Justinian, pp. 72-88 .

وعن حروبه فى ايطاليا انظر:



من أجل القضاء عل مقاومتهم<sup>(١)</sup>، وقد أدت إلى إتهاك الإمبراطورية البيزنطية التي اضطرت إلى إعادة فرض الضرائب التي فرضت من قبل من جانب الإمبراطورية الرومانية، من ناحية أخرى؛ أثرت الحروب القوطية سلبياً على إيطاليا حتى القرن العاشر الميلادي، وقد أدت - كما لاحظ نورمان كانتور Norman Cantor - إلى إنخفاض حاد للسكان في المدن الكبرى هناك مثل روما Rome ، ونابولي Napoli ، وميلانو Melano، وتحولت مدن البحر المتوسط الكبرى إلى مدن تتصف بالخمول<sup>(٢)</sup> بعد أن أنهكتها الحرب وتدايعياتها .

ولانزع ؛ في أنه كان من الصعب بل من المستحيل؛ احتفاظ الإمبراطورية بإقتصاد حرب لسنوات طويلة يدعم تلك المعارك الطاحنة ضد أعداء متعددين، وعلى دراية واسعة بفنون القتال، دون أن تتأثر سلبياً كافة قطاعاتها ، ولاتبالغ إذا ذكرنا أن الفرد البيزنطي العادي هو الذي دفع ثمن الطموح المندفع لذلك الإمبراطور، وهو ما تجاهله عن عمد المؤرخون الرسميون.

ثالثاً؛ لانغفل ؛ أن حملات جستنيان كلفت الإمبراطورية زهرة شبابها ، وأموالها ووقتها وجهدها مع ملاحظة أنه لم يتمكن من استرجاع عدد من المناطق التي استمرت سيطرة الجرمان عليها مثل غالة ، وإنجلترا .

على أية حال ؛ في كافة العمليات العسكرية نلاحظ دوراً قيادياً بارزاً لاثنين من القادة في صورة بليزاريوس ، ونارسيس غير أنه عندما أخفقت مشروعاته الاستردادية ؛ تأكد للمؤرخ الموضوعي أنهما صارا ضحية تصورات ذلك الإمبراطور الواهم!

لانغفل - من ناحية أخرى- أن جستنيان إتجه إلى شراء السلام الشاحب الحذر مع الفرس بالذهب، لتجنب الوقوع بين شقي الرحى، أي بين عدو فارسي في الشرق وجرماني في الغرب ويلاحظ في هذا الشأن أن معاهدة عام ٥٣٢م التي عقدها مع الفرس أنهت ٣١ عاماً من العداء بين الجانبين<sup>(٣)</sup>، كما يقرر أحد المؤرخين.

١- نورمان كانتور ، التاريخ الوسيط، ص ١٩٠ .

٢- نفسه، نفس الصفحة .

ونجد نفس فكرة المؤرخ المذكور لدى ما أورده برونينج أنظر:

Browning, The Byzantine Empire p. 221 .

Scott, " Diplomacy in the Sixth century : The Evidence of John Malalas", =

-٣

كى يتفرغ لحرب الأخيرين ، غير أن فترات الهدن بين الجانبين أدت - من حيث لا يدري - إلى تقوية الفرس على نحو سيظهر فيما بعد .

على أية حال ؛ من بعد اللهث وراء وهم استعادة القسم الغربى من الإمبراطورية من أيدي الجرمان ، شهدت الأعوام الأخيرة من حكمه عودة السيادة الجرمانية إلى سابق عهدها ، وهكذا ، كان جستنيان أشبه شئ بمن يحاول إعادة عقارب الساعة إلى الوراء أو من يضرب بسيفه طواحين الهواء فى يوم عاصف دون جدوى، وقد أضاع جهود إمبراطوريته جرياً وراء نظرية عتيقة أكدت القبائل الجرمانية عدم جدواها ، وصارت جثة هامدة لأحراك فيها .

على أية حال ؛ تأكد لنا أن العناصر الجرمانية ستشارك فى تكوين غربى أوروبا فى العصور الوسطى بالإضافة إلى عنصرين أساسيين آخرين فى صورة التراث الكلاسيكى اليونانى والرومانى ، والمسيحية.

أما ما اتصل بالناحية القانونية، فقد عمل على جمع القانون الرومانى، وأصدر ثلاثة مؤلفات قانونية فى صورة *Codex Justinianus* ، *Digesta* ، *Novellae Leges* ، وقد عُدَّ ذلك العمل من أكبر الأعمال شأنًا فى ذلك العصر<sup>(١)</sup> ، وقد استغرق ذلك ١٤ عامًا من العمل

in Shepard and Franklin (eds.), Byzantine diplomacy, papers From the Twenty- Fourth = Spring Symposium of Byzantine Studies, by Society for The Promotion of Byzantine Studies, Hampshire 2003, p. 159 .

١- لجمع ذلك فى صورة مجموعة القانون المدنى، عنها أنظر:

Corpus Juris Civilis, ed. T. Mommsen, p. kruger, R. Scholl, W. kroll, 3 vols., Berlin 1945-1963 .

Hussey, The Byzantine World , pp. 22-23 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 31 .

وعن جهود جستنيان القانونية أنظر:

Ure, Justinian and his age , pp. 139-167 .

اسمت غنيم، إمبراطورية جستنيان، ص ٧١-٧٧ ، السيد الباز العرينى، تاريخ أوروبا العصور الوسطى،

ط. بيروت ١٩٦٨م، ص ١٣٩ .

المتواصل من جانب مجموعة من كبار رجال القانون<sup>(١)</sup>، وقد أثر عمله الرائد على كافة المجهودات القانونية التالية التي تمت في العصور الوسطى بصفة عامة.

ولامراء، في أن إسهامه في المجال المذكور ضمن له الخلود في التاريخ البيزنطي، ومن مفارقات القدر؛ أن إنجازاته الحربية ضد الجرمان الباهظة التكاليف ذهبت سدى، وبقيت إسهاماته القانونية قائمة حتى يومنا هذا وهي التي لم تكلفه الأموال الباهظة التي دفع بها لآلة الحرب.

وإذا اتجهنا إلى الناحية العمرانية في عهده، نجد أنه عنى بها عناية خاصة، إدراكاً منه أن البشر يمضون وتبقى الآثار التي شيدها شاهدة عليهم. تنطق بل وتصرخ بالتاريخ.

وقد سعى إلى إصلاح ما هدمته ثورة النصر عام ٥٣٢م والإنجاز المعماري البارز الذي حقق شهرة واسعة النطاق، تمثل في كنيسة الحكمة الإلهية Hagia Sophia<sup>(٢)</sup>، التي عُدت من

١- سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٨١م، ص ١١٩.

٢- كنيسة أيا صوفيا Hagia Sophia؛ أقامها جستنيان من أجل تكون مركزاً دينياً بارزاً، وحتى يتم تخليد اسمه على مر العصور. وقد بدأ في بنائها عام ٥٣٢م، وافتتحت في ٢٧ ديسمبر ٥٣٧م، أي أن تشييدها استغرق نحو ست سنوات وأشرف على ذلك ايزيدور الملطي Isidore of Militus واثيموس التولي Anthemius of Tralles، وقت الاستعانة في سبيل تشييدها بأمر الصناع من كافة أنحاء الامبراطورية ويقال أن عددهم بلغ ألفاً ويلاحظ أن أعجب ما فيها قبتها الضخمة من الأعمدة، والأرض والأعمدة، والأقسام السفلى من الجدران تكونت من الرخام أما الجدران والسقف فتكونت من الفسيفساء الذهبية، ويطل النور على المصلين فيها عبر ٤٠ نافذة عند أسفل القبة، وكانت الأشعة تنعكس على الفسيفساء المذهبة، عنها أنظر:

Procopius, The Buildings, Trans. by H.B. Beaving ant G. Downey, London 1940, pp. 172-

174. Yucel, Hagia Sophia, Istanbul 1986, pp. 3-44.

Lethaby and Swainson, The Church of Sancta Sophia Constantinople, Astudy of Byzantine Building, London 1894, p. 21-297.

Kleinbaucs, white and Matthews, Hagia Sophia, Istanbul 2004, pp. 9-77.

Mainstone, Hagia Sophia Architectue, Structure and liturgy of Justinian's Great church, Hungary 1997, pp. 175-281.

Nelson, Hagia Sophia 1850-1950, Holy wisdom, Modern Monument, chicago 2004, pp. 1-28.

روائع المعمار والفن البيزنطى، ويلاحظ أنها شيدت على نمط الطراز المعمارى الذى وجد فى أواخر عصر الإمبراطورية الرومانية ؛ وهو طراز البازيليكـا Basilica<sup>(١)</sup> الرومانية وهى تكشف لنا عن المستوى الرفيع الذى وصلت إليه العمارة فى عهد جستنيان ، ولانغفل أنها لاتزال قائمة حتى يومنا هذا بعد أن تحولت إلى مسجد فخـم على إثر الفتح العثمانى للقـسطنطينية عام ١٤٥٣م.

كذلك يذكر عن عهد ذلك الإمبراطور؛ تشييد دير سانت كاترين St. Catherine<sup>(٢)</sup> فى جنوبى شبه جزيرة سيناء ، بمصر ويلاحظ هنا؛ أن الموقع الجغرافى الفريد للدير المذكور حماه عبر القرون، وقد إحتوى على مجموعة نادرة من الأيقونات Icons، وفيما بعد ؛ عندما حدثت حركة مضادة لعبادة الأيقونات ، والتى نتج عنها؛ إلحاق الضرر بها فى مختلف الكنائس

Asimov, Constantinople The forgotten Empire, Boston 1970, p. 69 .

Grabar, Byzantine Architecture and art, C.M.H., vol V, p.310-317 .

اسمت غيم ، إمبراطورية جستنيان، ص٦٧ ، أسد رستم، الروم، ج١، ص٢١٧ .

١- الطراز البازيليكى Basilica- Shape؛ هو ذلك الطراز المعمارى الذى انتشر فى بناء الكنائس زمنًا طويلاً، واحتوى على صحن للكنيسة، وأجنحتها وسقفها المقبب مع تطور تشييد القبة وكلمة بازيليكى من الكلمة اليونانية Basilikos ومعناها «ملكى» ، وهى فى الأصل أطلقت على قصر الملك ، عن ذلك أنظر؛ شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٣، حاشية (١) .

٢- القديسة كاترين ؛ هى كاترين السكندرية Catherine of Alexandria، شهيدة مسيحية ، ولانعرف تاريخاً محدداً لإستشهادها، وقد نسجت بشأنها أسطورة شهيرة ووفقاً للأسطورة يقال أن إمبراطوراً هو ماكسنتيوس Maxentius ، أراد الزواج بها نظراً لما عرفت به من جمال آخاذ ، وقد رفضت كاترين التخلّى عن ديانتها، ووفقاً لتلك الأسطورة ظهر لها السيد المسيح، وأن جسدها حمل عن طريق الملائكة إلى جبل سيناء ، ويلاحظ أن عيدها يوافق يوم ٢٥ نوفمبر. عنها أنظر؛

Attwater , The Penguin dictionary of Saints, p. 210 .

حاتم الطحاوى ، « كريستوفر كولبس يدعو فرديناند وإيزابيلا لشن حملة صليبية والاستيلاء على القدس ١٥٠١م »، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، مجموعة من الأبحاث مهداه إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين عاماً ، تحرير حاتم الطحاوى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٢٩٠، حاشية (٣٦) .

والأديرة . وجدنا أن المجموعة التى إقتناها ذلك الدير ظلت فى مأمن من التخريب ، وهناك من يقرر أنها لاتقدر بثمن ، كذلك لانغفل اتواء مكتبته على مخطوطات ثمينة<sup>(١)</sup> .

جدير بالإشارة هنا ؛ أن رهبان ذلك الدير تمتعوا بحصافة سياسية لاتنكر على نحو جنهم الاصطدام بالقوى السياسية المتعاقبة التى قدمت إلى مصر وعبرت شبه جزيرة سيناء بوابتها الشرقية على مدى قرون متعددة .

كذلك تم تشييد عدد من الأديرة الكومية الفخمة التى تليق بمكانة الامبراطورية . أما فيما يتصل بالسياسة الدينية لجستنيان ؛ فمن الملاحظ أن سياسته فى ذلك المجال؛ وصفت بأنها ذات ميل غربية<sup>(٢)</sup> شأنها فى ذلك شأن سياسته الحربية، وقد أراد إيجاد علاقات قوية مع البابوية فى روما ، وهكذا ؛ وجدناه يؤيد مذهب الطبيعتين ، ولذلك حارب أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة أو المذهب المونوفيزيتى<sup>(٣)</sup> ، غير أن الأخيرين وجدوا دعماً

١- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٨٦ وعن دير سانت كاترين أنظر:

جيمس بنتلى، اكتشاف الكتاب المقدس، قيامة المسيح فى سيناء ، ت . آسيا محمد الطريحي، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ٥٩-٦٠ .

Weitzmann, The Monastery of Saint Catherine at Mount Sinai, The Icons, vol. I, Princeton 1976 .

وهى أفضل دراسة تناولت أيقونات دير سانت كاترين ، نعوم شقير، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجارية والحربي وغيرها عن طريق سيناء من أول عهد التاريخ إلى اليوم. ط. بيروت ١٩٩١م، ص ٤٧٨-٥٠٣ .

الكتاب المذكور أول عمل عربى مفصل عن شبه جزيرة سيناء وبوابة مصر الشرقية وهناك دراسة أخرى جديره بالتقدير انظر: أحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى ، ط . القاهرة ١٩٧٧م.

أنظر أيضاً عن محتويات مكتبة الدير المذكور: جوزيف نسيم يوسف ، «المخطوطات العربية بدير القديسة كاترين فى سيناء» مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٦٨ / ١٩٦٩م، ص ٩٥-١٣٩ .

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٨٩ .

٣- اعتقد المونوفيزيتيين أن للسيد المسيح طبيعة واحدة هى الطبيعة الإلهية، ويسمى المذهب المونوفيزيتى من Monophysitis وأتباعه هم المتأفة Menophysites، عن ذلك المذهب أنظر: شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ١١، حاشية (١) .



ومساندة من ثيودورا التي اعتنقت مذهبهم وتدرّجاً صار جستنيان نفسه على نفس مذهبها بل وحارب أصحاب الطبيعتين<sup>(١)</sup>.

بصفة عامة؛ أخفق ذلك الامبراطور في إيجاد توفيق بين أنصار المذهبين، ولا تغفل؛ أنه خلال تلك الأحداث ظهر دور بارز ليعقوب البرادعي الذي أدخل قوة جديدة على قوة المينوقيزيتيين، وصاروا يعرفون باليعاقبة<sup>(٢)</sup>.

وجدير بالإشارة؛ إتجاه ذلك الإمبراطور إلى إغلاق مدرسة أثينا الفلسفية ذات التاريخ المجيد في خدمة الفكر الفلسفي الإنساني وذلك عام ٥٢٩ م<sup>(٣)</sup>، وكذلك إتجه إلى إبعاد كل من أثيرت الشكوك حول عقيدته وينبغي التقرير هنا؛ أن الفكر دوماً يواجه بالفكر، أما أسلوب الإغلاق فلم يكد بمثابة القرار الصائب من جانب ذلك الإمبراطور على الرغم من المبررات الدينية الجاهزة التي يمكن أن يقدمها المؤرخون المدافعون عن سياساته.

أما فيما يتصل بموقفه من اليهود؛ فالملاحظ أنه اصطدم بهم في عدة مناطق، ولا تغفل هنا أنهم حاربوا بجوار عناصر الوندال، والقوط الشرقيين ضد محاولات البيزنطيين استرداد القسم الغربي من الإمبراطورية، كذلك هناك من يقرر اشتراكهم في ثورة النصر Nika عام ٥٣٢ م السالفة الذكر<sup>(٤)</sup>.

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٩٠.

٢- نفسه، نفس الصفحة. وعن سياسته الدينية انظر أيضاً: جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٧٧.

٣- عن ذلك أنظر:

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 150.

Ostrogorky, History of the Byzantine State, p. 77.

O.D.B., vol. 2, p. 1040.

-٤

Vasiliev, Op. cit, p. 149-150.

وأيضاً

وعن علاقة اليهود بالإمبراطورية البيزنطية بصفة عامة أنظر: أحمد عامر «اليهود وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية حتى النصف الأول من القرن العاشر الميلادي»، التاريخ والمستقبل، عدد يناير ٢٠٠٣ م، ص ٥٩-١.

كذلك لانغفل ؛ أن عناصر السامرة Samaritans <sup>(١)</sup> الذين جعلوا مركزهم فى نابلس ؛ وهم عنصر منشق عن اليهود ، تكررت ؛ أحداث ثوراتهم ضد الإمبراطورية البيزنطية فى عهد جستنيان ، ويذكر التاريخ لهم ثورتين الأولى وقعت عام ٥٢٩م ، بعد عامين من توليه العرش عام ٥٢٧م ، والثانية عام ٥٥٥م <sup>(٢)</sup> ، وقد تمكن الإمبراطور من القضاء عليهما .

مهما يكن من أمر؛ وجد المؤرخون اليهود المحدثون فى موقف ذلك الإمبراطور ومن أتى من بعده الأباطرة البيزنطيين <sup>(٣)</sup> تأصيلاً لما عرف لديهم من معاداة السامية وعقدة الاضطهاد وصوروا الأمر على أنهم دوماً ضحية حكاهم مغفلين أنهم تعاملوا بالربا من خلال الإقراض بفوائد باهظة <sup>(٤)</sup> ، كذلك كان لتوقعهم وانعزالهم فى مناطق خاصة بهم أثره فى إثارة الشكوك

١- السامرة ؛ طائفة يهودية تركزت فى نابلس Neapolis وقد انقسموا إلى قسمين أحدهما أطلق عليه «الكوشان» والثانى «اليوستان» ، ويلاحظ عدم اعترافهم بما جاء من بعد موسى عليه السلام من أنبياء بنى إسرائيل ، وأطلقوا على أنفسهم تسمية المحافظين على أساس محافظتهم على العقائد اليهودية بدون أى تعديل ، عن السامرة أنظر: أحمد رمضان ، المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام ، ص ٦١ ، كرد على . خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢١٦ .

أحمد فؤاد سيد ، الحكم الإسلامى لفلسطين فى ظل دولة الخلافة الإسلامية ١٥هـ / ٤٩٢هـ ، ط . القاهرة ٢٠٠١م ، ص ٢١٠-٢١١ .

حسن ظاظا ، الفكر الدينى اليهودى ، ط . دمشق ب-ت ، ص ٢٠٦ .

٢- عن ذلك انظر: John Malalas, The Chronicle , p.294 Sharf, Byzantine Jewry From Justinian to the fourth Crusade, New York 1971, pp.29-30 , pp.44-45 .

وعن علاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية فى عهد جستنيان انظر:

محمد عثمان عبد الجليل ، «السامريون فى فلسطين وعلاقاتهم بالدولة البيزنطية (٣٠٥-٦٣١م)» ، الموزخ المصرى ، العدد (٢٥) ، يناير ٢٠٠٥م ، ص ٨٧-٩٠ .

٣- تجدر الإشارة ؛ إلى تمرد اليهود عام ٥٧٨م بما فيهم عناصر السامرة عام ٥٧٨م ، كذلك ساعدوا الفرس عند غزوهم لفلسطين ٦١٤-٦١٧م . وقد اتجه الإمبراطور هرقل إلى الفتك بعدد منهم ، عن ذلك : O.D.B., vol . II , p. 1040 .

٤- عن ذلك انظر:

روبرت لوبيز ، ثورة العصور الوسطى التجارية ٩٥٠ - ١٩٩٧م ، ص ٨٤ ، محمود شاكر ، مرسوعة تاريخ اليهود ، ط . عمان ٢٠٠٢م ، ص ٢٣٧ .

حولهم بما ساعد على تنامي العداء ضدهم في القارة الأوربية عموماً في شوقيها وكذلك غربيها ، ولاتفعل أنهم ميزو أنفسهم عن سائر بني البشر (١) .

جدير بالذكر؛ لم يجد اليهود عموماً في الإمبراطورية البيزنطية ما وجدوه في المناطق التي أخضعها المسلمون لسيطرتهم بدءاً من القرن السابع الميلادي حيث نعموا في ديار الإسلام - بوجه عام- في العصور الوسطى بالأمن والأمان، ووصلوا إلي مناصب سياسية رفيعة كما في عهد الدولة الفاطمية في مصر، كذلك ؛ كان لهم نشاطهم البارز على الصعيد التجاري وأيضاً بالنسبة للناحية الطبية حيث برع منهم عدد من الأطباء ، ولم يواجهوا تطهيراً عرقياً أو إجباراً على التحول من يهوديتهم إلى الإسلام (٢) . وعلى حين وجدنا حوليات يهودية Jewish Chronicles تفيض بالحديث عن المذابح التي تعرض لها اليهود في أوروبا العصور

١- وقد أطلق اليهود على غيرهم كلمة جوى Joi ولها دلالة عنصرية، عن ذلك انظر:

ديفيد سوثير، جغرافية الأديان ، ت. أحمد غسان سبانو، ط. دمشق ١٩٩٩م، ص ١٤-١٥ .

٢- عن تسامح المسلمين بصفة عامة مع اليهود في العصور الوسطى أنظر: مأمون كيوان ؛ اليهود في الشرق الأوسط الخروج الأخير من الجيتو الجديد، ط. عمان ١٩٩٦م، ص ٢٠ .

يرنار لازار ، مناهضة السامية تاريخها وأسبابها ، ت. ماري شهرستاني، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص ٦٤ ، محمد بحر عبد المجيد، اليهود في الأندلس ، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص ١١ - ص ١٧٧؛ إسرائيل ولقنسون ، موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، ط. القاهرة ١٩٣٦م.

يحيى أحمد عبد الهادي أهل الذمة في العراق في العصر العباسي ، الفترة السلجوقية نموذجاً ٤٤٧-٥٩٠ هـ / ١٠٥٥-١١٩٤م ، ط. اريد ٢٠٠٤م ، ص ٥٨-٧٠ ، حسن الميمى ، أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص ١٣٢ ، فاطمة مصطفى عامر، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى، ط. القاهرة ٢٠٠٠م ، ج ١، ص ٣٨٥-٣٨٦ ، عطية القوصى، اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ١١ - ص ١٧٥ ، سليم شعشوع ، صفحات من التعاون اليهودى العربى فى الأندلس، شفا عمرو- فلسطين، ١٩٩٠م ، ولتر فيشيل ، يهود فى الحياة الاقتصادية والسياسية للدولة الإسلامى العباسية - الفاطمية- الإلخانية ، ت. سهيل زكار ، ط. دمشق ٢٠٠٥م، ص ١٥ - ص ١٥٥ .

Goitein , " Saladin and The Jews":, H.U.C.A., vol. XXVII, 1956, pp. 305-326 .

Awad, " Highlights on the Medical contribution of Musa Ibn Maimun (1135-1204 A. 525-602 A.H) . during the Ayybid Rule in Egypt, " M. E.R.J., vol . 12 , March 2003, pp. 1-20 .

Lewis, "Maimondes, Lionheart and Saladin", E.I ., vol . VII , Jerusalem 1964 , pp. 70-75 .

الوسطى<sup>(١)</sup>، لم نجد نظيراً لها عند عناصرهم التي عاشت جنباً إلى جنب بجوار المسلمين وشاركت في صنع الحضارة الإسلامية في تلك الحقبة التاريخية من ناحية أخرى.

وكامتداد لسياسته الدينية، إتجه جستنيان إلى اتباع سياسة تنصيرية من خلال إدراكه لأهمية توسيع نفوذ كنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية<sup>(٢)</sup>، ولذلك أرسل بالبعثات التبشيرية إلى مناطق مختلفة مثل سواحل البحر الأسود القريبة وكذلك إلى الحبشة البعيدة<sup>(٣)</sup>، وغيرها

١- عن ذلك انظر: The Chronicle of Salomon bar Simson, in Eidelbery (ed.) The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of the First and Second Crusades, Wisconsin 1977, 15-72 The Narrative of the Old Persecution or Mainz Anonymous, in Eidelberg (ed), The Jews and The Crusades, pp. 95-115 .

زينب عبد الجيد عبد القوى، اليهود في إنجلترا العصور الوسطى ١٠٦٦-١٢٩٠م، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٦٤، حاشية (١) .

اسرائيل شاحك، التاريخ اليهودي ت. صالح على سوداح، ط. بيروت ١٩٩٥م، ص ١٠١ .  
وهبه الزحيلي، الاسلام وغير المسلمين، ط. دمشق ١٩٩٨م، ص ١٨٠، حيث يعرض لحقوق أهل الذمة في الاسلام .

٢- كلمة أرثوذكسية Orthodoxy؛ هي كلمة يونانية الأصل مركبة من لفظين هما أرثوس، وتعنى سليم أوقويم، وزوكسا، وتعنى عقيدة، فيكون معناها المعتقد القويم، ويشتمل مصطلح الارثوذكسية على الكنائس الشرقية غير الخلقونية وهي التي رفضت قرارات مجمع خلقدونية عام ٤٥١م، وتضم الكنيسة الأرمنية والسريانية (كنيسة اليعاقبة) في سوريا، والهند، والكنيسة القبطية في مصر وكذلك في أثيوبيا، والكنائس الشرقية الخلقونية وتضم الكنائس الأربع القديمة في القسطنطينية، والاسكندرية، وأنطاكية وبيت المقدس. عنها أنظر هذه الدراسة المهمة:

سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص ٤٧-٤٨؛ ممدوح الزوي، الموسوعة العربية الميسرة الأديان، المذاهب والمعتقدات المصطلحات الدينية، ط. دمشق، ب-ت ص ٣٨٥، سعد السعدى، معجم الشرق الأوسط، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص ٣٤٩-٣٥٠ .

٣- عن ذلك أنظر: موس، ميلاد العصور الوسطى . ت. عبد العزيز توفيق جاويد، ومراجعة السيد الباز العرينى ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ٢٠١ - ص ٢٠٢ . =

من المناطق، ويلاحظ هنا؛ أن هناك عدة دوافع دفعته إلى إتباع تلك السياسة؛ فلاريب أنه أراد إعادة المجد الإمبراطوري من جديد تحت مظلة المسيحية الأرثوذكسية وتحقيق مكاسب اقتصادية من خلال فتح أسواق تجارية جديدة من خلال معتنقى تلك الديانة ، كذلك إيجاد قوى مسيحية مجاورة يمكن أن تكون بمثابة « حزام أمن » يدعم الإمبراطورية في مواجهة أعدائها في الحاضر، وكذلك المستقبل.

بصفة عامة؛ يعد ذلك الإمبراطور من أوائل الأباطرة البيزنطيين الذين جعلوا التنصير جزءاً من العمل السياسي. وعلى نهجه سار من بعده عدد من الأباطرة البيزنطيين.

وإلى جانب ما سبق من أحداث سياسية ، وإنجازات قانونية وعمرانية، واجهت الإمبراطورية البيزنطية خلال عهد جستنيان بعض الكوارث الطبيعية مثل الأمراض الوبائية الفتاكة، وكذلك حدوث هزات زلزالية عنيفة ولم يكن من اليسير مواجهة مثل تلك الكوارث التي- من الطبيعي- أن حكومة ذلك الإمبراطور لم تكن لتتوقعها ، وأضافت أعباءً ثقيلة إلى الأعباء الأصلية التي كانت تعاني منها .

وفيما يتصل بالأمراض الوبائية نلاحظ انتشار الطاعون Plague في عصره <sup>(١)</sup>، وقد هاجم الإمبراطورية خلال الأعوام الممتدة بين عامي ٥٤١م، ٥٤٤م ولاريب في أن ذلك الامتداد على مدى عدة أعوام أكد أن الأمر اتسع نطاقه الزمني وبالتالي امتد خطره على شعوب الإمبراطورية ، ونعرف أن الوباء بدأ- كما قرر البعض- من مصر <sup>(٢)</sup> ثم امتد إلى مقاطعات

---

= وعن التنصير بصفة عامة أنظر: علي بن ابراهيم النملة، التنصير في المراجع العربية دراسة ورصد وراقى للمطبع، ط. الرياض، ٢٠٠٣م، ص ٩ - ص ١٥٣ .

Evagrius Scholasticus , The Ecclesiastical History, Trans: by Michael Whithy , Liverpool 2000, pp. 229-232 .

أيضاً هذه المقالة المتخصصة الممتازة :

Allen , " The Justinianic Plague", B., 49 , 1979, pp. 5-20 .

Treadgold, Aconcise History of Byzantium , New York 2001, pp. 62-63 .

Angold, Byzantium, p. 25 .

-٢-

والطاعون : منه نوعان الطاعون الغددي ، والطاعون الرئوي، والأخير يوصف، بأنه الأشد والأخطر، ويختلف عن الطاعون الغددي في أن العدوى في الطاعون الغددي تنتقل عن طريق البراغيث التي تحملها=



أخرى فى أنحاء الامبراطورية وقد وصف بأنه الطاعون الجسطنيانى The Justinianic Plague نسبة إلى الإمبراطور المعاصر له ، ويلاحظ : أن عدداً من المؤرخين البيزنطيين أشاروا إليه مثل بروكوبيوس Procopius<sup>(١)</sup>، ويوحنا الإفسسوس John of Ephesus، وأفيجاريوس Eph-egarius ومن خلال ما أوردوه أمكن الإطلاع على حجم الكارثة التى أصابت الإمبراطورية حينذاك.

ويلاحظ أن عدد من فتك بهم الطاعون بلغ ٥,٠٠٠ يومياً وفق ما قرره البعض<sup>(٢)</sup>، وقد عجز الأطباء عن مواجهته أمام استفحال خطره على نحو هدد البنية السكانية، والأنشطة

---

= القثران ، والجردان، أما الرئوى فتنتقل عدواه عن طريق الهواء الفاسد، والأول أعراضه تظهر من خلال ظهور أورام وبثور فى أنحاء مختلفة من الجسم، أما الثانى؛ فأعراضه تتمثل فى أن المريض يبصق دماً بعد أن يصاب بالقثيان، ويبدأ فى القيء، عن ذلك أنظر:

إبراهيم خميس ، «الأوبئة والأمراض التى تفشت بين الصليبيين فى الشرق الأدنى الإسلامى وأثرها (١٠٩٨-١٢٩١م / ٤٩١ - ٦٩٠هـ)» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير على أحمد السيد، وإبراهيم خميس، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٧٦-٧٨ .

وانظر هذه الأطروحة العلمية غير المنشورة :

Conrad (L.), The Plagne in Early Medieval Near East, unpublished ph.D. diss, in Near Eastern Studies, Princeton University 1981 .

Evans, Procopius, p. 26 .

-١

شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٧٩ ، وخلال تلك الأحداث تعطلت جميع الأعمال العادية فى القسطنطينية وصار السرق خالياً إلا من يحملون جثث الموتى، وفى كثير من البيوت لم تبق نفس واحدة على قيد الحياة وقد اضطرت الحكومة البيزنطية إلى اتخاذ إجراءات خاصة بدفن الجثث المجهولة ، عن ذلك انظر:

شارلز أومان، الامبراطورية البيزنطية، ص ٧٩ .

أيضا اسد رستم ، الروم ، ج ١، ص ١٧٣ .

٢- شارلز أومان ، المرجع السابق، ص ٧٩ .

الاقتصادية للإمبراطورية، كذلك كان لذلك الأمر أثره النفسى فقد تجمع الناس فى الكنائس على اعتبار تصورهم أنها يمكن أن توفر لهم الحماية نظراً لطابعها الدينى، ولانغفل أن العصور الوسطى بصفة عامة، سواءً فى الشرق البيزنطى أو الغرب الأوروبى اتسمت بتعاظم الظاهرة الدينية التى تكشفت بصورة وضاحة خلال أحداث الكوارث الطبيعية على نحو خاص.

وكما هو متوقع فى مثل تلك الأحداث رأى المعاصرون أن ذلك الطاعون إنما حدث كعقاب إلهى نظراً للآثام التى ارتكبت<sup>(١)</sup>، وكانت فداحة الخسائر - حيث نعلم أن هناك أسرات بيزنطية فقدت أغلب أفرادها<sup>(٢)</sup> - كان ذلك أثره فى تعميق الاتجاه إلى الجانب الدينى كملاذ من الكارثة الوبائية الفتاكة.

جدير بالذكر ؛ أن هناك حادثتين بارزتين فى التاريخ البيزنطى بصفة عامة لانتشار الطاعون ؛ الأولى تلك التى حدثت فى عهد جستنيان والثانية فى صورة الفناء الكبير The Black Death الذى وقع فيما بين عامى ١٣٤١ ، ١٣٤٩ م، وهو ما سيتم تناوله فى موضعه من هذه الدراسة.

بصفة عامة؛ يدل حدوث الطاعون الجسديانى على تأثير الأمراض الوبائية الفتاكة على التاريخ البيزنطى وهو عنصر خارج عن حدود القدرات البشرية على مواجهته حينذاك ، ومن الممكن القول أن ذلك الطاعون كان أشد تأثيراً من أى عامل آخر فى إضعاف الإمبراطورية البيزنطية على النحو الذى يلاحظه الباحثون فى النصف الثانى من القرن السادس م<sup>(٣)</sup> .

من ناحية أخرى؛ حدثت فى خلال حكم ذلك الإمبراطور هزات زلزالية مدمرة<sup>(٤)</sup>، ويلاحظ وقوعها فيما قبل عصره ؛ إذ شهد عام ٥٢٥ م؛ أى قبل عامين فقط من توليه الحكم

Angold, Byzantium, p. 26 .

-١

Ibid, p.26 .

-٢

٣- شارلز أومان ، الإمبراطورية البيزنطية، ص٧٩، وقد قرر أن ذلك الطاعون لم يحدث من قبل منذ

ثلاثمائة عام من خلال حجم تأثيره أنظر، ص٧٩ ، ومنطقى أن ذلك يعكس بشاعة تأثيره وفتكه بالكثيرين.

٤- الزلازل Earthquakes: عبارة عن هزات سريعة متلاحقة وقصيرة المدى تصيب القشرة الأرضية خلال

فترات متقطعة نتيجة للاضطرابات الباطنية وتحدث كنتيجة لحركات القشرة الأرضية ، ويعقبها احتكاك=

عام ٥٢٧م بعضها ، كذلك عاودت الزلازل نشاطها ، ويمكن القول أنه خلال المرحلة بين عامي ٥٢٦م ، ٥٥٧م<sup>(١)</sup> وقعت ٩ هزات زلزالية<sup>(٢)</sup> وهي مدة زمنية تقدر بـ ٣١ عامًا من إجمالي مدة حكم جستنيان الواقعة بين عامي ٥٢٧ ، ٥٦٥م ، أي ٣٨ عامًا ، وكل ذلك يعنى أن تلك الظاهرة الطبيعية المدمرة تكرر وقوعها على مدى أعوام حكمه ، على نحو لا يستطيع المؤرخ تجاهل أحداثها وتأثيراتها على الصعيد الداخلى ، مع ملاحظة أن الوضع الداخلى والخارجى يمثلان وجهى عملة واحدة .

على أية حال ؛ حدثت تلك الزلازل تأثيرها المدمر على الأبنية فى العاصمة البيزنطية على نحو استدعى القيام بإعادة بنائها أو ترميمها ، وتعرف أنه فى يوم ٢٤ ديسمبر ٥٥٧م - على

---

= الأجسام الصخرية التى يتكون منها الغلاف الخارجى ، وتبدأ الموجات الزلزالية فى العادة فى صورة هزات خفيفة أو أولية تتزايد قوة حتى تصل إلى سطح الأرض الخارجى ، وهناك عدة أنواع من الزلازل مثل البلوتونية Plutonic Earthquakes ، ويكون مركزها فى العادة فى الأعماق البعيدة من باطن الأرض ، ثم الزلازل التيوتونية Teutonic Earthquakes وتحدث فجأة فى المناطق التى توجد بها إنكسارات فى القشرة الأرضية ، أما النوع الثالث ؛ فيتمثل فى الزلازل البركانية Volcanic Earthquakes ، وتحدث كنتيجة للهزات الناجمة عن النشاط البركانى ، عن الزلازل بصفة عامة أنظر:

Skinner, Physical Geology, New York 1974, p. 329, Stiegeler, Dictionary of earth Sciences, London 1976, p.95 .

محمد على المغربى ، الهزات الزلزالية ، ط. القاهرة ١٩٥٨م ، ص ٩ ، فردريك بو ، البراكين والزلازل ، ت. الدمرداش سرحان ، ط. القاهرة ١٩٨٩م ، ص ٩٨ ، على عبد العظيم تعيلب ، الحركات الحديثة للقشرة الأرضية ، ط. القاهرة ١٩٩٠م ، ص ٦ . حسن أبو العينين ، كوكب الأرض ظواهره التضاريسية الكبرى ، ط. بيروت ١٩٧٩م ، ص ٢٣٦ ، محمد صفى الدين ، جيمور فولوجية قشرة الأرض ، ط. بيروت ١٩٧١م ، ص ٣٥٠-٣٥١ ، صلاح الدين بحيري ، أشكال الأرض ، ط. دمشق ١٩٧٩م ، ص ٢٢٠ ، محمد متولى ، وجه الأرض ، ط. القاهرة ١٩٧٧م ، ص ٦٦ ، محمد مؤنس عوض ، الزلازل فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٦م ، ص ٥٥ - ٦٢ ، هدى الوبسى ، الزلازل فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ ، ١٣ ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة أسيوط ، عام ٢٠٠٧م ، ص ١٥-١٦ .

Agathias, The Histories, Trans. by O.J.D. Freedo , New York 1975 , p. 128 .

Evans, Procopius, p.26 .

سبيل المثال- ؛ حدثت هزة زلزالية عنيفة تركت آثارها على كنيسة أيا صوفيا <sup>(١)</sup> .

جدير بالذكر؛ تعرضت الإمبراطورية البيزنطية على مدى تاريخها لعدد من الهزات الزلزالية التي اختلفت قوتها وتثيراتها، على مدى أعوام ٣٤٢م، ٤٥٤م، ٥٢٦م، ٥٥٧م، ٧٤٠م، ٨٨٦م، ٨٦٩م، ٩٨٩م، ١٠٦٤م، ١٢٩٦م، ١٣٤٦م <sup>(٢)</sup>؛ أي خلال المرحلة الواقعة ، بين القرنين الرابع، والرابع عشر الميلاديين، ولانغفل هنا آسيا الصغرى كانت مرتعاً لمثل تلك الهزات الزلزالية بالإضافة إلى قربها من منطقة جبال زاغروس التي امتلكت نفس الصفة ولم تكن الزلازل قاصرة على تلك الإمبراطورية فحسب ؛ بل أحدثت تأثيرها على المناطق المجاورة أحياناً مثل بلاد الشام وما وراءها كمصر ، وبالتالي غدت جزءاً من نطاق جغرافى أكبر.

على أية حال ؛ تركت مثل تلك الزلازل تأثيراتها السلبية على البنية المعمارية والسكانية والنشاط الاقتصادى عمومًا .

أما فيما يتصل بالجانبين الاقتصادى ، والاجتماعى ؛ فقد حدث خلال عهد ذلك الامبراطور حدث اقتصادى محورى؛ إذ توصل البيزنطيون إلى سر الحرير <sup>(٣)</sup> الطبيعى من خلال دود القز،

Evans, Procopius, p.26 .

-١-

٢- عن ذلك أنظر:

Downey, " Eanrhqankes, at Constantinople and Vicinity (324-1453) , " , S., vol . XXX, 1955 , pp. 596-600 .

وتعد أفضل ما كتب عن الزلازل فى التاريخ البيزنطى.

O.D.B., vol . I , pp. 629-670 .

أيضاً؛

٣- فيما يتصل بالحرير ؛ من المقرر أن مصدر دودة القز أو دودة الحرير كان فى جبال آسام فى شمالى الهند، وفى بلاد البنغال ، إلا أنه فى شمالى الصين تعلم الإنسان لأول مرة فى تاريخه كيفية القيام بنسج خيوط الحرير من الشرنقة ، وتم ذلك فى حوض نهر تاريم فيما عرف باسم تركستان الصينية، وفيما بعد ظهر إلى الوجود طريق الحرير Silk Rods وقد بدأ من الصين، واخترق ما عرف بمنغوليا وحوض نهر تاريم وبحيرات أفغانستان وبلاد فارس حتى يصل إلى بلاد الرافدين ثم إلى بلاد الشام ، وهناك تفرع إلى آسيا الصغرى ، ومنها إلى أوروبا ، أو من الساحل الشامى إلى أوربا ؛ ويلاحظ أن الجيولوجى والرحالة الألمانى فرديناند فون ريشتهوفن Ferdinand von Richthoffen (١٨٣٣-١٩٠٥م) قام عام ١٨٦٠م برحلاته فى الشرق وعاد أدراجه إلى ألمانيا عام ١٨٧٢م وأطلق على الطريق المذكور تعبير «طريق الحرير» انظر: محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوروبيون فى العصور الوسطى ص ٩٣ .

وقد اختلف فى كيفية حدوث ذلك، إذ رأى البعض؛ أن عدداً من البيزنطيين ذهبوا إلى الصين، وتمكنوا من جلب دود القز، وأوراق التوت، أو أن أميرة صينية أحببت شاباً، وخانت بلادها وأفشيت أمر الحرير الذى كان حينذاك سرّاً صينياً قومياً لا يعرفه إلا الصينيون وحدهم، وعندما عرفت بيزنطة ذلك الأمر؛ دخلت فى دائرة استخراج الحرير على نطاق متسع على نحو خاص فى القسطنطينية وبيروت، وصور، وأنطاكية، وبلاد اليونان خاصة طيبة.

ولانغفل؛ أن بيزنطة جنت من وراء ذلك أرباحاً طائلة مع ملاحظة أن أركان التجارة فى العصور الوسطى - بوجه عام - تمثلت فى الحرير Silk، والذهب Gold، والرقيق Slaves، والتوابل Spices، مع عدم اغفال بقى السلع الأخرى، ضمن المنظومة التجارية بطبيعة الحال، وساعد الامبراطورية على التفوق التجارى موقعها الفريد بين آسيا وأوروبا وفى مواجهة أفريقيا

أما من الناحية الاجتماعية؛ فقد شهد عصر جستنيان محاولات للإصلاح الاجتماعى قامت بها زوجته ثيودورا التى عملت على مواجهة ظاهرة الدعارة Prostitution<sup>(٢)</sup>، التى

---

= هايد . تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى . ت. أحمد محمد رضا ، ط. القاهرة ١٩٨٥، ج ١ ص ٨ ، موريس لومبار ، الاسلام فى مجده الأول، ت. إسماعيل العربى، ط. الدار البيتنا ، ١٩٩٠م، ص ٢٧١ - ص ٢٧٢ ، مجدى غنيم، الحرير، ط. القاهرة ١٩٩٣م، عبد الرحمن سامى، القول الحق فى بيروت ودمشق ، ط. بيروت ١٩٨١م، ص ١٠٣ ، على أبوعساف ، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، مجلة دراسات تاريخية ، جمعة دمشق ، السنة (١٢)، العددان ٣٩، ٤٠ ، كانون الأول ١٩٩١، ص ٧٢-٨٢؛ عبد الرحم حميدة. بين ابن بطوطة وماركوبولو ، العدد المذكور، ص ٨٣-٩٥ ، محمد حرب فرزات ، حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصين والشام»، العدد المذكور ، ص ٩٦-١١٨ ، د. نعمان محمود جبران ، «محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير أسباب ونتائج» ، العدد المذكور ص ١٣٨-١٥٥ .

١- . Vasiliev, History of the Byzantine Empire , p. 168 .

وعن الحرير فى بيزنطة بوجه عام انظر: Lopez, " Silk Industry in The Byzantine Empire", S., vol . XX, 1945 , pp. 1-42 .

Maniatis , Organization, Market Structre and Mosus Operandi of The Private Silk industry in 10 Thh century Byzantium ", D.O.P., 53, 1999, pp. 203-334 .

٢- وجدت الدعارة فى أنحاء الإمبراطورية البيزنطية على مدى تاريخها وغدت على نحو منظم ووجدت مظاهرها فى الحمامات والمسارح وساحات ، والحانات ، ويلاحظ أن القوانين حرمت استغلال الفتيات=



انتشرت في أنحاء العاصمة البيزنطية ، ولانغفل أنه وفقاً لما قرره بروكوبيوس فإن ثيودورا ؛ وصفت بممارسة الدعارة ، ولذلك كانت أكثر استعداداً للتعاطف مع بائعات الهوى، وهكذا؛ اتجهت إلى معاونة التائبات منهن للإبتعاد عن ذلك الطريق الضال، وأقامت مراكز وبيوتاً للإصلاح ، كذلك شيدت دير ميتانويا Metanoia؛ لايواء أولئك التائبات <sup>(١)</sup>، ووفق ما قرره بروكوبيوس فقد عملت على رعاية ٥٠٠ عاهرة من خلال الايواء في مثل ذلك الدير <sup>(٢)</sup>.

ولا يفهم من العبارات السابقة أن زوجة جستنيان تمكنت نهائياً من معالجة مشكلة الدعارة ، بل أنها استمرت فيما بعد على مدى التاريخ البيزنطى، وبصفة عامة ؛ فإن ذلك يعكس الدور الاصلاحى الاجتماعى الذى قامت به ثيودورا على نحو ضمن لها مكانة بارزة في ذلك العصر وأكد أهمية دورها في الامبراطورية جنباً إلى جنب مع جستنيان .

على أية حال ؛ توفي أن جستنيان عام ٥٦٥م ؛ عقب حياة حافلة بالأحداث على كافة المستويات ، تاركاً المؤرخين في جدل واسع بشأن تقويم إنجازات عهده بين مؤيد إلى حد بعيد، ومعارض على نفس الدرجة على نحو لم يتأت لأى إمبراطور بيزنطى آخر خلال العصر

= القاصرات في أعمال الدعارة ، ولجند أ جستنيان في المتجددات أقر رفضه ذلك الأمر تماماً ، كما وقفت نفس الموقف الكنيسة، ومع ذلك عملت الفتيات الفقيرات كمومسات Prostitutes مع ملاحظة أن منهن من تاب واتصف بالقداسة ، وهو أمر نجده في سيرة بلاجين العاهرة Pelagin The Harlot ، ومريم المصرية Mary of Egypt ، وهن في ذلك سرن على ذات الخطى التى سارت عليها من قبل مريم المجدلية - Mary of Magdalene ، وعلى أية حال ؛ وصلت المومسات أحياناً إلى القصر الإمبراطورى؛ كما حدث في عهد الإمبراطور أندرونيكوس Andronrus I (١١٨٣-١١٨٥م) الذى اتجه إلى التسريحه عن نفسه من خلال المومسات والمحظيات ، عن الدعارة في الإمبراطورية البيزنطية أنظر:

Procopius , Secret History , p. 84 .

Life of St. Mary of Egypt , Trans. by Maria Kouli , in Talbot (ed.) Holy Women Byzantium Ten esne'a lives in English Translaton, Washington 1996, pp. 65-93 .

O.D.B., vol . III, p. 1741 .

Evans, The Empress Theodora Partner of Justinian, pp. 32-34 .

-١

O.D.B, vol . III, p. 1741 .

Procopius, Op. cit ., p. 84 .

-٢

البيزنطى المبكر، والأوسط، والمتأخر، دونما مبالغة أو اعتساف فى الأحكام على نحو يؤكد لنا أن جستنيان عاش فى التاريخ البيزنطى بتفضل المجدل الذى أثير بشأن جدوى سياساته وأعماله أكثر مما عاش بفضل أعماله الحربية التى تأكد اخفاقها حتى من قبيل وفاته، وبصفة عامة، وبغض النظر على أجه الاختلاف حول تقييمه فالأمر المؤكد أنه من أبرز الأباطرة البيزنطيين.

ونأتى الآن إلى زاوية محورية ، وهى محاولة تقويم لعهد ذلك الإمبراطور.

والواقع أن هناك من قرر عنه ما نصه : « أن جستنيان أتم كثيراً من الأعمال فجمل العالم، وأمده بأدق مجموعة من القوانين ، وأصيبت فتوحاته الحضارة الرومانية فى الغرب ، كما أنقذت سطوته الدينية، والعلمانية التى قام بتطبيقها خلفاء الشرقيين من الإذلال فى حادثة كانوسا، ولكن كان من نتيجة ذلك درسا عظيما ، إذ وضع أنه لا يمكن التوفيق بين الشرق والغرب ، وأن المالية السليمة، والمنظمة هى أساس الحكومة الناجحة ، ويتجاهل جستنيان هذه القواعد سبب للإمبراطورية خسارة لاتعوض بدا أثرها واضحا عقب موته مباشرة»<sup>(١)</sup>.

والواقع أن رأى المذكور يعكس لنا وجود جوانب إيجابية لاتنكر، وكذلك سلبية كبيرة دفع الشعب البيزنطى ثمنا فادحا نتيجة لها ، ولانغفل أن «الدرسين» المذكورين كان من الممكن تجنبهما فى حالة الاحتكام إلى العقل وعدم اللهث وراء أفكار وتصورات أكل عليها الدهر وشرب خاص بإعادة مجد روما المنهار، واقعيًا تحت سنابك خيل القبائل الجرمانية الغازية والمستقرة بالفعل.

١- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٨٨ .

وحادثة كانوسا Canossa التى أشار إليها المؤرخ المذكور عبارة عن ذهاب الإمبراطور الألماني هنرى الرابع Henry IV إلى البابا جريجورى السابع Georgory VII فى كانوسا Canossa فى مقاطعة توسكانيا Tus-cany بإيطالية لتقديم الاعتذار له وبالتالى يرفع عنه الحرمان الكنسى Excommunication الذى فرض عليه وقد مكث الإمبراطور ثلاثة أيام أمام أبواب القلعة الموجودة هناك وفى يناير ١٠٧٧ م ، ثم فتح البابا أبواب القلعة وخرج لديه، فقبل الإمبراطور قدميه واعتذر له وعلى ذلك ؛ قبل البابا اعتذاره وتم رفع الحرمان الكنسى عن ذلك انظر:

Tout, The Empire and the Papacy , 918-1273, London 1914 , pp. 13-132 .

Rand, Founders of the Middle Ages, New York 1975 , p. 77 .

ويقرر مؤرخ آخر ما نصه : « فلعل جستنيان يبدو من أكثر الشخصيات إثارة للحيرة ، فبينما الإمبراطورية أشد ما تكون حاجة إلى سياسة حازمة تجنبها شر الفرس ، والصقالبة والآفار ، والبلغار ، فجده يولع بمشروعات غريبة ربما لم تكن الدولة فى أى حاجة إلى إتمامها ، بل جلبت عليها الكوارث المروعة واستنزفت كثيراً من طاقاتها ، ومواردها ولم تؤد فى النهاية إلا إلى اختطافها <sup>(١)</sup> .

وفى موضع آخر يقرر ذات المؤرخ « توفى جستنيان سنة ٥٦٥م عن ثلاثة وثمانين عاماً وترك الإمبراطورية أفقر مما كانت حين تولائها وأشد ما تكون قرباً من التدهور ، والإنهيار ، وأقل رومانية مما كانت عليه ، بل إن إيطاليا التى أجهد نفسه فى انتزاعها من القوط الشرقيين ما لبث أن وقعت فريسة سهلة فى أيدى اللمباردين ، وقويت فيها شوكة البابوية ، وترنحت فيها دعائم السيطرة البيزنطية لتؤكد الفشل الذريع لسياسة هذا الإمبراطور العسكرية ، والدينية فى إيطاليا قلب العالم الرومانى ومركز الثقل فيه » <sup>(٢)</sup> .

وفى تصورى ؛ أن ذلك الرأى يعكس - بواقعية - نتائج سياسة ذلك الامبراطور الذى وصفه البعض بالعظمة دون إبراز دوره بما له وما عليه .

ومن ناحية أخرى ؛ نجد أن المؤرخين الأوربيين الذين وقعوا فى أسر كارزما Charisma جستنيان رأوا فيه إمبراطوراً متفرداً ؛ ولذلك وجدت مؤلفات تتناول عصر « جستنيان » أو « جستيان » العظيم بينما يؤكد الواقع التاريخى أنه لم يكن يمثل ذلك التصور إن تأكد لنا أننا أمام إمبراطور مخفق حاول أن يقاوم قوة غرست جذورها فى التربة الأوروبية على مدى خمسة قرون كاملة خاصة بعد أن نجحت فى إسقاط روما عام ٤٧٦م ، وبالتالي فذلك الجانب الدعائى هو نتاج المركزية الأوربية دون أن نجد سنداً من الواقع التاريخى الحربى على الأقل .

لقد أفلس جستنيان خزائن الإمبراطورية ، وترك لخلفائه مشكلات مزمنة ، كما بدد طاقات أبناء الإمبراطورية جرياً وراء سراب لاطائل من ورائه فهل بعد هذا يوصف بأنه إمبراطور عظيم ؛ إنها رؤية المؤرخين الأوربيين الذين حاولوا إيجاد نموذج أوربى قروسطى للبطولة ووقع اختيارهم على ذلك الامبراطور !!

١- محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ٦٤ .

٢- نفسه، ص ٦٥ .

ومع ذلك ؛ من الإنصاف الرأى بأن إنجازاته القانونية والمعمارية شهدت نجاحاً بارزاً ، ومن الملفت للانتباه ؛ أن العمليات العسكرية التى أجهدت الإمبراطورية ذهبت هباءً منثوراً ، أما الجانب المعماري؛ فلا يزال منه ما بقى على الرغم من تعاقب القرون ، وكنيسة أيا صوفيا تنطق بفصاحة بالتاريخ الذى يرجع إلى عصره .

من الملاحظ أن جستنيان استجاب لرؤية البيزنطيين الذين توهموا أن من الممكن استعادة القسم الغربى من الإمبراطورية، وأنبهروا بانتصارات جيوش الامبراطور خاصة في المرحلة المبكرة، دون أن يدرك أنها انتصارات مؤقتة ولن تستمر ، وفي تقديرى ؛ أنه فى حالة قيام جستنيان بالإنفاق على الجوانب الاقتصادية ، والعمرائية فى داخل الامبراطورية لحقق نجاحاً أكثر دواماً بدلا من انفاق الأموال الطائلة على آلة الحرب، وبالتالي، يحق لى وفق سياسته نحو الغرب بعدم الواقعية وقصر النظر .

وهناك من المؤرخين من اعتاد إطلاق اسمه على عصر بأكمله فيسمونه عصر جستنيان<sup>(١)</sup>، ولا يملك الباحث أمام ذلك التصور؛ إلا أن يقرر أن مثل تلك الرؤية تتسم بالإنبهار بشخصية جستنيان<sup>(٢)</sup>، وإنجازاته ولا يوجد مخرج من مثل تلك التصورات إلا من خلال الرؤية

١- أوضح مثال دال على ذلك كتاب إيور :

Ure . Justinian and his age London 1951 .

فهو يطلق اسم جستنيان على عصر بأكمله وكأنه كان إمبراطوراً ناجحاً نجاحاً غير مسبوق .

٢- نجد مثلاً دالاً على ذلك فى صورة ما أورده المؤرخة أ.د. اسمت غنيم عن جستنيان حيث ذكرت ما نصه : «من أن عهد جستنيان قد بدأ بداية طيبة بشرت بالآمال المزدهرة ، ثم سار وهو مكمل بالأعمال الرائعة والجهود المخلصة من أجل النهوض بالإمبراطورية وتبويتها مكانة رفيعة سامية ، ثم انتهى هذا العهد وهو محاط بجزر من اللوم، والسخط الشديدين على إمبراطور هو فى الحقيقة من عمالقة التاريخ الأوروبى . ويكفى وصف المؤرخ المعاصر أجاثيوس الذى قال عن جستنيان : إنه أول من دل بأقواله وأفعاله دون جسيع أباطرة الدولة الرومانية أنه إمبراطور» أنظر:

اسمت غنيم، إمبراطورية جستنيان ، ص ٨٩ ، وفى تصورى أن العبارة المذكورة تعكس انبهار المؤلف بالامبراطور المكذور، والعملقه المذكورة غير واردة على المستوى السياسى والحربى ، أما قول المؤرخ أجاثيوس فقد تردد على السنة مؤرخين آخرين معاصرين لأباطرة بيزنطيين آخرين وهو لا يخرج من دائرة الدعاية=

الموضوعية التي توضح الإيجابيات والسلبيات مهما يكن من أمر؛ على الرغم من رحيله عام ٥٦٥م ، إلا أن المرحلة الواقعة من العام المذكور حتى عام ٦١٠م وحتى من بعد ذلك كانت تعبر خير تعبير عن أخطائه ترك إمبراطورية مجهدة ، ومنهكة ، وخزائنها خاوية وتكالب عليها الأعداء من كل حذب وصوب ، وينطبق ذلك على عهد كل من جستين الثاني (٥٦٥-٥٧٨م) ، وتيبيريوس (٥٧٨-٥٨٢م) ، وموريس (٥٨٢-٦٠٢م) وفوكاس (٦٠٢-٦١٠م) ؛ وهم أوائل ضحايا جستينيان ؛ وبالتالي يتأكد لنا أن عصره لا يفهم دون المرحلة التالية له التي دفعت الثمن فادحاً .

وزاد من إضطراب الأمور في الإمبراطورية البيزنطية ؛ عودة الصراع بين حزبي الزرق والخضر السالفي الذكر، كما تجدد الصراع البيزنطي- الفارسي، وقد استغل الفرس تلك الأحداث ؛ لتحقيق مكاسب عسكرية ، وسياسية بارزة في مرحلة ما بعد جستينيان حيث مثل لهم ذلك الوضع فرصة ذهبية كان عليهم اهتبالها، والأمر المؤكد نجاحهم في ذلك المجال .

وهكذا ؛ تجددت أحداث الحرب خلال المرحلة من ٥٧٢ إلى ٥٩١م لتشمل قسماً من عهد الإمبراطور جستينيان الثاني، وكذلك تيبيريوس<sup>(١)</sup> ثم جانباً من عهد الإمبراطور موريس ؛ مما عكس أن بيزنطة واجهت عدواً شرساً مصراً على هدفه ولم يكن من الممكن إلحاق الهزيمة به في يسر وسهولة.

---

= السياسية الواضحة، ومن المهم الإشارة إلى أن رأى مؤرخ معاصر واحد لا يلزمنا لأننا نجد عكس ما قاله في لدى بروكوبيوس المؤرخ المعاصر.

١- عن هزين الإمبراطورين أنظر:

Stein, Studien Zur Geschichte der byzantinischen Reiches Vornehmlich Unter den Kaisern Justinus II und Tiberius , Stuttgart 1919 .

وهي أشمل وأفضل دراسة في موضوعها .

Jones , The Later Roman Empire, p.302-309 .

وأنظر أيضاً هذه الرسالة:

ناصر عبد الحميد زيدان ، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطورين جستين الثاني وتيبيريوس ٥٦٥-٥٨٣م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م .



على أية حال ؛ من الممكن التنصر بأن خلفاء جستنيان وضعوا في ظروف اقتصادية وعسكرية وسياسية قاسية أكبر من قدراتهم ، ومن الخطأ البين ؛ تصور أنهم كانوا يملكون قراراتهم في المجالات المذكورة بحرية ؛ لأنهم كانوا يحكمون إمبراطورية منهكة كان يحكمها واقعياً جستنيان من قبره بفضل سياساته!! .

مهما يكن من أمر ؛ في مقدورنا القول بأن الإمبراطور موريس<sup>(١)</sup> يعد أكثر الأباطرة الذين حكموا من بعد جستنيان كفاءة من الناحيتين العسكرية والسياسية ويلاحظ ؛ أنه وضع نصب عينيه ضرورة استمرار السيادة البيزنطية على كل من آسيا الصغرى ، وكذلك البلقان ، وفي سبيل ذلك ؛ طرق أبواب الدبلوماسية فعقد مع الفرس إتفاقاً عام ٥٩٢م بعد عشر سنوات من توليه السلطة ، وبموجبه تم الاتفاق على أن يتم ضم أرمينيا ، وقسم من شمالي بلاد ما بين النهرين Mesopotamia للإمبراطورية البيزنطية وفي المقابل ؛ كان على الأخيرة أن تقدم فدية سنوية للفرس ، ومن الملاحظ هنا ؛ أن الاتفاق المذكور كان من شأنه سيطرة بيزنطة على مناطق استراتيجية في مواجهة الفرس ، كذلك إلتقاط الأنفاس لمواجهة الظروف الداخلية السيئة التي مثلت تحدياً حقيقياً في وجه ذلك الإمبراطور .

والواقع ؛ أن قبول الإمبراطور موريس للإتفاق المذكور ، وهو الرجل العسكري لا يخلو من دلالة ، وهو رغبته في تجنب الاستمرار في الصدام مع الفرس ، وإدراكه أن ذلك يعد أفضل الحلول التي يمكن الإقدام عليها وسط الظروف الراهنة التي عايشها .

مهما يكن من أمر ؛ هدد خطر آخر الإمبراطورية في صورة هجمات عناصر السلاف ، والآفار الذين تقدموا في مناطق تراقيا ، ومقدونيا ، وبالفعل تقدم الإمبراطور بقواته لصد الخطر القادم عبر نهر الدانوب وتمكن بعد عشر أعوام من الاتفاق السالف الذكر من تحقيق انتصار له من شأنه هناك إلا أن تمرداً حدث في صفوف جنوده ، أدى إلى قتله وظهر في الساحة قائد آخر هو فوكاس Phocas الذي صار إمبراطوراً ، وذلك في عام ٦٠٢م .

١- عن ذلك الإمبراطور أنظر:

وفاء محمد ، الإمبراطور موريس رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام

١٩٨١م .

Norwich, Ashort History of Byzantium , p. 87 .

Diehl , History of the Byzantine Empire, p. 37 , p. 38 .

ومن الجلى اليين ؛ أن الإمبراطور موريس على الرغم من جهود الحربية والدبلوماسية في مواجهة القوى المعادية للإمبراطورية في جبهتين مختلفتين سواء في الشرق مع الفرس أو عبر نهر الدانوب مع السلاف ، والآثار ؛ إلا أنه لم يجد لدى أغلب المؤرخين إلا أقل القليل من الاهتمام ، بل ركزوا الأمر على الإمبراطور جستنيان ، وعند مقارنة الإمبراطور موريس بغيره من خلفاء جستنيان يتضح بجلاء أنه أكثرهم نشاطاً ، وواجه ظروفًا قاسية وحاول جاهداً مواجهه الأعداء ومن أكثرهم ولم ينل (ما يستحقه من المؤرخين إلا ما ندر على نحو يجعلنا نعتبره من الأباطرة المظلومين في التاريخ البيزنطى المبكر.

مهما يكن من أمر؛ انتهز الفرس الفرصة السانحة ، وأرادوا تحقيق انتصارات على الإمبراطورية المضطربة الأوضاع واستطاعوا بالفعل التوغل في مناطق بلاد الشام، ومصر وآسيا الصغرى بل أمكنهم الوصول إلى مدينة خلقدونية ، ولأن خزائن الإمبراطورية كانت من قبل عامرة ، وصارت الآن خاوية؛ لم يكن في الإمكان شراء السلام الشاحب الحذر معهم هذه المرة!

وهكذا ؛ من الممكن القول- دونما مبالغة - أن تأثير تجربة جستنيان امتد حتى عهد الأسرة التالية وخاصة عهد مؤسسها واعني به الإمبراطور هرقل إن لم يكن فيما بعد ذلك دون إمكانية تحديد النتائج البعيدة المدى لتلك المرحلة التاريخية على نحو خاص من مراحل التاريخ البيزنطى الجديد.

ذلك أمر جستنيان وأحداث عصره الصاخبة وتقديمه بين المؤيدين والمعارضين أما إذا اتجهنا صوب عرض موجز لأهم الأعلام الذين ظهروا خلال القرن السادس الميلادى فنذكر عدد من المؤرخين والجغرافيين في صورة بروكوبيوس<sup>(١)</sup>، ويوحنا مالالاس<sup>(٢)</sup>، ثم هناك قوزما الملاح<sup>(٣)</sup>.

أما في مجال الأب ؛ نذكر الشاعر رومانوس المرتل، وبعد أفضل الشعراء في عهد جستنيان وهناك من يقرر اقتصار أعماله على الابتهالات الدينية<sup>(٤)</sup>.

١- عنه أنظر: المدخل البليوغرافى.

٢- عنه أنظر: المدخل البليوغرافى.

٣- عنه أنظر: المدخل البليوغرافى.

٤- أسد رستم، الروم ، ج ١ ، ص ٢١٦ ، وأنظر أيضاً : المدخل البليوغرافى.

كذلك هناك شاعر آخر فى صورة بولس السلتيدي أى الصامت <sup>(١)</sup>، الذى خص كنيسة الحكمة الإلهية Hagian Sophia بقصيدتين تعد من مصادر تاريخ تلك التحفة المعمارية الباقية. وعند عقد مقارنة وجيزة بين أسرة جستنيان والأسرتين السابقتين فى صورة قسطنطين وثيودوسيوس، نلاحظ أن أسرة جستنيان حكمت ٩٢ عامًا، وبالتالى؛ فاقت زمنيًا أسرة قسطنطين التى امتد حكمها إلى ٧٢ عامًا وهى فى نفس الحين أقصر عهدًا من أسرة ثيودوسيوس التى امتد عصرها إلى ١٣٩ عامًا.

ومع ذلك؛ من الأهمية بمكان هنا الإقرار، بأن الوجود فى التاريخ ليس وجودًا زمنيًا، بل من خلال الفعالية التاريخية ذاتها، ومن خلال ذلك؛ ندرك أن الأسرة الأولى امتازت بوقف الاضطهاد الذى حل بالمسيحية، وتشيد العاصمة البيزنطية والثانية امتازت باتخاذ المسيحية ديانة رسمية والاهتمام بالقانون، أما الثالثة فقد ألحزت إسهامات قانونية ومعمارية ناجحة وتجربة عسكرية فاشلة.

ولاتفعل أن أسرة جستنيان أثارت جدلاً لم تثره الأسرتين السابقتين عليها.

من جهة أخرى؛ تشترك الأسرات الثلاث فى أن هناك دوراً للمرأة بصورة أو بأخرة وتأثيراً على امبراطور يارز من الأباطرة، مثال ذلك تأثير هيلانة أم قسطنطين على ابنها، وكذلك تأثير إثناس يودوكيا زوجة ثيودوسيوس الثانى عليه وكان مطيعاً لها، ثم أثر ثيودورا على زوجها جستنيان، ومن الجلى البين؛ أن الأخيرة كانت أكثرهن قدرة على التأثير على مسار الأحداث، كما تمتعت بصفات أهلتها عن سابقتها من خلال أن لفظاً أثير حول سلوكياتها من خلال ما أورده بروكوبيوس، كما أن هلينيا تحولت إلى قديسة وهو ما لم يتأت للشخصيتين التاليتين. ولأمراء؛ فى أن ذلك يؤكد دور المرأة فى توجيه السياسة البيزنطية منذ ذلك العهد المبكر. ذلك أمر أسرة جستنيان؛ أما الأسرة الهرقلية وهى التالية لها فتتعرض لمعالم عصرها على مدى الصفحات التالية.

١- أسد رستم، المرجع السابق، ص ٢١٦، عندما قمت شخصياً بزيارة تركيا، وشاهدت تلك الكنيسة التى صارت مسجداً أدركت بالفعل استحقالها لمثل تلك القصائد وكفى ارتفاع قمتها بذلك المقدار الشاهق.

### ثالثًا : الأسرة الهرقلية ( ٦١٠ - ٧١٧ م )

نتعرض فى هذا القسم من الكتاب لعهد الأسرة الهرقلية التى حكمت الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة من ٦١٠ إلى ٧١٧ م ؛ أى ما زاد على قرن من الزمان .

تتماز الأسرة الهرقلية بكثرة عدد أباطرتها الذين تولوا الحكم فيها على نحو فاق الأسرات السابقة عليها فى صورة أسرات قسطنطين ، وثيودوريوس ، وأسرة جستنيان وأباطرة الأسرة الهرقلية هم: هرقل Heraclius ( ٦١٠ - ٦٤١ م ) قسطنطين الثالث Constantine III ، ( ٦٤١ - ٦٤٢ م ) وقنسطانز الثانى Constance II ( ٦٤٢ - ٦٦٨ م ) ، وقسطنطين الرابع - Constatine IV ( ٦٦٨ - ٦٨٥ م ) ، وجستنيان الثانى Justinian II ( ٦٨٥ - ٦٩٥ م ) ، وليونتيوس Leontius ( ٦٩٥ - ٦٩٨ م ) ، وتيبيريوس الثانى Tiberius II ( ٦٩٨ - ٧٠٥ م ) ، وجستنيان الثانى Justinian II ( ٧٠٥ - ٧١١ م ) ، وفيليبكوس Philippicus ( ٧١١ - ٧١٣ م ) ، اناسناس الثانى Justinian II ( ٧١٣ - ٧١٥ م ) ، وثيودوسيوس الثالث Theodosius III ( ٧١٥ - ٧١٧ م ) .

ومن الملاحظ ؛ أن تلك الأسرة احتوت أباطرة حكموا مدة طويلة نسبياً كما فى حالة كل من الإمبراطور هرقل ، وقنسطانز الثانى ، وقسطنطين الرابع ، وهناك من لم يتجاوز حكمه عام أو عامين فقط مثل ثيودوسيوس الثالث ؛ مما عكس الضعف السياسى ، وعدم الاستقرار خاصة خلال المرحلة الأخيرة من عهد تلك الأسرة .

على أية حال ؛ الأمر المؤكد أن أهم إمبراطور خلال حكم تلك الأسرة هو الإمبراطور هرقل<sup>(١)</sup> المؤسس البارز الذى كان ابنًا لحاكم قرطاجة ، وقدم إلى القسطنطينية ، وقام بإنقلاب أوصله إلى سدة الحكم عام ٦١٠ م فى ظروف تاريخية معقدة وعصيبة خاصة على جبهة الصراع البيزنطى - الفارسى .

١ - عن الإمبراطور هرقل أنظر :

Reinink and Stolte (eds.) The Reign of Heraclius (616-641), Crisis and Confrontation, Paris, 2002 .

ويحتوى على (١٣) بحث من الأبحاث التى أقيمت فى ورشة العمل التى عقدت فى جامعة جروينجن خلال المدة من ١٩ إلى ٢١ أبريل ٢٠٠١ م .

Kaegi, Heraclius Emperor of Byzantium, Cambridge 2003 .

ومن الممكن إجمال أهم أعماله على النحو التالي:

أولاً : مواجهة الخطر الفارسي.

ثانياً : المشكلة الدينية .

ثالثاً : الصراع البيزنطي - العربي.

وفيما يتصل بالخطر الفارسي؛ يلاحظ أن الفرس في عهد خسرو الثاني Khosroes II (٥٩١-٦٢٨م) تمكنوا من تحقيق نجاحات غير مسبوقة على حساب بيزنطة وقد أسقطوا عدداً من مدن بلاد الشام ، بل تمكنوا من دخول بيت المقدس وذلك عام ٦١٥م بعد خمس سنوات فقط من تولية الإمبراطور هرقل أمر الإمبراطورية البيزنطية ، وقد تم الاستيلاء على ما يعتقد المسيحيون أنه صليب الصلبوت ، كذلك تم مهاجمة كنيسة القيامة، واشتعلت النيران فيها، ويعني ذلك كله؛ أن الرموز الدينية المسيحية الكبرى صارت نهباً في أيدي الفرس، بل وصل الأمر إلى حد أنهم استولوا على مصر عام ٦١٧م كذلك واصلوا توسعاتهم إلى آسيا الصغرى Asia Minor ، وبلغوا خريسوبوليس Chrysopolis وكانت الأخيرة بمثابة آخر منطقة أمكن للفرس أن يتوسعوا فيها على حساب السيادة السياسية البيزنطية حينذاك ، ويلاحظ أن آسيا الصغرى خلال تلك الأحداث العصيبة مثلت درعاً واقياً قام بحماية القلب البيزنطي واستهلك جزئياً طاقات الفرس.

ونظراً للرابطة الجغرافية والتاريخية الألفية بين بلاد الشام ومصر (الشامصر) ، اتجه الفرس إلى الأخيرة وتمكنوا من الاستيلاء عليها عام ٦١٩م، وفي كل مكان حلوا فيه نشروا الدمار والخراب<sup>(١)</sup>.

= وهي أحدث وأفضل دراسة بالإنجليزية وأنظر أيضاً :

Haldon , Byzantium in The Seventh Century , the Transformation of a culture, Cambridge 1997 . pp. 41-53 .

Diehl, History of the Byantine Empire, pp.41-42 .

ليلي عبد الجواد ، الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين ، ط. القاهرة ١٩٨٥م. وهي أفضل دراسة أكاديمية متخصصة بالعربية في موضوعها .

١- ثيودريش، وصف الأماكن المقدسة في فلسطين للرحالة الألماني ثيودريش القرن الثاني عشر الميلادي=



كان الإمبراطور هرقل بالفعل رجل الساعة للإمبراطورية ؛ وقد اتجه إلى مهادنة الأخطار الجانبية كما حدث بالنسبة لعناصر السلاف ، والآفار . وتفرغ لمواجهة الخطر الأكبر في صورة الفرس ، وقام بالالتفاف على القوات الفارسية ، وهاجمهم في داخل بلادهم في عام ٦٢٧م ، وحدث صدام حربي بين الجانبين في مقابل نينوى بالغرب من الموصل الواقعة في شمالي العراق ، وكان النصر حليفاً له ،<sup>(١)</sup> وقد أدت نتيجة المعركة إلى عزل كسرى فارس ، وتولى من بعده ابنه الذي وافق على شروط بيزنطة وإنسحب الفرس من المناطق التي استولوا عليها من قبل ، ومنها بلاد الشام ، ومصر .

= السادس الهجري ، ت. سعيد عبدالله البيشاوي ورياض شاهين ، ط. عمان ٢٠٠٣م ، ص ٢٥ ،  
حاشية (١) .

عن خضوع مصر لسيطرة الفرس أنظر:

Diehl, Histoy of the Byzantine Empire, p.41 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 196 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 86 .

Peters, Europe and the Middle Ages, New Jersy , 1997, . 88 .

محمود الخويري ، مصر في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٩٦م ، ص ٤٧ ، ص ٤٨ .

١- عن حروب هرقل ضد الفرس أنظر:

Theophanes, The Chronicle of Theophanes An English Trans. of anni undi 6095 . 6305

(A.b.602-813) , by Harry turtledove, Philadelphia 1982 , p. 29 .

Kaegi, Heraclius Emperor of Byzantium, pp. 156-191 .

Regan, First Crusader Byzantium's Holy Wars, New York 2003, pp. 75-80 .

Hussey , The Byzantine World , p. 25 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 92-93.

Treadgold, A History of the Byzantine State, and Society, pp. 293-301 .

عفاف صبرة ، «الجزيرة الفراتية بين الصراع الفارسي البيزنطي من القرن الرابع الميلادي إلى الفتح

الإسلامي ما قبل ٨ - ٦١ هـ / ٦٢٩ - ٦٨٢م» ، المجلة التاريخية المصرية ، م (٤٣) ، عام ٢٠٠٥م ، ص ١١٤ .

وبلاحظ أن القرآن الكريم أشار إلى ذلك في سورة مريم ١-٤ في قوله تعالى: «آلَمَ ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ

(٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ » .

جدير بالذكر ؛ صاحب حروب هرقل ضد الفرس استخدام اشارات دينية مثل الصليبان ، وصور السيدة مريم العذراء عليها السلام وهي تحمل المسيح عليه السلام طفلاً ؛ من أجل إثارة حماس الجنود ، ومع ذلك ؛ لا يمكن إعتبار ما قام به نوعاً من الحروب الصليبية ، Crusades ، كما تصور المؤرخ الصليبي البارز وليم الصوري William of Tyre إذ أنها قامت من الغرب الأوربي ، ولم تندلع من الإمبراطورية البيزنطية كما أنها نتاج أخريات القرن الحادى عشر الميلادى وليس القرن السابع الميلادى ، وفيما بعد ؛ حاول بعض المؤرخين تكرار نفس التصور بالنسبة لحروب شارلمان Carolus Magnus ضد المسلمين فى الأندلس ، عندما اتجه إلى حصار سرقسطة<sup>(٢)</sup> عام ٧٧٨م ، غير أن ذلك يعد تحميلاً للأمور أكثر مما

#### ١- عن فكرة الحرب المقدسة لدى العالمين المسيحى والإسلامى أنظر:

Canard, " la guerre Sainte dans le monde Islamique et dans le monde Chretien" R. AF. T. LXXIX, 1956 , pp. 605-623 .

Brundage, " Holy war and The Medieval Lawyers ", in, Brundage (ed.), the Holy war, Ohio State 1977, pp. 99-139 .

Saunders, " The Crusades as a holy war ", in Brundage (ed.) The Crusades, Motives and achievements, Boston 1964 .

قاسم عبيد قاسم ، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، ص ١٤-٢٠ ، جان فلورى ، الحرب المقدسة ، الجهاد والحرب الصليبية ، ت. غسان مایسو ومراجعة جلال شحاته ، ط. دمشق ١٩٩٤م ، ص ١٧٣ ، ويلاحظ أن المؤلف متعصب ضد الاسلام ، بوجه عام .

٢- سرقسطة ؛ Zaragoza ، مدينة كبيرة وقعت فى شمال شرقى الأندلس ، وامتازت بوجود خمسة أنهار بها فى صورة أنهار إبرو ، وجلق ، شلومه ، ورويه ، وفنتشن ، ويلاحظ ؛ أن اسمها القديم هو Sulduba ، وعندما قام الرومان باحتلال أسبانيا ؛ أسس الامبراطور أغسطس Augustus مستعمرة بها اسمها Caesarea Auguste ثم تم تحويل الاسم خلال عهد القوط إلى Caesaragusta وصار خلال الحكم العربى سرقسطة ، وقد قام طارق بن زياد بفتحها عام ٧١٢م ، واستمر الحكم العربى بها إلى أن تمكن الأسبان من إعادة السيطرة عليها فى عام ١١١٨م من خلال ما أطلقوا عليه «حرب الاسترداد» Reconquesta عن سرقسطة أنظر:

ياقوت ، معجم البلدان ، ط. بيروت ب-ت ، ج ٤ ، ص ٢١٢-٢١٤ ، يوسف أحمد ياسين ، بلدان الأندلس فى أعمال ياقوت الحموى الجغرافية (٥٧٤-٦٢٦هـ / ١١٧٨-١٢٢٦م) ، ط. أبوظبى ، مركز زايد للتراث ٢٠٠١م ، ص ٣٣٤ ، حاشية (١) ، عبد السلام الترماني ، أزمة التاريخ الإسلامى ، ج ١ / ٢م ، ط. الكويت ١٩٨٢م ، ص ١٥٣ = .

تحتمل ؛ فلا صليبيات قبل عام ١٠٩٥ م عندما قام البابا أوربان الثاني Urban II (١٠٨٩-١٠٩٩م) بالدعوة إليها تحديداً في ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م في مجمع كليرمونت Clermont فرنسا كما سنفصله فيما بعد .

والأمر المؤكد ؛ أن هرقل يعد بالفعل الإمبراطور المنقذ للإمبراطورية البيزنطية خلال تلك الظروف العصيبة التي مرت بها ويعد دوره في هذا المجال، أكثر أهمية من دور الإمبراطور جستنيان خاصة أن الأخير في عهده لم تكن الإمبراطورية مهددة بمثل تلك الدرجة التي كانت عليها في عهد الإمبراطور هرقل.

من المؤكد أن المؤرخين الذين درسوا عهد ذلك الإمبراطور ؛ لم يعطوه حقه الجدير به نظراً لهزيمته فيما بعد على أيدي المسلمين غير أن الإنصاف التاريخي يجعلنا نقرر أنه من وجهة نظر بيزنطية كان من أكفأ الأباطرة البيزنطيين ونجاحه في مواجهة الفرس خير دليل على ذلك.

على أية حال ؛ يوصف هرقل «بالإمبراطور التعيس» ؛ إذ لم يهنأ بانتصاره على الفرس، فقد ظهر أمامه خطر داهم في صورة العرب الذين اعتنقوا الإسلام ، وصاروا قوة لا يستهان بها، وقد أثبت قدرتها الفذة على تغيير التاريخ في العصور الوسطى بصورة غير مسبقة وخلال عقود قليلة !!!.

ومن الممكن أن نلقى نظرة عابرة على بدايات نمو تلك القوة التي لم يحسب لها البيزنطيون حساباً ؛ فقد ولد النبي محمد بن عبد الله عليه أشرف الصلاة وأزكى السلام في مكة المكرمة ٣٠ أغسطس عام ٥٧٠م من أسرة من أشرافها وفيما بعد عمل بالرعي، والتجارة ووصف بالصادق الأمين ، وعند بلوغه الأربعين عاماً جاءه الوحي من الله تبارك وتعالى وهو يتعبد في

---

= وعن حملة شارلمان عليها عام ٧٧٨م انظر:

مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة فيما بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط . بيروت ١٩٨٩م، ص ١٠٣ حيث يقول: « طمع فارله في مدينة سرقسطة من أجل ذلك، فخرج حتى حل بها، فقاتله أهلها، ودفعوه أشد الدفع فرجع إلى بلده»، إسماعيل نوري ربيعي، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص ٦٣، صالح السعدون، العلاقات الخارجية للأندلس في عهد الأماة، ط. الرياض ب-ت، ص ٩٨-٩٩، منى حسن محمود، المسلمون في الأندلس وعلاقاتهم بالفرنجة ٩٢-٢٠٦هـ / ٧١٤-٨١٥م. ط . القاهرة ١٩٨٦م، ص ١٨٠-١٨١ .

غار حراء وكان نزول القرآن الكريم الذي يعد معجزة إلهية حية منذ ذلك الحين، وإلى قيام الساعة . وفى يوم حده بعض المؤرخين بأنه ١٨ يولييه ٦٢٢م قام النبى عليه الصلاة والسلام بالهجرة من مكة المكرمة إلى يثرب التى غدت تحمل اسم المدينة المنورة ، وقد واصل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، وتمكن من فتح مكة .

يلاحظ أن النبى صلى الله عليه وسلم قام بإرسال سفراء إلى حكام الدول المجاورة<sup>(١)</sup> ومنهم الدولة البيزنطية من أجل إبلاغهم برسالة الإسلام الذى هو فى الحقيقة دين عالمى لكافة البشر صالح لكل زمان ومكان ، فأحسن البعض استقبال سفراءه وأساء البعض الآخر إليهم ، وكان الامبراطور هرقل من أولئك الذين أرسل لهم نبى الاسلام رسالة للإبلاغ بالدين الجديد .

جدير بالذكر : حدثت معركة مؤتة بين المسلمين والبيزنطيين<sup>(٢)</sup> عام (٦٢٩م) انتصر فيها الأخيرون ، واستشهد فيها ثلاثة من قادة المسلمين فى صورة زيد بن حارثة، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة، وتمكن خالد بن الوليد من الإنسحاب بباقى القوات الإسلامية.

١- عن رسالة النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل أنظر: أحمد فؤاد سيد، الدعوة الإسلامية فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين- بلاغ الدعوة ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص٥٢٧-٥٧٨، وأود الإشادة بالجهد العلمى البارز فى أطروحة الدكتوراه التى أعدها المؤرخ البارز الراحل د. أحمد فؤاد سيد أنظر أيضاً : ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية فى عصر الإمبراطور هرقل، ص٣٣٨ - ص٣٤٠ ، محمد لقمان الأعظمى، السيرة النبوية، ط. جدة ب-ت ، ص٢٣٨-٢٥٨ .

وعن الرسائل التى أرسلها النبى (ص) بصفة عامة إلى الأباطرة والملوك أنظر:

محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ، ط. بيروت ١٩٦٩م، ص١٠٥-١٠٨ ، عبد الجبار السامرائى ، «الرسائل التى بعث بها النبى صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة . الفصيل ، العدد (٥٥) ، (٢) عن معركة مؤتة أنظر:

٢- عن معركة مؤتة أنظر:

ابن سعد ، الطبقات الكبرى: ، ط. بيروت ١٩٥٨م، ج٢، ص١٢٨ ، ابراهيم بيضون ، «حملة مؤتة مقارنة للمشروع السياسى الأول للدولة الإسلامية فى بلاد الشام» ، ضمن كتاب تاريخ بلاد الشام، إشكالية الموقع والدور فى العصور الاسلامي، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص٩٩-١٢٥ ، عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم فى عصر النبوة دراسة فى جذور الصراع وتطوره بين المسلمين والبيزنطيين حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص٨٧-١٢١ ، شكرى فيصل، حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول، ط. بيروت ١٩٧٤م، ص٢٦-٢٧، ابراهيم العدوى، الإمبراطورية البيزنطية، والدولة الإسلامية، ط. القاهرة ١٩٥١م . ص٣٦-٣٧ .

ومن الجلى البين ؛ أن الامبراطورية البيزنطية التى كانت قد خرجت من صراعها مع الفرس بانتصار بإذن ، استخفت بقوة المسلمين وتصورت أنهم يقومون بمجرد مناقشات حدودية محدودة الشأن ولم يتصور البيزنطيون البتة أن يصل بهم الأمر إلى حد إلحاق هزائم مروعة بأباطرة القسطنطينية الكبار الذين انتشوا بخمر الانتصار على الفرس منذ قليل.

ومن المهم هنا الإقرار ؛ بأن حركة الفتوحات العربية الكبرى لم يكن دافعها الناحية الاقتصادية كما توهم قطاع من المؤرخين الماركسيين وكذلك المستشرقين ، بل إبلاغ رسالة الإسلام؛ وهى رسالة عالمية ، وتخبير الشعوب بين أن تعتنقه أم لا دون أى إكراه فى سبيل اعتناق الدين الجديد، حيث قال تعالى فى كتابه العزيز: «لا إكراه فى الدين»<sup>(١)</sup>. ولاريب ؛ أن الإسلام إمتاز بوضوح الرؤية الدينية ولم يكن فيه ذلك الجدل الدينى الذى لاينتهى بشأن طبيعة السيد المسيح عليه السلام، على نحو سيؤدى إلى إقبال الكثيرين نحو اعتناقه باعتراف المنصفين من المستشرقين<sup>(٢)</sup>، لانغفل هنا الإشارة إلى أن الإمبراطور هرقل إتجه إلى محاولة تسوية الصراع الدائر بين أصحاب الطبيعة الواحدة والطبعيتين بأن أوجد مذهباً توفيقياً جديداً عبارة عن مذهب المشيئة الواحدة أو المونوثوليبنى Monothelism<sup>(٣)</sup>. من خلال مرسوم صدر عام ٦٣٨م، غير أنه أخفق فى إقناع الطرفين به، وقد حاولت بيزنطة فرضه على رعاياها كما

---

١- أحمد الشريف ، دور الحجاز فى الحياة السياسية العامة فى القرنين الأول والثانى للهجرة ، ط. القاهرة ١٩٦٨م، ص١٦٧-١٨٠ حيث يتناول دوافع تلك الحركة وأفضل دراسة بالعربية تفند أكلوبة انتشار الإسلام بعد السيف التى كثيراً ما ردها قطاع من الباحثين الغربيين أنظر: نبيل لوقا بباوى، انتشار الإسلام بعد السيف بين الحقيقة والافتراء، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص٢٤-١٨٤ .

والمؤلف القبطى منصف للإسلام وحاصل على عدة درجات للدكتوراه .

٢- عن ذلك أنظر: Arnold, The Spread of Islam in the World , A History of Peaceful Preaching, India 2001 .

وبلاحظ أن الكتاب المذكور له ترجمة عربية أنظر:

توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ت. حسن إبراهيم وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوى ، ط. القاهرة ١٩٤٧م.

٣- عن ذلك المذهب أنظر:

شارلز أومان، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ت. مصطفى طه بدر ، ط. القاهرة ١٩٥٣م، ص١٣٥=



حدث في بلاد الشام ومصر، دون جدوى ، وفي الأخيرة - على سبيل المثال - عارض الأقباط بشدة سياسة هرقل الدينية في بيثة عرفت بتدينها الفطرى منذ أقدم الأزمان، وقد فر رأس الكنيسة القبطية بنيامين Benjamin إلى الصحراء بعقيدته هرباً من جراء الجور البيزنطى<sup>(١)</sup> الذى لاحق كل من لا يعتنق المذهب الرسمى للامبراطورية .

يضاف إلى ذلك؛ كانت السياسة البيزنطية الجائرة على المستوى الاقتصادى القائمة على فرض الضرائب واستنزاف ثروات الولايات الشرقية خاصة القمح كما فى حالة مصر<sup>(٢)</sup>؛ كان ذلك أثره فى اشتعال نيران السخط، والتمرد فى نفوس سكان تلك الولايات وهكذا ؛ قدم البيزنطيون بأخطائهم الفادحة فرصة ذهبية للقاتحين العرب ليتفوقوا عليهم، ويحققوا انتصاراتهم فى وقت قياسى غير مسبوق ومن قبل ذلك كله الجوانب الايجابية المتعددة التى احتواها الإسلام نفسه كدين سماوى خاتم.

---

= حاشية (١) ، السيد الباز العرنى، الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص ١١٧ ، عبد القادر اليوسف ، الامبراطورية البيزنطية، ط. بيروت ١٩٦٦م، ص ٩٧-٩٨ ، أسد رسيتم ، الروم، ط. بيروت ١٩٥٥م، ج ١ ، ص ٢٣٠ ، زكية رشدى ، « تاريخ الأدب السريانى »، مجلة كلية الآداب - جامعة عين شمس م (١٧) ، عام ١٩٧٣م، ص ٣٦٤ ، محمد مؤنس عوض ، « أضواء على تاريخ موارنة لبنان عصر الحروب الصليبية » ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، مجموعة أبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم، بمناسبة بلوغه الستين، تحرير حاتم الطحاوى، ط . القاهرة ٢٠٠٣م، ص ١٨٩ ، حسين العودات، العرب النصارى، عرض تاريخى، ط. دمشق ، ١٩٩٢م، ص ٥٤ .

Angold , Byzantium the Bridge from Antiquity to the Middle , Ags, p. 166 .

١- عنه أنظر : فايز نجيب أسكندر ، « بنيامين الأول البطريك الثامن والثلاثون بين نهاية العصر البيزنطى وبداية الفتح الإسلامى لمصر ٦٢٣-٦٦٢ م » ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٣-٣٦ . عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ت. اسحق عبيد، ط. القاهرة ٢٠٠٥م، ص ٩٨ .

٢- يلاحظ أن الامبراطورية الرومانية من قبل كانت ترى أن القمح المصرى على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لها ، وهناك من يقرر أنه فى حالة سؤال أى امبراطور رومانى عن العلاقة الوثيقة التى ربطت مصر بالامبراطورية الرومانية لأجاب من فورهِ : القمح والنقود، وفيما بعد ؛ كان على مصر تقديم ما تراوح بين ٨ ، ٩ مليون أردب من القمح ؛ بما عكس أهمية الدور الاقتصادى الذى لعبته بالنسبة لتلك الامبراطورية ومن بعدها البيزنطية ، أنظر:

ومن الأهمية بمكان هنا الإشادة بمقال «تاريخي» خطه أ.د. اسحق عبيد أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة عين شمس بعنوان «شمس العرب تسطع على أرض النيل»،<sup>(١)</sup> أقر فيه بأن ذلك الفتح جاء بمثابة إنقاذ لمصر، وأهلها الأقباط حينذاك من الإضطهاد البيزنطي، فكانت شهادة حق من مؤرخ بارز رداً على إدعاءات واقتراءات لاتقف على قدميها.

على أية حال؛ تمكن المسلمون بقيادة عبقرى الحرب خالد بن الوليد- الذى لم يهزم طوال حياته فى أية معركة حربية على نحو فريد لانجذ له نظير على الأقل فى حقبة العصور الوسطى والذى لقبه نبي الاسلام مبكراً بسيف الله المسلول، وأكدت وقائع التاريخ صدق ذلك الوصف - تمكن من قيادة المسلمين فى انتصار تاريخي قذ فى صورة معركة اليرموك فى ٢٢ أغسطس من عام ٦٣٦م<sup>(٢)</sup> وتفوق الفرسان المسلمون خيفى الحركة الذين برعوا فى حرب الصحراء على القوات البيزنطية الثقيلة البطيئة الحركة ، وكان الانتصار الإسلامى فيها حاسماً ، وتعد أول

= رأفت عبد الحميد وطارق منصور ، مصر فى العصر البيزنطى ٢٨٤-٦٤١م، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٣- ص٥ ، رأفت عبد الحميد ، «مصر والعرش البيزنطى» ، ضمن كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، إعداد وتقديم رؤوف عباس، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص٧٧- ص٧٩ .

١- عن ذلك انظر: اسحق عبيد ، «شمس العرب تسطع على أرض النيل» ، ضمن كتاب أثر الاسلام فى مصر وأثر مصر فى الحياة العربية الاسلامية، اشراف أ.د. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ١٩٩٩م .  
Theophanse, p. 38.

٢- عن معركة اليرموك أنظر: البلاذرى ، فتوح البلدان ، ط. بيروت ١٩٥٨م، ص١٢٦ .

ابن الأثير، الكامل، ط. بيروت ١٩٩٤م، ج٢، ص٦٩-٧٢ .

Nicol, Yarmuk ad 636 The Muslim conquest of Syria , Oxford 1994, pp. 46-86 .

Kaegi, Byzantium and the Early Islamic Conquests , Cambridge 2000, pp. 112-146 .

Whittow , The Making of Byzantium 600-1025 , los Angelos 1996, p. 86, p. 89 .

وبلاحظ أن المؤرخ شارل ديل وصفها بأنها كارثة «اليرموك» "The disaster of Yermuk" أنظر:

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 43 .

علاء الدين حسين مكى، فن الحرب عند العرب دراسة فى الفتوحات الكبرى فى العصر الراشدى، ط. بغداد ، ١٩٩٩م، ص٢٤٨-ص٣١٨ . وهى دراسة تحليلية ذات طابع عسكري أعدها خبير عسكري عراقى ؛ حازم عبد القادر الراوى، الروح المعنوية للجيش العربى الإسلامى فى صدر الاسلام ، ط. بغداد ١٩٩٨م، ص١٥٣ .

مواجهة حربية كبيرة بين المسلمين ، والبيزنطيين ، وفيها تأكدت مقولة المفكر التونسي الكبير ابن خلدون أن البدو « أقدر على التغلب وانتزاع ما فى أيدي سواهم من الأمم »<sup>(١)</sup>. وجدير بالذكر أن الفيلد مارشال مونتجومرى القائد البريطانى الذى انتصر فى معركة العلمين على قوات المحور خلال الحرب العالمية الثانية ألف كتابا بعنوان : A History of Warfare ، أى الحرب عبر التاريخ وفيه أشاد بإنجاز الجيش المسلم بقيادة خالد بن الوليد القائد الفذ<sup>(٢)</sup>.

بصفة عامة ؛ حسمت تلك المعركة أمر السيادة السياسية على بلاد الشام لصالح المسلمين، ولاريب ؛ فى أنها بالإضافة إلى معركة القادسية ضد الفرس قد أحدثت واقعا جيوبولوتيكيا جديدا أثر بدوره فى تغيير النظام العالمى حينذاك ؛ إذ انحسرت الدولة البيزنطية غربا ، وجاء ذلك إيذانا لها فيما بعد فى حركة تاريخية بطيئة بين القرنين ٧ ، ١٥م، كذلك جعلت تلك المعركة المسلمين يقتربون من الساحل الشرقى للبحر المتوسط ملتقى الحضارات ، والسياسات فى العصور الوسطى.

على أية حال ؛ نسب المؤرخون المسلمون وغيرهم وداعا رمزيا للامبراطور البيزنطى هرقل لبلاد الشام إذ قال : Vale Syria et Ultimatum ؛ أى : «الوداع يا سورية وداعا ؛

= ويلاحظ أن من عوامل الانتصار فى تلك المعركة براعة المسلمين من خلال خفة الحركة وخبرتهم فى التحرك حركات تقدم وانسحاب واستداره وكذلك قطع خطوط المواصلات والتموين للبيزنطيين ولم يكن من الممكن لجيوش البيزنطيين الثقيلة التفوق عليهم انظر: جلوب، الفتوحات العربية الكبرى ، ت. خيرى حماد . ط. بيروت ب-ت ، ص ١٤٢ .

١- المقدمة تصحيح وفهرسة أبو عبدالله السعيد المندوه، ط. بيروت ٢٠٠٥م، ص ١٣٣ .

الأمر المؤكد ؛ أن ابن خلدون من عباقرة الإسلام فى العصور الوسطى، ويمتاز بالأصالة الفكرية، وقد تأثر فيكو به فى نظرية الدورات ، كما أشاد به المؤرخ البريطانى أرنولد توينبى مبدع التحدى والاستجابة.

٢- الفيلد مارشال مونتجومرى، الحرب عبر التاريخ، ت. عبدالله النمر، ط. القاهرة ١٩٧٣، ج ١، يقول ذلك القائد البريطانى المحنك : «فى عام ٦٣٦ حشد الامبراطور البيزنطى هرقل جيشا جيشا مكونا من خمسين ألفا ليقا تل به العرب ، وكان جيشهم نصف عدد الجيش البيزنطى وبقيادة خالد بن الوليد والتقى الجيشان عند اليرموك، وأسفرت المعركة على هزيمة الجيش البيزنطى وتشتت صفوفه ولاقوا حتفهم على أيدي أهل الصحراء».

نهائياً»<sup>(١)</sup> على نحو عكس مدى إحساسه بالكارثة التي حلت بالدولة البيزنطية من جراء التوسعات العربية الخاطفة ، والناجحة .

وفيما بعد؛ تمكن المسلمون من إخضاع مدن بلاد الشام الكبرى بما فيها بيت المقدس التي دخلها الخليفة عمر بن الخطاب عام ٦٣٧م<sup>(٢)</sup>، دخولاً سلمياً متحضراً وأعطى أهلها الأمان على عقائدهم ، وأرواحهم ، وممتلكاتهم . ورفض الصلاة في كنيسة القيامة حتى لا يحولها المسلمون إلى مسجد فقدم درساً تاريخياً في التسامح والسلام منذ القرن السابع الميلادي، وسيتكرر من بعد ذلك بعدة قرون عندما دخلها السلطان صلاح الدين الأيوبي محرراً في عام ١١٨٧م، وما ذلك إلا التعبير الحى الصادق عن أخلاق الإسلام النبيلة دونما شبهة تعصب.

جدير بالذكر؛ إقبحه المسلمون بقيادة عمرو بن العاص إلى فتح مصر، وكانت مهياة لاستقبال الفاتحين الجدد، ويحدثنا مؤرخ قبطى معاصر للفتح العربى وهو يوحنا النقيوسى أن العرب وجدوا المساعدة من أقباط مصر<sup>(٣)</sup> الذين رحبوا بهم وقدموا لهم المؤن والامدادات والأهم سلاح

١- الأزدي : فتوح الشام ، تحقيق عبد المنعم عامر، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص ٢٣٦ .

الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ، ط. القاهرة ١٩٦٧م، ج ٣ ، ص ٣ ، ٦ .

ليلي عبد الجواد، الدولة البيزنطية ، ص ٣٨٠ ، عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسى للدولة العربية ، ط.

القاهرة ١٩٩٦م، ص ١٢٢ .

وعن الصراع البيزنطى- العربى حينذاك أنظر: Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. -99

٢- عن دخول عمر بن الخطاب بيت المقدس أنظر: ابراهيم جابر ، قضية القدس ومستقبلها فى القرن

الحادى والعشرين دراسات (٢١) مركز دراسات الشرق الأوسط عمان ٢٠٠٤م، ص ٢٢ ، الأزدي ، المصدر السابق، ص ٢٥٩ ، عبد الباسط التكرورى، موسوعة الخلفاء الراشدين ، ط. عمان ٢٠٠٣م، ص ١٢٧ ؛

محمود السيد ، الفتوحات الإسلامية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، ص ٤٢- ٤٥ ، حمدى شاهين ، الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٢٠٤ - ٢٠٨ ، فاروق عمر فوزى، محسن محمد حسن ، الوسيط فى تاريخ فلسطين فى العصر الإسلامى الوسيط، ط. رام الله، ١٩٩٨م، ص ٤٧ .

٣- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر، المغرب ، ج ١ ، تحقيق عبد المنعم عامر، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ٨٦ ،

يقول ما نصه : « فيقال أن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرى أعواناً ».

المعلومات للتخلص من الإضطهاد البيزنطى، وبالفعل ؛ تم للمسلمين فتح مصر عام ٦٤٢م فى عهد قسطنطين الثالث ، وكان ذلك كله دليلاً وضاحاً على أن المقاطعتين المهتمين ببلاد الشام ، ومصر صارتا خارج نطاق السيادة البيزنطية ، ولاشك أن ذلك حرم بيزنطة من القمح الذى كانت تقدمه مصر لها كإمتداد لعلاقاتها السابقة بالإمبراطورية الرومانية، ولكن من ناحية أخرى؛ أدى ذلك إلى إيقاف المشكلات الدينية من خلال معارضة بلاد الشام ، ومصر لمذهب المشيئة الواحدة الذى حاول الامبراطور هرقل فرضه هناك دون جدوى، وبصفة عامة ؛ فإن الأمر المؤكد فداحة خسائر بيزنطة مقارنة بتلك الزاوية الإيجابية المحدودة .

= وعن تلك الأحداث أنظر:

John Bishop of Nikou , Trans . From Ethiopean by Zotenberg, Paris 1883, English Trans. by R.M Charles 1916 .

وهناك ترجمة عربية قام بها عمر صابر عبد الجليل، انظر : يوحنا النقيوسى ، تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى، ت. عمر صابر ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٩٢ وما بعدها أيضاً؛  
Amelinean, "La conquete de L'Egypte par les Arbes," R.H., T. CXIX , 1915 , pp. 273-310 .  
١- يقول مفكر قبطى قدير ما نصه : «على مدى ستة قرون كاملة تعرض المصريون للاضطهاد الشرس»، ويقصد بذلك اضطهاد البيزنطيين لهم انظر:

وليم سليمان قلاده، «العلاقات الاسلامية - المسيحية فى الواقع المصرى». ضمن كتاب العلاقات الاسلامية المسيحية قراءات التاريخ والحاضر والمستقبل ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، ط . بيروت ١٩٩٤م، ص٥٦ ؛ أحمد عبد الرازق ، تاريخ مصر وآثارها الإسلامية من الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى ، ط . القاهرة ١٩٩٣م، ص١٤-٩ ص١٥ .

٢- Arnold, The Spread of Islam in The World p. 102 .

ويقرر ذلك المؤرخ البريطانى عن تسامح الفاتحين العرب، ما نصه :

" Muhammadan Conquest brought a freedom of religious life such as They had not enjoyed for acentury".

Arnold Ibid p. 102 .

والاعتراض على عبارته فى كلمة «محمدي» والمفروض أن تكون «الإسلامي» بدلا منها ، فالإسلام ليس دين محمد بل دين الله جل سبحانه وتعالى ومحمد عليه الصلاة والسلام رسول الله جل شأنه المصطفى والمختار من جاتبه لإبلاغ رسالة الاسلام العالمية.



لأنغل هنا زاوية لها أهميتها ضمن الحديث عن الفتح العربى لمصر، إذ أنهم فريق من الباحثين الغربيين العرب بأنهم قاموا بإحراق مكتبة الاسكندرية التى كانت تحوى تراثاً انسانياً ضخماً ومن الممكن الرد على تلك الفكرة من خلال النقاط المحددة التالية :

أولاً : إن مكتبة الاسكندرية قد أصابها الحريق مرتين الأولى عام ٤٨ ق.م إثر حريق أسطول يوليوس قيصر Julius Cacer، والثانية خلال عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I (٣٧١-٣٩٥ م) وذلك فى عام ٣٩١ م ؛ أى من قبل مقدم الفاتحين العرب بعدة قرون.

ثانياً : من الملاحظ أن رواية إحراق المكتبة المذكورة لا يؤيدها أحد من المؤرخين المعاصرين مثل أوتيجا ، الذى قدم تفصيلات مسهبة عن الفتح العربى لمصر، كذلك لم نجد أثراً للحديث عنها لدى المؤرخين الآخرين مثل البيهقوى ، والبلاذرى ، وابن عبد الحكم، والطبرى، والكندى، وكذلك لدى المؤرخين المتأخرين مثل المقرئى (ت ١٤٤١م) شيخ مؤرخى مصر الإسلامية ، وأبى المحاسن (ت ١٤٦٩م) والسيوطى (ت ١٥٠٥م) .

ثالثاً : هناك من يقرر أن المؤرخ أوراسيوس Orasius قرر أنه وجد رفوف المكتبة خالية من الكتب وذلك عندما قام بزيارة مدينة الاسكندرية فى أوائل القرن الخامس الميلادى، مما عكس عدم وجود تلك المكتبة من قبل مقدم الفاتحين العرب، واستيلاتهم على الاسكندرية .

خامساً : من المفترض فى حالة بقاء تلك المكتبة إلى الفتح العربى؛ لم يكن هناك ما يمنع من نقلها إلى العاصمة البيزنطية القسطنطينية على أيدي البيزنطيين خاصة أن عمرو بن العاص قرر فى الصلح الذى عقده معهم ؛ أن من حقهم أن ينقلوا ما يستطيعون حمله، وهناك من أوضح أنه كان بإمكانهم حينذاك نقل عدة مكتبات لا مكتبة واحدة<sup>(١)</sup>.

#### ١- عن الرد على افتراءات إحراق مكتبة الاسكندرية أنظر:

ألفريد بتلر ، فتح العرب لمصر ص ٣٤٨- ص ٣٧٠، حيث يقدم أفضل عرض عن الموضوع بصورة مفصلة ، حسن ابراهيم ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ط. بيروت ٢٠٠١م، ص ١٩٧ - ص ٢٠١ .

محمد عبد المنعم، الاسكندرية ، المكتبة الاكاديمية فى العالم القديم، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١١٨ - ص ١١٩ .

ابراهيم عبد الفتاح المتناوى، فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية، ط. طنطا ٢٠٠٢م، ص ١٣١- ص ١٣٦ .

سادساً : لانغفل ؛ أن قطاعاً من الباحثين الغربيين، حرصوا الحرص أجمعه على أن يضعوا الإسلام، والمسلمين دوماً فى قفص الاتهام حتى ينفقوا وقتهم وجهدهم فى الرد على الافتراءات وتفنيدها، ويكفى أن نرد عليهم بأن المسلمين فى العصور الوسطى كانوا من أكبر الأمم اهتماماً بالكتب تأليفاً ، وترجمة ، ونسخاً على نحو لم نجده لدى أية أمة أخرى بإعتراف المنصفين من المستشرقين الذين اعترفوا بتلك الحقيقة الراسخة القدم، ونجد ذلك واضحاً فى مؤلفاتهم ذاتها .

سابعاً : يقرر البعض نشوء تلك التهمة التى تم إلصاقها بالعرب الفاتحين فى الأصل فى بلاد الشام فى أعقاب فترة حاسمة من تاريخ الحروب الصليبية، ومن المرجح أن السبب المباشر لإثارتها ؛ التغطية على ما ارتكبه الصليبيون فى طرابلس الشام عندما اقتحموها عام ١١٠٩م ، وأرتكبوا بها مذبحة ودمروا دار العلم هناك وهى التى احتوت على كنوز المعرفة<sup>(١)</sup>، ناهيك عن الاستيلاء على تلك المكتبة التى قام بجمعها الفارس والشاعر أسامة بن منقذ والتى تركت حادثة فقدانها أثراً نفسياً سيئاً لديه وضمت أربعة آلاف من الكتب النادرة.

ويقرر العلامة الراحل أ.د. السيد عبد العزيز سالم، أن الصليبيين قاموا بإختلاق القصة المزعومة السابقة التى أوردها ابن القفطى؛ كى تكون سابقة على ما حدث فى طرابلس الشام. وقد شاعت تلك القصة، ومن المفترض أن والد ابن القفطى عمل فى حياته فى خدمة صلاح الدين الأيوبي فى بلاد الشام حينما انتشرت روايتها فتناقلها والده ، وقام بترويجها؛ نظراً لارتباطه بالسلطان الأيوبي الذى كان له دور بارز فى «تفريق وبيع بقايا المكتبة الفاطمية ، وكأنما أراد بترويجه لهذه القصة أن يزيل ما تعرض له صلاح الدين من انتقادات»<sup>(٢)</sup> بسبب ذلك الموقف .

١- السيد عبد العزيز سالم، محاضرات فى تاريخ الحضارة الإسلامية، ط . الاسكندرية ١٩٩٧م، ص ١٩٤، حاشية (٢) .

وقد اعتمد عرضه على: مصطفى العبادى، مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى، ص ١٤٣ .  
وعن تلك الدار أنظر: عمر عبد السلام تدمرى، «دار العلم فى طرابلس الشام خلال القرن الخامس الهجرى»، مجلة عالم الفكر، م (١٢) ج (٣) الكويت ١٩٨١م، ص ٨٧-٩١٨ .

٢- السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق، ص ١٩٤ - حاشية (٢) . =

وفى تقديرى ؛ أن رأى المذكور على جانب من الأهمية والقيمة، ومع ذلك يظل يمثل احتمالاً من الاحتمالات، دون أن يقلل ذلك من معارضتنا للرواية المذكورة.

وهكذا ؛ يتأكد لنا أن رواية إحراق مكتبة الاسكندرية؛ فرية لا تقف على قدميها أمام النقد التاريخى الموضوعى.

على أية حال ؛ كانت طموحات المسلمين قوية؛ لإبلاغ الدعوة الإسلامية فى كافة البقاع ، وقد انطلقوا من مصر غرباً لإخضاع الشمال الأفريقى، ولأرب؛ فى أنهم مثلوا عدواً لم تألفه بيزنطة على مدى تاريخها المديد؛ حيث واجهوها براً ، وبحراً من خلال الصراع على الأطراف، وكذلك القلب من بعد ذلك، وقدر لهم إسقاطها فى نهاية المطاف عام ١٤٥٣م؛ مما عكس أهمية دورهم فى صنع تاريخ تلك الإمبراطورية على مدى المرحلة الواقعة فيما بين القرنين السابع والخامس عشر الميلاديين.

مهما يكن من أمر؛ من الملاحظ أن الأسيرة الهرقلية حدث خلال حكمها حدثان محوريان يمكن إجمالهما على النحو التالى :

أولاً : إتجاه الإمبراطورية إلى إقامة نظام دفاعى عرف بنظام الثيمات Themes<sup>(١)</sup> أو الألوية ، وقد قدمت الإدارة الإمبراطورية قطعاً من الأرض الزراعية للجنود فى صورة منح يمنع التصرف فيها شريطة أن يقوم الجندى بتقديم الخدمة الحربية فى جند هذه المنطقة أو الثيم وتقرر أن يتم توريث تلك الخدمة الحربية، كذلك توريث الأرض.

= بصفة عامة يعد ذلك الموقف بالفعل خطأ تاريخياً وقع فيه ذلك السلطان الأيوبي البارز ، ومع ذلك ندرك أن مبرره يرجع إلى معاداته للفكر الشيعى الإسماعيلى غير أن ذلك المبرر لا ينفى عنه مسئولية تبديد تلك الثروة العلمية الكبرى.

١- عن نظام الثيمات البيزنطى انظر:

Brooks, "Arabic Lists of the Byzantine Themes", J.H.S., vol . XXI, 1901, pp. 67-77 .

Cheira, la lutte entre Arabes et Byzantines: la Conquete et l'Organisation des Frontieres au VII et VIII siecles, Alexandrie 1947 .

Kacgi, Byzantium and The early Islamic Conquests , Cambridge 2000, pp. 279-28 .

Hussey , The Byzantime World , p. 2 .

Bridge , " The History " , in Daniel (ed.). The Byzantines, London 1962 , pp. 47-50 .

على أي حال ؛ كان هناك قائد على رأس كل ثيم سمي الاستراتيجوس strategos<sup>(١)</sup>.  
ويقرر البعض؛ أنه في أخريات عهد الامبراطور هرقل ظهرت ملامح أربع ثيمات يمكن إجمالها  
كالآتي:

- ١- ثيم الأناضول Anatolikoi ، من الكلمة اليونانية Anatoli؛ وتعنى الشرق، وقد  
تكون - كما قرر البعض- من الفرق الحربية البيزنطية التي كانت موجودة من قبل في بلاد  
الشام ، وأنسحبت من هناك عقب التوسع العربى<sup>(٢)</sup>.
- ٢- الثيم الأرميني Armeniakoi؛ ويلاحظ أنه ارتبط بمنطقة شمال شرقى آسيا الصغرى  
على الحدود الأرمينية وقد تألف من الفرق الحربية التي كانت متمركزة في منطقة أرمينية  
البيزنطية، ثم انسحبت بعد فتح العرب للشام ثم مهاجمتهم لأرمينيا<sup>(٣)</sup>.

---

= السيد الباز العرينى، أجناد الروم، ط. القاهرة ١٩٥٦م، فتحى عثمان، الحدود الإسلامى البيزنطية،  
ج ١، ص ١٠٤ ص ١١٣ ، وسام عبد العزيز فرج ، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية،  
ص ١٩٩-٢٠٢ .

- ١- الاستراتيجوس: هو قائد الإقليم الإدارى والعسكرى وله جند خاص به يمثلون الحرس الشخصى ، ويعد  
نائباً للإمبراطور فى إقليمه ويتحمل مسئولية الأمن والإدارة ، وفى حال كون الثيم على جانب كبير من  
الأهمية يتم وصف حاكمه عندئذ بالدوق بدلاً من الاستراتيجوس، عن ذلك انظر:  
فايز نجيب اسكندر، أسرة برينيوس ودورها فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ط. القاهر ١٩٨٧م، ص ١٧  
، حاشية (١٦) .

Haldon, Byzantium in the Seventh Century, p. 62 , p. 72 , p. 82 .

Browninge, The Byzantine Empire, p. 48 , p. 50 .

- ٢- Bosworth , " The Byzantine Defence System in Asia Minor and the First Arab in-  
cursions", Proceedings of the Second Symposium on the History of Bilad al . Sham during  
the early Islamic Period up to 40 A.H / A D. 640, the fourth international conference , ed .  
by N. A. Bakhit vol. I , Amman 1987 , p. 122 .

ابراهيم العدوى ، «قوانين الاصلاح الزراعى فى الامبراطورية البيزنطية»، مجلة كلية الآداب والتربية،  
جامعة الكويت، العددان (٤،٣) يونيو ١٩٧٣م، ص ١٥٦ .

وسام عبد العزيز فرج ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠ ، حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الامبراطورية  
البيزنطية، ص ٧٥ .

Theophanes, p. 151 .

-٣

وسام عبد العزيز فرج، المرجع السابق، ص ٢٠٠-٢٠١ . حسنين ربيع، المرجع السابق، ص ٧٥ .

٣- الثيم البحرى ؛ الذى سُمى فيما بعد فى القرن الثامن الميلادى كيبيروت Cibyraiot فى الشاطئ الجنوبى لمنطقة آسيا الصغرى، وكذلك الجزر المجاورة لها <sup>(١)</sup>.

٤- ثيم الأوسيق Opsikion فى آسيا الصغرى فى إقليم بثنيا بالقرب من العاصمة البيزنطية وقام بالدفاع عنها من جهة الشرق <sup>(٢)</sup>.

وبصفة عامة؛ إقتصرت نظام الثيمات خلال النصف الثانى من القرن السابع الميلادى على منطقة آسيا الصغرى ، ومن المرجح؛ أنه لم يمتد إلى شبه جزيرة البلقان حينذاك ، بل تم ذلك فى مرحلة تالية يرى البعض أنها تحدد بالنصف الثانى من القرن التاسع الميلادى <sup>(٣)</sup>؛ مما عكس نموه وتطوره كنظام دفاعى بيزنطى فعال .

ثانياً : اتخذت بيزنطة خلال عهد تلك الأسرة إجراءات دلت على الوجهة الشرقية لها، فصارت اللغة اليونانية بمثابة اللغة الرسمية للدولة ، بل إن الإمبراطورى البيزنطى نفسه

١- حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ٧٦ .  
Bosworth, The Byzantine defence,, p. 122 .

٢- نفسه، ص ٢٠١ .

Ibid, p. 122, O.D.B., vol . III, p. 1528-1529 .

جدير بالإشارة ؛ تطورت الثيمات فيما بعد وتزايد عددها من ذلك مثلاً أنه خلال عهد الامبراطور قسطنطين السابع (٩١٣-٩٥٩م) من الأسرة المقدونية وجدت فى شرقى أوربا، عدة ثيمات فى صورة :

١- ثيم كفالونيا ٢- ثيم نيقوبوليس

٣- ثيم البليونيز ٤- ثيم دراكيوم

٥- ثيم ميلادس ٦- ثيم سالونيك

٧- ثيم ستريمون ٨- ثيم مقدونيا

٩- ثيم تراقية.

عن ذلك أنظر : الخريطة الخاصة بالثيمات حينذاك فى القسم الخاص بالخرائط.

٣- وسام عبد العزيز فرج ، دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٠١ .



صار اسمه بازيلوس Basilus<sup>(١)</sup>؛ الذى يعنى «ملك» باليونانية وذلك بدلاص من ألقاب رومانية سابقة مثل إمبراطور Imperator ، وقيصر Caesar ، ولذا ؛ وجد من المؤرخين من اعتبر تلك المرحلة بمثابة نهاية الفترة الرومانية ، وبداية البيزنطية نظراً للتغيرات العسكرية والحضارية التى حدثت حينذاك .

هكذا ؛ كان تاريخ الأسرة الهرقلية إنتصاراً ضد الفرس، وهزيمة فادحة أمام العرب، وبالتالي نرى التناقض فى داخل الأسرة الواحدة، بل فى عهد الإمبراطور الواحد كما فى حالة الامبراطور هرقل.

ومن المهم هنا الإشارة إلى أن عهد ذلك الامبراطور يعد بمثابة مرحلة فاصلة فى التاريخ البيزنطى؛ إذ نتيجة للفتوحات الإسلامية ، اتخذت الإمبراطورية البيزنطية بصفة نهائية شكلها الذى عرفت به فى العصور الوسطى، وفيما عدا آسيا الصغرى وضواحي العاصمة؛ فقد تقلصت رقعة الأراضى البيزنطية بالإضافة إلى تلك الثروات المتبقية على الساحل الشمالى لحوض البحر المتوسط، وتتضح الصورة أكثر عندما تشير إلى أنه خلال القرن السابع استسلمت مراكزها الاسبانية لعناصر القوط الغربيين بينما وقع الجزء الشمالى الغربى من أفريقيا تحت السيادة الإسلامية<sup>(٢)</sup>، وبذلك يحق لنا القول أن القرن السابع الميلادى - خاصة عهد هرقل - شهد تقديم «التنازلات الجغرافية الكبرى فى التاريخ البيزنطى ، ووفق ما قرره مؤرخ بارز ذكر ما نصه : «لقد ولت الآن أيام روما الجديدة - باعتبارها قوة برية عظمى»<sup>(٣)</sup>، ويلاحظ أن المساحات التى تنازلت عنها الامبراطورية مرغمة تعد من أكبر ما تنازلت عنه على مدى تاريخها من القرن السابع حتى القرن الخامس عشر م مما عكس أهمية محورية تلك الأحداث الحاسمة فى ذلك القرن.

١- من الملاحظ أنه فى عهد تلك الأسرة؛ ظهر للمرة الأولى «تعبير الباسيليوس المؤمن بالله» . وهى بالإنجليزية "Basileus faithful in God" وهى تعبير استعمل من جانب كافة الأباطرة البيزنطيين ، وصارت اليونانية هى الرسمية كما ذكرت ، وقد جعل ذلك المؤرخ شارل ديل يقرر ما نصه "In the Seventh Century the Empire became Hellenizes".

أنظر : Diehl , History of the Byzantine Empire, p. 48 .

٢- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ص ١١٥ .

٣- نفسه ، نفس الصفحة.

من الملاحظ عند تقييم للأسرة الهرقلية، وإنجازاتها؛ نجد أنها أنهكت بالصراع مع الفرس، ومن بعد ذلك؛ وحتى بعد انتصارها عليهم لم يحسن البيزنطيون تقدير حجم قوة المسلمين وعندما التقى الطرفان في ساحات المعارك؛ كان الانتصار حليف أصحاب الدين الجديد على الرغم من التفوق العددي والتسليحي البيزنطي، ولامراء البيزنطي في أن القوة الروحية التي أعطاهما الدين الختامي للعرب الفاتحين كانت من وراء إنتصارهم على البيزنطيين بالإضافة إلى إنهاك دولتهم بعد صراعها مع الفرس، ثم كانت المشكلة الدينية والصراع اللاهوتي من عوامل إخفاق بيزنطة وهكذا؛ جاء الفاتحون العرب إلى مناطق تفتح ذراعيها لهم مريحة بهم!!

ويشار هنا تساؤل؛ هل يكمن الإمبراطور هرقل إمبراطوراً ناجحاً أم فاشلاً؟ والواقع أن الصفتين معاً تتوافران فيه؛ فقد نجح مع الفرس واخفق مع المسلمين ومع ذلك؛ من الملاحظ أنه ورث تركة مثقلة، وواجه عدواً لم يكن من الممكن هزيمته في صورة المسلمين الذين تشيعوا بروح الجهاد والخلافة خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الدولة الإسلامية، وفي تقديرى أن أى حاكم آخر لبيزنطة لم يكن من الممكن أن يحقق انتصاراً عليهم من خلال فهم حقيقى لطبيعة المرحلة وليس من خلال دعائية ممجوجة للمسلمين.

يبقى أن نذكر؛ أن المؤرخ البلجيكي هنرى بيرين في كتابه محمد وشارلمان، اعتقد أن الفاتحين العرب يتحملون مسئولية إنهاء وحدة البحر المتوسط القديمة The ancient Unity of the Mediterranean وأنهم فرضوا احتكاراً على بعض السلع التجارية<sup>(١)</sup> على نحو أدى إلى عدم وصولها إلى الغرب الأوروبى، وظلت تلك النظرية تجدد من يؤيدها إلى أن ظهر من عارضها من الباحثين الأوروبيين أنفسهم، وقد أكدوا أن الوحدة المزعومة لعالم البحر المتوسط

١- عن تصورات ذلك المؤرخ انظر:

Pirenne, Mohammed and Charlemagne. London 2001, pp. 147-185.

Economic and Social History of Medieval Europe, London 1972, p. 2, Medieval Cities,

Their origins and The revival of Trade, Princeton 1929, p. 23-31.

أيضاً هذه الدراسة:

Hodges and whitehouse, Mohammed, Charlemagne and the Origins of Europe. Archaeology and the Pirenne thesis, New York 1983.

إنهارت من قبل الفتح العربى بعدة قرون<sup>(١)</sup> ، وأن ذلك الفتح لم يؤد إلى إنهيارها كذلك فإن العرب لم يمارسوا سياسة الاحتكار التجارى بل مارسوها بيزنطة ذاتها التى رأت أن ذلك خير وسيلة لمواجهة الغرب الأوربى، وبصفة عامة، فالأمر المؤكد أن البحر المتوسط بعد أن كان يطلق عليه الرومان من قبل بحرنا Mare Nostrum صار بالتدريج بحيرة عربية<sup>(٢)</sup>.

ولانغفل هنا ؛ الإشارة إلى أن من الباحثين الأوروبيين من سار وراء أية فكرة جديدة تهاجم المسلمين وتشيع فى نفوسهم عداوات تاريخية ضد الإسلام وأهله دون أدنى قدر من الموضوعية، وبالتالي مارسوا «الحروب الصليبية» على صفحات مؤلفاتهم .

من ناحية أخرى ؛ من غير المنطقى أن يتحول المسلمون دومًا إلى أن يكونوا فى قفص الاتهام الغربى لهم على نحو مستمر إذ أن ذلك أبعد ما يكون من الكتابة التاريخية الواعية، ويلاحظ أن ذلك صار نوعًا من «ثوابت» الكتابة التاريخية الغربية عنهم إلا فى القليل النادر.

مهما يكن من أمر ؛ توالى على حكم الإمبراطورية البيزنطية من بعد وفاة الإمبراطور المؤسس البارز هرقل<sup>(٢)</sup> عدد من الأباطرة وقد حكموا خلال المرحلة الممتدة بين عامى ٦٤١م،

١- من أهم الآراء المعارضة له انظر : على الغمراوى، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربى الوسيط، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص ٢٨٧-٣٠٥ ، حيث يقدم المؤرخ المذكور أفضل عرض باللغة العربية عن النظرية ومعارضتها بالاعتماد على المراجع، الانجليزية والفرنسية والألمانية المتخصصة.

عادل زيتون ، «ملاحظات على أطروحة هنرى بيرين من خلال كتاب محمد وشارلمان» ، ضمن الدراسات التاريخية للحلقة النقاشية (السمنار) قسم التاريخ ، كلية الآداب- جامعة الكويت عام ١٩٩٣- ١٢٩٤م ، ص ٦٥- ٨٩ .

حسين مؤنس، تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ١١٨-١٣٥ .

وأفضل دراسة احتوت على الردود على قضية برين نجدها لدى:

Havighurst , The Pirenne Thesis : analysis Criticism and Revision , Boston 1958 .

٢- توفى الإمبراطور هرقل فى ١١ فبراير ٦٤١م ، وفى تصورى - كنوع من الاقتراب من نفسية قادة التاريخ البيزنطى- أن أصعب أعوام عمره تمثلت خلال المرحلة من ٢٢ أغسطس ٦٣٦م وهو يوم معركة =

٧١٧م ، لكنهم لم يصلوا إلى حجم التأثير الذي حدث خلال عهد هرقل المنتصر ثم المهزوم ، ومن الملفت للانتباه ؛ أن أعوام حكمه التي لم تتجاوز (٣١) عاماً ، فاقت في أهميتها مدة حكمهم مجتمعين وهي التي بلغت (٧٦) عاماً ، ولاريب في أن تاريخ الأسرة الهرقلية يكشف بجلاء عن استحواذ تأثير الإمبراطور المؤسس على غيره من الأباطرة إيجاباً وسلباً .

بصفة عامة ؛ من الملاحظ أن أهم أحداث مرحلة ما بعد هرقل تتمثل في نجاح المسلمين في السيطرة على مصر، ثم إحتلالهم لجزيرة قبرص Cyprus ذات الموقع الاستراتيجي في مواجهة الساحل الشامى وذلك عام ٦٤٩م. وفي العام التالي ٦٥٠م إحتلوا جزيرة أرواد (٢).

وفي عام ٦٥٤م؛ أخضعوا جزيرة رودس Rhodes ومن بعد ذلك ، وفي العام التالي مباشرة أى عام ٦٥٥م؛ حققوا انتصاراً بحرياً مبكراً، وملفتاً للانتباه في صورة معركة ذات الصواري<sup>(٣)</sup>، التي سميت بذلك ؛ نظراً لكثرة عدد السفن المشاركة فيها؛ وهو أمر يشير

= اليرموك حتى وفاته في اليوم المذكور حيث إفتربه على الأرجح الشعور بالهزيمة بعد الانتصار الساحق الذي حققه المسلمون فيها، أنظر تحديد يوم وفاته لدى: نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص ١٥٤ .

ويقرر دونالد نيكول أنه مات مريضاً ويائساً : Nicol , ABiographical dictionary , p.49

١- عن المرحلة التالية لعهد الإمبراطور هرقل ثم نهاية الأسرة الهرقلية أنظر:

Theophanes, pp. 40-83 .

Diehl , History of the Byzantine Empire, p. 51 .

٢- قرر هاري توردليدوف في تعليقه على نص ثيوفانيس أن أرواد هي مدينة ساحلية في فينيقيا أي لبنان. وهو قول جانبيه الصواب لأن أرواد جزيرة في مقابل الساحل السوري . وليست مدينة ساحلية ، كما أن ياقوت الحموي أخطأ عندما تصور أنها بالقرب من القسطنطينية ، من ذلك انظر:

Theophanes, p. 43, note (101) .

ياقوت ، معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٩٧م، ١م، ص ١٢٤ وعن استيلاء المسلمين عليها انظر:

شحاده على الناطور، تاريخ صدر الاسلام وفجره، ط. عمان ٢٠٠١م ، ص ٢٦٩ .

وعن سيطرتهم على جزر البحر المتوسط بصفة عامة مثل قبرص وارواد وغيرها انظر بالتفصيل: ابراهيم

طرخان ، المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٦م ، ص ٢٩-٨٧ .

٣- عن معركة ذات الصواري أنظر :=

الإعجاب أيضاً من جراء هزيمة الإمبراطورية البيزنطية ذات الصيت الواسع النطاق في المجال البحري على الرغم من أن المسلمين كانوا حديثي عهد بذلك المجال الحربي ومن قبل كانت معاركهم مع تلك الامبراطورية تتخذ الشكل البري، ومع ذلك يلاحظ أن تلك المعركة لم يتمكن المسلمون من استثمارها عسكرياً وسياسياً ؛ نظراً لحدوث ما عرف بالفتنة الكبرى في أعقاب مصرع الخليفة عثمان بن عفان عام ٦٥٦م<sup>(١)</sup>.

على أية حال من الملاحظ أن طموحات المسلمين خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام كانت واسعة ؛ إذ أننا نجدهم من بعد ذلك يتطلعون إلى إسقاط العاصمة البيزنطية، وهكذا؛ حاصروها عام ٦٦٩م ، وذلك خلال عهد الامبراطور قسطنطين الرابع، وأثناء خلافة الخليفة معاوية بن أبي سفيان مرتين<sup>(٢)</sup> ويلاحظ؛ أن تلك العملية العسكرية شارك فيها أحد الصحابة

= الكندي، ولاية مصر، ط. بيروت ١٩٥٩م، ص ٣٦-٣٧، المسعودي، التنبيه والاشراف، ط. بيروت ١٩٦٨م، ص ١٣٥، الذهبي، العبر في خبر من غير، تحقيق أبوهاجر محمد العيد، ط. بيروت ١٩٨٥م، ج ١، ص ٢٥، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، عهد الخلفاء الراشدين، لتحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص ٤٢٠، أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارة في البحر المتوسط ٥٠٠-١١٠٠، ت. أحمد عيسى، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص ٩١-٩٢، أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عام المعرفة، ط. الكويت ١٩٧٩م، ص ٩٢-٩٣، السيد الباز العريضي، الدولة البيزنطية، ص ١٢٦، محمد ثابت توفيق، ذات الصواري، ط. الرياض ٢٠٠١م، ص ٥-٤٣، زينب بيرجكلى، ذات الصواري، ط. الشارقة ٢٠٠٦م، إبراهيم العدوي، الدولة الأموية والبيزنطيون، ط. القاهرة ١٩٥٣م، ص ٩٨، عليه الجنزوري، هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى، سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ٥١-٦٠، سعد زغلول عبد الحميد، «الاسكندرية قاعدة عسكرية في القرن الأول من تاريخها العربي وموقعة الصواري»، ندوة سواحل مصر عبر العصور سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ١٢٤-١٣٥، على محمد الصلابي، الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ١٩٩-٢٠٠.

Fahmy, Muslim Sea Power in the Eastern Mediterranean from the Seventh to the Tenth Century A.D., Cairo 1966, pp. 85-89.

Bosworth, " Byzantium and the Arabs: War and Peace between Two Civilizations",

J.O.A.S. 3-4, Athens 1991 - 1992, p. 2.

١- محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ٩٦.

٢- عن حصار القسطنطينية في عهد معاوية بن أبي سفيان أنظر: =



وهو أبو أيوب الأنصاري الذي كان طاعناً في السن في صحبة قائد الحملة يزيد بن معاوية كنوع من التبرك ولكن أدركته المنية، ودفن هناك<sup>(١)</sup>.

على أية حال ؛ فشلت تلك الحملة نظراً لحصانة القسطنطينية<sup>(٢)</sup> وعدم امتلاك المسلمين خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخهم القوة اللازمة لتحقيق مثل ذلك الهدف الاستراتيجي

Theophanes, The Chronicle of Theophanes, An English Translation of anni mundi = 60-95- 6305 (A.D. 602-813), with introduction and notes by harry Turtledove, Pennsylvania 1982, p. 45 .

Michael le Syrien, Chronique , T. p. 455 .

الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ، ص ٢٣٢ ، ابن الأثير ، الكامل، ج ٣ ، ص ٤٥٩ ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٦٠٦ ، ضيف الله بطاينة، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ، ط. عمان ١٩٩٧م، ص ٢٥٢-٢٥٤ . ، على محمد الصلابي، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ط. الشارقة ٢٠٠٦م، ج ١ ص ٣٨٠-٣٩٢ ، نبیه عاقل، تاريخ خلافة بني أمية ، ج ١، دمشق ١٩٧٥ م، ص ٨٦-٨٧ ، عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، العالم الإسلامي في العصر الأموي (٤١-١٣٢ هـ / ٦٦١-٧٥٠م)، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ص ٢٤٩-٢٥٣ .

Bosworth , Byzantium and the Arabs, p. 2.

١- تجدر الإشارة ؛ تم اكتشاف قبر ذلك الصحابي- كما يقال- عام ١٤٥٨م أي بعد خمس سنوات فقط من الفتح العثماني للقسطنطينية عام ١٤٥٣م عن ذلك انظر:

ألفونس ماري شنيدر، «قبور الصحابة في القسطنطينية»، «ضمن كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين ت. صلاح الدين المنجد، ط. القاهرة ١٩٥٥م، ج ١، ص ١٥٣-١٥٩ .

وقد امتدحه الشاعر التركي أسعد أفندي بأبيات رائعة قال فيها :

شهد المشاهد جاهدًا ومجاهدًا      ومكابدًا بحروبه ما كابدًا

حتى أتى بصلافة ومهابسة      في آخر الغزوات هذا المشهدا

قد مات مبطونًا غريبًا غازیًا      فغدا شهيدًا قبل أن يستشهدا

أنظر: على محمد الصلابي، الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي ، ص ٣٨٨ .

Lewis , Naval Power and Trade in the Mediterranean A.D. 5000- 1100, Princeton -٢ 1951 , p. 61 .

العسير المثال حينذاك ، ومع ذلك ، فإن تلك المحاولة على الرغم من عدم توفيقها ، فإنها تثبت لنا إتساع دائرة الطموحات الإسلامية خلال تلك المرحلة ، وإن استمرت محاولاتهم كما حدث عام ٧١٧م ، ١٤٥٣م . إلى أن قدر لهم فى نهاية المطاف فتحها فى العام الأخير.

أما بالنسبة لأبرز الأعلام فى عهد الأسرة الهرقلية فنذكر منهم؛ المؤرخ يوحنا الأنطاكي الذى ألف كتاباً تناول فيه الأحداث منذ آدم حتى آخر أيام فوكاس عام ٦١٠م<sup>(١)</sup>.

وهناك أيضاً المؤرخ المجهول لحولية الفصح المعروفة باسم Chronicon Paschale<sup>(٢)</sup>.

أما فى مجال اللاهوت نذكر يوحنا الدمشقى<sup>(٣)</sup> (٦٧٦-٧٦٠م) وهناك من يقرر أن أفضل أعماله كتابه «ينبوع المعرفة» الذى عرض فيه للعقيدة المسيحية متأثراً بالمنطق الأرسطى.

كذلك لانغفل الراهب موسخوس Meschos<sup>(٤)</sup> (يوكراتاس) (ت ٦١٩م) والذى أقام فى دير القديس ثيودوسيوس St. Theodosius بالقرب من بيت المقدس ، وقد تصادق مع

١- عنه أنظر: أسد رستم ، الروم ، ج ١ ، ص ٢٨٤ .

٢- عنه أنظر: المدخل الجيولوجى .

٣- عنه أنظر : أسد رستم، المرجع السابق ، ص ٣٤١-٣٤٢ . اليكسى جورافسكى ، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم : ط . دمشق سنة ٢٠٠٠م ، ص ٦٨ ، حاشية (١) . تجدر الإشارة إلى أن يوحنا الدمشقى شارك فى المناظرات التى كانت تعقد للمقارنة بين المسيحية والإسلام وكل طرف كانت له وجهات نظر المدافعة عن ديانتهم بطبيعة الحال، وامتدت رحلتهم السجال الدينى من القرن السابع الميلادى فصاعداً وشارك فيها المسلمون بمؤلفات من أمثلتها :

الملاحظ (ق-٩م) الرد على النصارى ، الغزالى (ت ١١١١م) الرد الجميل فى بيان الهيئة المسيح بصريح الانجيل تحقيق ، محمد عبد القادر الشرقاوى ، ط . القاهرة ١٩٨٦م . ط . القاهرة ب-ت ، الخرجى القرطبى (ت ١١٨٦م) بين الإسلام والمسيحية ، تحقيق محمد شامه ، ط . القاهرة ١٩٧٣م ، الامام القرطبى (ت ١٢٧٢م) الإعلام ، تحقيق حجازى السقا ، ط . القاهرة ١٩٨٠م ، القرافى (ت ١٢٨٥م) الأجوبة الفاخرة ، القاهرة ، د . ت ، الخطيب السكندرى (ت ق ١٣م) ، دولة الوندانية فى الرد على الحملة النصرانية، تحقيق خليل الحاج ، ط . القاهرة ١٩٨١م ، البوصيرى ، منظومة الامام البوصيرى فى الرد على النصارى واليهود ، ط . القاهرة (ت ١٣٤٩م) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ، ط . القاهرة ب-ت .

٤- عنه أنظر : Nicol, A Biographical Dictionary, p.93 .

John Moschos , The Spiritual Meadow (Pratum Spirituale), trans. by John Wortley , Kalamazoo . Michigan 1992 , pp. XVI - XVII.

سفر ونيوس بطريك المدينة المقدسة وتنقل بين مصر وقبرص وروما ، واشتهر بكتابه المرج الروحي Pratum Spirituale, The Spiritual Meadow .

مهما يكن من أمر؛ ذلك عرض عن الأسيرة الهرقلية ، وقد ظهر بجلاء من خلاله كيف أن الإمبراطورية البيزنطية شهدت تغيرات جذرية في مختلف المجالات السياسية ، والحربية ، والثقافية <sup>(١)</sup>؛ على نحو كشف عن أن عصر تلك الأسيرة شكل مرحلة فارقة في التاريخ البيزنطي .

أما إذا قارنا بين تلك الأسيرة والأسرات السابقة عليها ، من الممكن أن نجد تشابهاً بينها وبين أسيرة جستنيان ؛ إذ أن القرن السادس شهد انفصال المقاطعات الغربية من خلال تنامي القوة الجرمانية ، أما القرن التالي وهو القرن السابع فقد شهد اقتطاعاً لعدد من المقاطعات من خلال الضغط العسكري العربي والقياس مع الفارق بطبيعة الحال . وبوجه عام يتأكد لنا من خلال دراسة الأسيرة الهرقلية أن الخطر قدم من الشرق في صورة الفرس والعرب مع ملاحظة أن جهة الشرق ستظل تمثل الخطر الأكبر المستمر لبيزنطية حتى اللحظة الأخيرة . من تاريخها دون أن تتمكن من إيجاد حل لها .

ولانغفل كذلك؛ أن كلاً من الإمبراطورين ، جستنيان وهرقل قاما بحركة استرداد ضد الجرمان والفرس ، غير أن جهدهما في ذلك المجال ذهب أدراج الرياح ، وأن اختلف كلاً منهما في جهد الصراع كما أوضحت .

ومع ذلك ، فالأمر المؤكد أن سياسة جستنيان من خلال شراء السلامة مع الفرس بالذهب ليتفرغ للصراع مع الجرمان جعلت قوتهم تتنامى على نحو جعل الأمر شاقاً أمام هرقل فيما بعد عندما اتجه إلى محاربتهم ، واسترداد ما أخضعوه من مقاطعات الإمبراطورية . ذلك أمر الأسيرة الهرقلية ؛ أما الأسيرة الآيسورية؛ فنتناولها في الصفحات التالية .

١ - عن تلك التغيرات بصفة عامة ؛ أنظر:

Haldon, Byzantium in the Seventh Century , The Transformation of a culture, Cambridge 1997 .

من أفضل الدراسات في مجالها .

عائشة سعيد أبو الجدايل ، الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي / الأول الهجري ، دراسة في التغيرات والتطورات ، الرياض ١٤١٥ هـ ، ص ١٦٩-٤٤٣ وهي دراسة علمية مفيدة أعدها باحثة سعودية وتخصصت في قرن واحد من قرون التاريخ البيزنطي الممتدة ووقفت في دراسته بحكم اقتصارها على مدة تعد بمثابة ١ / ١١ من التاريخ البيزنطي ومن هنا تكون الإضافة العلمية الحقيقية .

## رابعاً : الأسرة الأيسورية (٧١٧ - ٨٢٠ م) :

نتناول فى الصفحات التالية : عهد الأسرة الأيسورية التى حكمت الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة من ٧١٧ إلى ٨٢٠م؛ أى ما زاد على قرن من الزمان .

تولى الحكم فى تلك الأسرة تسعة أباطرة ، فى صورة ليو الثالث الأيسورى Leo III The Isaurian (٧١٧ - ٧٤١ م) ، وقسطنطين الخامس Constantine V (٧٤١ - ٧٧٥ م) ، وليو الرابع Leo IV (٧٧٥ - ٧٨٠ م) ، وقسطنطين السادس Constantine VI (٧٨٠ - ٧٩٧ م) ، والإمبراطورة إيرينى Irene (٧٩٧ - ٨٠٢ م) ثم هناك خلفاء الأيسوريين وهم : نقفور الأول Nicephorus I (٨٠٢ - ٨١١ م) وستوراكيوس Stauracius (٨١١ م) ، وميخائيل الأول رانجاب Michael I Rangab (٨١١ - ٨١٣ م) ، وليو الخامس Leo V (٨١٣ - ٨٢٠ م) ؛ وبصفة عامة سنركز الحديث على أبرز الأباطرة.

على أية حال؛ فإن الامبراطور المؤسس ليو الثالث، قدم من منطقة ايسوريا Isauria فى جنوب شرقى آسيا الصغرى ، ووصل إلى المنصب الإمبراطورى من خلال مؤامرة ، على نحو يؤكد لنا مقولة المؤرخ البريطانى إدوارد جيون Edward Gibbon السالفة الذكر من قبل ؛ وهكذا ؛ يندر أن نجد أسرة بيزنطية حاكمة دون مؤامرات هنا أو هناك خاصة فى نهاية عهد كل أسرة تقريباً على نحو صار معه الأمر كطابع تقليدى مميز للتاريخ البيزنطى، وبصورة لانجدها بنفس الدرجة فى تاريخ الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى.

بصفة عامة؛ من الممكن القول؛ بأن أهم أعمال الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى يمكن إجمالها على النحو التالى:

أولاً : مواجهة الحصار الإسلامى للعاصمة البيزنطية ٧١٧-٧١٨ م .

ثانياً : التشريعات القانونية .

ثالثاً : الحركة اللاأيقونية (١).

١- ليو الثالث الأيسورى؛ مؤسس الأسرة الأيسورية وقد حكم خلال المرحلة من ٧١٧ إلى ٧٤١ م. ومن المحتمل أنه قدم من شمالي بلاد الشام. وقد وصف بأنه عمل قائداً أو استراتيجوس لثيم الأناضول Ann-tolikon، وقد أعلنه جنوده كامبراطور بدلاً من ثيودوسيوس الثالث ، وفى ٢٥ مارس عام ٧١٧ م تم تنويجه كامبراطور فى القسطنطينية ، وبعد ذلك بستة أشهر ، واجه أمر الحصار الذى فرضه المسلمين على العاصمة البيزنطية، وقد توفى فى يونيو ٧٤١ م، عنه أنظر: =

ولاريب ، فى أن تلك الأعمال ضمنت لمؤسس الأسرة الأيسورية مكانة بارزة فى التاريخ البيزنطى.

وفيما يتصل بالأمر الأول : من الملاحظ أن المسلمين فى عهد الدولة الأموية اتجهوا إلى حصار القسطنطينية وذلك فى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك وبالتحديد فى المرحلة بين عامى ٧١٧-٧١٨م<sup>(١)</sup>، وقد بذلوا فى تحقيق هدفهم مجهودات مضيئة ؛ إلا أنهم عجزوا عن فتحها ، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل يمكن إيجازها كالآتى:

Browning, The Byzantine Empire, pp. 53-56 .

Nicol, A Biographical dictionary, pp. 72-73 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State , pp. 138-147 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire. p. 194 , p.230 , pp. 252-253 .

Hussey, The Byzantine World , p. 28-31 .

Norwich, Short History of Byzantium, pp. 110-113 .

وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى، ط . الاسكندرية ١٩٨١م.

والدراسة الأخيرة أفضل دراسة عربية فى موضوعها .

١- عن تفاصيل حملة المسلمين ضد القسطنطينيين عام ٧١٧-٧١٨م أنظر:

Theophanes, The Chronicle of Theophanes . p. 88 ,

ابن خياط ، تاريخ ابن خياط ، تحقيق مصطفى نجيب نوار وحكمت نوار ، ط. بيروت ١٩٩٥م، ص ٢٠١-٢٠٢ ، الطبرى، تاريخ الرسل والملوك ، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ج ٦، ص ٥٣٠-٥٣١ ، ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ١١٤ ، وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى ، ص ١٢١-١٧٥ ، ايناس أحمد السيد عباس، صراع القوى فى البحر المتوسط بين البيزنطيين والعرب فى الفترة من ٢٥-٢٣٢هـ / ٦٤٥-٨٤٦م، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد دراسات البحر المتوسط . جامعة الاسكندرية عام ٢٠٠٥م، ص ١٢٠-١٢٩ ، عمر عبد السلام تدمرى ، لبنان من الفتح الاسلامى حتى سقوط الدولة، الأموية ١٣-١٣٢هـ / ٦٣٤-٧٥٠ ، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ج ١ ، ص ٢٤٤-٢٤٩ ، فتحى عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢ ، ص ٨٦-٩٥ .

Brooks. " The Campaign of 716- 718 from Arabic sources", J. H. S., T. XIX , 1899, pp.

19-31 . Lewis , Naval Powers and Trade . pp. 66-67 .

Hussey . The Byzantine World , p. 28 .



أولاً: المناعة الطبيعية والصناعية للقسطنطينية بحيث لم يكن من الممكن للأسطول الإسلامي تحقيق نجاحات فعلية في مواجهتها ، كذلك لانغفل أمر دفاع البيزنطيين عن عاصمتهم.

ثانياً: نجاح البيزنطيين من خلال عمليات التجسس المختلفة في معرفة استعدادات الأمويين نحو حصار مدينتهم ، ولذلك تجهزوا من أجل حصار أموي طويل ، وعملوا على تخزين السلع التموينية؛ مما عكس أهمية «سلاح المعلومات» في ذلك العصر وفي كل عصر في واقع الأمر.

ثالثاً: استخدام البيزنطيين لسلاح فتاك في صورة النار الاغريقية Greek Fire<sup>(١)</sup> التي اخترعها مهندس يدعى كالينيكوس Kallinikos ، وقد فتكت بعدد كبير من قطع الأسطول الأموي وكانت من العوامل الفعالة والمؤثرة في حسم الصراع لصالح البيزنطيين .

رابعاً: كان شتاء ٧١٧ - ٧١٨ م قاسياً لم يألغه المسلمون، وخلالها نزلت من السماء كرات الثلج<sup>(٢)</sup>، وهكذا؛ فإن البيئة الجغرافية الأوربية لم تكن ملائمة لهم، ولانغفل أنه في العصور القديمة، والوسطى بصفة عامة؛ كانت الجغرافيا توجه التاريخ، ثم أن التاريخ ذات ما هو إلا صراعاً على الجغرافيا بأبعادها المختلفة مع عدم إغفال دور الإنسان نفسه كفاعل تاريخي بطبيعة الحال.

#### ١- عن النار الاغريقية أنظر:

Theophanes, p. 52 , note (114) .

Enan , Decisive moments in the History of Islam , New Delhi 2001, pp. 109-126 .

سعاد ماهر، البحرية في مصر الاسلامية، ص ٢٣٣ - ص ٢٣٤، وسام عبد العزيز فرج، «النار الاغريقية طبيعة تركيبها وأثرها في نشاط المسلمين البحري، ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ١٤٣، ص ١٥٦. طارق منصور، «النار الاغريقية - قراءة جديدة في ضوء المصادر البيزنطية والإسلامية»، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، م (٤)، عام ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ م، ص ١١٥ - ص ١٥٩. طارق منصور ومحاسن الرقاد، النفط: استخدامه وتطوره عند المسلمين ٦٤ - ٩٢٣ هـ / ٦٨٤ - ١٥١٧ م، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص ١٢ - ص ١٧.

٢- عن الظروف المناخية القاسية في شتاء ذلك العام أنظر: =

خامساً : الأمر المؤكد ؛ أن وصول ليو الثالث الأيسوري للمنصب الإمبراطوري مثل نقطة تحول مهمة من خلال قيادته للإمبراطورية البيزنطية خلال تلك الظروف العصيبة، وقد اتجه إلى التحالف مع عناصر الخزر<sup>(١)</sup>، والبلغار كي يدعم قوته في مواجهة المسلمين ، وهو أسلوب بيزنطى معتاد ، وتكرر مرات مختلفة على مدى التاريخ .

على أية حال ؛ هناك من المؤرخين الأوروبيين من أصابتهم عقدة «الإسلاموفوبيا» دون أى مبرر ، وقد نظروا للإمبراطور المذكور على أنه المخلص لشرقى أوروبا مما وصفوه بأنه الخطر الإسلامى واهتموا بإبراز دوره فى التصدى للأسطول الإسلامى أكثر من إبرازهم لأية أدوار

---

= شارلز أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٤٦ .

وأود أن أورد ما ذكره ذلك المؤرخ حيث قال : «كان نزول الجليد لا ينقطع أبداً مدة إثني عشر أسبوعاً واستطاع ليو أن يفخر مثل القيصر نقولا بأن ديسمبر ، ويناير وفبراير كانوا أعظم قواده لأن تلك الشهور أهلك الجند المسلمين بشكل مخيف، ولم يستطع المسلمون الذين يرتدون الملابس الخفيفة أن يقاوموا الجوع وماتوا كالذباب من الدسطاريا ، والبرد» .

ولا أحتاج -فى الواقع- إلى التعليق على ذلك المؤرخ المتعصب الذى ألف كتابه وقت أن كانت بريطانيا تلقب نفسها بالعظمى فانعكس ذلك على استعلائية كتابته التاريخية .

١- عن العلاقات البيزنطية مع الخزر بصفة عامة أنظر:

Noonan, " Byzantium and The Khazars aspecial relationship ? " in Shepard (J.) and Franklin (S.) , eds . Byzantine Diplomary , Papers from the twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies Cambridge 1990, Hampshire 2003, pp. 109-132 .

محمد محمد مرسى الشيخ ، «الخزر وعلاقاتهم بالإمبراطورية البيزنطية» ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، العدد (٤) عام ١٩٨٠م، ص ٣٤٨- ص ٣٧٧ .

وعن العلاقات بين تلك الامبراطورية فى عهد ليو الثالث الأيسورى، والخزر أنظر: محمد عبد الشافى المغربى، مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين ، ص ١٠٦- ص ١١١ .

وعن الخزر بصفة عامة انظر الدمشقى ، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر تحقيق مهن ، ط . لبيزج ١٩٢٣م، ص ٢٦٣ . ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، تحقيق سامى الدهان، ط . بيروت ١٩٨٧م، ص ١٦٩- ص ١٧٢ .

دنلوب ، تاريخ يهود الخزر ، ت . سهيل زكار ، ط . دمشق ١٩٩٠م وأيضاً : بارتولد الترك، فى آسيا الوسطى، ت . أحمد السعيد سليمان، ط . القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٦٣- ص ٦٤ .

تاريخية أخرى له وقد تشابه موقف أولئك المؤرخين الذين هلكوا لهزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء أوتور Tours أو بواتييه Poitiers التي جرت وقائعها - بعد ذلك بأعوام قليلة بفرنسا- بين والى الأندلس عبد الرحمن الغافقي، وقواته، وبين ملك الفرنجة شارل مارتل عام ٧٣٢م<sup>(١)</sup>، وحاولوا الربط بين إنكسار المسلمين أمام القلب البيزنطي المتين عام ٧١٧م، والهزيمة من جانب الفرنجة في فرنسا ويمكن الرد على ذلك من خلال ما قاله المؤرخ الفرنسي المنصف جوستاف لوبون عندما قرر أن أسوأ يوم في تاريخ أوروبا عندما هزم المسلمون في تلك المعركة ؛ لأنه كان على أوروبا الإنتظار عدة قرون، من أجل أن تلتقى بالمسلمين وتتأثر بحضارتهم<sup>(٢)</sup> من خلال الحروب الصليبية ، فكانت شهادته المنصفة كلمة حق كالنور وسط دياجير الظلام.

١- عن معركة بلاط الشهداء أنظر: ابن الأثير ، الكامل، ج ٥، ص ٦٤ ؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤ ، ص ١١٤ .

أيضاً : مونتجومري وات، في تاريخ اسبانيا الإسلامية (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيه، ت محمد رضا المصري، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ٣١- ٣٩ ، على حسين الشطشاط ، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٧١- ٧٥ .

Fouracre, The Age of Charles Martel, Essex 2000, p. 148-149 .

صبحى عبد الحميد ، معارك العرب الحاسمة، ط. بيروت ١٩٨٣م، ص ١٧٣- ١٨٤ ، عبد الفتاح الغنيمي، معركة بلاط الشهداء، في التاريخ الاسلامى والأوربي، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٥١- ١٠٩ .

وفاء عبدالله المزروع، جهاد المسلمين خلف جبال البرتات من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجرى . ط . القاهرة ، ب-ت. ص ١٠٨- ١٣٩ حيث تقدم تناولاً مفصلاً للمعركة المذكورة ، خليل السامرائي ، وعبد الواحد ذنون طه، وناطق صالح، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط. بيروت ٢٠٠٠م، ص ٥٨- ٦٠ ، حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص ٣٢٧- ٣٣٠ ، منى حشّش محمود ، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة ٩٢- ٢٠٦ هـ / ٧١٤- ٨١٥م، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص ١٤٩- ١٥٠ ، نور الدين خاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص ٨٨ .

ومن المهم هنا الإشارة أن المسلمين في أعقاب تلك المعركة، عملوا على استرداد مراكزهم السابقة، وقد استقروا بفرنسا قرنين من الزمان ، ومن المعروف أن حاكم مرسلية سلم لهم مقاطعة بروفانس في عام ٧٣٧م ، واستولوا على الآرل، ودخلوا مقاطعة سان نرويز عام ٨٨٩م، واستمر وجودهم في بروفانس حتى ختام القرن ١٠م. عن ذلك انظر: جوستاف لوبون، حضارة العرب، ت. عادل زعيتر، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٣١٦ .

٢- المرجع السابق ، ص ٣١٧ . =

وهكذا ؛ يتضح لنا أن مثل تلك الأحداث تكشف لنا عن الجوانب النفسية العدوانية لدى الغرب الأوروبي أكثر من أى شئ آخر، وقد ردد أحد كبار المؤرخين العرب فى مجال الدراسات البيزنطية عبارة هذا نصها «مع فشل هذه الحملة تبدأ عظمة ليو كرجل وقف ضد الزحف الإسلامى إلى أوروبا، حتى أنه يقال ، أنه لولا ليو الأيسورى لانتشر الإسلام فى أوروبا كما تنتشر النار فى البرارى<sup>(١)</sup>»؛ وهى عبارة من الممكن قبولها - فقط- فى حالة ايراد عبارة « من وجهة نظر بيزنطية ، ويلاحظ أنه الآن، ينتشر الإسلام فى أوروبا من خلال قدراته الذاتية كدين يملك القدرة على الحوار مع الأديان الأخرى، والأمر المؤكد أن الإسلام قويا<sup>(٢)</sup> أو الرعب من الإسلام ، وهم غربى إنعكس على معالجات قطاع من المؤرخين الأوروبيين للعلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى دون مبرر منطقي، وما زال يتزعزع حالياً فى ظل الوضع الدولى المتأزم الراهن !

= يقول جوستاف لويون : «ولكن لنفرض جدلاً أن النصارى عجزوا عن دحر العرب ، وأن العرب وجدوا جو شمالي فرنسا غير بارد، ولا ماطر كجو أسبانيا فطابت لهم الإقامة الدائمة به، فماذا كان يصيب أوروبا؟ اكان نصيب أوروبا النصرانية المتبررة مثل ما أصاب اسبانيا من الحضارة الزاهرة تحت راية النبی العربی ، وكان لا يحدث فى أوروبا التى تكون قد هذبت ما حدث فيها من الكبائر كالحروب الديية ، وملحمة سان بارثلمى، ومظالم محاكم التفتيش وكل ما يعرفه المسلمون من الوقائع التى ضرجت أوروبا بالدماء عدة قرون»، ص ٣١٧ .

١- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٩٨ .

٢- عن ذلك أحيل القارئ إلى هذه الدراسة الممتازة التى أعدها باحث أمريكى معاصر:

جون ل. اسبوزيتو، التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

وتعد أفضل دراسة كتبها باحث غربى عن ظاهرة الاسلاموفوبيا أو الرعب من الإسلام ، ونجد لها عرضاً مفيداً لدى:

حاتم الطحاوى ، «جون ل. اسبوزيتو، التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ؟ ترجمة / قاسم عبده قاسم ، ٢٠٠١، ٤٢١ .

J. Esposito, The Islamic Threat Myth or Reality, Oxford 1999 .

حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٣)، عام ٢٠٠٣م، ص ٢٩٧- ٣٠١ ، أيضاً:

ابراهيم نافع ، جنون «الخطر الأخضر» وحملة تشويه الإسلام ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ١٦٧-

ص ١٨٣ .

مهما يكن من أمر؛ فالملاحظ أن هناك مواجهة أخرى حدثت بين قوات ذلك الامبراطور والمسلمين في معركة اكرونيون Acronion عام ٧٤٠م وهي التي هزم فيها الآخرون واستشهد فيها عبدالله البطل (١).

أما الزاوية الثانية الخاصة بالجانب القانوني؛ فيلاحظ اتجاه ليو الثالث الأيسوري إلى الاهتمام بالناحية التشريعية وقد ارتبط إسمه بمجموعة قانونية عرفت باسم الاكلوجا -Eclo-ga (٢) أو المختارات القانونية التي صدرت عام ٧٢٦م، وقد دفعته عدة دوافع نحو إصدارها؛ إذ أن قوانين الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) وضعت باللاتينية، وأراد ليو الثالث أن يضع قوانينه باليونانية، بعد أن تقلصت مساحة الإمبراطورية نتيجة لتوسعات المسلمين، والسلاف، وفقدت أغلب المقاطعات الشرقية كذلك فإن احتياطات الإمبراطورية البيزنطية الاقتصادية والاجتماعية تطورت على مدى المرحلة الواقعة فيما بين القرنين السادس، والثامن الميلاديين، ولذلك احتاجت إلى قوانين تتفق مع ذلك التطور (٣).

وقد وقعت الاكلوجا في (١٨) فصلاً احتوت على جوانب متعددة في القانون المدني (٤)، منها ما اتصل بالزواج، والميراث، والودائع والامانات، وتوزيع المغانم، وغيرها.

١- عن ذلك انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ١٩١، ابن كثير، البداية والنهاية، ط. بيروت ١٩٩٨م، ج ٩، ص ٣٨٤-٣٨٧.

وعن عبدالله البطل انظر:

رشاد محمد خميس، سيرة سيد بطل غازي في القصص الشعبى التركى وأثر الصراع الإسلامى البيزنطى فيها، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٨م. السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية، ص ١٦٧، محمد فتحى عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٣، ص ٢٨٣-٢٨٤.

٢- عن الاكلوجا أنظر:

Spulber, L' Eclogue des Isauriens, Texte, Traduction, et Histoire, Ceruantzi 1929.

Hussey, The Byzantine World, p. 30, p. 43, p.132.

Browning The Byzantine Empire, p. 53.

Vasiliev, Histoy of the Byzantine Empire, pp.242-244.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 134, p. 141.

Nicol, A Biographical dictionary, p.73.

والمدخل البيليوغرافى.

٣- نعيم فرح، الحضارة البيزنطية، ص ١٣٥.

٤- تكونت الاكلوجا من ١٨ فصلاً موزعة كالاتى: =



جدير بالذكر ؛ على الرغم من استفادة الاكلوجا من قوانين جستنيان ، إلا أنها اختلفت عنها فى بعض الجوانب، بل كانت متقدمة عنها- وهو أمر متوقع- وقد فرضت عقوبات موحدة على الجرائم التى تتشابه ويرتكبها الأمراء أو العامة ، بينما كانت العقوبات فى قوانين جستنيان تفرض وفق الوضع والمكانة الاجتماعية للشخص الذى قام بارتكاب الجريمة<sup>(١)</sup>.

وقد تأثرت الاكلوجا بالأعراف والعادات الشرقية أكثر من قوانين القرن السادس م، ونجد فيها احتراماً أكبر لعقد الزواج، وكذلك حقوق الزوج، والأبناء ، وقد ظهر فيها التأثير المسيحى أكثر من ذى قبل<sup>(٢)</sup>.

كما أن هناك القانون الزراعى *Leges rusticae* ويتكون من ٨٥ مادة قانونية .

ولانغفل كذلك ؛ صدور القانون البحرى *Lege navales* ، والهدف منه تنظيم التجارة البحرية، وقد احتوى على سجل للعادات ، وكذلك التقاليد التى تم مراعاتها فى أمور الملاحة البيزنطية .

أما القانون العسكرى *Leges Militares*<sup>(٣)</sup>؛ فيلاحظ أنه تناول على نحو أساسى العقوبات التى كانت تفرض على الجنود عندما أقدموا على ارتكاب الجرائم مثل التمرد ، أو الفرار، ونحوها ، ومنطقتى تصور أن مثل ذلك القانون هدف إلى فرض الانضباط فى الجيش البيزنطى ليتمكن من تحقيق الأهداف المناطة به .

---

= الخطوبة ٢- عقد الزواج بين المسيحيين ٣- جهاز العروس وصادقها ٤- هدايا العروس ٥- الوصية والأشخاص الذين يحق لهم الوصية ٦- الإرث والورثة ٧- البتامة والوصاية عليهم. ٨- تحرير العبيد والاستعباد ٩- البيع والشراء بموجب عقد مكتوب أو التعهد الشفهى والعرايين التى تم دفعها . ١٠- الديون والقروض ١- الدائع والأمانات ١٢- الضمان والتأمين ١٣- الإيجار والاستئجار ١٤- الشهود المقبولة شهادتهم وغير المقبولين ١٥- اتفاقيات الصلح ١٦- أملاك الجند، ١٧- العقوبات على ارتكاب الجرائم، ١٨- توزيع غنائم الحرب.

عن ذلك انظر : نعيم فرح ، الحضارة البيزنطية، ص ١٣٦- ص ١٣٧ .

١- نفسه ، ص ١٣٧ .

٢- نفسه ، نفس الصفحة ، عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١١٩ .

٣- نعيم فرح ، المرجع السابق، ص ١٤١- ص ١٤٢ ، عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ١١٨-

ص ١١٩ .

وهكذا ؛ صارت القوانين التى صدرت فى عهد الامبراطور ليو الثالث الأيسورى وسيلة من أجل تدعيم السلطة الامبراطورية من ناحية ، وكذلك إخضاع شعوب الامبراطورية لسلطة قانونية واحدة تتفق مع الاحتياجات المتطورة لشعوبها ولاشك فى أن القانون كان عنصراً فاعلاً من وراء استمرارية تلك الامبراطور أحد عشر قرناً من الزمان مع عدم اغفال أهمية العوامل الأخرى بطبيعة الحال.

أما فيما يتصل بالحركة اللاأيقونية؛ فمن الملاحظ أن التدين العاطفى للشعب البيزنطى دفعه إلى التعلق الزائد بصور القديسين أو الأيقونات Icons<sup>(١)</sup> فتم تقديسها ، وهناك من يقرر أنه منذ القرن الثامن الميلادى؛ حدثت مبالغة فى التعلق بالأيقونات وتقديسها وصارت تلك الصور فى الكنائس ، والأديرة وكذلك فى كافة المنشآت المدنية الخاصة ، العامة ، وصار الناس يسجدون أمامها تقديساً لها<sup>(٢)</sup>؛

على أية حال؛ كان ليو الثالث الأيسورى من أيسوريا Isauria بآسيا الصغرى Asia Minor من منطقة لم تكن تمارس فيها عبادة الأيقونات وبالتالى ؛ أراد تخليص الإمبراطورية مما اعتقد أنه «البدعة» التى عارضها عدد من كبار آباء الكنيسة من قبل .

كذلك ؛ لانغفل التأثير الإسلامى ، فالمسلمون كانوا ينظرون باستهجان لقيام البيزنطيين بالسجود أمام صور القديسين كما أن الخليفة يزيد بن عبد الملك (٧٢٠-٧٢٤) أزال الأيقونات الموجودة ، وقيل إن ذلك كان يدافع من تأثير أحد اليهود<sup>(٣)</sup>. وهكذا ؛ فإن العلاقات بين

١- كلمة أيقونة Icon مشتقة من الفعل Eiko فى اليونانية ومعناه يشبه أو يماثل ، والاسم Eikon يعنى صورة أو صورة مقدسة، ويسمى محطم الصور ايكونوكلاست Iconoclast ، ومعارضة عبادة الأيقونات تسمى ايكونوكلاسم Iconoclasm ، عن ذلك أنظر: إبراهيم طرخان ، الحركة اللا أيقونية فى الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٥٦م، ص ٦ .

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٢١ .

٣- عن ذلك أنظر : " The Iconoclastic Edict of the Caliph Yazid II A.D. 721 " Vasiliev; D.O.P., Nos . 9-10 , Massachastes 1956, pp. 24-47 .

سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص ١٢٩ ، سيده كاشف ، مصر فى عصر الولاة ، ط. القاهرة ب-ت ، ص ١٢١ ، قاسم عبده قاسم ، أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص ٣٤ ، حسان حلاق، تعريب النقود والدواوين فى العصر الأموى الحياة المالية والاقتصادية والادارية ، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص ٥٨ وبصفة عامة؛ أفضل دراسة بالعربية عن التأثيرات المتبادلة بين الجانبين العربى والبيزنطى هى: فتحى عثمان، الحدود الإسلامية بين الاحتكاك الحرى والاتصال الحضارى، ٣ أجزاء ، ط. القاهرة ١٩٦٦م. =

الطرفين لم تكن كلها ذات طابع حربي عدائي ، بل امتد الأمر للجوانب الدينية، ومن المفترض حدوث حوار أو جدال ديني بين الجانبين .

من جهة أخرى؛ أراد ذلك الامبراطور الحد من نفوذ رجال الكنيسة ، وكذلك الحصول على دعم النساطرة، واليعاقبة، وبالتالي ؛ يمكن القول أن هناك عدة دوافع وراء تلك التغيرات على المستوى الديني في عهد ليو الثالث الأيسوري كما أن هناك عدة نتائج على الصعيد الدولي فُحِمت عن تلك السياسة كما سيتضح لنا.

مهما يكن من أمر؛ تم عقد مجلس شارك فيه عدد من الأساقفة عام ٧٢٦ م<sup>(١)</sup> بعد تسع سنوات من توليه الحكم- وتم فيه الإقرار بإزالة كافة الصور والتماثيل ذات الطابع الديني من

---

= وهي في الأصل أطروحة دكتوراه من كلية الآداب- جامعة القاهرة إشراف الراحل أ.د. حسين مؤنس بعنوان الثغور الشامية والجزرية إلى عهد المتوكل العباس .

ومن المهم هنا الإقرار أنه بعد أربعين عاماً على صدورها يصعب وجود دراسة مماثلة لها باللغة العربية، دون اغفال أنها ألفت - بطبيعة الحال- بإمكانات الستينيات ، ولا يعد ذلك نقداً لها .

١- عن الحركة اللاأيقونية بصفة عامة أنظر:

Theophanes, pp. 93-94 .

Brubaker and Haldon , Byzantium in the Iconoclast Era ( ca 680-850) : The Sources, An annotated Survey, B.B.O.M., Birmingham 2001 .

Bryer and Herrin, Iconoclasm, Birmingham 1977 .

Martin, A History of the Iconoclastic Controversy, London 1978 .

Hussey, The Byzantine World , pp. 30-32 .

Angold, Byzantium , pp. 70-95 .

ابراهيم طرخان ، الحركة اللاأيقونية في الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٥٦م.

وعن الحركة اللاأيقونية في عهد ليو الثالث الأيسوري انظر:

Gero, Byzantine Iconoclasm during the Reign of Leo III , with Particular attention to the Oriental Sources, Louvain 1999 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 57-61 .

حسني ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٠٨- ص ١١٥ ، شارلز أومان، الإمبراطورية

البيزنطية، ص ١٤٩- ص ١٥٣ ، جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٢٣- ص ١٣٣ ، =

الكنائس ، كما تم تحريم تصوير السيد المسيح والسيدة مريم العذراء عليهما السلام وأدى ذلك؛ إلى اندلاع معارضة شديدة من جانب الرهبان وصغار رجال الدين ، إلا أن الامبراطور تمكن من إخضاعهم ، وتطور الأمر عندما وقف البطريرك البيزنطى حينذاك ضد الإمبراطور فقام الأخير بعزله عام ٧٣٠م، ولاريب في أنه أدرك أن مثل تلك الحركة التى رآها ضرورية من وجهة نظره لإصلاح المعتقد الدينى فى الامبراطورية ، محتاج إلى قبضة حديدية من أجل تنفيذها ومتبعتها .

وبلاحظ أن معارضة البطريرك للامبراطور مثلت حالة من الحالات النادرة فى التاريخ البيزنطى .

جدير بالإشارة؛ أن الأحداث التى وقعت فى بيزنطة لم تكن ذات بعد محلى محدود ، بل امتد تأثيرها خارج حدود الإمبراطورية وهنا مكن خطورتها ، فلم يكن فى الإمكان أن تقف البابوية فى روما مكتوفة اليدين حيال ما يحدث فى القسطنطينية ، وهكذا ؛ قام البابا جريجورى الثانى Gregory II (٧١٥ - ٧٣١م) بعقد مجلس دينى من أساقفة الغرب الأوروبى، وأصدر قراراً يعتبر ما قام به ، أولئك الذين يحاربون الأيقونات هرطقة<sup>(١)</sup> ، وامتد الأمر فى عهد البابا التالى؛ وهو جريجورى الثالث Gregory III (٧٣١ - ٧٤١م) الذى عمل على إنزال اللعنة على كل من يؤيد محطمي الأيقونات<sup>(٢)</sup>؛ مما عكس إتخاذه خطوة أقوى أبعد من السابقة التى اتخذها سلفه .

---

= محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٠١ - ص ١٠٢ ، محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١١٨ - ص ١٢٧ ، وسام عبد العزيز فرج، دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٧١ - ص ١٧٩ .

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٢٥ .

وجريجورى الثانى؛ بابا وقديس ، ولد فى روما عام ٦٦٩م من أسرة ثرية، وقد تولى المنصب البابوى من ١٩ مايو ٧١٥ إلى ١١ فبراير ٧٣١م، وبلاحظ أن يوم عيده يوافق ١١ فبراير، عنه أنظر :

Kelly , Oxford Dictionary of Popes, Oxford 1996 , p. 86-87 .

٢- جريجورى الثالث، بابا وقديس تولى منصبه خلال المرحلة من ٨ مارس ٧٣١م إلى ٢٨ نوفمبر ٧٤١م ، ووصف بأنه كان راهباً فصيحاً ، وتتمثل أهمية دوره فى معاصرته لمرحلة الصراع على الأيقونات ، عنه أنظر: Ibid. p. 88-89 .

Diehl, History of The Byzantine Empire. p. 59 .

لانغفل هنا ؛ أن أحداث التاريخ كانت تتلاحق خلال القرن الثامن الميلادي وفيما بعد على نحو زاد من التباعد بين كنيسة القسطنطينية وروما من خلال قطيعة فوشيسوس في القرن التاسع الميلادي ومن بعدها القرن الحادي عشر الميلادي عندما حدث الانشقاق الأعظم بينهما خاصة عام ١٠٥٤م فكانت نهاية رحلة طويلة وشاقة من الشكوك، والتنافس، والعداء المتبادل المتراكم والمتوالى عبر القرون ، الأمر الذي ستوضحه الصفحات التالية.

مهما يكن من أمر؛ توفي ليو الثالث الأيسوري عام ٧٤١م ، وذلك بعد أن أحدث تأثيراً مهماً في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية سياسياً، وعقائدياً على الصعيد الداخلي والخارجي.

ومن بعده ؛ تولى العرض البيزنطي ابنه قسطنطين الخامس<sup>(١)</sup> الذي حكم خلال المرحلة من ٧٤١ إلى ٧٧٥م ويعد عهده مكملًا ، وامتداداً لعهد والده من قبل، ويمكن إبراز أهم معالم التاريخ البيزنطي في عهده على النحو التالي؛

أولاً : سياسة تجاه عبادة الأيقونات .

ثانياً : الصراع مع المسلمين .

ثالثاً : مواجهة اللبارديين والبلغار .

جدير بالذكر ، أن قسطنطين الخامس حكم مدة زمنية أكثر إمتداداً من تلك التي حكمها والده ، إذ امتدت ٣٤ عاماً ، على حين حكم ليو الثالث ٢٤ عاماً فقط، وقد أعانه ذلك على مواصلة سياسته على نطاق زمني أكبر وإن كانت في معالمها العامة مكمله للعهد السابق .

---

١- عن الإمبراطور قسطنطين الخامس أنظر:

Theophanes, p. 125 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 234 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 147-155 .

Norwich , A Short History of Byzantium, pp. 113-115 .

Angold, Byzantium, p. 77-78 , pp. 78-84 .

Hussey, The Byzantine World, p. 28, p. 29, p. 31 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, pp. 53-55 .



وفيما يتصل بمواجهة عبادة الأيقونات ، أثبت الإمبراطور أنه أكثر تشدداً من والده، ولذلك خطى خطوات أبعد في عدائها ، وقد قام بعقد مجمع ديني عام ٧٥٤م حضره (٢٣٨) من الأساقفة في مدينة هيريا Hieria بالقرب من القسطنطينية<sup>(١)</sup> ، وقد أيدوا العقيدة اللاأيقونية، وتقرر أن من يعارض السياسة العامة للإمبراطورية تجاه تلك القضية سوف يتعرض للعقاب وفق القانون ، وبذلك يتضح لنا حرص ذلك الإمبراطور على الحصول على الشرعية الدينية قبل تنفيذ سياسته ويقدم ذلك نموذجاً على أن الدين كان في خدمة السياسة حينذاك .

هكذا ؛ تمكن قسطنطين الخامس من الحصول على دعم ذلك المجمع الديني لسياسته العدائية تجاه عبادة الأيقونات ، ومن الممكن القول أن عهده ظهر فيه الارتباط الوثيق بين السياستين الداخلية ، والخارجية فطالما أن الإمبراطورية كان يهددها الخطر الخارجي - كالبلغار على سبيل المثال- لم يكن الإمبراطور في مقدوره التوسع في سياسته اللاأيقونية، ولذلك ؛ فإنه عندما تمكن من توقيع إتفاق للصلح مع عناصر البلغار عام ٧٦٥م ؛ إتجه من بعد ذلك لفرض سياسته بقسوة، وعنف وتمثل عدوه الرئيسي في صورة عناصر الرهبان الذين تمسكوا بعبادتها وقد اتخذ ضدهم عدة إجراءات ، إذ أنه إتجه إلى تسميل عيون الرهبان المعارضين<sup>(٢)</sup>، ويلاحظ أن ذلك الأسلوب العقابي البشع يعد نمطاً تقليدياً في التاريخ البيزنطي على نحو يجعل المؤرخ المنصف يشعر بمدى الوحشية ، والرغبة الغير سوية في الانتقام ، وقد وصل ذلك الأسلوب إلى أبشع مراحل على يد الإمبراطور باسل الثاني في عهد الأسرة المقدونية كما سيتضح لنا فيما بعد مما دل على تواصله تاريخياً من بعد ذلك، كما أمر الإمبراطور بقطع

---

١- عن ذلك انظر :

Angold , Byzantium p. 79-80 .

Norwich, A Short History of Byzantium , p. 113 .

Talbot (ed.,) Byzantine defenders of Images Eight Saints Lives in English Translation

Dambarton Oaks , Washington 1998, p. X .

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٢٨ .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 60 .

Talbot (ed.), Byzantine defenders of Images , p. X .

السنة وأنوف معارضييه ، كذلك إتهجه إلى إيداعهم فى السجون أو إبعادهم من خلال النفى ، والتشريد (١) .

وهكذا؛ كشفت لنا سياسة ذلك الإمبراطور تجاه الرهبان الذين اعتقدوا فى عبادة الأيقونات ؛ عن رغبته فى عقاب معارضييه كأنهم أعداء حقيقيين للإمبراطورية البيزنطية وليسوا من أبنائها المخالفين فى معتقداتهم اتجاه الامبراطور ويمكن وصف السنوات العشر الواقعة بين عامى ٧٦٥م ، ٧٧٥م بأنها سنوات الحرب الأهلية الدينية العنيفة بين السلطة الحاكمة ، والرهبان مما عكس طول مدة الصراع ، والأمر المؤكد ؛ أن ليو الثالث الأيسورى كان أقل عنفاً تجاه معارضييه إذا ما قورن بالقسوة البالغة التى اتبعها ابنه من بعده ومن المفترض أنه فى حالة استمرار حربه ضد ما اتبع تلك السياسة ضد أولئك الرهبان .

من الملفت للانتباه أن من المؤرخين الأوروبيين المحدثين من إنبهر بالأباطرة اللاأيقونيين ، وصورهم على أنهم دعاة إصلاحيين ، وتم التفاضى على وسائل التنكيل ، والاضطهاد ، والتعذيب البشعة التى أثبتت أن الإمبراطورية عاشت وحينذاك مرحلة بالغة العنف من تاريخها ، وسوف تدفع الامبراطورية الثمن فادحاً فى صورة اتساع الهوة بينها وبين الغرب الأوروبى .

#### ١ - عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٨ .

ولانغفل أنه خلال تلك الأحداث ؛ قتل بعض الرهبان مثل القديس ستيقن الصغير St. Stephen The Younger ، وكان قد ولد فى العاصمة البيزنطية فى عام ٧١٥م ، وعندما حدثت الصراعات حول الأيقونات خلال عهد قسطنطين الخامس ، دافع عن عبادتها ، وقد تم قتله عام ٧٦٥م . ويقال أن الإمبراطور المذكور لم يشأ قتله وبذلك تتشابه تلك الحادثة مع حادثة تالية وقعت فى عهد الملك الإنجليزى هنرى الثانى Henry II (١١٥٤-١١٨٩م) عندما قتل أتباعه توماس بكت St. Thomas Beket رئيس أساقفة كنتيرى Canterbury ولاحظ أن عيد القديس ستيقن الصغير يقابل يوم ٢٨ نوفمبر ، عنه أنظر:

سفر أعمال الرسل ، الإصحاحين (٧ ، ٨) .

Life of St. Stephen The Younger, Trans. by Alice - Mary Talbot, in Talbot (ed.), Byzantine defenders of Images, pp. 9-12 .

John of Wurzburg, Description of The Holy Land , Trans . by A. Stewart , P.P.T.S., vol . XII, London 1892, p. 40.

Attwater, The Penguin dictionary of Saints , pp. 313-34 .

Diehl , History of The Byzantine Empire. p. 60 .

تجدر الإشارة؛ وجدت عبادة الأيقونات أنصاراً لها ودافعوا عنها أحياناً حتى الموت، وقد حفظ التاريخ لنا ضمن المصادر الهجيوجغرافية سير عدد منهم فى صورة القديس ثيودوسيا القسطنطينية Theodosia of Constantinople، والقديس ستيقن الصغير St. Stephen، والقديسة The Younger، والقديسة أنتوسا المنتينونية St. Anthousa of antineon، والقديسة أنتوسا ابنة الامبراطور قسطنطين الخامس St. Anthousa daughter of Constantine V، وهى تعكس حركات المعارضة ضد سياسة الأباطرة اللاأيقونيين خلال المرحلة ٧٢٦ إلى ٧٨٧م<sup>(١)</sup>. أما المرحلة التالية هى الممتدة من ٨١٥ إلى ٨٤٣ م، فلدينا سير حياة عدد من المعارضين فى صورة البطريرك نقفور الأول بطريرك القسطنطينية Patriarch Nicephoros I، وحياة القديسين ديثيد وسيمون وجورج لسبوس St. S. David, Symeon and George of Lesbos، والقديس ايونيكيوس St. Ieannikos، والقديسة الامبراطورة ثيودورا St. Theodora The Empress<sup>(٢)</sup>.

جدير بالإشارة؛ أن البابوية فى روما فى عهد قسطنطين الخامس بحثت عن حليف فى الغرب الأوربي من خلاله تتمكن من تحقيق أهدافها وتوجه من خلاله ضرباتها المتلاحقة تجاه الأباطرة اللاأيقونيين، إذ أن هجمات اللومبارديين فى إقليم رافنا بإيطاليا؛ جعلت البابوية تتجه صوب دولة الفرنجة، وتترك الإمبراطور البيزنطى، وظهر خلال تلك الأحداث ما عرف بهبة بين<sup>(٣)</sup> Donation of Pepin والتي بمقتضاها تردد أن الملك الفرنجى بين القصير Pepin The

١- عن تلك السير التى تعد مصدراً أساسياً عن تلك المرحلة أنظر:

Talbot (ed.), Byzantine defenders of Images pp.1 -21 .

وكذلك المدخل الجبلوغرافى .

٢- Ibid, pp. 25- 382 .

٣- هبة بين Pepin's Donation تنسب إلى بين القصير الذى عد آخر وزراء الميروفنجيين، وأول ملوك الأسرة الكارولنجية، وقد قرر فى أواسط القرن ٨ الميلادى الاستيلاء على التاج الميروفنجى سياسياً ودبلوماسياً وليس عن طريق القوة. وقد أرسل إلى البابوية فى روما بعثة يعرض عليها تساؤل عما إذا كان التاج الفرنجى يظل على رأس من هو بلا قوة، وأن يكون على رأس من بيد القوة الفعلية حتى لو لم يكن يحمل لقب الملك، ويقرر جوزيف نسيم يوسف أن البابا زكريا (٧٤١-٧٥٢م) وصف بالحكمة وأدرك أن من =

Short (٧٥١-٧٦٨م) منح البابا هبة بمقتضاها أعطاه الحق في حكم روما، ورافنا، وكان البابا حتى ذلك الحين يمارس سلطاته في روما من خلال النفوذ البيزنطي، وهكذا؛ دفع الأباطرة اللأيقونيون ثمن سياستهم على حساب النفوذ البيزنطي في إيطاليا .

أما السياسة البيزنطية تجاه المسلمين ؛ فقد حرص قسطنطين الخامس على تحقيق عدد من الانتصارات في مناطق الحدود البيزنطية - العربية حتى يطور الجهد الحربي الدفاعي الذي حققه والده ليو الثالث ، ويحقق وقوف الشعب البيزنطي وراء امبراطورهم المنتصر ضد أعداء الامبراطورية منذ عهد الإمبراطور هرقل ، .

على أية حال؛ حدثت تطورات تاريخية حاسمة إذ سقطت الخلافة الأموية عام ٧٥٠م وقامت في أعقابها الخلافة العباسية ، واستغل الإمبراطور توقف العباسيين عن محاربة بيزنطة لتحقيق بعض الانتصارات ، يلاحظ استغلاله لإضطراب أوضاع الأمويين قبل سقوطهم حيث استولى على مرعش عام ٧٤٦م وقام بترحيل سكانها ، ومن بعد ذلك بعد سقوط دولتهم تقدم في صراعه معهم وفي عام ٧٥٢-٧٥٣م اتجه إلى إخضاع ملطيه ، وبصفة عامة؛ نلاحظ تبدل الأدوار، فقد تحول المسلمون حينذاك من الهجوم في عهد الدولة الأموية حتى صاروا في موقف الدفاع، أما الدولة البيزنطية ؛ فقد تحولت من الدفاع في عهد ليو الثالث إلى الهجوم في عهد ابنه قسطنطين الخامس<sup>(١)</sup>، ويعكس ذلك الارتباط الوثيق بين الأوضاع الداخلية في الدولة الإسلامية ونجاح البيزنطيين في تحقيق مكاسب استراتيجية .

= الأفضل مملأته واكتسابه إلى جانبه وأجابه إلى صفه، وهكذا ؛ قام بن بنقل التاج من آخر الملوك الميروفنجيين؛ وهو شيلدريك الثالث عام ٧٥١م، وهو العام الذي يعده المؤرخون بداية عهد الأسرة الكارلوفنجية ويلاحظ أنه في عام ٧٥٤م، قدم البابا ستيغن الذي توفي من بعد البابا المذكور - قدم إلى غاله حيث توج بن ملكاً على الفرنجة ولانغفل أنه في عام ٧٥٤م أنزل ذلك الملك الهزيمة بالمباردين ، ووهب بن البابوية إلى جانب كيانه الروحي كافة إيطاليا كي تصبح ملكاً لها، عن هبة بن أنظر :

Angold , Byzantium , p. 102 .

هارتمان وباراكلاف، الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى، ص ١٤١ ، حاشية (٢) .

١- من المهم هنا الإشارة بهذه المقالة:

Brooks, " Byzantium and Arabs in The Time of The Early Abhasids", E.H.R., vol XV , 1900, pp. 728-747 .

أما فيما يتصل بمواجهة اللبارديين ؛ من الملاحظ أنهم عملوا على توجيه هجماتهم ضد النفوذ البيزنطى فى إيطاليا، وفى عام ٧٥١م حققوا إنجازاً كبيراً على حساب بيزنطة من خلال السيطرة على رافنا<sup>(١)</sup> Ravenna، وفيما بعد ؛ حدث صدام بين الملك بين القصير السالف الذكر ، واللبارديين ، وتمكن من هزيمتهم، ولم يكن يفعل ذلك للصالح البيزنطى، بل من أجل مصلحته العليا بطبيعة الحال ، وحاول الإمبراطور قسطنطين الخامس جاهداً مقاومة النفوذ البابوى، وكذلك نفوذ ملك الفرنجة بين دون جدوى ، وتأكد بالفعل أن النفوذ البيزنطى ينحصر عن إيطاليا وذلك مع ملاحظة استمراره فى كل من القسم الشمالى الشرقى فى البندقية Ven-ice ، وكذلك فى القسم الجنوبى .

وهكذا ، تأكد إخفاق ذلك الإمبراطور فى التعامل مع اللبارديين ، ومن المؤكد أن سياسته تجاه أنصار عبادة الأيقونات عجلت بارتقاء البابوية فى أحضان بين القصير ، وبالتالى دفعت بيزنطة الثمن فى ضياع قسم من أملاكها فى إيطاليا .

أما فيما يتصل بسياسته تجاه البلغار<sup>(٢)</sup> الذين شكلوا خطراً داهماً على الإمبراطورية ؛ نجد أنه إصطدم معهم فى عدة حملات خلال الأعوام من ٧٥٩ إلى ٧٧٥م ، ويلاحظ أنه تمكن

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٩ .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 174-176 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 151 .

٢- رجع البلغار إلى أصل تركى ، وقد استقروا فى بداية الأمر فى المنطقة الواقعة شمال البحر الأسود وبحر قزوين ، وهناك خضعوا لسيطرة عناصر الآقار ، وقد ضعفت تلك العناصر بعد فشل حصارها للقسطنطينية عام ٦٢٦م ، وهنا ثار البلغار عليهم ، وأيدت الإدارة البيزنطية موقفهم ضد الآقار ، وفيما بعد نتيجة لضغط عناصر الخزر اضطر البلغار إلى الاتجاه غرباً حتى وصلوا عا ٦٧٠م إلى دلتا نهر الدانوب، عن ذلك أنظر:

وسام عبد العزيز فرج، السلاف (الصقالبة) فى شبه جزيرة البلقان، ص ١٨٨- ص ١٨٩ .

وعن البلغار وعلاقة بيزنطة بهم أنظر:

Thephanes, p. 12 .

Stephenson, Byzantium's Balkan Frontier, A Political Study of the Northern Balkan 900-1204 , Cambridge 2000 .



من الإنتصار عليهم عام ٧٦٣م<sup>(١)</sup>، وتجددت إنتصاراته عندما تمكن من هزيمتهم فى عام ٧٧٣م، أى بعد عشرة أعوام من الانتصار السابق.

هكذا ؛ كانت جبهة البلغار موفقة النتائج بالنسبة لبيزنطة وإن مات الإمبراطور خلال إحدى المعارك معهم عام ٧٧٥م. وبذلك اتضح لنا أنه أخفق مع اللمبارديين ، ونجح مع البلغار مع عدم إغفال أن الصراع البيزنطى - البلغارى؛ لم ينته عند ذلك الحد ؛ بل استمر فى عهد أباطرة بيزنطة فيما بعد خاصة فى عهد الإمبراطور باسل الثانى ٩٧٦ - ١٠٢٥م.

من بعد عهد قسطنطين الخامس؛ تولى الحكم عدد من الأباطرة مثل ليو الرابع . وقسطنطين السادس ، وإيرينى ، ونقفور الأول، وستوراكيوس . وميخائيل الأول، وليو الخامس الأرمينى؛ ومع ذلك ؛ فمن المهم تسليط الضوء على عدد منهم ليس لكفاءتهم ، بل لوجود أحداث مميزة كشف فيها التاريخ البيزنطى عن بعض خصائصه التى قد لا تتضح فى يسر، وسهولة لدى عهود أباطرة بيزنطيين سابقين آخرين .

وبالنسبة ليو الرابع؛ الذى حكم خمس سنوات من ٧٧٥ إلى ٧٨٠م، نلاحظ أنه لم يكن له شأن بارز فى التاريخ البيزنطى، ومن بعده حكمت الإمبراطورة إيرينى<sup>(٢)</sup> باعتبارها وصية على

= هى أفضل دراسة فى الموضوع المذكور من خلال المعالجة العلمية وكذلك المصادر والمراجع المتعددة ، وهى أحدث ما كتب عن العلاقات بين الجانبين بالإنجليزية.

هانى عبد الهادى البشير، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة البلغار الأولى ٦٨١-١٠٨١ م . رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة طنطا عام ١٩٩٩م، وهى أطروحة ممتازة لباحث متمكن .

١- عن صراع قسطنطين الخامس مع البلغار أنظر:

Theophans, p. 13 .

Norwich, Short History of Byzantium , p. 11 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , p. 10-11 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, pp. 55-56 .

محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٠٦ - ص ١٠٨ .

٢- عن الإمبراطورة إيرين ومعنى اسمها «السلام» أنظر:

Theophanes , pp. 155-157 .

ابنتها قسطنطين السادس، وإمتد حكمها من ٧٨٠ - ٨٠٢ م ومن أهم ملامح عهدها إتجاهها إلى إعادة عبادة الأيقونات<sup>(١)</sup>، وبالتالي عارضت تمامًا سياسة ليو الثالث، وقسطنطين الخامس، كذلك اتجهت إلى عقد صلح مهين مع الخلافة العباسية عام ٧٨٣ م<sup>(٢)</sup>، حيث عاصرها الخليفة الذائع الصيت هارون الرشيد؛ وذلك كي تتفرغ لقضايا الداخل البيزنطي خاصة أنه لم يكن لها قبل بمواجهة ذلك الخليفة الذي بلغت الدولة العباسية في عهده مرحلة من أقوى مراحل تاريخها.

= عليه الجنزوري، الإمبراطورة إيرين، ط. القاهرة ١٩٨١ م.

Angold, Byzantium, p.84, p. 86.

Herrin, Women in purple Rulers of Medieval Byzantium, Princeton 2001, p. 51-129.

حيث خصصت المؤرخة الأمريكية جوديت هيرن الفصل الثاني من كتابها للحديث المفصل عن الإمبراطورة إيرين، وقد دافعت عنها دفاعاً مجيداً خاصة من خلال الخمس سنوات الأخيرة في حكمها.

من ناحية أخرى؛ لا يمكن دراسة عهد إيرين دون إدراك دور مهم لأحد الخصبان، وهو شثوراكيوس -Strau rakios الذي وصف بأنه مستشار الإمبراطورة واحتل مكانة بارزة «وتولى مهمة كل شيء» كما وصفه ثيوفانيس، ويلاحظ أنه شارك في الصراع مع العرب، كذلك حارب ضد السلاف في بلاد اليونان حتى البلبيونيز عام ٧٨٣ م، واحتفل بانتصاره في القسطنطينية في يناير ٧٨٤ م، وفي عام ٧٨٦ م، عاون الإمبراطرة المذكورة في مواجهة أعداء عبادة الأيقونات، وقد توفي في ٣ يونيو ٨٠٠ م، عنه أنظر:

O.D.B., vol. 3, p. 1945.

ولانفعل أن الخصبان لعبوا دوراً بارزاً في العصر البيزنطي الأوسط عن ذلك أنظر:

Ringrose "Eunuchs as Cultural Mediators", in Walter E. Kaegi (ed.) B.F., vol XXIII Amsterdam 1996, pp. 75-93, vol. XXIII.

١- نبيه عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ط. دمشق ١٩٦٩ م، ص ١٦٤.

٢- عن علاقات الإمبراطورة إيرين بالخليفة هارون الرشيد ودور الأخير في مواجهة بيزنطة أنظر: ابراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ط. بيروت ١٩٨٩ م، ص ٥٤.

وديع فتحي، العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، ص ٣٢٦، حيث يقدم عرضاً ممتازاً، أيضاً: محمود الحويري، اللومبارديين في التاريخ والحضارة، ٥٦٨ - ٧٧٤ م، ط. القاهرة ١٩٨٦ م، ص ١٦١.

Bosworth, Byzantium and the Syrian Frontier in the Early Abbasid Period, Bilad al-Sham

جدير بالذكر ؛ أرادت إيرين الإستحواذ على السلطة على حساب ابنها ، وكثيراً ما تأمرت عليه ، بعد أن تجردت من مشاعر الأمومة ، ووصل بها الأمر إلى حد قيامها بعد تنازلها عن العرش له عام ٧٩٠ بمواصلة مؤامراتها ، وقام أنصارها بالقبض عليه ، ومن خلال أوامرها قاموا بتسميل عينيه<sup>(١)</sup> يوم ١٥ أغسطس ٧٩٧م ، فى واقعة فريدة فى التاريخ البيزنطى .

إن المؤرخين الأوروبيين الذين انبهوا بأباطرة بيزنطة لم يقفوا طويلاً أمام ذلك المشهد الأسود الفريد فى مأساويته حيث تجردت إيرينى من كافة المشاعر الإنسانية واخترض عدم استوائها نفسياً دون إمكانية دعم ذلك من نصوص مصدرية أو مرجعية ، إلا أن الواقعة التاريخية يصنعه المؤكدة تدل بجلاء على ترجيح ذلك الاحتمال ، ولاتغفل هنا القول بأن التاريخ أحياناً الغير أسوأ من الناحية النفسية<sup>(٢)</sup> .

على أية حال؛ فتلك المرأة المتسلطة حصلت على لقب إمبراطور وظلت فى السلطة بعد أن جعلت مكانة بيزنطة الأدبية فى الحضيض ولذا؛ لم يكن غريباً أن أقدم البابا ليو الثالث<sup>(٣)</sup> Leo III (٧٩٥-٨١٦م) على تويج شارلمان Carlus Magnus فى ليلة عيد الميلاد من

= during the Abbasid Period ( 132- SA.H/ SA.P .750 - 491 A.H. ( A.p. 1059) Proceedings of the Fifth international confrence on the History of Bilad Al- Sham ed. by M. Albakhit , Amman 1991) , p. 59-60.

١- عن صراع الإمبراطورة إيرين مع ابنها وتسميل عينيه أنظر:

Norwich , A Short History of Byzantium , p. 117-118 .

Bosworth , Byzantium and the Syrian Frontier, p. 59 .

وديع فتحي، العلاقات السياسية بين بيزنط والشرق الأدنى الإسلامى ٧٤١ - ٨٢٠م. ط الاسكندرية ١٩٩٠م، ص ٢٦٩ .

٢- عن ذلك أنظر:

زهيرة الببلى، التاريخ يصنعه المرضى ، ط. القاهرة ١٩٨٥م ، وتقصد المؤلف فى المقام الأول المرض النفسى .

٣- ليو الثالث ؛ بابا وقديس ، تولى المنصب البابوى فى ٢٦ ديسمبر ٧٩٥م حتى ١٢ يونيو ٨١٦م ، وهو من أصل رومانى من جنوى إيطاليا ، وقد عمل راهباً ، وفيما بعد كردينالاً وينسب إليه أمر تويج شارلمان فى ليلة عيد الميلاد من عام ٨٠٠م ، وعرفت عنه كفاءته الإدارية ، ويلاحظ أن عيده يوافق يوم ١٢ يونيو، عنه أنظر =

عام ٨٠٠ م<sup>(١)</sup>، وذلك بعد أن أثبت براعته في محاربة اللومباردين ، ووفر الحماية للبابوية ، وقد أرادت الأخيرة خلق قوة سياسية كبيرة في الغرب الأوروبي تواجه بيزنطة ، وبالتالي؛ صارت هناك قوتان سياسيتان كبيرتان متنافستان تحاولان مخاطبة ود البابوية ؛ في القسطنطينية وأخن Aachen (أكس لاشابيل Aix La Chapelle عاصمة شارلمان .

لانغفل أن تلك الحادثة ، عدت حادثة محورية في تاريخ العصور الوسطى الأوربية على نحو جعل بعض المؤرخين يتصورون أن ميلاد تلك العصور يمكن أن يبدأ منذ عام ٨٠٠ م، وإن كان ذلك رأى مستبعد على أية حال؛ لعدم منطقيته نظراً لتأخره الزمني مع عدم إغفال مركزية الحادثة ذاتها كحادثة تاريخية لها شأنها في تاريخ الغرب الأوروبي في العصور الوسطى، وكذلك في علاقاته مع الشرق البيزنطى.

لقد ساعدت الإمبراطورة إيريني- دون أن تدري- ساعدت البابوية في توجيه صدمة قوية لبيزنطة ، لقد كان هناك الضعف السياسى، ثم السقوط الأدبى، ومن قبل كانت هناك سياسة الأباطرة اللأيقونيين . وأدى ذلك كله ؛ إلى أن توافرت الظروف التاريخية الملائمة لتتويج شارلمان خاصة أن الأخير أثبت كفاءته الحربية. ومهارته السياسية ، بالإضافة إلى زاوية التنصير التى سار عليها مثلما حدث من خلال تنصيره لعناصر السكسون، واستخدامه القسوة البالغة فى سبيل تحقيق ذلك إلى حد قيامه بمذبحة مروعة فى فردان Verden<sup>(٢)</sup> عام ٧٨٢ م،

---

= Kelly , Oxford dictionary of Poper pp. 97-99 .

١- عن تتويج شارلمان أنظر:

Einhard, Vita Caroli Magni, Trans . by Lewis Thorpe in Two Lives of Charlemagne by Einhard and Notker the Strammerer, Penguin Book London 1969, pp. 80-81 .

Theophanes, p. 157 .

Becher, Charlemagne, Trans. by David S. Balchrach , London 2003, pp. 7-17 .

ديفز، شارلمان ، ت. السيد الباز العرنى، ط . القاهرة ١٩٥٩م، ص ١٧٢-١٨٧ .

٢- عن موقف شارلمان من السكسون؛ أنظر:

Notker the Stammerer, in Two Lives of Vharlemagne , Trans.

By Lewis Thorpe, Penguin Book, London 1969, p. 136-137 .

وهي التي قتل فيها ٤٥٠٠ شخص منهم، وهكذا ؛ توافرت لديه كافة الشروط اللازمة ؛ من أجل تحالف البابوية معه ، مع إدراك أن البابوية دائماً ما تحالفت مع الأقوى على مدى تاريخها خلال حقبة العصور الوسطى.

على أية حال؛ كان تتويج شارلمان بمثابة صدمة كبيرة للأباطرة البيزنطيين كما قرر البعض، وقد رفضت بيزنطة في أول الأمر ؛ الاعتراف بذلك التطور السياسي المحوري الذي حدث في روما، وظلت ترفض الأمر طوال نحو ١٢ عاماً ، إلى أن اضطرت للاعتراف ؛ بالأمر الواقع Ipso Facto، ويلاحظ ؛ أن شارلمان - وهو أول امبراطور مسيحي لا تجرى في عروقه الدم الروماني، أو اليوناني إذ أنه بربري الأصل فرنجي المنبت<sup>(١)</sup> نفسه كان حريصاً الحرص أجمعه على أن تعترف الإمبراطورية البيزنطية به.

على أية حال ؛ إتجه شارلمان عام ٨١٠ م ، أي بعد عشر سنوات على تتويجه إلى أن يطلب من ابنه بن Pepin احتلال فينيسيا Venice<sup>(٢)</sup> (البندقية) في شمال شرقى، إيطاليا، وكانت خاضعة لسيطرة بيزنطة والهدف من ذلك كان جلياً؛ إذ أراد الضغط عليها من خلال دور تلك المدينة ذات الأهمية الاقتصادية التجارية في العلاقات بين الشرق البيزنطي والغرب الأوربي حينذاك وقد حدث إسقاطها في عهد الإمبراطور نقفور في وقت واجه فيه البلغار في البلقان والمسلمين في آسيا الصغرى وقد دخل نقفور في مفاوضات مع شارلمان ؛ من أجل الإنسحاب

---

= وعن مذبحة فردان أنظر:

Becher, Charlemagne, p. 67 .

سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج ١، ط. القاهرة ١٩٨١م، ص ٢٠٣ ، محمد مرسى الشيخ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ط . الاسكندرية ١٩٩٤م، ص ٢٥٦ .

وهناك من يقرر ما نصه : « كان من نتيجة حروب شارلمان التي استمرت من ٧٧٢ حتى ٨٠٤ فناء جيل بأكمله، ولم ينته إلا بعد أن أكره عدداً كبيراً من السكسون مع أسرهم على ترك سكسونيا والإستقرار في الأقاليم الفرنجية» عن ذلك أنظر:

رأفت عبد الحميد، «الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب في العصور الوسطى»، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٢) ، عام ١٩٨٣م، ص ٩٨ ، حاشية (٢٧) .

١- نعيم فرح ، تاريخ أوروبا السياسى في العصور الوسطى ، ط. دمشق ١٩٩٥م.

٢- نفسه، ص ٦٣ .



من تلك المدينة الحبيوة، وتم إرسال وفد إلى آخن Achen من أجل عقد صلح مع الإمبراطور الجديد وتم التوصل إلى إتفاق يقر بأن يتم الانسحاب من تلك المدينة الإيطالية ، وأن تعترف بيزنطة بإمبراطورية شارلمان ، ولانغفل ، أن نقفور قتل عام ٨١١م، وفى العام التالى ٨١٢م؛ وافق الإمبراطور ميخائيل الأول على الإتفاق السابق<sup>(١)</sup>.

على أية حال؛ تأكد لنا أن شارلمان تمكن من إدارة التنافس بين القسطنطينية، وآخن بدهاء، واستطاع أن يفرض على الإمبراطورية البيزنطية القبول بالأمر الواقع الجديد فى الغرب الأوروبى من خلال الضغط العسكرى.

على أية حال ؛ كانت بيزنطة الخاسرة الأولى من وراء أحداث عام ٨٠٠م ، حيث تغيرت خريطة القوى السياسية فى الغرب الأوروبى؛ الأمر الذى انعكس تأثيره بالضرورة على شرقى القارة .

هكذا ؛ يمكن القول أن الإمبراطورة إيرين بسلوكياتها أدت إلى خلق الأجواء المساعدة على ما حدث فى العام المذكور دون إغفال عوامل أخرى خاصة بتوازنات القوى فى السياسة الدولية حينذاك، من خلال التنافس التقليدى بين الغرب الأوروبى والشرق البيزنطى على الصدارة.

مهما يكن من أمر ؛ بالنسبة لتلك الإمبراطورة ؛ كان للقدر كلمته، فمثلما غدرت بابنها غدر بها أحد كبار رجال دولتها وهو نقفور الذى عمل وزيراً للمالية ١١

وقد تمكن من تدبير إنقلاب ضدها عام ٨٠٢م<sup>(٢)</sup>، وتم نفيها من بعد ذلك، وماتت فى العام التالى تاركة وراءها ذكرى امرأة قاسية فتنت بالمنصب الإمبراطورى البراق المطلق السلطات.

مهما يكن من أمر ؛ تولى أمر الإمبراطورية خلال المرحلة الممتدة بين عامى ٨٠٢ ، ٨٢٠م عدد من الأباطرة الثانويين- وما أكثرهم فى التاريخ البيزنطى المديد - وقد أطلق عليهم المؤرخون تعبير « خلفاء الأيسوريين »، ولعل أهم ما يذكر عنهم الإمبراطور نقفور الذى امتد حكمه من ٨٠٢ إلى ٨١١م<sup>(٣)</sup>، وأهم ما حدث فى عهده صراعه مع هارون الرشيد

١- نعيم فرح ، تاريخ أوروبا السياسى، ص ٦٤ .

Theophanes, p. 158 .

٢- عن ذلك أنظر:

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 67 .

Theophanes, pp. 158-163 .

٣- عن الامبراطور نقفور أنظر:

(٧٨٦-٨٠٩م) الذي رفض أن يدفع له الفدية التي دفعتها له صاغرة من قبل إيرين؛ فأرسل له ذلك الخليفة رسالة طبقت شهرتها الآفاق وحرصت المصادر التاريخية العربية على إيرادها ؛ تعبيراً عن قوة العباسيين في عصرهم الذهبي، وإذلالهم للبيزنطيين ، وكنوع من الدعاية السياسية القوية (١)، وأرسل إليه جيشاً كبيراً يحمل الثقل السياسي للخلافة العباسية حينذاك، حيث تمكن من اختراق الدفاعات البيزنطية في آسيا الصغرى عام ٨٠٣ ، ٨٠٤م وتم إجبار ذلك الإمبراطور الواهم على دفع تلك الفدية التي لم يكن هارون الرشيد يحتاجها في

Niavis, The Reign of the Byzantine Emperor Nicephorus I (802-811), Athens 1987 .

وتأتى أهميتها من خلال تخصصها في أعوام قليلة من التاريخ البيزنطي المديد.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 166-177 .

Norwich, A Short History of Byzantium, p. 123 .

وديع فتحي عبدالله ، «العلاقة بين الدولة والكنيسة في عصر تقفور الأول ٨٠٢-٨١١م» المورخ المصري، العدد (٢٨) ، يناير ٢٠٠٥م، ص ١٠٧ - ص ١٦٠ ، عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٣٩ ، حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٣٢ - ص ١٣٣ .

١- نص الرسالة : «من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى تقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلام».

عنها أنظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل ، ط. القاهرة ، ج ٨ ص ٣٠٧ - ص ٣٠٨ ، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ط. القاهرة، ج ٦ ، ص ٤٥٧ ، يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ط . دمشق ١٩٩٨م، ص ٨١ ، إبراهيم العدوي ، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ، ط . القاهرة ١٩٥١م، ص ٩٧ ، حسنين ربيع، المرجع السابق. ص ١٣٩ .

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, p. 425 . وعن علاقات تقفور الأول مع هارون الرشيد أنظر:

محمد عبد الحفيظ المناصير ، الجيش في العصر العباسي الأول، ١٣٢-٢٣٢ هـ ، ط. عمان ٢٠٠٠م، ص ٤٠٥ - ص ٤١٦ .

حيث يقدم عرضاً مهماً لموقف هارون الرشيد من تقفور وكذلك، إيرين ودور الجيش العباسي في فرض الارادة السياسية للعباسيين.

أيضاً: فاروق عمر فوزي، العباسيون الأوائل ، ١٣٢-٣٤٧ هـ / ٧٤٩-٨٦١ م. الدولة - المعارضة، ط. عمان، ٢٠٠٣م، ج ٢ ، ص ٦٠٩ - ص ٦١٢ .

الأصل نظراً للشراء العريض لدولته ، بل أنه إتخذها أداة ضغط ، وإذلال لبيزنطة لا أكثر، كما تم تبادل الأسرى بين الجانبين عام ٨٠٥ م ؛ مما عكس أهمية الدبلوماسية في العلاقات بين الطرفين .

وهناك قضية على جانب كبير من الأهمية ، فقد زعم أحد الباحثين الغربيين أن هناك حلقة حدث بين هارون الرشيد في بغداد وشارلمان في آخن<sup>(١)</sup> على أساس أن يحارب الأول البيزنطيين أعداء شارلمان وفي المقابل يقوم الأخير مهاجمة الأمويين في الأندلس وهم أعداء العباسيين ، ويستدل على ذلك بالسفارات المتبادلة بين الجانبين ومهاجمة هارون الرشيد لبيزنطة وحملة شارلمان على سرقسطة عام ٧٧٨م.

إلا أن ذلك التصور لا يمكن قبوله لعدة اعتبارات<sup>(٢)</sup> :

أولاً : لم يرد في أى مصدر تاريخى عربى ذكر لذلك التحالف المزعوم ، وبالنسبة لمصادر تاريخ دولة الفرنجة ؛ لا نجد في ما ألفه إينهارد Einhard تحت عنوان Vita Caroli Magni ، وكذلك الحوليات المكية Royal Chronicles ما يدل على ذلك صراحة ، ومعنى ذلك أن التصور المذكور لا يستند إلى أساس مصدري صريح لدى أحد الطرفين ، والتاريخ بصفة عامة لا يكتب إلا اعتماداً على النصوص الصريحة الواضحة التى لا تحتل تأويلات يلعب الخيال فيها دوراً أساسياً كما فى حالة تلك الواقعة .

١- Buckler , Harunl Rashid and Charles The Great, Massachusetts 1931 .

٢- من أهم الدراسات بالعربية عن الموضوع المذكور أنظر :

مجيد خدوري، الصلات الدبلوماسية بين الرشيد وشارلمان، ط. بغداد ١٩٣٩م.

سليمان الرحيلي، العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة في عهدي الخليفة هارون الرشيد والامبراطور شارلمان ، ط. الرياض ب-ت ص ٢٥ - ص ٦٤ .

وهي دراسة مهمة على الرغم من طابع الاختصار الذي يغلب عليها .

عبد الجبار الجومرد ، هارون الرشيد ، حقائق عن عهده وخلافته، ط. بيروت ١٩٩٩م، ص ٣١٢-٣١٦ .

عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص ١١٨-١١٩ .

عبد المنعم ماجد، العصر العباسي الأول أو القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين التاريخ السياسي، ط. القاهرة ١٩٧٣م، ص ٢٦٩ .

ثانيًا : السفارات التي تم تبادلها بين الجانبين كان هدفها دبلوماسيًا في المقام الأول ، والمرجح أن الخليفة العباسي السالف الذكر ؛ أراد فتح أسواق جديدة للمنتجات العباسية الراقية في قلب أوربا ، وكان المدخل الطبيعي لذلك يتمثل في الدولة الكارولنجية .

ثالثًا : إن الهدف من وراء فكرة التحالف الموهوم أن يتم إظهار هارون الرشيد بمظهر الخليفة الذي يحركه إمبراطور أوروبي ، وهو أمر مغلوط لأن من أساسيات عمل الخليفة المسلم مجاهدة الكفار ، وهو ما قام به ذلك الخليفة فعلاً تجاه بيزنطة .

رابعًا : لانغفل أن كلاً من شارلمان وهارون الرشيد أحيطا بروايات مغلوطة وهو أمر نجده لدى الأول من خلال أسطورة حج شارلمان ، والثاني ما نجده في « ألف ليلة وليلة » التي عملت على تشويه سيرته وإظهاره بمظهر اللاهي العاثر على الرغم من أنه كان مجاهداً ، وأول من حج من الخلفاء ماشياً ، ويلاحظ أن نكبتة للبرامكة جعلت الفرس يسيثون إليه على نحو اتضح في ذلك العمل الأدبي السالف الذكر ، وهكذا ؛ فإن المغالطة في تاريخ هارون الرشيد أمر قديم حديث .

خلاصة القول؛ حارب هارون الرشيد بيزنطة كامتداد لسياسة الخلفاء الراشدين والأمويين من قبل في مواجهة تلك الإمبراطورية.

على أية حال ؛ يبقى أن نذكر عن الإمبراطور نقفور أنه حارب البلغار غير أنهم تمكنوا من هزيمته، بل قتلوه عام ٨١١م، وعملت جمجمته كوعاء لاحتساء الخمر من جانب خان البلغار<sup>(١)</sup> الذي احتفل بانتصاره على البيزنطيين بتلك الصورة الشديدة القسوة ، مع ملاحظة ؛ أنه انتقام فردي لاجتماعي، وهو يخالف ما ستقوم به بيزنطة فيما بعد ضد البلغار على نحو خاص في عهد الأسرة المقدونية وهو ما سوف يتم التعرض له في الصفحات التالية .

مهما يكن من أمر؛ كان الإمبراطور ليو الخامس الذي حكم من ٨١٣ إلى ٨٢٠م، آخر خلفاء الأيسوريين ، وفي العام الأخير؛ تكرر المشهد الرئيسي في التاريخ البيزنطي؛ ونعني به مؤامرة يقودها أحد كبار القادة العسكريين، أو ممن كانوا موضع ثقة الإمبراطور، وهكذا ؛ قام ميخائيل العموري ، وهو من أولئك القادة - بمؤامرة أدت إلى القضاء على ليو الخامس<sup>(٢)</sup>؛

١- نعيم فرح ، تاريخ أوروبا السياسي، ص ٦٤ .

Dieh History of the Byzantine Empire, p. 67 .

٢- عن تلك المؤامرة أنظر؛

Leo V ؛ وبالتالي الأسيرة الأيسورية، وكان نجاحه في ذلك له أثره في إعلان ميلاد أسرة حاكمة جديدة لتلك الإمبراطورية.

والواقع ؛ أن نظرة متأنية لأباطرة الأسرة الأيسورية تكشف لنا عن أهمية دور الامبراطور المؤسس ليو الثالث ومن بعده ابنه قسطنطين الخامس ، أما الأباطرة الآخرون، فغالبًا ما كان دورهم محدوداً وليس من اليسير إعتبارهم من أصحاب الإنجازات البارزة في مسار تاريخ الإمبراطورية البيزنطية.

وعند مقارنة الأسرة الأيسورية بأسرة جستنيان ؛ نجد بعض أوجه التشابه ، وأخرى للاختلاف؛ وبكفى أن نذكر الجانب القانوني لدى الأسرتين خاصة جستنيان كما أن كلا منهما أثار جدلاً الأول بحرب الاسترداد والثاني بمقاومته لعبادة الأيقونات ، ومع ذلك ؛ فإن ليو الثالث كان أكثر نجاحاً من الناحية العسكرية - ذات الطابع الدفاعي في المقام الأول خاصة تجاه المسلمين في حالة مقارنته بالأول .

من ناحية أخرى؛ من الصعب أن يكتب تاريخ الإمبراطورية البيزنطية في عهد كل من الأسرتين المذكورتين دون العلاقة المتصارعة مع الغرب الأوروبي وإن كان الاختلاف الجوهرى بينهما أن أسرة جستنيان قامت بحرب استرداد طويلة ومجهدة حيال الغرب ؛ لاستعادته من أيدي الجرمان، أما الأسرة الأيسورية فيلاحظ أن سياستها تجاه الغرب لم تكن ذات بعد حربي واضح المعالم ، بل تم تنحية ذلك التوجه خاصة مع ظهور قوة عسكرية ، وسياسية لها شأنها في صورة الدولة الكارولنجية خاصة بعد عام ٨٠٠م ولاريب ؛ في أن شارلمان وصف بالحنكة السياسية مقارنة بالأباطرة الأيسوريين حينذاك.

ذلك عرض عن الأسرة الأيسورية؛ أما الصفحات التالية فتتناول الأسرة العمورية.

---

= حسنين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٣٥ ، نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسي ،



## خامساً : الأسرة العمورية ( ٨٢٠ - ٨٦٧ م ) :

نتعرض فى الصفحات التالية لدور الأسرة العمورية فى التاريخ البيزنطى، كذلك يتم المقارنة بينها وبين الأسرات البيزنطية السابقة عليها .

جدير بالإشارة ؛ تولى حكم الأسرة العمورية ثلاثة من الأباطرة فى صورة ميخائيل الثانى Michael II ( ٨٢٠ - ٨٢٩ م ) وثيوفيلوس Theophilus ( ٨٢٩ - ٨٤٢ م ) وميخائيل الثالث السكير Michael III The Drunkard ( ٨٤٢ - ٨٦٧ م ) ويلاحظ عن تلك الأسرة على نحو خاص ؛ أن المؤسس حكم عشر سنوات فقط، ونعنى به ميخائيل الثانى، أما ميخائيل الثالث؛ فقد استمر حكمه ربع قرن من الزمان ؛ أى أكثر من نصف مدة حكم الأسرة المذكورة التى امتد حكمها على مدى ٤٧ عاماً وتعد من أقصر الأسرات البيزنطية الحاكمة وإن وجدت أسرة أخرى تالية حكمت مدة زمنية أقصر فى القرن ١٢ م، وأوائل القرن ١٣ م فى صورة أسرة أنجيلوس التى حكمت ( ١٩ عاماً ) وهى التى سيتم تناولها فيما بعد .

أما فيما يتصل بالإمبراطور المؤسس ميخائيل الثانى<sup>(١)</sup> ٨٢٠ - ٨٢٩ م؛ فيمكن إبراز أهم أحداث عصره على النحو التالى:

١- ميخائيل الثانى العمورى ؛ إمبراطور بيزنطى حكم خلال المرحلة بين عامى ٨٢٠ - ٨٢٩ م وقد ولد من أبوين من أسرة متواضعة فى فريجيا Phrugia ، وفيما بعد التحق بالجيش البيزنطى ورافق الإمبراطور ليو الخامس ، وقد ألقى القبض عليه بتهمة الخيانة وفيما بعد دبر مؤامرة للتخلص من ذلك الإمبراطور وبالفعل تم تتويجه بدلاً منه ، وقد مات ميخائيل الثانى العمورى فى أكتوبر عام ٨٢٩ م وحكم من بعده ثيوفيلوس وهو ابنه من زوجته تيلا Theela ، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary , p. 87.

O.D.B., vol . 2, p. 1363 .

Browning, The Byzantine Empire , p. 64 .

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, op. 433-436 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 285-286 .

Ostrogsky , History of the Byzantine State, p. 180-183 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 65, p. 67 .

أولاً : قمع حركات المعارضة الداخلية خاصة ثورة توماس الصقلبي.

ثانياً : الصراع مع المسلمين بشأن جزيرتي كريت Crete ، وصقلية Sicily .

وفيما يتصل بالعنصر الأول: تعرضت الإمبراطورية البيزنطية في عهده لثورة عارمة من جانب توماس الصقلبي ، وهو ثائر على الإمبراطور كان مؤيداً لعبادة الأيقونات ، وقد عارض سياسة الإمبراطورية في مجال الضرائب التي أثقلت كاهل السكان في آسيا الصغرى، ولا تغفل: أن الإمبراطورية قامت بنقل أعداد كبيرة من الصقالبة إلى آسيا كنوع من التحريك الديموغرافي خدمة لمصالحها الأمنية العليا حتى يسهل عليها إخضاعهم فيما بعد وهو أمر اتبعته بيزنطة لاسيما خلال الثورات العنيفة من جانب أمم وأعراق مختلفة.

تمثلت أهمية تلك الثورة من خلال كثرة المؤيدين لها. وكذلك من خلال أن الخليفة العباسي المأمون (٨١٣-٨٣٣م) : قام بتقديم المساعدات العسكرية لتوماس الصقلبي ليدعمه ضد الإمبراطور البيزنطي<sup>(١)</sup>، كنوع من الضغط العسكري والسياسي على الأخير، بل إن قسماً من الأسطول البيزنطي ذاته إنضم إلى جانبه ؛ مما عكس اتساع حركته وقدرتها على اكتساب مؤيدين تقليديين ضد الجالس على العرش البيزنطي سواء في داخل بيزنطة أو في خارجها، بل وصل الأمر به أن تم تشجيع توماس الصقلبي إمبراطوراً من جانب بطريق أنطاكية وتمكن من محاصرة القسطنطينية براً، وبحراً في عام ٨٢١م، ولكن مجهوداته في ذلك المجال لم تكلل بالنجاح ، وذلك لعدة أسباب يمكن إجمالها في الآتي :

١- عن حركة توماس الصقلبي أنظر:

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 274-275 .

Ostrogsky , History of the Byzantine State, p. 181-182 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 87 .

محمد عثمان عبد الجليل ، ثورة توماس الصقلبي في الإمبراطورية البيزنطية (٨٢١-٨٢٣م / ٢٠٥-٢٠٧هـ) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٢م .

فازيليف ، العرب والروم، ص ٢٨- ص ٥١ ، حيث يقدم عرضاً ممتازاً . نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسي، ص ٢٣١- ص ٢٣٤ ، حسنين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٤٠- ص ١٤٢ ؛ نادية حسنى صقر ، السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله، ط. مكة المكرمة ١٩٨٥م، ص ٨٣- ص ٨٤ ، الدراسة المذكورة لم أجد فيها تحليلاً بالمعنى الأكاديمي للكلمة ؛ ويغلب عليها المنهج السردى الوصفى .

أولاً : إستماتة الإمبراطور ميخائيل الثاني العموري؛ فى الدفاع عن العاصمة البيزنطية ضد تلك الثورة العنيفة ، وأيده فى ذلك ابنه ثيوفيلوس، ولاريب ؛ فى أن قطاعات واسعة من الشعب البيزنطى وقفت مؤيدة لها ضد ذلك الثائر ، وقد استمر الحصار عدة شهور دون جدوى لعبت فيه - مرة أخرى- حصانة العاصمة الدور الفعال .

ثانياً : جلب تحالف توماس الصقلبي مع المأمون العباسي تأثيراً سلبياً عليه ؛ إذ انصرف عنه الكثيرون نظراً لتعاونه مع المسلمين الذين مثلوا العدو التقليدى لبيزنطة .

تجدر الإشارة ؛ تمكن الامبراطور ميخائيل الثاني العموري من القضاء على حركة توماس الصقلبي عام ٨٢٣م وذلك بعد أن أجهدت الإمبراطورية البيزنطية، وبالتالي تمكن من توطيد أركان حكمه بعد أن أفشل التحالف العباسي مع ذلك المتمرّد .

أما فيما يتصل بالمواجهة مع المسلمين فى شأن جزيرتى كريت وصقلية ؛ نلاحظ أن الصراع بين الجانبين انتقل من جبهة الحدود البرية بينهما فى آسيا الصغرى ليشمل جزر البحر المتوسط، ويلاحظ أن المسلمين أرادوا إلى جانب زاوية الجهاد وضع أيديهم على مثل تلك الجزر التى تمر بها خطوط التجارة العالمية بين الشرق والغرب عبر البحر المتوسط كذلك أرادوا جعلها نقطة إنطلاق إلى مناطق أبعد من أملاك الدولة البيزنطية فى الأدریاتيك والبلقان .

وفىما يتصل بجزيرة كريت؛ يلاحظ أن ثورة نشبت فى قرطبه بالأندلس ضد الأمير الأموى الحكم الأول الذى عرف فيما بعد بالحكم الرضى<sup>(١)</sup> (٧٩٦ - ٨٣٢م) وعندما أخفقت؛ عاقب الشوار بأن أمر بطردهم من الأندلس ، فاتجهوا صوب مصر وتحديداً الاسكندرية، واستولوا عليها، واستغلوا فى ذلك الحرب الأهلية التى جرت بين الأمين والمأمون ابنى هارون الرشيد فى بغداد وعندما توطدت الأمور للمأمون؛ عمل على التخلص منهم بأن طلب منهم مغادرة المدينة

#### ١- عن ذلك أنظر:

مجهول ، أخبار مجموعة فى فتح الأندلس ، ص١١٨- ص١١٩ ، محمد أبو الفضل ، «قضاة ثوار فى الأندلس» ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط ، م (٣) . عام ١٩٨٥م، ص٢٦٧- ص٢٦٨ .

محمد خالد المومنى ، الفقهاء وثورة أهل الرض فى الأندلس (١٨٠- ٢٠٦هـ / ٧٩٦ - ٨٢١م) رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - الجامعة الأردنية عمان ١٩٩٥م.

وبالفعل اتجهوا صوب جزيرة كريت وتمكنوا من إخضاعها عام ٨٢٧م بقيادة أبى حفص عمر بن عيسى البلوطى <sup>(١)</sup>، وبذلك أمكن إخضاع جزيرة أخرى من جزر البحر المتوسط للسيادة الإسلامية وحرمت بيزنطة من نقطة ارتكاز عسكري دفاعية وهجومية بالإضافة إلى أهميتها فى طرق التجارة كما أسلفت القول، واستمر الوجود الإسلامى فيها إلى أن تمكنت بيزنطة من استردادها خلال القرن العاشر الميلادى خلال عهد الأسرة المقدونية أما صقلية Sicily؛ ذات الموقع الاستراتيجى المتميز فى جنوبى شبه الجزيرة الإيطالية وفى مقابل تونس، فقد حدث فيها صراع بين اثنين من القادة البيزنطيين فى صورة قائد الأسطول البيزنطى ، ويدعى يوفيميوس Euphemius ، وقسطنطين Constantine <sup>(٢)</sup> الذى كان واليا من جانب الامبراطور على صقلية . وعلى إثر ذلك ؛ طلب الأول مساعدة المسلمين فى صورة دولة الأغالبة <sup>(٣)</sup> التى

١- عن ذلك انظر :

أسمت غنيم ، الدولة البيزنطية وكريت الإسلامية، ص ٣١-٩٢ ، ابراهيم العدوى، «أقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى» المجلة التاريخية المصرية ، م (٣) العدد (٢) أكتوبر ١٩٥٠م، ص ٥٣-٦٨ . فازيليف ، العرب والروم، ص ٥٨-٦١ .

Brooks, " The Arab occupation of Crete ", A.H.R., vol . XXVIII, 1913, pp. 431-443 .

محمد الهمشرى والسيد أبو الفتوح وعلى اسماعيل موسى، انتشار الإسلام فى أوربا ، ط. الرياض ١٩٩٧م، ص ١٨٨ .

٢- ولحق الإمبراطور ميخائيل الثانى على صقلية رجلاً يدعى قسطنطين وقد دب نزاع بينه وبين قائد الأسطول البيزنطى أيوفيميوس Euphemius وكان قد سبق له الإغارة على شمالى أفريقيا عدة مرات ، وذكر البعض أن أيوفيميوس أحب راهبة اسمها هومونيزا Homoniza وتزوجها كرهاً عنها فعاقبه الامبراطور عن ذلك بأن طلب من واليه جدد أنفه ؛ فتمرد عليه وقام باحتلال سرقسطة ، وتمكن من هزيمة قسطنطين وأسرته ثم أعده عن ذلك أنظر: محمود اسماعيل ، الأغالبة ١٨٤-٢٩٦هـ سياستهم الخارجية ، ط . القاهرة ٢٠٠٠م، عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، ت أمين توفيق الطيبى ، ص ١٤٨-١٤٩ ، ط. بيروت ١٩٨٠م، ص ١٣ ، تركى مسيمير العتيبي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى صقلية الإسلامية، ط. الرياض ١٩٨٧م، ص ١٢ ، ميكيلي أمارى ، تاريخ مسلمى صقلية ت. محب سعد ابراهيم، م ١ ، ط. فلورنسا ٢٠٠٣م، ص ٩-٣ ، وأورد الإشادة بالجهد البارز الذى بذله المترجم المصرى البارز فى مجال اللغة الإيطالية أ.د. محب سعد ابراهيم بكلية الألسن جامعة عين شمس .

٣- عن دولة الأغالبة أنظر: =

أقامها الخليفة هارون الرشيد كي تكون بمثابة دولة حاجزة Buffer State بين الأملاك العباسية في بلاد المغرب ودول الخوارج الصفرية والإباضية هناك.

الأمر المؤكد أن هناك عدة دوافع دفعت بالمسلمين للتدخل في ذلك الصراع البيزنطي، إذ أن الموقع السالف الذكر لتلك الجزيرة من شأنه تدعيم أقدامهم في القارة الأوربية من طرفها الجنوبي، بعد أن تمكنوا من دخولها من غربيها في صورة شبه الجزيرة الأيبيرية من قبل وعجزوا عن دخولها من بوابتها الشرقية في صورة القسطنطينية كذلك لانغفل رغبة المسلمين الصادقة في الجهاد وإبلاغ رسالة الإسلام إلي تلك المنطقة ، ولانغفل أنهم أدركوا كذلك أن إخضاع صقلية من شأنه تأمين وجودهم في المغرب الأدنى على الأقل، وكذلك اتخاذها قاعدة إنطلاق لما هو أبعد من مناطق السيادة البيزنطية وفرض سيطرة المسلمين عليها خاصة في مجال الأدرياتيكي.

مهما يكن من أمر؛ قامت حملة بقيادة أسد بن الفرات واستطاع المسلمون في نهاية المطاف إخضاع صقلية عام ٨٣١م<sup>(١)</sup> محققين بذلك إنتصاراً بارزاً علي الدولة البيزنطية ، ومن المهم هنا إدراك، أن الصراع بينهم وبين تلك الأخيرة على جزر البحر المتوسط مثل قبرص ورودس وكريت ومالطة وصقلية لايفصل البتة عن الصراع في بلاد الشام ومصر من قبل في عهد الأسرة الهرقلية لأن تلك الجزر بدون إخضاعها لسيادتهم لظلت مراكز هجوم بيزنطي ضد المناطق التي سيطروا عليها في السواحل الشرقية والجنوبية من البحر المتوسط .

---

= ابن وردان، تاريخ الأغلبية ، تحقيق محمد زينهم ، ط . القاهرة ١٩٨٨م. محمد الطالبي، الدولة الأغلبية ٢٩٦ - ١٨٤ / ٩٥٩ - ٨٠٠ التاريخ السياسي ، ت. المنجي الصيادي، ط. بيروت ١٩٨٥م.

وتعد الدراسة المذكورة أوفى وأشمل دراسة بالعربية عن الدولة الأغلبية اعتمدت على المصادر والمراجع المتعددة ووقعت في (٨٥٥) صفحة من القطع المتوسط، وجدير بالذكر أن قائمة المصادر والمراجع امتدت لتشمل الصفحات من ص ٧٦٥- إلى ص ٧٨٧ وامتازت بالتحليل والنقاش، ناهيك عن سلاسة العرض، واعتمد في تأليفها المؤرخ التونسي البارز علي مؤلفات بالعربية والانجليزية والفرنسية؛ والألمانية ، وفي النهاية فإن الكتاب المذكور ، بلا أدنى شك . يعد مغفرة للمؤرخين التونسيين المحدثين .

١- عن ذلك انظر: ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق كولان وليقى بروغنسال، ط . بيروت ١٩٤٨م ، ص ١٠٢- ص ١٠٦ إحسان عباس، العرب في صقلية ، ط. القاهرة ١٩٥٩م، ص ٣٢- ص ٣٩ ، فازيليف ، العرب والروم، ص ٦٢- ص ٨٤ .



تجدر الإشارة : أن المسلمين ظلوا فى جزيرة صقلية إلى أن قدم إليهم النورمان وتمكنوا من إخضاعها عام ١٠٩١م وقد تمكنوا بالفعل من هزيمة المسلمين عسكرياً وسياسياً إلا أن التأثير الذى تركه المسلمون فى تلك الجزيرة يكشف على نحو واضح أنهم تفوقوا عليهم حضارياً ، وهو أمر اعترف به المنصفون من المستشرقين الإيطاليين<sup>(١)</sup> مثل أمارى Amari ، وجابريلى Gabrieli ، وغيرهما .

ومن الأهمية هنا الاقرار بحقيقة أولية ، وهى أن صقلية وجنوبى إيطاليا ، ومن قبل الأندلس ، ومن بعد بلاد الشام عصر الحروب الصليبية غدت بمثابة المعابر الثلاثة للحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى إلى أوروبا ، وهى حضارة توصف بأنها عالمية المنبع عالمية المصب تتلمذت على أيدي أعلامها أوروبا .

وهكذا شهد عصر ميخائيل الثانى العمورى تمكنه من القضاء على حركة توماس الصقلية ، وكذلك افتقاد الامبراطورية لكل من جزيرتى كريت وصقلية ؛ وبالتالي صارت هناك عدة جزر تحت سيادتهم السياسية وهى قبرص ، وأرود ، ورودى ، وكريت ، وصقلية ، مع ملاحظة أن الجزيرة الأخيرة احتلت أهمية استراتيجية خاصة نظراً لموقعها الجغرافى المتميز مقارنة بالجزر الأربعة الأولى ، مع ملاحظة أن القضية ليس موقع جغرافى متميز بل استغلاله من جانب المسلمين لتحقيق مكاسب عسكرية وسياسية . من بعد ذلك ؛ تولى العرش البيزنطى الإمبراطور ثيوفيلوس Theophilos (٨٢٩ - ٨٤٢م) وخلال عهده ثار ضده ثائر يدعى بابك الخرمى ، ووجدت الامبراطورية البيزنطية ممثلة فى ثيوفيلوس الفرصة سانحة للتدخل لدعمه رداً على سياسة الخليفة المأمون عندما وقف إلى جانب توماس الصقلية ، كما ذكرت من

١- عن الاستشراق الإيطالى بصفة عامة أنظر :

نجيب العقبى ، المستشرقون ، ط. القاهرة ١٩٨٠م ، ج ١ ، ص ٤٠٥ - ص ٤٦٧ . كارولين جولر . مستشرقو المدرسة الإيطالية . ت راتيا قرداحى ، ط. دمشق ٢٠٠٥م ، ص ٢٥ - ص ١٧١ .

يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والاستشراق فى أوروبا حتى بداية القرن العشرين ت- عمر لطفى العالم ، ط. بيروت ٢٠٠٠م ، ص ٤٥ - ص ٨٩ .

ميشيل جحا ، الدراسات العربية والإسلامية فى أوروبا ، ط. بيروت ١٩٨٢م ، ص ٨٣ - ص ١٠٧ أنور الزناتى ، زيارة جديدة للاستشراق ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م ، ص ٢٦٤ - ص ٢٦٥ .

قبل ، وقد سمح ذلك الامبراطور بايواء نحو ١٥,٠٠٠ من اتباع بابك في داخل مناطق الامبراطورية واسنكهم في مناطق الحدود مع المسلمين ، مما عكس أن تغيرات ديموغرافية حدثت حينذاك من جراء الصراع العباسي - البيزنطي.

من ناحية أخرى؛ عمل ثيوفيلوس على استغلال الموقف لصالحه فبادر بمهاجمة بعض المدن الحدودية مثل زبطرة Zapetra التي استولى عليها عام ٨٣٧م، ومن المتصور أنه كان يريد اختبار قوة المعتصم ورد فعله خاصة أن دخول البيزنطيين لزبطرة صاحبه عمليات وحشية مثل تسميل العيون، وجذع الأنوف والسبى وغيرها .

لم يكن من الممكن للمعتصم أن يقف مكتوف اليدين أمام ما حدث . وقد يادر بإرسال قائده البارغ الأفشين إلى البيزنطيين وبالفعل تمكن من إلحاق الهزيمة بهم في معركة دازيمون Dazimon في ٢٢ يوليو ٨٣٨م وتمكن على أثره من دخول أنقرة Ankara ، ومن بعد ذلك يادر بالهجوم على عمورية Amorium التي منها قدمت الأسرة البيزنطية الحاكمة ، وتمكن من الاستيلاء عليها ، وبالتالي وجه لطمة قوية لهيبة الامبراطورية ، ومع ذلك ؛ فالأمر المؤكد أن

١- ثيوفيلوس العموري، هو الامبراطور الثاني من أفراد الأسرة العمورية ، وقد أظهر ميلاً نحو العلم وقد تلقى تعليمه على يدي العالم يوحنا السابع الجراماتيكي، وبصفة عامة ؛ يوصف بأنه من أولئك الذين عملوا على إحداث نهضة علمية في الإمبراطورية البيزنطية، وقد توفي عام ٨٤٢م، عنه أنظر:

Nicol , A Biographical Dictionary , p. 128-129 .

محمد محمد مرسى الشيخ ، سياسة الإمبراطور البيزنطي ثيوفيلوس تجاه الخلافة العباسية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض ، العدد (١٣) ، عام ١٩٧٩م.

٢- عن حركة بابك الخرمي أنظر:

مغلطاي، مختصر تاريخ الخلفاء ، تحقيق آسيا كليبان على البارغ ، ط . القاهرة ٢٠٠١م، ص ١١٩ ، عبد المنعم ماجد ، العصر العباسي الأول، ص ٣٩٩-٤٠٦ ، محمد السيد الوكيل، العصر الذهبي للدولة العباسية دراسة وصفية وتحليلية لتلك الدولة، ط. دمشق ١٩٩٨م، ص ٤٢٩-٤٣٢ .

٣- محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٦٦ .

٤- نفسه، ص ١٧٧ .

٥- عن فتح عمورية أنظر: =

ذلك الخليفة العباسي لم يكن يضع القلب البيزنطي في تصوراته الحربية ؛ إذ أراد فقط القيام بعمل عسكري ضد بيزنطة لإشعار إمبراطورها بأن العباسيين ما وهنوا وأن في مقدورهم الضغط الحربي والسياسي على أباطرة القسطنطينية ، والمنطق التاريخي يدعونا إلى التصور أن محنة الأمويين السابقة عام ٧١٧-٧١٨م كانت لاتزال ماثلة لدى العباسيين ، ولم يكن في الإمكان تكرار الأمر جرياً وراء شعارات جوفاء لاطائل من ورائها ؛ مما يجعلنا نصف ذلك الخليفة بالحكمة في مواجهاته لبيزنطة .

أما آخر أباطرة الأسرة العمورية فهو ميخائيل الثالث الملقب بالسكير<sup>(١)</sup> الذي حكم من عام ٨٤ إلى ٨٦٧م ، وقد تولت الوصاية عليه أمه ثيودورا وأهم أحداث عصره حدوث تبادل

---

محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٥٩- ص ١٦٧ ، أبوقام ، ديوان أبوقام ، ط. بيروت ب-ت ، ص ١٥ ، فازيليف ، العرب والروم ، ص ١٣٠- ص ١٥٣ .

ومما يذكر في هذا الصدد ؛ أن الشاعر البارز أبوقام نظم قصيدة من عيون الشعر العربي مجد فيها ذلك الفتح وقال فيها :

السيف أصدق أنباء من الكتب	في حصد الجند بين الجند واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في	متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماسح لامعة	بين الخميسين لا في السبعة الشهب
يا يوم وقعة عمورية انصرفت	عنك المنى حفاً معسولة الحلب

أبوقام ، ديوان أبوقام ، ط. بيروت ب-ت ، ص ١٥ .

١- ميخائيل الثالث السكير ؛ مات والده في يناير عام ٨٤٢م ، وكان في الثانية من عمره فقامت أمه ثيودورا بأمر الوصاية عليه وعاونتها مجلس على رأسه عشيقها الوزير ثيوكتيستوس Theoktistos ولم يستطع ميخائيل حتى عام ٨٨٦م تأكيد سلطته الإمبراطورية ويزاولها حتى تمكن من التخلص من ثيوكتيستوس وجعل بدلاً منه برداس ، وبعد العام المذكور بمثابة البداية الفعلية لعهد ميخائيل الثالث ، ويقرر دونالد نيكول أن وصفه بالسكير ليس موضوعياً ، وربما مارس سلوك الشباب العاثر اللاهي غير أنه في عهده بدأت طلائع النهضة التي شهدتها الأسرة المقدونية ، وقد توفي في سبتمبر عام ٨٦٧م ، عنه أنظر :

Nicol, A Biographical dictionary , p. 87-88 .

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society , pp. 450-455 .

O.D.B., vol . II , p. 1364 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 272 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 187 , pp. 197-206 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, pp. 70 - 71 .

للأسرى مع المسلمين عام ٨٤٥م<sup>(١)</sup>؛ مما عكس إدراك الطرفين لأهمية الدبلوماسية من أجل تقليل حدة الصراع الحربى والسياسى بين القسطنطينية وسامراء مؤقتاً .

يبقى أن نشير إلى حادثة محورية فى تاريخ الأسرة العمورية ، وفى تاريخ العلاقات البيزنطية - اللاتينية فى صورة- النزاع بين أسقف القسطنطينية فوشيوخس<sup>(٢)</sup> Photius (٨٥٨-٩٦٧م) أسقف وكنيسة روما على بعض الجوانب العقائدية ، وكذلك التنافس التقليدى بين الكنيستين، وقد عقد فوشيوخس ، مجلساً كنسياً عام ٨٦٧م ، أعلن فيه اختلافه عن كنيسة روما<sup>(٣)</sup> ولذلك لم يجد إلا اللعنات من المصادر التاريخية اللاتينية المعاصرة.

١- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٣١ .

٢- انتهى فوشيوخس إلى إحدى الأسرار البيزنطية الأرستقراطية، وقد نال نصيباً وافراً من مختلف العلوم والمعارف إلى حد أن وصف بأنه كان أشبه بدائرة معارف، وقد عين عام ٨٥٨م بطريركاً خلفاً لأغناطيوس وفيما بعد ترتب على تغير الأباطرة عام ٨٦٧م؛ أن تم خلع فوشيوخس . ولكن أعاده باسل الأول إلى منصبه ، ثم عقد مجمعاً فى العاصمة البيزنطية، عام ٨٧٦م وصدر قرار بنفيه عام ٨٩٣م ، ومن المعروف أن فوشيوخس كتب مقالاً بعنوان De Spiritu Mystagogia ، هاجم فيه ما أسماه بانحراف قانون الإيمان عند اللاتين بسبب إضافة كلمته Filioque «الروح القدس المنبثق من الابن أيضاً» كما يعتقد فريق من المسيحيين وقد اعتقد أن تلك الإضافة تعد إنحرافاً عما اتفق عليه آباء الكنيسة الأوائل ، ويلاحظ أن الكنيسة الأرثوذكسية تعدّه قديساً. عنه وعن مؤلفاته أنظر:

Photius , The Homilies of Photius Patriarch of Constantinople , Trans. by Cyril Mango , .

D.O.S., 3 Cambridge 1958 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 106-107 .

وعنه أنظر دراسة هرجنروتر الموسعة:

Hergenrother, Photius Patriarch von Konstantinopel , Seine Leben , Seine Schriften und das griechische Schisma , 3 vols , Regensburg 1867 - 1869 .

وإسحق عبيد ، روما وبيزنطة ، ص ١١ .

أسد رستم ، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ، ط. بيروت ١٩٨٨م، ج ٢، ص ١٢٨- ص ١٦٠ .

٣- وعن قطيعة فوشيوخس بصفة عامة أنظر:

Dvornik , The Photian Schism, History and Legend Cambridge 1948 .

عبد الرحمن عبد الغنى ، «فوشيوخس والقطيعة بين كنيستى روما والقسطنطينية فى القرن التاسع الميلادى»، عالم الفكر، العدد (٣) أكتوبر - ديسمبر ١٩٨٦م، ص ٢٠٥- ص ٢٣٤ .

لانغفل هنا؛ الإشارة إلى أن العلاقات بين كنيسة القسطنطينية وروما مرت بقطيعتين الأولى قطيعة فوشيوس السالفة الذكر، ثم الإنشقاق الأعظم عام ١٠٥٤م، وعلى أرضية القطيعتين المذكورتين؛ حدثت كارثة عام ١٢٠٤م ويلاحظ أن كافة محاولات التوفيق بين الكنيستين ذهبت أدراج الرياح وتحمل الطرفان المسئولية في ذلك المجال، مع عدم إغفال سطوة وسيطرة كنيسة روما التي لم تكن لتقبل إلا خضوع الكنيسة الأرثوذكسية لهيمنتها على اعتبار أن القديس بطرس St. Peter<sup>(١)</sup> رأس الخواريين هو الذي أسسها.

وهناك حدث مهم كان له أثره على مسار التاريخ البيزنطي فيما بعد في صورة مهاجمة الروس للقسطنطينية وسلبها، ونهبها، وذلك في عام ٨٦٠م، وقد اغتبنوا فرصة وجود الإمبراطور ميخائيل الثالث خارج العاصمة وقاموا بمهاجمتها، وأدى ذلك إلى الفتك بالكثيرين من البيزنطيين<sup>(٢)</sup>.

١- القديس بطرس St. Peter : رأس الخواريين، كان في الأصل صياداً للسماك في بحيرة طبرية التي عرفت ببحر الجليل، وبعد أخا للقديس أندرو St. Andrew، وفي الأصل دعى سمعان بن يونه، غير أن السيد المسيح عليه السلام أطلق عليه اللقب الأرامي Kapha الذي يعنى Petrus أو الصخرة Rock وهو ما عرف به، ويعطى العهد الجديد للقديس بطرس مكانة بارزة من بين الخواريين، ويتضح ذلك بجلاء، من خلال مطالعة نصوص إنجيل متى، إذ أن السيد المسيح عليه السلام يقول مخاطباً بطرس: «أنا أقول لك أيضاً أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات»، وقد تمت الاستفادة من تلك العبارات إلى حد كبير من أجل دعم مكانة كنيسة روما، وتفوقها على غيرها من الكنائس، عن ذلك انظر:

منى، الإصحاح (١٦)، من ١٨-٢٠.

إسحق عبيد، الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص ١٧٢-١٧٣، شارل جنبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ت. عبد الحليم محمود، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص ١٦٧، بول بوبار، الفاتيكان عاصته الكثرلكة في العالم، ت. انطوان الهاشم، ج ١. بيروت ١٩٩٦م، ص ١٤.

Attwater . The Penguin dictionary of Saints, p. 273-274 .

٢- عن ذلك انظر: Photius . The Homilis, Trans . by Cyril Mango, Harvard 1958 , pp. 82-95 .

Jenkins. The Supposed Russian attack on Constantinople in 907 “, S., 1949 , pp. 403-409 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p . 202-203 .

Vasiliev . History of the Byzantine Empire, p. 277- 278 .

جدير بالإشارة ؛ أن الإمبراطورية البيزنطية بصفة عام عندما كانت لاتمكن من مواجهة عدو أوربي قريب من حدودها الجغرافية على الصعيد العسكري؛ عندئذ كان عليها التفكير فى وسيلة أكثر نجاحاً واستمرارية وتتأكد على مدى القرون فى صورة التنصير ، وبالتالى يتم تحويل الأعداء المجاورين إلى حلفاء يربطهم معاً رباط الدين وبالتالى المصالح المشتركة على كافة المستويات مع علم إغفال أهمية الجانب الدينى فى عالم العصور الوسطى؛ حيث تعاضم شأن الظاهرة الدينية .

وهكذا ؛ اتجهت بيزنطة إلى السعى إلى تنصير العناصر السلافية فى مورافيا، ويتطلب الأمر تسليط الأضواء على دولتهم لإدراك حجم الإنجاز البيزنطى هناك .

جدير بالإشارة ؛ شهد القرن التاسع الميلادى نشوء دولة للسلاف الغربيين التى اشتملت على تشيكيا ، وسلوفاكيا ، ومورافيا<sup>(١)</sup>، وكذلك بعض المناطق السلافية المجاورة ، وأطلق على تلك الدولة اسم «الدولة المورافية العظمى» ، وقد شهدت ازدهاراً خلال عهد أميرها روستيسلاف Rastislav (٨٤٦-٨٧٠م) وما يذكر عنه تصارعه مع الألمان؛ من أجل الحفاظ على استقلالية دولته<sup>(٢)</sup>، ويلاحظ أن السلاف الغربيين اتصفوا بالوثنية ووجد الملوك الألمان الفرصة سانحة من أجل تنصيرهم ويصبحوا بالتالى تابعين للكنيسة الألمانية الكاثوليكية التابعة بدورها لكنيسة روما<sup>(٣)</sup>.

---

= طارق منصور، الروس والمجتمع الدولى ٩٤٥ - ١٠٥٤ م ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٣ ، محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٣٢ .

١- مورافيا Moravia، وتسمى أيضاً Great Megale ، وهى دولة ظهرت فى بانونيا فى وقت مبكر من القرن التاسع م. ووصلت إلى ذروة توسعها ونفوذها فى عهد الأمير راستيسلاف Rastislav وسجياتوبلوك Svjatopluk ، وقد اكتشفت علماء الآثار بقايا كنائس تعود إلى القرن التاسع الميلادى وبعضها ذات طراز معمارى بيزنطى، وقد كان الموارفيون وثنيين إلى أن اعتنقوا المسيحية فيما بعد فى القرن التاسع م.

عنها أنظر: Constantine Porphyrogenitus, De Administando Imperio, p. 181 .

O.D.B., vol II, p. 1409 .

٢- نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسى، ص ٢٢٥ .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , p. 203 .

٣- نعيم فرح ، المرجع السابق، ص ٢٢٥ .



مهما يكن من أمر ؛ هناك من يقرر ؛ أن روستيسلاف سعى إلى مواجهة المخططات الألمانية بالاتجاه إلى تأسيس كنيسة سلافية مورافية تتمتع بالاستقلال عن الكنيسة الألمانية الكاثوليكية<sup>(١)</sup>، واتجه بصره صوب الإمبراطورية البيزنطية ، وطالبها بأن ترسل إلى بلاده منصرين يعرفون اللغة السلافية ، وقد هدف من وراء ذلك أن يجد في المستقبل الدعم البيزنطي في مواجهة الألمان وكذلك البلغار الذين ناصبوه العداء بالإضافة إلى دعم العلاقات التجارية بين حكام مورافيا ، والقسطنطينية. ولذلك بادر بإرسال سفارة دبلوماسية إلى العاصمة البيزنطية عام ٨٦٣ م<sup>(٢)</sup>، ومن بعدها؛ بادرت الامبراطورية بإرسال بعثة تنصيرية يرأسها قسطنطين الحكيم Constantine The Philosopher الذي لقب فيما بعد كيريلوس وكذلك ميثوديوس<sup>(٣)</sup>، وتم ترجمة الانجيل من اليونانية إلى السلافية في خطوة كشفت عن حرص بيزنطة على توسيع نطاق الارثوذكسية وأن الأمر لم يكن يتم بصورة عشوائية ، بل من خلال تخطيط علمي دقيق ، كما تمت ترجمة بعض الكتب والصلوات الدينية إلى السلافية<sup>(٤)</sup>.

وفي تقديري؛ أن اتجاه السلاف الغربيين صوب بيزنطة قد لقي قبولا من الامبراطورية البيزنطية التي احتاجت إلى حليف قوى جدير يرتبط بها برباط وثيق ، ويمكنها من أن تجد دعما في المستقبل عندما تتعرض لخطر من جانب الروس وغيرهم من القوى المناوئة لها سياسيا ، ومن الممكن القول ؛ أن عهد الأسرة العمورية شهد تنصير السلاف الغربيين، ومن بعد ذلك ؛ في عهد الأسرة المقدونية سيتم تنصير الروس على نحو مثل نجاحات متعددة للإمبراطورية

١- نعيم فرج ، تاريخ بيزنطة السياسي ، ص ٢٢٥ .

٢- نفسه ، ص ٢٢٦ .

أنظر أيضا؛ محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٣٢ .

٣- عن ذلك أنظر:

Ostrogorsky, History of the Byzantine State , p. 202-203 .

Diehl, History of Byzantine Empire, p. 69 .

وسام عبد العزيز فرج ، السلاف Slavs في شبه جزيرة البلقان وجهود الامبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها ، ص ١٧٦ .

٤- نعيم فرج، المرجع السابق، ص ٢٢٦ .

٥- وسام عبد العزيز فرج، المرجع السابق، ص ١٧٧ .

البيزنطية ، ومثل الأمر؛ ضربات متلاحقة في مواجهة كنيسة روما الكاثوليكية التي كانت تنظر نظرة عداً لأية توسعات أرثوذكسية على حساب سيادتها الكاثوليكية .

مهما يكن من أمر؛ إذ نحينا جانباً كافة الأحداث السالف الذكر؛ نجد أن الخيانة كانت لها القدر المعلى في تحديد مصير الأسرة العمورية ؛ إذ قام قائد عسكري يدعى بازل بقتل الامبراطور ميخائيل الثالث عام ٨٦٧م ليؤسس أسرة جديدة هي التي عرفت في التاريخ باسم الأسرة المقدونية ، وذلك يدل على أن تاريخ تلك الأسرة بدأ بالخيانة وانتهى بها «وتلك مفارقة تحتاج إلى التأمل .

ذلك أمر الأسرة العمورية ، تاريخ قصير شهد الصراع العنيف مع توماس الصقلي ، وافتقاد الامبراطورية جزيرتي كريت ، وصقلية، والهجوم الروسي الدموي على القسطنطينية التي لم يتمكن المسلمون من اقتحامها من قبل عام ٧١٧م ، ولكن تم اختراقه بعد ذلك من جانب الروس بقرن ونصف ، كما حدث عام ٨٦٧م والسياسة التنصيرية تجاه السلاف الغربيين ، ثم النهاية التقليدية الغالبة لعدد وافر من الأسرات البيزنطية من خلال الخيانة أو الغدر دون تحامل على التاريخ البيزنطي الذي يعد متحفاً حياً لكافة الطبائع والفرائز البشرية بإيجابياتها وسلبياتها مثل أية حقبة تاريخية أخرى.

والواقع ؛ أن الأسرة العمورية تقع في موقع متوسط فيما بين أسرتين حاكمتين كبيرتين في صورة الأسرة الأيسورية من ناحية والأسرة المقدونية الأيسورية من ناحية أخرى .

وإذا حاولنا المقارنة بين الأسرة العمورية والهرقلية يتضح لنا من خلالها ؛ أن الامبراطورية في عهد الأسرة الأولى فقدت أقاليم مهمة كانت تابعة لها في صورة بلاد الشام ومصر مع ملاحظة أن الإقليم الأول كان يعنى لها - إلى جانب أهمية اقتصادية - أهمية خاصة دينية من خلال وجود الأماكن المقدسة المسيحية فيه وارتباط الحج بها، أما في عهد الأسرة العمورية؛ فالملاحظ أن الإمبراطورية فقدت مناطق ليست لها الصفة الدينية في صورة جزيرتي كريت، وصقلية، وإن امتلكت أهمية استراتيجية عسكرية ووقعت على خطوط التجارة في عالم البحر المتوسط.

ولانغفل أنها ستتمكن فيما بعد من إستعادة الجزيرتين المذكورتين خلال حكم الأسرة المقدونية أما الاقليمية المذكورتين فقد ظلا تحت السيادة الاسلامية ولم تتمكن الإمبراطورية البتة من إعادة عقارب الساعة إلى الوراء باستعادتهما.

أما إذا ما قارنا بين الأسرتين العمورية والأيسورية ؛ نجد أن الأولى تولى الحكم فيها ثلاثة أباطرة، أما الثانية فقد احتوت على خمسة أباطرة وإذا أضفنا خلفاءهم صاروا تسعة ومع ذلك؛ لانجد من بين الأباطرة العموريين من يصل إلى دور الامبراطور ليو الثالث الأيسوري عسكرياً وقانونياً وذلك من وجهة النظر البيزنطية بطبيعة الحال، كذلك نلاحظ أن قوة المسلمين في بداية عهد الأيسوريين جعلتهم يتهددون القلب البيزنطى، أما فى عهد العموريين فقد صاروا يتهددون الأطراف الجزرية فقط نظراً لتغير الظروف السياسية والاستراتيجية لدى كل من الخلافتين الأموية والعباسية .

من جهة أخرى ؛ لم يحدث فى عهد الأسرة الأيسورية حركة مضادة ومعارضة فى حجم حركة توماس الصقلي خاصة أنها دعمت من جانب الخلافة الاسلامية ، مع ملاحظة أن المعارضة تمثلت فى عناصر مؤيدى عبادة الأيقونات أى فى صورة غير عسكرية كما فى حالة المتمرّد المذكور.

ولانغفل كذلك؛ أن الأسرة العمورية لم تجد فيها اهتماماً بالجانب القانونى؛ وهو أمر لاحظناه بجلاء فى عهد ليو الثالث الأيسورى .

من زاوية أخرى؛ هناك عناصر إتفاق بين الأسرتين المذكورتين، إذ إن كلا منها واجه عدواً بارزاً فى صورة المسلمين مع اختلاف درجة فعالياته ، كذلك نلاحظ أن العداء مع الغرب الأوروبى سار خطوات واسعة فى عهديهما من خلال النزاع على عبادة الأيقونات ، ثم قطيعة فوشيبوس ، ويلاحظ أن الهوة أخذت فى الاتساع التدريجى بين الجانبين منذ ذلك الحين.

بصفة عامة؛ تعد الأسرة العمورية بمثابة الجسر بين أسرتين بارزتين فى العصر البيزنطى الأوسط فى صورة الأسرة الأيسورية ومن بعدها المقدونية .

ذلك عرض عن الأسرة العمورية ؛ أما الصفحات التالية فتتناول الأسرة المقدونية .

## سادساً : الأسرة المقدونية (٨٦٧-١٠٥٧م)

تتناول الصفحات التالية بالعرض : عهد الأسرة المقدونية التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية على مدى مرحلة زمنية طويلة امتدت من النصف الثاني من القرن التاسع إلى ما زاد على منتصف القرن الحادي عشر الميلاديين؛ أى ما فاق قرنين من الزمان .

لقد حكم فى تلك الأسرة عدد كبير من الأباطرة فى صورة : باسل الأول Basil I (٨٦٧-٨٨٦م) ، وليو السادس (الحكيم) Leo VI the philosopher (٨٨٦-٩١٢م) الكسندر Alexander (٩١٢-٩١٣م) ، قسطنطين السابع بورفيريوجينيتس Constantine VII Porphyrogenitus (٩١٣-٩٥٩م) ورومانوس الثانى Romanus II (٩٥٩-٩١٢م) ، ونقفور فوقاس Nicephor Phocas (٩٦٣-٩٦٩م) ، يوحنا الأول تيمسكس John I Tzimiskes (٩٦٩-٩٧٦م) ، باسل الثانى (قصاب البلغار) Basil II Bulgaroctonus (٩٧٦-١٠٢٥م) ، قسطنطين الثامن Constantine VIII (١٠٢٥-١٠٢٨م) ، زوى Zoe (١٠٢٨-١٠٥٠م) وقد شاركها فى الحكم أزواجها رومانوس الثالث Romanus III (١٠٢٨-١٠٣٤م) (أرجيوس ١٠٢٨-١٠٣٤م) ، ميخائيل الرابع Michael IV البافلاجونى (١٠٣٤-١٠٤١م) ، ميخائيل الخامس Michael V (١٠٤١-١٠٤٢م) ، قسطنطين التاسع مونوماخوس Constantine IX Monomachus (١٠٤٢-١٠٥٤م) ، ثم ثيودورا Theodora (١٠٥٤-١٠٥٦م) ، ميخائيل السادس Micael VI (١٠٥٦-١٠٥٧م) .

وهكذا يتضح لنا بجلاء : أن تلك الأسرة البيزنطية الحاكمة إتسمت بالإتساع الزمانى ، وكذلك تعدد الأباطرة فيها ، وإن أمكننا القول - دونما مبالغة - أن أبرز أباطرتها هم باسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) ، وليو السادس (٨٨٦-٩١٢م) ، ومرحلة القادة العسكرية (٩٦٣-٩٧٦م) وباسل الثانى (٩٧٦-١٠٢٥م) ، وسوف أتعرض لأهم أحداث عصرهم نظراً لدورهم المحورى فى تاريخ الدولة البيزنطية حينذاك.

وفيما يتصل بالإمبراطور باسل الأول<sup>(١)</sup> : من الممكن القول بأن من أهم أعماله الآتى:

---

١- باسل الأول ؛ ولد عام ٨٢٦م إنحدر من أسرة أرمينية غير أنها استقرت فى مقدونيا ولذا عرفت بالأسرة المقدونية ، ولم يحقق قدراً من التعليم ، وتمكن بفضل ذكائه من الوصول إلى بلاط الإمبراطور ميخائيل الثالث آخر أباطرة الأسرة العمورية ، وقد توفى خلال حادث للصيد فى أغسطس عام ٨٨٦م . =

أولاً : مواجهة حركة التوسع الإسلامى فى الأدریاتيك .

ثانياً : مواجهة حركة البولسيين .

ثالثاً : الإسهام القانونى .

وفيما يتصل بالعنصر الأول : من الملاحظ أن منطقة الأدریاتيك شهدت نشاطاً واضحاً للبحرية الإسلامية إنطلاقاً من جنوبى إيطاليا ، وهكذا : نجد أن المسلمين تمكنوا من مهاجمة سودوا Budua ، كذلك حاصروا راجوزة Ragusa - فى الضفة الشرقية من الأدریاتيكى ؛ وذلك عام ٨٦٧م ، واستنجدت الأخيرة بالقسطنطينية التى قدمت إليها العون البحرى الذى تمكن من رفع الحصار عنها من جانب المسلمين بعد أن استمر شهوراً طويلة .

ويلاحظ أن المسلمين ، على الرغم من اضطرارهم إلى رفع الحصار عن راجوزة إلا أنهم بعد ذلك بثلاث سنوات وتحديداً عام ٨٧٠م ، حققوا إنتصاراً جديداً فى البحر المتوسط هذه المرة بإخضاعهم جزيرة مالطة Malta وتأكد لنا أن مرحلة الصراع على جزر البحر المتوسط لم تتوقف بعد ، وبذلك أثبتوا قدرتهم على تجاوز الهزيمة إلى الانتصار (٢) .

= عن الإمبراطور باسل الأول أنظر :

Pesellus. Fourteen Byzantine Rulers , The Chronographia of Michael psellus, Trans. by Sewter, penguin Book, London 1966, p. 63.

Vogot , Basile ler empereur de Byzance (867-886) et la Civilisation Byzantine á la fin du IXe Siecle, Paris 1908 .

وأيضاً :

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 207-214 .

Nicol, A Brographical dictionary, p. 16-17 .

Angold. Byzantium , p. 135 , 136 .

Norwich. Ashort History of Byzantium , p. 148-149 , p. 156 .

أسد رستم ، الروم ، ج ٢ ، ص ٣-١٣ .

١- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٣٩ .

٢- عن الصراع بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين حينذاك أنظر :

وديع فتحي عبدالله ، بيزنطة ومسلمو إيطاليا وصقلية فى عهد باسيل الأول المقدونى (٨٦٧-٨٨٦م /

٢٥٣-٢٧٣هـ) ، ط . الاسكندرية ١٩٩٣م ، ص ٧- ص ٨٢ . =

جدير بالإشارة : اتجه الباحثون الأوروبيون إلى تصوير نشاط المسلمين البحري في البحر المتوسط على أنه من قبيل القرصنة التي هدفت إلى السلب والنهب وبعث الاضطراب والفوضى في الأملاك البيزنطية على حين كان الأمر جهاداً بحرياً مشروعاً طالما أن حالة الحرب بين المسلمين والبيزنطيين لم تنته، ولا ينكر المؤرخ المنصف أن المسلمين كانوا رسل حضارة ولم يكونوا رسل تدمير وتخريب كما توهم ذلك القطاع المتعصب من الباحثين الأوروبيين، الذين ترصدوا للمسلمين ، وصوروا في المقابل البيزنطيين على أنهم رسل الاخاء والمحبة وغمضوا الطرف عن جوانب الصراع الدموي الداخلي وكذلك في علاقات بيزنطة مع العالم الخارجي.

على أية حال : من الممكن القول أن الدولة البيزنطية في عهد باسل الأول حاولت إيقاف المد البحري الإسلامي قدر استطاعتها ، ولكن ذلك لم يغير شيئاً في الموقف ، حيث تحول البحر المتوسط<sup>(١)</sup> الذي كان بحيرة رومانية من قبل عندما أطلق عليه الرومان تعبير «بحرنا» Mare Nostrum<sup>(٢)</sup>؛ تحول إلى أن يكون بحيرة عربية ، وهكذا صارت المواجهة بين الطرفين مواجهة

---

= منى البرى، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والمسلمين فى صقلية ، وجنوب إيطاليا زمن الأسرة المقدونية ٢٧٣-٤٣٢ هـ / ٨٨٦-١٠٤٠ م، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩٦م، ص ٥٣-٦٢ .

١- تجدر الإشارة : إلى أن البحر المتوسط تبلغ مساحته ٢,٥ مليون كم.م ، ومتوسط عمق مياهه ١,٥ كم.م ، ويبلغ طول شواطئه ٤٦,٠٠٠ كم.م منها ١٩,٠٠٠ كم.م تحتل شواطئ الجزر المنتشرة به مثل غيرها، وكريت ، ورودى ، ومالطة، وغيرها ، وقد أسماه المصريون القدماء «الأخضر العظيم» أما الفينيقيين فقد أسموه «الأزرق الواسع» ، ومن المقرر أن الكاتب الرومانى كايوس يوليوس سولينوس -Caius Julius Solinus هو أول من أطلق عليه تعبير البحر المتوسط على اعتباره أنه يتوسط قارات العالم القديم، أفريقيا وآسيا وأوروبا ، ونظرا لأهميته سعت كافة قوى العصور القديمة والوسطى لاختضاعه لسيطرتها، عن البحر المتوسط بصفة عامة انظر:

يسرى الجوهري ، جغرافية البحر المتوسط، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، فرنان بروديل، البحر المتوسط المجال والتاريخ، ت. يوسف شلب الشام، ط. حصص ٢٠٠١م، (دراسة مركزة وممتازة) .

Siegfried , The Mediterranean, Trans. by Doris Hemming London 1948, pp. 49-65 .

Horden and Purcell, The Corrupting Sea , A study of Mediterranean History, Oxford 2001 .

يعد دراسة موسعة عن البحر المتوسط عن مختلف جوانبه الجغرافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية .

٢- أطلق الرومان عليه لكبير بحرنا Mare Nostrum أو البحر الأعظم Mare Magnum أو البحر =



شهدتها أمواج ذلك البحر، انحسرت المواجهات البرية على أرض آسيا الصغرى؛ مما عكس كفاءة المسلمين وقدرتهم على أن يكونوا نداً حربيًا للقوة العسكرية البيزنطية في صور متعددة على مدى المرحلة الواقعة بين القرنين السابع والتاسع الميلاديين .

أما فيما يتصل بحركة البولسيين Paulicians<sup>(١)</sup>، فهي حركة دينية من أصل أرمني عارضت الكنيسة البيزنطية ونظرت إليها الأخيرة على أنها حركة مهرطقة.

---

= الداخلي Mare interium .

عن ذلك انظر :

جوفري ريكان، بحرنا ... البحر المتوسط ، ضمن كتاب البحر والتاريخ تحديات الطبيعة واستجابات البشر، تحرير أ. راييس، ت. عاطف أحمد، سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت أبريل ٢٠٠٥م، ص ٢١ .

١- عن الحركة البولسية أنظر:

Gibbon , The decline and Fall of the Roman Empire, vol . III, New York 1995, p. 1925 .

Dagron, Emperor and Priest, The Imperial office in Byzantium, trans . by J.Birell, Cambridge 2003 , p. 194 , p. 224 , p. 232 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 303 .

Browning , The Byzantine Empire, p. 66, p. 76-77, p. 96 .

Treodgold, History, p. 450-451 .

O.D.B., vol. 3, p. 1606 .

هاني عبد الهادي البشير، «البياضة في آسيا الصغرى في ضوء مصنف بطرس الصقلي»، المؤرخ المصري، العدد (٢٤) ، يناير ٢٠٠١م، ص ٤٥-٨٨ .

فتحى عثمان ، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢ ، ص ٢٢١-٢٢٢ ، نعيم فرج ، الحضارة البيزنطية ، ص ٢١٤-٢١٧ ويكاد يكون المؤرخ العربى الوحيد الذى قُصِّل الحديث عنهم فى كتاب يتناول ملامح الحضارة البيزنطية بصفة عامة.

وسام عبد العزيز فرج، دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٥٩ .

شارلز أومان، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٦٧، حاشية (١) ، محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٤١ .

وهناك من يقرر أن مبتكرها هو بولس السميساطى Paul of Samosata الذى عمل أسقفًا لأنطاكية خلال المرحلة من ٢٦٠ إلى ٢٦٨ م ، وقد أنكر ألوهية السيد المسيح عليه السلام، ونظر إليه على أنه مجرد مخلوق صالح ورفض تمامًا فكرة تأليهه<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ أن بطرس الصقلى Peter of Sicily يقرر اعتماد البولسيين فى تعاليمهم على رسائل بولس الرسول تلميذ السيد المسيح.

من ناحية أخرى؛ من المقرر أن البولسية التفت مع أفكار الفرس الدينية خاصة الحركة المانوية<sup>(٢)</sup> نسبة إلى مانى، والتي آمنت بدورها بالصراع بين النور والظلام، أو الخير، والشر، وأطلقت على إله النور أهورامزدا ، وإله الشر أهرمن .

ويلاحظ أن البولسيين رفضوا تقديس الصليب، والأيقونات، ولم يعترفوا بأسرار الكنيسة<sup>(٣)</sup>

١- نعيم فرج، الحضارة البيزنطية، ص ٢١٤ ، سعد رستم، التوحيد فى الأنجيل الأربعة وفى رسائل القديسين بولس ويوحنا، ط. دمشق ٢٠٠٢م، ص ٢٥ .

٢- المانوية ، تنسب إلى ماني ابن فاتك الحكيم الذى ظهر فى عهد شاپور بن أردشير الذى تولى الحكم فى فارس عام ٢٤٢م، وقد ولد فى عام ٢١٥م أو ٢١٦م ، وهناك من يذكر أن تعاليمه مزجت بين المسيحية والزرادشتية ، واعتقد بفكرة الحلول التى آمن بها الهنود. عنه أنظر: عبد الرزاق محمد أسود، موسوعة الأديان والمذاهب ، ط. بيروت ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٤٤، ص ٤٧ ، آرثر كريستنسن ، إيران فى عهد الساسانيين، ت. يحيى الخشاب ، مراجعة عبد الوهاب عزام ط ١ . القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٦٩-١٩٥ ، مفيد رائف محمود العابد، معالم تاريخ الدولة الساسانية عصر الأكاسرة ٢٢٦-٦٥١ م، ط. دمشق ١٩٩٩م ديمترى غوتاس ، الفكر اليونانى والثقافة العربية حركة الترجمة اليونانية العربية فى بغداد والمجتمع العباسى المبكر القرن الثانى - الرابع القرن الثامن - القرن العاشر ، ت. نقولا زيادة ، مركز دراسات الوحدة العربية للترجمة العربية للترجمة ، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص ١٢٤-١٢٥ .

٣- نعيم فرج ، المرجع السابق، ص ٢١٤ .

ومن المقرر أن أسرار الكنيسة السبعة هى: العباد، الميرون، القربان المقدس، الكهانة ، التكفير، مسحة المرض، الزواج. ويلاحظ أنه تم إيرادها فى الاعترافات الأرثوذكسية التى صدرت فى القرن ١٧م ردًا على حركة الإصلاح الدينى ، عن ذلك أنظر:

سعد رستم ، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الاسلام حتى اليوم، دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص ٥١ .

حسن الباش ، العقيدة النصرانية بين القرآن والأنجيل ، ط. دمشق ٢٠٠١م، ص ١٩٣-١٩٧ .

وكان لهم أدبهم الخاص بهم وتصوراتهم حيال الكتاب المقدس <sup>(١)</sup>.

وبصفة عامة ؛ يلاحظ أن التاريخ المبكر للبولسيين يكتنفه الغموض وموضع خلاف وجدل بين الباحثين، وعلى العكس من ذلك، نجد أن تاريخهم المتأخر منذ تأسيس دولتهم حتى القضاء عليهم من جانب الإمبراطور باسل الأول في القرن التاسع الميلادي ، وهجرة الكثير منهم إلى بلاد الشام، وجنوبي إيطاليا، والبلقان، حيث كانوا لا يزالون هناك حتى عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين (١٠٨٠-١١١٨م) ؛ كل ذلك يعد معروفاً بصورة واضحة <sup>(٢)</sup>، إذا ما قورن بنشأتهم .

مهما يكن من أمر ؛ تزايد نشاط البولسيين وحصلوا على دعم كبير من جانب الولايات البيزنطية الشرقية، ونجد أنهم حملوا السلاح <sup>(٣)</sup> ومثلوا خطراً يهدد الإمبراطورية ، وقد أدت مقاومة الأخيرة لهم منذ وفاة الإمبراطور نقفور الأول عام ٨١١م ؛ إلى اتجاه الكثيرين منهم إلى الاتصال بالمسلمين بل وهاجروا إلى بلاد الشام، وهناك من يقرر أنهم تعاونوا معهم ضد حكام القسطنطينية <sup>(٤)</sup>.

وبصفة عامة؛ من المقرر أن خطر البولسيين هدد المقاطعات الشرقية للإمبراطورية خلال المرحلة الواقعة بين عامي ٨٤٣ ، ٨٧٩م <sup>(٥)</sup>، وقد كانت لهم ، دولتهم المستقلة في تفريك Tephrike (حالياً Divrigi) غربي أرمينيا وقد جعلوها بمثابة عاصمة لهم <sup>(٦)</sup>.

---

١- عن ذلك انظر: Hamilton , "Wisdom from the East: The Reception among the Cathars of Eastern Dualis Texts ", in Billar (ed.) Heresy and literacy , 1000-1530 , Cambridge 1994, p. 38 .

٢- O.D.B., vol 3, p. 1606 .

٣- Browning , The Byzantine Empire , p. 66 .

٤- Ibid, p. 66 .

٥- O.D.B., vol . 3, p. 1606 .

٦- Browning, op. cit.,p. 96 .

وقد تزايد شأنهم تحت قيادة رجل يدعى كاريباس Karbeas<sup>(١)</sup>، ومن بعد ذلك ؛ تولى قيادة البولسيين قائد آخر هو كريسوخيروس Chrysocheirus<sup>(٢)</sup>، وقد تعاونوا عسكرياً مع المسلمين الذين التقت مصالحهم السياسية معهم من أجل إضعاف الامبراطورية البيزنطية ووصلت إغاراتهم إلى نيقية Nicea بل إنهم نهبوا إفسوس Ephesus في ٨٦٩-٨٧٠م<sup>(٣)</sup>.

على أية حال ؛ اشتد خطر البولسيين في عهد الإمبراطور باسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) ، وقد أرسل إليهم سفارة على رأسها بطرس الصقلي خلال المرحلة بين عامي ٨٦٩ - ٨٧٠م، وقد قدم لنا وصفاً مسهباً لتلك السفارة التي وصل بها إلى مدينة تفريك<sup>(٤)</sup>، وبصفة عامة ، بعد عامين من تلك السفارة وتحديداً في عام ٨٧٢م تمكن الإمبراطور من خلال دور عسكري بارز لشقيق زوجته كريستوفر Christophe وقائد قوائد الشرق من تحقيق الانتصار الحاسم عليهم ، وخرّب عاصمتهم وكذلك عدة قلاع أخرى وقتل زعيمهم كريسوخيروس<sup>(٥)</sup>.

بصفة عامة ؛ يمكن للباحث الخروج بعدة دلالات من خلال صراع باسل الأول مع حركة البولسيين.

فيلاحظ أن تلك الحركة لها جانبها الاقتصادي إذ عبرت عن حركات المعارضة ضد العلاقات الإقطاعية ، وكذلك الفوارق بين الطبقات في آسيا الصغرى<sup>(٦)</sup> وكذلك سلطة الكنيسة البيزنطية وعقائدها وهي تعد جزءاً لا يتجزأ من حركات المعارضة الدينية سواءً في الشرق البيزنطي أو في الغرب الأوربي مثل ما قام به الكتارين<sup>(٧)</sup> في جنوبي فرنسا في

١- O.D.B., vol 3, p. 1606 .

٢- O.D.B ., vol . 3 , p. 1606 .

٣- Ibid, p. 1606 .

٤- أورد تفاصيل ذلك في كتابه تاريخ البلوسيين؛ نعيم فرح ، الحضارة البيزنطية ، ص ٢١٤ .

٥- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٤١ .

٦- نعيم فرح، المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

٧- عن الكتارين أنظر:

Pierre des Vaux de Cernay , The Historia Albigensis, in Peters (ed.), Heresy and Authority in Medieval Europe, Pennsylvania 1980 , pp. 123-125 .

أخريات القرن ١٢ م ، وهناك من يقرر أنه خلال عصر الحروب الصليبية انتشرت أفكار البولسيين من خلال التجارة إلى إيطاليا<sup>(١)</sup> وفرنسا ؛ مما عكس قوة تأثيرها فيما بعد عصر باسل الأول.

من زاوية أخرى ، ندرك أن القضاء على نشاطهم دعم الوضع السياسي لذلك الامبراطور الذي تمكن بعد جهد جهيد من فرض السيادة الإمبراطورية على مناطقهم ، كذلك تمكنت بيزنطة من خلال تلك الأحداث من إيقاف تحالف المسلمين مع البولسيين بإعتبارهم قوة معارضة ، ولذلك لا تتعجب من إدراكنا أنه خلال العام التالي مباشرة للقضاء عليهم عام ٨٧٣م ، أمكن لبيزنطة إخضاع سميساط Samosta ، Samsat مما دعم وضع الامبراطورية العسكرية في مواجهة عدوها التقليدي في صورة المسلمين .

أما بالنسبة للإسهام القانوني ؛ فيلاحظ أن عهد باسل الأول شهد ظهور القانون الميسر وهو Procheiron<sup>(١)</sup> الذي كان الهدف منه أن تكون مواده القانونية ميسرة لعامة المعاصرين وهو عبارة عن مختارات مأخوذة من القوانين السائدة حينذاك ، وكذلك مجموعة قانونية شاملة هي

---

Rainier Sacconi , in Peters (ed.), Heresy and Authority, pp. 125-132 .

Colish, Medieval Foundations of the Western intellectual Tradition 400-1400, London 1998 . p. 250-251 .

Sumption The Albigensian Crusade, London 1988, pp. 43-60 .

Cowdrey , “ The Carthusians and Their Contemporay World : The Evidence of the Twelfth - cintury Brishops , Vitae”, in The Crusades and latin Monasticism , 11 th centuries, Great yarmouth 1999, , pp. 26-43 .

والمؤرخ المذكور من أفضل من كتب عن الكتاريين.

Hamilton. The Cathares and the Seven Churches of Asia , in Howard and Johastone (eds.)

Byzantium and The West (850-1200), Amsterdam 1988 , p. 295-296 .

la Due . The Chair of Saint Peter , A History of the Papacy , New York 1999, p. 114, p. 127 , p. 146 .

اسحق عبيد ، محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها ، ط. القاهرة ١٩٧٨م ، شارلز أومان ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٦٧ ، حاشية (٧) .

١- شارلز أومان ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ص ١٦٧ ، حاشية (١) .

١- عنه أنظر : محمود سعيد عمران . معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٤٣ .

التي عرفت باسم الاباناجوج Epanagoge<sup>(٢)</sup> وتعنى المقدمة Introduction ، ووفقاً لما ورد في افتتاحيتها نعرف أنها كانت بمثابة مقدمة للأجزاء الأربعين لمجموعة قانونية قديمة عرفت بعنوان:

Collectio Librorum Juris Gracchi Romani Ineditorum.<sup>(٣)</sup>

جدير بالذكر : احتوت الإباناجوج في القسم الأول منها على فصول على جانب كبير من الأهمية عن السلطة الإمبراطورية، وكذلك سلطة البطريرك وغيرها من الوظائف المدنية والكنسية الأخرى على نحو يعين في تقديم صورة واضحة للغاية عن مؤسسات الدولة والمجتمع في الامبراطورية البيزنطية، وكذلك العلاقات بين الكنيسة والدولة<sup>(٤)</sup>.

ولانغفل في معرض الحديث عن جهود الامبراطور باسل القانونية الاشارة إلى أن الاباناجوج كانت تمثل نوعاً من إعادة القانون الميسر ولكن مع التعديلات المهمة وكذلك إعادة التنظيم<sup>(٥)</sup>، نجد الاستفادة من الجهد القانوني الذي بذل في عهد الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري من قبل، مما عكس التواصل والاستمرارية بين أدوار الأباطرة البيزنطيين في ذلك المجال.

وهكذا : يتضح لنا على نحو جلي أن من الأباطرة البيزنطيين المقدونيين من أدرك - عن حق - أهمية القانون في توحيد شعوب الامبراطورية البيزنطية ، وفي تدعيم السلطة الإمبراطورية .

مهما يكن من أمر، نختتم الحديث عن مؤسس الأسرة المقدونية بمحنته الشخصية ، إذ أن باسل تعرض لوفاة ابنه في أخريات سنوات حكمه، على نحو أحدث أثراً نفسياً سيئاً<sup>(٥)</sup> عليه فافتترسه الحزن الشديد، وقد وضع الموت حداً لذلك عام ٨٨٦م.

---

١- عن الاباناجوج أنظر:

Vasiliev , History of The Byzantine Empire , pp. 341-342 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 192, p. 213 .

Vasiliev, Op. cit., p. 341 , note (110) .

-٢

Vasiliev , Op. cit., p. 341 .

-٣

٤- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٤٤ .

٥- نفسه ، ص ١٤٥ .



وجدير بالإشارة ؛ أن الباحث فى التاريخ البيزنطى فى حاجة ماسة إلى معرفة أثر الزوايا النفسية لدى كبار الأباطرة على صنع القرار السياسى وبالتالى على تاريخ الشعب البيزنطى ذاته، غير أنه أمام صمت المصادر ليس فى الإمكان تجلية تلك الناحية التى لاتزال غامضة على الرغم من أهميتها الخاصة .

أما الامبراطور ليو السادس Leo II (الملقب بالحكيم)<sup>(١)</sup> الذى حكم فيما بين عامى ٨٨٦م، ٩١٢م، فيمكن إجمال أهم أعماله من خلال الآتى:

أولاً : الإسهام القانونى .

ثانياً : سياسته تجاه البلغار .

ثالثاً : المواجهة مع المسلمين .

رابعاً : زيجاته المتعددة بحثاً عن وريث للعرش .

وفيما يتصل بالعنصر الأول؛ من الملاحظ إصدار الأوامر الامبراطورية Basilica فى عصر ذلك الإمبراطور، وقد تكونت من ٦٠ فصلاً ويلاحظ أنها اعتمدت على قوانين جستنيان ، ومن المهم هنا الإقرار بدور بارز لأحد رجال القانون فى بيزنطة فى صورة سيمباتيوس -Symba-tius<sup>(٢)</sup> الذى كثيراً مالا يذكر اسمه وجهده وينسب الأمر برمته للامبراطور ليو السادس، وهى زاوية تعدت فى مواقف مختلفة من التاريخ البيزنطى .

على أية حال ؛ فإن تلك المجموعة القانونية كان لها أثرها الواضح من حيث أن فاق استعمالها استعمال المجموعة القانونية التى تنسب للإمبراطور جستنيان ، ومع ذلك ؛ فمن المهم هنا الإقرار بأن النشاط القانونى البيزنطى فى عهد ليو السادس شمل ما يعرف بالمتجددات التى اعتمدت اعتماداً كبيراً على متجددات جستنيان السالفة الذكر .

١- ليو السادس Leo VI ؛ إمبراطور بالاشتراك من ٦ يناير ٨٧٠م وإمبراطور من ٣٠ يوليو ٨٨٦ إلى ٩١٢م، ولد فى القسطنطينية فى ١٩ سبتمبر عام ٨٦٦م ، وهو الابن الثانى للإمبراطور باسل الأول ، وقد لقب بالحكيم . وكان مستشاره الكبار هم زاوتزيس Zuoutzes ، والخصى ساموناس Samonas ، والخصى قسطنطين Constantine ، وقد توفى ليو السادس فى ١١ مايو عام ٩١٢م عنه أنظر بالتفصيل : Tougher, The Reign of Leo VI (886-912), Politics, and People, Leiden 1997 .

وهى دراسة مفصلة وموسعة عنه من خلال أوثق المصادر والمراجع .

O.D.B., vol .2, pp. 1210-1211 .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 74 .

٢- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٤٦ .

أما ما اتصل بالموقف البيزنطى من البلغار<sup>(١)</sup>؛ نجد توتر العلاقات البيزنطية- البلغارية؛ وذلك بسبب إتجاه بيزنطة إلى إتباع أسلوب الاحتكار فى تجارة بلغاريا على نحو أضر بمصالح الأخيرة، وحدث صدام عسكرى من خلاله هاجم البلغار أراضى بيزنطة عام ٨٩٤م، فلجأت إلى التحالف مع الما جي ار الذين قاموا بمهاجمة المناطق الشمالية من بلغاريا، وتمكنوا من تحقيق إنتصارات هناك، وبالتالى؛ أكدت بيزنطة قدرتها على إيجاد حلفاء أقوياء يقدمون لها المساعدة العسكرية عندما تضيق بها السبل، وفى الوقت المناسب، ويلاحظ أن البلغار تحالفوا فى مواجهة ذلك الأمر، مع البجناق الذين تمكنوا بالتعاون معهم من هزيمة الما جي ار عام ٨٩٦م، واضطرت بيزنطة لمواجهة البلغار بعد أن قوى شأنهم بالتحالف المذكور، وهزمت على أيديهم واضطرت إلى مصالحتهم وبالفعل دفعت لهم فدية سنوية؛ مما عكس أن الصراع مع البلغار لم يكن فى صالح الامبراطورية البيزنطية خلال تلك المرحلة.

أما بالنسبة للصراع مع المسلمين؛ فيلاحظ أنهم واصلوا بحماس هجماتهم ضد أملاك الإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور ليو السادس، ويقرر أحد المؤرخين العرب البارزين فى حفل الدراسات البيزنطية «... على فترات متقطعة نهب العرب وخرّبوا أرخبيل، وساحل شبه جزيرة المورة Morea، وتساليا Thessaly، وفى عام ٩٠٢م، دمرت مدينة ديمترياس Demetriass الغنية على ساحل تساليا»<sup>(٢)</sup>.

ولست فى حاجة إلى معارضة ذلك الرأى الذى يعكس بجلاء المركزية الأوربية، ومرة أخرى. فإن ما قام به المسلمون ضد بيزنطة حينذاك جهاد مشروع طالما أن حالة الحرب كانت قائمة بين الطرفين، ولا تغفل أن البيزنطيين اتبعوا نفس الأسلوب فى صراعهم مع المسلمين وليس من الموضوعية بمكان تبني وجهة نظر غريبة على هذه الصورة.

١- عن صراع ليو السادس مع البلغار أنظر:

Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, p. 253 .

Runciman, A History of The First Bulgarian Empire, London 1930, pp. 145-146 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 231-239 .

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٦٢-١٦٤ .

حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٥٨ .

٢- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطور البيزنطية، ص ١٥٢ . =

وينبغي أن نتذكر جيداً إنه في عالم الحرب حينذاك ؛ كافة أشكالها متوقفة والهدف منها أصلاً كسر إرادة الخصم وإجباره على تقديم تنازلات سياسية.

ومن المهم هنا ملاحظة ؛ دور بارز لقيادتين ممن اعتنقوا الإسلام من البيزنطيين وعملوا على جهاد الإمبراطورية البيزنطية ، ومن أمثلتهم ليو الطرابلس Leo of Tripolis <sup>(١)</sup> ، ودميان الصوري Damian of Tyre <sup>(٢)</sup> ، ولذلك تطلب الأمر؛ تسليط الضوء عليهما لما لهما من أهمية خاصة خلال تلك المرحلة المؤثرة من مراحل العلاقات الإسلامية- البيزنطية.

على أية حال ؛ هناك من يقرر أن ليو الطرابلسي ؛ قد ولد من أبوين مسيحيين في مدينة اتاليا Atalia الواقعة على الساحل الجنوبي من آسيا الصغرى وفيما بعد؛ تم أسره من جانب المسلمين ، ويعتقد أنه جئ به إلى طرابلس حاضرة شمالي لبنان بين عامي ٨٦٣ ، ٨٦٦م، ثم تلقى فنون القتال البحري وصار خبيراً بها حتى أنه لقب «بأبي الحرب» ؛ على نحو عكس أهمية دوره ، وبالتالي إنطباق ذلك الوصف عليه .

بصفة عامة؛ نعرف أن ليو الطرابلسي قام بمهاجمة مناطق تابعة للدولة البيزنطية ، وذلك بعد أن اعتنق الإسلام وهو لا يزال صغيراً كما قرر البعض، ومن المناطق التي عمل على مهاجمتها أتاليا.

١- عن ليو الطرابلسي انظر:

Gregoire, " Le Communiqué arabe sur la prise de thessalonique 904" B.Z., 82 , 1989 , pp. 373-378 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 305-306 .

نعيم فوح، تاريخ بيزنطة السياسي ، ص ٢٤٨ .

عمر عبد السلام تدمري، لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الاخشيدية ١٢٢-٣٥٨هـ / ٧٥٠-٩٦٩م. ط. طرابلس ١٩٩٢م، ص ٨١-٨٦ .

وأتوجه بالشكر العميق للمؤرخ اللبناني الكبير أ.د. عمر عبد السلام تدمري الذي أفادني بمناقشاته العلمية الثرية معه في يناير ٢٠٠٦م بإمارة الشارقة خلال زيارته لها .

٢- عن دميان الصوري أنظر :

عمر عبد السلام تدمري، المرجع السابق، ص ٢٨-٩٤ ، مدينة صور في كتابات المؤرخين والرحالة من الفتح الإسلامي حتى التحرير من الصليبيين» ، ضمن كتاب : صور من العهد الفينيقي إلى القرن العشرين، منتدى صور الثقافي ١٥-١٦ . حزيران ١٩٩٧م، ط. صور ١٩٩٧م، ص ١٣٥ ، والمؤرخ المذكور يعد أول من سلط الضوء على دميان الصوري.

جدير بالذكر ؛ يعد الدور البارز الذى قام به ليو الطرابلسي ؛ المشاركة فى الاستيلاء على مدينة سالونيك Thessalonica التى تمكن المسلمون من إخضاعها فى أوائل القرن العاشر الميلادى، وتحديدًا عام ٩٠٤م ، ويعد ذلك مكسبًا بارزًا للمسلمين على حساب البيزنطيين ؛ إذ أن سالونيك عدت حينذاك إحدى الحواضر البيزنطية البارزة<sup>(١)</sup>، ولاريب فى أنها عدت فى الدرجة الثانية بعد القسطنطينية من المراكز الصناعية والتجارية بل والفكرية كما يقرر البعض<sup>(٢)</sup>.

أما القائد الثانى فهو دميان الصورى ؛ وقد ولد هو الآخر من أبوين مسيحيين ، وتم أسره خلال إحدى المعارك مع المسلمين، وقد تم نقله إلى مدينة صور؛ ولذلك عرف بدميان الصورى<sup>(٣)</sup>، وفيما بعد قام بدور بارز فى جهاد البيزنطيين، وهناك من يقرر أن عام ٨٩٥م؛ عد بداية ظهور ذلك القائد على مسرح الأحداث حينذاك.

ويلاحظ أن دميان الصورى اكتسب خبرة عريضة بأساليب البيزنطيين الحربية، ونعرف أنه تولى أمر ثغر طرسوس ؛ مما عكس أهمية ذلك المنصب الذى تولاه على الأرجح من خلال كفاءته الحربية التى برزت فى ميادين القتال .

١- عن سقوط سالونيك فى يدى ليو الطرابلس أنظر:

Ostrogorsky, History of The Byzantine State, p. 228 .

محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٢ .

٢- نعيم فرح ، الحضارة البيزنطية ، ص ٢٣٧ .

ولانغفل هنا الإشارة إلى أن سالونيك ، إزداد عدد سكانها زيادة كبيرة مع بداية القرن العاشر م حيث عدت ملجأ لسكان الجزر والسهول التى تعرضت لهجمات المسلمين خاصة أنها تمتعت بأسوار منيعة فصار من الصعب الاستيلاء عليها ، ويلاحظ أنها تمتعت بمكانة تجارية من خلال وقوعها على الطريق التجارى الرومانى القديم المعروف باسم Via Egnatia الذى أوصلها بشواطئ الادرياتيكى فى الغرب والقسطنطينية فى جهة الشرق كذلك نعرف اشتهاها بمعادن الحديد ، والنحاس ، والقصدير ، وصناعات الزجاج ، والصوف ، والكتان، والسفن والأسلحة وكل ذلك يوضح لنا أهمية الحجاز المسلمين عام ٩٠٤م.

عن ذلك أنظر: O.D.B., vol . 3, p. 2071 - 2072 .

نعيم فرح، المرجع السابق، ص ٢٣٧ .

٣- عمر عبد السلام تدمرى، مدينة صور ، ص ١٣٥ .

جدير بالإشارة : عمل المؤرخون الغربيون على مهاجمة ليو الطرابلسي، ودميان الصوري، وتم تصويرهما على أنهما مرتدين<sup>(١)</sup>، ولم يبرز حقيقة الدور الجهادي الفعال الذي قاما به، إلى أن قام المؤرخ اللبناني البارز عمر عبد السلام تدمري بتسليط الضوء على ذلك الدور لكل منهما بصورة غير مسبقة .

بصفة عامة؛ يدل أمر هذين القائدين على قدرة الإسلام على الانتشار في قلوب البيزنطيين بل وتحولهم إلى الجهاد ضد تلك الإمبراطورية التي ناصبت المسلمين العداء.

نترك الآن الصراع بين بيزنطة والمسلمين، ونتجه إلى ناحية أخرى مغايرة في صورة زواج الامبراطور البيزنطي ليو السادس وجدير بالإشارة : أن ذلك الامبراطور تزوج أربع زيجات - سعياً إلى وريث للحكم- ويمكن إجمالها على النحو التالي :

أولاً : تزوج من إحدى قريباته تدعى ثيوفانو Theophano<sup>(٢)</sup> عام ٨٨٥م، وأنجبت له طفلة ؛ وقد ماتت الأخيرة، ومن بعدها أمها<sup>(٣)</sup>.

١- Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 78 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 228 .

٢- عن قضية زواج الإمبراطور ليو السادس أنظر :

Tougher, The Reign of Leo VI , pp. 133-163 .

Garland , Byzantine Empresses Woman and Power in Byzantium, A. D. 527-1204 , London 1999, pp. 109-124 .

حيث خصص المؤلف في دراسته المستازة فصلاً مستقلاً عن ذلك الموضوع .

أما أنجزل دراسة بالعربية فهي تلك التي قام بها وسام عبد العزيز فرج ، أنظر: وسام عبد العزيز فرج ، الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس (٨٨٦-٩١٢)، ط. الاسكندرية ١٩٩١م، وقد عاد ونشرها في كتابه الحديث : بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٦٥-١٤٢ .

وعن ذلك الأمر أنظر :

عليه الجنزوري ، المرأة في الحضارة البيزنطية ، ص ١٩٣-١٩٤ .

محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٥٧-١٥٨ .

٣- عليه الجنزوري ، المرجع السابق، ص ١٩٣ .

ثانيًا : دخل في علاقة مع زوى Zoe ابنة الوزير ستليانوس<sup>(١)</sup> زوتزس - Stylianus Zaut-zes وعندما أراد إضفاء صفة الشرعية عليه عام ٨٩٨م؛ اعترض بطريق القسطنطينية حينذاك ، إلا أن كاهن البلاط الإمبراطوري؛ وافق على الأمر، وتوفيت زوى في العام التالي؛ أي عام ٨٩٩م، بعد إنجابها لطفلة .

ثالثًا : كرر الامبراطور مرة ثالثة في صورة يودوكيا بايانا Eudocia Baiana، عام ٩٠٠م وأنجبت له طفلاً هو باسل Basil إلا أنها ماتت ومن بعدها توفى الابن عام ٩٠١م .

رابعًا : أقام الامبراطور علاقة مع محظية هي زوى كاربونسينا Zoe Carbonsina التي حققت له حلمه الذي تحرق شوقاً إليه حيث إنجبت له عام ٩٠٥م ابناً سيتولى العرش الإمبراطوري تحت إسم قسطنطين السابع بورفيروجنتيس<sup>(٢)</sup> Constantine VII Porphyro-genitus، وعندما أراد أن يجعل ذلك الزواج رسمياً اعترض عليه البطريك نيقولا مستيكوس Nicolas Mysticus<sup>(٣)</sup>، وحدثت أزمة عنيفة بين الإمبراطور ، والبطريك - وهي من

١- عليه الجنزوري ، المرأة في الحضارة البيزنطية، ص ١٩٣ ..

٢- قسطنطين السابع بورفيروجنتيس Constantine VII Porphyrogenitus ، هو الابن الوحيد للإمبراطور ليو السادس Leo VI من زوجته زوى كاربوسينا Zoe Carbonsino ، ويلاحظ أن كلمة بورفيروجنتيس تعني المولود في العباءة الأرجوانية أو المذهبة واشتق من الكلمة Porphyro؛ وتعني ذهب أو أرجواني، أما كلمة genetis فتعني مولود والمقصود بها التعبير أن ذلك الإمبراطور وصل إلى العرش بشرعية كاملة، ولم يكن من مغتصبه ، ومن المقرر أنه - كما قرر دونالد نيكول- على مدى ٢٤ عاماً حكم في ظل حميه رومانوس ، ولكن عندما مات الأخير عام ٩١٤م تولى الحكم منفرداً ، عنه أنظر:

Constantine Porphyrogenitus , De Administrando Imperio, Trans . by P.S.H. Jenkins, Dumbarton Oaks Center, Washington 1967 , pp. 7- 79 , Toynbee, Constantine Porphyrogenitus and his World, London 1973 .

Nicol, A Biographical Dictionary , p. 27 . Little and Coulson, The Shorter Oxford English Dictionary on historical Principles, vol II, Oxford 1950, p. 1546 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 75-76 . Vasiliev, History of the Byzantine State, p. 246 - 251 .

عبد القادر اليوسف، الامبراطورية البيزنطية، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص ١٣٨ .

محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص ٢٣١، حاشية (٣٩) .

٢- نيقولا مستيكوس، هو بطريك القسطنطينية خلال المرحلة من ٩٠١-٩٠٧م، ٩١٢-٩٢٥ ، وقد وصف بأنه كان من أصل إيطالي، وتأثر بأفكار فوشيسوس، عنه أنظر: محمود سعيد عمران، نيقولا مستيكوس وعلاقة الامبراطورية البيزنطية بالقوى الإسلامية من خلال مراسلاته، ط. بيروت ب-ت. أحمد عبد الكريم =



الأحداث النادرة فى التاريخ البيزنطى إنتهت بأن وافق البطريق على تعميد الطفل وتعهد الإمبراطور ليو السادس بأن يطرد زوى كاريونسينا من القصر.

على أية حال ؛ تم تعميد الطفل فى كنيسة أيا صوفيا الشهيرة وتم طرد أمه، إلا أن ليو السادس سرعان ما أعادها بعد أن تزوجها على يدى الأسقف توماس ، بل وتوجها كامبراطورة، ومنحها لقب أوغسطس Augusta مما أدى إلى تجدد الصراع بين الامبراطور ونيقولا مستيكوس الذى اتجه الامبراطور إلى عزله .

بصفة عامة؛ اتجه ليو السادس إلى تتويج ابنه امبراطوراً عام ٩١١م وقد صار للإمبراطورية ثلاثة اباطرة هم ليو السادس ، وأخوه الكسندر ، ثم قسطنطين السابع، وعلى إثر وفاة ليو عام ٩١٢م؛ تولى الكسندر الوصاية على قسطنطين السابع ؛ نظراً لصغر سنه .

والواقع أن نظرة متأنية إلى ليو السادس على المستوى الشخصى نجد أنه تصارع مع الزمن والموت معاً فى ثنائية تشير التأمل. فقد كان فى سباق محموم مع الزمن ؛ ليتحقق أمله فى وجود وريث للعرش؛ إلا أن الموت كان يلاحقه من خلال رحيل من تزوج ، ومع ذلك واصل السعى دون هراة - فى سبيل تحقيق هدفه ، ويمكن القول أن حياته تصلح لتكون صورة مصغرة من تاريخ الامبراطورية البيزنطية ذاتها التى تصارعت مع الموت مرات عديدة إلى أن نال منها فى نهاية المطاف .

وبلاحظ أنه حقق طموحاته فى تلك الزاوية قبل وفاته بأعوام قليلة أى بسبع سنوات فقط. وبذلك أمكن أن يطمئن لوجود وريث يرث العرش الامبراطورى بعد أن تراوحت نفسية أبيه بين الأمل واليأس وتملكه ألم الانتظار لأعوام عديدة.

على أية حال ؛ تولى العرش البيزنطى الكسندر Alexander مدة قصيرة ٩١٢-٩١٣م، وفى العام الأخير ؛ توفى ، ومن بعد ذلك ، تمكن القائد البحرى رومانوس الأول ليكابينوس Romanus I Lecapenus<sup>(١)</sup>، من الوصول إلى العرش عام ٩١٩م ، وذلك بعد أن تولى

= سليمان ، رسالة البطريك نيقولا مستيكوس إلى العباسى ، المجلة التاريخية المصرية، م (٢٨)، (٢٩) . ١٩٨١-١٩٨٢م.

١- رومانوس الأول ليكابينوس ؛ هو الابن الوحيد لأحد الفلاحين الأرمن من لাকাيبه فى شرقى الأناضول Anatolia ، وقد شغل منصب قائد الأسطول البيزنطى، أو ما أطلق عليه درونجاريوس Drongarios ، ومن المعروف أن ذلك الإمبراطور عرف عنه الدهاء ، والصبر فى التعامل مع خصومه السياسيين ويوصف بأنه الإمبراطور الذى هاجم عناصر ملاك الأراضى الذين تزايدت قوتهم فى الامبراطورية البيزنطية بعد قيامهم بشراء أراضى صغار المزارعين .

مجلس وصاية الوصاية على قسطنطين السابع خلال المرحلة الواقعة بين عامي ٩١٣ إلى ٩١٩ م.

يلاحظ ؛ أن رومانوس ليكاينوس يعد إمتداداً طبيعياً لظاهرة القادة العسكريين الذين أنحيهم الجيش أو الأسطول البيزنطيين ، وتمكنوا من خلال كفاءتهم الحربية وكذلك طموحهم الطاغى من الوصول إلى المنصب الإمبراطورى الذى صار هدفاً لكل من رأى فى نفسه قدرة على التآمر للوصول إليه .

على أية حال ؛ عمل رومانوس ليكاينوس جاهداً على إضفاء طابع الشرعية على حكمه، فزوج قسطنطين السابع من ابنته عام ٩١٩ م، كذلك تزوج من الإمبراطورة زوى وذلك بعد وفاة زوجته ، ويلاحظ أن ابنيه ستيقن ، وقسطنطين، تأمرا عليه للاستحواذ على المنصب الإمبراطورى، ومن بعد تلك المأساة الشخصية إنقطع إلى سلك الرهبنة كحل هروبى، ومات عام ٩٤٨ م، بعد معاناة نفسية لاتنكر.

مهما يكن من أمر؛ ألقى قسطنطين السابع القبض على الابنين العاقين، وتولى العرش خلال المرحلة من ٩٤٥ إلى ٩٥٩ م وقد دخل فى صراع مرير مع البلغار خاصة مع وجود زعيم قوى قادهم ضد الامبراطورية هو سيمون Simeon<sup>(١)</sup> وبعد وفاته عام ٩٢٧ م؛ قاد الأمر بدلاً من ابنه بطرس خلال المرحلة الطويلة الممتدة من ٩٢٧ م إلى ٩٦٩ م، قد اتجه إلى مهادنة الإمبراطورية البيزنطية<sup>(٢)</sup>، وقد أفاد ذلك الإمبراطورية فى التقاط الأنفاس بعد صراع مرير مع البلغار أجهد جيشها وميزانيتها على نحو كبير.

---

عن رومانوس ليكاينوس انظر:

= Runciman , The Emperor Romanus Lecapenus and his Reign, Cambridge 1963 .

O.D.B., vol . 3 , p. 1806 .

Nicol, A Biographical dictionary , pp. 72-73 , Head, Imperial Byzantine Portraits , A verbal and graphic Gallery , New York 1982, pp. 81-82 .

Vasiliev, History of the byzantine Empire, p. 187 .

Treadgold , A History of the Byzantine State and Society, pp. 476-486 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 234-247 .

١- عنه أنظر: حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٥٨ .

٢- Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 318-319 .

أما فيما يتصل بالصراع البيزنطى مع المسلمين ؛ فيلاحظ بروز قيادة فعالة لدى الأخيرين فى صورة سيف الدولة الحمدانى<sup>(١)</sup> (٩٤٤-٩٦٧م) ، وهو الذى قام بدور بارز فى جهاد البيزنطيين ؛ بعد أن ضعفت الخلافة العباسية ، ولم تعد تستطيع القيام بدورها فى التصدى لهم على خلاف ما قامت به من قبل فى العصر العباسى الأول ٧٥٠-٨٥٠م ، بل إن البيزنطيين حسنوا علاقاتهم معها ومع الاخشيديين فى مصر<sup>(٢)</sup> ، لقد تمكن سيف الدولة الحمدانى من تحقيق عدد من الانتصارات ضد البيزنطيين عام ٩٣٨م حيث تمكن من هزيمة القوات البيزنطية أمام حصن زياد فى منطقة أعالي الفرات . وكانت بقيادة حنا كوركواس John Kourkouas<sup>(٣)</sup> ، كذلك تمكن من التوسع فى عدد من المناطق الأرمينية ، وتم إجبار عدد كبير من الأمراء هناك على الخضوع له ، كما أنه فى عام ٩٤٠م هاجم منطقة

١- يلاحظ أن سيف الدولة الحمدانى ، جعل من حلب مركزاً ثقافياً وحضارياً إلى جانب كونها مركزاً للجهاد ضد البيزنطيين وكفى للتدليل على ذلك أن بلاطه قصد المتنبى وأبو الفرج الاصفهاني والفارابي ، وعن جهاده للروم أنظر:

مسكويه ، تجارب الأمم ، ط. القاهرة ب-ت ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .

المتنبى ، ديوان المتنبى ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، ط. بيروت ١٩٨٠م ، ج ٤ ، ص ٩٤- ص ١٠٨ .

Canard , Sayf Aldaula, Alger 1934 .

Id, Histoire de la dynastie de Hamadanides, de Jazira et de Syrie , T.I, Paris 1953 .

وتعد دراستا كنار رائدة فى مجال تاريخ الحمدانيين على الرغم من صدورهما فى النصف الأول من القرن الماضى ، مع عدم إغفال أن صاحبها مستشرق فرنسى.

أيضاً : مصطفى الشكعة ، سيف الدولة الحمدانى مملكة السيف ودولة الأقلام ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م ، ص ١١٧-١٣٢ . وهى دراسة مهمة على الرغم من أن مؤلفها إهتمامه الأصلي بتاريخ الأدب ، أيضاً : أحمد اسماعيل على ، تاريخ بلاد الشام فى العصر العباسى ١٣٢-٤٦٣ هـ / ٧٤٩-١٠٧٠م ودراسة سياسية واجتماعية ، ط. دمشق ١٩٨٣م ، ص ١٠٤-١١٠ .

٢- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٦ .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, op. cit, p. 245 .

٣- حنا كوركواس ؛ يعد من رجال القرن العاشر الميلادى ، وقد تدرج من مجرد جندى أرمينى حتى وصل إلى درجة رفيعة فى صورة رئيس الحرس الامبراطورى ، ثم صار دومستيك Domestic أو قائد الجيوش =

كولونيا Colonea<sup>(١)</sup>، وبعد عامين فقط من تلك الأحداث وقعت معركة بغراس ، ومرعش عام ٩٤٢م، وتمكن فيها من هزيمة البيزنطيين.

على أية حال ؛ لم تقف الإمبراطورية البيزنطية مكتوفة الأيدي أمام هجمات ذلك القائد المسلم، وهكذا ؛ قامت بتوجيه قواتها عام ٩٤٣م في منطقة الجزيرة الفراتية وتمكنت من الاستيلاء على مارتيروبوليس ، وأن، ودارا، ونصيبين<sup>(٢)</sup> وذلك تحت قيادة القائد السالف الذكر<sup>(٣)</sup>، وقد أطمعته إنتصاراته في أن يتوجه إلى الرها Edessa عام ٩٤٤م على نحو جعلها بمثابة قمة انتصاراته في تلك المرحلة ، وكانت في قبضة المسلمين عام ٩٤١م. ويلاحظ أنها مثلت مكانة دينية خاصة مع وجود المنديل المقدس The Sacred Mandilon الخاص بالسيد المسيح<sup>(٤)</sup> كما يعتقد المسيحيون في كنيستها .

= الشرقية ضد المسلمين في عهد الامبراطور رومانوس الأول ليكابينوس Romanus I Lakapenos، ويقرر دونالدنيكول عنه أنه تولى أمر الدفاع عن العاصمة البيزنطية في مواجهة الروس عام ٩٤١م، وقد وصفه رنسيومان بأنه أعظم جندي أنجبتة بيزنطة لعدة أجيال ، كذلك حارب المسلمين في الجبهة الشرقية ، وعندما أسقط الامبراطور المذكور عن عرشه عام ٩٤٤م تبدلت الأمور بالنسبة لحناكوركواس فصار في ظلال النسيان بعد أن جرد من مناصبه . عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary , pp. 70-71 . Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 245.

Norwich, Short History of Byzantium, p. 177 .

Runciman, Romanus Lecapenus, p. 146-150 .

حسنين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٥٧ . محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٨٧ .

Ostrogorsky, Op. cit., p. 245 . -١

Ostrogorsky, Op. cit., p. 245 . -٢

أيضاً : محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص ١٨٧ .

Ostrogorsky, Op. cit., p. 245 . -٣

Norwich, Op. cit., p. 177 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 306 .

Nicol, Op. cit., p. 71 . -٤

ولا يعنى ذلك بالطبع ؛ تصور أن سيف الدولة الحمداني لم يرد على تلك التوسعات البيزنطية ؛ إذ دارت الحرب بينه وبين البيزنطيين سجالاً وتراوحت بين الانتصار والهزيمة. حدثت معركة حصن برزويه عام ٩٤٧م ، وفى عام ٩٥٠م ، توغل فى مناطق البيزنطيين وصعب عليه أمر العودة ومنى بالهزيمة ولاريب فى أن الطبيعة الجبلية، والظروف المناخية القاسية حالت دون تحقيق الانتصار مع عدم اغفال فعاليات الجيش البيزنطى بطبيعة الحال .

تجدر الإشارة إلى أن ذلك القائد لم توقفه الهزيمة المذكورة عن مواصلة الجهاد ، بل استمر يواجه البيزنطيين روح وثابه فقام بغزوتين عام ٩٥٣م وفى العامين التاليين واصل تقدمه بل تمكن من الانتصار فى معركة الحدث وامتدحه أبو الطيب بقصيدة رائعة قال فى مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتى على قدر الكرام المكارم

وتعظم فى عين الصغير صغارها

وتصغر فى عين العظيم العظائم<sup>(١)</sup>

جدير بالذكر ؛ حرص المؤرخون الأوروبيون الذين تحمسوا للتاريخ البيزنطى على تصور سيف الدولة الحمداني على أنه أحد اللصوص الذين هاجموا بيزنطة، وتصوروا أن كافة عملياته العسكرية لم يكن لها من هدف سوى السلب والنهب<sup>(٢)</sup> والعودة بالغنائم ، والأسلاب ، وفى المقابل ؛ أظهروا الحملات العسكرية البيزنطية حينذاك على أنها بمثابة محاولة لإعادة الأمن لمناطق الجزيرة الفراتية ، وبالتالي نسوا أو تناسوا أن ذلك القائد كان من كبار قادة الجهاد الإسلامى فى ذلك العصر، وقد أبلى بلاءً حسناً فى مواجهة العدوان البيزنطى على أملاك المسلمين حينذاك .

بوجه عام؛ لم يجد ذلك القائد المسلم من ينصفه إلا بعض أبيات رائعة لعبقري الشعر العربى أبو الطيب المتنبى هى - بلاريب - درة ديوانه ، وكذلك القليل من الباحثين من لم يتأثر بالرؤية المركزية الأوروبية .

١- عن جهاد سيف الدولة ضد البيزنطيين أنظر:

مسكويه ، تجارب الأمم، ج٢، ص ١٨٠، مصطفى الشكعة ، سيف الدولة الحمداني، ص ١١٧-١٣٢ .

٢- على سبيل المثال أنظر:

Schlumberger, Un Empereur Byzantine au Dixieme Siecle, Nicephor Phocas phocas. Paris 1890 . p. 227 .

من بعد ذلك ؛ تولى حكم الإمبراطورية البيزنطية الإمبراطور رومانوس الثاني<sup>(١)</sup> ٩٥٩-٩٦٣م، الذي حقق لإمبراطوريته إنجازاً في صورة استرداد كريت Crete من السيادة الإسلامية ، وذلك عام ٩٦١م<sup>(٢)</sup>؛ بعد أن ضعفت أحوال المسلمين السياسية بصفة عامة، وهكذا؛ فإن نجاح البيزنطيين في إسترداد تلك الجزيرة لم يكن ليتم دون ضعفهم ، ويقرر أحد كبار المؤرخين العرب ما نصه : « ترتب على سقوط الجزيرة ؛ عودة الأمن إلى بحر أيجه بعد أن تعرض لفترة طويلة لحملات المسلمين ، وعادت كريت مركزاً تجارياً بيزنطياً هاماً في حوض البحر المتوسط »<sup>(٣)</sup>، الواقع ؛ أن ذلك الرأي يمكن توقعه مؤرخ غربي؛ أما أن يصدر من مؤرخ عربي فهو أمر يدعو للدهشة ولا يمكن الموافقة عليه وقد تقبل العبارة في حالة الإشارة إلى أن ذلك من وجه النظر البيزنطية ومرة أخرى ؛ ما قام به المسلمون في بحر إيجه جهاد بحري مشروع ، من خلال استمرار حالة الحرب بينهم وبين بيزنطة.

على أية حال ؛ من الملاحظ أن عهد الأسرة المقدونية احتوى على ما يعرف بمرحلة القادة العسكريين وتعني عهد الامبراطورين؛ نقفور فوكاس<sup>(٤)</sup> (٩٦٣-٩٦٩م)، ويوحنا تزميسكس

١- رومانوس الثاني بن قسطنطين السابع ؛ من المقرر أنه عندما توفي أبوه كان قد بلغ الحادية والعشرين من عمره في نوفمبر عام ٩٥٩م . ويقرر دونالد نيكول إتصافه بالعريضة ، والعبث، ومع ذلك وجد حوله عدد من كبار رجال السياسة والحرب على نحو أفاد الإمبراطورية البيزنطية، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary, p. 112 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. vol . I, p. 302 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 251-252 .

٢- أفضل دراسة بالعربية عن كريت والصراع الإسلامي- البيزنطي عليها ، أعدتها أ.د. اسمت غنيم أنظر: أسمت غنيم، الامبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ط. الاسكندرية ١٩٨٣م، وعن استرداد بيزنطة لها أنظر: ص ٢٣٧-٢٧٦ وهي في الأصل أطروحة علمية من كلية الآداب- جامعة الاسكندرية.

٣- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٩٨ .

٤- نقفور فوكاس ولد من أسرة من الأسر العسكرية العريقة في آسيا الصغرى ويلاحظ أنه عمل في خدمة الامبراطورين بازل الأول وليو السادس وأبوه برداس فوكاس عمل كقائد عام في عهد قسطنطين السادس، عنه أنظر :

ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ط. دمشق ١٩٥١م، ج ١، ص ٢٩ . وما بعدها . =



(٦٦٩-٩٧٦م)، وقد حققت الامبراطورية البيزنطية خلال حكمهما عدداً من الانتصارات على المسلمين؛ نظراً لضعفهم، وكذلك كفاءة القوة العسكرية البيزنطية التي توافرت لها خبرة عريضة في مواجهة المسلمين في ساحات المعارك، ولاتغفل إنتهاز بيزنطة لوضع المسلمين السياسى المتدهور من أجل خلق واقع جيوبوليتكى على الأرض لصالحها. ومن الممكن ملاحظة أن صراع تقفور فوكاس ضد المسلمين مر بثلاث مراحل أساسية هي كالاتى:

المرحلة الأولى: وتقع بين عامى ٩٦٣، ٩٦٥م، وقد تركزت حروبه خلالها في إقليم كيليكيا Cilicia في آسيا الصغرى Asia Minor؛ من أجل التمهيد للقوات البيزنطية للتوغل في بلاد الشام، وقد انتهت تلك المرحلة باخضاعه أدنه Adana، والمصيصة، وطرسوس، وقد اعتبرت من أهم المراكز الحربية.

المرحلة الثانية: وهى فيما بين عامى ٩٦٦م، ٩٦٧م وفيها دخل مناطق دارا، ونصيبين في أعالي الفرات، ويقال أنه خلال ذلك إضطر سيف الدولة الحمدانى إلى التراجع إلى شيزر، ولم يواصل تقفور فوكاس حملاته، وعاد أدراجه إلى مناطقه الأصلية عام ٩٦٧م؛ للحصول على الإمدادات اللازمة بالإضافة إلى أن أوضاع الإمبراطورية الداخلية استدعت عودته<sup>(١)</sup>.

---

Schlumberger, Un Empereur Byzantin au Dixieme Siecle Nicephor Phocas Paris = 1890.

دراسة مهمة مع عدم إغفال أن مؤلفها كتبها بإمكانات أواخر القرن التاسع عشر الميلادى، ومع ذلك؛ فبالى الآن لا بد من الإفادة منها بعد مرور (١١٦) عاماً على صدورها.

عمر كمال توفيق، الإمبراطور نقفور فوكاس واسترجاع الأراضى المقدسة، ط. الاسكندرية ١٩٥٩م.

Nicol, A Biographical dictionary, p. 96-97.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 252-260.

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 302, p. 403.

Norwich, A short History of Byzantium, p. 181, p. 184 - 185.

نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسى، ص ٢٥٨-٢٦١؛ حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٥٢.

١- جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٦٦.

ويلاحظ أنه خلال تلك المرحلة تم طرق بوابة الدبلوماسية ، ولذلك اتجهت بيزنطة إلى أن تتناول الأسرى مع المسلمين ومنهم الشاعر أبو فراس الحمداني بعد أن مكث أربعة أعوام في أسر البيزنطيين مرت عليه كالدهر<sup>(١)</sup>، عام ٩٦٦م، ومن المتصور أن الاتجاه إلى الدبلوماسية يعكس عدم قدرتها على الحسم العسكري في صراعها مع المسلمين .

أما المرحلة الثالثة : فقد تمثلت في وقائع عام ٩٦٨م، وفيها تمكنت من دخول معرة النعمان، وشيزر وحماه، وحمص وأظهرت بيزنطة تعصبها الأعمى ضد الاسلام بإحراق المساجد. والأمر المؤكد : أن أهم نجاح تحقق من جانب بيزنطة ضد المسلمين خلال تلك المرحلة تمثل في نجاح إثنين من القادة البيزنطيين في دخول أنطاكية<sup>(٢)</sup> Antioch درة شمالي بلاد الشام عام ٩٦٩م، ومن بعد ذلك : ظلت في قبضة البيزنطيين لما زاد على قرن من الزمان وبالتحديد ١١٥ عامًا إلى أن قام المسلمون بإستردادها عام ١٠٨٤ على أيدي الأتراك السلاجقة إلى أن استولى عليها الصليبيون خلال أحداث الحملة الأولى عام ١٠٩٨م.

من جهة أخرى؛ تمكن ذلك الإمبراطور البيزنطي من دخول مدينة حلب<sup>(٣)</sup>، وفرض على أهلها شروطًا قاسية، كذلك بلغ به الأمر حدًا جعله يرسل رسالة تهديد في صورة قصيدة شعرية<sup>(٤)</sup>، للخليفة العباسي المطيع لله (٩٤٦-٢٧٤م) نظمها له أحد كتابه على نحو ذلّ على أن الشعر- ديوان العرب- دخل في معترك الصراع البيزنطي - العربي حينذاك وهو أمر

---

= ونجد عرضًا مهمًا لصراع البيزنطيين وسيف الدولة الحمداني لدى: ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١١ - ص ١٥٢ وأهمية ابن العديم تكمن في أنه خصص كتابه لتناول شمالي بلاد الشام خاصة حلب من أبكر الأزمنة حتى القرن الثالث عشر الميلادي.

١- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٠١ .

٢- عن استيلاء نقفور فوكاس على أنطاكية أنظر:

ابن العديم ، زبدة الحلب، ج ١ ، ص ١٦٢-١٦٣ .

ويسميه «نقفور بن الفقّاس» ، أيضًا أحمد مختار العبادي في التاريخ العباسي والفاطمي، ط. بيروت

ب-ت ص ٣٢٩ .

٣- Canard, Histoire de la dynastie de Hamdanides de Jazira et de Syrie , Paris 1953, p. 814-815 .

٤- عنها أنظر : ابن كثير، البداية والنهاية ، ط. القاهرة، ب-ت ، ج ١١ ، ص ٢٤٤-٢٤٧ . =

ما كان يفعله ذلك الإمبراطور إلا من خلال مرحلة الضعف الشديد التي مرت بها الخلافة العباسية حينذاك .

ومن الأهمية بمكان الإقرار بدوافع التوسع البيزنطى خلال القرن العاشر الميلادى، إذ يقرر أحد كبار مؤرخى الدراسات البيزنطية ، أن قيام الإمبراطورية بالتوسع فى الأقاليم الشرقية على حساب المسلمين مَثُلَ عملاً قامت به طبقة الأقوياء Dynatoi<sup>(١)</sup>؛ وهو تعبير أطلقه البيزنطيون على الطبقة العسكرية الأرستقراطية ، والتي خرج منها كل من نقفور فوكاس ، ويوحنا تزيمسكس ، وقد إقبحه أبناء تلك الطبقة إلى الشرق للحصول على الأرض<sup>(٢)</sup>، خاصة أن ذلك الاتجاه صار مأموناً من أجل الاستثمار ، ولانغفل أن السبب فى الاستثمار فى الاقطاعات الزراعية، رجع إلى أنها مثلت المجال الوحيد المتاح نظراً لكون مجالات الصناعة والتجارة عدت من المجالات المقيدة<sup>(٣)</sup>.

وهناك عدة ملاحظات تعليقاً على حملات نقفور فوكاس يمكن إيرادها على النحو الآتى:

أولاً : حاول بعض الباحثين الأوروبيين<sup>(٤)</sup>، وأيدهم فى ذلك بعض الباحثين العرب<sup>(٥)</sup> القول

= وقد أوردت عدداً من أبياتها فى الملاحق .

١- وسام عبد العزيز فرج، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٩٢ .

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- نفسه، نفس الصفحة.

وبعد أ.د. وسام عبد العزيز فرج أول باحث عربى حرص على إيراد الدوافع الاقتصادية التى كانت من وراء توسع الإمبراطورية البيزنطية خلال تلك المرحلة.

٤- أنظر على سبيل المثال :

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 403 .

٥- من أمثلتهم : عمر كمال توفيق، الإمبراطور نقفور فوكاس واسترجاع الأراضى المقدسة، ط. الاسكندرية ١٩٥٩م.

أيضاً : محمد صالح منصور، أثر العامل الدينى فى توجيه الحركة الصليبية ، منشورات جامعة قارون، ط. بنى غازى ١٩٩٦م، ص ١٤٦ .

بأن حملات ذلك الإمبراطور البيزنطى تمثل نوعاً من الحروب الصليبية ، والواقع التاريخى عكس ذلك تماماً ؛ إذ لا صليبيات قبل عام ١٠٩٥م، كما أسلفت الإشارة من قبل ويمكن وصف الأمر بتعبير ما قبل الصليبيات Pre- Crusades عليها، ومن الممكن القول؛ أن تلك الحملات البيزنطية ما هى إلا محاولات عسكرية ؛ من أجل زيادة النفوذ الإمبراطورى فى تلك المنطقة المجاورة لها دون أن تكون هناك «أيديولوجية» معينة خاصة بالحروب المقدسة Bellum Sacrum, The Holy War خاصة أن الكنيسة البيزنطية لم تكن تفضل تلك الفكرة.

ولانتقل ؛ أن عدداً من الباحثين الأوربيين تأثروا بأقوال الإمبراطور نقفور فوكاس عندما خاطب الجماهير الغفيرة المحتشدة فى ساحة السباق أو الهيدروم Hippodrome موضحاً لهم أنه يريد الوصول إلى بيت المقدس، لتحريرها من قبضة المسلمين، وقد تصوروا نتيجة لذلك أن الأمر يندرج تحت مسمى الحروب الصليبية Crusades, Croisades<sup>(٣)</sup>، وبالتالى ؛ حَمَلُوا الأمر أكثر مما يحتمل ، كذلك حاولوا إيجاد أصول تاريخية لتلك الظاهرة التاريخية المحورية والفعالة فى عالم العصور الوسطى.

---

= حيث يذكر «إعتبر بعض الباحثين هذه المحاولات إرهابات للحروب الصليبية»، أنظر نفس الصفحة أيضاً؛ صابر دياب حيث يشير إلى ما نصه : «نقرر بشئ من الثقة أن عصر الحروب الصليبية إنما يرجع إلى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وليس إلى تلك الصيحة الرعناء التى نطق بها البابا أوربان الثانى فى مجمع كليرمونت سنة ١٠٩١م (أواخر القرن الخامس الهجرى) .

صابر دياب ، المسلمون، وجهادهم ضد الروم فى أرمينية والشغور الجزرية، والشامية خلال القرن الرابع الهجرى، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ص ٣٩ .

ويلاحظ أن المجمع المذكور عقد فى ١٠٩٥م، وليس ١٠٩١م، كما تصور المؤرخ الفاضل.

٣- عن بيبلوجرافيا تاريخ الحروب الصليبية أنظر:

Atiya, The Crusade , Historiography and Bibliography , London 1962 .

Mayer , Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzüge , Hannover 1960.

إن الرؤية الموضوعية تدعونا إلى تصور : أن ذلك الإمبراطور البيزنطى أطلق تلك الشعارات كنوع من الدعاية السياسية؛ من أجل إثارة الجماهير وليضمن تأييدها لتوسعته العسكرية ، ولم تحتوى الشعارات الدينية على أى « مشروع » يوصف بأنه مشروع صليبي متكامل على شاكلة ما ظهر فى الغرب الأوروبى فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى فيما بعد.

ثالثاً : لم يكن نجاح نقفور فوكاس فى كافة الأحداث السابقة نوعاً من الانتصارات البيزنطية « الحارقة » التى تعبر عن قدرة بارزة على تغيير الواقع الجيوبولوتيكى فى بلاد الشام، فالملاحظ أن بقاءه فى تلك المناطق لم يستمر طويلاً بالنسبة للإمبراطورية ، والعيرة فى التاريخ عمومًا ليس بالاستيلاء على المواقع بل البقاء فيها لأمد طويل وكذلك تقديم رسالة حضارية لأبناء تلك المواقع وهو أمر ينتفى تمامًا فى حالة الامبراطور المغامر المذكور.

رابعاً : كان ضعف المسلمين فى العصر العباسى الثانى له دوره البارز فى نجاح أعدائهم التاريخيين البيزنطيين فى تحقيق تلك الانتصارات خاصة، أن العلاقات بين الطرفين كانت لصالح المسلمين بصورة تامة منذ ثلاثة قرون مضت .

وعلىنا ألا نتبع كل ما ورد فى المصادر البيزنطية المعاصرة بشأن توسعات نقفور فوكاس إذ أنها تعاملت مع تلك الأحداث بنوع سافر من الدعاية الدينية والسياسة، وطابع المبالغة بصفة

---

= Mayer, Literaturbericht über die Geschichte der krenzzüge: Veröffentlicht ungem 1958 - 1967 . Historische Zeitschrift 3 1969 , pp. 641-731 , Mayer and Mclellan , Select Bibliography of the Crusades, in Setton (ed.) A History of the Crusades , vol . VI , Wisconsin, 1989 .

قسطنطين زريق ، « ما ساهم به المؤرخون العرب فى المائة السنة الأخيرة فى دراسة التاريخ العربى عن فترة الحروب الصليبية » مجلة الأبحاث الجامعة الأمريكية ببيروت السنة ( ٢ ) ج ٢ ، يونيو ١٩٥٩م، وهو مؤرخ رائد يعد أول من كتب فى بيبولوجرافيا الحروب الصليبية ، محمد مؤنس عوض ، « بيبولوجرافيا الحروب الصليبية - المرجع العربية والمعرية ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط ، م ( ٣ ) عام ١٩٨٥م ، ص ٣٩٤ - ص ٤٣٣ ، فصول بيبولوجرافية فى تاريخ الحروب الصليبية ، ط . القاهرة ١٩٩٩م . ويجد القارئ آلاف العناوين عن الحروب الصليبية قدر الجهد المتواضع.

عامّة، على الرغم من أن الأمر كان أيسر من ذلك ؛ فالقراغ السياسى الذى عانت منه المنطقة مهمد لذلك الإمبراطور النجاح ، وبعبارة أخرى ساعد المسلمون بضعفهم ذلك الامبراطور - دون أن يدروا على الانتصار البيزنطى !.

خامساً : لانغفل أن من الباحثين الغربيين من إعتبر عهد الأسرة المقدونية بمثابة العصر الذهبى فى تاريخ الدولة البيزنطية ، وكان من أسباب تلك التسمية لديهم؛ إلى جانب التفوق فى المجالات الحضارية المتعددة النجاحات العسكرية التى بالغوا بشأنه من جانب نقفور فوكاس - ومن بعده يوحنا ترميسكس - ومن الممكن تقديم ملاحظة أساسية هنا وهى أن أباطرة العصر الذهبى The Golden Age المذكور أباطرة غلبت عليهم الروح العسكرية المتعصبة ، وصنعوا مجدهم الحربى على جماجم آلاف القتلى.

مهما يكن من أمر؛ تولى بعد نقفور فوكاس الإمبراطور يوحنا ترميسكس (٩٦٩-٩٧٦م) ، ويلاحظ هنا ؛ تكرار المشهد الرئيسى فى القصر الامبراطورى على نحو أكثر خسة ؛ إذ أن نقفور كان قد تزوج من ثيوفانو Theophano<sup>(١)</sup> ، وقد تأمرت الأخيرة على زوجها للإرتباط بعشيقها ليوحنا ترميسكس، وبالفعل تم تدبير مؤامرة أعدتها الزوجة الخائنة، وذبح نقفور عام ٩٦٩م فى غرفة نومه !

---

١- الإمبراطورة ثيوفانو Theophano، زوجة رومانوس الثانى ثم نقفور فوكاس ، ومن بعده حنا ترميسكس وصفت بالجمال ، والطموح، والدهاء، وهناك من يقرر أنه عرف عنها الانحلال الخلقى، وقد لفت جمالها الامبراطور رومانوس الثانى الذى عرف عنه ضعف الشخصية فأخذها زوجة، ومن بعده تزوجها نقفور ، وقيل أنها لم تكد ترغب فى الزواج منه، وتقرر المؤرخة القديرة، أ.د. عليه الجنزورى؛ أن زواجها من نقفور أثار دهشة المعاصرين ؛ نظراً لما عرف عنه من زهد - كما ردد البيزنطيون - خاصة ما عرف عنها من أخلاق منحلة، وقد سجل نقش على قبره يقول: إن ذلك الإمبراطور تمكن من هزيمة كل شئ إلا المرأة ، وعلى أية حال، لم يستمر ذلك الزواج إذ تأمرت ثيوفانو مع عشيقها يوحنا ترميسكس لقتل زوجها، عنها أنظر:

Nicol, ABiographical dictionary, p. 127-128 .

Vasiliev, History of The Byzantine Empire, p. 302, p. 335 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 251, p. 260 .

عليه الجنزورى ، المرأة فى الحضارة البيزنطية، ص١٩٦-١٩٧، محمود سعيد عمران؛ معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٩٩ .



وهكذا ؛ يتأكد لنا أن شهوة السلطة ، والرغبة في المجد السياسى ، دفعت الكثيرين إلى الوصول إلى المنصب الإمبراطورى بالدماء ، والخيانة ، وتلك صفة لا يمكن أن ينكرها مؤرخ منصف تعامل مع ذلك المنصب الذى أغرى الكثيرين بالتجرد من المشاعر الإنسانية من أجل السعى إليه ، وبذلك قدمت لنا بيزنطة صوراً بالغة السوء فى المجال المذكور .

على أية حال ؛ ليس هناك فى عهد يوحنا تزميسكس من أحداث جديرة بالتسجيل إلا صراعه مع المسلمين ، ويلاحظ أنه - من جهة أخرى - دخل فى صراع مع الروس حققت فيها بيزنطة نجاحاً<sup>(١)</sup> مع ملاحظة أن حسم الأمر سيكون لبيزنطة فى علاقتها مع الروس من خلال التنصير وليس القوة العسكرية فيما بعد .

أما العلاقات مع المسلمين ؛ فيلاحظ أن عهد يوحنا تزميسكس (المعروف فى المصادر العربية باسم ابن شقيق)<sup>(٢)</sup> بعد إمتداداً واضحاً لعهد سلفه نقفور فوكاس ، وقد أغراه ضعف الخلافة العباسية ، وظهور القاطميين الشيعة والصراع القائم بين القوتين المتنافستين سياسياً ومذهبياً - أغراه ذلك على التوسع على حساب المسلمين وقد هدف - فيما هدف - إلى إعادة الأملاك التى كانت للإمبراطورية البيزنطية منذ ثلاثة قرون خلت ، كذلك بتكوين مجد عسكري بارز يدعم ، وضعيته السياسية داخل ربوع الإمبراطورية البيزنطية ، ولانغفل ، رغبته فى إكمال النشاط العسكري الذى قام به سلفه<sup>(٣)</sup> .

كذلك لانغفل الأهمية الاقتصادية - خاصة التجارية - لمنطقة شمالى بلاد الشام ولا ترتاب فى أنها أغرته فى القدوم بقواته إليها<sup>(٤)</sup> .

١ - عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٦٨ - ص ١٦٩ .

٢ - أنظر علي سبيل المثال: ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

٣ - ومع ذلك ؛ فمما يخالف الحقيقة التاريخية ما تصوره أ.د. أحمد مختار العبادى حيث ذكر أن غارات ذلك الامبراطور البيزنطى وصلت إلى أرياض بيت المقدس وبغداد ، وقال ما نصه : « يوحنا الأول الشيشق (تزميسكس) الذى بلغت غاراته أرياض بيت المقدس وبغداد » ولا يوجد فى المصادر التاريخية ما يؤكد مثل ذلك التصور المبالغ فيه تماماً ، أنظر إشارته :

أحمد مختار العبادى ، فى التاريخ العباسى والفاطمى ، ط. بيروت ب-ت ، ص ٣٢٩ ، ص ٩٠ ، فى التاريخ العباسى والأندلسى ، ط. بيروت ب-ت ، ص ٩٠ .

٤ - عن الأهمية التجارية لتلك المنطقة أنظر : شيخ الربوة ، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، تحقيق مهرن ، ط. بطرسبرج ١٨٣٥م ، ص ٢٠٢ ، الغزى ، نهر الذهب فى تاريخ حلب ، ط. حلب ١٩٤٢م ، ج ١ ، ص ١٤٥ ، هايد ، تاريخ التجارة ، ص ١٨٠ ، أحمد رمضان ، المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١٠٧ .

وقد تمكن الإمبراطور البيزنطي المذكور من الإستيلاء على حمص ، وكذلك بعلبك ، وفرض على دمشق ؛ ضرورة أن تدفع له فدية مالية، ونعرف عنه قيامه بعدة حملات على إقليم الجزيرة في شمالي العراق لبسط السيادة البيزنطية هناك واستولى خلال ذلك على آمد، وميافارقين، ونصيبين؛ وذلك عام ٩٧٤م<sup>(١)</sup>.

ومن المهم هنا ملاحظة ؛ عقده حلفاً دفاعياً مع الملك أشوط الثالث الأرميني Ashot III ، الذي حكم خلال المرحلة الممتدة بين عامي ٩٥٢ ، ٩٧٧م<sup>(٢)</sup> ليواصل أعماله الحربية في إقليم الجزيرة بعد العودة إلى بيزنطة غير أن الحليف الأرميني باء مسعاه بالفشل المبين .

على أية حال؛ حرص المؤرخون الأوربيون على التركيز على البعد الديني في حملات يوحنا تزميسكس<sup>(٣)</sup> وأبرزوا رغبته في تحرير القدس من السيادة الإسلامية، وبذلك ؛ خلطوا بين القدرة الفعلية على تحقيق ذلك والبقاء باستمرار هناك ، وبين عنصر الدعاية السياسية الذي تفيض به المصادر التاريخية البيزنطية ولاريب في أن نوعية مثل ذلك الامبراطور استهوت الكثيرين منهم لأسباب لاتخفى على أحد.

١- تجدر الإشارة إلى أن العلماء والفقهاء لم يترددوا في إثارة الحماس للجهاد ضد البيزنطيين حينذاك ، وتذكر في هذا الشأن ؛ ابن نباته (ت ٩٨٥م) ، وهو أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباته الفارقي من أهل ميافارقين وقد التقى في حلب بالمتنبي في خدمة سيف الدولة، وارتبط بالخطب الحماسية وقد أحدثت أثراً كبيراً في نفوس معاصريه ، عنه أنظر، ديوان ابن نباته ، ط. بيروت ١٣١١هـ .

الذهبي، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ٢٣ ، عبد اللطيف حمزه ، أدب الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٤٩م، ص ٢١٤ ، آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ت. عبد الهادي أبوريدة ، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ج ٢ ، ص ٩٤ ، عمر كمال غوثيق، مقدمات العدوان الصليبي، ص ١٧٢ ، محمد مؤنس عوجس ، عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٦١، حاشية (١٤٠) .

Hillenbrand , The Crusades, Islamic Perspectives, Illinois 1999, p. 101 .

وهي دراسة ممتازة غير أنها رؤية أوربية على أية حال .

٢- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٠٥ . طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١ ، البيزنطيون والعالم الإسلامي، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢١٩، ص ٢٣٠ .

٣- من أمثلة ذلك المؤرخ ، أنظر مقالته :

Walker , " The Crusade of John Tzimisres in The Light of New Arabic Evidence" B., vol . XLVII, 1477, pp. 301-327 .

ومرة أخرى ؛ من المهم الإقرار بأن العبرة في التاريخ بالبقاء في المواقع التي تم السيطرة عليها ؛ وهو أمر لم يحدث في المغامرات العسكرية لذلك الإمبراطور البيزنطي التي إتسمت بالتسرع وعدم الاستمرارية .

على أية حال ؛ توفي يوحنا تيمسكس المذكور عام ٩٧٦م؛ ليتولى من بعده أحد أشهر أباطرة الدولة البيزنطية ألا وهو باسل الثاني ٩٧٦-١٠٢٥م<sup>(١)</sup>.

جدير بالإشارة ؛ أن أغلب المؤرخين الأوروبيين الذين تخصصوا في حقل الدراسات البيزنطية راهتوا على أعمال ذلك الإمبراطور الذي وصفوه بأنه آخر الأباطرة البيزنطيين الكبار، واعتبروا وفاته عام ١٠٢٥ م ، بمثابة نهاية العصر الذهبي للأسرة المقدونية<sup>(٢)</sup> ، وبالتالي علينا تسليط الضوء على أعماله والحكم عليها بموضوعية .

١- باسل الثاني ؛ إمبراطور بيزنطي حكم خلال المرحلة بين عامي ٩٧٦ ، ١٠٢٥ م ويعد من أبرز الأباطرة في عهد الأسرة المقدونية ، وقد توفي في العام الأخير عن عمر بلغ الثامن والستين عامًا ويلاحظ أنه لم يتزوج، عنه أنظر:

Psellus , Fourteen Byzantine Rulers , The Chronographia , pp. 27-49 .

Gibbon , The History of the decline and Fall, vol . III, p. 1939- 1942 Nicol, A Biographical dictionary, pp. 17-18 .

Farag, Byzantium and its Muslim Neighbours during The Reign of Basol II , 96-1025, ph. D., University of Birmingham 1979 .

تعد أفضل دراسة بالإنجليزية كتبها مؤرخ عربي بارز في مجال الدراسات البيزنطية صاحب مكانة دولية مرموقة ، انظر: وسام عبد العزيز فرج ، «الامبراطور باسل الثاني سفاك البلغار» (٩٧٦-١٠٢٥م) : العوامل التي أثرت على السياسة في عصره، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، م (١) ، عام ١٩٨٢م، ص١٦٩-٢٠٢ ، وهي أفضل دراسة عربية مركزة عن ذلك الإمبراطور.

وسام عبد العزيز فرج ، «قوانين الملكية الزراعية في الامبراطورية البيزنطية في القرن العاشر الميلادي: دراسة تحليلية» ، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص٣٢٨-٣٣٦ ، والبحث الأخير من أمتع ما كتب هذا المؤرخ لذي تدين له الدراسات البيزنطية في مصر بالكثير.

أنظر عنه أيضاً : عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٦٩ - ص١٧٨ ، أسد رستم ، الروم ، ج٢ ، ص٤٩-٦٠ ، حسنين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٥٨-١٦٠ ، اسمت غنيم، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٣٣ .

يلاحظ أن أبرز ما قام به باسل الثانى بموضوعية يمكن ملاحظته على النحو الآتى:  
أولاً: تنصير الروس.

ثانياً : العلاقات مع الفاطميين فى مصر والشام.

ثالثاً : الصراع مع البلغار والتنكيل القاسى بهم.

جدير بالإشارة ؛ أن الإمبراطورية دخلت فى صراع مرير مع الروس. وقد لاحظنا كيف أنهم هاجموا من قبل عام ٨٦٠م العاصمة البيزنطية وأعملوا فيها التخريب والقتل؛ على نحو أبرزته المصادر التاريخية ، ولكن فيما بعد تحسنت العلاقات بين الطرفين وأخذت بعداً سياسياً ودينياً آخر فى عهد باسل الثانى.

لأنغفل ؛ أن العرش البيزنطى تعرض لمحنة كبيرة فى عهد باسل الثانى، وإذا أنه لم يوفق فى صراعه المبكر مع البلغار ، وثار ضده اثنان من القيادات البيزنطية فى صورة برداس فوكاس Berdas Phocas ، وبرداس سكليروس Berdas Sklero ، وأعلن الأخير نفسه إمبراطوراً خاصة أنه كان يمت بصلة القرابة لنقفور فوكاس ؛ إذ كان عمّاً له . وقد حدث اتفاق بين القائدين على أساس أن ينال برداس فوكاس القسم الأوروبى من الامبراطورية بما فيه العاصمة، ويحصل برداس سكليروس على القسم الآسيوى ، غير أن الخلاف دب بينهما، وألقى برداس فوكاس القبض على منافسه وصار مطالباً بالعرش الامبراطورى<sup>(٢)</sup> وتأزم الوضع العسكرى للإمبراطور باسل الثانى وبحث عن حليف فى تلك الظروف العصيبة فتمثل فى

١- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ٢١٧ ، أنظر أيضاً : طارق منصور ، الروس والمجتمع الدولى ٩٤٥ - ١٠٥٤ م. ، ص ٩٥ .

وعن العلاقات بين الروس والإمبراطورية البيزنطية فى عهد الأسرة المقدونية بصفة عامة أنظر هذه الدراسة المفصلة والعميقة: عليه الجنزورى، العلاقات البيزنطية الروسية فى عهد الأسرة المقدونية ، ط. القاهرة ١٩٨٩م.

وهى أفضل دراسة بالعربية فى موضوعها، وتمتاز بالتحليل والعمق من مؤرخة قديرة فى حقل الدراسات البيزنطية والصليبية.

٢- Obolensky , The Byzantine commonwealth Eastern Europe 500-1453 , washington -٢  
1971, p. 255 .

الأمير الروسي فلاديمير Vladimir<sup>(١)</sup> (٩٨٠-١٠١٥م) - فيما بعد القديس فلاديمير - وبالفعل أرسل له فرقة عسكرية من ٦ آلاف مقاتل لدعم الإمبراطور الشرعى على نحو أدى إلى هزيمة برداس فوكاس عام ٩٨٩م فى معركة ابيدوس Abydos<sup>(٢)</sup> وفى مقابل ذلك ؛ قدم الامبراطور باسل الثانى وعداً بالغ القيمة للأمير الروسى بأن يزوجه من أخته الأميرة أنا Anna شريطة أن يعتنق المسيحية<sup>(٣)</sup> ، وكذلك يفرضها على شعبه.

= أيضاً : Treadgold , A History of the Byzantine State and Society, p. 517 .

Vasiliev, History of th Byzantine Empire, p. 332, 347 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State , p. 269 .

١- فلاديمير أو القديس فلاديمير St. Vladimir : هو فلاديمير الأول بن سفياتوسلاف ، ولد عام ٩٥٥م، وتولى اماره كييف عام ٩٨٠م تقريباً ، وفى عام ٩٦٩م؛ صاراً أميراً على نوفجورد Novgord وذلك بمساعدة خاله دوبرينيا ، وقد أقام خطاً دفاعياً لمواجهة قبائل البجناك على نهر ديسنا ، وسوليرو، وغيرها، وهناك من يقرر أن عهد فلاديمير شهد نهوضاً للدولة كييف ، وارتبط بتقوية الحكم فى الداخل ، وحملات خارجية للغزو ، على أية حال ؛ توفى فلاديمير عام ١٠١٥م وتم منحه لقب قديس ، عنه أنظر:

Psellus, Fourteen Byzantine Rulers , The Chronographia , p. 201 . Allwater , Penguin Dic-tionary of Saints , London 1977, p. 338-339 .

مجهول ، قصة حملة الأمير أيفغور ، ت. خميس فرج، ط. موسكو ١٩٨٩م، ص ١٤٧ ، وهو مصدر روسى مهم .

ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ١٤ ، ت. محمد بدران ، ط. القاهرة ١٩٧٥م، ص ١٩٩ .

٢- Obolensky The Byzantium Commonwealth, p. 255 .

٣- عن اعتناق فلاديمير المسيحية أنظر:

Mcyendorff and paynes, " The Byzantine inheritance in Russia", in Paynes and Moss, By-zantium , An Introduction to East Roman civilization , Oxford 1952 , p. 371- 372 , Ryba-rov, Early Centuries of Russian History , Moscow 1965 , p. 51, Browning, The Byzantine Empire, New York 1980, p. 90 .

Ryharov, Early Centuries of Russian History , Moscow 1965 , p. 51, Browning, The Byzan-tine Empire, New York 1980, p. 90 .

على أية حال ؛ بعد زوال الخطر ؛ ماطل الامبراطور فى تنفيذ الاتفاق، وأمام ذلك الموقف البيزنطى قام فلاديمير كنوع من الضغط العسكرى، والسياسى بالاستيلاء على ميناء خرسون Cherson<sup>(١)</sup> الاستراتيجية والحيوى على البحر الأسود ، وفيما بعد ؛ وافق الإمبراطور على أمر المصاهرة مع الروس ، فى واحدة من أهم أحداث الزواج السياسى Political Marriage فى شرقى أوربا فى العصور الوسطى .

من ناحية أخرى ؛ عمل باسل الثانى على تزويج إحدى قريباته وهى ماريا أرجيروبولينا Maria Argyropoulaina من ابن دوق البندقية عام ١٠٠٤م، كما أنه زوج ابنة أخته زوى Zoe إلى اوتو الثالث ملك ألمانيا<sup>(٢)</sup>.

جدير بالذكر ؛ أن أمر الزيجات السياسية استمرت من بعد ذلك بين الروس والامبراطورية البيزنطية، ولا أدل على ذلك؛ من أن فريفولد ابن باروسلاف قد تزوج من ماريا ابنة الإمبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس Constantine IX Monomachus (١٠٤٢-١٠٥٤م) وذلك فى عام ١٠٤٦م ومن بعد ذلك ؛ نجد أن دوق روسيا إيثان الثالث فاسيليفتش Ivan III Vasi- lievtch (١٤٦٢-١٥٠٥م) تزوج من صوفى باليولوغوس Sophie Paleologue ابنة شقيق قسطنطين الحادى عشر Constantine XI (١٤٢٨-١٤٥٣م)<sup>(٣)</sup>. على نحو أكد أن زواج

---

= Brehier, Vie et Mort de Byzance , Paris 1946 , p. 222, 2000, p. 34 , Ziegler, History of Russia, London 1999, p. 12 .

ليلى عبد الجواد ، تاريخ الروس من خلال المصادر العربية ، ط. القاهرة ١٩٩٠م، ص ٥٥ ، بوريس رواستنباخ، «تعميد كييف،» مجلة رسالة اليونسكو ، العدد التذكارى بمناسبة مرور ألف عام على تعميد كييف، رقم (٣٢٥) يونيو ١٩٨٨م، ص ٤-٨، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩-٢٠٠٠م ، ص ٢٨ .

كريستوفر دوسون، تكوين أوربا ، ت. مصطفى زيادة وسعيد عاشور، ط. القاهرة ١٩٦٧م، ص ٢١٦ .

١- عنها : Constantine Prophyrogenitus, De Administrando imperio, p. 259 .

٢- Nicol, A Biographical dictionary, p. 18 .

٣- عن ذلك أنظر: عليه الجنزورى ، العلاقات البيزنطية الروسية فى عهد الأسرة المقدونية ٨٦٧-١٠٥٦م، ص ١٧٥ ، فايز نجيب اسكندر، مصر فى كتابات الحجاج الروس فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م، ص ٥-٦ .



فلاديمير من أنا شقيقة باسل الثانى كان مقدمة لحالات أخرى من الزواج السياسى بين الجانبين والملاحظ أن تحول روسيا إلى النصرانية ؛ قد تم بصورة تدريجية فقد بدأ بالفئات العليا من المجتمع الروسى، ثم انتشر ببطء بين العناصر الأدنى، ولا يفهم من ذلك أن العناصر الوثنية لم تظهر مقاومة؛ إذ لاذت بالفرار إلى الأدغال ، والغابات <sup>(١)</sup>، وظلت أشكال الوثنية قائمة لعدة قرون تالية ، ولكن من خلال الكنائس والأديرة صارت روسيا تحتل مكانها ضمن المراكز الروحية المسيحية فى ذلك العصر <sup>(٢)</sup>.

على أية حال؛ لتحويل روسيا إلى المسيحية ؛ تم بناء العديد من الكنائس فى كافة أنحاء البلاد فى عهد فلاديمير ، وقد قرر أن يتم إقامة الكنائس فى ذات الأماكن التى شهدت من قبل تشييد المعابد الوثنية، كذلك تم تشييد الأديرة ليس فقط فى كييف Kiev بل حتى فى مناطق الغابات دعماً للدين الجديدة ، وليتوحد الرهبان مع الطبيعة - كما يتصورون- كذلك أقيمت فى عهده- المدارس التى حرصت الفئات العليا على إلحاق أبنائها فيها، ومثلت الأساس الذى قامت عليه المدارس الكنسية التى هدفت إلى تخريج عناصر تعمل بالسلك الكنسى فيما بعد <sup>(٣)</sup>.

مهما يكن من أمر؛ تطور الأمر من بعد ذلك على نحو جعل الروس يحجون إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين فى فلسطين ويسجلون خواطر رحلاتهم إلى هناك كجزء من أدب الحج الأوروبى فى العصور الوسطى، ومن أمثلتهم فى القرن الثانى عشر م؛ Daniel دانيال <sup>(٤)</sup>،

١- Pares, A History of Russia, London 1962 , p. 52 .

٢- Harsave, Russia , A History , London , Russia, A History , London 1954, p. 14 .

ولانغفل أنه فيما بعد؛ عمل الروس على نشر المسيحية عبر سيبيريا إلى الاسكا عن ذلك أنظر: حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٦١ .

٣- Wren, A course of Russian History, New York 1958 , p. 52 .

٤- أنظر رحلته :

Daniel, Pilgrimage of The Russian Abbot Danie in The Holy Land, Trans. by Wilson , P.P.TS., vol . IV , London 1895 .

والترجمة العربية التى قام بها سعيد البيشاوى :

دانيال الروسى، رحلة الحاج الروسى دانيال الراهب فى الأراضى المقدسة، سعيد البيشاوى، ط. عمان ١٩٩٢م، وعن ذلك الرحالة ورحلته أنظر:

والأميرة أيوفروزين Euphrosine<sup>(١)</sup>، وغيرهما .

ولانزاع ، فى أن الروس كانوا بمثابة الميدان البكر لبيزنطة فى سياستها التنصيرية حينذاك، وما حققته هناك مثل إنتصاراً بارزاً على كنيستها المنافسة لها ؛ روما، ومن الممكن القول- دون مبالغة أن بيزنطة فى عهد باسل الثانى الثانى توسعت جغرافياً خارج حدودها ولم يكن ذلك عن طريق الجيوش ، ولكن بالتنصير وبالتوسع العقائدى والثقافى.

بصفة عامة؛ نلاحظ أن الدبلوماسية البيزنطية<sup>(٢)</sup>، وضعت من بين أهدافها الكبرى ؛ السعى إلى تنصير الشعوب المجاورة التى من الممكن أن تشكل خطراً داهماً على الامبراطورية، ولاريب؛ فى أن خبراتها التاريخية فى ذلك المجال كان لها دورها، فمن قبل لاحظنا أن عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) ؛ أى منذ القرن السادس الميلادى شهد نشاطاً تنصيرياً خلال الصراع مع الدولة الساسانية، ومنذ ذلك الحين إمتد النشاط التنصيرى، ونجد فى القرن التاسع الميلادى إتجهاً نحو تنصير مورافيا Moravia كما أسلفت الإشارة من قبل.

---

يوغوليوبسكى، «رحلة السائح الروسى دانيال الراهب فى الأراضى المقدسة، فى أول عهد الصليبيين»، مجلة المشرق ، العدد (١٩) ، السنة (٢٤) عام ١٩٢٦م، ص٦٤١-٦٤٤ ، نقولا زيادة ، رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٦م، ص٨٢-٨٣ ، محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ص٧٣-١٠٠ .

١- أنظر رحلتها : Euphrosine, " Peleringe en Palestine ", Trans. by De khitrowo, R.O.L., T. III, Année 1895 .

محمد مؤنس عوض ، المرجع السابق، ص١٤٤-١٥٥ .

٢- عن الدبلوماسية البيزنطية أنظر:

Shepard and Franklin (eds.) Byzantine Diplomacy , Papers From The Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies, Publication , N. I, Hampshire 2003.

ويحتوى الكتاب المذكور على ٢١ بحثاً عن الدبلوماسية البيزنطية، ومن أفضلها :

Haldon, " Blood and ink, Some Observations on Byzantine attitudes Towards Warfare and diplomacy, pp. 281-294 .

وأنظر أيضاً : رأفت عبد الحميد، بيزنطة الدين والفكر والسياسة، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص١٠٣-١٤١ .  
حيث خصص العالم الراحل فصلاً مستقلاً عن الدبلوماسية البيزنطية.

جدير بالذكر ؛ مثل ذلك الجانب سياسة عامة للإمبراطورية البيزنطية لم تكن لتتغير بتغير الأباطرة ، وقد أدركت أن من عناصر استمرارها ، ويقائنها وسط عالم شديد الاضطراب والتصارع نظراً لاختلاف الأمم، والأعراق ، والأديان ، والمصالح والأهداف أن تتجه نحو التنصير ، ولا تغفل وجود دوافع سياسية واقتصادية لاتنكر، ولاننكر أنه خلف القوة العسكرية وجدت التجارة والتنصير، وحتى عندما كانت هناك العلاقات السلمية لم تتخل بيزنطة عن التنصير لتحقيق مكاسب متعددة جنتها من ورائه .

وهكذا؛ كان تنصير الروس نقطة تحول مهمة ومحورية في العلاقات البيزنطية الروسية؛ خاصة أنها حينذاك توافرت لديها خبرة خاصة بذلك المجال؛ فمع التغير الجديد لن يكون الروس بمثابة أعداء يهددون القسطنطينية مثلما حدث عام ٨٦٠م، بل إنهم عندئذ صاروا تابعين دينياً، ومذهبياً للإمبراطورية البيزنطية على نحو جعلهم بمثابة عمق استراتيجي يحسب له حسابه لصالح تلك الإمبراطورية .

يبقى أن نذكر هنا ؛ أن كافة الكيانات السياسية البارزة في العصور الوسطى سواء في الغرب الأوروبي ، أو في شرقي أوروبا وآسيا الصغرى كما في حالة بيزنطة ، وحتى في مملكة بيت المقدس اللاتينية Latin kingdom of Jerusalem في بلاد الشام فيما بعد على مدى القرنين ١٢ ، ١٣م<sup>(١)</sup> وضعت نصب عينيها القيام بالتنصير؛ دعماً لوضعها السياسي ولتحقيق أهداف متعددة من خلال مظلة نشر المسيحية سواء كانت كاثوليكية تابعة لكنيسة روما أو أرثوذكسية تابعة لكنيسة القسطنطينية ، خاصة المكاسب الاقتصادية لاسيما التجارية.

وبصفة عامة؛ مهما اختلفت التوجهات السياسية للكيانات السياسية في أوروبا العصور الوسطى فقد اتفقت في زاوية التنصير بصورة ملفتة للانتباه ، وحقيقة الأمر؛ أن التنصير كان الدافع الظاهري الذي استترت من ورائه عدة دوافع أخرى اقتصادية وسياسية لا يمكن إنكارها ، وبعبارة أخرى؛ كان التنصير بمثابة الغطاء الذي وجدت من ورائه دوافع أخرى على جانب كبير من الأهمية والخطورة.

١- عن التنصير في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية في القرنين ١٢ ، ١٣م، أنظر: أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى، ط. بيروت ١٩٨١م، ص ١٦٨ ، ابن جبير، الرحلة ، ط. بيروت ١٩٨٤م، ص ٢٨١ .

Baldwin "Mission to the east in The Thirteenth and Fourteenth Centuries" in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol . V, Philadelphia 1985, pp. 432-518 .

Kedar , Crusade and Mission, European Approaches to the Muslims, Princeton 1988 .

وتبقى هنا زاوية أخيرة فيما يتصل بالعلاقات البيزنطية - الروسية في عهد باسل الثاني؛ فالملاحظ أن التأثير لم يكن بيزنطياً فقط مثلما قد يتبادر للأذهان ، بل أن الروس تركوا تأثيرهم هم أيضاً في الإمبراطورية البيزنطية لاسيما من الناحية العسكرية ، وكما لاحظ المؤرخ ديمتري أوبولينسكى إذ أن العناصر التي أرسلها فلاديمير إلى القسطنطينية بعد أن انتهت من تأدية مهمتها الحربية لصالح الإمبراطور الشرعى ظل عدد منهم في العاصمة البيزنطية ووجد منهم أعضاء في الحرس الفرنجيني Varangian Guard؛ الذى مثل الحرس الشخصى للإمبراطور الذى تولى مهمة الدفاع عن القصر، وشارك في جيوش الإمبراطورية البيزنطية<sup>(١)</sup>، وهكذا؛ فإن الكفاءة الحربية لتلك العناصر الروسية ضمنت لها دورها حينذاك وفيما بعد.

وفيما يتصل بالصراع بين بيزنطة والفاطميين في مصر والشام ؛ يلاحظ أن امتداد نفوذ الفاطميين من المغرب إلى مصر ، ثم بلاد الشام جعلهم في مواجهة الإمبراطورية البيزنطية، وقد عاصر الإمبراطور باسل الثانى إثنين من الخلفاء الفاطميين هما: العزيز بالله (٩٧٥-٩٩٦م) والحاكم بأمر الله (٩٩٦-١٠١١م) .

وبصفة عامة ؛ إتجه العزيز بالله إلى أن تكون بلاد الشام خاضعة لسيطرته من خلال رغبته في نشر المذهب الشيعى الإسماعيلى هناك، ولكى يكون مجاوراً للخلافة العباسية السنية العدو الرئيسى للفاطميين الشيعة. وقد إصطدم مع الحمدانيين فى حلب على نحو سمع بزيادة هجمات البيزنطيين هناك ، واتجه الحمدانيون فيما بعد إلى مهادنة الفاطميين ، وبالفعل إتجه سعيد الدولة الحمدانى (٩٩١-١٠٠١م) إلى الاعتراف بالتبعية للخليفة الفاطمى العزيز بالله.

= وهى دراسة تعد أفضل ما كتب بالإنجليزية فى موضوعها.

محمد مؤنس عوض ، الاسلام والمسيحية بين الاعتناق والارتداد عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب الحروب الصليبية السياسة- المياد- العقيدة ، ط. القاهرة ١- ٢٠٠٢م، ص٩١- ص١١٧ .

ويقوم حالياً الطالب اليمنى النابه / محمد المقدم بإعداد رسالته للدكتوراه عن نفس الموضوع من كلية الآداب- جامعة المنصورة.

١- وفى هذا المجال يقول ذلك المؤرخ ما نصه:

“These Russian mercenaries , There mission completel continued to play arole in Byzantine history : Some of them at least remained in Constantinople and became members of the Varangian Guard, The Emperor’s Personal bodyguard who defeudet the Palace and where Sometimes enrolled in the field armies of Byzantium”.

Obolensky , The Byzantine Commonwealth , p. 255-256 .

إتجه الخليفة المذكور إلى محاربة البيزنطية وأعد جيشاً كبيراً لذلك غير أن المنية لاحقته عام ٩٩٦م، فتولى من بعده الحاكم بأمر الله الذي واصل سياسة والده حيال البيزنطيين ، وقد حدث في عام ٩٩٧؛ أى العام التالى مباشرة لتولية الحاكم السلطة. أن قامت فى مدينة صور حركة تمرد بقيادة بُحَّار سُميَ علاقهِ<sup>(١)</sup>، الذى أعلن استقلاله وقد قام باسل بتقديم العون له نكاية فى الفاطميين، وقد أرسل إليه الحاكم بأمر الله جيشاً بقيادة ابن الصمصامة استطاع حصار صور Tyre- التى اشتهرت بمناعتها وحصانتها على مر عصور التاريخ<sup>(٢)</sup> - وحوصرت براً وبحراً وتم إلقاء القبض على ذلك المتمرّد وأرسل إلى مصر، وتابع الجيش الفاطمى تقدمه فى بلاد الشام، من أجل محاربة البيزنطيين ، وبالفعل إصطدم بهم عند أفامية، وتمكن من الإنتصار عليهم ، بل تمت مطاردتهم حتى أنطاكية.

حفزت هزيمة الفاطميين للجيش البيزنطى باسل الثانى ليخرج على رأس قواته ليعيد هيبة البيزنطيين وقام بالإغارة على المنطقة الممتدة من أنطاكية إلى بيروت<sup>(٤)</sup>، وهكذا اصطدم

١- عن الحاكم بأمر الله أنظر: المقرئى، إتماظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء. تحقيق محمد حلمى أحمد، ط. القاهرة ب-ت، ج ٢، ص ٣- ص ١٢٣ .

محمد عبدالله عنان، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط. القاهرة ١٩٣٧م؛ عبد المنعم ماجد، الحاكم بأمر الله الخليفة المقتدر عليه، ط. القاهرة ١٩٥٩م، عارف تامر، الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين ، الحاكم بأمر الله، ط. بيروت ١٩٨٠م. أحمد كامل محمود، الحاكم بأمر الله وعصره، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم- جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.

٢- عن ذلك أنظر: جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ٣٧٣ .

٣- عن حصانة مدينة صور التى عرفت بها منذ عهد الاسكندر الأكبر أنظر: ابن حوقل ، صورة الأرض، تحقيق دى جويده، ط. ليدن ١٩٦٧م، ص ١٧٤ ، ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٧-٢٧٨ ، ياقوت ، المشترك وضعاً والمفترق صقلاً ، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ٢٨٦ ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ط. بيروت ب-ت ، ص ٧٥ ، سر الختم عثمان، مدينة صور فى القرنين ١٢ ، ١٣م رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، ص ٤ ، ص ٧، محسن محمد حسين، « مسئولية صلاح الدين فى فشل حصار صور » ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، م (٧) ، العدد (٢٦) ، الكويت ١٩٨٧م، ص ٣٢ .

٤- عن حملات باسل الثانى على بلاد الشام أنظر : =

بالفاطميين في طرابلس في عام ٩٩٩م، إلا أنه خسر المعركة ، واضطر إلى رفع الحصار عنها ، وعاد أدراجه إلى أنطاكية.

على أية حال ؛ ظهر إتحاء لدى الفاطميين يدعو إلى تجنب إتساع الصدام مع بيزنطة، بل والدخول معها في علاقات سلمية يستفيد منها الطرفان، وهكذا ؛ عقدت هدنة بين الجانبين عام ١٠٠١م مدتها عشر سنوات، وتعهدت بيزنطة من خلال باسل الثاني بتقديم الحبوب الذي تحتاجها مصر الفاطمية، مع ملاحظة أن مرحلة الهدنة لم تكتمل نظراً لعودة العلاقات للتوتر بينهما<sup>(١)</sup>.

أما الصراع مع البلغار<sup>(٢)</sup>؛ فقد حقق فيه ذلك الإمبراطور إنتصاراً بارزاً في آخر المطاف، ومنحه لقبه الدموي الذي اشتهر به ، وهو قصاب البلغار Bulgaroctonus، فقد فصل فيه المؤرخون الأمر ، على نحو لا يدعو إلى تقديم المزيد من التفاصيل بشأنه ، ومع ذلك؛ من الممكن تقديم أهم الملامح العامة عن الصراع البيزنطي- البلغاري حينذاك من خلال النقاط التالية:

أولاً : اعتبر القيصر صموئيل Samuel<sup>(٣)</sup> (٩٧٦-١٠١٤م) من أبرز القيادات البلغارية.

= ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٢١ ، السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ط. الاسكندرية ، ٢٠٠١م، ص٥٦-٥٧ ، محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا، ومصر وبلاد الشام، ط. بيروت ٢٠٠١م، ص٢٤٨، حسن ابراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٣، ص٢٤٥ ، عمر عبد السلام تدمري، لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بين الصليبيين ٣٥٨-٥١٨هـ / ٩٦٩-١١٢٤م ، ط. طرابلس ١٩٩٤م، ص٣٧-٤٥ .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 311 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 273 .

١- محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز ، ص٢٩٧ .

٢- عن تفاصيل صراع باسل الثاني مع البلغار أنظر:

Gibbon, The History of the decline and fall , vol . III, p. 1939-1942 .

Ostrogorsky , Op. cit, p. 268 .

Stephenson, The Legend of Basil The Bulgar Slayer, Cambridge 2003, pp. 32-48 .

Ostrogorsky , p. 268 , note (1).

٣- عنه أنظر :

حيث يناقش أصول مملكة صمويل واختلاف الباحثين بشأنها، أيضاً: اسمت غنيم ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٣٣ .



وبعده البعض من أكبر حكام ما عرف بالدولة البلغارية الأولى، وقد تمكن من إعادة تكوين بلغاريا، وحرر مناطقها الواقعة على نهر الدانوب، بل نجح في غزو مقدونيا، وتساليا، بل وصل به الأمر إلى أن وصل إلى شبه جزيرة البلبونيز، وقد ساعده على تحقيق مثل تلك الانتصارات الغير المسبوقة عدم استقرار الأوضاع للإمبراطور باسل الثاني في بدايات عهده، بالإضافة إلى كفاءة قواته من الناحية العسكرية وخبرتها السابقة في مواجهة البيزنطيين.

ثانياً : تعرض الإمبراطور باسل الثاني للهزيمة من جانب الزعيم البلغاري عندما تمكن من مهاجمة قواته عند مر تراجان أو ما عرف باسم Tragan's Gates في البلغار : وذلك في أغسطس عام ٩٨٦ م . ومن بعدها تمكن صمويل من مد حدوده من البحر الأسود إلى الأدریاتيكى<sup>(١)</sup>.

ومن المؤكد أنها كانت هزيمة كبيرة بكافة المقاييس، ومن المرجح أنها تركت أثراً نفسياً بالغاً على الإمبراطور وولدت لديه رغبة قوية نحو الشار من البلغار، وقد تعاظمت تلك الرغبة مع توالى الأعوام.

ويلاحظ أنه لم يتمكن من الرد عليها إلا بعد أن أنفق ثلاثة عقود تقريباً، حرص فيها على تكوين «قاعدة معلومات» وفيرة عن عدوه اللدود وكذلك إعداد جيش قوى على نحو يمكنه من الانتصار في مواجهة ذلك العدو العتيد الممتد النفوذ من نهر الدانوب شمالاً إلى البحر الأدریاتيكى، وبحر إيجه Aegean Sea جنوباً.

على أية حال : أمام صمت المصادر ليس في مقدور الباحث أن يبرز التفسير النفسى لسياسات ذلك الإمبراطور حيال عناصر البلغار، غير أن الأمر يظل في دائرة الترجيح دون التأكيد التام. ولا تغفل : أن المصاعب التي واجهته في سنوات حكمه الأولى، وكذلك أحداث التمرد التي واجهها، كل ذلك من المحتمل أنه ولّد لديه نوعاً من الشراسة والعنف .

ثالثاً : تمكن باسل الثاني من الرد على الهزيمة السابقة من خلال إنتصاره الحاسم في مر يسمى كيمبالونجو Kimbalongou في يوليو عام ١٠١٤م<sup>(٢)</sup>، وقد نتج عن تلك المعركة

٢ - Ostrogorsky, History of The Byzantine State, p. 275 .

حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٥٨، عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٧٠، أسد رستم، الروم، ج ٢، ص ٥٨.

وقوع عدد كبير من البلغار بين قتيل، وأسير، ويقال أن الأسرى بلغوا ١٤,٠٠٠ أسير، وقد أظهر الإمبراطور- الذي حركته - على الأرجح- الهزيمة والرغبة في الشار منذ ٢٨ عامًا- وحشية بالغة عندما قام بتسميل أعينهم، وجعل على رأس كل مائة رجل أعور يقودهم ومنطقى أنه هدف من وراء ذلك إشباع رغبته في الانتقام، ثم جعل أولئك الأسرى لا يصلحون للحرب ضد بيزنطة في المستقبل وكذلك توجيه ضربة نفسية موجبة لعناصر البلغار ليتجنبوا محاربة الامبراطورية البيزنطية مرة أخرى، وقد أرسل أولئك الأسرى إلى القيصر المهزوم صموئيل ومن هنا؛ تولدت التسمية الشهيرة «قُصاب البلغار» السالفة الذكر، ويلاحظ أن القيصر البلغاري التعيس؛ لم يلبث أن توفى بعد تلك الحادثة البشعة كمدًا وحسرة<sup>(١)</sup>.

من الملاحظ أن المؤرخين الأوربيين الذين استهوتهم الأعمال الحربية، واهنوا على ذلك الإمبراطور وتصوروا أنه من أعظم الأباطرة البيزنطيين، وسار على مسيرتهم المؤرخون العرب فرددوا ذات العبارات، والأفكار دونما معارضة تذكر!، بل وصل الأمر إلى أن أورد أحد كبار المؤرخين العرب ممن دَرَسُوا عصر ذلك الإمبراطور عبارات تفيض بالاعجاب به<sup>(٢)</sup>، وأتصور؛ أن باسل الثانى كشف عن عنصرية غير مسبقة في تعامله مع الأسرى البلغار؛ على نحو يندر أن نجد له نظيراً في القرون الوسطى قاطبة، ومن الغريب؛ أن أولئك المؤرخين الغربيين، ومن أيدهم من المؤرخين العرب لم يهاجموا ذلك الإمبراطور الذى قام بسلوك بربوى كشف عن طابع مميز في «السادية» أو حب تعذيب الآخرين، ولا يستطيع المؤرخ المنصف إلا الإقرار بما في مسلكه من عنف ووحشية غير مسبقة.

Gibbon, The History of the decline Fall fall, vol . III, p. 1942 .

-١-

Stephenson, Byzantium's Balkan Frontier , Apolitical Study of the Northern Balkan, p. 72 .

Runciman , A History of the First Bulgarian Empire , London 1930 , p. 240 .

Crampton, A concise History of Bulgaria, Cambridge 1997, pp. 21-22 .

٢- وسام عبد العزيز فرج ، «الإمبراطور باسل الثانى (سفاح البلغار ١٩٧٦-١٠٢٥) يقول ما نصه : «والجدير بالذكر أن الإمبراطور باسل الثانى اقترب بحكمه- أكثر من كل أباطرة بيزنطة - إلى تحقيق المثل الإمبراطورى الأعلى، والمتمثل فى سمو لامثيل له، وسلطان بلا حدود ، فقد كان القائد لجيشه، ورأس الإدارة المدنية والكنسية على حد سواء ، وبفضل نشاطه حققت الإمبراطورية امتداداً إقليمياً وإزدهاراً اقتصادياً لم يتحقق من قبل ولا من بعد» ، أنظر: «الامبراطور باسل الثانى (سفاح البلغار ٩٧٦ - ١٠٢٥)»، ص ١٦٩ .

لقد أكد ذلك الموقف على حقيقة محورية، وهى أن العنف والقسوة، والتنكيل بالخصوم، والتآمر بصوره المتعددة؛ جزء رئيسى فى التاريخ البيزنطى لا يمكن إنكاره، وإن اختلفت أسماء وأشكال الأباطرة وكذلك الضحايا.

ومن المهم هنا عقد مقارنة عامة بين توسعات ذلك الإمبراطور البيزنطى، ومعاملته للأسرى البلغار، ومعاملة المسلمين فى العصور الوسطى لأسراهم وقد أثبتوا - بما لا يدع مجالاً للشك - تحضرهم، ولم يرد فى المصادر التاريخية، مثل تلك العمليات البشعة من التعذيب الجماعى مثلما حدث مع الأسرى البلغار.

هكذا؛ خسرت الإمبراطورية على المستوى الإنسانى بذلك السلوك، على الرغم من أنها ربحت على الصعيد الحربى والسياسى؛ إذ تمكنت من القضاء على المملكة البلغارية الأولى عام ١٠١٨م<sup>(١)</sup> - بعد أن تمكن باسل الثانى من دخول اوخريدا Ochridu عاصمتها - التى ناصبتها العداء زمناً طويلاً، وبذلك امتدت رقعتها من نهر الدانوب إلى البحر الأدرياتيكي، وصولاً إلى جنوب شبه جزيرة البليونييز.

مهما يكن من أمر؛ توفى باسل الثانى عام ١٠٢٥م بعد تاريخ عامر بالأحداث السياسية والحربية المخضبة بالدماء والتعذيب.

---

١- درسها بالتفصيل رنسيمان فى دراسته التالية:

Runciman, A History of the First Bulgarian Empire, London 1930 .

وعن المملكة البلغارية الأولى انظر أيضاً :

هانى عبد الهادى البشير ، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة البلغار الأولى ٦٨١ - ٨١٠م ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٣م.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 112-114 , p. 226-227 , p. 231-236 .

وعن الدولة الثانية انظر: Ibid, p. 358-360 .

وأنظر عن دخول باسل الثانى العاصمة البلغارية: ليلى عبد الجواد ، «أضواء جديدة على تاريخ بلغاريا تحت الحكم البيزنطى ١٠١٨-١٠٩٧م» ، مجلة المورخ المصرى، العدد (١٤) ، يناير ١٩٩٥م،

ص ٣٠٩ .

يبقى أن نذكر عن الإمبراطور باسل الثانى حرصه على تحجيم دور كبار الملاك الأثرياء فى الأقاليم؛ وهم الذين أطلق عليهم تعبير Dynatoi، وفى هذا الصدد؛ يقرر مؤرخ بارز للتاريخ البيزنطى أن استقرار المجتمع البيزنطى إعتد على جماعات الفلاحين الأحرار فى صورة صغار المزارعين؛ وهم الذين تعاملوا بصورة مباشرة مع الحكومة المركزية، وقد اعتمدت قوة بيزنطة العسكرية، والمالية عليهم خاصة أنهم دفعوا الضرائب للحكومة المركزية بالتضامن، كذلك أدوا الخدمة العسكرية من خلال خدمتهم فى الثيمات للدفاع عن أقاليم الإمبراطورية البيزنطية<sup>(١)</sup>. غير أنه فى القرن العاشر الميلادى تعرضت طبقة صغار المزارعين لطمع الأثرياء، مما دفع الأباطرة البيزنطيين إلى القيام بدورهم من أجل حمايتهم، وهناك ثلاثة عوامل أدت إلى تعرض الطبقة المذكورة لذلك الموقف فى صورة سياسة التوسع العسكرى صوب الشرق وقد صاحبه توجه الأثرياء إلى شراء المزيد من الأراضى<sup>(٢)</sup>. ثم هناك المجاعة التى لحقت بالإمبراطورية البيزنطية عامى ٩٢٧م، ٩٢٨م، حيث ارتفعت نسبة الوفيات، كذلك اتجه فقراء الفلاحين إلى بيع أراضيتهم للأثرياء واشتراها الآخرون بأسعار زهيدة<sup>(٣)</sup>. أما العنصر الثالث فيتمثل فى سياسة الإمبراطور ليو السادس (٨٨٦-٩١٢م) التشريعية التى كانت فى صالح الأثرياء<sup>(٤)</sup>.

أما بالنسبة لباسل الثانى؛ فقد اتجه إلى تحجيم دور الطبقة العليا التى تأمر عليه من قبل، وهكذا؛ وجدناه فى أعوام ٩٨٨م، ٩٩٦م؛ سعى إلى تحقيق ذلك الهدف، وجدير بالذكر فى أوائل القرن الحادى عشر أصدر مرسوماً قرر فيه أن الأغنياء عليهم وحدهم تحمل المسئولية

١- وسام عبد العزيز فرج، قوانين الملكية الزراعية فى الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٠١.

ويلاحظ أن نفس المقالة المذكورة؛ أصدرها المؤلف ضمن كتابه: بيزنطة قراءة فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ولكن تحت عنوان تشريعات الملكية الزراعية فى الدولة البيزنطية فى القرن العاشر الميلادى، ص ٤٥-٧٦.

٢- وسام عبد العزيز فرج، المرجع السابق، ص ٣٠٣. ويقرر دونالد نيكول ما نصه: «عمل على تحجيم الأرستقراطية من ملاك الأراضى وفرض حماية على صغار الفلاحين الذين كانوا عنصراً حيوياً للغاية بالنسبة لوجود الجيش» أنظر: Nicol, A Biographical dictionary, p. 18.

٣- وسام عبد العزيز فرج، قوانين الملكية الزراعية، ص ٣٠٤.

٤- نفسه، ص ٣٠٥.

الجماعية نحو دفع الضرائب التي يتم تقديرها في كل منطقة من المناطق<sup>(١)</sup>، وتم إعفاء الفقراء من دفعها في المستقبل . وإن لاحظ البعض أن التنفيذ الفعلي لذلك لم يتم واقعياً حيث حدث تواطؤ بين كبار الملاك ، والقضاء وجباة الضرائب؛ لعدم تنفيذ إتجاه ذلك الإمبراطور<sup>(٢)</sup>.

وواقع الأمر ؛ يذكر لباسل الثاني حرصه على تحجيم قوة تلك العناصر للحفاظ على مكاسب الامبراطورية البيزنطية حينذاك من خطر كبار الملاك الأثرياء .

بصفة عامة؛ تعد المرحلة الواقعة بين عامي ١٠٢٥ م ، ١٠٥٧ م ؛ مرحلة قلق على المستوى السياسي، ولاريب ؛ أن رحيل باسل الثاني عن الساحة البيزنطية قد ترك فراغاً سياسياً لا يمكن إنكاره بغض النظر عن أوجه النقد التي سبق إيرادها من قبل .

بصفة عامة؛ ومن بين عدد من الأباطرة الذين خلفوه ؛ من الممكن إتخاذ الإمبراطور قسطنطين التاسع<sup>(٣)</sup> مونوماخوس Constantine IX Monomachus (١٠٤٢-١٠٥٤ م) ، كأحد أهم الأباطرة في مرحلة ما بعد باسل الثاني.

١- وسام عبد العزيز فرج ، قوانين الملكية الزراعية ، ص ٣٣٣ .

٢- نفسه، ص ٣٣٤ .

٣- قسطنطين التاسع مونوماخوس تولى العرش البيزنطي كنتيجة لزواجه من زوى عام ١٠٤٢ م ويقرر دونالد نيكول عنه أنه عرف عنه الإسراف في اللهو وشاركته زوى ذات الأمر على نحو أدى إلى الإفلاس وإلحاق الأضرار بالخزانة الإمبراطورية ، وقد توفي في يناير عام ١٠٥٥ م، عنه أنظر:

Psellus, Fourteen Byzantine Rulers, The Chronographia, pp. 165-260 .

Hussey , The Byzantine World, p. 47 . p. 48 .

Norwich, A Short History of Byzantium , p. 226-228 , p. 230-232 . Nicol, A Biographical dictionary. p. 28 . Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 315 , p. 355 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State , pp. 294-298 .

Diehl History of the Byzantine Empire, p. 76 , p. 97 .

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٣٦-٣٣٧ .

شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٩٣-١٩٤ ، محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٩٦-٣٠٠ .

لقد حدث في عهد ذلك الإمبراطور حدثان على جانب كبير من الأهمية أولهما في مجال التعليم البيزنطي والثاني خاص بالعلاقات مع الغرب اللاتيني ويتمثلان في:

أولاً : إعادة تنظيم جامعة القسطنطينية عام ١٠٤٥ م.

ثانياً : الإنشقاق الأعظم The Great Schism بين كنيسة القسطنطينية وروما عام ١٠٥٤ م.

وفيما يتعلق بالعنصر الأول : من المقرر أن قرار تنظيمها كان قد صدر من قبل في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني؛ وذلك عام ٤٢٥ م، وفيما بعد؛ في القرن التاسع الميلادي، إتجه الإمبراطور ميخائيل الثالث (السكير) (٨٤٢-٨٦٧ م) إلى الاهتمام بها من خلال خاله برداس فعمل على تنظيمها مرة أخرى<sup>(١)</sup> بعد أن توالى عليها القرون، وبصفة عامة؛ غدت الجامعة المذكورة : مركزاً رفيعاً من مراكز العلم البيزنطي غير أن الإهتمام بالجانب العسكري في عهود كل من الأباطرة نقفور فوكاس، ويوحنا ترميسكس، وكذلك باسل الثاني؛ جاء على حساب الناحية العلمية التي توارت أمام ارتفاع صوت آلة الحرب مقارنة بالورق، والمداد على الرغم من خلودهما مقارنة بالأولى المدمرة !

على أية حال : إتجه الإمبراطور قسطنطين التاسع إلى العناية بالجامعة المذكورة<sup>(٢)</sup>، ويقال أنها احتوت على كليتين في مجالات القانون، والفلسفة ، وكذلك الدراسات الانسانية .

١- Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 198 .

٢- Hussey , The Byzantine World, p. 147 .

Ostrogorsky, op. cit., p. 290 .

نعيم فرح، الحضارة البيزنطية، ص ٢٥٧ .

أما عن الجامعات في الغرب الأوربي في العصور الوسطى من أجل عقد المقارنة التاريخية أنظر:  
Rashdall, The Universities of Europe in the Middle Ages, Oxford 1936 .

دراسة رائدة لا يمكن الاستغناء عنها :

جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات في العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٨١ م.

ياسر عبد المعبود ، جامعة باريس ودورها في النهضة الفكرية بأوروبا في العصر الوسيط، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٢ م، وأود الإشادة بهذه الدراسة حيث تمتاز بالجهد العلمي البارز. من جانب صاحبها الباحث الواعد .

زينب عبد القوى ، « جامعة اكسفورد في العصور الوسطى »، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، م (٣) ، عام ٢٠٠٣ م، ص ٢١- ص ٧٤ ، سها إبراهيم منصور، جامعة اكسفورد نشأتها وتطورها ، رسالة ماجستير ، كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤ م، دراسة مهمة ومتميزة.



ومما يذكر ؛ أن تلك الجامعة تم فيها تدريس ما عرف بالفنون السبعة الحرة التي عرفت باسم *Septem artes liberales* ، والتي ضمت النحو ، والبلاغة ، والمنطق الجدلي ، والحساب ، والهندسة ، والفلك ، والموسيقى<sup>(١)</sup> .

من ناحية أخرى ؛ قامت الدولة البيزنطية بتخصيص رواتب وملابس رسمية ، وكذلك مساكن لأساتذة الجامعة<sup>(٢)</sup> ، مما عكس وجود تنظيم دقيق لكافة جوانب النشاط العلمى داخل تلك المؤسسة التعليمية العليا .

على أية حال ؛ اتجه ذلك الإمبراطور السالف الذكر ؛ نحو استقدام كبار علماء عصره ، ومن أمثلتهم يوحنا إكسفيلينوس *John Xiphilinus* ، وميخائيل بسللوس *Michael Psellus*<sup>(٣)</sup> وغيرهما ، وقد ترك علماء تلك الجامعة تراثاً دالاً على المستوى التعليمى الرفيع الذى شهدته بيزنطة حينذاك .

ومع ذلك ؛ من المهم الإقرار بأنه فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى فيما بعد وفى أعقاب عام ١٢٠٤م قلبت النظم التعليمية ، البيزنطية رأساً على عقب وكانت جامعة القسطنطينية من المؤسسات التعليمية التى تأثرت بذلك الحدث الجلل .

أما الحدث الثانى المحورى الذى حدث خلال حكم قسطنطين التاسع ؛ فقد تمثل فى الانفصال الذى حدث بين كنيسة القسطنطينية وروما عام ١٠٥٤م .

وهناك من يقرر ؛ أن البطريك البيزنطى حينذاك وهو ميخائيل كيرولاريوس *Michael Cerularius*<sup>(٤)</sup> (١٠٤٣-١٠٥٨م) سعى إلى أن يكون صاحب نفوذ بارز شأنه فى ذلك شأن بابا روما ، وقد اختار عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع للقيام بحركته الانفصالية .

١- نعيم فرح ، الحضارة البيزنطية ، ص ٢٥٧ .

٢- نفسه ، نفس الصفحة .

٣- رأفت عبد الحميد ، الإمبراطورية البيزنطية ، العقيدة والسياسة ، ص ٣١٢ .

وعن ميخائيل بسللوس أنظر المدخل الجيوجرافى .

٤- ميخائيل كيرولاريوس *Michael Keroullarios* ، تولى بطريركية القسطنطينية ، وفيما بعد ؛ صار فى سلك الرهبنة وشارك فى المؤامرة ضد الإمبراطور ميخائيل الرابع ويلاحظ أن قسطنطين التاسع كان =

على أية حال ؛ أعلن البطريرك أن البابوية<sup>(١)</sup> ممثلة في ليو التاسع Leo IX ( ١٠٤٩ - ١٠٥٤م) صارت أداة تم تسخيرها في أيدي النورمان وأنها تبذل جهدها من أجل إبعاد السيادة البيزنطية عن جنوبي إيطاليا من خلال تأييدها للأطماع النورمانية<sup>(٢)</sup>.

وقد رأى أن خير ضمان للإمبراطورية البيزنطية أن تكون كنيستها منفصلة ومستقلة بشئونها، ويلاحظ أنه أرسل في عام ١٠٥٣م إلى أساقفته خطاباً شن فيه هجوماً على البابوية في روما، وقد اعتبر هذا الأمر بمثابة إعلان «حرب» على الأخيرة، خاصة أن البابا القائم حينذاك هو ليو التاسع كان من أشد أنصار دعم نفوذ البابوية ، وقد أرسل رسالة يقر فيها بأفضلية كنيسة روما وأحققتها في السيادة على الكنيسة الشرقية، إلا أن المنية أدركته عام ١٠٥٤م، وخلال مرحلة خلو المنصب البابوي ، تمكن ميخائيل كيرولاريوس من استمالة الإمبراطور البيزنطي، وبالفعل؛ تم الإعلان رسمياً في كنيسة أيا صوفيا في مايو ١٠٥٤م عن أن كنيسة القسطنطينية صارت كنيسة مستقلة عن كنيسة روما<sup>(٣)</sup>.

= مشاركاً له فيها، وقد اختاره ليكون بطريركاً على القسطنطينية ، واشتهر بجدله مع الكاردينال همبرت Humbert الرسول البابوي عام ١٠٥٤م، وأسفر ذلك الجدل عن حدوث ما عرف بالانشقاق الأعظم، ويقرر دونالد نيكول أن ميخائيل كيرولاريوس لم يكن باللاهوتي البار، ولم يكن أيضاً بالعالم الذي يشار له بالبنان، عنه أنظر:

Runciman, The Eastern Schism , A study of The Papacy and The Eastern Churches during The XI and XII centuries, Oxford 1956 , pp. 28-54 .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 91 .

أسد رستم ، الروم، ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

١- ليو التاسع Leo IX : بابا وقديس ، تولى المنصب البابوي خلال المرحلة من ١٢ فبراير ١٠٤٩ إلى ١٩ أبريل ١٠٥٤م، وكان ابناً للكونت هيو الاجشيمي Hugh of Egisheim ، وقام بدور بارز في إصلاح الكنيسة وتطهيرها من السيمونية أو بيع المناصب الدينية، عنه أنظر:

Kelly, Oxford dictionary of Popes, pp. 147-148 .

Attwater, The Penguin dictionary of Saints, p. 217- 218 .

٢- هارتمان وباراكلاف، الدولة والإمبراطورية ، ص ٢١٧ ، حاشية، (٢) .

٣- نفسه، نفس الصفحة والحاشية .

جدير بالإشارة ؛ مثل ذلك الأمر الذي اشتهر لدى المؤرخين «بالإنشقاق الأعظم» The Great Schism (١٥ يوليو ١٠٥٤م)؛ مرحلة على جانب كبير من الخطورة في العلاقات بين الشرق البيزنطى، والغرب اللاتينى، وقد ساعد ذلك على إنتهاء الحكم البيزنطى فى إيطاليا، كذلك اتسعت الهوة بين الطرفين ظلت قائمة حتى سقوط العاصمة البيزنطية القسطنطينية عام ١٢٠٤م وفيما بعد ذلك ؛ ولانغفل أن الأجيال المتعاقبة لدى كل كيان تشربت الكراهية ورضعت منذ نعومة أظفارها حليب العداء المتبادل، ومن الآن فصاعدا ؛ يمكن القول أن كل طرف صار يكن للطرف الآخر قدراً كبيراً من العداء، والكراهية، وكان كل تصرف يحدث يتم تغليفه بقدر كبير من الشك، والإرتياب على نحو يمكن أن يجعل المؤرخ المنصف يصف العلاقات بين الجانبين بأنها «علاقة مسممة» مؤهلة للانفجار فى أية لحظة ؛ وقد دفع البيزنطيون ثمنًا فادحًا لما حدث عام ١٠٥٤م فيما بعد .

من ناحية أخرى؛ من الملاحظ أن عصر الأسرة المقدونية- على نحو خاص- شهد نهضة حضارية فى مختلف المجالات على نحو دفع بالمؤرخين إلى إعتباره «العصر الذهبى

#### ١- عن الإنشقاق الأعظم عام ١٠٥٤م أنظر:

Brehier, La Schism Oriental du XIe Siecle Paris 1899.

دراسة أساسية على الرغم من أنها نتاج أواخر القرن التاسع عشر .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 107 , Ware, The Orthodox Church, Penguin Book, London 1997 , p. 58 - 59 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 282 .

إسحق عبيد، روما وبيزنطة ، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص٢١- ص٦٦ .

عادل زيتون، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى فى العصور الوسطى،

ط. دمشق ١٩٨٠ ، ص٣٣٥ ، ص٣٥٥ ؛ جيهان عبد المقصود فتحي، السنوات الأخيرة للأسرة المقدونية

١٠٢٥-١٠٥٦م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس ، عام ٢٠٠٢م، ص٩٢-

ص١١٦ ، أسد رستم، الروم، ج٢، ص٧١- ص٧٦ .

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٨٥-١٨٦ ، حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة

البيزنطية، ص١٦٤ - ص١٦٥ . نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص٦٥ .

للإمبراطورية البيزنطية»، ويلاحظ هنا؛ أن تقدم الاقتصاد البيزنطى، والنجاح فى فتح أسواق تجارية جديدة، كل ذلك ؛ دُرَّ على ميزانية تلك الدولة أموالاً طائلة مكنها من الإنفاق بسخاء على كافة المظاهر المعمارية التى شيدت ، وكذلك رعاية الآداب والفنون التى ازدهرت حينذاك، ويمكن إيراد أهم تلك الإنجازات - على نحو موجز- على النحو التالى:

أولاً : ازدهرت العلوم، والفنون فى عصر تلك الأسرة، وإذا اتخذنا «التاريخ» Historia نموذجاً على سبيل المثال، نجد ظهور عدد من كبار المؤرخين فى صورة ميخائيل بسللوس Mi-chael Psellus ، وليو الشماس<sup>(١)</sup> Leo The Deacon .

كذلك لانغفل ؛ أن الكتابة التاريخية حظيت باهتمام الأباطرة حينذاك ، ولذا نجد أن الامبراطور قسطنطين السابع بورفيريوجنتيس Constantine Porphyrogenitus يقوم بتأليف عدة مؤلفات مثل كتاب عن الشفور ، وآخر عن المراسيم ، وكتاب ثالث عن الإدارة الإمبراطورية<sup>(٢)</sup> وهى مصادر على جانب كبير من الأهمية وتعكس جوانب متعددة من تاريخ تلك الأسرة وعلاقات بيزنطة الخارجية.

ثانياً: فيما يتصل بإزدهار الأدب البيزنطى؛ يكفى أن نشير هنا إلى ظهور ملحمة بيزنطية شهيرة فى صورة ملحمة ديجنيس اكرتيس Diogenis Akritis<sup>(٣)</sup> التى تكونت من خلال الإمتزاج الثقافى على الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ، وقد وصفتها المؤرخة القديرة جوان هسى J. Hussey بقولها : « أشعلت خيال الأجيال التالية، ودفعت المواويل الشعبية عند الصقالبة ، واليونان على حد سواء، حتى إذا كانت العصور الوسطى المتأخرة، ظهرت القصائد الرومانسية الطويلة فى اللغة الوطنية متأثرة بالفروسية الافرنجية، والتواتر الملحمى اليونانى»<sup>(٤)</sup>، بينما وصفها مؤرخ آخر بأنها تضارع أنشودة رولان La Chanson de Roland

١- عنه : أنظر المدخل البيليوغرافى.

٢- عنه أنظر: المدخل البيليوغرافى .

٣- عن ملحمة ديجنيس أكرتيس Diogenis Akritis: أنظر المدخل البيليوغرافى .

٤- Hussey , The Byzantine World, p. 152 .

جدير بالذكر ؛ من خلال الاحتكاك بين المسلمين والبيزنطيين على الحدود ؛ ظهرت سيرة الأميرة ذات الهمه، عنها أنظر: نبيلة ابراهيم ، سيرة الأميرة ذات الهمه، دراسة مقارنة ط. القاهرة ١٩٩٤م.

التي تناولت حملة شارلمان على الأندلس عام ٧٧٨م، ومصرع رولان وهو أحد قادة جيشه ومعه عدد من الجنود من جواء هجوم عناصر الباسك أثناء الانسحاب عبر جبال البرانس خاصة عمر رونشفال ، مع ملاحظة أن أنشودة رولان كانت أكثر شهرة من الملحمة البيزنطية المذكورة خاصة أنها استمرت في أعماق العقل الأوربي حتى إندلاع الحروب الصليبية أواخر القرن ١١م. رابعاً : ازدهرت العمارة والفنون في عهد تلك الأسرة ، وتم تشييد عدد من الكنائس - التي اعتقد البيزنطيون أنها ستبقى ما بقي الأيمان في تصورهم- على شاكلة كنيسة أيا صوفيا (القرن ٦م) التي صارت بمثابة النموذج الأعلى في تشييد الكنائس على المستوى البيزنطي وحتى خارج أنحاء الإمبراطورية<sup>(٢)</sup>، كذلك كثرت أعمال الفسيفساء التي حققت شهرة عالمية ونفس الأمر بالنسبة للموزايكو<sup>(٣)</sup>، والمصنوعات العاجية؛ على نحو عكس رقى الأعمال الفنية في ذلك العصر، وأكد على حقيقة مهمة وهي أن ذلك الرقى إنعكس إيجابياً على التجارة الخارجية حيث طافت المنتجات الفنية البيزنطية الراقية مختلف الأسواق العالمية سفيرة لبلاها وحقت مكانة تجارية مرموقة، وصارت موضع ثقة المستهلكين.

بصفة عامة؛ رحل أباطرة الأسرة المقدونية وقيت لدينا كتابات مؤرخي ذلك العصر وبعض العمائر والتحف الفنية الشاهدة على المستوى الحضاري الذي بلغته بيزنطة حينذاك فالبشر يمشون وتبقى آثارهم شاهدة عليهم وتنطق بل تصرخ بالتاريخ .

على أية حال ؛ وصل إلى السلطة قسطنطين دوكاس ليؤسس أسرة بيزنطية حاكمة جديدة ضمن الرحلة الطويلة الشاقة لذلك التاريخ !

١- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٨٠ ، وعن أنشودة رولان أنظر :

The Song of Roland , Trans. by Sayers, Benguin Book, London 1977 .

جوزيف نسيم يوسف ، « أنشودة رولان قيمتها التاريخية وما أثير حولها من جدل ونقاش ». ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٢٧٥ ، وهي الدراسة الوحيدة المتخصصة باللغة العربية.

قاسم عبده قاسم ، « الشعر والتاريخ »، دراسة تطبيقية على شعر الحركة الصليبية »، المجلة التاريخ المصرية، م (٢٨)، (٢٩)، عا ١٩٨١ - ١٩٨٢ ، ص ٧٨ .

ويلاحظ أن الترجمة العربية للأنشودة توجد لدى: سهيل زكار ، الموسوعة الشامية، ط. دمشق ١٩٩٣م، ج ٩ ، ص ٩- ص ١٨٧ .

٢- عنها أنظر ما سبق إيراد الحديث عن أسرة جستنيان.

٣- عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ١٨١ .

وعند مقارنة الأسيرة المقدونية بالأسيرات البيزنطية السابقة؛ نجد أنها تفوقت على ما سبقها من أسيرات من خلال طول المدة الزمنية التي حكمت خلالها حيث امتد عهدها - كما أسلفت إلى ما زاد على قرنين من الزمان، كذلك نلاحظ تعدد الأباطرة فيها بصورة فاقت ما لدى كل أسرة من الأسيرات السابقة.

من جهة أخرىك تفوقت الأسيرة المقدونية في أمر توسعاتها العسكرية - وإن كانت مؤقتة أحياناً خاصة في الجبهة مع المسلمين، كذلك نلاحظ ظهور أباطرة كبار فيها مثل؛ باسل الثاني وهو أمر افتقدته الأسيرة العمورية على سبيل المثال.

ولانغفل كذلك؛ أن الإنجازات الحضارية وخاصة العلمية في عهد تلك الأسرة على نحو خاص؛ جعل البعض من المؤرخين يعتبر عهدها بمثابة العصر الذهبي للإمبراطورية البيزنطية<sup>(١)</sup> خاصة المرحلة الممتدة من ٨٦٧م إلى ١٠٢٥م كما أسلفت الإشارة من قبل ، مع عدم إغفال أن التوسعات العسكرية خلالها دعم لديهم مثل ذلك التصور.

كذلك من الأمور الملفتة للإتباه ؛ أن الأسرة المقدونية تتشابه مع الأسرة العمورية من خلال أن كلا منهما شهد مرحلة من مراحل التباعد الكنسي بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني، ففي خلال حكم الأسرة العمورية حدثت قطيعة فوشيوس في عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث ، أما في أثناء حكم الأسرة المقدونية فقد وقعت أحداث ما عرف بالإنشقاق الأعظم في عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع وإن كنا نلاحظ أن الإنشقاق الأخير فاق في آثاره البعيدة القطيعة الأولى وإن جاء ليؤكددها ويعبر بعمق عن تأزم العلاقة بين الكنيستين الشرقية والغربية.

وهكذا ؛ وجدت عدة أوجه للمقارنة بين الأسرة المقدونية وغيرها من الأسيرات البيزنطية السابقة .

١- أنظر على سبيل المثال:

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٤٢ .

وفي تصوري ؛ أن يطلق على مرحلة معينة من مراحل التاريخ البيزنطي بأنها العصر الذهبي؛ فذلك يحوى قوليه واضحة ، إذ أن كل أسرة من الأسيرات الحاكمة كانت لها فترات قوة وفترات ضعف ، ومثل ذلك التصور يجعلنا نتصور أن الأسيرات السابقة، والتالية لم تنعم بإسهامات بارزة في ذلك التاريخ الممتد ما زاد على ١١ قرناً من الزمان، وبالتالي ليس من المنطقي أن نطلق ذلك الوصف على ما زاد قليلاً على قرن ونصف فقط من الزمان .



## سابعًا : أسرتى دوкас وآل كومنين (١٠٥٧ - ١١٨٥م)

تتجه الصفحات التالية إلى عرض ملامح عهد أسرتى دوкас، وآل كومنين على مدى المرحلة الممتدة من ١٠٥٧ إلى ١١٨٥م؛ لرصد التطورات المحورية التى حلت بالامبراطورية البيزنطية خلال مدة حكم تلك الأسرتين .

لقد امتدت تلك المرحلة نحو ١٢٨ عامًا ، وحكم خلالها عدد من الأباطرة هم: إسحق الأول كومنين Issac I Comnenus ( ١٠٥٧-١٠٥٩م ) ، وقسطنطين العاشر دوкас-Constans X Docas ( ١٠٥٩-١٠٦٧م ) ، ورومانوس الرابع ديوجينيس -Romanus IV Diogenes ( ١٠٦٧-١٠٧١م ) ، وميخائيل السابع دوкас-Michael VII Docas ( ١٠٧١-١٠٧٨م ) ، ونقفور الثالث بوتانياتس -Nicephor III Botaniates ( ١٠٧٨-١٠٨١م ) ، والكسيوس الأول كومنين Alexius I Comnenus ( ١٠٨١-١١١٨م ) ، ويوحنا الثانى كومنين John II Comnenus ( ١١١٨-١١٤٣م ) ، ومانويل الأول كومنين ( ١١٤٣-١١٨٠م ) الكسيوس الثانى كومنين Alexius II Comnenus ( ١١٨٠-١١٨٣م ) ، وأندرونيكوس الأول كومنين Andronicus I Comnenus ( ١١٨٣-١١٨٥م ) .

وليس الهدف من عرضنا الحالى التعرض لكل إمبراطور بيزنطى بالتفصيل ، بل تقديم ملامح عامة عن أهم أحداث ذلك العصر .

وهكذا؛ يظهر لنا ضرورة التحدث عن قوتين خارجيتين قدر لهما القيام بتأثير مركزى فى التاريخ البيزنطى فى صورة الأتراك السلاجقة ، والنورمان.

جدير بالإشارة؛ أن السلاجقة -فى الأصل- عناصر من القبائل التركية أقامت فى منطقة التركستان ، وبلاد ما وراء النهر، ويلاحظ ؛ أن مؤسسها يدعى سلجوق بن دقاق<sup>(١)</sup>، وقد

١- الحسينى، أخبار الدولة السلجوقية ، تحقيق عباس إقبال ، ط. بيروت ١٩٨٤م، ص ٢- ص ٣ .

وعن أصل السلاجقة أنظر:

El- Azhari, The Saljuks of Syria during the Crusades, 493-549 A.H. / 1070-1154 A. D., Berlin 1997 , pp. 26-77 .

Cahen, Pre- Ottoman Turkey ageneral Survey of the matercy and Spiritual Culture , 1011-1330, Trans. by J.J. Jones - Williams, New York 1968 .

اعتنقوا الإسلام، وصاروا من أشد المؤيدين له ، ومن كبار زعمائهم طغرل بك الذى تمكن من دخول بغداد عام ١٠٥٥م ونجح فى إنهاء حكم البويهيين هناك الذين كانوا من الشيعة بينما كان السلاجقة ومن بعد طغرل بك؛ تولى أمرهم ألب أرسلان (١٠٦٥-١٠٧٢م) وفى عهده حدث الاصطدام العنيف مع الإمبراطورية البيزنطية التى حكمها حينذاك الإمبراطور رومانوس الرابع ديوجينيس<sup>(١)</sup> فى صورة معركة مانزكرت الحاسمة عام ١٠٧١م، وقد وقعت مانزكرت فى شمالى بحيرة قان عند جنوب شرقى البحر الأسود .

جدير بالذكر ؛ أن العام المذكور حدث فيه تلك المعركة الشهيرة بين جيش بيزنطى ضخم قدره البعض - من قبيل المبالغة - بـ ٣٠٠,٠٠٠ من الفرسان، والمشاة ، أما القوات السلجوقية؛ فقدّر البعض عددها بـ ١٥,٠٠٠<sup>(٢)</sup>؛ وهى أرقام من العسير الأخذ بها ، نظراً لضخامة الرقم الأول، ومحدودية الرقم الثانى مقارنة به ، وعدم وجود إحصاءات محددة

---

= منى محمد بدر محمد، أثر الحضارة السلجوقية فى دول شرق العالم الإسلامى على الحضارتين الأيوبية والملوكية ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص١٧- ص١٨ ، محمد سهيل طقوش، تاريخ السلاجقة فى بلاد الشام، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص٧٦- ص٧٧ ، أحمد كمال الدين حلمى، السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ط. الكويت ١٩٨٦م، ص٢١- ص٢٣ ، أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية فى مصر تفسر جديد، . ط. الرياض ١٩٩٨م، ص١٨٠ .

١- رومانوس الرابع ديوجينيس ؛ تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية عام ١٠٦٨م، ويلاحظ أنه بعد وفاة الإمبراطور قسطنطين العاشر ؛ أغرى البعض أرملة أبودوكيا مكرمبوليتسا بالزواج من أحد القادة العسكريين وهو الذى تولى العرش البيزنطى بالاسم المذكور، ويصفه دونالد نيكول بأنه كان قائداً معنكاً ، إلا أنه حكم خلال مرحلة تدهور للإمبراطورية البيزنطية، وفى أعقاب هزيمته فى مانزكرت عام ١٠٧١م ، تم تسميل عينيه وأرسل إلى المنفى حيث مات عام ١٠٧١م ، وتولى الحكم من بعده الإمبراطور ميخائيل السابع ، عن رومانوس الرابع أنظر؛

Psellus, Fourteen Byzantine Rulers, The Chronographia, pp. 350-366 , O.D.B., vol . 3, p. 1807 .

Nicol, Biographical dictionary, p. 113 .

Vasiliev , Histoory of the Byzantine Empire, p. 352-353 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 304, p. 320 .

١- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٢٤٦ .

حينذاك ، كذلك فإن المصادر العربية حرصت- بصفة عامة- على المبالغة في أرقام القوات المعادية وتقليل عدد قوات السلاجقة لإظهار عظم شأن النصر الذي حدث على الرغم من قلة عدد الطرف الإسلامي، وإن لاحظنا- بصفة عامة- أن هناك فارقاً واضحاً في عدد قوات السلاجقة مقارنة بأعدادهم دون إمكانية تحديد الأمر في صورة رقمية واضحة للاعتبار المشار إليه .

على أية حال؛ جرت معركة مانزكرت الحاسمة في يوم ١٦ أغسطس ١٠٧١م<sup>(١)</sup>. وهناك من

#### ١- عن معركة مانزكرت أنظر:

ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز ، ط. بيروت ١٩٠٨م، ص٤٠- ص٤٤ ، اليزدي، العراضة في الحكاية السلجوقية ، ت. عبد المنعم محمود ، ط. بغداد ١٩٧٩م، ص٤٧ .

Psellus , Chronographia , in Ashour and Rabie, Fifty documents in Medieval History , Cairo 1971, pp. 58-60 .

Cahen, " la Campagne de Mantzikert d'apres des Sources musulmaus " , B., vol . IX, p. 934 , pp. 613-642, Id , " The Turkish Invasion", in Setton, A History of the Crusades, vol . I, pp. 148-149 .

Charanis, "The Byzantine Empire in the eleventh Century " , in Setton, A History of the Crusades, vol I, pp. 19-192 .

Friendly , The dreadful Day: The Battle of Manzikert 1071 , London , 1981 .

France, Victory in the East , A military History of the First Crusade, Cambridge 1996, pp. 152-153 .

Holt, The Crusader States and Their Neighbours, London 2004 , p. 11 .

فايز نجيب إسكندر ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملازكرد (١٠٧١-٤٦٣هـ) في مصنف نقفور برنينيوس دراسة مقارنة للمصادر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، ص٧- ص١٠ ، أسمت غنيم، «معركة مانزكرت في ضوء وثائق بسيللوس»، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عدد عام ١٩٨١م، شاكر مصطفى، «دخول الترك الغز إلى الشام ضمن كتاب مؤتمر تاريخ بلاد الشام، ط. عمان ١٩٧٤م، ص٣٥٨- ص٣٥٩ ، أرشيد يوسف ، سلاجقة الشام والجزيرة في الفترة ما بين ٤٣٥ - ٥٧٠هـ، ط. الرياض ١٩٨٨م، ص٥١- ص٥٤ ، سهيل زكار ، المدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ط. دمشق ١٩٨١م، ص١٤٥- ص١٥١ ، سعيد عاشور ، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص٤٤ ، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ، ت. بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط. بغداد ١٩٥٤م، ص١٧٢ ، روبرتس ، موجز تاريخ العالم، ت. فارس قطان، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص٣٤٥ ، وتصور خطأ حدوث المعركة عام ١٠٧٢م.

يقرر أن عناصر الاحتياط البيزنطية كان على رأسها قائد يدعى أندرونيكوس ابن يوحنا دوكاس الذى وصف بأنه من أشهر من عادوا الإمبراطور رومانوس الرابع، وقد أشاع لدى القوات البيزنطية نبأ هزيمتها على نحو أدى إلى بعث الاضطراب فيها<sup>(١)</sup>؛ مما انعكس سلباً على مصير المعركة، كذلك لانغفل حماسة السلاجقة للقتال، وتأجج روح الجهاد فى نفوسهم على نحو كان له الأثر الأكبر فى الانتصار على البيزنطيين.

وأخيراً ؛ تحقق الانتصار السلجوقي الحاسم ، وسقط الجيش البيزنطى الضخم بين قتيل وجريح ، وأسير. ووقع الإمبراطور نفسه فى الأسر على نحو مهين، ونادر التكرار فى التاريخ البيزنطى، وهو يذكرنا بموقف حدث بعد ذلك بـ ١١٦ عاماً عندما أسر الملك الصليبي جى لوزينيان فى حطين ١١٨٧م ، وكذلك فيما بعد ذلك بقرابة ١٨٠ عاماً؛ عندما أسر الملك الفرنسى لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦-١٢٧٠م) بعد هزيمته فى المنصورة عام ١٢٥٠م<sup>(٢)</sup>، حيث شهدت تلك البقعة إذلال فرنسا فى العصور الوسطى على أرض النيل الخالد .

على أية حال؛ من الملاحظ أن القائد المسلم المتحضر ألب أرسلان أحسن معاملة أسيره البارز ، وأود هنا أن أقدم نصاً مصدرياً من جانب المؤرخ البيزنطى ميخائيل بسللوس Mi-chael Psellus واصفاً تلك اللحظة التاريخية الفاصلة حيث قال : « إن قائد جيش السلاجقة بدلاً من أن يصيبه الغرور ، وببالغ فى مظاهر السعادة نظراً لوقوع الامبراطور الرومانى أسيراً غلب عليه التواضع واحتفل بنصره بصورة غير متوقعة فى اعتدالها، فقد واسى الإمبراطور

١- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٤٨ .

٢- عن ذلك أنظر:

Jean de Joinville, The life of St. Louis, in Chronicles of The Crusades, Trans. by M. R.B. Shaw, Penguin Book, London 1976 , p. 259 .

جوزيف نسيم يوسف، هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل، ط. القاهرة ببيت ، ص ١١٦ ، العدوان الصليبي على مصر، ط. الاسكندرية ١٩٦٧م، ص ٢٨٥ ، حسن حبشى ، الشرق الأوسط بين شقى الرحى، ط. القاهرة ١٩٤٩م، ص ١٠٩ ، محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة ، ط. القاهرة ١٩٦١م، ص ١٠٩ .

والدراسة الأخيرة من أفضل ما كتب المؤرخ الراحل البارز ، وبعد أربعة عقود من صدورهما لانجبد نظيراً لها بالعربية فى موضوعها .

الواقع في الأسر، بل دعاه إلى مشاركته الطعام، وعامله كضيف يليق به التكريم، وخصص له مجموعة تتولى حراسته، بل فك أغلال بعض رفقاته، وأخيراً؛ قام قائد السلاجقة بتحرير رومانوس ذاته، وعقد معه معاهدة صداقة وأخذ منه إيماناً بالولاء، وقد أطلق سراحه سامحاً له بالرجوع إلى بلاده»<sup>(١)</sup>.

والسطور السابقة؛ شهادة بيزنطية لاتقبل الشك، لأن شهادة الأعداء لها شأنها البارز في كل عصر خاصة خلال العصور الوسطى، حيث ترك العداء الديني والسياسي آثاره البارزة على الكتابة التاريخية حينذاك، وهي تعكس الكفاءة العسكرية والرقى الحضارى الذى تمتع به ذلك القائد المسلم البارز، وأهمية ذلك السلوك؛ أنه حدث في عصور اشتهرت بالتنكيل بالأعداء.

ومن المهم هنا؛ عقد مقارنة بين ذلك السلوك المتحضر من جانب ألب أرسلان، والسلوك المتبرير الذى اقترفه من قبل الإمبراطور باسل الثانى من قبل مع اسراه البلغار، وهو الامبراطور الذى هلك له الباحثون الغربيون من خلال زاوية تعصبية تعجب بكل قيادة قوية تسفك الدماء!! وفى تقديرى؛ أن القائد السلجوقي- دونما مبالغة أو شيفونية جوفاء- يتفوق على ذلك الامبراطور البيزنطى فى مجالى الحرب والتسامح معاً<sup>(٢)</sup>، ومع ذلك لم ينل أدنى تقدير من مؤرخى الدراسات البيزنطية الغربيين ومنهم من هم أصحاب المعايير المزدوجة، ولم تكن له تهمه سوى أنه يدين بالإسلام!!!

على أية حال، نتج عن معركة مانزكرت نتائج بالغة الأهمية على مسار التاريخ البيزنطى من القرن الحادى عشر حتى القرن الخامس عشر الميلادى دونما مبالغة، ويمكن إجمالها على النحو التالى :

١- Psellus, Chronographia, in Ashour and Rabie, p. 60 .

وأنظر أيضاً ترجمة مهمة لدى: سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٨١م. ص ٧٢٣ .

وقد أفدت من الترجمة المذكورة ونجد نص وصف بسللوس للمعركة لدى:

Hollister , Mediieval Europe A Short Soure Book, U.S.A. 1992, pp. 38-40 .

٢- بصفة عامة؛ تعامل المسلمون مع أسراهم معاملة أفضل من غيرهم سواء من البيزنطيين أو الصليبيين وذلك دون الوقوع فى مأذق التعصب أو الشيفونية، ومن الممكن الرجوع لإحدى الدراسات المهمة المفيدة فى هذا الشأن، أنظر: فاطمة الشناوى، معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين فى بلاد الشام ومصر ١١٣٧-١٢٩١م / ٥٣١-٦٩١هـ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٧م.

والواقع أن المرحلة المذكورة هى امتداد طبيعى للمرحلة السلجوقية المبكرة .

أولاً : أدت المعركة المذكورة إلى فتح آسيا الصغرى Asia Minor أمام النفوذ السلجوقي ، وهناك من يقرر أنه إذا كانت معركة اليرموك عام ٦٣٦م قد حسمت مصير بلاد الشام وخضوعها للمسلمين ، فإن معركة مائزكرت قررت - هي الأخرى - مصير آسيا الصغرى لهم<sup>(١)</sup> ، وهكذا ؛ عُدَّت نقطة تحول أساسية في تاريخ السلاجقة ؛ إذ ظهروا بمظهر المجاهدين الذين أنزلوا الهزيمة النكراء بالبيزنطيين ، وهم بمثابة العدو التقليدي للمسلمين من قبل ظهور الصليبيين في أخريات القرن الحادى عشر الميلادى ، ولأريب ، فى أن السلاجقة من الآن فصاعداً ؛ صاروا عنصراً فاعلاً ومؤثراً فى موازين القوى الدولية فى ذلك العصر ، ولانغفل هنا ؛ الإشارة إلى أنه بعد سبع سنوات من المعركة المذكورة ؛ استولى السلاجقة على درة شمالى بلاد الشام ، وأعنى بها أنطاكية عام ١٠٧٨م .

ثانياً : لانغفل أنه نتج عن تلك المعركة ؛ تقلص أملاك الإمبراطورية البيزنطية فى أرمينية ، وآسيا الصغرى ، ولم يعد لها سوى بعض المناطق المعزولة الواقعة على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى ، ولم يعد لها القدره على استعادة ما فقدته<sup>(٢)</sup> وعلى نحو خاص بعد أن وجه السلطان ألب أرسلان ابن عمه سليمان بن قتلмыш نحو الاستيلاء على سهول وسط آسيا الصغرى وبلاد الشام والجزيرة الفراتية دون أن يواجهوا أية قوة عسكرية توقف توسعهم . من ناحية أخرى ؛ انتشرت فى أعقاب تلك المعركة داخل الامبراطورية البيزنطية الحروب الأهلية وتدهورت أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية على نحو يجعلنا نقرر أن مائزكرت جاءت لتكشف الوضع المتردى الذى وصلت إليه تلك الامبراطورية ، ولانغفل أن رعاياها من الأرمن عملوا على إنشاء إمارات مستقلة لهم فى المنطقة كما قرر البعض<sup>(٣)</sup> .

ثالثاً : افتقدت الامبراطورية البيزنطية من جراء تلك الهزيمة الفادحة المناطق التى كانت تمدها بعناصر المرتزقة ، وهى عناصر أساسية للجيش البيزنطى<sup>(٤)</sup> ، ولم تعد تستطيع تعويض

١- حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ط. القاهرة ١٩٩٥م ، ص ١٩٠ .

٢- محمود محمد الرويضى ومحمد نايف العميرة ، «معركة ملازكرد ، جانب من العلاقات السلجوقية البيزنطية» ، الكرك الأردن ، ٢٠٠٤م ، ص ١٨ .

٣- محمود الرويضى ومحمد نايف العميرة ؛ معركة مائزكرت ، ص ١٩ .

٤- حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٩١ .

وعن الجيش البيزنطى أنظر : طارق منصور ، الجيش فى الامبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع الميلادى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الرقازيق فرع بنها عام ١٩٩٣م وزبيدة عطا ، المقاتل البيزنطى ، ط. المنيا ، ١٩٨٢م .



ذلك النقص في الإمداد البشري وإن اتجهت من بعد عام ١٠٧١م إلى محاولة الاستفادة من قدرات عناصر الاسكندنافيين ، والأنجلوسكسون ، غير أن ذلك بالنسبة لها حلاً جزئياً لم يكن ليعيد لها وضعها فيما قبل معركة كارثة مانزكرت التي حلت بها .

رابعاً : لا ننكر أن تلك المعركة وتداعياتها المستقبلية قد أدت إلى حرمان الإمبراطورية البيزنطية من الأنهار العديدة التي توافرت بكثرة وغزارة في آسيا الصغرى ، ولانتشكك في أن آسيا الصغرى مثلت أهمية خاصة فيما يتصل بالأمن المائي البيزنطي ، وإذا كانت الإمبراطورية قد فقدت في القرن السابع النبل ، والعاصي ، وقسم من نهر الفرات بالإضافة إلى الأنهار اللبنازية<sup>(١)</sup> فإنها الآن وفي النصف الثاني من القرن الحادي عشر فقدت السيادة السياسية على أنهار أخرى في آسيا الصغرى على نحو كان له تأثيره السلبي المؤكد عليها .

ولانغفل كذلك؛ أن الطرق التجارية المارة بتلك المنطقة ، قد خضعت لسيطرة قوة عسكرية وسياسية جديدة ستجبي الأموال الطائلة من وراء ذلك الوضع الجديد على حساب خزانة الامبراطورية البيزنطية بطبيعة الحال .

خامساً : جدير بالذكر؛ قامت دويلات تركمانية مستقلة فيما بعد عامي ١٠٧١م ، ١٠٨٧م ، تحت قيادة زعماء من الأتراك في أنحاء مختلفة من آسيا الصغرى ، ويلاحظ أن الحضارة الإسلامية بدأت تحدث تأثيرها في تلك المناطق التي كانت من قبل متأثرة بالحضارة البيزنطية<sup>(٢)</sup> ، ولانغفل أن عمليات تتريك الأناضول هذه استغرقت زمناً طويلاً ويقال أنها اكتملت من الوسط إلى السواحل خلال القرنين ١٣ ، ١٤ م<sup>(٣)</sup> ، وفي تقديري أن ذلك كان أخطر ما نتج عن تلك المعركة الحاسمة .

١- مثل : الليطاني ، الزيداني ، الحصباني ، الأولى ، أسطوان ، الجوز ، البارد ، ابراهيم ، الكلب ، بيروت ، أبو علي ، عرقة ، الدامور ، الزهراني ، أنظر: سامر مخيمر وخالد حجازي ، أزمة المياه في المنطقة العربية الحقائق والبدائل الممكنة ، سلسلة عالم المعرفة ، ط . الكويت ١٩٩٦م ، ص ٣٦- ٣٧ ونجد خريطة تلك الأنهار في ص ٣٦ .

٢- عبد النعيم حسنين ، سلاجقة إيران والعراق ، ط . القاهرة ١٩٧٠م ، ص ٥٨ ، دولة السلاجقة ، ط . القاهرة ١٩٧٥م ، ص ٥٢ .

٣- عن موضوع تتريك آسيا الصغرى بعد مانزكرت أنظر:

Brice, " The Turkish Colonization of Anatolia", B.J.R.L., vol XXXVIII, 1955- 1956 , pp. 18-44 .

Vryonis, The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the eleventh Through the fifteenth Century , Berkeley, los Angeles 1971 .

سادساً : أحدثت تلك المعركة تغييراً سياسياً مهماً، فى الإمبراطورية الجريجة فى شرفها العسكرى ؛ حيث تم إقصاء الإمبراطور المهزوم، ووصل إلى السلطة إمبراطور آخر عقدت عليه بيزنطة الآمال العريضة؛ وهو ميخائيل السابع Michael VII Docas ، وهو أمر يؤكد لنا ، أن الانتصار فى ساحة المعارك ؛ كان يؤدي - أحياناً - إلى تمكين القائد المنتصر من اعتلاء العرش، والعكس صحيح تماماً ، وهو ما نجده على نحو وضّاح فى أعقاب مانزكرت حيث كانت بمثابة إعلان نهاية رومانوس الرابع سياسياً.

سابعاً : لانغفل ؛ أن ذلك الانتصار السلجوقي البارز، أكد عبز بيزنطة عن القيام بدورها الذى قامت به على مدى أربعة قرون (من القرن السابع حتى القرن الحادى عشر م)، وهو الخاص بحماية المسيحية الشرقية من هجمات المسلمين ، وكذلك فى حراسة الباب الشرقى لقارة أوربا من غزو الآسيويين<sup>(١)</sup>، وهناك تصور قائم يفيد بأنه عقب تلك المعركة ، بدأت بيزنطة فى الاستغاثة بالغرب الأوروبى على نحو أدى فيما بعد إلى حدوث الحروب الصليبية Crusades, Croisades, Kreuzzuge .

أما بالنسبة للقوة الثانية المؤثرة فى التاريخ البيزنطى حينذاك فهى فى صورة النورمان؛ الذين لعبوا دوراً بارزاً فى تاريخ أوربا العصور الوسطى على مدى القرن الحادى عشر الميلادى على نحو خاص ، فيلاحظ أن زعماءهم من أسرة هوتفيل Hauteville تمكنوا فى نفس العام أى ١٠٧١ م من الاستيلاء على بارى Bari بجنوب إيطاليا<sup>(٢)</sup>، وكانت حينذاك آخر الأملاك البيزنطية هناك، وقد حدث ذلك التطور الاستراتيجى بقيادة الزعيم النورمانى روبرت

---

وهى أهم دراسة فى موضوعها. وأيضاً: عثمان توران، الأناضول فى عهد السلاجقة والإمارات التركمانية، ت. على عوده الغامدى، ط. الرياض ١٤١٨هـ، ص ٤، حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٨٧م، ص ١٩٣ .

١- سعيد عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص ٤٤ .

٢- عن التوسع النورمانى فى أملاك الدولة البيزنطية حينذاك أنظر: Holmes (ed.), The Oxford History of Italy, Oxford 1997 , p. 48 .

وعن سقوط بارى أنظر:

Brook, A History of Europe 911 to 1198, London 1938 , p. 223 .

نبيلة مقامى، العلاقات بين الدولة البيزنطية والنورمان فى جنوب ايطاليا وصقلية من ١٠١٥ - ١١٩٧م، رسالة دكتوراه - غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٩م، ص ٥٦ . =

جويسكارد Robert Guiscard<sup>(١)</sup> ويدعم من البابوية التي كانت تناصب الإمبراطورية البيزنطية العداء المستمر خاصة بعد الانشقاق الأعظم عام ١٠٥٤م السالف الذكر.

وهكذا؛ يتأكد لنا أن الإمبراطورية التي كانت من قبل في عهد أباطرتها المؤسسين الكبار تسيطر على مناطق عديدة؛ تعرضت مكائنها السياسية إلى هزة عنيفة بعد هزيمتها في مانزكرت، وسقوط باري في عام واحد، دون أن تتمكن من مواجهة زحف الأتراك السلاجقة من الشرق، والنورمان في الغرب.

على أية حال؛ من الملاحظ أن الحدث المحوري في تاريخ بيزنطة والغرب الأوروبي في أخريات القرن الحادي عشر الميلادي تمثل في اندلاع الحرب العالمية في العصور الوسطى ونعني بها الحروب الصليبية؛ تلك الظاهرة التاريخية ذات التأثير الكاسح في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في تلك العصور.

والواقع توجد هناك عدة تعريفات لها؛ منها أنها تلك الحملات العسكرية التي شنها الغرب الأوروبي في أخريات القرن ١١ م متستراً بالدين، والرغبة في السيطرة على الأماكن

= سميرة يونس، النورمان والدولة البيزنطية في القرن الحادي عشر الميلادي، ط. القاهرة ١٩٩٥م. ص ٧٩ ، سيد الناصري، الروم والشرق العربي، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ٣٧٣، جمعه الجندي، حكم النورمان في صقلية ٤٨٤-٥٨٦ هـ / ١٠٩١-١١٩٤م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٠م، ص ٤٤.

١- روبرت جويسكارد Robert Guiscard (١٠١٥-١٠٨٥م) زعيم نورماني، وكلمة جويسكارد تعني «الداهية»، خلف أخاه كدوق لأبوليا Apulia عام ١٠٥٧م، وفي عام ١٠٧١ أخضع باري Bari آخر المراكز البيزنطية في الغرب، وحاول أن يكون سيداً على الإمبراطورية البيزنطية بأن دافع عن قسطنطين دوكاس ابن ميخائيل السابع خاصة بعد زواج قسطنطين هذا من ابنة روبرت جويسكارد، وقد تمكن من هزيمة الإمبراطور الكسيوس كومنين، واحتل كورفو ودورازو عام ١٠٨٢م، وزحف على القسطنطينية إلا أنه اضطر للعودة إلى إيطاليا لمعاونة البابا جريجوري السابع ضد عدوه الإمبراطور هنري الرابع بعد أن ترك قيادة قواته وابنه بوهيمند وقد توفي روبرت جويسكارد عام ١٠٨٥م، عنه أنظر:

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. by Sewter Penguin Book, London 1982, p. 53.

O.D.B., vol 3, p. 1799.

Chiball, The Normans, Oxford 2000, p. 77-78, p. 118-119.

Vau Houts, The Normans in Europe, Manchester 2000, p. 243.

المقدسة المسيحية في فلسطين بينما أخفى من وراء ذلك عدة دوافع سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية لا يمكن إنكار تأثيرها البارز حينذاك ، كذلك هناك من اعتقد أنها السياسة الخارجية للبابوية The foreign Policy of the Papacy<sup>(١)</sup> ، أو أنها حركة الاستعمار الأوربي في العصور الوسطى ، The European Colonialism in the Middle Ages<sup>(٢)</sup> ، مع ملاحظة أن الرأي الأخير يفهم - من جانبي - على اعتبار أن «الاستعمار» يعنى «الاستعمار» ، والنهب المنظم لثروات المسلمين وتحويلها إلى الغرب الأوربي .

كذلك هناك من اعتقد أنها جزء من المسألة الشرقية<sup>(٣)</sup> The Eastern question وفيما يتصل بدوافع تلك الحركة التاريخية ؛ هناك الدافع الدينى ورغبة الغرب الأوربي في إخضاع المناطق التى ارتبطت بذكرىات المسيحية المبكرة فى فلسطين<sup>(٤)</sup> - كما اسلفت الإشارة - ويلاحظ أن الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله قد أمر بهدم كنيسة القيامة بيت المقدس عام ١٠٠٩م<sup>(٥)</sup> ، وقد أحدث ذلك أثراً عثيفاً فى الغرب الأوربي مع ملاحظة أنه تم إعادة بنائها؛ إذ قام الإمبراطور البيزنطى رومانوس الثالث Romanus III ( ١٠٢٨-١٠٣٢م ، بالإتفاق مع الدولة الفاطمية من بعد عهد الحاكم ؛ من أجل إعادة بنائها ، وبالفعل قام الإمبراطور قسطنطين IX Constantine IX ( ١٠٤٢ - ١٠٥٥م ) بإرسال عماله للمشاركة فى عمليات

١- Barker , The Crusades, London 1949 , p. 3 .

٢- عن ذلك انظر : Praver, The Latin kingdom of Jerusalem , European Colonialism in the Middle Ages , London 1979 .

٣- Marriot , The Eastern question, Oxford 1958 , p. 1 .

٤- Riant , " Inventaire Critique des Lettres Historiques des Croisades" A.O.L., T.I, Année 1880 , p. 2 .

٥- من ذلك انظر :

Canard , " La destruction de l'Eglise de la resurrection par le Calife Hakim et l'Histoire de la descentre du Fen Sacre" , B. XXXV . Année 1965, pp. 16-43 .

أيضاً إشارة فازيليف للتحديد الزمنى المذكور:

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 311 .

البناء، ويلاحظ أن حركة الحج المسيحي استمرت عبر الثغور الواقعة على الحدود بين مناطق المسلمين والبيزنطيين<sup>(١)</sup>؛ مما عكس أن الحادثة السالفة الذكر تعد استثناءً وسط الطابع التسامح العام للمسلمين تجاه تلك الأماكن المقدسة للمسيحيين ومن المهم هنا الإقرار؛ بأن سياسة الحاكم بأمر الله - وهو الذي عرف بتناقض سياساته - تعد استثناءً تاريخياً في سياسة المسلمين المتسامحة بصفة عامة تجاه أهل الخدمة ولا يمكن اتخاذ سياسة ذلك الخليفة الفاطمي في أساسات للعلاقة بين الإسلام ورعاياه من غير معتنقيه<sup>(٢)</sup>.

وقد أقر مؤرخون أوروبيون محدثون ومن أمثلتهم، هانز أ. ماير Hans E. Mary بعدم حدوث ما يوصف باضطهاد ديني ضد المسيحيين الشرقيين أو الحجاج الأوربيين فيما قبل

١ - Runciman, "The Pilgrimage to Palestine before 1095", in Setton (ed.) A History of the Crusades, vol. Pennsylvania 1969, p. 74.

محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، ص ٢٣.

وانظر أيضاً هذه الدراسة المهمة التي تحوى عدداً من الرحلات التي قام بها الحجاج الأوربيون إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين وتمت ترجمتها إلى الإنجليزية :

Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before the Crusades, London, 1977.

٢ - عن الحاكم بأمر الله وسياسته تجاه أهل الذمة أنظر : ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٢٤٠، ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقره وعبد الحليم عويس، ط. القاهرة ١٤٠١ هـ، ص ٩٩-١٠٠، المقرئ، إتحاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي، ط. القاهرة ١٩٩١ م، ج ٢، ص ٩٤.

Vatikiotis, "Al-Hakim Bi-Amrillah : The God - king Idea realised", I.C., vol. XXIX, No. 1, January 1955, pp. 6-10.

عبد المنعم ماجد، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، ط. القاهرة ١٩٥٩ م، ص ٩٩-١٠٠، ظهور خلافة الفاطميين وسيقوطها في مصر، ط. القاهرة ١٩٨٥ م، ص ٣٥٧-٣٦٠، محمد علي القطب، الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ، ط. صيدا ٢٠٠٢ م، ص ٥٨-٦٣، إبراهيم أيوب، التاريخ الفاطمي السياسي، ط. بيروت ١٩٩٧ م، ص ١٠٩-١١٠، ترتون، أهل الذمة في الإسلام، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٦٧ م، ص ٥٦-٥٧، علي حسنى الحروبلى، الإسلام وأهل الذمة، ط. القاهرة ١٩٦٩ م، ص ١٧٥، دافيد صمويل مرجليوث، القاهرة وبيت المقدس، ودمشق، ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، ط. دمشق ٢٠٠٠ م، ص ٤٥.

إندلاع آتون الحروب الصليبية<sup>(١)</sup>؛ مما دلّ على أن كافة ما قيل عن ذلك ما هو إلا جزءاً لا يتجزأ من الدعاية Propaganda للمشروع الصليبي التي لم تكن قائمة على سند من الواقع التاريخي . مع عدم اغفال أن الصراع الفاطمي- السلجوقي - فيما بعد جعل طريق الحج المسيحي ليس في السياق السابق<sup>(٢)</sup>. أما الدافع السياسي؛ فيلاحظ أن ملوك وأمراء أوروبا حينذاك أرادوا دعم نفوذهم السياسي في أملاكهم من خلال الاشتراك في تلك الحروب<sup>(٣)</sup> ضد الشرق الإسلامي وبالتالي؛ فالحروب الصليبية تعبر عن التنافس السياسي بين الدول الأوربية مثل فرنسا، وإنجلترا، وألمانيا والمدن الإيطالية مثل جنوة وبيزا والبندقية كذلك لانغفل أن البابوية- على الرغم من أنها في الأصل مؤسسة دينية- إلا أنها مارست السياسة من رأسها إلى أخمص قدميها من خلال مشروع الصليبيات رغبة في تحقيق مصالحها الخاصة بإحكام قبضتها على ملوك الغرب الأوربي وكذلك إخضاع الكنيسة الشرقية لسيطرة الكنيسة الكاثوليكية الأم في روما<sup>(٤)</sup>.

١- Mayer, The Crusades, Trans. by John Gillingham, Oxford 1987, p.6.

وعن الباعث الديني بصفة عامة أنظر: عبدالله الريعى، «الدوافع الدينية للحركة الصليبية» ضمن ندوة الإطار التاريخي للحركة الصليبية، اتحاد المؤرخين العرب، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٧٩ - ص ١٢٢.

محمد صابر منصور، أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، ط. بنى غازى، ١٩٩٦م.

٢- عن ذلك أنظر: سليمان الخرايشة، الصراع الفاطمي- السلجوقي في بلاد الشام ٤٤٧- ٥٦٦ هـ / ١٠٥٥ - ١١٧٠م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩٠م، ص ٢٠٩- ٣١٧.

٣- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٠.

٤- نفسه، ج ١، ص ٣٤- ٣٧.

وعن دور المدن التجارية الإيطالية في الحروب الصليبية أنظر:

Byrne, " Genoese Trade with Syria in The Twelfth Century ", A.H.R., vol. XXV, 1919-1920, pp. 191-219 .

شارل ديل، البندقية جمهورية أرستقراطية، ت. أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر، ط. القاهرة ١٩٤٨م، عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٨٠م، مصطفى الكنانى، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامى ١١٧١- ١٢٩١م / ٥٦٧- ٦٩٠ هـ =



وفيما يتصل بالدافع الاقتصادي؛ نلاحظ أهميته الخاصة؛ حيث أرادت أوروبا القضاء على دور المسلمين كوسطاء تجاريين بين الشرق والغرب، وهكذا رغبت المدن التجارية الإيطالية التي شاركت في ذلك المشروع العدواني على الشرق - رغبت في المال وكان البنادقة - على سبيل المثال - يقولون «نحن تجار أولاً ثم مسيحيون من بعد ذلك»؛ مما عكس طبيعتهم الهرجماية المتأصلة، من زاوية أخرى؛ أرادت البندقية القضاء على منافسة بيزنطة التجارية، وهو أمر تحقق لها في أوائل القرن ١٣م كما ستوضحه الصفحات التالية.

أما من الناحية الاجتماعية؛ نجد أن الحروب الصليبية هي إفراز صادق للنظام الإقطاعي حيث احتوى على الفرسان أو الذين يحاربون، ورجال الكنيسة أي الذين يتعبدون، ثم الأتقان وهم الذين يزرعون، وعانى الأخيرون من سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ولذلك؛ إندفعوا للاشتراك في الصليبيات لتحسين أوضاعهم المعيشية المتردية. ولا ريب في أنهم دفعوا الثمن فادحاً من خلال اشتراكهم في آتونها<sup>(١)</sup>.

على أية حال؛ قامت الحروب الصليبية من الغرب الأوربي، ومن كنيسة روما حيث أن تلك الحروب توصف بأنها فعلة كنسية Action d'Eglise وقد أرادت تلك الكنيسة الأم إخضاع كنيسة القسطنطينية المارقة بأية وسيلة لسيطرتها.

---

= ط. الاسكندرية ١٩٨١م، عفاف صبرة، العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة ١١٠٠ إلى ١٤٠٠، ط. القاهرة ١٩٨٣م، أحمد عبدالله، التجارة في الساحل الشامي في القرنين ١٢، ١٣م، رسالة ماجستير غير منشورة، دراسة أكاديمية قيمة بالعربية عن الجانب التجاري عصر الحروب الصليبية وقد أشرفت عليها بالاشتراك مع أ.د. أحمد رمضان، سهير نعينع، «العلاقات التجارية بين المدن الإيطالية، ومصر والشام في القرنين ١١، ١٢ الميلاديين في ضوء الوثائق التاريخية، ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٣٢٨ - ٣٧١.

٢- عن النظام الإقطاعي في الغرب الأوربي في العصور الوسطى أنظر:

Coulhon (ed.) Feudalism in History, Princeton 1956 .

كويلاند وفينوجرادوف، الإقطاع في العصور الوسطى بغرب أوروبا، ت. محمد مصطفى زيادة، ط. القاهرة ١٩٤٥م، إسحق عبيد، الفرسان والأتقان في مجتمع الإقطاع، ط. مبنى غازي ١٩٧٥م.

وعن الباعث الاجتماعي للحروب الصليبية أنظر: =

جدير بالذكر ؛ فكر البابا جريجورى السابع Gregory VII<sup>(١)</sup> (١٠٧٣-١٠٨٥م) فى الدعوة إلى الحروب الصليبية ، ويلاحظ أن دوره كان بارزاً فى التمهيد لقيامها وهناك من يقرر أنه قام بجهد واضح فى إحداث تغييرات جوهرية تجاه الموقف المسيحى من حمل السلاح وبالتالى يوصف بأنه مهد السبيل لقيام المشروع الصليبي ولا تغفل أنه عمل على جذب العناصر المحاربة، وحاول إكتسابها إلى صف خدمة الكنيسة<sup>(٢)</sup> .

ومع ذلك ؛ فمن المقرر أن صراع ذلك البابا مع الإمبراطور الألماني هنرى الرابع Henry IV (١٠٥٦-١١٠٥م) أعاقه عن تنفيذ مشروعه فى شن الحروب الصليبية<sup>(٣)</sup> تاركاً ذلك الأمر لمن أتى من بعده من البابوات .

= قاسم عبده قاسم «الدوافع الاجتماعية فى الحركة الصليبية»، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص ١٨٩ - ص ٢٣٣ .

١- جريجورى السابع؛ بابا ، وقديس تولى المنصب البابوى خلال المرحلة الممتدة من ٢٢ أبريل ١٠٧٣م إلى ١٥ مايو ١٠٨٥م خلفاً للبابا هونوريوس الثانى الذى تولى المنصب البابوى من ٢٨ أكتوبر ١٠٦١ إلى ٣١ مايو ١٠٧٣م ، وقد آمن جريجورى السابع بسيادة البابوية المطلقة على الامبراطورية، وتنسب له الأوامر البابوية Dictatus Papae التى تعكس ذلك ، عنه أنظر:

Kelly , Oxford dictionary of Popes, pp. 154-156 . Ulmann , History of Political Thought , The Middle Ages, London 1978, pp. 106-107 , pp. 112-113 .

Keen , The Pelican History of Medieval Europe, London 1976, pp. 77-80 .

ومن المهم هنا النظر إلى ذلك البابا على أنه افراز لأوضاع الغرب الأوروبى حينذاك وعن تلك الأوضاع انظر: عادل زيتون، تاريخ العصور الوسطى الأوربية، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص ١٦٠ .

٢- عن دور البابا جريجورى السابع فى خدمة فكرة الحرب الصليبية ، أنظر:

Cowdrey, " Pope Gregory VII and The Bearing of Arms, " in Kedar , Riley - Smith and Hierstand (eds.) , Montjoie Studies in Crusade History in Honour of Hans Eberhard Mayer, Aldershot 1997 , pp. 21-35 .

ويعد كودرى من أهم من تخصص فى دراسة ذلك البابا ، وفتاز كتاباته بالعمق والتحليل لمواقف البابوية حينذاك .

٣- عن الصراع بين جريجورى السابع وهنرى الرابع أنظر: =

على أية حال؛ وصل إلى المنصب البابوي البابا أوربان الثاني Urbanus II<sup>(١)</sup> (١٠٨٩-١٠٩٩م) الذي تخرج مثل سابقيه من دير كلوني Cluny بفرنسا ، واتجه إلى دعم النفوذ البابوي ، وقد عقد مجمعا كنسياً في بياكنزا Piacenza بإيطاليا من أجل الدعوة إلى المشروع الصليبي، غير أنه لم يوفق وفكر في عقد مجمع آخر في وطنه فرنسا وبالتحديد في كليرمونت Clermont وفي ذلك المجمع أشعل البابا نيران الحرب العالمية في العصور الوسطى من خلال الدعوة إلى المشروع الصليبي ، وبصفة عامة ؛ لا يمكن أن تقبل ما ذهب إليه المؤرخ الأمريكي مايكل هارت عندما تصور أن ذلك البابا من العظماء المائة الذين صنعوا التاريخ فالعظماء التاريخيين يصنعون التاريخ من خلال روح التسامح لا التعصب وسفك الدماء<sup>(٢)</sup>.

تجدر الإشارة ؛ ألقى البابا أوربان الثاني في يوم ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م، خطاباً في المجمع المذكور<sup>(٣)</sup> لم يستغرق إلقاؤه إلا وقتاً قصيراً دعا فيها إلى الذهاب إلى الشرق لتخليص

La due , The Chair of Saint peter, A History of the Papacy , p. 100-101 . =

سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى ، ص ٣٥٢-٣٥٧ ، نعيم فرح ، تاريخ أوربا السياسي في العصور الوسطى ، ص ٢٠١ ، هارتمان وباراكلاف ، الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى ، ص ٥٠ .

١- البابا أوربان الثاني؛ ولد في شاتيون سيرمارين Chatillon - Sur- Marine ، وقد تولى المنصب البابوي من ١٢ مارس ١٠٨٨ إلى ٢٩ يوليو ١٠٩٩م، وذلك خلفاً للبابا فيكتور الثالث Victor III الذي تولى المنصب المذكور من ١٠٨٦ إلى ١٠٨٧م عنه أنظر:

Kelly, Oxford dictionary of Popes, pp. 158-160 . Cowdrey, " Pope Urban II and the Idea of Crusade ,, S.M., 36 , 1995, pp. 721 -742 .

محمود الرويضي ، «قرارات البابوية وتأثيرها على بلاد الشام ومصر زمن الحروب الصليبية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية- جامعة المنيا العدد (٤١) ، يوليو ٢٠٠١ .

٢- مايكل هارت، الأوائل المائة، ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سباتو، ط. دمشق ٢٠٠٠.

ص ٥٦٨ .

٣- عن خطاب البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت أنظر:

Fulcher of Chartres, A History of The Expedition to Jerusalem, Trans. by Rita Rian. Tennessee 1967 , pp. 62-65 .

الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين من قبضة السلاجقة ، وإدعى أنهم قتلوا المسيحيين الشرقيين، وذكر أن دماءهم المراقبة تنادى وتستصرخ الفرنجة ؛ من أجل نجاتهم، وكل ذلك جاء محض افتراء تام- وقدم البابا إغراءات اقتصادية . من أجل ضمان نجاحه واكتساب ذكر قاعدة مؤيده له ، كذلك تعرض لمدينة القدس باعتبارها هدف رحلة الحج المسيحي، وتحدث عنها باعتبارها الجنة الأرضية التي شهدت ذكريات المسيحية في عهدها الباكر.

وقال صراحة للحاضرين : « اذهبوا إلى أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً » كذلك قدم الغفران الكنسى للمشاركين فى المشروع المرتقب ، وفور انتهاء البابا من خطابه ؛ صالح الحاضرون صيحة واحدة هي "Deus Vult" ؛ أى « الله يريد ذلك » ، وكانت صيحة المسيحية فى حربها ضد الإسلام ، ومن المرجح أن ذلك المجمع كان أشبه شئ بمسرحية مدبرة من جانب البابا والحضور على نحو أدى إلى مثل تلك الاستجابة الفورية الجماعية ونجاح المجمع المذكور بعد فشل مجمع بياكنزا السالف الذكر على أية حال؛ قامت الحملة الشعبية أو ما عرف بحملة

---

Robert The Monk , in Peters (ed.), The First Crusade , The Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials, Philadelphia (1971) , pp. 1-4 .

Guilbert of Nogent , in peters, pp. 6-10 .

جوزيف نسيم يوسف ، الدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية م (١٦) عام ١٩٦٩م ، ص ١٩٨ - ص ٢٠٥ .

Munro , "The Speech of Pope Urbanus II at Clermont " , A.H.R., vol . III, 1905, pp. 2310 242 .

وهى لاتزال أهم مقالة حتى الآن عن الموضوع المذكور .

Asbridge, The First Crusade , A New History , Roots of Conflict between Christianity and Islam, Oxford 2004, pp. 32-36 .

والواقع أن المؤلف لا يقدم « تاريخاً » جديداً كما يدل على ذلك العنوان الذى يغلب عليه الطابع الدعائى بما يتعارض مع قواعد الكتابة التاريخية الملزمة .

الفلاحين التي غلب عليها الإندلاع العاطفى ، وعدم الدراية بالقوة السلجوقية ، وظهر فيها دور بارز لرجل يدعى بطرس الناسك<sup>(١)</sup> . ويلاحظ أن أولئك الفلاحين إندفعوا من الغرب الأوروبى إلى بيزنطة ووصلوا إلى القسطنطينية وذلك فى عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين Alexis Comnenus (١٠٨٠-١١١٨م)<sup>(٢)</sup> ، ومن المهم إدراك أن بيزنطة عندما طلبت مساعدة الغرب الأوروبى كانت تريد عناصر عسكرية محترفة من المرتزقة ، ولم يكن يدر فى خد قاداتها البتة أن يصل إليها الآلاف من الفلاحين الذين لا يفقهوا شيئاً فى فن القتال ضد السلاجقة الذين كانوا فرساناً أشداء باعتراف المصادر الصليبية ذاتها ، وقد أوردت المؤرخة البيزنطية أنا كومنينا Anna Comnena<sup>(٣)</sup> وصفا لعناصر الحملة الشعبية فكشفت لنا عن انضمام اللصوص ، وقطاع الطرق والمجرمين فى صفوفها ، وهؤلاء هم الذين وصفتهم الحوليات الصليبية بأنهم جند المسيح ١١ .

وقد طالبوا الإمبراطور الكسيوس كومنين بالسماح لهم بعبور البسفور ؛ ليصلوا إلى آسيا الصغرى ويحاربوا السلاجقة ، وعندما رفض محذراً لهم من خطورة عدوهم ، وبراعته العسكرية ؛ قاموا بسلب ، ونهب الأملاك الامبراطورية ؛ ولذلك اضطر إلى السماح لهم بالعبور ، وعندما عبروا إلى هناك تلقفتهم سيوف السلاجقة ، وأجهزت على عدد كبير منهم ، ويلاحظ أن الغرب الأوروبى اعتقد أن السبب الرئيسى لفشل الحملة الشعبية<sup>(١)</sup> يتمثل فى

١- عنه أنظر دراسة هجنماير القديمة والجديدة فى آن واحد :

Hagenmeyer, Peter der Ermit, Leipzig 1879 .

٢- عنه أنظر: عبد الغنى محمود عبد العاطى ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الكسيوس كومنين ، ط . القاهرة ١٩٨٣م .

٣- : Anna Comnena, The Alexiud Trans. by Sewter Penguin Book, London , 1979 .

وأنظر الترجمة العربية الرائعة التى قام بها حسن حبشى ، أنا كومنينا ، الكسياد ، ت . حسن حبشى ، المشروع القومى للترجمة ، ط . القاهرة ٢٠٠٥م .

عن الحملة الشعبية ، وفشلها أنظر :

Albert d' Aix, Historia Hierosolymitana in R.H. C., T.V, Paris 1879, p. 284-289 .

Hagenmeyer, Peter der Ermit, Leipzig 1879. Runciman, A History of The Crusades, vol .

1, p. 121-133 .

بيزنطة دون إدراك أن عناصر تلك الحملة لم تكن تصلح للقتال « لكن ميراث الكراهية والشك كان دائماً يظهر على السطح لكي يفسر كافة السياسات البيزنطية من خلال تصورات خاصة بالغرب الأوربي وضد مصلحة بيزنطة بطبيعة الحال، ولاريب في أن مرحلة الحروب الصليبية شكلت المرحلة التي تصادمت فيها القوتان الصليبية والبيزنطية .

نتج عن إخفاق الحملة الشعبية ؛ أن قام الغرب الأوربي بتكوين حملة من الأمراء البارزين لكي يقاتلوا السلاجقة، وبالفعل شارك فيها كل من بوهيمند Bohemond<sup>(٢)</sup> ابن روبرت جوريسكارد Rober Guiscard<sup>(٣)</sup> الزعيم النورمانى ، وتانكرد Tancred وريموند كونت تولوز Raymond of Toulouse<sup>(٤)</sup> وجودفرى دى بويون Godfrey de Bouillon<sup>(٥)</sup> ، وشقيقه بلدوين، كذلك كان هناك المندوب البابوى أدهيمار Adhimar ، وعندما وصلت حملة الأمراء إلى بيزنطة؛ تجددت الشكوك بين الطرفين ، وأراد الإمبراطور الكسيوس كومنين أن يقسم له أفرادها يمين الولاء، والطاعة فقبل البعض ، ورفض البعض الآخر، واتجه إلى أن

---

جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م، ص١٤١- ص١٧٠ .

يقوم حالياً تلميذى محمود كامل محمد المعيد بكلية الآداب- جامعة أسيوط بإعداد أطروحته للماجستير عن الحملة الشعبية ، تحت ، اشرافى بالاشتراك مع د. عز العرب محمد .

٢- عنه أنظر: Fulcher of Chartres, 28-29 .

Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch , Amsterdam 1970 , pp. -9-51 .

٣- عنه أنظر : " Nicholsson, Tancred : A study of his Career and Work in Their relation to the Latin States in Syria and Palestine . Chicago 1940 , pp. 20-102 .

٤- عنه أنظر : William of Tyre, vol . I , p. 139 , Hill . Raymond IV Count of Toulouse , Syracuse 1902 .

٥- عنه أنظر: William of Tyre, vol . I , p.

سرور عبد المنعم، «جودفرى بويون حاكماً للكيان الصليبي في الشام» مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط، عدد (١٤) مارس عام ٢٠٠٤م، ص٢٢٩- ص٢٧٩ .



يحفظ حقوق الإمبراطورية من خلال عقد إتفاقية القسطنطينية مع الصليبيين عام ١٠٩٧م<sup>(١)</sup>. وكان أهم ما ورد في تلك المعاهدة تعهد الصليبيين بأن يردوا للإمبراطورية المناطق التي كانت تابعة لها ثم استولى عليها السلاجقة وفي المقابل، تقوم بيزنطة بتقديم المؤن؛ والإمدادات، والمرشدين، والأدلاء؛ لمساعدة الصليبيين على تحقيق هدفهم المعلن بالوصول إلى الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين.

جدير بالإشارة؛ تمكن فرسان الحملة المنظمة من استعادة نيقية Nicaea التي عادت إلى

#### ١- عن إتفاقية القسطنطينية :

William of Tyre, vol . I , p. 130 . Matthieu d'Edesse, Chronique de Mathieu d'Edesse (962-1136) avec la Continuation de Gregoire le Pretre Jusque a 1162, ed. M.E. Dulquier, Paris 1858, p. 214 .

Lilie , Byzantium and the Crusader States ( 1096-1204), Trans. by J.C., Oxford 1993, p. 23 .

فتحية النبراوى، « حياة الامبراطور الكسيوس كومنين كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في القرن ١٢م »، المجلة التاريخية المصرية، م (٢٧) عام ١٩٨١م، ص ٤٧- ص ٤٨ .

عبد الغنى عبد العاطى، السياسة الشرقية، ص ٢٩٣ .

جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين، ص ٢٢٢- ص ٢٢٣ .

ومع ذلك؛ من المهم ألا نغفل أن تلك المعاهدة نسختها معاهدة عقدت بين بيزنطة وبوهيمند عام ١١٠٨م وفيها اعتبر الأخير نفسه فصلاً تابِعاً للكسيوس كومنين وكذلك ولى عهده من بعده، عن تلك المعاهدة أنظر:

Anna Comnena, p. 354 - 355 .

Finly, History of Greece, Oxford 1877, vol . III, pp. 122-123 .

Yewalde, Bohemond, pp. 127-130 .

#### ٢- عن سقرط نيقية أنظر:

بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ت. حسين عطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م، ص ١١١ .

الامبراطورية البيزنطية، ثم تمت هزيمة السلاجقة في معركة ضورليوم عام<sup>(١)</sup> ١٠٩٧م بعد أن ضعفت الدولة السلجوقية في أعقاب وفاة ملكشاه آخر السلاطين الكبار عام ١٠٩٢م.

على أية حال ؛ تمكن الصليبيون من تحقيق عدد من الانتصارات على المسلمين من خلال قوتهم الذاتية ، وكذلك الصراع السلجوقي- الفاطمي بالإضافة إلى الاستفادة من الخلافات الطائفية في بلاد الشام حيث استفادوا من دعم عناصر الموارنة في لبنان وغيرهم ؛ وتمكنوا من تكوين عدة كيانات سياسية في صورة إمارة الرها Edessa<sup>(٢)</sup>.

---

Raymond d'Aguilers, *Historia Francorum* , Trans. by John Hill and Laurita Hill, -١  
Philadelphia 1968, p. 27-28 .

مجهول ، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ت. حسن حبشي ، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص ٣٨ - ص ٤٢ .

٢- الرها؛ مدينة بإقليم الجزيرة وقعت فيما بين الموصل وشمالي وبلاد الشام ما بين مرعش ومنتج ، واعتبرت ذات مكانة خاصة لدى المسيحيين نظراً لوجود المندبل الذي يقال أن السيد المسيح إستعمله ولذلك حظيت باهتمام الرحالة الأوربيين الذين زاروها ، وأشاروا إليها في مؤلفاتهم كذلك عنى بإيراد أمرها الجغرافيون المسلمون، عنها أنظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٧٦- ٢٧٧، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بول رافيس ، ط. باريس ١٨٩٧م، ص ٥١ ، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٧٥م، ص ٢٧٣ .

Eucherius, *Description of Jerusalem*, Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., vol . III, London , 1892 , p. 19 .

Silvia of Aquitana, *Pilgrimage to the Holy Places* , pp. 34-35 .

Segal, *Edessa, The Blessed City*, Oxford 1970 .

يوسف بغدادى ، «الرها» المشرق، السنة (٨) . العدد (٤) ، بيروت ١٩٠٥م، ص ٣١ ، شاكراً أبوبدر، الحروب الصليبية ، والأسرة الزنكية، ط. بيروت، ب-ت ، ص ١٤٧ .

وعن إمارة الرها أنظر: عليه الجنزورى، إمارة الرها الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٨٦م، دراسة رائدة عن تاريخ تلك الإمارة لمؤرخة قديرة ، محمود الروبضى، إمارة الرها الصليبية ، ط. مؤته ٢٠٠٢م. دراسة مهمة، أيضاً: هنادى السيد محمود مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد بلدوين الأول ٤٩٤-٥١٢هـ / ١١٠٠-١١١٨م، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م، (تحت إشرافى وأ.د. أحمد رمضان) ، ص ٢٠ - ص ٢٢ .

وإمارة أنطاكية<sup>(١)</sup> ومملكة بيت المقدس وذلك بعد أن دخل الغزاه المدينة المقدسة في يوم الجمعة ١٥ يوليو ١٠٩٩م<sup>(٢)</sup>، حيث احدثوا بها مذبحة مروعة راح ضحيتها عشرات الآلاف

١- مدينة بشمالى بلاد الشام وهى حاضرة نهر العاصى- وتقع على بعد نحو ٣٠٠ ك تقريباً. إلى الغرب من حلب ، استولى عليها المسلمون عام ٦٣٥م على يدى أبو عبيده بن الجراح ، ومن بعد ذلك سيطر عليها البيزنطيون واستعادها السلاجقة ، عنها انظر ياقوت . معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢١٣-٢١٦ .

أحمد وصفى زكريا ، جولة أثرية فى بعض البلاد الشامية ط. دمشق ١٩٨٤م، ص ٩٦-١١٤ ، وعن تلك الإمارة الصليبية انظر: . Cahen, La Syrie du nord a' Lepoque des Croisades, Paris 1940

وهى أفضل دراسة عنها حتى الآن، أنظر أيضاً: حسين عطية ، إمارة أنطاكية الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٨١م، إمارة انطاكية والمسلمون، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م. كمال أمين محمد حسب الله، إمارة أنطاكية الصليبية ١٠٩٨-١٢٦٨م، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٩٠م، وهى دراسة مهمة تناولت تلك الإمارة الصليبية من التأسيس حتى السقوط.

٢- عن تلك المذبحة انظر:

Anonymous, The deeds of The Franks and other Pilgrims to Jerusalem, Trans. by R.Hill, London 1962 , p. 51 , Fulcher of Chartres, p. 122 .

Hagenmeyer, " Chronolgie de la Premuere Croisade", R.O.L., T.VII, Anée 1899, p. 477-479 .

ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٧ . ابن ميسر، منتخبات من تاريخ مصر . P.H.C., Hist. Or., t.III, p. 463 ، ابن كثير، الاجتهاد فى طلب الجهاد ، ط. القاهرة ١٣٤٧هـ، ص ١٩ ، السيوطى، تاريخ الخلفاء، ط. القاهرة ١٩٦٩م ، ص ٤٢٧ ، اليافعى، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط. حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ ، ج ٣ ، ص ١٥٤ ، ابن الجوزى، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ط. حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ، ج ٩ ، ص ١٠٨ ، رنسيما ، المسيحيون العرب فى فلسطين . ط. اسكس ١٩٦٨م، ص ١٤ ، ميخائيل اسكندر . القدس عبر التاريخ ، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص ٥٧-٥٨ ، سعيد عاشور ، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص ١٠ ، مصطفى الحيارى، القدس زمن الفاطميين والفرنجية، ط. عمان ١٩٩٤م، ص ٤٤ ، شوقى شعث ، القدس العربية الإسلامية الماضى، الحاضر المستقبل، ط. الشارقة ٢٠٠١م، ص ٣٩-٤٠ .

Goitein , " Contemporary Letters on the Capture of Jerusalem by The Crusaders", J.J.S., vol . IX , 1952 , pp. 162-177 .

من المسلمين، وفيما بعد أقاموا إمارة في طرابلس بشمالى لبنان<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ هنا ؛ أن الوجود الصليبي في بلاد الشام جعل الإمبراطورية البيزنطية أمام عدة اختيارات صعبة بل ومتناقضة في آن واحد، فهي تكره الصليبيين ولا تثق فيهم خاصة من خلال «التراث» العدائى المتراكم السالف الذكر، وفي ذات الحين ؛ تحتذى بذلك العدو الذى ليس من صداقته بد لمواجهة الخطر السلجوقي. ومن ناحية أخرى؛ لا نريد أن يقضى الصليبيون على القوى الإسلامية المحلية البارزة حتى لا تواجه بيزنطة بعد ذلك الخطر الصليبي منفردة، وهكذا؛ لعبت تلك الامبراطورية ذات الخبرة العريضة في التعامل مع الأعداد ، وما أكثرهم ، والأصدقاء وما أقلهم؛ لعبة توازن القوى Balance of Powers ، وهي لعبة خطيرة خاصة أنها تأكدت فيما بعد من أنها استعانت بلص غربى لمساعدتها في التعامل مع الأتراك السلاجقة! ولا تغفل هنا؛ الإشارة إلى أن تلك الإمبراطورية دفعت ثمنها فادحاً خاصة مع تزايد الأطماع اللاتينية فيها .

على أية حال ؛ كان القرن الثانى عشر تجربة مريرة في أمر العلاقات البيزنطية - الصليبية وشكل ميراثاً مريراً للعداء بين الطرفين .

بصفة عامة ت؛ توفي الكسيوس كومنين عام ١١١٨م، بعد أن قام بدور بارز في التاريخ البيزنطى ومن خلال استخدامه لأقصى وسائل الدبلوماسية والحيلة والحذر في التعامل مع الصليبيين، وتمكن من استغلال الضعف الذى حل بالسلاجقة عقب وفاة زعيمهم قلعج أرسلان وشن هجوماً عليهم عام ١١١٦م<sup>(٢)</sup>، وهكذا ، عندما توفي كانت الإمبراطورية تسيطر على

١- عنها أنظر: Richard , la comte de Tripolis sous la Dynastie Toulousaine , Paris, 1945 .

عبد العزيز عبدالدايم، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م ؛ نهى الجوهري بإعداد أطروحتها للماجستير عن إمارة طرابلس في القرن ١٣م ، رسالة ماجستير غير منشورة عام ٢٠٠٧م، فيليب حتى . لبنان في التاريخ، ت. انيس فريجه ، ونقولا زياده ، ط. بيروت ١٩٥٩م، ص ١٨٨ . أنيس فريجه ، أسماء المدن والقرى اللبنانية ، وتفسير معانيها ؛ الجامعة الأمريكية بيروت ط. ١٩٥٦م ، ص ٢٠٧ ، حكمت بك شريف ، تاريخ طرابلس ، الشام من أقدم أزمانها . تحقيق منى حداد يكن، ومارى عيسى خورى ، ط. طرابلس ١٩٨٧م، ص ١١- ص ٢٤ .

٢- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٩٢ ، وعن الكسيوس كومنين أنظر بالتفصيل:-

الأناضول ، وطرابيزون ، والساحل الجنوبي لآسيا الصغرى ، وكذلك ساحل البحر الأسود ، ودل ذلك ؛ على قدرته على محاولة إعادة بعض الأملاك البيزنطية التي فقدت من قبل ، وعلى الرغم من ذلك ؛ إلا أن المسار العام للتاريخ البيزنطى لم يعد إلى الصعود الذى وجدناه فى مراحل سابقة ، ويمكن اعتبار عهد آل كومنين بصفة عام بأنه «صحوة» مؤقتة من بعدها كان ينتظر بيزنطة حدث جلل ؛ كما سيتضح من عرضنا التالى <sup>(١)</sup>.

من بعد الكسيوس كومنين ؛ تولى العرش حنا كومنين <sup>(٢)</sup> John Comnenus خلال المرحلة من ١١١٨ إلى ١١٤٣م ، وقد حاول جاهداً إرجاع بعض المناطق التى فقدتها الإمبراطورية منذ

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. by E.R.A.Sewter, Penguin Book, London 1979 . =

عبد الغنى محمود عبد العاطى ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الكسيوس كومنين ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، وهى أفضل دراسة عربية فى موضوعها . فتحية النبرارى ، «حياة الإمبراطور الكسيوس كومنين كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى القرن الثانى عشر الميلادى» . المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٧) عام ١٩٨١م .

آمال حامد غانم زيان ، الامبراطور الكسيوس كومنين والحملة الصليبية الأولى فى ضوء كتاب الكسياد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ٢٠٠٥م .

ولا يخلو كتاب عن الحروب الصليبية أو التاريخ البيزنطى بصفة عامة ، إلا ويتناوله بصورة أو بأخرى .

١- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٩٢ .

٢- حنا كومنين ؛ هو الابن الأكبر للإمبراطور الكسيوس كومنين وقد حكم خلال المرحلة من ١١١٨ إلى ١١٤٣ وقد توفى خلال حادثة صيد فى أبريل من العام المذكور ، عنه أنظر :

حنا كومنين بالتفصيل أنظر :

Kinnamos , Deeds of John and Manuel Comnenus , Trans. by Charles M. Brand, Colombia 1976 , pp. 13-31 .

Nicol, A Biographical dictionary . p. 55 .

Hussey , The Byzantine World , pp. 60-62 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, vol . II, p. 375- 376 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, pp. 333-337 .

عبد الحفيظ محمد على ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عصر حنا كومنين ١١١٨-

١١٤٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٨١م ، ص ٧٣-٧٩ . =

زمن بعيد ؛ غير أنه لم ينجح في حل المشكلة الأنطاكية المزمنة ؛ مما عكس أن هناك حدوداً محددة كانت تواجه آفاق السياسة البيزنطية ولم يكن من الممكن البتة أن تنجح بيزنطة في عهده وكذلك عهد سلفه من تحقيق «الحلم الانطاكي» البعيد المثال والذي كان أشبه شيء بالسراب !

ومع ذلك يذكر لنا كومنين حصافته السياسية وعدم إندفاعه ووجود مستشارين أفاده في صنع قراراته السياسية (١).

ومن بعده ؛ تولى العرش الإمبراطوري مانويل كومنين الذي حكم خلال المرحلة من ١١٤٣ إلى ١١٨٠م (٢) في فترة من أخطر الفترات في التاريخ البيزنطي والعلاقات بين الشرق والغرب عصر الصليبيات.

---

= وتعد الدراسة الأكاديمية الوحيدة باللغة العربية المتخصصة عن ذلك الإمبراطور البيزنطي، وقد أجاد فيها مؤرخها الراحل .

١- محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٣٤٦- ص٣٤٧ .

٢- مانويل كومنين ؛ هو مانويل كومنينوس الذي عرف بالأول وتولى العرش البيزنطي خلال المرحلة من ١١٤٣ إلى ١١٨٠ وبعد الابن الرابع ليوحنا الثاني كومنينوس الذي قام باختياره كولي للعهد عام ١١٤٣م ، ويلاحظ أن أمه هونغارية الأصل ، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary , pp. 78-79 .

وأفضل ، وأشمل دراسة عن ذلك الإمبراطور هي تلك التي أعدها بول ماجدولينو Paul Magdalino بعنوان إمبراطورية مانويل كومنين ١١٤٣-١١٨٠ وصدرت من جانب جامعة كامبريدج عام ١٩٩٧م، أنظر: Magdalino , The Empire of Manuel I Comnenos 1143 - 1180 , Cambridge 1997 .

وقد وقعت في ٥٥٧ صفحة اعتماداً على غزارة بيليوغرافية مصدرية ومرجعية غير مسبقة وقدرة على التحليل والعرض من جانب أستاذ حقيقى خبير فى الدراسات البيزنطية ، وهذه هي المرة الأولى على ما أعلم التى يخصص فيها مؤرخ أوربى دراسة بمثل هذا التوسع والشمول عن ٣٧ عاماً فقط من عمر التاريخ البيزنطى المديد البالغ أكثر من ١١ قرناً كما أسلفت مراراً من قبل . وليس معنى ذلك الاتفاق التام مع كل ما ورد فيه بشأن تقويم ذلك الامبراطور البيزنطى أنظر أيضاً :

Vasiliev History of the Byzantine Empire, p. 417-418 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 337-350 .



ويلاحظ أن سياسته الشرقية، والغربية؛ ارتبطتا معاً ارتباطاً وثيقاً؛ فنجد أنه واکب مشروعاته في تدعيم السيادة البيزنطية في الشرق اللاتيني؛ تدهور وضّاح في نفوذه في الغرب؛ إذ ثارت البندقية ضده ، وقد باء مشروعه مع البابوية في توحيد الكنيستين الشرقية، والغربية بالإخفاق<sup>(١)</sup>؛ إذ أن البابا لم يكن ليقبل أن يكون مجرد بطريرك بيزنطى في روما<sup>(٢)</sup>.

وقد شغل مانويل كومنين اهتمامه بمشاكل الغرب عن مواجهة صراعات الشرق، وهناك من يقرر من أنه خلال منتصف القرن الثاني عشر كان يحتاج فقط إلى حشد قواته لكي يقضى على سلطنة قونية السلجوقية غير أنه ابتعد عن ذلك بسبب طموحاته المتعلقة بالسياسة الغربية<sup>(٣)</sup>. وكذلك استخفافه بالخطر السلجوقى خلال تلك المرحلة.

ويأخذ البعض على ذلك الإمبراطور ؛ إتباعه سياسة دفاعية لمدة طويلة ، إذ أنه خلال الأعوام الواقعة بين عامى ١١٦٤ ، ١١٧٥ م ؛ أي على مدى أحد عشر عاماً كاملة، ألزم نفسه بإتباع تلك السياسة ، واتجه إلى تحصين تخومه، وعندما أدرك الخطر متأخراً؛ إتجه إلى إتباع سياسة هجومية غير أن ذلك جاء بعد فوات الأوان، وكان ذلك من عوامل الهزيمة الفادحة المنكرة ، والفضيحة، التى لقيها على يدى قلع أرسلان السلجوقى فى موقعة مرياكيفالون Myrioccephalon<sup>(٤)</sup> فى ١٧ سبتمبر ١١٧٦ م ، والتى شهدها الامبراطور نفسه بأنها مثل معركة مانزكرت التى وقعت فى ١٦ أغسطس ١٠٧١ م، وقد أدت معركة مريكاكيفالون إلى عدد من النتائج يمكن إجمالها على النحو التالى:

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٩٨ .

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- نفسه، ص ١٩٤ .

٤- وقعت مرياكيفالون Myriokephalon فى منطقة فريجيا Phrygia فى آسيا الصغرى Asia Minor إلى الشرق من كوما Choma ويلاحظ أن كلمة مريكاكيفالون ذاتها تعنى ألف رأس وما يذكر أن الآلاف من البيزنطيين هلكوا فى ذلك الموقع أكثر من مرة !

وعن تلك المعركة انظر :

Kinnamos , p. 146-147 .

أولاً : قضت على هيبة بيزنطة، ومكانتها السياسية والعسكرية التي كانت سلاحها الأول في مواجهة منافسيها في الغرب الأوروبى وكذلك الصليبيين في الشرق اللاتينى.

ثانياً: أدت تلك المعركة إلى القضاء على أى أمل بيزنطى في استعادة آسيا الصغرى من قبضة السلاجقة القوية؛ على نحو يجعلنا نقرر أن كيغالبون مكملة لما نذكرت .

ثالثاً : أعتبرت المعركة المذكورة إنتصاراً كبيراً للإمبراطورية الغربية ولغردريك ياربا روسا (١١٥٢-١١٩٠م) نفسه الذى توهم ذلك الإمبراطور البيزنطى أنه ند له. ولكن على الرغم من كل ما حل بالإمبراطورية؛ إلا أن قيادتها السياسية لجأت إلى الانتقام من الإمبراطور

---

Nicetas Choniates, O'city of Byzantium, Annales of Niketas Choniates, Trans. by = Harry Magoulias, Trans. by Harry Magoulias, Wayne State University, Detroit 1984 , pp. 101-107 .

Michael Le Syrien , Chronique, T. III, p. 371 .

O.D.B., vol . 2 , p. 1449 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 428- 429 .

Hussey , The Byzantine World, p. 66 .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 79 .

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, p. 649 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 119 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State , p. 347 .

على عوده الغامدى ، « معركة مرياكيفالون ١١٧٤م ، » مجلة كلية الشريعة - جامعة أم القرى - مكة المكرمة، العدد (١) ، العام الأول عام ١٤٠٩هـ، ص١٢٣- ص١٥٠ ، شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص٢١١ ، محمد عبد الشافى المغربى، آسيا الصغرى في العصور الوسطى دراسة في التاريخ السياسى والحضارى (القرن ١١-١٣) ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٣م ص٢٢٠- ص٢٢١ محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص٢٧٢- ص٢٧٣ ، أسد رستم، الروم، ج٢، ص١٥٧- ص١٥٨ ، جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٣٨ ، على صالح المحميد، الدانشمندان وجهادهم في بلاد الأناضول ، ط. الاسكندرية، ١٩٩٤م، ص٢٣٣، حاشية (١) ، محمد زكى نجيب، علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عصر أسرة كومنين ١٠٨١- ١١٨٥م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٨٨م، ص١٨٤ .

الامبراطور الألماني، وذلك من خلال تشجيع القوى الثائرة ضده في إيطاليا وامدادها بالأموال ، واستمر ذلك الأمر قائماً حتى وفاة مانويل كومنين عام ١١٨٠م<sup>(١)</sup>.

ولانغفل، أن ذلك الامبراطور توافرت لديه اهتمامات كبيرة بالسياسة الغربية ، ويلاحظ أن تلك الاهتمامات شغلته عن سياسته الشرقية التي اتبع فيها الجانب الدفاعي كما أسلفت ، ولانغفل أن عجزه عن التوازن بين السياستين الشرقية والغربية كان خطأ القتال الذي وقع فيه بسبب ضعفه السياسية.

جدير بالإشارة ؛ حاول الإمبراطور المذكور حل «العقدة المستحكمة» في العلاقات البيزنطية - الصليبية ممثلة في المشكلة الأنطاكية ، والواقع ؛ أنه كان أضعف من أن يجد لها حلاً ؛ وعلى الرغم من استخدامه كافة الوسائل السياسية، والدبلوماسية إلا أن ذلك لم يمكنه من تجاوزها .

لقد ألزم مانويل كومنين أمير أنطاكية ريموند دي بواتيه Raymond de Poitiers (١١٣٦-١١٤٩م) على الحضور إلى القسطنطينية ، وقدم اعتذاره للإمبراطور بل إنه اعتبر نفسه فصلاً تابعاً له عام ١١٤٥م، ومن بعد ذلك؛ وفي عام ١١٥٨م؛ قام ذلك الإمبراطور بغزو كيليكيا Cilicia في آسيا الصغرى ، وعامل أمير أنطاكية رينودى شاتيون Renauld de Chatillon (١١٥٣-١١٦٢م) على نحو قاس وألزمه بالخضوع له<sup>(٢)</sup>، ويلاحظ هنا؛ أن انتصاره في كيليكيا رجع إلى فرار توروس الأرمني Thoros of Armenia<sup>(٣)</sup> وعندما علم رينودى شاتيون بتلك التطورات اتجه إلى تقديم الاعتذار للإمبراطور شراءً لمسامحته ، وتوج

١- جوزيف تسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٣٨ .

٢- William of Tyre, vol. II , p. 276 .

Schlumberger, Renauld de Chatillon Prince d'Antioch au Temps des Croisades, Paris 1933 , p. 102 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 125 .

٣- محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي - الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص ١٩٢ .

ورينودى شاتيون؛ فارس فرنسي قدم إلى بلاد الشام خلال أحداث الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧-١١٤٩ برفقة الملك لويس السابع، وقد تزوج من الأرملة كونستانس أميرة أنطاكية عام ١١٥٣م، وقد وقع في أسر المسلمين سبعة عشر عام ، وتزوج ستيفانى دى ميللى في نوفمبر عام ١١٧٧م ، وقد أخضع قلعة الكرك=

مانويل كومنين مكاسبه السياسية بأن دخل مدينة أنطاكية عام ١١٥٩م<sup>(١)</sup> في موكب مهيب،

= لسيطرته وبالتالي اعترض طريقه دمشق - القاهرة . وأعد حملته على الأماكن المقدسة الإسلامية عام ١١٨٢م، ولكن تم إجهاضها ، وقد قتل صلاح الدين الأيوبي أرناط في ٤ يوليو ١١٨٧م في معركة حطين الحاسمة، عنه أنظر:

Ernoul , Chronique d' Ernoul Bernard le Tresorier , ed., Mas Laterie , Paris, 1971 , p. 69-70

ابن منكلى ، الأحكام الملوكية والضوابط النموسية في فن القتال في البحر، تحقيق عبد العزيز عبد الدايم، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م، ص ٨٥-٨٦ ، حسنين ربيع، «البحر الأحمر في العصر الأيوبي»، ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، إشراف أحمد عزت عبد الكريم، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص ١٠٨-١١١ ، عائشة بنت عبد الله، البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ط. مكة المكرمة ١٩٨٠م، ص ٤١-٤٤ ، حسن عبد الوهاب ، «مصر وأمن البحر الأحمر في عصر الحروب الصليبية» ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م، ص ٢٠٣-٢٠٤ ، عبد المنعم ماجد ، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٧٤، يوسف درويش غوانه . إمارة الكرك الأيوبي، ط. عمان ١٩٨٢م، ص ١٢٧-١٣٦ ، عبد الرحمن زكي ومحمود عيسى، الحروب بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٧م، ص ٣٢ ، جميل حرب محمود، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ط. جدة ١٩٨٥م، ص ٦٨-٧٥ ، محمود رزق محمود، العلاقة بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى معركة حطين ١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس .

Hamilton, " The Elephant of Christ , Reynald of The Crusades, 900-1300 , in Monastic Reform Catharism and The Crusades, 900-1300, London 1979, pp. 90-103 .

Hamilton, The Leper King and his heirs , Baldwin IV and the Crusader Kingdom of Jerusalem Id, Cambridge 2000, p. 178-1179 . Friednan, Encounter between Enemies, Captivity and Ransom in the latin kingdom of Jerusalem, Leiden 2002 , pp. 85-86 .

سعيد البيشاوي، الأراضي الزراعية ومنتجاتها في الخليل في العصر الفرنجي ٤٩٢-٥٨٣هـ / ١٠٩٩-١١٨٧م، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى . تحرير محمد مؤنس عوض ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٦٦ حاشية (١٨) .

Kinnamos, p. 142-143 .

-١

Chalandon, Jean II Comnenes et Manuel I Comnene, T. II, Paris 1912 , p. 451-452 .

ومعه كافة الأشعة الإمبراطورية ومن خلفه الملك الصليبي بلدوين الثالث Baldwin Renauld de Chatillon III ( ١١٤٤ - ١١٦٣ م ) ، ورينودى شاتيون ، وقد تصور العلامة فازيليف Vasiliev ؛ أن دخول مانويل أنطاكية يعد انتصاراً بارزاً للسياسة البيزنطية وجاء نتائجاً لما زاد على الستين عاماً من الجهد البارز في ذلك النطاق <sup>(١)</sup> ، وإن كنت أتصور أنه انتصار « شكلي » يرضى طموحه كإمبراطور دون أن ينتج عنه أية نتائج سياسية حقيقية لصالح بيزنطة على الأرض .

من ناحية أخرى؛ يوجد في كنيسة الميلاد بيت لحم نقش يرد فيه اسم مانويل كومنين جنباً إلى جنب مع اسم الملك الصليبي عموري الأول <sup>(٢)</sup> Amaury I ( ١١٦٣ - ١١٧٤ م ) بمناسبة أحداث تجديدات بها شاركت بيزنطة فيها ، وقد وقع الخلاف بين المؤرخين في تحليل دلالات ذلك النقش ، وهل يعنى أن الإمبراطورية البيزنطية كانت لها سيادتها على الكيان الصليبي . والمرجح أن النقش المذكور دلّ على رغبة بيزنطة في رعاية الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين حيث اتجهت إلى ترميم تلك الكنيسة ، والأمر المؤكد ؛ أن ذلك الموقف من جانب تلك الإمبراطورية استفادت منه في الدعاية السياسية لها إذ أنها تصورت وجود سيادة لها على الوجود الصليبي شرقى البحر المتوسط Levant؛ غير أنه من الناحية العملية لم يكن هناك تأثير حقيقى بيزنطى من الناحية السياسية على الصليبيين ، وفي حالة حدوث ذلك لحلت المشكلة الأنطاكية الأمر الذى لم يحدث .

---

Hussey , " The Later Macedonians, The Comneni and The Angeli " , C.M.H., vol . V, = p. 234 .

Baldwin , " The Latin States under " , Baldwin III and Amalic I 1143-1174 in Setton (ed.), II, Pennsylvania 1958, p. 544 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 80 .

-١

Corpus Inscriptonum Graecorum , vol . IV , p. 339 .

-٢ - عنه أنظر :

وقد شاهد النقش المذكور الرحالة اليونانى يوحنا فوكاس ، عن ذلك أنظر:

Joannes Phocas, Abrief Description of the Holy land , Trans. by A. Stewart, P.P. T.S, vol . V , London 1896 , p. 19 .

واقع الأمر ؛ أن الصليبيين كانوا أكثر دهاءً من الإمبراطور مانويل كومنين، فقد جعلوه يتوهم أنه صاحب سيادة سياسية عليهم<sup>(١)</sup>، لكن واقعياً لم يكن له تأثير عملي ملموس على نحو يؤكد عكس إدعاءات الإمبراطورية بأنها نالت مكاسب جديدة على الصعيد السياسي سواءً في أنطاكية أو في قلب مملكة بيت المقدس اللاتينية مثلما توحى بذلك بعض الكتابات المصدرة البيزنطية وكذلك المراجع المنحازة لذلك الإمبراطور .

وقد تصور البعض؛ أن مانويل كومنين حقق إنجازات تاريخية كبرى وبالتالي ؛ لم ينسبوا إليه أية سلبيات وذلك بعد أن وقعوا في أسر الإعجاب المفرط به وكانوا بذلك ضحية كاريزما القائد، وللدرد على ذلك الاتجاه نورد الآتى:

أولاً: جاءت هزيمة مرياكيفالون السالفة الذكر، وعلى ذلك النحو المهين من جانب الأتراك السلاجقة، وكأنها تقترب من أن تكون بمثابة «الاحتفال المثلوى بكارثة مانزكرت»<sup>(٢)</sup>، مع استثناء ستة أعوام فقط على الهزيمة الأولى- وقد جاء الإنتصار السلجوقي على بيزنطة في أحد الممرات الجبلية بآسيا الصغرى؛ ليقضى على مابقى للجيش البيزنطى من هيئته ؛ وهى تذكرنا بهزيمة باسل الثانى فى محر جبلى على أيدي البلغار من قبل .

١- من المهم الرجوع إلى ذلك المقال الممتاز القديم الجديد الذى أعده جون لامونت :

La Monte, " To what extent was The Byzantine Empire The Suzerian of the Latin Crusading State, " B., vol . 1923, pp. 253-264 .

٢- ويقرر المؤرخ البارز برنارد هاملتون Bernanrd Hamilton فى معرض تناوله لمعركة مرياكيفالون أنها كانت ضربة لمكانة وهيبة مانويل كومنين أكثر من كونها موجهة إلى قوته العسكرية ولا تغفل أن قليج أرسلان لم يكسب مناطق جديدة على الأرض، دون أن ينكر ذلك المؤرخ أنها كانت هزيمة كبيرة على نحو جعلها تشبه معركة مانزكرت ، وقد قرر أن بيزنطة كانت لديها القوة فى صورة أسطوها الذى عمل مانويل كومنين على إعادة بنائه، وكانت بيزنطة بمثابة القوة القادرة على دعم الشرق اللاتينى فى مواجهة المسلمين وفى تقديرى إن ذلك رأى جانبه الصواب ، فلو لم تكن ذات تأثير عسكرى كبير لما شبهت بكارثة مانزكرت ، وهو أمر أقره ذلك الإمبراطور شخصياً والمؤرخ برنارد هاملتون نفسه ، وأتصور أن هيبة مانول وهيبة الجيش البيزنطى تأثرت تأثيراً كبيراً بأحداث مرياكيفالون بغض النظر عن جزئية اكتساب قليج أرسلان لأراض جديدة أم لا ، ولا تغفل أن تثبيت الوضع القائم لصالح السلاجقة يعد مكسباً عسكرياً . وسياسياً بكل المقاييس وهو ما أغفله المؤرخ المذكور، أنظر رايه =:



لقد نظر الغرب الأوروبي إلى الامبراطورية البيزنطية من بعد تلك الحادثة نظرة الاستهانة والإزدراء أكثر من ذي قبل؛ إذ أن هيبة ، ومكانة الإمبراطورية البيزنطية صارت موضع شك كبير ، بل ولم يعد هناك من يتصور أن الجالس على ضفاف البسفور يمكن أن ينادى بالسيادة العالمية التي لم تكن سوى في مخيلته فقط دون أن يملك سنداً من الواقع خاصة بعد أحداث كارثة ١١٧٦م ؛ ويلاحظ أنه خلال القرن ١٢م ؛ نجد أن الإمبراطور فردريك بارباروسا خليفة أثر مرياكيفالون؛ كتب بازدراء لمانويل كومنين رسالة يخاطبه فيها بأنه ملك اليونان، وأنه ومملكته يعدان جزءاً لا يتجزأ من إمبراطوريته الرومانية<sup>(١)</sup>.

جدير بالإشارة أن الهزائم العسكرية، والإخفاق السياسي صاحب ذلك الإمبراطور عدة مرات وكى لا يتصور البعض أن مرياكيفالون بمشابة الهزيمة المتفردة في تاريخه ؛ نود الإشارة إلى مرقعين يعكسان تأصل «مفهوم» الهزيمة في سلوك مانويل كومنين على النحو التالي:

١- يكفى الإشارة إلى معركة حارم التي وقعت عام ١١٦٤م<sup>(٢)</sup>، التي حدثت بين التحالف البيزنطي- الصليبي- الأرمني ضد نور الدين محمود مؤسس الدولة النورية

Hamilton, "Manuel I Comnenus and Baldwin IV of Jerusalem" in Chrysostomides (ed.)  
Kathegetria, Essays Presented to Jean Hussey for her 80 th birthday, Cambridge 1988, p.  
361 .

١- محمد سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١١ .

٢- وقعت حارم ضمن إمارة أنطاكية الصليبية ، وهي حالياً ضمن محافظة أدلب عنها أنظر : محمود سعيد عمران ، السياسة الشرقية، ص ١٨٥ ، فتحي عثمان ، الحدود الإسلامية- البيزنطية ، ج ١، ص ٢٣١ .  
وعن معركة حارم أنظر :

عبدالله بن سعيد الغامدي ، مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود ، جامعة أم القرى. سلسلة بحوث الدراسات التاريخية ، مكة المكرمة ١٤١٤هـ ، ص ٤٨ .

Anonymous Syriac Chronicle , p. 303 .

William of Tyre , vol . II, p. 306-308 .

Jacques de Vitry , History of Jerusalem , Trans , by A. Stewart, P.P.T.S., vol . XI , London  
1896 , p. 94 .

(١١٤٦-١١٧٤م) وقد قاد القوات البيزنطية القائد قسطنطين كارلومان Constantine Car-loman ، وخلال أحداثها هزمت قوات التحالف وتم الفتك بعدد وافر من القوات البيزنطية بفضل دور بارز لقوات الموصل ، ولذا؛ استحق البيزنطيون الذين شاركوا فيها وقدموا كممثلين عن إمبراطورهم؛ سحرية الصليبيين اللاذعة !

٢- تحالف مانويل كومنين مع الملك الصليبي عموري Amaury (١١٦٣-١١٧٤م) لغزو مصر ، وقد حركت الامبراطور البيزنطى أوهام أن أرض الكنانة كانت يوماً ما من أملاك بيزنطة قبل مقدم الفتح العربى لها فى القرن السابع الميلادى ، وقد قام صلاح الدين الأيوبي بتحسين بلبيس ، والقاهرة ، والاسكندرية، وهاجم الحلف المشترك دمياط عام ١١٦٩م<sup>(١)</sup>، على نحو أدى إلى فشل ذلك التحالف .

كل ذلك يدل على أن أعوام ١١٦٤م، ١١٦٩م، ١١٧٦م علامات مميزة فى تاريخ حياة إمبراطور بيزنطى فاشل إلا أن عام ١١٧٦م عكس هزيمة بارزة لمكانة بيزنطة ذاتها حتى عند الغرب الأوربي .

---

= ابن الأثير، التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليمات، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ص ١٢٤ ، ابن عساكر ، ترجمة محمود بن زكى، تحقيق نيكيتا اليسيف، مجلة الدراسات الشرقية م (٢٥) عام ١٩٧٢م B.E.O., T.XXV, Année 1972، ص ١٣٨ ، العماد الأصفهاني ، البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان، تحقيق كلود كاهن مجلة الدراسات الشرقية عدد عامى ١٩٣٧-١٩٣٨م، ابن واصل، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة من ١٩٥٣م، ص ١٤٣ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ط. القاهرة ١٣٥١هـ ، ج ٤ ، ص ١٨٦ ، العدوى، الزيارات، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط. دمشق ١٩٥٦م، ص ٤- ، محمود سعيد عمران، «معركة حارم ١١٦٤م ، قصة التحالف البيزنطى الصليبي الأرميني ضد نور الدين»، مجلة المورخ العربى، العدد (٨) عام ١٩٧٧م، ص ٩٠ - ص ١١٢ ، السياسة الشرقية، ص ٢٨٥ ، عليه ديب تبريزى، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود، ط. صيدا، ٢٠٠٣م، ص ١١٦-١١٧ .

Cahen, la Syria du nord , p. 204 .

حيث يصفها بكارثة حارم "La desastre de Harim" .

١- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ٣١٧- ص ٣٣٤ .

حيث يقدم تحليلاً ممتازاً اعتماداً على مقالته القيمة عن معركة حارم . .

ومع ذلك ؛ لا تتضح لنا الصورة كاملة إلا من خلال سياسة الامتيازات التجارية التي بالغ في تقديمها مانويل كومنين للبنادقة، على نحو خاص ثم عاد وقام بإلغائها، فيلاحظ أنه أصدر مرسومًا عام ١١٤٨م ؛ جدد فيه الامتيازات التي كان قد منحها الكسيوس كومنين من قبل عام ٨٢-١م<sup>(١)</sup>، وقد أقر ذلك المرسوم على حق البنادقة في مد حدود حيزهم الخاص بهم في العاصمة البيزنطية، كما أن الإمبراطور قرر كذلك إعفاءهم من الجمارك في جزيرتي قبرص، وكريت التي لم يشملها مرسوم عام ٨٢-١م<sup>(٢)</sup>.

جدير بالذكر؛ أن سياسة الامتيازات التجارية للتجار الإيطاليين التي سار عليها ذلك الإمبراطور كان لها أسوأ الأثر على بيزنطة واقتصادها ويقرر البعض ما نصه : «لاريب في أن الامتيازات التي منحت للتجار الإيطاليين، وبصفة خاصة للبنادقة ، قد ألحقت أبلغ الأضرار، وأخطرها في بيزنطة واقتصادها ، وأدت إلى منافسات غير شريفة بين هؤلاء التجار الإيطاليين عبر الإمبراطورية، وخلقت الحقد، والحسد في نفوس البيزنطيين الذين نظروا إلى هؤلاء الأجانب وهم ينهبون ثرواتهم، وسيطرون على أسواق إمبراطوريتهم، واقتصادها بقوة السيف»<sup>(٣)</sup>.

من بعد ذلك ؛ قام الإمبراطور في ١٢ مارس ١١٧١م، باعتقال البنادقة ومصادرة أملاكهم على نحو مَثَل نكبة حقيقية بالنسبة لهم<sup>(٤)</sup>، ومن بعد وفاته عام ١١٨٠م، قامت ثورة عنيفة

---

١- عن تلك المعاهدة بين الكسيوس كومنين والبنادقة انظر:

Anna Comnena , pp. 146-147 .

Gadolin, "Alexios I Comnenus and The Venetians Trade Privileges: A New interpretation", B. 50 , 1980 , pp. 439-445 .

Adelson, Medieval Commerce , NewYork 1962 , p. 160 .

عادل زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب، ص ٣٣٦ ، حاشية (٣) .

٢- عادل زيتون ، المرجع السابق، ص ٦٧ ، وأنظر أيضًا هذه المقالة المهمة :

Danstrup, " Manuel's Coup against Genoa and Venice in the light of Byzantine Commercial Policy" C.M., T.X, 1949, pp. 195-219 .

٣- عادل زيتون ، المرجع السابق ، ص ٦٨ .

٤- هايد، تاريخ التجارة، ص ٢٢٧ .

ضد اللاتين تفجرت عام ١١٨٢م<sup>(١)</sup> وتم فيها مهاجمة الحى البندقى وفتك بهم رجالاً ونساءً وأطفالاً بعد أن ظهرت إلى السطح الأحقاد القديمة ولا تغفل هنا أن ميراث الكراهية المتبادل ، وأحداث العام الأخير سيكون رد البنادقة عليها ممثلاً فى ما حدث فى العاصمة البيزنطية أوائل القرن الثالث عشر الميلادى .

هكذا ؛ كان الأمر مع مانويل كومنين الذى لاريب لى تحمله أكثر من غيره نتائج ذلك، ومن الجلى البين عدم إدراكه لتنامى الخطر السلجوقى إذ تحرك متأخراً بعد أن اختلت كفة ميزان القوى لصالح المسلمين بطبيعة الحال، وهكذا؛ صار متردداً بين سياسته الغربية والشرقية، وعندما إتجه إلى الشرق، كانت مرياكيفالون بمثابة الدرس القاسى للإمبراطور الذى تأخر طويلاً وأراد أن يقوم بدور أكبر بمراحل من حجمه التاريخى ؛ وذلك بموضوعية دون التأثير بالرؤية البندقية المعادية له .

ومن الأمور ذات الدلالة ؛ أنه بعد (٢٨) عاماً فقط من تلك الهزيمة؛ كانت القوات الصليبية من الغرب الأوروبى تعيس فساداً فى القسطنطينية<sup>(٢)</sup> وتحتلها لأول مرة فى تاريخها وذلك عام ١٢٠٤م . بعد أن تزايدت الأطماع اللاتينية فيها ، وجاءت المعركة المذكورة تعبيراً عن الضعف الداخلى الذى لم يدرك الامبراطور المذكور حقيقته .

ثانياً ؛ تصور البعض أنه كان محققاً عندما تصور أمر «السيادة العالمية» ، واعتبروا ذلك تقليداً بيزنطياً امتد عبر القرون ، والواقع أن ذلك التصور كان أشبه بمحاولة إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، فقد رأينا من خلال العرض السابق، كيف أن بيزنطة فقدت أملاكها تدريجياً فى إيطاليا، وفى عام ١٠٧١م أى قبل تولى مانويل كومنين العرش البيزنطى بنحو ٧٠ عاماً- فقدت بارى Bari، آخر أملاكها فى الغرب على أيدي النورمان، وهم قوة

١- عن أحداث الحى البندقى أنظر:

حاتم الطحاوى، بيزنطة والمدن الإيطالية ١٠٨١-١٢٠١، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٠٦ ، وأرد الإشادة بهذه الدراسة العميقة المركزة من جانب باحث يمتلك كافة مقومات النجاح فى مجال التاريخ البيزنطى.

أنظر أيضاً : محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٢٦٥ .

Kaplan, " le Sac de Constantinople", H., T.LXVI, Année 1982, p. 114 .

٢- عن تفاصيل ذلك أنظر أحداث أسرة أنجيليوس .

لا يستهان بها في معترك السياسة الدولية حينذاك، وتصور مانويل، أنه ند لأباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة مثل فردريك بارباروسا<sup>(١)</sup> Frederick Barbarossa (١١٥٢-١١٩٠م) وكان ذلك قصر نظر واضح تماماً؛ فالسيادة العالمية لم يكن من الممكن أن يسعى إليها إمبراطور بيزنطي واقعي يفهم وقائع التاريخ ويتعلم منها.

ثالثاً : يتحمل ذلك الإمبراطور نصيباً كبيراً في كارثة عام ١٢٠٤م على بيزنطة مع عدم اغفال العوامل الأخرى - فقد أعطى امتيازات كبيرة للبنادقة ووجه إمبراطوريته نحو وجهة غربية، بل هو نفسه كانت أمه هنغارية، وزيجاته نفسها من الغرب في صورة برتا أخت زوجة كونراد ملك ألمانيا، ومن بعدها ماري الأنطاكية<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال ميوله الغربية؛ قدم إلى الإمبراطورية الكثيرون من الغربيين، على نحو أدى إلى تعميق كراهية البيزنطيين لهم وبصورة أدت إلى الصدام بين الجانبين الذي جر نتائج وخيمة على بيزنطة.

#### ١- عن فردريك بارباروسا أنظر:

Otto of Freising , The Deeds of Frederick Bararossa, Trans. by Charles Christopher Microw, Toronto 1966 .

Otto of St. Blasion, The Third Crusade 1187-1190 , from The Chronicle of Otto of St. Blasion , in Thatcher, Source Book of Medieval History , New York 1902 , pp. 529-553 .

Munz, Frederick Barbarossa; A study in Medieval Politics, London 1969 .

حامد زيان، فردريك بارباروسا والحملة الصليبية الثالثة : ط. القاهرة ١٩٧٧م، كمال الدسوقي، تاريخ ألمانيا، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ص ٣٩ .

٢- ماري الأنطاكية Mary of Antioch ، هي ابنة ريموند دي بواتييه Roymond de Poitiers وكونستانس Constance ، وقد تزوجها مانويل كومنين بعد وفاة زوجته الأولى عام ١١٥٩م، وتم الزواج في ديسمبر عام ١١٦١م، ويلاحظ أنها كانت أختاً لبوهيمند الثالث Bohemond III أمير أنطاكية (١١٦٣-١٢٠١م) عنها أنظر:

Garland , Byzantine Empresses Woman and Power in Byzantium , A.D. 527-1204 , pp. 199-209 .

Hill , Imperial Woman in Byzantium 1025-1204 : Power, Patronage and Ideology , London 1999, pp. 201-204 .

رابعًا : وجد من المؤرخين الغربيين من انبهر بذلك الإمبراطور فالمؤرخة البريطانية القديرة جوان هسي J. Hussey فى كتابها الموجز القيم العالم البيزنطى The Byzantine World أورد عنه ما نصه : « وخلال تلك الظروف انتقل التاج البيزنطى إلى مانويل الابن الرابع ليوحنا ، ومثله فى ذلك مثل بطل الملحمة البيزنطية ديجنيس اكريتاس Digenis Akritis سيد البر الذى يعود فى أصله إلى شعبين كان مانويل كومنينوس ينتمى لعالمين ، وليس من حق الخيال أن يتصور تناقضًا كبيراً مع أباطرة الأسرة السالفة مثل جوستنيان أوقسطنطين السابع بورفير وجنتيوس، فقد كان مانويل حاكمًا متألقًا ، جنديًا ، ودبلوماسيًا ، ورجل دولة»<sup>(١)</sup>.

والواقع أن رأى السالف على الرغم من علو شأن صاحبه فى حقل الدراسات البيزنطية إلا أنه يكشف بجلاء عن الانبهار بشخص الإمبراطور، ومن الممكن تشبيهه بجستنيان - فقط - من خلال أنهما الاثنان سارا وراءهم السيادة العالمية التى ولت وأدبرت غير أن جستنيان يتفوق عليه : نظراً لإسهامه القانونى السالف الذكر والذى عاش من بعد وفاته ؛ وهو أمر افتقده مانويل كومنين .

ومن الملفت للإنتباه : أن نفس المؤرخة؛ بعد أن أظهرت ولعها، وإفتنانها بذلك الإمبراطور إلى حد أوصلها إلى تشبيهه بأبطال الملاحم البيزنطية !!! وهو تشبيه إنفعالى عاطفى يتنافى مع الموضوعية التاريخية والواجبة ثم عادت وناقضت نفسها فى موضع آخر من كتابها وقالت ما نصه : «إن فى سياسة مانويل الشئ الكثير من التقليدية، ومع ذلك ؛ فقد كانت لها بعض الملامح غير العادية التى أثارت كوامن الطموح المندفع البعيد عن الحكمة، وخاصة فيما يتصل بمشروعاته نحو إيطاليا، ولكن يبدو أن الظروف التى أحاطت به لم تترك له مجالاً للاختبار، بل فرضت عليه ما ظهر جلياً فى سياسته صوب الغرب»<sup>(٢)</sup>.

Hussey, The Byzantine World, p. 62 .

تقول ما نصه : "It was in such circumstances That the Byzantine Crown passed to John's Fourth son Manuel . like The hero of The Byzantine epic, Digenis Akrites, The marcher Lord of double race, Manuel Comnenus was of Two World , No Greater Contrast could be imagined to the Emperors of earlier dynasties , a Justinian or a Constantine VII Parphyrogenitus. Manuel was a brilliant ruler, Soldier and diplomat and Statesman ".



ومن الجلى البين؛ محاولة تلك المؤرخة تجميل عصر مانويل كومنين ، وإتجهت إلى محاولة البحث عن الذرائع والحجج الواهية التي تبرر سياساته الخرقاء ، ووجدتها فى ذلك «الحل» السهل الميسر فى صورة «الظروف» ، وهو أمر يتناقض مع ألف باء المنهج التاريخى الذى يدرك أن الإنسان كفاعل تاريخى مستثول عن تصرفاته ويشترك عملياً فى صنع الظروف المحيطة به ومن الممكن رفض «الظروف» إذا كانت بمثابة الشجب الذى تعلق عليه الأخطاء القاتلة .

وهكذا؛ لم تستطع جوان هسى إقناعنا بعكس تصورنا ولاريب أن الامبراطور المذكور امتاز بفشلين معاً فى الغرب والشرق على شاكلة الملك الفرنسى لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦-١٢٧٠م) الذى أخفق فى حملته على مصر عام ١٢٥٠م. ومن بعدها على تونس عام ١٢٧٠م. ويتفق الاثنان فى عدم الاستفادة من دروس التاريخ !

خامساً : من الخطأ البين - فى تقديرى- دراسة ذلك الامبراطور والتوقف عند عام ١١٨٠م. بل الاجدى الامتداد إلى عام ١٢٠٤م إذ أن قرابة الربع قرن من الزمان التالى على مدة حكمه هى الكفيلة بأن تحكم عليه الحكم الموضوعى بموضوعية ، وبدون ذلك لا يمكن رصد وقائع مرحلة ما قبل السقوط الأول فى التاريخ البيزنطى.

على أية حال ؛ هناك رأى تقويمى مهم أورده بنصه لما له من دلالة خاصة حيث رأى البعض : «توفى مانويل سنة ١١٨٠م بعد أن تسبب فى ضياع هيبة بيزنطة وهيبة الأسرة الكومنينية التى أخذت فى طريق الزوال بعد ذلك بسنوات قليلة، خاصة بعد أن أدت حروب مانويل الكثيرة إلى زيادة نفوذ الإقطاعيين حتى أصبحوا دويلات داخل الدولة، وأضعفوا السلطة المركزية فى الوقت الذى ترددت فيه الأحوال الاقتصادية لكثرة الضرائب لتمويل الحروب

---

" In Manuel's Policy There was much That was Traditional , it is certain more unusu- = al Features which have given rise to the Charge of rashness and unwise ambitions particu- lary in connenction with his Italian designs it was not entirly choice that directed the appar- ent western emphasis of Manuel's Policy . it was essential to Find Some modus vivendi With The Western Power".

Hussey, The Byzantine World , p. 63 .

بالإضافة إلى أن ما لجأ إليه مانويل من طرد التجار البنادقة ، دون ترتيب سابق ؛ أحدث هزة اقتصادية في السوق التجارية ، وأدى بالتالى إلى إنهيار مفاجئ في الاقتصاد البيزنطى<sup>(١)</sup> .

ويعكس الرأى السابق خطورة سياسات ذلك الامبراطور والنتائج السيئة التى ترتبت عليها على نحو أثر على تاريخ إمبراطورية بأكملها ويقرر أ.د. عمر كمال توفيق تعليقاً على سياسات نفس الإمبراطور ما نصه : « إن طموح مانويل عاد بنتائج وبيلة على الإمبراطورية ، فإن هذا الإمبراطور قد ورّط الإمبراطورية في مشاكل مع أوروبا الغربية بإصراره على تحقيق أحلامه هناك ، ولم ينتبه للخطر الذى يحيق بالإمبراطورية ، وقد أثار مانويل مخاوف اللاتين عندما أنضب موارد الإمبراطورية ، وأن الكراهية والحقد الذين أثارهما بتصرفاته ، وجشع العناصر الغربية التى سمح له بالإزدياد ؛ كانت أمور تنذر بنتائج سيئة عندما يتولى زمام الدولة حكام ضعاف »<sup>(٢)</sup> .

أما أ.د. اسحق عبيد؛ فقد قرر عن سياسة مانويل كومنين ما نصه : « كانت جماهير الشعب تن من وطأة الفقر الذى عم بسبب مشروعات عمانويل الباهظة الفاشلة في غرب أوروبا ، ونظر أهل العاصمة من حولهم ليروا جاليات البنادقة والبيزنيين والجنوبيين تعيش في رفاهية زائدة »<sup>(٣)</sup> والتعليق على هذا القول الموضوعى تماماً ؛ أن سياسات ذلك الامبراطور جاءت على حساب شعبه الذى كان ضحيته الأولى .

وترى مؤرخة بارزة عن عهد مانويل كومنين وعواقب سياسته ما نصه : « كان متأثراً إلى حد بعيد بأسلوب الفروسية الغربية ، وقد أحب العادات الغربية ، وأدخلها في تقاليد البلاط البيزنطى كما أنه تزوج من أميرتين غريبتين هما بروت الألمانية ، ومارى الفرنسية الأمر الذى أضفى على قصره مظهراً غريباً وجعله يختلف عما كان عليه الحال زمن أسلافه ... وقد أدى هذا الاتجاه نحو الغرب ؛ إلى إنفتاح حدود الإمبراطورية البيزنطية أمام اللاتين الغربيين الذين

١- محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣٧٤ .

٢- تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٠٥ .

٣- روما وبيزنطة ، ص ٢٧٩ .

تدفقوا إليها وزادت أعدادهم داخل العاصمة ، وقد تقلد عدد كبير منهم بعض المناصب العليا في الدولة، مما أدى إلى قلق ، وتآمر العناصر اليونانية داخل الإمبراطورية<sup>(١)</sup> .

وهكذا ؛ يتضح لنا من ذلك الرأي أن التآمر الذي حدث داخل أرجاء الإمبراطورية البيزنطية سيؤدي حتمًا إلى الانفجار وهو ما وقع بالفعل بعد انتهاء عصر مانويل كومنين، ولاريب أن مشكلة ذلك الإمبراطور تتمثل في سياسة التغريب Westernization التي سار عليها باندفاع دون روية أو إدراك للعواقب التي ستنتج عنها .

أما المؤرخ أ.د. جوزيف نسيم يوسف فقد قرر تعليقًا على سياسات ذلك الإمبراطور ما نصه : « لكن فكرة مانويل في إحياء الإمبراطورية القديمة لم تكن في الواقع إلا حلمًا من أحلام الماضي البعيد، إذ لم يؤد التراضى بينه وبين البابا الكاثوليكي إلى شئ مما كان يأمله ، كذلك لم تؤد المساعدات المادية التي قدمها مانويل إلى المدن الإيطالية في نضالها ضد الإمبراطور الألماني شيئًا ، والدليل على ذلك ؛ الصلح الذي تم بينه وبين البابا إسكندر الثالث، والإمبراطور فردريك بارباروسا سنة ١١٧٧م، الذي عرف بصلح البندقية ... وكان الاتفاق بين عاهلى المسيحية فى الغرب لطمة أصابت آمال بيزنطة فى الصميم»<sup>(٢)</sup>.

ويدل الرأي السالف الذكر؛ على أن «أحلام» ذلك الامبراطور لم تتسم بالواقعية ، ثم أن مجهوداته فى التحالف مع البابوية ضد فردريك بارباروسا ذهبت أدراج الرياح عام ١١٧٧م بالاتفاق المذكور، وذلك فى العالم التالى مباشرة لفضيحة مرياكيفالون ١١٧٦م ، وهكذا ؛ توالى عليه الإخفاقات العسكرية والسياسية من كل حذب وصوب ، وبصورة متعددة ومتنوعة يندر تكرارها فى التاريخ البيزنطى على الأقل فى العصر الأوسط منه على نحو يجعل الباحث يتساءل ما هو المجال الذى نجح فيه ذلك الامبراطور ؟! ومن الممكن القول أنه يتشابه مع الملك الإنجليزي يوحنا (١١٩٩ - ١٢١٦م) الذى وصف بأنه دخل التاريخ بسبب أخطائه<sup>(٣)</sup>.

١- أسمت غنيم، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٤٦ .

٢- تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٣٣ .

٣- سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٨١م، ص ٤٧٤ - ص ٤٧٧ .

والملك يوحنا؛ هو ابن هنرى الثانى Henry II وقد حكم يوحنا خلال المرحلة من ١١٩٩ إلى ١٢١٦م . =

أما العلامة دونالد نيكول Donald Nicol ؛ فقد رأى فى ذلك الإمبراطور أنه : « أخطأ فى تقدير قوة خصومه ... وقد خرج فى عام ١١٧٦م على رأس جيشه غير أنه هزم هزيمة فادحة فى مواجهة الأتراك فى مرياكيفالون غير أنه لم يلبث أن مات بعد أربعة أعوام فى سبتمبر عام ١١٨٠م »<sup>(١)</sup>.

وفى موضع آخر يقرر ما نصه « أما صورته فى مخيلة شعبه فهو أنه بالغ فى ميله لللاتين واتجه فى هذا الشأن إلى مدى أبعد مما كان ينبغى عليه ».

كذلك أقر ذلك المؤرخ البارز صراحة عن مانويل كومنين ما نصه : « ترك مانويل من ورائه تركة من الشنآن والتعصب العرقى الذى سريعا ما تفجر على نحو عنيف وقد شارك قريبه اندرونيكوى كومنينوس على زيادته ».

والفقرة الأخيرة- على نحو خاص - تكشف لنا عن مسئولية ذلك الإمبراطور فى الأحداث الصاخبة التى وقعت فيما بعد رحيله .

أما المؤرخ هايد Heyd ؛ فيقرر عن سياسته مانويل كومنين تجاه البنادقة ما نصه : « إن منظر الثروات الضخمة التى جمعها بنادقة القسطنطينية قد أثارت جشعه ، إذ أنه كان فى حاجة إلى الكثير من المال ليواصل الحروب التى تورط فيها والإتفاق على أساليب الرشوة التى كان يستخدمها بسخاء ، وضروب البذخ التى يمارسها ، ورغم الأعباء التى كان يثقل بها كاهل رعيته ، فإن خزانة الدولة لم تكن كافية للوفاء بمطالبه »<sup>(٢)</sup>.

---

= وكان أختا لريتشارد قلب الأسد Richard Lion hearted ( ١٠٨٨ - ١٠٩٩م ) ، وفى عهده تمرد عليه النبلاء على نحو أدى إلى الاتفاق المعروف بالعهد الأعظم Magna Charta ، عام ١٢١٥م ، وبصفه عامه لم يوصف ذلك الملك بالخبرة السياسية، وقد توفى عام ١٢١٦م، عنه أنظر:

جيمس ، الماجنا كارتا (العهد الأعظم) ، ت. مصطفى طه ، ط. القاهرة ١٩٦٥م، سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ص ٤٧٤ ، عبد القادر اليوسف ، العصور الوسطى الأوربية، ط. صيدا ١٩٦٧م، ص ١٨٤- ص ١٨٥، إسماعيل نورى الربيعى، تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى، ط. عمان، ٢٠٠٢م، ص ١١١ .

وفى موضع آخر يقول ما نصه : « حين أكمل استعداداته أصدر أمره بالقبض على كل البنادقة ومصادرة أموالهم ، واحتجاز سفنهم وكان ذلك فى ١٢ من مارس عام ١١٧١ ، ومن القسطنطينية وحدها راح ١٠٠٠٠ من البنادقة ضحية هذا الاعتداء<sup>(١)</sup> .

وآخر شهادة تقويمية لعهد ذلك الإمبراطور نقدمها من خلال المؤرخ شارلز أومان Charles Oman صاحب الدراسة الشهيرة عن فن الحرب فى العصور الوسطى<sup>(٢)</sup> ، وبالتالى من المقرر أنه على معرفة بأقدار الرجال جيداً خلال تلك العصور خاصة أولئك الذين قادوا الجيوش ، وخاضوا المعارك ، وفى عرضه عن الإمبراطور مانويل كومنين نجده يقرر ما نصه : « خلف جون الطيب على العرش ابنه مانويل ، وقد اجتمعت فيه عناصر القوة والضعف لتكون سبباً فى تسديد ضربة قاتلة إلى الإمبراطورية ، وكان مانويل مجرد فارس متجول أحب القتال لذاته . وسمع لعاطفة الحماس والمخاطرة أن تكون رائدها الوحيد وكان عهده كله سلسلة طويلة من الحروب يدخلها ويخرج منها طائشاً »<sup>(٣)</sup> .

وفى موضع آخر يذكر عنه ما نصه : « لم يكن سوى سياسى خامل » . كما قرر « كانت الغلطة » ، الأساسية فى حروب مانويل أنها دبرت مع إغفال الاعتبارات المالية إغفالاً يكاد يكون تاماً ، فقد أصر على إشعال الحرب بعد الحرب ومملكته سائرة نحو الإفلاس ببطء ، ودخلها كان ينقص نقصاً مستمراً ، كما أنه كرّس كل بيزة Bezanl كان يستطيع استخلاصها من رعاياه لإغاثة الجيش وحده ، فاختلت الإدارة المدنية اختلالاً شديداً وفستت إدارة العدل وتهدمت الطرق والجسور وأهملت المرافق والموانئ<sup>(٤)</sup> .

وأتصور أن تلك الشهادات التاريخية لكوكبة من كبار المؤرخين من الشرق والغرب من ذوى الخبرة الأكاديمية البارزة كافية لوضع الامبراطور مانويل كومنين فى حجمه الحقيقى دون مبالغة.

١- هايد ، تاريخ التجارة ، ص ٢٢٧ .

من المهم هنا عدم إتهام هايد وغيره من كبار المؤرخين الأوربيين الذين هاجموا مانويل كومنين بالاعتماد على وجهة النظر البندقية ، فالأمر يتجاوز تلك الزاوية على نحو مؤكد . ومن غير المنطقى تصور أن كافة أولئك المؤرخين وهم كبار الباحثين على المستوى الدولى والعربى فى حقل الدراسات البيزنطية وقعوا أسرى الرؤية التاريخية البندقية كما يتصور البعض !!! .

٢- أنظر : Oman , A History of the art of War in the Middle Ages , 2 vols ., London 1924

٣- شارلز أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٠٩ .

٤- نفسه ، ص ٢١٠ .

مهما يكن من أمر؛ كانت الامبراطورية البيزنطية في أعقاب عهد الإمبراطور مانويل كومنين في حاجة ماسة لأن تنعم بالأمن والاستقرار وتطلب الأمر، وجود رجل قوى حازم يملك القدرة على قيادة تلك الإمبراطورية بعد الحكم «الكارثي» لمانويل كومنين، غير أن الأحداث أتت بعكس ذلك؛ إذ خلف ذلك الإمبراطور ابنًا صغيراً في صورة الكسيوس الثاني، ونظراً لصغره، تولت الوصاية عليه أمه ماري الأنطاكية خلال المرحلة من ١١٨٠ إلى ١١٨٢ م وصارت صاحبة الكلمة العليا في إدارة دفة أمور الإمبراطور<sup>(١)</sup> دون أن تملك الكفاءة السياسية المؤهلة لذلك، وهكذا صار مصير تلك الإمبراطورية في قبضة امرأة!!.

ويذكر التاريخ لتلك المرأة أنها كانت تلهث وراء المظاهر الخادعة، دون أن تدرك أن حب الظهور بقصم الظهور بل أطلقت العنان لقلبها كي يهوى ويعشق الكسيوس ابن أخ مانويل دون الالتفات إلى الخطر المحدق بالإمبراطورية، ولاريب في أن غرامياتها، وكونها أجنبية كل ذلك جعل البيزنطيين ينظرون إليها نظرة عدا<sup>(٢)</sup> كانت متأصلة في نفوسهم ضد كل من هو غير بيزنطي، ومن بعد ذلك تمكن أندرونيكوس الأول ابن عم مانويل من انتزاع المنصب الامبراطوري من الكسيوس الثاني وأمه عام ١١٨٣<sup>(٣)</sup>، وكان متقدماً في السن ولم يستطع القيام بدور بارز في حكم الإمبراطورية.

ذلك أمر السياسة وجدلها المعارك وغبارها ومع ذلك؛ فمن الإنصاف أن نذكر أن هناك بعض الإنجازات الحضارية لأسرة كومنين في التاريخ البيزنطي<sup>(٤)</sup> ويمكن ملاحظتها من خلال المظاهر الآتية.

١- جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٣٨، أيضاً؛ أسمت غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٤٦ - ص ١٤٧.

٢- جوزيف نسيم، المرجع السابق، ص ٢٣٩.

٣- أندرونيكوس الأول؛ كان قريباً للإمبراطور مانويل الأول وعندما مات مانويل عام ١١٨٠ م كان أندرونيكوس في الستين من عمره بينما ترك مانويل ولده الصغير الكسيوس الثاني تحت وصاية أمه ماريه الأنطاكية، وفيما بعد في عام ١١٨٢ م؛ اتجه إلى القسطنطينية على رأس قواته ونصب نفسه في الوصاية على الصبي ووضع التاج على رأسه في عام ١١٨٣ م، وتمكن من قتل الكسيوس الثاني وكذلك أمه، ويلاحظ أنه حكم خلال المرحلة من ١١٨٣ إلى ١١٨٥ م عنه أنظر:

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 377-379.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 350-356.

Nicol, A Biographical dictionary, p. 7.

حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٣٢ - ص ٢٣٣.

٤- عن الجانب الحضاري في تاريخ أسرة آل كومنين أنظر:



أولاً : ظهر خلال عهد تلك الأسرة عدد من المؤرخين ومن أمثلتهم أنا كومنيننا إبنة الامبراطور الكسيوس كومنين وهي المؤرخة الوحيدة وسط الغالبية الساحقة من المؤرخين البيزنطيين الذكور التي ألقت كتابها الشهير الكسياد Alcxiad<sup>(١١)</sup> ، وقد تناولت فيه أحداث عهد والدها ، والأوضاع الداخلية ، والعلاقات الخارجية حينذاك على مدى المرحلة من ١٠٨٠ إلى ١١١٨م ، ويعد الكتاب المذكور مصدراً تاريخياً لاغنى عنه لمن يتصدى بالكتابة عن تلك المرحلة ، ويلاحظ ، أن المؤرخة المذكورة إنبهت بوالدها ، وقدمت لنا رؤية منحازة له من خلال افتتاحها بكاريزما ذلك الامبراطور الذي كان بالنسبة لها أباً وامبراطوراً في نفس الحين مما ضاعف المشكلة لديها ولدى الباحثين أنفسهم.

ولانغفل كذلك ظهور مؤرخين آخرين حينذاك مثل: نيكيتاس خونيئاتس - Nicetas Choniates<sup>(١٢)</sup> ، ويوستاش السالونيكى Eustathius of The ssalonica<sup>(١٣)</sup> من كبار المؤرخين البيزنطيين.

ثانياً : اهتم آل كومنين بالجانب المعماري سواء في صورة الأديرة أو القصور، حيث شيدوا عدة أديرة مثل دير باتموس Patmos الذي شيده القديس كريستو دولوس

= أبحاث المؤتمر الدولي العشرين للدراسات البيزنطية الذي عقد في ولاية ميتشجان بالولايات المتحدة الأمريكية في ٢١ سبتمبر عام ١٩٩٤م ، وشارك في تحرير أعماله أنا ماري وكار Annemarie Weyl Carr ، وبربارا هيل Barbard Hill ، وشارلزم. براند Charles M. Brand ، وتاليا جوما بترسون Thalín Gouma Peterson ، وسارولتا أ. تاكاس Saroltu A. Takacs وعنوانه : Komnenian Culture .

ونجد بعض أعمال ذلك المؤتمر البالغة (١٠) دراسات منشورة في مجلة (B.F.) في العدد (١٣) ، والصادر في أمستردام بهولندا عام ١٩٩٦م. عن ذلك أنظر:

Car, Hill, Brond, Peterson and Takacs (eds.) "Komnenian Culture" at the 20 th Annual Byzantine Studies Conference , An Arbor, Michegan, on 21 Septembre 1994. (in B.F., vol. XXIII, Amsterdam 1996) .

١- عنها أنظر : المدخل الجيولوجرافي.

٢- عنه أنظر: نفس المدخل .

٣- عنه أنظر : نفس المدخل .

Christodulus<sup>(١)</sup> في عهد الإمبراطور الكسبروس كومنين، كذلك تم تشييد دير بانتو كراتور Pantocrator<sup>(٢)</sup> في عهد الإمبراطور يوحنا كومنين .

ولانغفل كذلك تشييد القصور ومن أمثلتها ، قصر بلنشيرنس Blenchernes الذي وقع على رأس القرن الذهبي وقد وصف بالفخامة والأبهة<sup>(٣)</sup>، ولدينا وصف له من جانب الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي Benjamin of Tudela<sup>(٤)</sup> الذي زار العاصمة البيزنطية في النصف الثاني من القرن ١٢ م، حيث ذكر ما نصه «فيه الأساطير والحيطان الموشاة بالتبر الخالص والنقوش البديعة التي تصور المعارك القديمة والحروب التي خاضها هذا الملك، وفي القصر عرش من خالص الذهب مفصص بالحجار الكريمة يتدلى من أعلاه بما يحاذي هامة الرأس تاج من ذهب معلق بسلاسل من ذهب، مرصع بالجواهر النادرة الثمينة ، ولمع هذه الجواهر ينير القاعة في الفسق ، فيغنيها عن نور المصابيح ، وهناك عدا هذا من التحف ما يقصر عن تفصيله اللسان»<sup>(٥)</sup>؛ والعبارة الأخيرة تحوى إيجازاً يغنى عن التفاصيل .

ولاريب ؛ في أن ذلك الوصف القوي الدلالة والموجز في ذات الحين، يكشف لنا بما لا يدع مجالاً للارتياب عن مدى الشراء الذي كانت عليه تلك الأديرة، فلاعجب إذا ما أدركنا أنه خلال أحداث عام ١٢٠٤م؛ تعرضت لعمليات سلب ونهب ولاريب في أن سالبها أدركوا مدى ما عليه من ثراء عريض.

وبعد ؛ فذلك عرض عن أسرة آل كومنين، وأحداث عصرها سياسياً والإنجازات الحضارية في عصرها، أما الصفحات التالية فتعرض لأسرة أنجيلوس .

١- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٠٣ .

٢- نفسه ، نفس الصفحة . وعن الأديرة انظر: عبد العزيز محمد عبد العزيز، المرأة البيزنطية، ص ٢٠٢ .

٣- عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ٢٠٣ .

٤- عنه أنظر: المدخل البليوغرافى.

٥- بنيامين التطيلي ، الرحلة ، دراسة وتقديم عبد الرحمن الشيخ، المجمع الثقافى بأبوظبى، ط.

٦- ٢٠٠٢م، ص ٢٢١- ٢٢٢ .

وبصفة عامة عن الفن البيزنطى وهو أمر متصل بالعمارة اتصالاً وثيقاً أنظر :

Vikan, " Byzantine Art ", in Aygeliki Laiou and Maguire (eds.) Byzantium Aword Civilization, Dumberton Oaks Research Library, Washington 1992, pp. 81-118 .

Hussey, The Byzantine World, pp. 156-165 .

### ثامناً : أسرة أنجيلوس والاحتلال اللاتيني (١١٨٥ - ١٢٦١م)

نتعرض فى الصفحات التالية؛ لأسرة أنجيلوس التى تولت حكم الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١١٨٥ ، ١٢٠٤م ثم الاحتلال اللاتينى لها حتى عام ١٢٦١م .

وقد تولى الحكم عدد من الأباطرة هم إسحق الثانى ، Issac II ، (١١٨٥ - ١١٩٥م) ، والكسيوس الثالث Alexius III (١١٩٥ - ١٢٠٣م) ، وإسحق الثانى بعد أن عادوا واشترك مع ابنه الكسيوس الرابع Alexius IV (١٢٠٣ - ١٢٠٤م) ، ثم الكسيوس الرابع Alexius IV (١٢٠٤م) وأخيراً الكسيوس الخامس Alexius V (١٢٠٤م) .

مهما يكن من أمر؛ لا يمكن فهم عهد هذه الأسرة على نحو خاص دون إدراك طبيعة العلاقات المتصارعة بين بيزنطة والغرب الأوروبى من خلال تجربة الحروب الصليبية على نحو خاص مع عدم إغفال تراث العداء السابق بين الجانبين، وهو أمر لاحظناه منذ عهد الأسرة الأيسورية حتى أسرة أنجيلوس ذاتها.

والواقع أن الحروب الصليبية جعلت بيزنطة وجهاً لوجه مع الغرب الأوروبى على أرض بلاد الشام القريبة منها، وفيما بعد على الأرض البيزنطية ذاتها !

ولانغفل ؛ أن خلال أحداث الحملة الصليبية الثانية<sup>(١)</sup> ١١٤٧ - ١١٤٩م، وهى التى شارك فيها الملك الفرنسى لويس السابع Louis VII (١١٣٧ - ١١٨٠م) والإمبراطور الألمانى

#### ١ - عن الحملة الصليبية الثانية أنظر:

Bernard of Clairvaux, The Letters of St. Bernard of Clairvaux , Trans. by Bruno Scott

James, institute, of Cistercian Studies, Western Michigan University 1998, p. 274, p. 288 .

William of Tyre, vol . II, pp. 163-194 .

The First and Second Crusades from an Anonymous Syriac Chronicle , ed. and Trans. by

A.S. Tritton and Hamilton Gibb, J.R.A.S., vol 92 , 1933, pp. 298-299 .

Odo of Deul , De Profectione Ludovici VII in Orientem, ed. V. Giuyerick Berry, New York

1948, pp. 7-143 .

ابن القلاسى ، ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٩٨ - ص ٣٠٠ .

كونراد الثالث Conard III ( ١١٣٨-١١٥٢م) وذلك بعد أن تمكن المسلمون عام ١١٤٤م بقيادة الأتابك عماد الدين زنكى من إخضاع إمارة الرها Edessa الصليبية لسيطرتهم<sup>(١)</sup> ، وقد اتضح خلالها مدى ما كنه الغرب الأوربي لبيزنطة بل تؤكد له أن تلك الإمبراطورية تناصبه العداء من خلال اختلاف المصالح السياسية بطبيعة الحال.

---

Berry, " The Second Crusade", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol. I, pp. = 463-512 .

قتيبه الشهابي ، صمود دمشق أمام الحملات الصليبية، ط. دمشق ١٩٩٨م. عبد السلام زيدان ، الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧-١١٤٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة جنوب الوادي عام ٢٠٠٠م، وهي أطروحته بمنازة ، نعيمة محمد إبراهيم، آسيا الصغرى والحروب الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب جامعة القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٧٤ - ص ٢٠٦ ، جيراو ديجورج ، دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية، ت. محمد رفعت عواد، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص ١٥٠ .

وأيضاً هذا الكتاب :

Philips and Hoch (eds.), The Second Crusade, Scope and Consequences, Manchester 2001 .

والكتاب المذكور يحتوى على ( ١٠ ) دراسات عن الحملة الصليبية الثانية، وهي فى الأصل أبحاث أقيمت فى المؤتمر الدولى للعصور الوسطى الذى عقد فى جامعة ليدز Leeds بإنجلترا فى ١٤ يوليو ١٩٩٨م بمناسبة مرور ٨٥٠ عاماً على الهجوم الصليبي على مدينة دمشق فى ١١ يوليو ١١٤٨م ، ويلاحظ أن تلك الذكرى مرت على الباحثين العرب دون الانتباه إليها للأسف الشديد، وهكذا ؛ يهتم الغرب الأوربي بحدث تاريخي وقع على أرضنا ونحن عنه غافلون!

١- عن استرداد المسلمين للرّها أنظر: ابن العديم، بغية الطلب فى تاريخ حلب - القسم الخاص بتراجم السلاجقة ، تحقيق على سويم، الجمعية التاريخية التركية، ط. انقره ١٩٨٦م، ص ٢٧٢ .

ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٧٩ ، Michael le Syrien, Chronique, T.III, p. 260-262 ، عليه الجنزورى ، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٤م، ص ٣١٦-٣١٧ .

Gibb, " Zengi and The Fall of Edessa", in Setton, ed. A History of the Crusades , vol . I, Pennsylvancin 1952 , p. 46f .

وفى الحملة الصليبية الثالثة ١١٨٩-١١٩٢م؛ التى حدثت بعد أن تمكن المسلمون بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي من استرداد بيت المقدس بعد معركة حطين الحاسمة فى ٤ يوليو ١١٨٧م<sup>(١)</sup>. وخلالها ؛ تحالفت الإمبراطورية البيزنطية مع ذلك السلطان الأيوبي المجاهد لمواجهة الحملة الألمانية بقيادة فردريك بارباروسا Frederick Barbarossa (ذو اللحية الحمراء)، ويلاحظ أن العداء بين الجانبين بلغ حد الصدام المسلح بين القوات الألمانية، والبيزنطية، نظراً لموقف بيزنطة المعادى له، وللمشروع الصليبي برمته<sup>(٢)</sup>، وفكر ذلك الامبراطور فى مهاجمة العاصمة البيزنطية غير أنه فيما بعد ؛ غرق فى نهر سالف Saleph من أنهار كيليكيا Cilicia فى آسيا الصغرى Asia Minor ، فتأجل مشروع غزو القسطنطينية إلى حين .

ولدينا وثيقة أوردها المؤرخ بهاء الدين بن شداد مؤرخ سيرة صلاح الدين الأيوبي؛ تكشف لنا عن التحالف الذى نجح ذلك السلطان بدهاء فى إقامته مع إسحق الثانى المجيلوس<sup>(٣)</sup>

١- عن معركة حطين أنظر: ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص ٧٥-٧٩، العماد الأصفهاني ، الفتح القسى فى الفتح القدسى، تحقيق محمد صبيح ، ط. القاهرة ١٩٦٥م، ص ٨١ .

Richaard, " La Bataille de Hattin , Saladin defeat l'Occident , H., T.XLVII, Année 1982 , pp. 104-111, fuller, Decisive battles of Western Europe and their Influences History ; London 1954 p. 427 .

٢- وعن العلاقات بين فردريك بارباروسا وبيزنطة أنظر: Brand, Byzantium Confronts The West 1180-1204 , Cambrige 1968 , pp. 176-188 .

قاسم عبده قاسم وعلى السيد، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسى والعسكرى، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٦١ .

٣- ابن شداد ، المصدر السابق، ص ١٣٢-١٣٣ . وعن علاقة صلاح الدين الأيوبي ببيزنطة خلال الصليبية الثالثة أنظر:

Brand , " Byzantium and Saladin 1185-1192, opponents of the Third Crusade" S. vol XXXVII, 1962 , pp. 167-181 .

على نحو ممكنه من إعاقة تقدم القوات الألمانية وتزويده بالمعلومات - وهي أخطر سلاح - من أجل متابعة تقدمها ، مما عكس حنكة مؤسس الدولة الأيوبية الذي تمكن على العزف على وتر الصراعات البيزنطية - اللاتينية لتحقيق مصالح دولته العليا على نحو يخدم قضية الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين بوجه عام ، وبالتالي استطاع أن يخطو خطوة للأمام متقدمة على السياسة التى اتبعها من قبل نور الدين محمود عندما حاول تحييد بيزنطة - قدر الامكان- على نحو اتضح فى الاتفاق الموقع معها عام ١١٥٩م فى عهد مانويل كومنين .

من زاوية أخرى؛ خلال أحداث تلك الحملة الصليبية ذاتها، تمكن ملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد Richard Lionhearted<sup>(١)</sup> (١١٨٩-١١٩٩م) من الاستيلاء على جزيرة قبرص

---

زبيده عطا ، الشرق الاسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ص ٨٧-١٠٠ ، محمد أحمد محمد، فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط. الرياض ٢٠٠٤م ص ٦٠ ، ابراهيم سعيد فهميم- «حبى دولوزينيان وصلاح الدين الأيوبي بين الحرب والسلام، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٣٨٣ ، حاشيه (٢) ، حسن عبد الوهاب، معالم التاريخ البيزنطى السياسى والحضارى، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، ص ٣٠٢ .

١- عن ريتشارد قلب الأسد أنظر:

= Geoffrey of Vinsauf, Crusade of Richard Coeur de Lion , in Chronicles of The Crusades, London , 1908 .

Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion , Trans. by Hubert, New York 1943 .

Anonymous Chronicle of the Third Crusade, A Translation of I Tenerarium Peregrinorum of Gesta Regis Recard, Trans. by Helen Nicholson, London 1994 .

Richard of Devizes, Crusade of Richard Cour de Lion , in Chronicles of the Crusades , London 1908 .

Richard, The Crusades 1071-1921, Trans. by Jean Birrell, Cambridge 1999, pp. 218-220 .



Cyprus عام ١١٩١ م<sup>(١)</sup>، وكانت من قبل تابعة للأملاك البيزنطية ؛ على نحو كشف عن حجم المطامع اللاتينية في أملاك تلك الإمبراطورية وكأنها خطوات مرحلية يتخذها الغرب الأوروبي بدأت من الأطراف إلى أن يتمكن في نهاية المطاف من الإنقضاض على القلب البيزنطي.

على أية حال؛ ارتبطت الحملة الصليبية الرابعة بالبابا أنوست الثالث Innocent III (١١٩٨-١٢١٦م). ويلاحظ هنا، أنه لم يكن يهدف إلا إلى توحيد الكنائس الشرقية وخاصة كنيسة القسطنطينية وإخضاعها لسيطرة كنيسة روما، يلاحظ أن قلة من القيادات الأوروبية استجابت له في صورة ثيبوت كونت شامبني Thibault of Champagne ثم بلدوين الفلاندرزي Baldwin of Flanders وغيرهما .

وجدير بالذكر ؛ أن الشخصية ذات الدور الفعال في أحداث الصليبية الرابعة تمثلت في السياسي الداهية المخضرم الدوج هنري داندلو Henry Dandolo<sup>(٢)</sup> دوق البندقية Venice وكان يحركه ثأر شخصي جامع ضد الإمبراطورية البيزنطية بعد أن فقد بصره من جراء الخلاف مع البيزنطيين من قبل .

= نظير حسان سعداوي ، تاريخ المجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطى، ط. القاهرة ١٩٦٨م، ص٩٢- ص٩٣ زينب عبد القوى، الإنجليز والحروب الصليبية في الفترة من ١١٨٩-١٢٩١ ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص١٢٢-١٣٧ ، محمد دسوقي محمد حسن، العلاقات السياسية الفرنسية الإنجليزية وأثرها على الحروب الصليبية في المشرق والمغرب الإسلاميين ١١٣٧- / ١٢٢٣ ٥٣١-٦٢٠ هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية فرع دمهور عام ٢٠٠١م، ص١٨٤-٢١٦ .

١- Edbury, The kingdom of Cyprus and The Crusades, 1191-1374, Cambridge 1981, p. 7 .

عاطف مرقص، قبرص والحروب الصليبية في القرنين ١٢ ، ١٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩١م، ص٩٧ ، جيمس رستون (الابن) ، مقاتلون في سبيل الله صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة، ت. رضوان السيد، ط. الرياض ٢٠٠٢م، ص٢١٥-٢١٦ .

٢- حسنين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٥٠ .

على أية حال ؛ توفي ثيبوت كونت شامبني عام ١٢٠١م، فتولى الأمر من بعده بونيفاس المونتفرتي Boniface Of Montferrat<sup>(١)</sup>، ووصلت الحملة إلى البندقية ، ولم يتمكن الصليبيون من دفع المبلغ الذي طلبه من البنادقة من أجل إستغلال سفنهم لنقل المشاركين في الحملة إلى هدفها ، وقد تم الاتفاق على نصيحة داندلو ومقتضاها أن يتم تأجيل دفع المال حتى يساعد الصليبيون البنادقة على إسترداد مدينة زارا Zara الهنغارية في دلماشيا (من قبل يوغوسلافيا) التي كانت مركزاً تجارياً كبيراً، وكانت تخص المجر التي دخلت في صراع مرير مع البندقية ليس في نطاق الأديباتيك فقط؛ بل أيضاً خارجه ، وقد حرصت من جانب الصليبيين ودمرت<sup>(٢)</sup>، وتم نقل أهلها عام ١٢٠٢م، مما عكس أن تلك الحملة الصليبية صارت تستهدف مدناً مسيحية .

بصفة عامة؛ يقال أن هدف تلك الحملة الصليبية كان صوب مصر ، إلا أن سفراء البندقية عقدوا إتفاقية في عهد السلطان العادل أبوبكر الأيوبي عام ١٢٠٢م<sup>(٣)</sup> ، بمقتضاها منحهم

---

١- عنه وعن انتخابه أنظر:

Villeharduin, The Conquest of Constantinople , in Chronicles of the Crusades , Trans. by M.R.B. Shaw, Penguin Book, London 1963 , p. 38 .

queller, The Fourth Crusade, The Conquest of Constantinople 1201-1204 , Leicerted 1978 , pp. 19-35 .

Nicol, Byzantium and Venice , A study in Diplomatic and Cultural relations, Cambridge 1995 , p. 129 .

Norwich Byzantium, The decline and Fall, pp. 168-170 .

Villehardouin, Op. cit., pp. 46-49 .

-٢-

ونلاحظ أن مدينة زارا بعد تلك الأحداث ؛ لم يبق فيها حجر يساند حجراً آخر، أنظر:

إسحق عبيد، روما وبيزنطة، ص ٣٢٥-٣٢٦ .

٣- فايد حماد عاشور . العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي، ط. الاسكندرية ١٩٨٠م، ص ١٨٠ ، وعن العادل أنظر، محمود الحويري، العادل الأيوبي صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية، ط. القاهرة ١٩٨٠م.

السلطان عدداً من الفنادق فى الاسكندرية بالإضافة إلى بعض الامتيازات التجارية ، وأمام الإغراء المادى؛ سال لعاب البنادقة وتعهدوا بعدم توجيه أية حملة صليبية صوب مصر .

ولانغفل هنا؛ الإشارة إلى أن البندقية نقت على بيزنطة قيام الإمبراطور الكسيوس الثالث Alexius III بحرمانها من عدة امتيازات تجارية، وفى المقابل؛ قام بتقديم امتيازات للبيازنة الذين نافسوا البنادقة منافسة شديدة<sup>(١)</sup> ، وكان البنادقة يتحرقون شوقاً للثأر من بيزنطة مقابل ما حدث عام ١١٨٢م عندما تم إحراق الحى البندقى فى القسطنطينية<sup>(٢)</sup>، كما أسلفت الذكر من قبل .

على أية حال ؛ قدم البيزنطيون بصراعمهم الأحق على العرش الامبراطورى الفرصة الذهبية للبنادقة للثأر منهم وكان ذلك بمثابة الخطأ الفتاك الذى وقعوا فيه ، وكان الكسيوس الثالث قد تولى العرش باحدى الطرق المعتادة ، والتقليدية فى التاريخ البيزنطى؛ أى القيام بالثورة على أخيه إسحق الثانى، وزج به وبابنه الكسيوس الرابع فى غياهب السجن إلا أن الأخير فر من سجنه وطلب مساعدة الغرب الأوروبى لإعادته إلى العرش، والتخلص من الكسيوس الثالث وتعهد بأن يدفع للصليبيين المبلغ الذى كان ديناً للبنادقة للأخيرين واستغل الدوق داندلو كل ذلك ، وتوجه الصليبيون إلى العاصمة البيزنطية، وبالفعل تمكنوا من دخولها عام ١٢٠٣م، واسترد إسحق الثانى أنجيلوس العرش وتم تتويج ابنه الكسيوس الرابع مساعداً للإمبراطور، ويلاحظ أن الكسيوس الرابع<sup>(٢)</sup> هذا لم يتمكن من الايفاء بالوعد وتقديم الأموال المطلوبة للبنادقة؛ مما أدى إلى تأزم الموقف.

١- حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٥٣ .

عن ذلك أنظر:

حاتم الطحاوى ، بيزنطة والمدن الإيطالية ، ص ١٠٦ ، عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص ٢٠٧ .

Kaplan, Le Sac de Vonstantinople, p. 114 .

أنظر أيضاً عن البنادقة والحى البندقى فى العاصمة البيزنطية فى أواخر القرن ١٢م.

Brown, " The Venetians and Venetian quarter in Constantiuople in Close of the Twelfth Century " , J.H.S., vol . XL , 1920, pp. 68-88 .

٢- الكسيوس الرابع حكم خلال الفترة ما بين ١٢٠٣ - ١٢٠٤م وهو ابن الامبراطور اسحق الثانى الذى =

جدير بالذكر؛ قامت ثورة في العاصمة البيزنطية أطاحت بإسحاق الثاني ، والكسيوس الرابع وقتلا بعد أن اتهمتهما الجماهير الغاضبة بالخيانة، وممالة أعداء الإمبراطورية وتولى العرش الكسيوس الخامس Alexius V الذي وقف موقفاً مضاداً من الصليبيين وأيد الاتجاه الشعبي الكاره لهم، وأمام ذلك التطور ، وأمام ذلك التطور : إتجه الصليبيون إلى إسقاط القسطنطينية في ١٣ أبريل عام ١٢٠٤م<sup>(١)</sup>.

= أودع السجن بعد الانقلاب الذي قاده عمه الكسيوس الثالث عام ١٠٩٥م، وقد مات مشنوقاً عام ١٢٠٤م ، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary , p. 3-4 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 440, p. 449 .

Ostrogorsky , History of The Byzantine State, p. 368-370 .

Diehl , History of the Byzantine Empire, pp. 135-136 .

١- عن سقوط القسطنطينية أنظر:

Robert Clari, The Conquest of Constantinople , Trans. by E. H. Mc Neel, New York 1936 .

Villeharduin, The Conquest of Constantinople , in Joinville and Villeharduin, Chronicles of the Crusades , Trans. by M.R.B., Shaw, Penguin Book 1963 .

وأنظر الترجمة العربية من جانب العلامة حسن حبشي : نظرا لتعليقاته الثرية عن ذلك أنظر: المدخل الجيولوجرافي .

The Register of Innocent III, in Contemporary Sources for The fourth crusade , ed. by Alfred J. Andrea and Brette E. Whalen. Leiden 2000, pp. 7-176 .

The Anonymous of Soissons . in Contemporary Sources, pp. 223-238 .

Count Hugh of Saint pol's Report to the West , in Contemporary Sources, pp. 177-202 .

Ralph of Coggeshall, Chronicle, in Contemporary Sources , pp. 277-290 .

Alberic of Trois Fontaines, Chronicle , in Contemporary Sources , pp. 291-310 .

Anonymous , The Devastatio Constantinopoli tana, in Contemporary Sources , pp. 205-222 .

Bartlett, An Ungodly war , The Sack of Constantinople and the Fourth Crusade, Gloucestershire 2000, pp. 142-152 .

على أية حال؛ لا بد لنا من التوقف هنا؛ من أجل رصد سلوك الصليبيين في العاصمة الإمبراطورية التي ظلت منذ عام ٣٣٠ إلى ١٢٠٤م تتعالى على غزاتها، وتتفاخر بحصانيتها الطبيعية، والصناعية التي غدت مضرب الأمثال، ويلاحظ هنا؛ أنها احتوت على تحف ونفائس رائعة<sup>(١)</sup> كانت تليق بالفعل بعاصمة إمبراطورية عتيقة، وعريقة، ولاشك في أنها حينذاك كانت بمثابة متحف ضخم للتحف الفنية عابر للقرون، خاصة أنها كانت ذات ثقل بارز في التجارة الدولية في نطاق البحر الأسود، والبحر المتوسط، والعلاقات التجارية فيما بين آسيا، وأوروبا، وأفريقيا، ويمكن إيجاز سلوك الصليبيين على النحو التالي:

أولاً: تعرضت المدينة إلى السلب والنهب بصورة لم تحدث على مدى تاريخها، حتى أن الجياد الأربعة التي كانت تزين ميدان السباق في العاصمة البيزنطية قام الدوق هنري داندلو بحملها إلى البندقية<sup>(٢)</sup> وهي موجودة إلى يومنا هذا تزين واجهة كاتدرائية القديس مارك St. Mark في البندقية، دليلاً على واحدة من أكبر عمليات السلب، والنهب على مدى العصور الوسطى، ولا تغفل هنا الإشارة إلى أن عدة تحف، ونفائس بيزنطية بيعت في أسواق حلب ودمشق، وبغداد، والقاهرة، بما عكس ضخامة الغنيمة كذلك وأرباح اللصوص الذين استولوا عليها وباعوها في أسواق مدن كبرى خارج بيزنطة.

١- شارلز أومان، الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٢٥-٢٢٦.

وعن أحداث الصليبية الرابعة بصفة عامة أنظر:

Gunther of Paris, in Allen and Ant (eds.) The Crusades Areader, Toronto 2003, pp.

236-238.

محمد مجدى حسن عيد الفتاح، الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية ١٢٠٤م / ٦٠٠هـ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة المنيا ١٩٨٨م.

Harris, Byzantium and the Crusades, London 2003, pp. 145-162.

٢- حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٥٧.

أنظر أيضاً: Mayer, The Crusades, p. 191.

كذلك تم نهب قبور الأباطرة البيزنطيين المدفونين في القسطنطينية، وقام الصليبيون بسرقة ما فيها من مذهبات وجواهر، أنظر: عصام محمد شبارو، السلاطين في الشرق العربي، معالم دورهم السياسى والحضارى، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ١٧٦.

ثانياً: قتل عدد من البيزنطيين، كما تم إغتصاب الراهبات فى الأديرة<sup>(١)</sup>؛ مما عكس أن الصليبيين تجردوا من أية مشاعر إنسانية، على نحو جعلهم يفعلون ذلك مع المنقطعات للعبادة من الفتيات البيزنطيات المسيحيات !!!

ثالثاً: أحضر الغزاة الذين لعبت الخمر برؤوسهم إحدى العاهرات كى ترقص أمام مذبح كنيسة أيا صوفيا التى عدت مفخرة العمارة والفن البيزنطى والتى شيدت منذ ما زاد على ستة قرون، وقامت بإنشاد الأغاني البذيئة، وجلست على العرش البطريركى<sup>(٢)</sup>، وقام الغزاة باحتساء الخمر، إحتفالاً بسقوط مدينة قسطنطين فلاعجب، والأمر كذلك: أن قام المؤرخ المعاصر نيكيتاس خونيئاتس Nicetas Choniates الذى شاهد تلك الأحداث المروعة رؤية عينية ولم يكن يصدق ما يحدث أمام ناظرية من بشاعته قام برثاء القسطنطينية قائلاً:

«أيتها المدينة! يا حديث العالم، يا منار الأرض، يا حامية الكنائس، ويا سيدة الإيمان! يا قلعة العلم! لقد تجرعتى كأس غضب الله حتى الشمال!، ولقد حاق بك آتون أكثر بشاعة من ذلك الذى أصاب قديماً المدن الخمس»<sup>(٣)</sup>، وهكذا جاءت عبارات ذلك المؤرخ المؤثرة لتدل على أنه وهو يكتبها كان يرثى نفسه أولاً قبل أن يرثى مدينته الأثيرة إلى نفسه !! . ولا تغفل هنا الإشارة إلى استمرار ذلك السلوك نفسه المتبربر ثلاثة أيام<sup>(٤)</sup>، وقد قمنى

١- محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٢٦٧ .

٢- إسحق عبيد، روما وبيزنطة، ص ٣٤٣ . وعن نهب وسلب الصليبيين للقسطنطينية أنظر: برنادين كلى، فتح القسطنطينية، ت. شكرى محمود نديم، ط. بغداد ١٩٦٢م، ص ٦١ .

٣- Nicetas Choniates, p. 314 .

Ebeid, " Was Pope Innocent III an accomplice in the diversion of the Fourth Crusade 1204 ", E.H.R., vol XV , Cairo 1969, p. 19 .

وقد أفدت من الأسلوب الأدبى الراقى للأستاذ الدكتور إسحق عبيد.

Madden, Aconcise History of the Crusades, London 1999, p. 104 .

محمد مؤنس عوض، سندهاد فى عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٥٣ .

٢- قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، الأيدولوجية، الدوافع، النتائج، ط. الكويت،

١٩٩٣م، ص ١٤٨ .



ذلك المؤرخ أن تسقط مدينته على أيدي المسلمين وليس على أيدي برايرة الغرب الأوربي<sup>(١)</sup> ؛ نظراً لأنهم ما كانوا يفعلوا بها ما فعله اللاتين ؛ مما عكس إدراكه الكامل للفارق الحضارى بين الجانبين .

واقع الأمر ؛ من الممكن المقارنة بين غزو القسطنطينية عام ١٢٠٤م وحادثة محورية سابقة عليها فى صورة غزو بيت المقدس على أيدي الصليبيين أيضاً عام ١٠٩٩م، فيلاحظ ؛ أن العام الأخير شهد مذبحة مروعة للمسلمين فى المدينة المقدسة اعترفت بها المصادر الصليبية ذاتها مثل مؤرخ الجستا Gesta المجهول ، وفوشيه الشارترى Fulcher of Chartres ، ووليم الصورى William of Tyre<sup>(٢)</sup> نفسه وقد بلغ عدد القتلى عشرات الآلاف وإن لم يصاحب تلك الأحداث الدموية عمليات سلب ونهب كبير، نظراً لفقر تلك المدينة بصفة عامة، أما فى عام ١٢٠٤م، فالهدف لم يكن مدينة مقدسة بل عاصمة إمبراطورية، وصاحب غزوها سلب ونهب واسع النطاق، نظراً لثرائها العريض، كما أن الفارق الجوهرى بين عامى ١٠٩٩م، ١٢٠٤م، أن العام الأول هاجم فيه الصليبيون مدينة إسلامية أما العام الثانى فقد هاجموا فيه مدينة مسيحية<sup>(٣)</sup> ؛ مما عكس أن المشروع الصليبي أشبه بأخطبوط بأذرع متعددة يهدف إلى تحقيق مطامعه دون اعتبارات دينية ، وتتفق الحادثتان من خلال تعبيرهما عن الوجه الدموى القبيح للحركة الصليبية ذات الطابع المتعصب حتى مع أبناء المسيحية ذاتها .

١- حستين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٥٦ ، أسمت غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٥٨ .

وعن استيلاء الصليبيين عن العاصمة البيزنطية أنظر:

ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية للإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية ١٢٠٤-١٢٦١م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٨٠م، ص ٣٣- ٣٤ ، وهى دراسة علمية فريدة لمؤرخة قديرة .

٢- أنظر ما سبق ذكره من قبل.

٣- عن أصول وتطور الحملات الصليبية ضد المسيحيين أنظر هذه الدراسة المتخصصة :

Housely , " Crusades against Christians: Their Origin and Early development 1000-1216 ", Crusade and Settlement ed. by Peter W. Edbury, Cardiff 1982, pp. 17-36 .

وبلاحظ أن المؤرخ البارز نورمان هاوسلى تخصص فى أمر الصليبيات المتأخرة.

مهما يكن من أمر؛ تم إقامة حكم لاتيني في القسطنطينية وتم انتخاب بلدوين الفلاندرزى إمبراطوراً، كذلك تم تنصيب بطريك جديد في صورة توماس موروسيني - Thomas Morosi<sup>(١)</sup>، أما الغنائم؛ فقد تم تقسيمها على كبار المشاركين في تلك الأحداث، وعلى ذلك حصل بلدوين الفلاندرزى على جنوبى تراقيا، وخمسة أثمان العاصمة البيزنطية، وبعض جزر بحر ايجه مثل ساموس، وخبوس، ولسبوس، أما قائد الحملة يونيفاس؛ فقد نال سالونيك، ونجد أن نصيب الأسد حصلت عليه البندقية، ولا أدل على ذلك من استعراض حجم المناطق التى سيطرت عليها، وهى كالاتى:

- ١- ابيروس، واكارنانيا، وإيتوليا، مع مدن دورازو وارتا، وغيرها<sup>(٢)</sup>.
- ٢- الجزر الأيونية، وعلى نحو خاص كورفو، وكيفالونيا، وسانت مور، وزانتى.
- ٣- البليبونيز فى صورة مدن بتراس، وكالفريتا، واستروثا، ومودون، ولاكيدومنيا<sup>(٣)</sup>.

---

١- حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٥٧-٢٥٨.

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢١١.

أنظر وصفه لدى: ليلى عبد الجواد، «الباوية والإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية (١٢٠٤-١٢٦١م)»، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) تكريماً للأستاذ الدكتور / إسحق عبيد، تحرير محمد مؤنس عوض، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٤٣، حاشية (٢٠).

- ٢- هايد، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ج ١، ص ٢٧٧، حيث يقدم تفصيلات مهمة عن توزيع المغانم والأسلاب البيزنطية، وأنظر كذلك الملحق الخاص بما سيطرت عليه البندقية.
- ٣- عن ذلك بالتفصيل أنظر هذه الدراسة المتميزة.

Lock, The Franks in the Aegean, 1204-1500, London 1995, pp. 35-66, pp. 68-104.

ويلاحظ اعتماد هذه الدراسة القيمة على حولية المورة: The Chronicle of Morea.

عنها أنظر المدخل الجيولوجرافى.

وفى هذا الشأن أنظر:

Longnon, "The Frankish in Greece (1204-1311)", in Setton (ed.) A History of the Crusades, vol. II, Wisconsin 1989, pp. 235-274.

Topping, "The Morea 1374-1470", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol. II, Wisconsin 1989, pp. 141-166.

٤- جزر جنوبى وغربى بحر ايجه، ومنها ناكسس وأندروس وجزيرة يوبيه، خاصة مدينتى اوربوس وكارستوس .

٥- مجموعة من المدن متراصة على طول الشاطئ الأوروبى لمضيق الدردنيل، وبحر مرمرة أهمها جاليبولى، ورودستو، وهيراقليا .

٦- بعض مدن داخل تراقيا أكبرها أندرينوبل بالإضافة إلى جزيرة كريت (١) .

ويقرر العلامة هايد Heyd فى دراسته القديمة الجديدة عن تاريخ التجارة فى العصور الوسطى ؛ أن أغلب تلك المناطق كانت خصبة وتصل إليها السفن على نحو ميسر، وكلها على نحو تقريبي ، وقعت على الطريق البحرى الكبير الذى يصل البندقية بالقسطنطينية .

وقد يتساءل البعض عن موقف البابوية من كافة تلك الأحداث ، وفى الواقع أنها ماثلة فى أنوسنت الثالث Innocent III (١١٩٨-١٢١٦م) كانت تدرك إدراكًا يقينياً أن الصليبية الرابعة استهدفت الهجوم على القسطنطينية كما أنه تواطأ فى إدانة اتجاه الصليبيين نحو مدينة زارا Zara الهنغارية العاصمة البيزنطية ، وبذلك يكون قد سمح لقادة تلك الحملة الصليبية بالاتجاه قدماً فى مخططاتهم العدوانية (٢) .

= ممدوح مغازى ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى إمارة المورة الصليبية فى عهد أسرة فيلهاردوين ١٢٠٥-١٣١٠م، رسالة غير منشورة، كلية الآداب - جامعة طنطا، عام ٢٠٠٠م.

١- هايد، تاريخ التجارة، ص ٢٧٨ .

٢- أفضل دراسة كشفت النقاب عن تواطؤ البابوية فى أحداث الصليبية الرابعة أعدها أ.د. اسحق عبيد ، انظر : روما وبيزنطة ، ط. القاهرة ١٩٧٠م وأيضاً:

Ebeid, " Was Pope Innocent III an accomplice in The diversion of the Fourth Crusade 1204" E.H.R., vol . XV , 1969, pp. 2-19 .

إنوسنت الثالث، هو البابا الذى تولى منصبه خلال المرحلة من ٨ يناير ١١٩٨م إلى ١٦ يوليو ١٢١٦م خلفاً للبابا كلستين الثالث Clestin III (١١٩١-١١٩٨م) ، وهو فى الأصل من لوتاريو Lotario، ولد حوالى عام ١١٦٠م ودرس اللاهوت فى باريس والقانون الكنسى فى بولونيا ، وصار كردينالا عام ١١٩٠م، وقد ألف عدة مؤلفات ، وأظهر مهارة إدارية ، ومن أعماله الدعوة إلى شن حملة صليبية ضد العناصر الألبيجنسية فى جنوبى فرنسا، كما يذكر له عقده لمجمع كنسى فى نوفمبر عام ١٢١٥م وهو ما عرف بمجمع =

من ناحية أخرى؛ من الممكن إدراك كارثة ما حدث للعاصمة البيزنطية عام ١٢٠٤م؛ إذا ما قارناه بما حدث لبغداد فيما بعد بأربعة وخمسين عامًا وتحديدًا عام ١٢٥٨م، في نفس القرن الثالث عشر على أيدي المغول<sup>(١)</sup>؛ إذ أن السلوك المتبرير هو نفسه وإن اختلفت وجوه القائمين به، إذ الأمر المؤكد أن ما حدث في المدينتين والأول عاصمة إمبراطورية عريقة، والثانية عاصمة الخلافة العباسية التي عُدت مدينة عالمية إزدهر فيها العلم، والتجارة وقد دفعت

---

= اللاتيران الرابع The Fourth Lateran Council وهناك من يقرر أنه من أكبر المجامع في أوروبا العصور الوسطى، عن البابا انوسنت الثالث انظر بالتفصيل :

Roger of Wendover, The Chronicle of Roger of Wendover, in Peters , Christian Society and the Crusades 1198-1229 , Sources in Translation including The Capture of Damietta by Oliver of Padenborn, Pennsylvania 1971, pp. 37-40 .

Binns, Innocent III, London 1931 , Luchaire, Innocent III, 6 vols., Paris 1905- 1908 .

وهي أشمل وأوسع دراسة بالفرنسية في موضوعها .

Roscher , Papst Innocenz III und die Kreuzzuge, Gottingen 1969, Kelly , Oxford dictionary of Popes, pp. 186-188 .

١- عن ذلك أنظر:

ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٤٨-٥٣، بيبرس الدردارى، زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة، تحقيق زبيدة عطا، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ج ٩، ص ٦٤-٦٧، ابن أبيك الدوادارى، الدرر الذكية في الدولة التركية، تحقيق أولرخ هارمان، ط. القاهرة ١٩٧١م، ص ٣٤-٣٧، ابن الوردي، تنمة المختصر في أخبار البشر، ط. النجف ١٩٦٩م، ج ٢، ص ٢٧-٢٨٠، السيد الباز العرينى، المغول، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ٢١٦-٢٨٠، فؤاد عبد المعطى الصياد، المغول في التاريخ، ط. بيروت ١٩٨٠م، ص ٢٤٩-٢٨٦، مصطفى طه بدر، محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٥٦-١٨٦، محمد نصر مهنّا، الإسلام في آسيا من الغزو المغولى دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والاقليمية، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م، ص ٣١-٣٥، أحمد مختار العبادى، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ١٤٧-١٤٩، سيد أمير على، مختصر تاريخ العرب، ت. عفيفى البعلبكي، ط. بيروت ١٩٩٠م، ص ٣٤٦.

الكتب، والتحف والنفائس - وهى ميراث حضارى لا يقدر بثمن وملك للإنسانية جمعاء الثمن فادحاً فى كل من العاصمتين الأوروبية والآسيوية. والفارق الزمنى بينهما لا يتجاوز ٥٤ عاماً فقط من عمر الزمان، وبالتالي يكون القرن المذكور . قد شهد أكبر حادثتى سلب ونهب ، وتدمير فى تاريخ كل من البيزنطيين والعباسيين الذين كثيراً ما تصارعوا فى حروب متعددة خاصة خلال العصر العباسى الأول والآن اتفقوا فى المصير المأساوى الواحد ! وتلك من مفارقات التاريخ التى تدعو المرء للتأمل بإمعان .

ويقرر رنسيمن - وهو الذى وصف الحروب الصليبية بأنها آخر الغزوات المتبريرة Last of the Barbarian Invasions<sup>(١)</sup> وما كانت تلك العبارة الفريدة الصادرة من مؤرخ بيطانى مسيحى إلا تعقيباً على الصليبية الرابعة- يقرر تعقيباً على آثار تلك الصليبية : « من العسير علينا المبالغة فى الأثر الذى أحدثه نهب القسطنطينية فى الحضارة الأوربية، فإن كنوز المدينة، والكتب، والآثار الغنية التى احتفظ بها منذ دهور سحيقة قد بددت جميعاً، ودمر معظمها ، ثم إن الإمبراطورية تلك الحصن العظيم المنيع لعالم المسيحية قد قصمت كدولة كما أن تنظيمها الشديد المركزية دمر وقضى عليه، واضطرت الولايات، والمقاطعات إلى التحول عن الدولة؛ لتنقذ نفسها، وكانت ثمرة جريمة الصليبيين تمهيد السبيل، وتسهيل الأمر أمام الفتح العثمانى »<sup>(٢)</sup>، وهكذا ؛ أوجز ذلك المؤرخ حجة الدراسات البيزنطية فأوعى ! ومن المفترض أنه لو لم يكن مؤرخاً بيزنطياً ما أدرك فداحة ما حدث ، وما وصف الصليبيين ذلك الوصف « التاريخى » الذى لم نسمعه من مؤرخ غربى مسيحى آخر .

١- Runciman , A History of the Crusades, vol . I, The Prefare.

جدير بالذكر أن العلامة أ.د. إسحق عبيد وصف الحركة الصليبية وصفاً ذكر ما نصه : « تمثل الحروب الصليبية نقطة سوداء فى تاريخ العلاقات بين الغرب الأوروبى المسيحى والشرق الإسلامى فى العصور الوسطى ، فلقد هاجم مفلسو القلاع الإقطاعية ، وقطاع الطرق وأرباب السجون، والقتلة، بل ونفر من بنات الهوى من كل لجوج أوروبا الفرنجية شعوب الشرق الأدنى الآمنين للنهب، والسلب، والتدمير، والقتل وذلك بتحريض من البابا أوربان الثانى سنة ١٠٩٥م»، أنظر:

ريمون استانبولى، مفاتيح أورشليم القدس، حملتان صليبيتان على مصر (١٢٠٠-١٢٥٠) ، ت عايدة الباجورى، مراجعة وتقديم إسحق عبيد، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٩، من مقدمة المراجع والمقدم.

وهى شهادة موضوعية تذكر لذلك المؤرخ الكبير .

Runciman , Byzantine Civilization, p. 46 .

تأتى الآن إلى زاوية مشيرة للجدل فى صورة مسئولية توجه الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية .

والواقع أنه وفقاً لما قرره مؤرخ متخصص فى العلاقات اللاتينية البيزنطية فإنه حتى عام ١٨٦٠م؛ إعتقد كثير من المؤرخين فى صحته أورده المؤرخ فيلهاردوين الذى ذكر أن «إنحراف» الحملة إلى القسطنطينية كان من قبيل المصادفة ، وهكذا ؛ لم يشر إلى أية خطة متعمدة فى هذا الشأن، غير أنه فى عام ١٨٦١م ، إتهم المؤرخ ماس لاتير Mass- Laterie البندقية بعقدتها لإتفاق سرى مع الأيوبيين مما جعلها تضغط على الصليبيين لتوجيه مسار الحملة صوب العاصمة البيزنطية<sup>(١)</sup>، ومن بعد ذلك أقر المؤرخ الألمانى كارل هوف Karl hoph بأن الإتفاق المذكور وقع بالفعل وحدده زمنياً بيوم ١٣ مايو عام ١٢٠٢م<sup>(٢)</sup>.

مهما يكن من أمر؛ قام المؤرخ الفرنسى هانوتو Hanotaur فى عام ١٨٨٧م ؛ برفض ما ذهب إليه المؤرخان السابقان ولم يؤيد فكرة الإتفاق السرى، بل رأى أن البندقية تصرفت خلال الأحداث من خلال مصلحتها الاقتصادية العليا التى كانت تقتضى إسقاط تلك العاصمة المنافسة<sup>(٣)</sup> .

وفيما بعد من خلال أطروحة الدكتوراه التى أعدها أ.د. إسحق عبيد بإشراف المؤرخ الإنجليزى الشهير برنارد هاملتون Bernard Hamilton من جامعة نوتنجهام Nottingham عن العلاقة بين روما وبيزنطة من طبيعة فوشيدس حتى الغزو اللاتينى لمدينة قسطنطين ١٢٠٤م<sup>(٤)</sup>، تأكد للدارسين أن تحول مسار الحملة الرابعة لم يكن من خلال الصدفة ، بل نتج

١- عادل زيتون، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٣٠١ .

وقد أيد ذلك الاتجاه كل من جمال الدين الشيال ومحمود الحورى أنظر: جمال الدين الشيال ، تاريخ مصر الإسلامية، ج ١، العصران الأيوبي والملوكى، ط. الاسكندرية ١٩٦٧م، ص ٩٩ .

محمود الحورى، العادل الأيوبي، ص ٨٣ .

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- نفسه، ص ٣٠١- ص ٣٠٢ .

٢- ناقش الرسالة المذكورة كل من المؤرخين البارزين السير ستيفن رنسيما Sir Steven Runcima

وجوان هسى Joan Hussy ، ووصفت بأنها مصححة Corrective لتصورات المؤرخين السابقين عليها .



عن خطة مسبقة مدبرة (١)، كما أن البابا أنوسنت الثالث يحتل جانباً من المسؤولية، وفي إحدى رسائله إلى رئيس أساقفة مدينة تور Tours ذكر البابا مبلغ سعادته بإذلال كنيسة القسطنطينية والقضاء على عجرفة البيزنطيين، ويعلق ذلك المؤرخ قائلاً : « على ضوء الوثائق سالفة الذكر؛ يتضح موقف البابا أنوسنت الثالث تجاه غزو القسطنطينية دون لبس أو غموض، وليس من باب الصدقة أن نجد كثيراً من المعاني التي وردت في هذه الرسائل مطابقة تماماً لما كان البابا ذاته قد كتب إلى السلطات البيزنطية في عام ١١٩٨م حينما كان يهددها باتخاذ إجراءات عنيفة لإخضاع كنيسة القسطنطينية المنشقة ».

من جهة أخرى؛ لا تغفل أن أحداث التاريخ تحدث من خلال دوافع متعددة وجزئية المصادفة ليس من الممكن تصورها في حالة تلك الحملة، وفي تقديري أنه في حالة افتراض المصادفة - وهو أمر مرفوض أصلاً، ما تم تنفيذ مخططات البابوية يمثل ذلك الاحكام. ويعلق البعض على ذلك بقوله : « نجحت القوى الإيطالية في حل المسألة البيزنطية عن طريق احتلالها بعد محاولات تمتد أكثر من قرن إلى الوراء ، محاولات بدأها روبرت جويسكارد عام ١٠٨١ - ١٠٨٥م وابنه بوهيمند عام ١١٠٧ - ١١٠٨م وروجر الثاني عام ١١٤٧ - ١١٥٠م ووليام الثاني عام ١١٨٥م » (٢)، من الممكن التقرير بأن مسئولية سقوط العاصمة البيزنطية موزعة بين البيزنطيين أنفسهم والبابا أنوسنت الثالث، والبنادقة ، وقد يتصور البعض أن البيزنطيين هم الضحية في كافة تلك الأحداث التي وقعت على أرض إمبراطوريتهم غير أن الواقع التاريخي يؤكد أن بيزنطة سقطت من الداخل قبل أن تسقط من الخارج وهي في ذلك ، تتشابه مع روما التي سقطت على أيدي الجرمان من قبل القسطنطينية ، بما زاد على السبعة قرون وتحديدًا عام ٤٧٦م (٣)، ولا تغفل أن الصراع على المنصب الإمبراطوري الذي سمح بالتدخل الأجنبي ؛

١- وفي ذلك يقول ما نصه : « إن الغزو الصليبي لبيزنطة سنة ١٢٠٤ لم يكن وليد «إنحراف» أو «صدفة» كما يذهب الكثيرون، ولذا كان لزاماً على الكاتب الرجوع إلى جذور المشكلة من عام ٨٦٩، عام القطيعة الدينية بين روما القديمة وروما الجديدة، ولذلك لتقصي الحقائق الكافية وراء هذا الصراع الذي إنتهى بسقوط مدينة قسطنطين العظيم سنة ١٢٠٤ في أيدي جنود البابا أنوسنت الثالث، أنظر: إسحق عبيد، روما وبيزنطة، التمهيد.

٢- عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٣٠٠ .

٣- أنظر ما تم إيراد من قبل.

مثل فرصة ذهبية أمام الغرب الأوروبي أحسن استغلالها ؛ من أجل توجيه ضربة قاضية لبيزنطة ، ثم أن الضعف العام لتلك الإمبراطورية شجع أعدائها على الإنقضاض عليها في غير هواة.

إن الإمبراطورية التي استدعت الغرب الأوروبي من أجل مواجهة الأتراك السلاجقة في النصف الثاني من القرن الحادى عشر ، دفعت الثمن فادحاً من حريتها في أوائل القرن الثالث عشر م . وبذلك تأكد للقاضى والدانى أن تلك الإمبراطورية التي لعبت بمهارة فائقة - ولعدة قرون خلت- لعبة توازن القوى ، واستطاعت عبور كافة الأزمات التي واجهتها ، إلا أنها الآن تقع في مأزق مواجهة العدو الذي استعانت به يوماً ، وتلك مفارقة ساخرة في التاريخ البيزنطى يندر أن نجد لها مثيلاً في العصور الوسطى!

ومن الملفت للإنتباه ؛ أن أطماع الغرب الأوروبي في بيزنطة كانت واضحة للعيان على مدى القرن ١٢م ، غير أن البيزنطيين لم يتحدوا من أجل مواجهة تلك الأطماع السافرة .

ولانغفل كذلك؛ أن عصر الأباطرة الكبار قد ولى وأدبر ، ولم يعد في جعبة بيزنطة أباطرة علي شاكلة هرقل ، وليو الثالث الأيسورى ، وباسل الثانى ، والآن ؛ لم يكن لدى تلك الامبراطورية إلا أباطرة صغار والأحداث كبار ! وبعبارة أخرى لقد عقم الرحم البيزنطى حينذاك عن إنجاب إمبراطور يواجه كافة تلك العواصف والأنواء التي أقسمت على اقتلاع بيزنطة من جذورها .

وهكذا ؛ أدت أحداث تلك الحملة الصليبية إلى تغيير جذرى في خريطة توزيعات الجغرافيا السياسية لشرقى أوروبا إلى درجة غير مسبوقة ، وإذا كانت بيزنطة قد نجت من قبل من مصير روما في القرن الخامس الميلادى ، ولم يسقطها عندئذ الجرمان إلا أن حفدة أولئك الجرمان نجحوا في ذلك الأمر بعد ما زاد على السبعة قرون !!!

جدير بالإشارة؛ أن أحداث عام ١٢٠٤م ؛ أدت إلى التمهيد- بصورة أو بأخرى - لحدوث الإنهيار البيزنطى النهائى على أيدي الأتراك العثمانيين ١٤٥٣م<sup>(١)</sup> في عهد قسطنطين الحادى عشر (١٤٤٩-١٤٥٣م) على نحو سيتم تفصيله فيما بعد.

١- اعتقد المؤرخ سيدنى بيتر من قبل؛ أن المرحلة الواقعة من القرن الحادى عشر الميلادى ، وعلى نحو خاص عام ١٠٥٧م إلى القرن الخامس عشر الميلادى وبالتحديد ١٤٥٣م مثلت أربعة قرون من الضعف =

ذلك أمر كارثة عام ١٢٠٤م ؛ وهى بالتأكيد حدث محوري ليس فى تاريخ بيزنطة فقط ، بل فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى بصفة عامة ، ولانغفل ؛ أن العدوان الصليبي الذى كان يضع نصب عينيه المسلمين انحرف الآن عنهم ، وإتجه إلى وجهة مغايرة ، كذلك فإن تلك الحملة جعلت الكثيرين من الصليبيين فى بلاد الشام يقدمون إلى الإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية ، بحثاً عن غنائم لهم على نحو أضعف الكيان الصليبي هناك <sup>(١)</sup> ، وبصورة أفادت - بالضرورة - المسلمين ، ولاريب فى أن ذلك كله مثل نوعاً من إنتحار الصليبيات ، ولذا لم يكن غريباً أن اعتبر البعض تلك الحملة الصليبية الرابعة قد جاءت لتنذر بإخفاق المشروع الصليبي برمته <sup>(٢)</sup> ، مع ملاحظة أن النذر الأولى الدالة على فشل ذلك المشروع بدأت منذ بداية الدعوة له من خلال كونه مشروعاً متعصباً يرفض الحوارين الحضارات وقائم على سفك الدماء دون تقديم أية رسالة حضارية للآخرين .

= والتدهور البيزنطى إلى أن تم إسقاطها على أيدي الأتراك العثمانيين ، ومعنى ذلك أن يرجعه إلى ما قبل عام ١٢٠٤م ، انظر قوله :

“ The last four centuries of the empire's existence , from 1057 to 1453, was a period of gradual decadence in power, Enemies from both east and west cut her provinces way one by one until The great capital , Constantinople, was finally overwhelmed by the Ottoman Turks”.

أنظر رأيه :

Painter, A History of the Middle Ages 284-1500, New York 1954, p. 35 .

ومع وجاهة ذلك التصور إلا أن عام ١٢٠٤م وما حدث فيه يظل نقطة تحول فارقة فى التاريخ البيزنطى وعن بعدها تزايدت ظاهرة الضعف البيزنطى إلى أن حسمت عام ١٤٥٣م .

١- سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٤٠ .

٢- نفسه ، نفس الصفحة .

ويقرر رينيه جروسيه René Grousset تعليقاً على سقوط القسطنطينية عام ١٢٠٤م نصه : « سبب مضاراً خطيرة لسورية الفرنجية ، فقد حرمتها من تعزيزات لم يكن بالإمكان الاستغناء عنها ، كما أدت بعثرته لقوى الفرنجة فى الأرض المقدسة ، حتى أن يجوز لنا أن نقول بأن قيام هذه الإمبراطورية اللاتينية قد أفضى إلى تجميد الحياة فى سورية الفرنجية » .

عن ذلك أنظر : =

على أية حال؛ هناك من يعتقد أن كثيراً من المؤرخين لا يعترفون بالفترة البيزنطية فيما بعد حكم اللاتين ، وأن عام ١٢٠٤م ، يمثل نهاية لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية حيث سقطت على أيدي اللاتين<sup>(١)</sup>.

وواقع الأمر ؛ أن أهمية التاريخ البيزنطى - فى أحد جوانبه بطبيعة الحال - القدرة على الاستمرار على الرغم من الكوارث، والمحن التى واجهت تلك الإمبراطورية ، وهكذا ؛ فإن المرحلة الواقعة من ١٢٠٤ إلى ١٤٥٣م على الرغم من العنف الذى شابها ؛ إلا أنها جزء لا يتجزأ من مسار التاريخ البيزنطى وهى بالتالى تحتل مكانة بارزة فيه وليس فى الإمكان إسقاطها تحت أى مبرر وإذا وجد هناك من المؤرخين من توقفوا بدراساتهم عن عام ١٢٠٤م مثل نورمان بينز Norman Paynes - على سبيل المثال - فإن ذلك لا يلزمنا بالضرورة ، والعصر الذى كان يكتب فيه ذلك المؤرخ الرائد كانت التصورات تجاه ذلك التاريخ ليست بنفس الاتساع المتوافر حالياً مع الأخذ فى الاعتبار الزخم المعرفى الكبير الحادث حالياً وانعكس بالضرورة على دراسته .

تلك ملامح عهد أسرة أنجيلوس التى حكمت الإمبراطورية المتناقضة التاريخ بين صفحات القوة وصفحات السقوط إلى الحضيض ، لقد استمر عهد تلك الأسرة ١٩ عاماً فقط ولارب فى أنها قصيرة فى تاريخ إمبراطورية امتد بها العمر إلى نحو ١١٢٣ عاماً غير أنها تعد

= رينيه جروسيه، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ت. أحمد أبش، ط. دمشق ٢٠٠٢م، ص ٨١ .  
ويقرر أمين معلوف ما نصه : « بدلاً من أن توطد حملة القسطنطينية المجنونة دعائم المنشآت الفرنجية فى بلاد الشام ؛ فقد أصابتها بضربة قاصمة ».

أنظر: أمين معلوف ، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ت. عفيف دمشقية، ط. بيروت ١٩٩٣م. ص ٢٧٧ .

١- محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٩٠ .

وقد أنهى كتابه عند عام ١٢٠٤م، ولم يواصل عرض أحداث التاريخ البيزنطى الممتدة من ذلك العام حتى ١٤٥٣م ، واتخذ نفس التعليل الذى ذهب إليه من قبل توماس بينز ، ومع تقديرى لجهد ذلك المؤرخ البارز ، فإننى أختلف معه فى رأى .

وعن نفس تلك الزاوية أنظر: جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٤٧ .

فاصلة، وفارقة في التاريخ البيزنطى، خاصة المرحلة التالية عليها على نحو يجعلنا لانبالغ إذ ذكرنا أنه فيما قبل عام ١٢٠٤م كان التاريخ البيزنطى له نمط محدد أما بعد العام المذكور فنلاحظ تغيراً جوهرياً واضحاً ظهر فيه حيث بدأ العد التنازلى البطئ لذلك الكيان الذى صارع الزمن لقرون طويلة .

والواقع : أن تقدير المسئولية التاريخية عن تلك الأحداث يجعلنا نركز تصوراتنا على ثلاثة أباطرة فقط هم إسحق الثانى ، والكسيوس الثالث ، والكسيوس الرابع، ومع ذلك ، فمن الإنصاف التقرير بأن تاريخ تلك الأسرة بغض النظر عن مواقف أباطرتها من مسار الأحداث السياسية وما عرفوا به من ضحالة الخبرة السياسية فى التعامل مع الغرب الأوروبى المتنمر بالامبراطورية أثر فيها إمبراطور سابق كان يوجه تاريخ تلك الأسرة ، وما حكم أباطرتها إلا الحصاد الحقيقى لسياساته فى صورة مانويل كومنين، وهكذا؛ فعند الحكم التاريخى على أسرة أنجيلوس من الأهمية بمكان : إدراك أنها أسرة جاءت فى ظروف بالغة التعقيد ، وكانت مقدمات الانفجار فى العلاقات البيزنطية - اللاتينية قد وجدت من قبل توليها السلطة !

منطقى أن السطور السابقة لا يفهم منها إبعاد المسئولية عن أولئك الأباطرة وصراعات العرش البيزنطى فى عهدهم ، بل أنهم يتحملون جانباً مهماً منها .

ومع ذلك : فإن تلك الامبراطورية المتصارعة مع الزمن أثبتت إلا أن تواصل الاستمرار ، فيلاحظ قيام عدة إمارات بيزنطية منها ما عمل على استعادة القسطنطينية أو القلب السليب، ففي طرابيزون قامت إمارة انتسبت إلى آل كومنين، وقد مدت نفوذها ليشمل الشريط الساحلى للبحر الأسود من هرقلية إلى القوقاز<sup>(١)</sup>، وفيما بعد امتد عمر تلك الإدارة حتى عام ١٤٦١م؛ أى حتى بعد السقوط النهائى لبيزنطة عام ١٤٥٣م.

١- عن إمبراطورية طرابيزون أنظر بالتفصيل :

Michael Panaretos , Chronicle of the Empire of Trebizond , ed. O. Lampsides , Athens 1958 .

Vasiliev, " The Foundation of The Empire of Trebizond (1204- 1222) , S., vol . XI, 1936 , pp. 3-37 .

Id , The Empire of Trebizond in History and literature, " B., vol . XV, 1940- 1941 . pp. 316-326 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 378 .

أما في ابيروس Epirus فقد أقام ميخائيل الأول كومنينوس دوكاس - Michael I Komnenos Ducas (١٢٠٤-١٢١٥م) إمارة امتدت من ليباتو إلى دورازو<sup>(١)</sup>.

وفي نيقية Nicca استطاع تيودور لاسكاريس Theodore Lascaris صهر الكسيوس الثالث أن يجمع عدداً من أفراد الطبقة الأرستقراطية، وتوج كإمبراطور للرومان عام ١٢٠٨م<sup>(٢)</sup>. دون إغفال كيانات بيزنطية صغيرة في رودس ونيلادفيا.

هنا، بركات، التاريخ السياسي لإمبراطورية طرابيزون البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادي حتى سقوطها ١٤٦١م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٨م.  
عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢١١-٢١٢.

١- عن إمبراطورية ابيروس أنظر: Ostrogorsky, p. 452.

Nicol, A Biographical dictionary, p. 92.

عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ٢١٢.

وميخائيل الأول كومنينوس دوكاس كان قد فر إلى شمال شرقي بلاد اليونان بعد الفزو اللاتيني للقسطنطينية عام ١٢٠٤م وهناك في جبال بندوس Pindos صار قائداً لمقاطعات ابروس Epiros واکارنانيا Akarnania وقام بحماية تلك المناطق من جيوش الصليبيين، وقد تمكن من مد أملاكه إلى تساليا Thessaly في الشرق وحتى دورازو Durazzo وجزيرة كورفو Corfu في الشمال، وقد توفي عام ١٢١٥م تاركاً الأمر من بعده لتيودور كومنينوس دوكاس Theodore Komnenos Doukas

عنه أنظر: Nicol, op. cit., p. 92.

٢- عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ٢١٢.

أيضاً: Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 143.

وتيودور لاسكاريس؛ هو إمبراطور نيقية خلال المرحلة من ١٢٠٨ إلى ١٢٢٢م، وكان قد ولد عام ١١٧٥م. تقريباً وتزوج من أنا Anna ابنة الامبراطور الكسيوس الثالث أنجيلوس وفي عام ١٢٠٨م توجه البطريك ميخائيل الرابع كإمبراطور وتمكن من أن يقيم امبراطورية ذات اقتصاد قوى وجهاز إداري ودفاعي متماسك على نحو كان له دوره في إعادة الحكومة البيزنطية إلى القسطنطينية. وما يذكر له هزيمته للسلاجقة عام ١٢١١م، كذلك إرغامه امبراطور القسطنطينية اللاتيني هنري أوف غلاندرز على احترام حدود ووحدة إمبراطورية نيقية، وقد توفي عام ١٢٢٢ دون أن يترك من يرثه، عنه أنظر: Nicol, Op. cit., pp. 121-122.

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 507-508.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 378-385.



ويكشف ذلك عن تحول الكيان الامبراطوري الكبير إلى شذرات متناثرة مؤقتة إلى أن تعود إلى حضن القلب السليب .

من ناحية أخرى؛ تكونت- كما أسلفت الإشارة من قبل- إمبراطورية لاتينية في القسطنطينية وقد قامت على أصول إقطاعية<sup>(١)</sup>، وعاشت في ظل التصارع الداخلي وكذلك مع جيرانها ، وبصفة عامة؛ حدث التصارع بين الإمبراطور، والأمراء التابعين له الذين تطلعوا إلى زيادة نفوذهم على حساب سلطاته ، وسال لعاب الجميع من أجل نهب ثروات بيزنطة التي كانت بمثابة عروس وقعت في قبضة من يريدون اغتصابها جماعياً !!

ويجدر بنا ؛ أن نلقى نظرة موجزة على أوضاع تلك الإمبراطورية اللاتينية الاستثنائية في التاريخ البيزنطي، ويلاحظ أن بلدوين أوف فلاندرز الذي حكم من ١٢٠٤-١٢٠٥ م ، وهو أول الأباطرة كان قليل الكفاءة ، ولم يزد عن أن يكون بمثابة الأول بين أقرانه Primus inter Pares<sup>(٢)</sup> وقد قتل في عام ١٢٠٥م في صدام وقع بينه وبين البلغار ومن بعد رحيله تولى الحكم شقيقه هنري (١٢٠٥-١٢١٦م)<sup>(٣)</sup>.

١- عن ذلك بالتفصيل أنظر:

عبد الحافظ البنا، النظام الإقطاعي في المملكة اللاتينية في القسطنطينية ١٢٠٤-١٢٦١م رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الزقازيق عام ١٩٩٤م، وهي الدراسة الأكاديمية العربية الوحيدة في الموضوع المذكور.

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢١٣ .

وعن بلدوين أوف فلاندرز أنظر:

Wolff . " Baldwin of Flanders and Hainaut first Latin Emperor of Constantinople his life, death and resurrection", S., vol XXVII, 1952 , pp. 281 - 322 .

Lock, The Franks in Aegean, pp. 43-45 .

Runciman, Byzantine Civilization , p. 46 .

Diehl . History of the Byzantine Empire, p. 142 .

عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ٢١٥ .

وقد سعى جاهداً إلى استمالة البيزنطيين إلا أن غالبيتهم اتجهت صوب امبراطورية نيقية بقيادة تيودور لاسكاريس بحثاً عن الحرية التي تآقت إليها نفوسهم بعد كارثة الاحتلال اللاتيني، ومات عام ١٢١٦م<sup>(١)</sup>

بعد أن فشل في إيجاد أدنى قدر من التعايش بين البيزنطيين والغزاة اللاتين، وخلفه على العرش أخوته يولند Yolande وزوجها بطرس دي كورتناى Peter de Courtenay غير أن القتل كان مصيره قبل الوصول إلى القسطنطينية عام ١٢١٧م<sup>(٢)</sup>، وقامت يولند بحكم البلاد على مدى المرحلة من ١٢١٧م إلى ١٢١٩م<sup>(٣)</sup>، وتنازلت من بعد ذلك لابنتها روبرت الذي تم خلعه نظراً لمحدودية خبرته السياسية<sup>(٤)</sup> عام ١٢٢٨م، ومن بعده : تولى الحكم بلدوين الثانى تحت وصاية حنا أوف برين ملك مملكة عكا الصليبية John of Birene (١٢٢٨-١٢٣٧م)<sup>(٥)</sup>، ثم تولى الحكم منفرداً خلال المرحلة من ١٢٤٠ إلى ١٢٦١م.

١- Diehl , History of the Byzantine Empire. p. 143 .

٢- Runciman, Byzantine Civilization, p. 47 .

٣- يولند Yolande : أميرة لاتينية للقسطنطينية خلال المرحلة من ١٢١٧م إلى ١٢١٩م ، وهى أخت بلدوين الفلاندرزى Baldwin of Flanders ، وهنرى أوف هينوت Henry of Hinault ، وبعد زوجها بطرس كورتيناى Peter of Courtenay : حكمت الامبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية، وأثبتت أنها حاکمة قوية، وقد زوجت اثنين من بناتها زيجات تحالف الأولى : وهى أجنيس Agnes التى تزوجها جودفري الثانى فلهاردوين Geodffrey II Villehardouin ، والثانية : وهى ماري Marie التى تزوجها تيودور الأول لاسكاريس Theodore I Laskaris ، وقد أثارت وفاتها مسألة خلافتها إلى أن تولى من بعدها ابنها الأكبر روبرت أوف كورتناى ثم من بعد: 'بنتها الأصغر بلدوين الثانى. عنها أنظر:

Norwich , Byzantium, The decline and Fall, pp. 191-193 .

O.D.B., vol . III, p. 2215 .

Ostrogorsky. History of the Byzantine State. p. 282, p. 284 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire. pp. 519- p. 520

Runciman. Op. cit ., p. 47 . -٤

٥- حنا أوف برين هو ملك مملكة بيت المقدس خلال المرحلة ما بين عامى ١٢١٠م ، ١٢٢٥م . وامبراطور =

وهكذا ؛ نلاحظ أن تلك الإمبراطورية لم يتول حكمها من يوصف بالحنكة السياسية أو الخبرة التي تمكنه من توطيد أركانها ولانزاع في أنها منذ يومها الأول عجزت عن تحقيق الأمن والاستقرار لها وللبيزنطيين الذين نظروا إليها نظرة عدائية وقاوموها بكل وسيلة ممكنة .

بصفة عامة ؛ لم تعمر تلك الإمبراطورية طويلاً بل تعد أقصر إمبراطورية شهدتها العصور الوسطى، إذ لم يتجاوز عمرها المرحلة من ١٢٠٤م إلى ١٢٦١م<sup>(١)</sup>. من الممكن إدراك العوامل التي وقفت لتضع نهاية لذلك الجنين المشوه الذي خرج إلى الدنيا سفاحاً في صورة الإمبراطورية اللاتينية المذكورة من خلال الآتي :

أولاً : كان الأمراء اللاتين وكذلك البنادقة - وهم الذين اشتركوا في الصليبية الرابعة لتحقيق مصالحهم الشخصية - أقل نفعاً لتلك الإمبراطورية ، وقد حدث التناحر، والتصارع بين الإمبراطور، والأمراء التابعين؛ على نحو أضعف ذلك الكيان السياسي الهش والدخيل على الأرض البيزنطية ، وبذلك ؛ وجدت عوامل الإنهيار الداخلي قبل العوامل الخارجية ، وتفاعلت تلك العوامل معاً في توافق مثير للدهشة ؛ من أجل الإجهاز عليها بعد مرور ٥٧ عاماً فقط من ميلادها .

ثانياً : من الملاحظ أن تلك الإمبراطورية ؛ لم تتمكن من صنع أية جسور للتفاهم ، والتواصل ، والتعايش مع البيزنطيين الذين صارت كارثة عام ١٢٠٤م حية في عقولهم،

= القسطنطينية فيما بين عامي ١٢٢٨م ، ١٣٤٧م، وقد تلقى تاج مملكة عكا عندما تزوج ماري دي مونتفورت Montferrat عام ٢١٠م وفقد عام ١٢٢٥م عندما تزوجت ابنته ايزابيلا Isabella فردريك الثاني Frederick II ويلاحظ أن حنا دي برين يشتهر في تاريخ الحروب الصليبية بقيادته الحملة على مصر بالاشتراك مع المندوب الباهوى بلاجيوس وهي التي عرفت بالحملة الخامسة، عنه انظر: Oliver of Paderborn . The Capture of Damietta. Trans. by Joseph J. Cavigan in Peters, Christian Society and the Crusades 1198-1229 , Sources in Translation including the Capture of Damietta by Oliver of Paderborn, Pennsylvania 1971 , p. note (3)

محمود سعيد عمران ، الحملة الصليبية الخامسة ، ط. الاسكندرية ١٩٧٨م.

١- من المفيد الإشارة إلى أن من المؤرخين المسلمين من أشار إلى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين . ومن أمثلتهم ابن الفرات ؛ حيث أشار إلى أن البيزنطيين استردوا عاصمتهم عام ٦٦٠هـ وهي تقابل عام ١٢٦١م، ما نصه: « لم تزل في أيدي الفرنج إلى سنة ستمائة وستين فاستعادها الروم »، عن ذلك انظر ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م (٥) ج ١ ، تحقيق حسين محمد الشماخ، ط. البصرة، ب-ت ، ص ١٧ .

متأججة في نفوسهم<sup>(١)</sup>، وبذلك تمكن اللاتين بسلوكهم المتبرير؛ من كسب عدااء البيزنطيين منذ اللحظة الأولى التي احتلوا فيها العاصمة الإمبراطورية، - وهم يشبهون في ذلك موقف الصليبيين عندما قدموا إلى بلاد الشام وسياستهم تجاه المسلمين وجاءت أحداث العدااء والكراهية القديمة عبر قرون سابقة لتدعم العدااء تجاه اللاتين .

ثالثاً : كانت محنة الاحتلال اللاتيني بمثابة الفرصة الذهبية لبعث الروح البيزنطية من جديد !! وإذا كانت عوامل الاختلاف الطائفي ، والعرقى ، والسياسى فرقت مرات ومرات بين البيزنطيين من قبل؛ فإن كارثة الاحتلال المرير عادت لتجمعهم من جديد ، ومن ثم بدأ التنافس بين الإمارات المتعددة؛ من أجل تحقيق الهدف الرئيسى ؛ وهو استرداد القسطنطينية التى لم تعد حينذاك مجرد عاصمة فقط بل رمزاً تاريخياً وسياسياً بالغ التأثير فى البيزنطيين الذين تحرقوا شوقاً من أجل تخليصها من الاستعمار اللاتينى البغيض إلى نفوسهم .

رابعاً : لا ننكر أن القائمين على الإمبراطورية اللاتينية ارتكبوا أخطاء سياسية قاتلة أفادت- دون أن يدروا- البيزنطيين ، فيلاحظ أنهم لم يتحالفوا مع البلغار وعلى رأسهم قيصرهم جوهانيزا Johanniza<sup>(٢)</sup>، وهكذا؛ وجدنا أن إمبراطورية نيقية البيزنطية تتحالف مع البلغار ضد المحتل اللاتينى، على نحو أكسبها قوة على قوتها ؛ وبالتالي حققت مكاسب سياسية كبيرة من وراء ذلك ضد الإمبراطورية اللاتينية الوليدة.

مهما يكن من أمر؛ تأكد للباحثين أن إمبراطورية نيقية على نحو خاص كان لها دورها فى استعادة القلب البيزنطى كى يتدفق بالحياة من جديد.

---

١- وفى هذا الشأن يقرر المؤرخ نورمان هاوسلى ما نصه :

“The Sack of Constantinople by the Crusaders and Venatians has been neither forgotten nor Forgiven by the Greek World” .

عن ذلك أنظر:

Housely , The Crusaders, London 2002, p. 79 .

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢١٤ .

لقد قام تيسودور الثانى لاسكارس بدور بارز فى دعم قوة البيزنطيين خلال المرحلة من ١٢٥٤م إلى ١٢٥٨م<sup>(١)</sup>، على حين كان اللاتين يمرون بمرحلة من الضعف المبكر لم يكن لهم من الممكن الخروج منها.

على أن أكبر الشخصيات البيزنطية البارزة حينذاك - بلانزاع- يتمثل فى ميخائيل الثامن باليولوغوس Michael VIII Paleologus الذى حكم خلال المرحلة من ١٢٥٩ إلى ١٢٨٢م<sup>(٢)</sup>، وبعد صراع مرير مع قوى متعددة ؛ لاح من جديد الأمل الذى تصارع من أجله.

وكان قد تولى حكم الإمبراطورية اللاتينية بلديون الثانى ١٢٢٨-١٢٦١م الذى طالت مدة حكمه ، ولم يكن يستطيع مواجهة المشكلات المتعددة التى أحاطت إمبراطوريته التى عاشت وسط نضاق بيزنطى عدائى ينتظر لحظة سقوطها التاريخية ، وقد طلب مساعدة الغرب الأورابى .

جدير بالذكر ؛ كان وضع تلك الإمبراطورية يشبه فى ملامحه العامة مع وجود قوارق بطبيعة الحال وضع مملكة بيت المقدس الصليبية التى عاشت وسط محيط إسلامى يناصبها

١- عنه أنظر : حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٨٤ .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 122 .

٢- ميخائيل الثامن باليولوغوس Michael VIII Palaeologos ، تولى المنصب الإمبراطورى خلال المرحلة ما بين عامي ١٢٦١م إلى ١٢٨٢م ، وقد ولد عام ١٢٢٥م ، ويلاحظ توليه الوصاية على الطفل يوحنا الرابع لاسكاريس . وكان قد تمكن من أن يحمل لقب امبراطور للإمبراطورية العائدة من ١٢٥٩م إلى ١٢٦١م . وفى العام الأخير تولا فى القسطنطينية ذاتها عنه أنظر :

Nicol. Op. cit ., pp. 89-90 .

Chapman , Michael Paleologue Restaurateur de L'empire byzantine (1261-1282), Paris 1926 .

Greatkoplos , Emperor Michael Paleologus and the west 1258-1282, Cambridge , 1959 .

أيضاً : إسحق عبيد ، الدولة البيزنطية فى عصر آل باليولوغوس ١٢٦١-١٢٨٢م ، منشورات جامعة بنى غازى ، ط . بيروت ب-ت .

ليلى عبد الجواد ، «علاقة الدولة البيزنطية بسلطة المالك البحرية ٦٥٩-٧٨٤هـ / ١٢٦١-١٢٨٣م ، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ، العدد (٤٦) (٤٧) عام ١٩٨٦م ، ص ٥٧- ص ١٣١ . أسست غنيم ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٦٨- ص ١٧٠ .

العداء المستمر وكانت بالفعل مملكة في نظر المسلمين غير شرعية ، كذلك استمر وجودها بمثابة عبء على الغرب الأوروبي الذي إتجهت إليه دوماً للحصول على حاجتها المتزايدة للمال والرجال ، أما الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية فقد نظر إليها البيزنطيون أيضاً على أنها غير شرعية هي الأخرى . ومع ذلك ينبغي أن ندرك أن هناك فوارق واضحة بين الكيانين ، ويكفى أن الكيان الصليبي عمر نحو مائتي عام في بلاد الشام؛ أي ما زاد على أربعة أضعاف المدة التي عمرتها الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، كذلك لا تغفل ؛ أن الكيان الصليبي ذاته كان كياناً آسيوياً من الناحية الجغرافية مرتبطاً بالقارة الأوربية من خلال اتصال الصليبيين بالوطن الأم للحركة الصليبية في أوروبا عبر البحر المتوسط ، أما الإمبراطورية اللاتينية فكانت كياناً أوروبياً خالصاً ، وإن تركت تأثيرها على الكيان الصليبي كما اسلفت الذكر من قبل .

على أية حال ؛ يعد عام ١٢٦١م عاماً فارقاً في تاريخ البيزنطيين بصفة عامة ، وكذلك في تاريخ ميخائيل باليولوغوس على نحو خاص ، وقد تمكن من خلال جهد جهيد من إخضاع كافة المناطق التي سيطر عليها اللاتين خارج أسوار القسطنطينية ، وقد أدرك بشاقب بصره ، عدم قدرته على مواجهة البنادقة إلا من خلال أعدائهم التقليديين وهم في صورة الجنوبيين ، وقد عقد معهم حلفاً من خلال معاهدة نيمفايوم Nymphaeum عام ١٢٦١م وعرض عليهم نفس امتيازات البنادقة السابقة ، ولاريب في أن ذلك العرض كان سخياً وأسأل لعابهم ووافق الجنوبيون أمام بريق الذهب البيزنطي الذي طالما خلب لبهم .

وفي يوم ٢٥ يوليو من عام ١٢٦١م ؛ عندما رحل الأسطول البندقي من القرن الذهبي ، وجه أحد قادة ميخائيل باليولوغس ضربته بأن قامت قواته بدخول القسطنطينية<sup>(٢)</sup> وكان الفرار من

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٢٠ .

وعن المعاهدة المذكورة أنظر :

فايز نجيب اسكندر، دراسة لاتفاقية تجارية بين إمبراطورية طربيزون والبندقية سنة ١٣٦٤م، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م، ص ٨ .

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٢٠ .



جانب الحكومة اللاتينية الدخيلة أكبر دليل وضاح دال على العجز عن مواجهة رد الفعل البيزنطى المحتوم ، وفى الشهر التالى ؛ وبالتحديد فى ١٥ أغسطس من ذات العام دخل ميخائيل باليولوغوس<sup>(١)</sup> القسطنطينية منتصراً وتم تتويجه فى كنيسة أياصوفيا - Hagia Sophia بعد أن ظلت فى قبضة اللاتين نحو ٥٧ عاماً من أصعب الأعوام فى تاريخ بيزنطة بصفة عامة.

ولا مراء فى أن يوم ١٥ أغسطس ١٢٦١م<sup>(٢)</sup>، يعد يوماً محورياً فى التاريخ البيزنطى؛ لأنه دلالة وضاحة على قدرة تلك الإمبراطورية على مقاومة أعدائها ، والتجدد رغم تكالب الأعداء والمحن التى عصفت بها .

ومع ذلك ؛ من المهم الحذر من توهم أن تلك القيادة البيزنطية بمفردها تمكنت من تحقيق ذلك الإنجاز التاريخى إذ أن مئات الآلاف من البيزنطيين الذين لانعرف اسماءهم شاركوا فى صنع ذلك اليوم التاريخى ، وهناك بصفة مستمرة الحذر من نسبة الإنجازات الكبرى لافراد وابعاء الشعوب عنها ، وعندئذ تصدق العبارة القائلة : «إن التاريخ تصنعه الشعوب وينسبه المؤرخون للحكام».

يلاحظ أن من المؤرخين الأوربيين ؛ ممن نظروا إلى دور ميخائيل باليولوغوس على أنه البطل «الأسطورى» المنقذ الذى أرسلته الأقدار ليقوم بذلك الدور التاريخى، وسط مصاعب ، ومشاق جمة غير مسبقة فى التاريخ البيزنطى<sup>(٣)</sup>.

---

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- أنظر على سبيل المثال:

Chapman , Michal Paleologue restaurateur de l'empire byzantin (1261-1282), Paris, 1926 .

وأود أن ألفت إنتباه القارئ إلى المقدمة القيمة التى وضعها أ.د. اسحق عبيد لكتابه عن الدولة البيزنطية فى عصر باليولوغوس ١٢٦١-١٢٨٢ ، ط، بيروت ، ب-ت ، ص٩ ، ص١٢ . حيث انكر الدور الفردى فقط فى توجيه التاريخ وأشار إلى دور العوامل الداخلية وفعاليتها وتعاونها مع القيادة الفردية.

ومع تقديري لذلك التصور جزئياً من خلال دور ذلك القائد الفذ الذي قام بدوره في وقت إحتاجت فيه بيزنطة له احتياجاً ماساً وكان بالفعل رجل الساعة ، إلا أن الكيان اللاتيني ذاته كان قد دب فيه الضعف خاصة أنه كان كياناً أشبه بجزيرة منعزلة تحيطها أمواج العداء ، والكراهية وبالتالي لايملك مقومات وجوده الأصلية . وبدون ذلك العنصر وهو عنصر حاسم بلاريب- ما كان من الممكن لميخائيل باليولوغوس أن يقود البيزنطيين نحو تحقيق ذلك الإنجاز التاريخي في ١٥ أغسطس ١٢٦١م ، وبالتالي ؛ نقرر أن العوامل الداخلية والخارجية تعاونت معاً بالإضافة إلى أن الشعب البيزنطي تحت قيادته صنع معه ذلك اليوم بإنجازاته قيادته الواعية، دون أن يفهم من تلك العبارات أى تقليل من دوره ومكانته في التاريخ البيزنطي في عصره المتأخر .

وبعد ؛ فتلك كانت ملامح المرحلة العاصفة والعصيبة من التاريخ البيزنطي التي امتد بين عامي ١٢٠٤م ، ١٢٦١م ، وهي بلاريب مرحلة تعد استثنائية لانظير لها على ما زاد على (١١) قرناً من عمر الزمان؛ فالإمبراطورية التي من قبل استعمرت غيرها صارت هي نفسها مستعمرة ومن جانب أعداء كانت تكن لهم الاحترار والكراهية! وهكذا؛ دفع البيزنطيون الثمن من حريتهم نتيجة للصراع الاحمق علي المنصب الإمبراطوري، ناهيك عن «غياب الوعي بالتاريخ» ، حيث لم يدرك رجال السياسة حينذاك أن الاستعانة بالغرب لن تكون في صالح أحد الأطراف المتنازعة بل سينشب مخالبه في الجسد البيزنطي بلاريب.

ذلك أمر السياسة وتقلباتها ، أما الجوانب الحضارية ؛ فنذكر خلال تلك المرحلة ظهور عدد من الأعلام البيزنطيين في مجالات متعددة ونكتفي بتقديم أمثلة فقط عنهم، وفي مجال التاريخ ، هناك المؤرخ نيكيتاس خونيئاتس Nicetas Choniates (١١٨٥-١٢٦١م الذي يرتبط اسمه دوماً بسقوط معشوقته ؛ بيزنطة، ولذلك تعد كتاباته مرآة صادقة لتطور أحداث تاريخها خلال المرحلة من ١١١٨ إلى ١٢٠٤م وخاصة كارثة العام الأخير ، ومع ذلك ينبغي ألانتصور أن اهتماماته اقتصرت على الكتابة التاريخية فقط، إذ أن هناك من يقرر تأليفه لكتاب كبير في النطاق العقائدي عرف باسم «ثروة الأرثوذكسية»<sup>(٢)</sup> ؛ مما عكس تعدد مواهبه التأليفية .

١- أنظر عنه ؛ المدخل البيليوغرافي .

وفى ذات مجال الكتابة التاريخية ، نشير إلى قسطنطين مانسيس Constantine Ma-  
nasses (ت ١١٨٥م) وقد وصف بأنه اتجه إلى العمل فى السلك الكنسى ، وألف كتابه  
حوليات العالم بدأه منذ الخليفة حتى عام ١٠٨٠م<sup>(١)</sup>.

ثم هناك أيضاً ؛ ميخائيل جليكاس Michael Glykas (ت بعد عام ١٢٠٠م) وعرف  
أيضا باسم سيكييتيز Sikidites وهو مؤرخ عمل فى ديوان مراسلات الإمبراطور مانويل الأول  
إلى سنة ١١٥٩م ، وقد ألف كتاباً فى التاريخ تناول الأحداث منذ بدء الخليفة حتى عام  
١١١٨م<sup>(٢)</sup>.

أما فى المجال الكنسى؛ فنذكر من الاعلام الذين ظهوروا خلال تلك المرحلة يوحنا ميساريتس  
John Mesarites، وقد ترهب فى دير من الأديرة المتعددة التى وجدت فى القسطنطينية،  
وفيما بعد؛ صار أستاذاً لتفسير الكتاب المقدس، وما يذكر عنه؛ معارضته الشديدة للكنيسة  
الرومانية وقد قام بالاشتراك مع أخيه نيكولا بالدفاع عن الأرثوذكسية من خلال محاورات مع  
مندوبى البابوية وذلك فى عام ١٢٠٤م<sup>(٣)</sup>.

وفى المجال الحربى؛ نذكر من الاعلام الكسيوس ستراتييجوبولس Alexius Strategopulos  
الذى عمل كضابط فى جيش ميخائيل الثانى بالبولوغوس ، وقد ساهم فى معركة حدثت ضد  
الحاكم ميخائيل الثانى سيد ابروس وحلفائه عام ١٢٥٩م، واشتهر فى التاريخ باقتحامه  
المفاجئ للعاصمة البيزنطية فى يوليو عام ١٢٦١م ؛ مما نتج عنه تخليصها من السيطرة  
اللاتينية<sup>(٤)</sup>.

على أية حال ؛ من الأمور المؤكده أن ظهور أولئك الاعلام فى مختلف المجالات يعكس لنا  
قدرة بيزنطة «الجريحه» على أن تنجب لنا الأبناء البارعين الذين مثلت أحداث ١٢٠٤م تحدياً  
لقدراتهم فكانت تلك الاستجابة التى حفظها لها التاريخ ، ولاريب أن وقت الخطر تستنفر  
المواهب من أجل إبرازها، وهذا ما حدث بالفعل على المستوى التاريخى حينذاك، حيث أن  
التاريخ ذاته تحدى به واستجابه.

Nicol , A, Biographical dictionary, pp. 77-78 .

Ibid, p. 44 .

Ibid, p. 84 .

Ibid, p. 116 .

مهما يكن من أمر ؛ عند مقارنة أسرة أنجيلوس مع غيرها من الأسرات البيزنطية السابقة عليها ، نجد أنها حكمت سنوات قليلة لا تتجاوز العقدين من عمر الزمان ، وهى مرحلة قصيرة لاتصل أحياناً إلى حكم إمبراطور بيزنطى واحد فى عهود الأسرات الأيسورية أو المقدونية كذلك حكم خلال عهدها خمسة أباطرة فقط .

والواقع ، أنها تعد أسرة أقل شأنًا إذا ما قورنت بالأسرات السابقة من حيث السياسة والحضارة ، فلم تفرز لنا إمبراطوراً فى أهمية هرقل أو ليو الثالث الأيسورى ، أو باسل الثانى . ومع ذلك ؛ من الإنصاف القول ؛ أن مراحل التدهور والضعف البيزنطى التى لمسناها بجلاء على مدى المرحلة الممتدة من ١٠٢٥ مع وفاة باسل الثانى حتى ١٢٠٤م تجمعت فى أسرة أنجيلوس ، وبعبارة أخرى ؛ فإن أخطاء الأسرات السابقة سواء المقدونية - وفى قسم منها - وأسرتى دوكاس وكومنين كان حصادها فى تلك الأسرة دون أن يعنى ذلك تبرير أو تبرئة أباطرتها من مسئولية ما حل ببيزنطة عام ١٢٠٤م .

ومن الممكن القول بموضوعية ؛ أن أسرة أنجيلوس هى النتاج الحقيقى لسياسات آل كومنين خاصة فى صورة الإمبراطور مانويل كومنين الذى فصلت أمر سياساته وتقويمها من قبل ، ولذلك لا تتجاوز الحقيقة إذا تم التأكيد على أنها كانت مهياة أكثر من غيرها من الأسرات البيزنطية السابقة ليحدث فى عهدها سقوط القسطنطينية الأول .

ذلك عرض عن تاريخ أسرة أنجيلوس ؛ أما أسرة باليولوج التالية لها فتتناوله الصفحات التالية .

## تاسعاً : أسرة باليولوج (١٢٦١ - ١٤٥٣م)

تعرض الصفحات التالية : الآخر الأسرات البيزنطية الحاكمة : ألا وهي أسرة باليولوج<sup>(١)</sup> التي امتد حكمها إلى أكثر من قرنين من الزمان، لرصد عوامل الإنهيار النهائي التي اتضحت بجلاء في خلال تلك المرحلة أكثر من المراحل السابقة في التاريخ البيزنطي مما أعطاها طابعاً مميزاً عن غيرها من الأسرات الحاكمة .

جدير بالإشارة : تولى الحكم خلال القرنين المذكورين عدد من الأباطرة : ميخائيل الثامن Michael VIII ( ١٢٦١ - ١٢٨٢م ) وأندرونيكوس الثاني Andronicos II بالاشتراك مع ابنه ميخائيل التاسع Michael IX ، ( ١٢٨٢ - ١٣٢٨م ) ، وأندرونيكوس الثالث Andron-icos III ( ١٣٢٨ - ١٣٤١م ) ، ويوحنا الخامس John V ( ١٣٤١ - ١٣٤٦م ) ، ويوحنا السادس John VI كنتاكوزين Cantacuzene ( ١٣٤٦ - ١٣٥٥م ) ، وأندرونيكوس الرابع Andronikos IV ( ١٣٥٥ - ١٣٧٩م ) ويوحنا الخامس (المرّة الثانية) ( ١٣٧٩ - ١٣٩١م ) ، ويوحنا السابع John VII ١٣٩٠م ، ومانويل الثاني Manuel II ( ١٣٩١ - ١٤٢٥م ) ، ويوحنا الثامن John VIII ( ١٤٢٥ - ١٤٤٨ ) ، وأخيراً قسطنطين الحادي عشر Constantine ( ١٤٤٨ - ١٤٥٣م ) .

### ١- عن أسرة باليولوج أنظر:

Head , Imperial Twilight : The Palaeolouns Dynasty and the decline of Byzantium , Chicago 1977 .

مع ملاحظة أن الإضمحلال البيزنطي سابق على عهد تلك الأسرة .

Diehl, Etudes Byzantines, Introduction a L'Histoire de Byzance, Paris 1905 , pp. 217-240 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 580-721 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 401-509 .

Browning , The Byzantine Empire, pp. 228-292 .

Norwich, Short History of Bzantium, pp. 307-381 .

صلاح ضبيح، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عصر آل باليولوغوس ١٢٦١ - ١٤٥٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي عام ١٩٩٨م ، وأود الإشارة بالجهد المبذول في هذه الأطروحة العلمية.

إن نظرة متأنية لأولئك الأباطرة يتضح لنا من خلالها ؛ أن هناك من حكم أعوامًا طويلة مثل أندرونيكوس الثانى الذى حكم ٤٦ عامًا ، ومن بعده مانويل الثانى الذى امتدت مدة حكمه ٣٤ عامًا ، ولانغفل أيضًا؛ أندرونيكوس الرابع الذى شغل المنصب الإمبراطورى ٢٤ عامًا، وفى المقابل هناك من الأباطرة من أدار أمور الإمبراطورية مدة زمنية قصيرة فى صورة يوحنا السابع الذى لم يحكم إلا عامًا واحدًا.

ويلاحظ أن الأسرة البيزنطية الأخيرة تعد مرآة - بصفة عامة- للأسرات البيزنطية السابقة على مدى القرون العديدة التى عاشتها تلك الإمبراطورية «المعمرة» ؛ إذ هناك الإمبراطور المؤسس وهو ميخائيل باليولوغوس وهو أهم الأباطرة الذين حكموا خلال القرنين البيزنطيين الأخيرين ونعنى بهما المرحلة الممتدة من العقد السادس من القرن الثالث عشر حتى منتصف القرن الخامس عشر ، والأمر المؤكد ؛ أن الإمبراطور المؤسس حظى باهتمام المؤرخين أكثر من أى إمبراطور آخر؛ وهى ظاهرة أدركناها من خلال عرضنا السابق.

كذلك هناك ظاهرة الإمبراطور الذى يحكم بمساعدة آخر، كما لاحظنا ذلك فى حالة أندرونيكوس الثانى الذى حكم خلال الأعوام من ١٢٨٢ إلى ١٣٢٨م بالاشتراك مع ابنه ميخائيل السابع، كذلك نلمح ظاهرة أخرى من الظواهر المرتبطة بالتاريخ البيزنطى وهى اغتصاب العرش ولجود مثلاً دالاً عليها فى يوحنا السادس الذى حكم من ١٣٤٦م إلى ١٣٥٥م.

والواقع ، أن تلك الأسرة تختص بخاصية تميزها عن غيرها من الأسرات السابقة وهى أنها شهدت السقوط النهائى لبيزنطة، ولذلك كثر تصور المؤرخين بأنها المسئولة عن الإنهيار البيزنطى عام ١٤٥٣م. ولذلك فهى بالتالى من أكثر الأسرات التى من الممكن على مستوى الكتابة التاريخية أن تظلم من خلال دراسة السقوط دون البحث فى جذوره التاريخية الدفينة وهكذا؛ فإن ذلك الأمر يجعلها تمتاز بأنها شهدت حادثة الممات البيزنطى وبالتالى فهى الأسرة التى بعدها وجد الإنقطاع وعدم التواصل .

---

١- عنه أنظر: ناهد عمر صالح ، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية فى عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثانى باليولوجوس (١٢٨٢-١٣٢٨م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٩٩م.



على أية حال؛ من الملاحظ أن الأسرة البيزنطية الأخيرة حكمت كياناً محدوداً في صورة ما تمكن ميخائيل الثامن باليولوجوس في إستراده في صورة ما سيطرت عليه إمبراطورية نيقية في آسيا الصغرى، ثم هناك القسطنطينية، وتراقيا، وقسم من مقدونيا، وقد صارت مدينة سالونيك بمثابة مدينة محورية، ولا تغفل كذلك عدة جزر أبرزها رودس، ومن الملاحظ عن عهد ميخائيل الثامن إنشغالهم بالصراع مع القوى السياسية في الغرب الأوربي مثل شارل الأنجوي Charles d'Anjou<sup>(١)</sup>، الذي وضع خطة لمهاجمة الأراضي البيزنطية وكذلك الصراع بينه وبين البابوية والبنادقة؛ كل ذلك جعله لا يتفرغ لمواجهة الخطر المحدق بالإمبراطورية البيزنطية من جهة الشرق في صورة الأتراك العثمانيين، وبالتالي واجه جبهتين حربية في الشرق وسياسية في الغرب دون أن يتفرغ تماماً لأية واحدة منهما، ولا تغفل هنا؛ الإشارة إلى

١- شارل الأنجوي Charles d'Anjou (١٢٢٦-١٢٨٥م)؛ هو شقيق الملك لويس التاسع Louis IX (١٢٢٣-١٢٧٠م) ملك فرنسا، وبعد أصغر إخوته، ويلاحظ أنه انتصر على خصمه مانفرد بن فرديريك الثاني هو هشتاوين في معركة بنفينتو Beneventino في ٢٦ فبراير ١٢٦٥م وآلت له أملاك الصقليتين، وقد توجه البابا كليمنت الرابع Clement IV (١٢٦٥-١٢٦٨م) عام ١٢٦٦م ملكاً على نابولي Napoli، وصقلية Sicily، وما يذكر عنه اعدامه لمنافسه كونراد بن عام ١٢٦٨م، كما قام بانتزاع ألبانيا من الإمبراطورية البيزنطية، كذلك اشترك في حملة لويس التاسع على تونس، وهي التي توفي فيها ملك فرنسا في ٢٥ أغسطس ١٢٧٠م، عنه أنظر:

محمود سعيد عمران، «شارل كونت أنجو بين القسطنطينية وتونس والقدس»، ندوة بلاد المغرب وعلاقاتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري، القاهرة ٢٥-٢٦ نوفمبر ١٩٩٧م، أميرة مصطفى أمين يوسف، «كونراد وعرش الصقليتين»، المؤرخ المصري، العدد (٢٥) يناير ٢٠٠٢م، ص ٨٥، محمد عبد العزيز، «تخطيط الغرب لإعادة إقامة الكيان الصليبي بعد سنة ١٢٩١م»، ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس، ط. الاسكندرية ٢٠٠٢م، ص ٤٧٠، ستيفن رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ت السيد الباز العريني ط. بيروت ١٩٩٣م، ج ٣، ص ٥٠٠-٥٠١، مصطفى الكنانى، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ١٢٧٠م / ٦٦٩هـ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م، ص ٢٣١-٢٣٧، ليلى عبد الجواد، علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المالك، ص ٧٥، حاشية (١)، محمد شفيق غريال (محرر)، الموسوعة العربية الميسرة، ط. بيروت ١٩٩٥م، م (٢)، ص ١٠٦٤.

Waley, Later Medieval Europe from St. Louis to luther, London 1976, p. 38.

أن الإمبراطورية المذكورة على مدى تاريخها المديد ؛ واجهت خطرين من جهتين مختلفتين؛ وهو أمر لاحظناه منذ مرحلة مبكرة من عهود الأسرات البيزنطية الحاكمة منذ عهد أسرة جستنيان عندما واجه الفرس والمجرمان على سبيل المثال على نحو جعلها مبعثرة الجهود في مواجهة الخطرين في وقت متزامن .

من زاوية أخرى ؛ يذكر عن عهد الامبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس ؛ اتجاهه إلى الحصول على دعم البابوية لشرعية حكمه في مقابل اعترافه بتبعية الكنيسة الأرثوذكسية للبابوية من خلال مجمع ليون lyons<sup>(١)</sup> عام ١٢٧٤م، والواقع ؛ أنه مارس بمهارة لعبة توازن القوى Balance of Powers انتهز فرصة إنزعاج البابا جريجورى العاشر Gregory X<sup>(٢)</sup> (١٢٧١-١٢٧٦م) من تنامي قوة شارل الأنجوى، كما أستفاد من رغبة البابوية فى فرض سيادتها على كنيسة القسطنطينية وبالتالي ؛ عقد الاتفاق المذكور، وقد أفاده ذلك فى أن أعطاه حرية الحركة ضد خصومه حيث قام بشن هجوم على ابىروس ضد قوات شارل الأنجوى

---

١- عن ذلك انظر: أمل أحمد حامد ، مجمع ليون الثانى ١٢٧٤م ، دراسة فى مشروع الوحدة بين كنيسة القسطنطينية وروما فى القرن الثالث عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة عام ١٩٩٧م، وهى الدراسة العربية الوحيدة فى موضوعها .

Constantinides , Byzantine Scholars and the Union of Lyons (1274) , in Beuton and Ro-veche , (eds.) The Making of Byzantine History , Studies dedicated to Donald M. Nicol, Centre for Hellenic Studies , King's College , London 1993, pp. 86-93 .

Vasiliev , Histoy of the Byzantine Empire, p. 657-659, p. 662-663 . Ostrogorky, History of the Byzantine State, p. 409, p. 433 , p. 500 .

Kelly , Oxford dictionary of Popes, p. 198 .

٢- البابا جريجورى العاشر Gregory (١٢٧١-١٢٧٦م)؛ تولى المنصب البابوى من يوم ١ سبتمبر ١٢٧١ إلى ١٠ يناير ١٢٧٦م وذلك عقب وفاة البابا كليمنت الرابع Clement IV (١٢٦٥-١٢٦٨م) ، ويلاحظ أنه وضع نصب عينيه القيام بحملة صليبية ، كذلك يذكر عن ذلك البابا أنه مات فى العاشر من يناير عام ١٢٧٦م، وقد دفن فى دومو Duomo، وأضاف بندكت الرابع عشر Benedict XIV ، اسمه إلى سجل علم الشهداء الرومانى The Roman Martyrology ، ويوافق عيد هو يوم ١٠ يناير غير أنه منذ عام ١٩٦٣م، صار ذلك يوم ٩ يناير عنه أنظر:

Kelly, Op. cit, p. 197- 199 .

كما تدخل في تساليا Thessalia كذلك حارب البنادقة في أبوليا Apolia وتوغل في أخايا التي مرت بمرحلة ضعف في أعقاب وفاة وليام فلهاردوين بعد توقيع الاتفاق مع البابوية بأربعة أعوام وتحديدًا عام ١٢٧٨م<sup>(١)</sup>.

مهما يكن من أمر؛ من الضرورة بمكان إلقاء الضوء على نحو موجز على الأتراك العثمانيين؛ وهم الذين شكلوا القوة الخارجية الفعالة في التاريخ البيزنطي حينذاك حتى نهايته.

وبصفة عامة؛ فإن الأصول الأولى للأتراك العثمانيين يكتنفه الغموض، ومع ذلك من الممكن القول بأنهم ينتمون إلى قبيلة تدعى قبيلة قابي التركية، وهي إحدى العشائر البدوية شديدة المراس من بين عناصر الأتراك الأوغور<sup>(٢)</sup>، وقد قدمت من أواسط قارة آسيا حيث شكل استيس وسط تلك القارة عنصراً مكوناً لشرقي وغربي أوروبا على مدى تاريخه، ووصلت إلى أعلى منطقة الجزيرة الفراتية، واستقرت من بعد ذلك في منطقة خلاط، ويقال أنها

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٢٥.

٢- عن أصل الأتراك العثمانيين أنظر:

ابن أبي السرور البكري، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، ت. ليلى الصباغ ط. دبي ١٩٩٥، ص ٨- ص ١٨. محمد فؤاد كوبريللي، قيام الدولة العثمانية، ت. أحمد السعيد سليمان، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ١١٩- ص ١٢٢، وبعد أفضل من درس تلك الزاوية بالإضافة إلى جيبونز، إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط. الرياض ١٩٩٨م، ص ٩- ص ١٠، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط. الرياض ١٩٩٧م، ص ١٤، أكمل الدين حسام أوغلي (تحرير)، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ت. صالح سعداوي، ط. استانبول ١٩٩٩م، ص ٨- ص ١٠، نبيل عبد الحى رضوان، جهود العثمانيين لإتقاء الأندلس وإسترداده في مطلع العصر الحديث، ط. مكة المكرمة ١٩٨٨م، ص ١٦- ١٧، صلاح هريدي، دراسات في تاريخ العرب الحديث، ط. الاسكندرية ١٩٩٩- ٢٠٠٠م، ص ١٧، رأفت الشبخ ومحمد رفعت، آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٩٧.

quotaert, The Ottoman Empire 1200-1922, Cambridge 2000, p. 13.

Inalcik, "L'Empire Ottoman", Acts du Congres international des etudes balkaniques et Sud-est europeenne, III, Sophia 1969, p. 76-77.

Gibbons, The Foundations of the Ottoman Empire, Oxford 1916.

وبعد أفضل دراسة في موضوعها بالإنجليزية حتى الآن وتقابلها بالتركية دراسة محمد فؤاد كوبريللي السالفة الذكر.

غادرتها من بعد ذلك عام ١٢٢٩م ؛ ثم هبطت من بعد ذلك إلى حوض نهر دجلة ، ثم قامت بالهجرة إلى أرزنجان في آسيا الصغرى ، وهكذا ندرك تمامًا ؛ أن تلك التحركات الديموغرافية حدثت في وقت كانت فيه الإمبراطورية البيزنطية تعاني من الاحتلال اللاتيني لعاصمتها .

على أية حال؛ فإن ذلك التحول إلى آسيا الصغرى حدث بقيادة أرطغرل (ت ١٢٨١م) وقد حمل لقب الغازي لكثرة معركة ضد البيزنطيين<sup>(١)</sup> ، ومن بعده ؛ تولى الحكم ابنه عثمان (١٢٨٨-١٣٢٦م) الذي يذكر له التاريخ تأسيسه على مدى سنوات متعددة تلك الدولة التي حملت اسمه ، وهناك من يقرر أن عهده شهد تحديد الوضع السياسي والديني والعسكري للأتراك العثمانيين<sup>(٢)</sup> .

بصفة عامة؛ فإن تحول تاريخ العثمانيين من مجرد إمارة حدودية إلى إمبراطورية كبيرة كان بمثابة «لغز تاريخي»<sup>(٣)</sup> ، في تصور البعض وفي تقديري أن الجهاد الإسلامي مع عدم إغفال الدوافع الاقتصادية الأخرى هي المفتاح الحقيقي لفهم ذلك التطور التاريخي الفعال والمؤثر في تاريخ العلاقات الدولية حينذاك .

لقد كانت الدولة البيزنطية التي خرجت منهكة من الصراع مع اللاتين ، بمثابة الميدان الحيوى لتوسعات الأتراك العثمانيين وقد تمكن عثمان بن أرطغرل من السيطرة على مدينة بورصة في العام الأخير من حكمه أى عام ١٣٢٦م .

أى عام ١٣٢٦م<sup>(٤)</sup> . ومن بعده ؛ تولى الحكم خلفه أورخان ؛ الذى امتد عهده من ١٣٢٦م

١- أحمد جودت باشا، تاريخ جودت، ت. عبد القادر الدنا، تحقيق عبد اللطيف الحميد، ط. بيروت ١٩٩٠م، ص ٩٨ .

سهيل طقوش، التاريخ الإسلامى الموجز ، ص ٣٤٥ .

٢- نفسه، ص ٣٤٦ ، وعنه أنظر: حسين مجيب المصرى، صلات بين العرب والفرس والترك، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٣١١ .

٣- Inalcik, Op. cit , p. 76 .

٤- عن عثمان أنظر :

سعيد أحمد برجوى، الدولة العثمانية تاريخها السياسى والعسكرى، ط. بيروت، ١٩٩٣م، ص ٢٥ .

نبيل عبد الحى رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص ١٨- ١٩ .

زينب بيرچكلى، شعر الثورات الداخلية فى العهد العثمانى، ط. عمان، ١٩٩٩م، ج ١، ص ١٧ .

إلى ١٣٥٩م<sup>(١)</sup>، وقد قام بإخضاع مدينة نيقية Nicea بآسيا الصغرى بعد ٦ أعوام فقط من توليه السلطة، كما حاول جاهداً أن ينطلق من آسيا الصغرى إلى أوروبا عبر البسفور، ونجده في عام ١٣٣٧م تمكن من الوصول إلى قلب العاصمة القسطنطينية - في تطور غير مسبوق- إلا أنه انسحب من جراء المقاومة البيزنطية له<sup>(٢)</sup>، وأهمية محاولته أنها كشفت عن أن عمر محاولات الأتراك العثمانيين لإخضاع تلك العاصمة امتد من عام ١٣٣٧م إلى ١٤٥٣م فنال الأتراك العثمانيون خبرة حربية بارزة في صراعهم معها، ويلاحظ أن نفوذهم أخذ في التزايد على نحو أدى إلى ضائلة الأملاك البيزنطية في آسيا الصغرى، بل إن الأتراك العثمانيين عملوا على مهاجمة المدن البيزنطية بصورة عكست مدى الضعف، والهوان الذي وصلت إليه تلك الإمبراطورية التي بلغت من الكبر عتياً .

لا تغفل هنا؛ أن الإمبراطور أندرونيكوس الثالث<sup>(٣)</sup> باليولوغوس - Andronicos III Palaiologos (١٣٢٨-١٣٤١م) أمام تزايد خطر الأتراك العثمانيين حاول جاهداً أن يطلب من

#### ١- وعن عهد أورخان أنظر:

Pitcher, An Historical Geography of The Ottoman Empire from earliest times to the end of the Sixteenth Century , Leiden 1972, pp. 38-40 .

Norwich , Short History of Byzantium , pp. 339-340 .

سيار الجميل، العثمانيون وتكوين العرب الحديث ، ط. بيروت ١٩٨٩م، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ، أحمد عثمان، تاريخ اليهود ، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ج ٣ ، ص ٩ .

#### ٢- عن ذلك أنظر:

نبيل عبد الحى رضوان، جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس، ص ١٩- ص ٤٣ .

٣- أندرونيكوس الثالث هو الابن الأكبر لميخائيل التاسع المتوفى عام ١٣٢٠م ، كما أنه يعد حفيداً لأندرونيكوس الثاني ، وقد تولى حكم الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة الواقعة بين عام ١٣٢٨م، ١٣٤١م، عنه أنظر:

Browning, History of the Byzantine Empire , p. 234 . Nicol A Biographical dictionary , p. 8.

Norwich, Short History of Byzantium , pp. 337-338 .

Vasiliev , History of The Byzantine Empire , p. 444-454 .

البابا بندكت الثانى عشر Benedict XII ( ١٣٣٤-١٣٤٢م )<sup>(١)</sup> شن حملة صليبية من الغرب الأوروبى لحماية ما تبقى لبيزنطة من أملاك ؛ إلا أن ذلك المسعى أخفق لعدة أسباب رئيسية يمكن إجمالها كالآتى :

أولاً : كان الاختلاف المذهبى القائم بين كنيسة القسطنطينية وروما بمثابة حجرة عثرة فى مواجهة أية إمكانية للاتفاق بين الطرفين وكان الشمن الذى تطلبه البابوية بصفة عامة فادحاً وتمثل فى إعلان الخضوع لها من جانب الكنيسة المنافسة لها على مدى قرون خلت أى كنيسة القسطنطينية.

ثانياً : كان الغرب الأوروبى قد تغيرت أحواله السياسية وشغلت كل دولة بظروفها الخاصة. ولم يعد هناك الاهتمام البارز بأمور الدولة البيزنطية ، وهكذا ؛ فإن كل دولة شغلت بقضاياها الداخلية عن أن تقدم المساعدة لإمبراطورية تاريخها السابق حافل بالصدام مع الغرب اللاتينى.

بصفة عامة ؛ يؤكد لنا ذلك كله أوجه التشابه والاختلاف بين طلب الإمبراطور الكسيوس - من قبل- مساعدة الغرب الأوروبى فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى وقيام البابا أوربان الثانى (١٠٨٩-١٠٩٩م) بتبنى تلك الاستغاثة البيزنطية<sup>(٢)</sup> ، واتجاه الإمبراطور أندرونيكوس الثالث إلى تكرار الأمر مع البابا بندكت الثالث عشر، إلا أن الظروف التاريخية كانت قد تغيرت إلى حد كبير .

ولم تكن الروح الصليبية بنفس قوتها فى القرن الرابع عشر الميلادى، مثلما كانت من قبل فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى ؛ إذ أدركت أوروبا بعد قرنين كاملين كيف دفعت ثمناً باهظاً فى صورة مشروعاتها التوسعية على حساب الشرق من أبنائها القتلى ونسائها

١- حسن بن ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٩٨ .

البابا بندكت الثانى عشر ؛ تولى المنصب البابوى خلال المرحلة من ٢٠ ديسمبر ١٣٣٤م إلى ٢٥ أبريل ١٣٤٢م، وذلك فى أعقاب الباب نيقولاس الخامس Nicolas V وهو بابا غير شرعى تولى بدوره مقعد القديس بطرس خلال المرحلة من ١٣٢٨ إلى ١٣٣٠م . عنه أنظر:

Kelly, Oxford dictionary of Popes, p. 210- 211 .

٢- أنظر ما سبق ذكره من قبل.



الأراميل<sup>(١)</sup>، بالإضافة إلى اختلاف نوعية البابا أوربان الثاني وبندكت الثالث عشر حيث كان الأول نتاجاً لصحوة دير كلوني Cluny على نحو لم يتأت للشأنى، وهكذا، فإن الظروف التاريخية حينذاك ونوعية القيادة الدينية لم تكن فى صالح تصور الإمبراطورية البيزنطية فى شن حملة صليبية مدعومة لها لصد التوسع العثمانى.

مهما يكن من أمر؛ من الملاحظ أنه خلال عهد الإمبراطور يوحنا السادس كنتاكوزين<sup>(٢)</sup> John VI Cantacuzene وتحديدًا فى عام ١٣٤٧م أى العمام الأول من حكمه (١٣٤٧-١٣٥٥م) تعرضت الإمبراطورية إلى جانب الخطر الخارجى، إلى كارثة طبيعية فى صورة

١- أدى ذلك إلى ظهور رأى عام مضاد للحروب الصليبية فى الغرب الأوروبى عن ذلك بالتفصيل أنظر هذه الدراسة القيمة :

Throop, Criticism of the Crusade : A Study of Public Opinion and Crusade Propaganda, Amsterdam 1940 .

جوزيف نسيب يوسف ، العرب والروم واللاتين، ص ٣٣٦-٣٣٧ .

٢- يوحنا السادس كنتاكوزين ؛ هو إمبراطور بيزنطة خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٣٤٧م، ١٣٥٣م، وانتمى إلى إحدى الأسرات البيزنطية النبيلة ذات الأملاك الواسعة ، ويقرر دونالد نيكول تبنيه لأفكار خاصة بإحياء الإمبراطورية غير أن عامة الناس ما كانوا يشقون فيه نظراً لتمثيله الطبقة الارستقراطية، بصفة عامة؛ انجبه إلى التأليف فألف بعض الرسائل الدينية، وتأثر بالأفكار التصوفية، كما ألف تاريخه السالف الإشارة إليه فى المدخل الجيوغرافى من هذا الكتاب، وقد توفى يوحنا السادس كنتاكوزين عام ١٣٥٣م، عنه أنظر:

Nicol, The Reluctant Emperor , Abiography of John Cantacuzene, Byzantine Emperor and Monk , (1295-1353), Cambridge 2002, pp. 29-186 , Id , The Byzantine Lady Ten Portrait 1250- 1500 , Cambridge 1994 , p. 71 , p. 81 , pp. 84 , Id , A Biographical dictionary, pp. 57-58 ,

Norwich, Byzantium , The decline and Fall, pp. 276-282 .

Browning , The Byzantine Empire , pp. 235-240 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 443 , p. 472 .

Vasilev, History of The Byzantine Empire, pp. 584-585 .

اسمت غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٧٠ ، سيد الناصرى، الروم والمشرق العربى، ص ٤٦٩- ص ٤٧٠ ، حسنين ربيع دراسات فى تاريخ العولة البيزنطية ، ص ٢٩٩ .

الطاعون الذي اشتهر في التاريخ باسم الفناء الكبير أو الموت الأسود The Black Death<sup>(١)</sup> وقد انتقل من آسيا إلى ما يوتس Maeotus (بحر أزوف Azov)<sup>(٢)</sup>، وامتد إلى جزر بحر إيجه، وشاطئ البحر المتوسط، ويقدم هنا كنتاكوزين في تاريخه وصفاً مؤثراً للأثر الكبير لذلك الطاعون في الفتك بالسكان بأعداد غفيرة على نحو بعيد للأذهان الصورة التي وصف بها المؤرخ اليوناني ثيوكوديدز Thucydides في الجزء الثاني من تاريخه للطاعون الأثيني Athenian Plague؛ على نحو يدل دلالة وخاصة على حجم كارثة انتشاره<sup>(٣)</sup>.

١- عن الفناء الكبير بصفة عامة أنظر: المقرئى : إغاثة الأمة بكشف الغمة تحقيق جمال الدين الشيال ومحمد مصطفى زيادة ، ط. القاهرة ١٩٤٠م، ص٣٣-ص٣٥ ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج٤ ، تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة، ص٩٤١ - ص٩٤٤ ، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٠٤ .  
Dols , The Black Death in the Middle East , Princeton 1977 Ziegler , The Black Death , London 1960 .

على السيد على، «الفناء الكبير»، والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادى- دراسة مقارنة بين الشرق والغرب» المجلة التاريخية المصرية ، م (٣٣)، عام ١٩٨٦م ، سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ص٤٨٣، قاسم عبده قاسم وعلى السيد على، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسى والعسكرى، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص١٩١- ص١٩٤ . دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك، ط. القاهرة ١٩٨٨م، ص١٣٣-ص١٣٥ ، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسى والاجتماعى، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ص٥٥- ص٥٩ .

٢- Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 626 .

٣- Ibid , p. 626 .

وثيوكوديدز ، مؤرخ أثينى ولد عام ٤٦٠ ق.م وتتملذ على أيدي مشاهير الخطباء والفلاسفة مثل أناكساجوراس وپروتاجوراس وعندما نشبت حرب البليبونيز بين أثينا واسبرطه شارك فيها، ويوصف بأنه أبو النقد التاريخى، ويمتاز كتابته عن تلك الحروب بالموضوعية والدقة ، كما نلاحظ أنه لا يرجع للآلهة التشير فى كل كبيرة وصغيرة فى الأحداث والوقائع ، عنه أنظر:

Freedman , The Greek Achievement, The Foundation of the western World , New York 1999, pp. 205-206 .

ويضاف إلى ذلك، قدم الكاتب الإيطالي بوكاشيو<sup>(١)</sup> Boccaccio (١٣١٣م-١٣٧٥م) في قصته الشهيرة بعنوان : ديكايرون Decameron ؛ وصفًا لنفس الطاعون وتأثيره في إيطاليا حيث إمتد إليها وكذلك فرنسا ، وإسبانيا ، والترويج والمجلترا<sup>(٢)</sup> مما عكس طابعه العالمى وليس البيزنطى فقط.

ووفقًا لما أورده المؤرخ المعاصر ديمتريوس كيدونيس Demetrios Kydones؛ نعرف أن حجم الخسائر كان كبيراً من جراء ذلك الطاعون، وقد قرر أنه فى كل يوم نذهب بأصدقائنا إلى القبور، وفى كل يوم نجد المدينة الكبيرة- يعنى القسطنطينية - أكثر خلواً من السكان وأعداد القبور فى تزايد مستمر، وقد عجز الأطباء أن يفعلوا شيئاً فى مواجهة تلك الأحداث<sup>(٣)</sup>.

ويلاحظ أن ذلك التأثير امتد على مدى عام ونجد أثر الطاعون فى العاصمة البيزنطية، وكذلك فى سالونيك، أو أدريانوبل، وهناك من يقرر أنه بلغ طرابيزون فى سبتمبر ١٣٤٧م<sup>(٤)</sup>. ولانغفل ؛ أن الوباء المذكور أصاب أندرونيكوس Andronikos ابن حنا كنتاكوزين كذلك فتك بصديق صدوق له هو يوحنا أنجيلوس John Anglos الذى عينه حاكماً لتساليا عام ١٣٤٢م<sup>(٥)</sup>.

---

= فوزى مكارى ، تاريخ العالم الاغريقى وحضارته ، ص ٢٥٢ ، لطفى عبد الوهاب، اليونان ، مقدمة فى التاريخ الحضارى، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص ١٧١- ص ١٧٢ حيث يتعرض لحروب البليونيز التى وصفها ذلك المؤرخ اليونانى البارز .

١- زينب راشد، تاريخ أوروبا الحديث، ص ٧٩ .

وبوكاشيو (١٣١٣-١٣٧٥م) من أعلام النهضة فى إيطاليا ، نعرف أنه إنجده إلى القسطنطينية ؛ كى يدرس الدراسات الكلاسيكية ، وبالفعل بلغ فيها شأنًا كبيراً ، وقد برع فى اللغة الإيطالية لاسيما كتابة من يقرر أنه شرع فى تأليفه عقب انتشار الطاعون المذكور وكان قد بلغ من العمر ٣٥ عاماً .  
عن ذلك أنظر:

زينب راشد ، المرجع السابق، ص ٧٩ .

٢- Vasiliev, Op. cit. p. 626 .

٣- Demetrios Kydonies Letters , ed. R.J. Loenertz, vol . I Vatican City , 1956, pp. 121-122 .

نقلا عن : Nicol , The Reluctant Empir, p. 93 .

Ibid , p. 93 .

Ibid, p. 93 .

وبناء على ذلك ؛ ندرك أن الطاعون قد أحدث تأثيره المدمر على البنية السكانية البيزنطية على نحو هيناً للأتراك مهاجمة شمالى بلاد اليونان واحتلاله<sup>(١)</sup>، وكذلك كافة جوانب النشاط الاقتصادى ، كذلك ترك أثره على الناحية النفسية من ناحية أخرى ؛ كانت الامبراطورية فى عهد ذلك الامبراطور بطبيعة الحال. حيث عمق الشعور بالموت، والخوف منه أكثر من ذى قبل<sup>(٢)</sup>.

من ناحية أخرى ؛ عانت الامبراطورية فى عهد ذلك الامبراطور من الصراع الداخلى ، وحدثت حرب أهلية من جانب القيادات السياسية البيزنطية، فقد حدثت مؤامرات قام بها يوحنا الخامس باليولوج الخامس John V Paleologos انتهت بطرد كيتاكوزين من العرش ، كذلك تنازع يوحنا الخامس مع ابنه اندرونيكوس الرابع Andronicos IV ، كذلك حدث صراع بين الأول وحفيده يوحنا السابع John VII<sup>(٣)</sup>.

لقد كان ذلك الصراع من أخطر ما واجه بيزنطة حينذاك؛ إذ أن الأطراف المتصارعة بحثت عن حليف ولم يتورع البعض منها عن طلب مساعدة الأتراك العثمانيين ونجد ذلك واضحاً فى تحالف حنا كيتاكوزين معهم<sup>(٤)</sup>. وجاء ذلك بمثابة الفرصة الذهبية السانحة ليكون للأتراك العثمانيين القدرة على تشكيل الخريطة السياسية البيزنطية من خلال التحالف مع البعض ضد البعض الآخر؛ تعميقاً لهوة الخلاف بين كافة الفرقاء البيزنطيين .

١- عن ذلك انظر:

Nicol , The Reluctant Emperor , p. 92. Id, A Biographical dictionary p. 58 .

٢- ولعل هذا هو تعليل ما أورده أحد المؤرخين عندما ذكر ما يفيد أن فكرة الموت تعمقت فى أوروبا العصور الوسطى فى مرحلتها الأخيرة ، ولاشك ؛ فى أن الكوارث الطبيعية كالوبئة والأمراض الفتاكة ساهمت فى ذلك .

أنظر: يوهان هويرنجا ، إضمحلال العصور الوسطى، ت. عبد العزيز توفيق جاويد، ط. القاهرة ١٩٩٨م. ص ١٣٧ .

٣- Nicol , The Reluctant Emperor , p. 45-83 .

أنظر أيضا : Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 444-474 .

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٢٨ .

٤- Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 622-624 .

من ناحية أخرى ، دخل الصرب كقوة أخرى في لعبة توازن القوى بين الأجنحة البيزنطية المتصارعة ، وفي هذا الصدد تم تقديم منح كبيرة وصلت أحياناً إلى حد التنازل عن بعض مناطق الإمبراطورية مقابل الحصول على الدعم العسكري (١).

وهكذا ؛ يمكن القول أن الفناء الكبير ، والحرب الأهلية كانتا بمثابة الجسر الذي مر عليه الأتراك العثمانيون من بعد ذلك وصولاً إلى العاصمة البيزنطية مع عدم اغفال تأثير العوامل الأخرى بطبيعة الحال.

لقد كشفت تلك الحروب الأهلية المذكورة عن مدى الضعف الشديد الذي وصل إليه البيزنطيون على نحو جعل أحد قياداتهم البارزة يستعين ضد خصمه بالعدو الرئيسي لبيزنطة المتمثل في الأتراك العثمانيين ، وهو يشبه في ذلك السلوك ما قام به ملوك الطوائف (٢) في الأندلس الذين وجد منهم من فضّل التحالف مع القوى المسيحية التي قادت حرب الاسترداد

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٢٨ .

٢- في أعقاب سقوط الخلافة الأموية في الأندلس عام ١٠٣١م ؛ ظهر إلى الوجود عدد من الدويلات مثل دويلة في قرطبة (بنو جهور) ، ودويلة في أشبيلية (بنو عباد) ، ودويلة في بطليوس (بنو الأقبس) ، ودويلة في طليطلة (بنو ذى النون) ، ودويلة في غرناطة (بنو مناد) وغيرها ، في بلنسية ، وسرقسطة ، والجزائر الشرقية ، عن ملوك الطوائف أنظر:

ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ت. كولان وليقى بروئنسال ، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص ١٥٣-٢٨٧ ، رضا هادي عباس ، الأندلس محاضرات في التاريخ والحضارة، ط. قاليتا- مالطة ١٩٩٨م، ص ٢١٠-٢١١ ، كمال السيد أبو مصطفى، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م، ص ٣-٣٧ ، ابراهيم بيضون ، الدولة العربية في اسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢-٤٢٢هـ / ٧١١-١٠٣١م ، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ٣٥١-٣٧٣ ، حسن محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٦م ، ص ٢٢٥-٢٢٦ ، رجب محمد عبد الحليم، دولة بني حمود في مالقة بالأندلس، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م، مونتغمري وات ، في تاريخ اسبانيا الإسلامية، ص ١٠٢-١٠٥ ، خالد السامرائي وعبد الواحد ذنون وناطق صالح ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ٢٢٤-٢٥٤ ، عصام محمد شبارو ، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود ٩١-٨٩٧هـ / ٧١٠-١٤٩٢م ، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص ٢١١-٢٢٢ ، يوسف بن أحمد حواله، بنو عباد في أشبيلية ٤١٤-٤٨٤هـ / =

Reconquista - من وجهة نظر اسبانية- ضد منافسيه من المسلمين مفضلاً مصلحته الشخصية على الصالح العام للمسلمين؛ مما جر أسوأ الكوارث بدولة الإسلام هناك؛ ومهد فيما بعد لانتصار تحالف قشتالة وأراجون وإسقاطه لمملكة غرناطة في عهد بنى الأحمر عام ١٤٩٢م بعد ٣٨ عامًا فقط من سقوط بيزنطة عام ١٤٥٣م؛ مما عكس أوجه التشابه بين الكيان البيزنطى فى الشرق والكيان الإسلامى فى الغرب ، ولاريب فى أن سقوط غرناطة يتشابه فى خطوطه العامة مع سقوط القسطنطينية ، وإن اختلفت التفاصيل ، دون إغفال أن دولة المسلمين فى الأندلس كانت أقصر عمراً مقارنة بالإمبراطورية البيزنطية ، ولانغفل أن كلا منهما امتاز بالاحتضار الطويل قبل الموت.

على أية حال ؛ أدرك الأتراك العثمانيون أن عدوهم البيزنطى - أكثر من أى وقت مضى - لا يملك إلا الضعف ، والهوان ، وإن تلك هى فرصتهم التاريخية للإجهاز على كيان طال إحتضاره ، ويتمسك بالحياة على الرغم من عدم جدارته بها ، وأكد ذلك الكيان للقاصى والدانى ، « جدارته » بالخروج من التاريخ من خلال عوامل النحر الداخلى التى كشفت عنها أحداث الصراع السالف الذكر ، مع ملاحظة أن الأتراك العثمانيين كانوا يتزايدون قوة يوماً بعد آخر ، فى ظل غياب الوعى بالتاريخ الذى خيم على عقول حكام بيزنطة، وكان هذا - بالفعل- من حسن حظ أعدائهم !

ومن المهم هنا ملاحظة ؛ أن الأتراك العثمانيين الذين حركتهم روح الجهاد ، مع عدم اغفال الدوافع الزخرى بطبيعة الحال ولاتناقض بينهما<sup>(١)</sup>، والذين أرادوا دعم نفوذهم السياسى على

---

= ١٠٢٣-١٠٩١ م دراسة سياسية وحضارية ، ط. جدة ١٩٨٩م، ص ٦١- ص ١١٠ ، ويلاحظ أن الشاعر أبو الحسن بن رشيق القيروانى قال فى هذا الشأن:

بما يزهدنى فى أرض أندلس      أسماء معتد فيها ومعتضد  
ألقاب مملكة فى غير موضعها      كالهـر يحكى انتفاخاً صورة الأسد  
أنظر:

أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ط. الاسكندرية، ب-ت ، ص ٩٥ .

١- يشير المؤرخ التركى خليل إينالجيـك إلى رغبة الأتراك العثمانيين فى الاستفادة من الثروات الطائلة التى تعود على من يتمكن من إخضاع التجارة المارة بالقسطنطينية وخاصة تجارة البحر الأسود مع أوروبا . =



حساب البيزنطيين، كان لهم هدفهم الاستراتيجي الذي ما حادوا عنه مهما تقلبت بهم الأحداث السياسية في صورة إسقاط القسطنطينية تلك المدينة التي راودت مخيلة المسلمين منذ عهد الدولة الأموية، وذهبت كافة المحاولات لإسقاطها أدراج الرياح، ولانغفل ؛ أن ذلك الهدف المحوري لم يتغير بتغير السلاطين العثمانيين، وبالتالي صار كل واحد منهم مكماً للدور الآخر في سبيل تحقيقه مهما واجههم المصاعب والمشاق .

على أية حال؛ وجه الأتراك العثمانيون ضربة للامبراطورية العجوز وقد عملوا على اتباع سياسة حرب الاستنزاف المستمرة لإقتطاع الأطراف ، وقد توسعوا في إقليم تراقيا وحاصر زعيمهم أورخان أدرنه غير أن المنية أجهزت عليه، فتولى أمر الحصار ابنه مراد الأول (١٣٦٠ - ١٣٨٩م) <sup>(١)</sup> إلى أن تمكن من الاستيلاء عليها عام ١٣٦١م، ودعم نفوذه من خلال جعله أدرنه عاصمة لدولته مما أعطاها أهمية سياسية أكبر ودعم تحديه للامبراطورية البيزنطية دون أن تستطيع له دفعاً .

ولانغفل زاوية لا تخلو من أهمية ؛ إذ أنه مع الضعف السياسي، الذي صارت عليه الإمبراطورية البيزنطية العائدة ، وجدنا أن المجتمع البيزنطي ذاته يعاني بشدة من الأمراض الاجتماعية ، وقد تفشت في صفوفه معدلات الجريمة وكذلك الانحلال الجنسي <sup>(٢)</sup>، ولاريب في أن إنهيار منظومة العادات والتقاليد في الحياة البيزنطية التي كانت قرية في عصر قوة الامبراطورية كان مؤشراً دالاً على الإنهيار الذي أسرعت به تلك الإمبراطورية.

---

= ومع تقديرنا للدافع الاقتصادي إلا أن ذلك لا يلغى الدافع الديني في صورة الجهاد والرغبة في نشر الإسلام ، عن الرأي السابق أنظر:

خليل إينالجيك ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ت. محمد الأرناؤوط ، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص ٨٤ .

وتعد دراسته من أفضل ما كتب في موضوعها ويملك مؤلفها رؤية تاريخية خاصة به بالإضافة إلى قاعدة بليوغرافية متخصصة وثيرة ناهيك عن التحليل الذي يعكس الهجرة بالعصر التاريخي ذاته .

١- عن مراد الأول ومن بعده يزيد الأول أنظر:

Pitcher, An Historical Geography of The Ottoman Empire, pp. 41-56 .

E. Isl . , " Murad I " , vol . 3, 1993 , pp. 592-594 .

Norwich , Short History of Byzantium , pp. 333-335 .

O.D.B., vol . III, p. 1741 .

٢- عن ذلك أنظر بصفة عامة:

بصفة عامة من الممكن أن نجد وجهًا للمقارنة بين الانحلال الأخلاقي الذي صارت إليه من قبل مملكة عكا الصليبية في أخريات القرن ١٣م<sup>(١)</sup>، والإمبراطورية البيزنطية في عصر تدهورها المتسارع، وذلك من أجل التأكيد على أن إنهيار المنظومة الخاصة بالقيم لأي مجتمع تعد المؤشر الحقيقي للانهييار والسقوط العسكري والسياسي.

مهما يكن من أمر؛ فقد جاء آخر فصول الهوان البيزنطي عندما إتجه الامبراطور يوحنا الخامس باليولوغوس John V Palaulogus إلى أن يطلب مساعدة البابا البابا وبلغ به الأمر أن أعلن تخليه عن المذهب الأرثوذكسي وإتجاهه صوب الكاثوليكية، إلا أن ذلك كله لم يجعل البابا يقدم له يد العون، أما داخليًا؛ فقد رفض البيزنطيون ذلك التنازل المهين الذي أقدم عليه الإمبراطور بعد أن أعيتته السبل وأتعبته الحيل، ولم يجد في جعبته إلا اللعب بالورقة الأخيرة؛ غير أنه باء بالخسران المين حيث رفضه الشعب باصرار ولم يؤد مسعاه إلا إلى إلحاق المزيد من المهانة بالإمبراطوريته المتهاوية، وتعمقت الهوة بين القيادة السياسية وعامة الشعب البيزنطي.

١- عن ذلك الجانب لدى الصليبيين على مدى القرنين ١٢، ١٣ أنظر: أسامه بن منقذ، الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، ط. بيروت ١٩٨١م، ص ١٧٤، العماد الأصفياتي، الفتح المقدسي في الفتح المقدسي، ط. القاهرة ب-ت، ص ١٧.

Jacques de Vitry, A History of Jerusalem, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., vol. XI, London 1896, p. 64. Prundage, "Prostitution, Miscegenation and Sexual Purity in the First Crusade," in Edbury (ed.), Crusade, and Settlement, Cardiff 1985, pp. 57-65.

زكي النقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية، ط. بيروت ١٩٥٨م، ص ١٥٢، جمعة الجندى، حياة الفرنج ونظمهم في الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٥م، ص ٢٩٩ - ص ٣٠٠، محمد عبد القادر أبو فارس، دروس وتأملات في الحروب الصليبية، ط. عمان ٢٠٠٢م، ص ٨٥.

جدير بالإشارة؛ يقوم الباحث النابه محمد فوزي رحيل بإعداد أطروحته للدكتوراه بعنوان مملكة عكا الصليبية ١٢٥٠ - ١٢٩١م دراسة في عوامل الإنهيار والسقوط وذلك في كلية الآداب - جامعة عين شمس تحت إشرافي، وأ.د. أحمد رمضان.

٢- عن ذلك بالتفصيل أنظر: ناهد عمر صالح، «الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس (١٣٥٤-١٣٧٦م) المورخ المصري العدد (٢٨)، يناير ٢٠٠٥م، ص ٣١١ - ص ٣٤١.

على أية حال؛ واصل الأتراك العثمانيون إنتصاراتهم بصورة عكست التباين الشديد بين عصر قوتهم وعصر الانحطاط البيزنطي؛ وقد وصلوا إلى نهر الدانوب عام ١٣٧٣م، بل أنهم بلغوا ساحل دلماشيا ، واضطر الإمبراطور إلى الدخول فى طاعة مراد الأول عام ١٣٧٤م فى خطوة غير مسبقة دليلاً على العجز التام عن مواجهة القوة العثمانية الفتية والمتنامية.

كذلك تمكن الأتراك العثمانيون من استغلال الصراع على السلطة بين الإمبراطور يوحنا كنتاكوزين، وابنه وقاموا بالسيطرة على مدينة سالونيك عام ١٣٨٢م<sup>(١)</sup>، ثم صوفيا عام ١٣٨٥م ، وتوالى تلك الأحداث على هذا النحو السريع لا يخلو من دلالة ؛ لأنه يعكس أن الأتراك العثمانيين طرقوا على الحديد وهو ساخن ، واغتتنموا الفرصة ؛ من أجل إيجاد واقع حربي جديد على الأرض يغير خريطة التوزيعات الجيوبوليتيكية لصالحهم ، ولانترتاب فى أنهم قاموا باتتباع سياسة تحقيق الهدف النهائى من خلال إستهلاك طاقة بيزنطة فى حرب استنزاف مستمرة دونما هوادة.

من زاوية أخرى؛ لا يمكن الفصل بين الإنجازات التى حدثت خلال عهد مراد الثانى دون إدراك أن ذلك ما كان ليتحقق دون التطور الاقتصادى حينذاك ؛ فقد تطورت التجارة وفتت المدن العثمانية نمواً كبيراً ومن أمثلتها بورصة وأدرنة<sup>(٢)</sup>، وهناك من يقرر؛ أن الرحالة برتراندون دولا بروكييه Bertand de la bracquiere قرر أن الدخل السنوى للدولة العثمانية قد بلغ ( ٢, ٥٠٠, ٠٠٠ ) أوقية ، وهو مبلغ ضخم بإمكانات ذلك العصر، ويقرر باحث رفيع الشأن فى الدراسات العثمانية ما نصه «وهو مبلغ لو استغله مراد الثانى كاملاً لكان فى وسعه أن يفتح أوروبا بسهولة»<sup>(٣)</sup>؛ مما دل على أن المكاسب الاقتصادية كانت عنصراً مهماً فى دعم طموح العثمانيين للتوسع على حساب الامبراطورية البيزنطية ، وإن كنت أتصور وجود مبالغة فى هذا القول بطبيعة الحال.

١- عن إخضاع الأتراك العثمانيين لمدينة سالونيك أنظر:

Mazower, Salonica City of Ghost , Christians , Muslims and Jews 1430-1950 , New York 2005, p. 88-31 .

٢- على سبيل المثال انظر:

Inalick , " Busra and the Commerce of the levant " , J.E.S.H.O., vol . III, 1960, pp. 131-142 .

٣- خليل إينالجيک، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٨ .

مهما يكن من أمر؛ من بعد السلطان مراد؛ تولى الأمر، السلطان بايزيد الأول الذي عمل على إشاعة الفرقة بين كبار القيادات البيزنطية التي تصارعت من أجل بلوغ المنصب الامبراطوري الذي تحرقت نفوسهم شوقاً للوصول إليه من خلال مصالح شخصية ضيقة دون أن يضعوا في الاعتبار المصلحة البيزنطية العليا.

ويلاحظ أن البنادقة حرصوا على شن حملة صليبية هي صليبية نيقوبوليس Crusade of Nicopolis في أخريات القرن الرابع عشر الميلادي وتحديدًا عام ١٣٩٦م، وقد حاصرت الحملة التي قادها ملك المجر سيجموند Sigmund ١٣٨٧ - ١٤٣٧م مدينة نيقوبوليس - Nicopolis<sup>(١)</sup>؛ غير أن القوات العثمانية في عهد السلطان الوافر النشاط بايزيد الأول تمكنت من إلحاق الهزيمة الفادحة بهم، وأكد السلطان انتصاره باستيلائه على شبه جزيرة المورة Morea (البليونيز) عام ١٣٩٧م.

من ناحية أخرى؛ لانغفل أن الإمبراطور مانويل الثاني Manuel II (١٣٩١-١٤٢٥م) طاف أنحاء الغرب الأوربي، طلباً للمساعدة ضد العثمانيين<sup>(٢)</sup> من خلال جهد دبلوماسي بارز على مدى الأعوام من ١٣٩٩م إلى ١٤٠٢م، ولكنها كانت بمثابة دبلوماسية النصف قرن الأخير التي لا جدوى من ورائها، فلم تقدم إيطاليا أو فرنسا أو إنجلترا ما يمكنه من التصدي للقوة العثمانية المتزايدة بل خذلته، ولا ريب في أنه بعد إخفاق صليبية نيقوبوليس زاد حذر الغرب الأوربي عن أي تورط غير محسوب العواقب في مجال دعم بيزنطة على اعتبار أن من يتورط في عالم السياسة يدفع الثمن فادحاً.

١- عنها بالتفصيل أنظر:

Atiya, the Crusade of Nicopolis, London 1934 .

Newall, The Crusades, New York 1963- pp. 92-93 .

٢- عن ذلك أنظر:

Jugie, " le Voyage de L'Empereur Manuel Paleologue en Occident" E.O, T. XV, 1912 , pp. 322-332 .

وأنظر أيضاً هذه الدراسة المتخصصة عن الإمبراطور مانويل الثاني باليولوجوس:

Barker, Manuel II Paleologus (1391-1425): A study in late Byzantine Statesmanship , New Brunswick 1969 .

مهما يكن من أمر ؛ حدث تطور مهم على صعيد العلاقات الكنسية بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى من خلال وحدة الكنيستين وهو أمر حدث فى ٦ يوليو ١٤٣٩م فى مجمع فلورنسا (١)، وتم ذلك فى عهد الإمبراطور يوحنا الثامن John VIII (١٤٢٥-١٤٤٨م) ؛ ومع ذلك ؛ حلت بأعداء البيزنطيين تطور عسكرى وسياسى كان فى صالحهم إذ أن العثمانيين ، قد نكبوا بالهزيمة من جانب التتار بقيادة تيمورلنك الذين دخلوا آسيا الصغرى، وفى عام ١٤٠٢، حدثت معركة أنقرة (٢) التى كانت بمثابة كارثة حلت بالعثمانيين ، وفيها وقع السلطان بايزيد الأول أسيراً فى قبضة القائد المذكور المنتصر فى مشهد يندر حدوثه خلال المرحلة التاريخية التى ظهرت فيها القوة العسكرية العثمانية متصاعدة دون أية انتكاسات .

١- عن المجمع المذكور أنظر:

Gill, The Council of Florence , Cambridge 1959 .

Gill, Ibid, p. 350 .

ويشير المؤلف إلى رفض الشعب البيزنطى لذلك أنظر أيضاً.

Id, " Greeks and latins in acommon Council : The Council of Florence (1438-1439) O. Chr. p. vol . XXV, 1959 , pp. 265-287 .

ويعد جيل متخصصاً فى العلاقات البيزنطية اللاتينية خاصة خلال العصر البيزنطى المتأخر.

٢- عن معركة أنقرة أنظر:

ابن عريشاه ، عجائب المقدور فى نوائب تيمور، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٣١٩- ص٣٣١ ، حاتم الطحاوى، «معركة أنقرة ٨٠٤هـ / ١٤٠٢م مقدماتها ونتائجها» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الزقازيق دراسات خاصة ، مايو ٢٠٠١م، ص١٧- ص٣٩ ، دراسة ممتازة ابن تغرى بردى ، النجم الزاهرة ، ج١٢ ، ص٢٦٧ ، ص٢٦٨ ، جوزيف داهموس، سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى، ت. محمد فتحى الشاعر ، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ص١٨١ ، ص٢٠٦ ، عبد العزيز نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية فى العصر الحديث ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص١٥-١٦ ، إسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، تقديم ومراجعة حسن الزين ، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص٢٤- ص٢٥ ، نزار قازان ، سلاطين بنى عثمان بين قتال الاخوة وفتنة الإنكشارية ، ط. بيروت ١٩٩٢م، ص٢٩ ، محمد فريد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م، ص٢٣ - ص٢٤ ، أحمد عبد الرحيم مصطفى ، أصول التاريخ العثمانى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٥٨ .

ويقرر المؤرخ القدير الأخير عن تقويمه لها ما نصه : «معركة أنقرة ذات أهمية خاصة بالنسبة إلى التاريخ العثمانى باعتبارها الهزيمة الساحقة الوحيدة التى حلت بالعثمانيين خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الدولة، ولأنها المناسبة الوحيدة التى شهدت أسرى عاهل من آل عثمان ولكنها من ناحية أخرى ليست من =

وبلاحظ هنا؛ أن تلك الهزيمة تركت أثرها على الواقع السياسى والاجتماعى العثمانى ، إذ هناك من يقرر أنها اطلقت مرحلة من الاضطرابات والتوتر الاجتماعى السياسى والاجتماعى وظهور الحركات الدينية المعارضة فى أنحاء الأراضى العثمانية وعدة انتفاضات .

لقد أدى ذلك الأمر؛ ثم وفاة السلطان بايزيد بعد تلك المعركة بعام واحد؛ أدى إلى «تأجيل» نجاح العثمانيين فى وضع أقدامهم على أرض القسطنطينية لعدة عقود، مع ملاحظة أن تعبير «تأجيل» هنا من قبيل الاستعارة ؛ نظراً لكون أحداث التاريخ لا تتأخر بل تحدث فى توقيتها المحدد لها من خلال جملة دوافع متعددة تمهد لها .

مهما يكن من أمر؛ حكم من بعده ابنه محمد ١٤١٣ - ١٤٢١ م، ومن بعد وفاته تولى الحكم ابنه مراد الثانى ١٤٢١ - ١٥٤١ م ، ومن أهم الأحداث خلال عهده ؛ ما عرف بصليبية فارنا The Crusade of Varna<sup>(٢)</sup> وهى التى حدثت كنتيجة لدعوة البابا يوجينوس الرابع Eugenius IV<sup>(٣)</sup> (١٤٣١ - ١٤٤٧ م) ؛ وذلك عام ١٤٤٠ م، وقد تم تكوين جيش كبير

= المعارك التى غيرت مجرى التاريخ على اعتبار أنها لم تحول مجرى تاريخ المنتصر والمهزوم على حد سواء ، أنظر : نفسه ، ص ٥٨ .

ابن عريشاه ، عجائب المقدور فى نوائب تيمور، ط. بيروت ١٩٨٦ م، وهو المصدر المتخصص عن تلك الشخصية، أيضاً؛

الفرمانى، أخبار الدول وآثار الأول، ط. بيروت ١٩٩٢ م، ج ٢، ص ٤٩٩ - ص ٥٠٦ .

Manz, The Rise and Rule of Tamerlane Cambridge 1989 .

وتعد أفضل ما كتب بالإنجليزية عن الموضوع المذكور.

أيضاً؛ محمود السيد، من تاريخ عرب الشام فى العصر المملوكى، ط. الاسكندرية ١٩٩٧ م، ص ١٤٩ - ص ١٥٠ .

٢- فارنا Varna؛ وهى ورنه والمروفة باسم أوديسوس Odessos وقد وقعت على الساحل الغربى من البحر الأسود The Black Sea ، عنها أنظر:

O.D.B., vol . III, p. 2154 .

٣- البابا يوجينوس الرابع ؛ تولى المنصب البابوى خلال المرحلة من ٣ مارس ١٤٣١ إلى ٢٣ فبراير ١٤٤٧ م، وذلك فى أعقاب وفاة البابا بندكت الرابع عشر Benedict XIV وهو بابا غير شرعى، عنه أنظر: Kelly, Oxford dictionary of Popes, pp. 241-242 .



بولندي هنغاري من نحو ٢٥,٠٠٠ رجل قاده هيونادي أوف ترانسلفانيا Hunyadi of Tran-sylvania، وجورج برانكوفيك الصربي George Brankvic of Serbia وتقدم في ١٤٤٣-١٤٤٤م صوب البلقان حيث تم تحقيق عدد من الانتصارات ضد الأتراك<sup>(١)</sup>.

وكان من نتائج ذلك : أن قام السلطان مراد الثاني بعقد اتفاق سلمي لمدة ١٠ سنوات مع القيادات السالفة الذكر في يوليو ١٤٤٤م ، وعندما سحب قواته، لم يحترم الصليبيون موائيقهم في غالبيتهم وهاجموا العثمانيين في فارنا Varna في ١٠ نوفمبر عام ١٤٤٤م، وهناك تم إلحاق الهزيمة بتلك الصليبية وعن ذلك مكسباً كبيراً عسكرياً وسياسياً للعثمانيين<sup>(٢)</sup>.

ويقرر أحد كبار المؤرخين في مجال الدراسات العثمانية : أن معركة فارنا تعد آخر محاولة صليبية جماعية ضد الأتراك العثمانيين وقد كانت أخبار النكبة التي منى بها الصليبيون خلالها من العوامل الأساسية التي جعلت الحكام الأوروبيين يعتقدون أن فكرة الحرب الصليبية لاجدوى من ورائها ، وهكذا ، لم يعد هناك أمل أمام إمبراطور القسطنطينية بعد تلك المعركة ، وقد تولى محمد الفاتح مهمة توجيه ضربة قاضية لآخر معقل للإمبراطور<sup>(٣)</sup>.

O.D.B., vol . 3, p. 2154 .

-١

٢- عن صليبية فارنا : أنظر هذه الدراسة المهمة :

Halecki, The Crusade of Varna, New York 1943 .

وتعد من أفضل الدراسات المتخصصة في الموضوع المذكور.

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 643 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 423 .

O.D.B., vol . III, p. 154 .

Norwich , Short History of Byzantium , p 369-370 .

عبد العزيز نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية ، العصر الحديث، ص ٢١ .

٣- نفسه، نفس المرجع والصفحة .

وأورد الاشارة بكتاب المؤرخ الكبير الراحل .

على أية حال ؛ لم يكن ذلك السلطان العثماني لبيتوقف عن تحقيق ذلك الحلم الذي طالما راود المسلمين منذ قرون خلت ، وهكذا ؛ دعم قواته البرية والبحرية وتمكن بعد ثلاثة أعوام من الانتصار على الحملة الصليبية السالفة الذكر ، وبالتحديد عام ١٤٤٧م من الانتصار على حاكم المورة Morea قسطنطين باليولوج الذي أعلن خضوعه للسلطان ودفع له الجزية <sup>(١)</sup> ، بعد أن وضع له الفارق الشاسع بين الضعف البيزنطي والقوة العثمانية الفتية ، ومن المهم هنا ملاحظة أن العثمانيين يحققون هدفهم النهائي على صورة مرحلية ، ولاريب في أن تساقط الأطراف جاء مقدمة حقيقية لتوجيه الهجوم صوب القلب البيزنطي في نهاية المطاف.

ومع ذلك ؛ لم يتمكن مراد الثاني من فتح القسطنطينية تاركاً تلك المهمة التاريخية لمن يأتي من بعده .

على أية حال ؛ كان شرف فتح تلك العاصمة -التي أجهدت أعداءها على مدى قرون متعددة- للسلطان محمد الثاني ابن مراد الثاني وهو الذي سيتلقب «بالفاتح» فيما بعد ؛ ويجدر بنا تسليط الأضواء عليه نظراً لدوره البارز في صنع فصل الحتام للتاريخ البيزنطي بكفاءة غير مسبوقة ومعه المسلمون بطبيعة الحال حتى لانقع في مأزق دور الفرد في حركة التاريخ بمعزل عن المجمع البشري المتعاون معه .

وقد ولد محمد الثاني بن مراد الثاني في ٢٠ أبريل عام ١٤٢٩م <sup>(٢)</sup> ، وتولى الحكم عام ١٤٥١م ، وهو في الثانية والعشرين من العمر .

ويلاحظ أن عوض صغر عمره بوجود عدد من المستشارين المحنكين الذين قدموا له كل نصيحة صائبة أفادت تحركاته السياسية والعسكرية وجنبته الوقوع في مواقع الذلل.

١- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٣٦ .

٢- لانغفل في مرحلة تنشئة محمد الثاني دوراً بارزاً قام به إثنان من العلماء هما: أمد شمس الدين ، وأحمد إسماعيل كوراني ، وقد حرصا على تعليمه تعليماً راقياً ، وقد وضعاً في ذهنه ضرورة أن يكون فتح القسطنطينية على يديه على نحو عميق الهدف في ذهنه ، عن ذلك أنظر:

محمد طه جاسر ، تركية ميدان الصراع بين الشرق والغرب ، ط. دمشق ٢٠٠٤م ، ص ٤٣-٤٤ .

ومن المهم هنا الإقرار بأن دور الحاشية عموماً يحتل أهمية كبرى في التاريخ ، وكثيراً ما أدت إلى أخطاء قاتلة عندما لم تحسن التصحح أو زينت أمور الحكم للحاكم دون النظر إلى الصالح العام.

وبلاحظ أن ذلك السلطان جمع بين البراعة العسكرية ومحبة العلم واتجه إلى قراءة كتب التاريخ والتشبع بسير كبار أعلامه، ولانغفل إجادته لعدة لغات مما عكس أننا أمام حاكم مسلم مثقف<sup>(١)</sup>

ومن المهم إدراك بعض الزوايا فيما يتصل بدوره في فتح القسطنطينية ويمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: إتجه ذلك السلطان إلى حصار تلك المدينة في أوائل أبريل عام ١٤٥٣ م وذلك بعد عامين فقط من توليه الحكم؛ مما عكس جديته وإدراكه لأهمية هدفه المنشود مبكراً من جهة البر بجيش قدره البعض بـ ٢٥٠ ألف رجل - وقد يكون في الرقم مبالغة - أما من جهة البحر؛ فقد حاصرها بـ ١٨٠ سفينة، كذلك أقام حول المدينة المذكورة ٢٤ بطارية مدفعية لدك دفاعاتها، ولاشك؛ في أن كافة تلك الاستعدادات استغرقت منه وقتاً طويلاً ولم يسمع في تاريخ بيزنطة أن واجهت من قبل قوة برية وبحرية بتلك الصورة منذ افتتاح العاصمة في القرن الرابع الميلادي.

ثانياً: قام العثمانيون بوضع مدافع خاصة تمكن من صنعها مهندس مجرى اسمه أورباس<sup>(٢)</sup>، على الهضاب المجاورة للبسفور، وكذلك القرن الذهبي مهمتها تدمير السفن البيزنطية، وكان لذلك أثره في أن عرقل حركة السفن المعادية وأصابها بالشلل.

---

١- عن السلطان محمد الفاتح أنظر:

Kritovolos, History of Mohamed The Conqueror, Trans . by Charles T. Riggs, Princeton 1954 .

Babinger, Mehmet der Eroberer und seine Zeit, Munich 1953 .

وهي أفضل دراسة بالألمانية في موضوعها .

سالم الرشيدى ، محمد الفاتح، ط. جدة ، ١٩٨٩م.

٢- عن ذلك أنظر:

Schlumberger , Le Siege, la prise, et le Sac de Constatinople par les Turcs, Pariss 1914 .

زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطى، بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص١٨٨- ص٢٠٦ ، حيث نقدم عرضاً ممتازاً يكشف عن مؤرخة خبيرة وأنظر الملاحق في ختام الكتاب .

أيضاً من المفيد الرجوع إلى :=

ثالثاً : دعم جهود العثمانيون الحربية تشييد قلعة روم إيلي حصار الضخمة عام ١٤٥١م على بعد لايتجاوز ٧ كم. من أبواب القسطنطينية في منطقة البسفور على الجانب الأوروبي مقابل قلعة سابقة في آسيا الصغرى عرفت باسم أناضولى حصار التي شيدها بايزيد وتمكن محمد الثانى بذلك من أن يشرف على المضيق ، واستطاع أن يمنع أية إمدادات تصل إلى العاصمة البيزنطية. وضمن أن يضع قى قبضته حرية المرور بين الأناضول ، وأوروبا (٢).

رابعاً : أنشأ ذلك السلطان حوالى ٧٠ سفينة خفيفة وعمل على أن تحمل برأ من منطقة البسفور إلى خليج القرن الذهبى وقد تم ذلك فى ليلة واحدة وهو عمل عبقرى عكس براعة عسكرية غير مسبوقه ، وهدف من وراء ذلك ؛ تشتيت جهود المدافعين عن القسطنطينية (٣)، حتى يجعل البيزنطيين يقومون بنقل جزء كبير من قواتهم إلى شاطئ الخليج على نحو يضعف الجبهة البرية الغربية الوحيدة (٤).

خامساً : ظل المقاتلون المسلمون يشددون حصارهم حتى إذا لاح فجر يوم الثلاثاء ٢٩ مايو ١٤٥٣م بدأ الهجوم العام على العاصمة البيزنطية ؛ وذلك بعد حصار دام ٤٥ يوماً وكان الهجوم برياً ، وبحرياً فى آن واحد وبالفعل سقطت (٥) المدينة، وسقط الكثيرون من المسلمين شهداء ذلك اليوم التاريخى ، وسقط الكثيرون من البيزنطى قتلى خلال دفاعهم عنها ،

= محمد مفيد الشرباشى، ألمع ساعات الحرج فى تاريخ الإنسانية، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٩١ ، ص ٨٧-١٠٠ ، مى علوش ، أشهر حصارات المدن فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ١١٩-١٢٦ .

١- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ت. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص ٤٣٠ .

٢- مفيد الزيدى، العصر العثمانى، موسوعة التاريخ الإسلامى؛ ط. عمان ٢٠٠٣م، ص ٢٠ .

٣- Runciman, The Fall of Constantinople 1453 , Cambridge 1965 , pp. 105-106 .

٤- محمد طه جاسر ، تركية ميدان الصراع بين الشرق والغرب، ص ٤٢ .

٥- عن سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م أنظر:

Doukas, Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks, trans. by Magoulias , Detroit 1975 .

أتوجه بالشكر للزميل د. حاتم الطحاوى الذى قام بتزويدي بهذا المصدر التاريخى .

Kritovoulos , History of Mehmed the conqueror, pp. 66-72 .

Nicola Barbaro , Diary, of the Siege of Constantinople 1453 , Trans. by J.R. Jones, New York 1969 .

وكذلك قتل الامبراطور قسطنطين الحادى عشر<sup>(١)</sup>، وسط جنوده المدافسين عن العاصمة .

= وله ترجمة قيمة قام بها حاتم الطحاوى أنظر: الفتح الاسلامى للقطنطينية ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.  
The Siege of Constantinople 1453 , Seven Contemporary Accounts, trans . by J.R. Jones, Amsterdam 1972 .

ويحتوى الكتاب الأخير على عدة مصادر هي : Giacomo Tedalti , Leonicus Chalcocondylas, Michael Ducas, Christophes Riccherio , Zorzi Dolfin, Angelo Gioranni Lomellino , Leonard of Chios .

وتوجد ترجمة عربية ممتازة له مزودة بمقدمة اضافية وتعليقات ثرية من جانب المؤرخ الواعد حاتم الطحاوى، تحت عنوان: جونز ، الحصار العثمانى للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

أنظر أيضاً: Nicolle, Constantinople 1453 , The end of Byzantium , London 2005 , pp. 69-82 .

Schlumberger , Le Siege , La Prise et le Sac de Constantinople par les Turcs en 1453 , Paris , 1922 .

ويعد من أهم الدراسات فى موضوعه على الرغم من تأليفه فى الربع الأول من القرن العشرين.

Asimov, Constantinople, The Forgotten Empire, p. 260 .

برنارد لويس، استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، ت. سيد رضوان على ، ط. الرياض ١٩٨٢م، ص١٥- ٢٦ ، على محمد الصلابى، فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح ، فاتح القسطنطينية، وقاهر الروم. ط. دمشق ١٩٩٣م، ص١٢٦ ، صالح السعدون، فتح القسطنطينية ، ط. دمشق ب-ت ، ص٨٤ .

١- عن ذلك الإمبراطور أنظر:

Mijatovich, Constantine Palcologus, The last Emperor of the Greeks, 1448-1453, Chicago 1968 .

Nicol, The Immortal Emperor , The life and Legend of Constantintine Paleologos, last Emperor of the Romans, Cambridge 2002, pp. 54-128 .

Kordoses, “ The question of Constantine Palaiologos Coronation”, in Beaton and Roueche (eds), The Making of Byzantine History Studies dedicated to donald M. Nicol, Centre for Hellenic Studies King’s College , pp. 137-141 .

وواقع الأمر؛ تعد نهاية الامبراطور البيزنطي الأخير موضعاً للتأمل فقد طلب منه محمد الثانى الاستسلام ، والخروج بسلام من القسطنطينية غير أنه أبى ذلك، وظل يقاوم إلى أن قتل على الرغم من أن الوضع العسكرى القائم حينذاك يؤكد بما لا مزيد عليه أن الانتصار حتماً سيكون لصالح العثمانيين ، ومتطقي أن ذلك الامبراطور ومن بقى معه مدافعاً عن العاصمة البيزنطية كانوا يدركون ذلك تمام الإدراك.

والتساؤل الذى يثار هنا ؛ لماذا ظل يقاوم أمام قوة كاسحة برية وبحرية لا قبل له بها ؟ ومن المفترض أنه أدرك أن الموت محيط به لا محالة ، ولذلك رأى أن يموت بشرف حتى لا يقال عنه أنه استسلم ذليلاً لأعدائه ، وهو فى ذلك يذكرنا بمقاومة عناصر الاسبتارية والداوية خلال حصار السلطان المملوكى الأشرف خليل بن قلاون لعكا عام ١٢٩١م على الرغم من عدم تقديرى لتلك العناصر التى شاركت فى نهب الشرق طوال قرنين كاملين هما القرنين ١٢ ، ١٣م.

على أية حال فإن ذلك الامبراطور الذى قاتل ولم يستسلم؛ يستحق منا الاحترام، وهذا هو ما بقى منه للتاريخ ، فلاعجب والأمر كذلك أن نسجت حوله أسطورة. وهو فى ذلك يتشابه مع شخصيات قيادية نسجت حولها أساطير مثل شارلمان وفردريك بارباروسا وغيرهما.

ومن المهم هنا ؛ تناول سلوك السلطان محمد الذى لقب بالفتح تجاه المدينة ، وسكانها ، والواقع أنه عامل أهلها معاملة متحضرة ، وقد أمر جنوده بحسن معاملة الأسرى البيزنطيين، وإفئدى من ماله الخاص عدداً كبيراً من الأسرى<sup>(١)</sup>، وخاصة الأمراء ، ورجال الدين مكرراً ما قام به من قبل - منذ ٢٦٦ عاماً - السلطان صلاح الدين الأيوبي عندما دخل بيت المقدس فياتحاً فى ٢ أكتوبر ١١٨٧م<sup>(٢)</sup> ليدخل التاريخ من بعد من أوسع أبوابه . وينال تقدير المعاصرين حتى من غير المسلمين ومن بعدهم الباحثين الأوربيين المحدثين .

١- على محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط ، ط. بيروت ١٩٩٩ ، ص١٧٧- ص١٧٩ ، فاتح القسطنطينية ، ص١٣٧- ص١٣٨ ، سلامة البلوى، صور من تسامح الحضارة الإسلامية مع غير المسلمين، ط. الشارقة ٢٠٠٣م، ص ٧٦ .

٢- عن ذلك أنظر: ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٢٥ ، الفتح البندارى، سنا البرق الشامى، تحقيق فتحية النبراوى، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص ٣٨٥ ، مالكوم ليونز جاكسون ، صلاح الدين ، ت. على ماضى ومراجعة نقولا زيادة وفهمى سعد. ط. بيروت ١٩٨٨م. ص ٣٢٠ ، عزيز سوريال عطية ، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص ٢٤٩ ، على عبد الحليم محمود ، الغزو الصليبي والعالم الإسلامى، ط. الرياض =



وهكذا ؛ لم يحل بالعاصمة الإمبراطورية ما حل بها من قبل عام ١٢٠٤م، وهو أمر فصلته من قبل- والتعليل الوحيد يكمن في الفارق الشاسع بين عدو متبربر واجهته بيزنطة عام ١٢٠٤م ، وعدو متحضر عام ١٤٥٣م ، وذلك دون شيفونية جوفاء بل بروح الموضوعية الواجبة.

وأكرر عبارة ابن بيزنطة الملوك نيكيتاس خويناتس Nicetas Choniates<sup>(١)</sup> المعاصر لأحداث الصليبية الرابعة والذي كتب وقائعها بمداد الألم ، وعلى أوراق المرارة، والحزن القتال، وقد تمنى أن تسقط عاصمته الأثيرة إلى نفسه على أيدي المسلمين لا اللاتين ، وبالفعل تحقق ذلك عام ١٤٥٣م<sup>(٢)</sup> ، ولارب في أن البيزنطيين منهم من رأى أنه أنه خير لبيزنطة أن تحتلها عمائم العثمانيين الخضراء ، عن أن تحتل من جانب القبعة البابوية<sup>(٣)</sup> . أفضل إليه ، وهو اعتقاد تأتي من خلال تجربة بيزنطة الميرة مع الغرب الأوربي.

على أية حال ؛ وجدنا محمد الفاتح القائد الشاب لا ينتشر بخمر النصر على عكس ما حدث لعشرات المنتصرين في العصور الوسطى بصفة عامة؛ ولم يقم جنوده باغتصاب الراهبات

= ١٩٨٢م، ص ١٠٦ ، كارين آرمسترونج ، الحرب الصليبية الحملات الصليبية وأثرها على العالم العربي، ت. سامي الكعكي ، ط. بيروت ٢٠٠٤م، ص ٣١٩ ، مصطفى الحيارى، صلاح الدين القائد وعصره، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ٣١٩ ، محمد حسن شراب، بيت المقدس والمسجد الأقصى ، دراسة موثقة ، ط. دمشق بيروت ١٩٩٤م، ص ١٣١ - ص ١٣٢ .

١- عنه أنظر المدخل البليوغرافي.

٢- من قبل اعتقد أ.د. إسحق عبيد ؛ أن عوامل الإنهيار الداخلي التي ألت بيزنطة كانت حاسمة في سقوطها الداخلي وذكر ما نصه : «لم يكن عسيراً على السلطان محمد الفاتح في ٢٩ مايو ١٤٥٣ أن يدخل مدينة قسطنطين ويعلن زوال الإمبراطورية الرومانية الشرقية من الوجود وإلى الأبد، لقد سقطت بيزنطة من الداخل، ولم يكن للترك حتى مجرد شرف الإجهاز عليها، لقد كانت كالمخلوق الذي إنتحر». أنظر :

إسحق عبيد ، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ١٢٦١-١٢٨٢م ص ١٢ .

والواقع إنني اختلف مع أستاذنا القدير؛ لأن الإعداد لاسقاط العاصمة البيزنطية ، والمجهودات البارزة التي استغرقت عدة أعوام متواصلة لإسقاط عاصمة استعصت على الكثيرين على مدى قرون متعددة ، تجعلني أرى أن محمد الفاتح ومن خلفه المسلمون بالفعل صاحب شرف إسقاطها بجدارة؛ وهو إنجاز تاريخي غير مسبوق ، وأن العوامل الداخلية للضعف مهما كان تأثيرها لا تكتمل إلا بالفعل الخارجي الذي يحسن استقلالها وهو ما تم بالفعل في العام المذكور .

٣- اسحق عبيد، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس، ص ١٢٦ .

كما حدث عام ١٢٠٤ م- كما أسلفت الذكر من قبل- كما اجتمع بكبار رجال الدين وطمأنهم على أرواحهم وعقائدهم . وتم انتخاب بطريرك جديد، وأحسن استقباله وكان البيزنطيون يتصورون واهمين أن القتل الجماعي سيحل بهم ، والواقع أنه بعد أيام قليلة استؤنفت الحياة العادية في أمن وسلام حرمت منه العاصمة البيزنطية طويلاً ، وهكذا تحقق على أيدي العثمانيين بسقوط القسطنطينية ، حلم الاسلام الحربى الكبير<sup>(١)</sup>.

من ناحية أخرى ؛ تم إختيار كنيسة أيا صوفيا Hagia Sophia لتكون بمثابة الجامع الرئيسى للعاصمة عقب الفتح، وحيث أن الإسلام رفض تصوير الكائنات الحية لذلك تم تغطية الفسيفساء والذهبية التى تمثل الفن البيزنطى أفضل تمثيل بطبقة كلسية. كذلك ثم إقامة محراب فى وسط الجناح الجنوبى للكنيسة، وإلى اليمين منه أقيم المنبر تجاه المقصورة ؛ كذلك تم وضع لوحات النقوش الضخمة بأحرف بلغ طولها تسعة أمتار احتوت على اسم الجلالة، والرسول (ص) والخلفاء الراشدين وذلك بماء الذهب على لوحات مستديرة . فى عهد مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠م) ، كذلك تم تشييد أربعة منارات إحداها شيدت فى عهد محمد الفاتح ، والثلاث الأخريات أقيمت فى عهد من حكم من بعده<sup>(٢)</sup>.

وهناك زاوية مهمة تضاف إلى ما سبق؛ إذ أن سقوط القسطنطينية فى العام السالف الذكر لم يكن ليعنى انتهاء الوجود البيزنطى بل ظل قائماً فى صورة امبراطورية طرابيزون التى ظلت قائمة بعد ذلك بسبع سنوات إلى أن استسلمت للسلطان محمد الفاتح عام ١٤٦١م<sup>(٣)</sup>.

---

١- أحمد فؤاد سيد، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بنى أيوب ٥٦٧هـ / ٦٤٨ هـ. ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص ١٨٠ .

وأود الإشارة فهذه الدراسة التى أعدها المؤرخ الراحل الفذ د. أحمد فؤاد سيد ، عنه أنظر مقالتي: محمد مؤنس عوض، عصر الحروب الصليبية، بحوث ومقالات ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص٢٤٣- ص٢٥٣ .

٢- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٤٣٢ .

وعن تحويل كنيسة أيا صوفيا إلى مسجد أنظر :

Parker, Early Modern Tales of Orient . London 1999, p. 264 .

Norwich , Byzantium , The decline and Fall, p. 437 .

٣- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٤٣ .

تبقى هناك، ملاحظة على جانب كبير من الأهمية، إذ في تاريخ العصور الوسطى ثلاث قيادات بارزة حملت أو وصفت بلقب «الفتاح» هي كالاتى :

أولاً: وليم «الفتاح»<sup>(١)</sup> William The Conqueror : دوق نورمانديا الذى هزم الأنجلوسكسون فى معركة هاستنجر بالانجلترا عام ١٠٦٦ م .

ثانياً : جنكيز خان الملقب «بفتاح العالم»<sup>(٢)</sup>؛ القائد المغولى الذى ضم إليه الصين ١٢١٥م، وفتح مناطق عديده منها الدولة الخوارزمية ومناطق الاسماعيلية النزارية فى شمالى إيران وتمكن أتباعه من دخول بغداد وإسقاط الخلافة العباسية عام ١٢٥٨م.

ثالثاً : محمد «الفتاح» : مسقط بيزنطة ١٤٥٣م.

= وجدير بالذكر؛ أن ذلك السلطان واصل فتوحاته وأخضع صربيا عام ١٤٥٤م، ص ١٤٥٥م، وفى عام ١٤٥٦م؛ قام بحملة ضدها غير أنه لم يتمكن من الإستيلاء على بلجراد، عن ذلك أنظر: نجلاء حسين توفيق، سياسة الدولة العثمانية فى البلقان تجاه الصرب ١٣٢٦-١٤٥٩م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة أسيوط عام ٢٠٠١م، ص ١٢٨ .

أيضا بالتفصيل أنظر:

Inalcik, " The Ottoman Turks and The Crusades 1451-1522", Setton (ed.), History of the Crusades , vol . VI , Wisconson 1989, pp. 311-353 .

١- عن وليم الفاتح أنظر:

William of Poitiers, Deeds of Duke William , in Houts, The Normans in Europe, Manchester 2000, p. 74-75 .

Adams, The History of England from The Norman Conquest to the death of John (1066-1216), London 1905 , p. 67-78 .

Chibnall, The Normans , Massachesttle 2000, p. 29 .

محمد محمد مرسى الشيخ، «الفتح النورمانى لانجلترا - ملحمة فريدة فى تاريخ إنجلترا ونورمانديا فى العصور الوسطى»، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط م (٢)، ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص ٢٤٧- ص ٢٥١، سعيد السيد على فرغلى، «إضحلال حكم الانجلوسكسون فى انجلترا ٩٧٩- ١٠٦٦م / ٣٦٨- ٤٥٨هـ، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٤٩٤- ص ٤٩٥ .

نور الدين خطوم، تاريخ العصر الوسيط فى أوروبا، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص ٦٩٠- ص ٦٩٥ .

٢- عن جنكيز خان أنظر: عطا ملك الجوينى، تاريخ جهانكشاي، ت. محمد السعيد جمال الدين ضمن كتاب دولة الاسماعيلية فى ايران، ط. القاهرة، ١٩٧٥م فلاديمير سينوف، حياة جنكيز خان الإدارية والسياسية والعسكرية، ت. سعيد بن حذيفة الغامدى، ط. الرياض ١٩٨٣م، رمزي، تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار فى وقائع قزان، وبلغار ومعارك التتار، م. اورنبورغ ١٩٠٨م، ص ٣٤٤، عباس إقبال، تاريخ =

وجدير بالذكر؛ أن المؤرخين الأوروبيين حرصوا أشد الحرص على المبالغة في تقديم وليم الفاتح وتكفل المؤرخون البريطانيون بتأليف مئات الدراسات عنه وتصويره على أنه من الأفياد عسكرياً وسياسياً من خلال دعاية قومية لاجدال فيها ، حقيقة أ معركة هاستنجر لاتعد مجرد معركة عسكرية بل أنها بمثابة غزو حضارى فرنسى لانجلترا وأنهت عزلتها من القارة الأوربية؛ إلا أنها صوحت بقدر بارز من الدعاية السياسية عندما اتجه المؤرخون البريطانيون للكتابة التاريخية عنها.

أما جنكيز خان؛ الذى أقام إمبراطوريته على جماجم المسلمين ، ودمر حواضر الشرق الإسلامى التى كانت مزدهرة تجارياً وعلمياً بصورة غير مسبقة ، مثل بغداد ، ونيسابور ، ومرو ، وبخارى ، وأقام المذابح فى كل مكان حل فيه . فقد لقي من المؤرخين الغربيين التقدير، وكتابات المؤرخين الروس<sup>(١)</sup>، والفرنسيين خير برهان ودليل، بل اعتبره المؤرخ الأمريكى الواهم مايكل هارت من «العظماء المائة فى التاريخ !!!»<sup>(٢)</sup>.

فإذا اتجهنا إلى محمد الفاتح الذى تمكن من إسقاط بيزنطة- التى حوصرت من قبل (٢٩) مرة كما قرر البعض ، ونجح فى تحقيق ذلك وهو فى أوائل العشرينيات من عمره فهو أصغر

---

= المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ت. عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافى بأبوظى ٢٠٠٠م، ص ٥٧- ١١٣ ، أحمد حطيط، حروب المغول ، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ١٨- ص ١٩ ، أحمد عودات وجميل بيضون وشحاده الناطور، تاريخ المغول والمماليك فى القرن السابع الهجرى ، حتى القرن الثالث عشر الهجرى، ط. أريد ١٩٩٠م، ص ٢٢ ، محمود السيد، التتار والمغول، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، ص ٦٠- ص ٦٤ ، محمد التونجى، بلاد الشام أبان الغزو المغولى ، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص ٢٣- ص ٣٨ ، محمد أسد الله صفا، جنكيز خان ، ط. بيروت ١٤٠٨ هـ ، هارولد لامب، جنكيز خان وجحافل المغول ، ت. متري أمين، ط. القاهرة ١٩٦٢م. السيد الباز العرينى ، المغول ، ط. بيروت ١٩٨٦م، فزاد عبد المعطى الصياد، المغول فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٨٠م، حافظ حمدى ، الدولة الخوارزمية والمغول ، ط. القاهرة ١٩٤٩م، الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى، ط. القاهرة ١٩٥٠م قاسم عبده قاسم ، السلطان المظفر سيف الدين قطز بطل معركة عين جالوت ط. دمشق ١٩٩٨م، ص ٩٧- ص ٩٨ ، محمد فتحى أمين، الغزو المغولى لديار الاسلام ، ط. دمشق ٢٠٠٥م، ابرار كريم الله ، من هم المغول، ت. رشيد رحيم ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.

١- على سبيل المثال أنظر:

فلاديمير ستينوف، حياة جنكيز خان الإدارية والسياسية والعسكرية ، ت. سعيد بن حذيفة الغامدى، ط. الرياض ١٩٨٣م.

Grusset , Histoire de , Le Monde Mongol , Paris 1922 .

٢- المائة الأوائل ، ص ٧٨ .

فاتح بارز في العصور الوسطى على الأقل، محققاً إنجازاً عسكرياً وسياسياً غير مسبوق- فلم ينل منهم إلا العداء الشديد واتهامه في أخلاقه على الرغم من تسامحه الفريد ولكن هي المركزية الأوروبية ذات المعايير المزدوجة ، ومن المضحكات المبكيات أن يردد البعض في الغرب الأوروبي والأمريكي في مطلع القرن الحادي والعشرين أن الإسلام دين الإرهاب بعد كل تلك الصفحات الناصعة من التسامح من جانب صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧م، ومحمد الفاتح عام ١٤٥٣م وغيرهما .

على أية حال ؛ تأكد الممات البيزنطي من خلال أن «القلب» تغير اسمه فصارت القسطنطينية تسمى إسلام بول أو مدينة الإسلام أو استانبول<sup>(١)</sup>، أو الاستانة ، واختفى اسمها القديم إلى غير رجعة، ولم يعد موجوداً إلا في كتب التاريخ فقط، وظلت استانبول عاصمة للدولة العثمانية إلى أن قام مصطفى كمال أتاتورك بإسقاط الخلافة وتحويل العاصمة إلى انقره في مطلع عشرينات القرن العشرين ، وتحديدًا عام ١٩٢٣م<sup>(٢)</sup>.

ولاريب في أن كافة تلك التغيرات كانت بمثابة النتيجة الطبيعية لما حدث خلال عام ١٤٥٣م الذي يعد - بكافة المقاييس - عامًا محوريًا في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى وإيذانًا بتحويلات تاريخية لاحقة بعيدة المدى في التاريخ الحديث والمعاصر؛ مما عكس قدرة المسلمين على التأثير الواسع المدى في تاريخ القارة الأوروبية ، وأن سبب ذلك حسرة كبيرة في نفوس المؤرخين الغربيين الذين كتبوا مؤلفاتهم عن التاريخ البيزنطي وتعرضوا لتلك الحادثة<sup>(٣)</sup>، وهناك منهم من وصف الواقعة على أنها «رد الإسلام الكبير»<sup>(٤)</sup>، وهو تعبير قوي الدلالة بطبيعة الحال.

١- عن استانبول أنظر : أدهم الدم، دانيال غوتمان ، ويروس ماسترز ، المدينة العثمانية بين الشرق والغرب، حلب ، أزمير واسطنبول، ت. زكي زيان، ط. الرياض ٢٠٠٤م.

٢- عبد العزيز نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٥ .

٣- من أمثلة هؤلاء تذكر شارلز أومان الذي أورد ما نصه : «وأخيراً وصل السلطان (يقصد محمد الفاتح) إلى سانت صوفيا حيث كانت جموع الأسرى الباكية يوزع بين جنوده ، وقد دخل من الباب الشرقي وأمر أحد العلماء بصعود المنبر وأن تقرأ هناك صيغة التشهد الإسلامي وهكذا ؛ دوى الصوت بأنه الله أكبر محمد رسوله في القبة التي أحيا فيها ثلاثون جيلاً من البطارقة العشاء الرباني المقدس وعرفت أوربا كلها وآسيا أن الستار قد أسدل على أطول قصة رأتها المسيحية لإحدى الامبراطوريات . أنظر: شارلز أومان، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٦٦ .

٤- فرديناند بروديل، البحر المتوسط المجال والتاريخ، ت. يوسف شلب الشام، ط. حمص ٢٠٠٠م، ص ١٧٦ .

وهكذا ؛ كان التاريخ البيزنطى بمثابة قصة طويلة عنيفة للصراع مع الموت عبر الزمان على مدى ما زاد على الأحد عشر قرناً ، الميلاد فى ١١ مايو ٣٣٠ ، والمات ٢٩ مايو ١٤٥٣م ، ولا تغفل أن نفس الشهر الذى ولدت فيه كان لها مع الموت موعداً وتلك من مفارقات التاريخ وما أكثر مفارقاته !!!

على أية حال ؛ فإن السقوط البيزنطى كان مدوياً ، ويكفى أن هناك من المؤرخين من تصور أن عام ١٤٥٣م ؛ يصلح ليكون بداية تاريخ العصر الحديث فى أوربا على اعتبار حدوث تلك الحادثة المحورية ، وكذلك نهاية حرب المائة عام بين إنجلترا ، وفرنسا فى العام المذكور<sup>(١)</sup> ، مما عكس أهمية ذلك العام بأحداثه فى الشرق البيزنطى «سابقاً» ، والغرب الأوروبى على حد سواء .

أما نتائج عام ١٤٥٣م ؛ فيمكن ملاحظتها من خلال إرتفاع شأن الأتراك العثمانيين الذين ظهروا فى عيون رعاياهم على أنهم قادة الجهاد الإسلامى وقد نجحوا فيما عجز عنه الحكام

١- نشبت حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا حيث حدثت نتيجة للصراع حول أملاك إنجلترا فى القارة الأوربية ، كذلك لا تغفل الصراع الاقتصادى بين الدولتين وكذلك تصادم المصالح السياسية ، ويلاحظ أن تلك الحرب لم تستمر مائة عام على نحو الدقة بل (١١٦) عاماً ، وأهم ما يميزها ثلاث مراحل هى الأولى : من ٣٣٧م إلى ١٣٨٠م وخلالها انتصر الإنجليز عند كريس ، واستولوا على كاليه ثم بواتيه أما الثانية ؛ فقد امتدت من ١٣٨٠ إلى ١٤١٥ م ولم تحدث خلالها صدامات كبيرة ، أما الثالثة ؛ فقد امتدت من ١٤١٥ إلى ١٤٥٣م وخلالها تجددت الحرب على يدى هنرى الخامس ملك إنجلترا ، ودوق برجنديا ، وحقق الإنجليز انتصاراً عند ازينكورت وقاموا بغزو شمالي فرنسا ، ثم قامت برجنديا بالتحالف مع فرنسا إلى أن تم طرد إنجلترا بصورة نهائية من أوربا ومن أهم أحداث تلك المرحلة قتل جان دارك عذراء أورليان حرقاً عام ١٤٣١م ، عن حرب المائة عام أنظر:

Perroy, The Hundred Years War , Trans. by D.C. Douglas, London 1951 . Painter , A History of the Middle Age 284- 1500, New York 1954 , pp. 16-32 .

إسحق عبيد ، «جان دارك رؤية من خلال الوثائق ضمن الموسم الثقافى للجمعية التاريخية المصرية ، ط. القاهرة ١٩٧٨م.

الفيلد مارسال مونتيجمورى ، الحرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٦١ - ص ٢٩٧ ، سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ص ٤٩١ - ص ٥٠٥ ، مجموعة من المؤرخين الروس ، موجز تاريخ العالم ، ت. محمد عينانى ، ج ١ . ط. بيروت ١٩٨٩م ، ص ١٩٣ - ص ١٩٤ ، موريس كين ، حضارة أوربا العصور الوسطى ، ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م ، ص ٢٢٤ - ص ٢٣٨ ، جلال يحيى ، التاريخ الأوروبى الحديث والمعاصر ، الفجر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م ، ص ١٣٣ - ص ١٤١ .



المسلمون طوال العصور الوسطى ، وهكذا ؛ تمكن المسلمون في صورة الأتراك العثمانيين من أن يضعوا أقدامهم في القارة الأوربية في الجزء الشرقى منها وبذلك حققوا حلمًا جماعيًا طالما دأب عقولهم منذ قرون طويلة مضت ، ليستمر ذلك الوجود حتى يومنا هذا ليرتفع شأن تركيا في القرن السادس عشر في عالم البحر المتوسط <sup>(١)</sup> ، وقيمة ذلك العمل ؛ أنه بعد حلوته بأقل من أربعة عقود - كما أسلفت - إنتهى الوجود الإسلامى من الغرب الأوروبى ، فكأن عام ١٤٥٣م ؛ جاء كبديل عن الإنسحاب الذى سيحدث فيما بعد بأقل من أربعة عقود عام ١٤٩٢م من خلال اتحاد فرديناند وايزابيلا ضد بنى الأحمر فى غرناطة <sup>(٢)</sup> ، من الجهة المقابلة ؛ واعنى بها شبه الجزيرة الأيبيرية بعد ثمانية قرون من الوجود الحضارى هناك .

والأمر المؤكد ؛ أن القرن الخامس عشر شهد تحولات جذرية على المستوى الجيوبولوتيكى بصورة دلت على أن عصرًا تاريخيًا جديدًا إفتتح ، ولاشك فى أن المسلمين شاركوا بجدارة فى

١- فرديناند بروديل ، تاريخ وقواعد الحضارات ، ت حسين الشريف ، ط. القاهرة ١٩٩٩م ، ص ١٠١ .

٢- فرديناند أو فرناندو ؛ هو ابن ملك نبره خوان الأول ولد عام ١٤٥٣م ، وقد تولى عرش مملكة أرتون من عام ١٤٧٩ إلى ١٥١٦م ، كذلك اعتلى عرش مملكة نابولى عام ١٥٠٤ حتى ١٥١٦م ، وصقلية من ١٤٦٨م إلى ١٥١٦م وقشتالة من ١٤٧٤ إلى ١٥٠٤م ، ثم تزوج من الملكة ايزابيلا ملكة قشتالة وقاد الحرب ضد المسلمين فى غرناطة آخر معاقلمهم فى الأندلس إلى أن سقطت عام ١٤٩٢م ، أما ايزابيلا ، فقد ولدت فى مدريدال دى الناس تورس عام ١٤٥١م وهى ابنة ملك قشتالة خوان الثانى ، وأمها هى ايزابيلا البرتغالية ، وقد تزوجت من فريناند أمير أرغون وصقلية وقادت معه ما أسماه الأسبان حرب الاسترداد Reconquista ، عن ذلك أنظر: مانويل جاسبار رميرو ، رحيل أبى عبدالله مع أسرته وكبار أتباعه ، ت . عبد الفتاح عوض ، ضمن كتابه فصول فى تاريخ الأندلس - بداية النهاية ، ط. القاهرة ٢٠٠١م ، ص ٢٥١- ص ٢٧٦ ، محمد عبده ، الاتفاقية السرية الملحقة بمعاهدة تسليم غرناطة عرض وتحليل ، ضمن كتاب بحوث ودراسات مهداه إلى عبد العزيز الدورى ، ط. عمان ١٩٩٥م ، ص ٢٥٥- ص ٢٦٧ ، شحر محمد سالم ، علاقة مصر المملوكية بغرناطة قبيل وعقب سقوطها ، المؤتمر العالمى الخامس للدراسات المورسكية الأندلسية حول الذكرى الخمسمائة سنة لسقوط غرناطة ١٤٢٢- ١٩٩٢ ؛ إشراف عبد الجليل التميمى ، ط. زغوان ١٩٩٣م ، ج ٢ ، ص ٩٢ ، حاشية (٤١) ، واشنطن ، أخبار سقوط غرناطة ، ت. هانى يحيى نصرى ، ط. بيروت ٢٠٠٠م ، ص ٢٢١- ص ٢٢٨ ، على حسين الشطشاط ، نهاية الوجود العربى فى الأندلس ، ط. القاهرة ٢٠٠١م ، ص ٧١- ص ١١٤ ، محمد حسن العيدروس ، تاريخ العرب الحديث ، ط. القاهرة ٢٠٠١م ، ص ٣١- ص ٣٣ ، عبد العزيز نوار ، ومحمود محمد جمال الدين ، التاريخ الأوروبى الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ط. القاهرة ١٩٩٩م ، ص ٩ ، عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار ، التاريخ الأوروبى الحديث ، ط. القاهرة ، ص ١١ .

صنعه ، ولانغفل كذلك اكتشاف الأمريكتين من خلال حركة الكشف الاسبانية على نحو مثل نقطة تحول تاريخية.

ولانغفل ناحية أخرى من نتائج ذلك الحدث ؛ إذ أن الكثيرين من العلماء البيزنطيين رحلوا إلى الغرب الأوربي من بعد دخول الأتراك العثمانيين القسطنطينية وكان لهم دورهم البارز في قيام النهضة الإيطالية قبل غيرها من الدول الأوروبية<sup>(١)</sup> دون إغفال عوامل أخرى أدت إلى تلك الأسبقية الحضارية بطبيعة الحال.

ولانغفل ؛ أن الدولة العثمانية من الآن فصاعداً ستغدو أكثر من مجرد آلة حربية ، لقد أقام العثمانيون بوصفهم نخبة فاتحة، وحدة من الإيمان ، وكذلك الثقافة واللغة على مساحة تجاوزت مساحة الامبراطورية الرومانية، واعتنقها أعداد هائلة من الشعوب<sup>(٢)</sup>، وإن كان ذلك جميعه لا يقدم مبرراً كافياً لنشوء الرعب الأوربي من تلك الدولة المسلمة التي وضعت أقدامها على أرض القارة الأوربية بعد جهد جهيد وكفاح حفظ التاريخ ملامحه .

لانغفل كذلك أن سقوط العاصمة البيزنطية في التاريخ قد اعتبره البعض بمثابة انتقام آسيوى أخذت فيه آسيا بثأرها من فتوحات الاسكندر الأكبر أو أنها حركة مضادة للحروب الصليبية<sup>(٣)</sup>. وإن كنت أتصور أن القضية ليست قضيه إنتقام بل نمو وتطور طبيعى لقوة الاسلام كدين فاتح وعابر للقارات فى توسعاته .

١- زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ج ١، ص ٧، شوقى الجمل، وعبدالله عبد الرازق، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة ، ط . القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٤ وعن عطاء بيزنطة الحضارى للعالم أنظر:

Diehl , Byzantium , Greatness and decline, Trans. by Naomi Walford, New Jersey 1957 , pp. 227-288 .

٢- بول كنيدي ، نشوء وسقوط القوى العظمى ، ت. مالك البديري، ط. عمان ١٩٩٤م، ص ٣٢ .

وأود الإشارة بهذه الدراسة لمفكر استراتيجى أمريكى وأشيد بجهد المترجم الذى بذل ما فى وسعه لنقل ذلك الكتاب الموسع إلى العربية فى لغة سليمة .

٣- نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسى ص ٣٤٧ ، هذه الفكرة نظرية للغاية وانفرد المؤرخ الفاضل بها ولا أميل إلى تأييدها .

من ناحية أخرى ؛ أثارت تلك الحادثة التاريخية المحورية جدلاً بين المؤرخين حول من يرث الامبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية ، ومن هي روما الثالثة ؟ ورأى البعض أن ذلك الوصف ينطبق على فيينا Vienne عاصمة الإمبراطورية الرومانية المقدسة؛ بينما رأى فريق آخر أن موسكو صاحبة ذلك الميراث<sup>(١)</sup>، ومنطقي أنه من الصعب حسم ذلك الأمر الجدلي.

ولانغفل كذلك؛ الإشارة إلى أن تلك الإمبراطورية التي حملت لواء المسيحية الأرثوذكسية على مدى عدة قرون، غدت مناراً للإسلام والدعوة لذلك الدين على الأرض الأوربية<sup>(٢)</sup>. وتلك مفارقة من مفارقات التاريخ .

والواقع أن «الممات البيزنطي» على ذلك النحو يشير قضايا ملحة وهي التوقيت الزمني ، ثم تحليل عوامل السقوط، كذلك المسئولية التاريخية عن ذلك بين الفردية، والجماعية ، أو بينهما معاً.

وفيما يتصل بالتوقيت الزمني؛ وهو عام ١٤٥٣م؛ من الملاحظ سقوط بيزنطة من قبل ذلك التاريخ بعدة قرون ، وعدة مرات ؛ وهنا مكن التعجب في تاريخها المديد؛ إذ أنها سقطت أوربا عندما قامت الإمبراطورة إيريني من قيليريتسميل عيني ابنها قسطنطين السادس سعيًا وراء بريق المنصب الإمبراطوري فأطفأت بريق عيني فلذة كبدها !!!

كما أن بيزنطة سقطت أخلاقياً من خلال كم المؤامرات والدسائس والفتن الغير مسبقة التي حدثت بين ما يمكن ، وصفه «بالصفوة» السياسية والعسكرية والواقع أنها لم تكن - غالباً - صفوة على المستوى الأخلاقي لأنها كانت تستحل فعل أي جرائم من أجل بريق السلطة الأخاد بجامع العقول والقلوب ولا شيء غيرها !

١- نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسية، ص ٣٤٧ ، ولشرح هذه الزاوية ، هناك من يقرر أن المسيحيين اللاتين نظروا لأحداث عام ١٤٣ م على أنها بمثابة عقاب إلهي حل بالبيزنطيين المهرطقين وإنفصالهم عن كنيسة روما وشارك الروس عناصر اللاتين في الفكرة المذكورة ، وأعتقدوا أن موافقة الامبراطورية البيزنطية على مجمع فلورنسا نتج عنه أن انتزع الله منهم الرئاسة على العناصر الأرثوذكسية وبالتالي صارت موسكو - في تصورهم - القسطنطينية الجديدة أو روما الثالثة، عن ذلك انظر:

طارق متري : المسيحيون الشرقيون والإسلام، ضمن كتاب العلاقات الإسلامية - المسيحية ، قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، ط . بيروت ١٩٩٤م، ص ١٨٧، حاشية (٢٩) .

ومع ذلك ؛ فالواقع أن عملية الإضمحلال ، والسقوط على المستوى التاريخي بصفة عامة عملية معقدة متداخلة العناصر<sup>(١)</sup>. وبالنسبة للتاريخ البيزنطي؛ تسببت فيها عدة عوامل ، والأمر المؤكد ؛ أن معركة مانزكرت عام ١٠٧١م ؛ أحدثت زلزالاً عنيفاً في الجسد البيزنطي، أو كما وصفها طومسون J.K.J. Thomson بأن مفتاح الهزيمة تمثل في تلك المعركة<sup>(٢)</sup> .

وجدير بالذكر أن آسيا الصغرى مثلت - على مدى التاريخ البيزنطي - خط الدفاع الشرقي البالغ الامتداد عن القلب البيزنطي في صورة القسطنطينية ، ومثلت الرئة التي تتنفس من خلالها الامبراطورية ، ناهيك عن دورها التجاري الممتاز ، وهكذا فإن أحداث ١٠٧١م وما تلاه مثل نقطة تحول محورية في تاريخ تلك الإمبراطورية نظراً لتأثيرها على آسيا الصغرى، على نحو خاص ولا تغفل كذلك؛ أن الحركة الصليبية ذاتها جاءت بمثابة اختبار عسير للإمبراطورية التي دفعت الثمن فادحاً من خلال لعبة توازن القوى التي مارستها ببراعة من قبل، ثم سقطت ضحية لها فيما بعد؛ كما حدث في عام ١٢٠٤م ومن الممكن القول أن القرنين ١٢ ، ١٣م، شاركا بفعالية في الأحداث النهائية التي جرت في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي .

من جهة أخرى؛ لانتكر تأثير عوامل الإضمحلال الداخلية ، وقد تزايدت على نحو جلي في عهد أسرة باليولوج دون أن نفصل بين ما حدث في عهد تلك الأسرة والخط البياني الهابط لغير صالح تلك الإمبراطورية من قبل.

١- عن الإضمحلال في التاريخ بوجه عام أنظر: آرثر هيرمان، فكرة الإضمحلال في التاريخ الغربي ت . طلعت الشايب، تقديم رمضان بساويس ، المشروع القومي للترجمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

ويقلب على الكتاب الطابع الفلسفي التنظيري ويتعد أحياناً عن «التطبيق» العملي التاريخي.

٢- عن ذلك أنظر:

Thomson , Decline in History The European Experience , Cambridge 1998, p. 8 .

وفي ذلك يقول ما نصه :

“ A key defeat was the battle of Manzikert in 1071, following which the Turks advanced to the very walls of Constantinople” p. 8 .

وقد درس المؤلف أمر الإضمحلال البيزنطي على مدى الفصل الرابع من دراسته القيمة عن ذلك انظر:

Thomson , pp. 3-9 .

وبصفة عامة ، تعد دراسته متميزة.

والمؤكد ؛ أن الحرب الأهلية والصراع على العرش الامبراطوري قد أجهد تلك الامبراطورية خاصة أنها استمرت عدة أعوام وهناك من يقرر أن تلك الحرب أدت إلى نشر الخراب في أنحاء الامبراطورية، وخلال ذلك وجدنا الانقسام بين البيزنطيين إلى فريقين <sup>(١)</sup>، كل فريق يؤيد أحد الساعين إلى ذلك المنصب وكل ذلك في وقت كان البيزنطيون أحوج ما يكونوا إلى الوحدة والتماسك في مواجهة الخطر الخارجي .

أما إذا اتجهنا صوب الجانب الاقتصادي والاجتماعي - وهو يحتل أهمية خاصة - نجد أن الخزانة الامبراطورية حينذاك صارت تعاني من نقص شديد ، خاصة أن الخراب قد انتشر من خلال الحرب الأهلية . وتضاؤل شأن الرسوم الجمركية ؛ نظراً لاستئثار البنادقة والجنوية بجانب وافر من التجارة الخارجية وحصولهم على امتيازات كبيرة، ولذلك اضطرت الحكومة إلى خفض قيمة العملة وبل استدان الأباطرة ووصل بهم الأمر إلى حد رهن جواهر التاج <sup>(٢)</sup>؛ مما عكس الوضع المالي المتردي الغير مسبوق .

أما من الناحية الاجتماعية ؛ نلاحظ أنه منذ أواسط القرن الرابع عشر الميلادي ظهرت موجة من الثورة الاجتماعية فالعناصر الغفيرة ثارت ضد الطبقة الارستقراطية ، وفي مدينة سالونيك - على سبيل المثال - وهي التي وصفت بأنها المدينة الثانية في الأهمية عنها القوضى وقامت فيها حكومة ذات طابع جمهوري <sup>(٣)</sup> ووجدت السلطة الامبراطورية مشقة بالغة في إخضاعها في عهد حنا كنتياكوزين ولم يحدث ذلك إلا بشق الأنفس وبعد جهد جهيد <sup>(٤)</sup>.

أما على الصعيد الديني؛ فلاريب في أن مسألة توحيد الكنيستين الشرقية والغربية قد أجهد الامبراطورية البيزنطية وأدخل أهلها في جدل وتصارع لم يكن من ورائه مغنم، ومن الأمور ذات الدلالة أنه في عام ١٤٥٢م، وهو العام السابق مباشرة على الفتح العثماني نشبت

Diehl, The Byzantine Empire, p. 18 .

-١

Ibid, p. 19 .

-٢

Ibid, p. 17 .

-٣

Ibid, p. 17 .

-٤

مظاهرات صاخبة عند كنيسة أيا صوفيا نتيجة لتلك القضية ، واستمر الأمر موضعاً للخلاف حتى عندما كان العثمانيون يحاصرون العاصمة البيزنطية<sup>(١)</sup>.

وإذا نظرنا صوب الجيش والأسطول نجد أن الأول بلغ درجة كبيرة من الضعف ، وثارت عناصر المرتزقة بل إن فرقة المرتزقة التي عرفت باسم جماعة الكاتلان الكبرى Catalan، انتزعت غاليبولي Gallipoli ثم حاصرت القسطنطينية لمدة عامين<sup>(٢)</sup> على نحو عكس الوضع المتردى الذى بلغه الجيش البيزنطى حينذاك.

أما الأسطول البيزنطى ، فقد حاول ميخائيل الثامن إعادة تنظيمه إلا أن من حكم من بعده من الأباطرة البيزنطيين رأوا أن الاحتفاظ بذلك الأسطول يمثل عبئاً مالياً كبيراً ، ولذلك أهملوه ، وهكذا ؛ ثم ترك حماية مصالح الإمبراطورية فى القسم الشرقى من البحر المتوسط لأساطيل المدن التجارية الإيطالية<sup>(٣)</sup>.

وهكذا يتأكد لنا أن الاحتضار البيزنطى تزايد بصورة واضحة فيما قبل الفتح العثمانى للقسطنطينية ، ويتضح لنا بالفعل أن الانهيار شمل كافة المرافق والمؤسسات فى الامبراطورية ، فإذا أضفنا ذلك أن الشخصية البيزنطية أصيبت فى الصميم من جراء محنة ما بعد ١٢٠٤م ، أدركنا أن حجم الانهيار كان كبيراً .

ومن الممكن الإقرار بأن السقوط كفكرة قديمة ومتكررة على مدى التاريخ البيزنطى ذاته ، كما أنها فى عام ١٢٠٤م سقطت لأول مرة ، غير أن الفارق الجوهرى بين أحداث عامى ١٢٠٤م ، ١٤٥٣م ؛ أنها استمرت بعد العام الأول ، وانتهت إلى غير رجعة بع العام الثانى ، وبالتالي بعد عام ١٤٥٣م ؛ هو الأكثر بقاء ولالة فى التاريخ مقارنة بالأول حتى هذه اللحظة !! ولانفعل ، أن المرحلة الواقعة ما بين عامى ١٢٦١م حتى ١٤٥٣م يمكن أن توصف بأنها «الاحتضار البيزنطى طويل الأجل» ، ومن الممكن الافتراض - كنوع من الرياضة الذهنية لا أكثر حيث أنه لا يوجد لو فى التاريخ ، أنه لولا حدوث كارثة أنقرة عام ١٤٠٢م ؛ لكان من

Ibid, p. 158 .

-١

Ibid , p. 159 .

-٢

Diehl, Rhe Byzantine Empire, p. 160 .

-٣



الممكن أن يسقط الأتراك العثمانيون بيزنطة قبل عام ١٤٥٣ بعدة عقود، في عهد بايزيد الأول وليس في عهد محمد الفاتح ، وهكذا ؛ فإن عاملاً خارجياً في صورة التتار بقيادة تيمورلنك ساعد على إطالة عمر تلك الإمبراطورية إلى أن سقط في العام المحدد لذلك ويلاحظ أن صراعات أعداء بيزنطة مع بعضهم البعض - على مدى تاريخها - أى في أحيان متعددة أدت إلى «إطالة» عمرها وهو أمر تكرر مرات متعددة .

نخلص من ذلك؛ أن عام ١٤٥٣م في الواقع تحديد زمنى ينبغى ألا يوهمنا بأن الإمبراطورية البيزنطية قد سقطت فيه بينما -نظرياً- سقطت من قبل ذلك عدة مرات في ظروف متباينة.

ونفس الأمر نجده لدى كيانات سياسية أوربية ، وإسلامية معاصرة لتلك الإمبراطورية في مرحلة العصور الوسطى ومن أمثلة ذلك؛ مملكة بيت المقدس الصليبية ، والدولة الفاطمية والدولة الأيوبية ، فقد تصور الكثيرون أن الأولى سقطت من جراء حطين عام ١١٨٧م، بينما سقطت من قبل ذلك أدبياً من خلال طبيعة الحركة الصليبية ذاتها كحركة متعصبة عنصرية ودمسوية<sup>(١)</sup> ، وتمثل المرحلة من ١١٧٤ - عام وفاة الملك عمورى آخر الملوك الصليبيين الأقوياء - حتى عام ١١٨٧م احتضار ما قبل النهاية العسكرية في صورة حطين وأعقابها ، ونفس الأمر يقال عن الدولة الفاطمية التي لم تسقط عام ١١٧١م بل من قبل ذلك من خلال الصراع الشيعى السنى محضرى التشكيك فى نسب الفواطم من جانب العباسيين فى عهدى الحاكم والمستنصر على نحو أدى إلى هوانهم فى نفوس رعاياهم ثم التصارع على السلطة بين الوزراء العظام كل ذلك جعل تلك الدولة تعيش نوعاً من الاحتضار الذى طال بها منذ عهد المستنصر (١٠٣٦-١٠٩٤م) خاصة منذ الشدة المستنصرية حتى عهد العاضد آخر الخلفاء الفاطميين فى مصر ناهيك عن العجز عن مواجهة الغزو الصليبي، أما الدولة الأيوبية قد

١- عن ذلك بالتفصيل : محمد مؤنس عوض، عوامل إخفاق المشروع الصليبي فى القرن ١٣ م / ٧هـ ،

ضمن كتاب الحروب الصليبية السياسة ، المباء ، العقيدة ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٤١- ص٦٧ .

وتقوم حالياً تلميذتى صفاء عثمان بإعداد أطروحتها للدكتوراه فى نفس الموضوع وتحديدأ بعنوان.

عوامل فشل المشروع الصليبي فى القرن ١٣ م .

سقطت أدبيا بمعاهدة يافا ١٢٢٩<sup>(١)</sup> والتفريط في القدس على يد الكامل الأيوبي قبل أن تسقط في عهد تورانشاه ١٢٥٠ م.

أما العوامل التي أدت إلى الممات البيزنطى فيمكن إجمالها في صورة عوامل داخلية وخارجية .

وفى تصورى؛ أن العوامل الداخلية لعبت دوراً فعالاً لا يقل عن العوامل الخارجية ، ولانغفل أن الاثنين معاً تعاوناً .

وفيما يتعلق بالعوامل الداخلية؛ هناك من المؤرخين الأوربيين من عمل على تركيز نظرتهم صوب آل باليولوج فقط، وبالتالي تصور أن ضعف تلك الأسرة البيزنطية الحاكمة على نحو

١- عن معاهدة يافا ١٢٢٩ م ، أنظر:

Philip of Novara , The Crusade of Frederick II from Philip of Novara , in Peters (ed.) , Christian Society and the Crusades 1198-1229, Sources in Translation including The Capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 , pp. 157-158 .

ابن العديم ، زبدة الحلب، ج ٣ ، ص ٢٠٥؛ ابن نظيف الحموى ، التاريخ المنصورى - تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان، تحقيق أبو العيد دودو، ط. دمشق ١٩٨٢م. ص ١٧٦؛ ابن أبيك الدوادارى ، الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص ٢٩٢ ، المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٣٠-٢٣٢ ، ذكرى عزيز محمد صالح الصائغ، عصر الملك الكامل الأيوبي ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الموصل عام ١٩٨٨م، ص ١١٣-١١٤ . وأود الاشادة بالجهد المبذول فى هذه الرسالة ، محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٢٩١-٣٠٠ . أحمد رمضان ، العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، الحروب الصليبية، ط. القاهرة ب-ت ، ص ١٧٩ ، نظير حسان سعداوى ، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، ط. القاهرة ١٩٦١م، ص ٩٦-٩٧ ، رأفت عبد الحميد، الملك الكامل بين «الافراط والتفريط» فى مواجهة الصليبيين، ضمن كتاب قضايا من تاريخ الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٢٥-٢٠١ . فوزى رضوان العربى ، «بيت المقدس تحليل تاريخى» ، الندوة الدولية القدس التاريخ والمستقبل ، تقديم أ.د. يوسف درويش غوانمه ، معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج ، ط. عمان ١٩٩٥م، ص ٦٨-٦٩ . سعيد عاشور «الامبراطور فردريك الثانى والشرق العربى»، المجلة التاريخية المصرية ، عام ١٩٦٣م محمد مصطفى زيادة، مصر والحروب الصليبية ، رسائل الثقافة الحربية ، منشورات وزارة الدفاع الوطنى، ط. القاهرة ١٩٥٤م، ص ١٢ . ياسين التكريتى، الأيوبيين فى شمال الشام والجزيرة ، رسالة دكتوراه كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ، عام ١٩٨١م ، ص ٢٠٤ .

خاص هو السبب المباشر وراء سقوط الامبراطورية، وهو أمر غير منطقي لأنهم فى هذه الحالة لا يبحثون عن أصول وجذور الاضمحلال ، والواقع أن ذلك الاضمحلال عميق الجذور ، وقد لاحظنا أن المنصب الإمبراطورى كان هدفًا لكل طامع خاصة من جانب المؤسسة العسكرية وكانت الوسيلة المثلى متمثلة فى المؤامرات والإنقلاب .

وقد وصل إلى ذلك المنصب فى الكثير من الأحيان أشخاص غير جديرين به ، وبالتالي كان الضعف مصاحبًا لهم، ومن بين عشرات الأباطرة لا نجد إلا أقل القليل منهم من لديه القدرات الفعلية لتولى القيادة البيزنطية بكفاءة تاريخية حقيقية .

ولانغفل كذلك؛ الخلافات الدينية والمذهبية، ودورها الفعّال فى استهلاك طاقات الإمبراطورية وتفكيك روابطها ، كما أن سياسة الأباطرة تجاه القضايا الدينية كانت متغيرة وقضية الصراع على عبادة الأيقونات خير دليل على نحو إنعكس بدوره على مسار التاريخ البيزنطى ذاته.

من ناحية أخرى ؛ نجد أن الجيش البيزنطى على نحو خاص ، قد أصابه الوهن من قبل الأسرة البيزنطية الأخيرة، ومن بعد عام ١٠٧١م مع حدوث معركة مانزكرت وهزيمة الامبراطورية على أيدي السلاجقة ، نلاحظ إفتقاد بيزنطة للمقاطعات التى كانت تحصل منها على عناصر المرتزقة ، وهكذا ؛ صار الجيش البيزنطى فى عصور الضعف لا يملك إمكانية الدفاع عن الامبراطورية خاصة مع تكالب الأعداء عليها من كل حذب وصوب.

كذلك لانغفل أهمية الناحية الاقتصادية ، وإذا تعرضنا لأمر الإقطاع البيزنطى<sup>(١)</sup>، نلاحظ البعض أن الإمبراطور ميخائيل باليولوغوس حاول أن يرضى العناصر المؤيدة له من العناصر العسكرية وكذلك أصحاب الضياع الكبيرة من الطبقة النبيلة ، وبعد أن كانت الإقطاعيات الزراعية الكبيرة المسماة برونويا Pronoia يتم منحها لمدة محدودة وهى غالبًا مدى الحياة دون أن تورث صارت وراثية ، وصار لأصحاب البرونويات حق توريثها إلى أبنائهم منذ صور أمرها، وتزايد عدد البرونويات كنتاج لأمر التوريث وقد صاحبها الاعفاء من الخدمة الحربية ،

١- عن أمر الإقطاع البيزنطى أنظر:

Ostrogorsky, Pour L'Histoire de la Feodalité byzantine, Trans. by H. Kazhdan and Epstein , Change in Byzantine Culture in The Eleventh and Twelfth Centuries, pp. 56-73 .

واضطرت الامبراطورية إلى استخدام عناصر المرتزقة ، على نحو زاد من أعبائها المالية المنهكة أصلاً، كذلك نلاحظ أن أباطرة أسرة باليولوغوس قاموا باعفاء الضياع الكبيرة من العناصر المدنية من الضرائب ، على نحو أدى إلى ضعف الموارد المالية ناهيك عن نقص الخدمات الحربية<sup>(١)</sup>.

فإذا أضفنا إلى ذلك كله؛ افتقاد بيزنطة للعديد من أملاكها وسيطرة البندقية عليها عقب الصليبية الرابعة؛ أدركنا كيف أن الضعف الاقتصادي قد رسم ملامح قضية الاضمحلال والسقوط البيزنطى.

وفى معرض تناولنا للعوامل الداخلية؛ قد يتصور البعض أن الامبراطور قسطنطين الحاد عشر آخر الأباطرة البيزنطيين يتحمل أكثر من غيره مسئولية سقوط بيزنطة ، وكأن الأمر ارتبط بسياسة شخص واحد فقط وهو أمر غير منطقي لأن عهده كان نتاجاً لمرحلة ضعف طويلة سابقة عليه وبالتالي فهو نتيجة أكثر من كونه سبباً.

واقع الأمر ، لا يتحمل الامبراطور الأخير الذى وقع فى عهده السقوط منفرداً ذلك بصفة عامة وينطبق ذلك على الخليفة الأموى مروان بن محمد عام ٧٥٠م، والخليفة الفاطمى العاضد عام ١١٧١م، والسلطان الأيوبي تورانشاه عام ١٢٥٠م، والخليفة العباسى المستعصم عام ١٢٥٨م، وطومانباي عام ١٥١٧م، ومثلما نقول دوماً أن التاريخ يصفه الفرد القائد ومعه شعبه فإن ذلك ينطبق على السقوط فى التاريخ أيضاً بنفس الدرجة.

أما العوامل الخارجية؛ فيمكن إبراز أهمها فى صورة البابوية ، والبنادقة والأتراك العثمانيين، فلاحظ بالنسبة للأولى أنها ناصبت بيزنطة العداء على مراحل تاريخها المديد من قطيعة فوشيوس مروراً بالإنشقاق الاعظم ١٠٥٤م، إلى الدور المتآمر للبابا أنوسنت الثالث

١- حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ص ٢٩٦ .

وعن البرونويا فى عهد آل كومنين أنظر :

Ostrogorsky , " Die Pronoia unter den Komkenen", Z.R.V.I., 1970, pp. 41-57 .

وتعد دراسات أوستروجورسكى أفضل ما ظهر فى موضوع الإقطاع البيزنطى .

حسين ربيع ، المرجع السابق، ص ٢٩٧ .

٢- عن تلك الأملاك أنظر الملحق الخاص بها .

خلال الصليبية الرابعة، ثم عدم الاستجابة للاستغاثات البيزنطية في مرحلتها المتأخرة للغاية حتى بعد أن تحول إمبراطورها يوحنا كانتاكوزين عن الأرثوذكسية على نحو مهيّن، لقد كان ميراث العداء بين الجانبين أكبر من إمكانية تناسبه مع استفحال الأخطار على الامبراطورية التي ظلت درعاً للمسيحية الشرقية عدة قرون.

وبالنسبة للبندقية؛ نجد أن مناقستها التجارية لبيزنطة جعلتها تتآمر عليها في ظروف أحداث عام ١٢٠٤م ولاشك أن بيزنطة قدّمت الأتراك العثمانيين منهوكة القوى بعد ما حدث لها في خلال الصليبية الرابعة، وفي تصوري أن الموقع الجغرافي الفريد لبيزنطة وتحكمها في تجارة البحر الأسود وقسم فعال من تجارة البحر المتوسط قد جنى عليها أحياناً، وجر عليها صراع البندقية معها التي أثبتت إلا أن تقضى على مكانتها التجارية الرفيعة المنافسة لها، وينبغي ألا يتصور أحد؛ أن الإمبراطورية البيزنطية قد تعرضت لمؤامرة خارجية قصّت عليها في النهاية؛ أن تلك الإمبراطورية «تآمرت» داخلياً على نفسها أولاً من خلال الصراعات السياسية التي استمرت حتى النهاية، وبالتالي؛ تعاونت مؤامرة الداخل، والخارج معاً؛ لتخط آخر فصول المسرحية البيزنطية البالغة الطول، والتي شارك في أدائها قوى سياسية عديدة على مسرح العلاقات الدولية بين الشرق والغرب !!!

أما الأتراك العثمانيون؛ فالملاحظ أنهم مثّلوا دماءً مجاهدة شابة جديدة وفدت إلى المنطقة، والواقع أن بيزنطة لم تكن في عصر تدهورها وهوانها نداءً لمواجهة تلك القوة الفتية الجديدة التي تحسن التخطيط بدقة وتعيد تنفذ ما خططت له .

بصفة عامة؛ من الملاحظ أن الأتراك العثمانيين إمتازوا بوضوح الهدف، والسعى له بكل وسيلة نحو تحقيقه، ولا تغفل، براعة التخطيط على أساس علمي من خلال سلاح المعلومات التي توافرت لهم عن العدو البيزنطي، ثم الإعداد العلمي العسكري الفذ سواءً من خلال الجيش أو الأسطول على نحو صنع الانتصار الأخير الفعّال الذي لا يزال يعيش حياً بيننا من خلال دولة تركيا حالياً على الخريطة الأوروبية بالإضافة إلى آسيا الصغرى أو الأناضول.

والآن؛ تبرز قضية خاصة بالمسئولية التاريخية عن سقوط بيزنطة، هل فردية أم جماعية، والواقع أن القول بالجانب الفردي من خلال سلوكيات الأباطرة أنفسهم، ليس إلا نصف التفسير الواقعي لما حدث، فليس من المنطقي؛ تصور أن مجموعة من الأفراد أيّاً كانت سلطاتهم المطلقة يمكن أن يؤدوا - بمفردهم إلى سقوط كيان سياسي كبير في حجم الإمبراطورية البيزنطية.

واقع الأمر ؛ أن «الأغلبية الصامتة من الشعب البيزنطى» تتحمل جانباً كبيراً من المسئولية التاريخية، فمن غير المتصور أن يتم تصوير الأمر من خلال مسئولية فردية وترك الشعب البيزنطى ذاته دون أن يتحمل قسماً بارزاً فيها. وقد يرد البعض بأن العصور الوسطى لم تكن بها شعوب تشارك فى صنع القرار السياسى كما فى العصر الحديث، إلا أن ذلك لا يبرر الأمر، ولاتنسى أن القيادات السياسية البيزنطية هى إفراز حقيقى من الشعب البيزنطى ذاته بإيجابياته وسلبياته .

وبعد ؛ فلا مراء فى أنها رحلة طويلة شاقة قطعتها بيزنطة ؛كى تتكيف مع الأحداث الدولية ، وصراعات القوى الدولية المتعددة التى كانت تتقلب فى تحالفاتها وعداءاتها بين الحين والآخر، ولاريب؛ فى أنه بين يوم ١١ مايو ٣٣٠م، ٣٠ مايو ١٤٥٣؛ أى بين الميلاد والمات عاشت تلك الإمبراطورية تصارع الزمن بين مد وجزر لكن لم يكن من الممكن البتة أن تقوى على منطق التاريخ الذى رأيناه لدى كافة الكيانات السياسية الأخرى فى العصور القديمة والوسطى والحديثة عندما تضعف وتشيع ويكون بالتالى الخروج من التاريخ، وكان ذلك على أيدى المسلمين من الأتراك العثمانيين الذين دخلوا التاريخ بجدارة مثلما خرجت منه بيزنطة بجدار موازية! وأعنى بها جدارة الضعف والهوان ثم الإنسحاب ؛ لأن التاريخ لا يصنعه إلا الأقوياء !

تبقى زاوية أخيرة ، تتعلق بعض مقارنات موجزة بين إسقاط القسطنطينية عام ١٤٥٣م فى أيدى العثمانيين ، وإسقاط الوجود الصليبي فى عكا من قبل فى عام ١٢٩١م بأيدى المماليك.

واقع الأمر ؛ أن هناك مشروعية للمقارنة ، على اعتبار أن الحدثين التاريخيين الكبيرين حدثا خلال مرحلة العصور الوسطى وضمن نطاق العلاقات بين الشرق والغرب ، كما أن الفارق بين الحادثتين ١٦٢ عاماً فقط.

ومع إدراكنا الأولى لوجود اختلافات بين مملكة بيت المقدس الصليبية التى قمت مملكة عكا الصليبية بعد عام ١١٨٧م ، والدولة ذات طابع اقتصادى تجارى على نحو خاص، وكذلك العاصمة البيزنطية، ولم يكن غريباً والأمر كذلك؛ أن ذكر الرحالة الأندلسى البارز ابن جبير عندما زار عكا عبارته ذات الدلالة : «المشبهة فى عظمتها بالقسطنطينية»<sup>(١)</sup>.

١- الرحلة ، بيروت ب-ت ، ص ٢١١ ، برنارد لويس، اكتشاف المسلمين لأوروبا ، ت. ماهر عبد القادر، ط . القاهرة ١٩٩٦م، ص ١١٥ .



كذلك نلاحظ أن كلاً من التاريخين كان يعنى نهاية كيان مسيحي - بغض النظر عن عن مذهبه، وذلك لمصلحة التوسع السياسى للإسلام كدين، وهكذا ، فإن عام ١٢٩١م شهد نهاية الوجود الصليبي من بلاد الشام، وعام ١٤٥٣م شهد نهاية البيزنطى من القسطنطينية وانتهاء تلك الامبراطورية ذاتها .

من جهة أخرى؛ تتشابه الحادثنان من حيث أن من قام بالانجازات فى صورة الممالك ومن بعدهم العثمانيون التزموا أنفسهم بالجهاد وهو ذروة سنام الإسلام، وبالتالي احتلت الدولتان مكانة بارزة من بين الدول الإسلامية فى العصور الوسطى.

ولانغفل كذلك أن المرحلة العمرية لكل من الأشرف خليل بن قلاوون ومحمد الفاتح العثماني كانت شابه على نحو عكس أن التاريخ من الممكن أن يصنعه الشباب صغير السن إذا ما كان مهياً أصلاً لصنعه بجدارة!

أما أوجه الاختلاف فنذكر منها ، أن الكيان الصليبي فى عكا كان آسيوياً بينما كان الكيان البيزنطى أوروبياً ، كذلك لم يكن لعكا ذات الموقع العبقري الذى كان للقسطنطينية ، ناهيك عن قصر عمر مملكة عكا مقارنة بالقسطنطينية وأسعة المدى الزمنى، كذلك لانغفل أن سقوط عكا الصليبية لم يكن يعنى بداية عصر تاريخى جديد ؛ إذا استمرت مرحلة العصور الوسطى قائمة أما بالنسبة لسقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م؛ فقد اعتبره البعض بداية لما عرف بالعصر الحديث، ونستدل من ذلك ؛ أن التاريخ الأخير يعد أكثر محورية مقارنة بالأول لاسيما فى النطاق الأوربي.

على أية حال ؛ أيّاً كانت أوجه التشابه والاختلاف فالأمر المؤكد أن الحادثتين تمثلان نقطتي تحول فى مرحلة العصور الوسطى ومنها ما كان فى فصولها الأخيرة؛

نخلص من وراء ذلك كله أن الإضمحلال البيزنطى كانت له على المستوى الداخلى صور وأشكال مختلفة ومتعددة منها السياسى، والحربى، والاقتصادى وتعاونت معاً فى تزامن متكامل على نحو أدى إلى النهاية المعروفة وبالتالي لم يكن الأمر نتاجاً لعامل واحد بل عوامل مشتركة وفعالة فى نفس الحين .

على أية حال ؛ إذا كان ذلك شأن السياسية والحرب ، فيلاحظ أن الامبراطورية البيزنطية فى عصرها المتأخر ألحقت عدداً من الأعلام فى مجالات متعددة وكأنها تقول للتاريخ أن لديها القدرة على إلهاب المبدعين فى كافة المجالات حتى وهى فى النزع الأخير ومن الممكن تقديم العديد من الأمثلة والنماذج فى هذا الشأن.

ففى مجال التاريخ ؛ نجد هناك جريجوروس باخميريس<sup>(١)</sup> Pachimeres (١٢٤٢-١٣١٠م) وبعد مصدراً أساسياً عن عهد كل من ميخائيل الثامن ، واندرونيكوس الثانى .

كذلك نشير إلى ميخائيل كريستوبوليس Michael Kerstoboulos والذي اتحدر من أسرة عريقة من جزيرة إيمبروس Imbros، وقد تمكن من الوصول إلى شروط محددة مع الأتراك العثمانيين بعد عام ١٤٥٣م وعلى أساسها جعلوه يتولى إدارة جزيرته منذ عام ١٤٥٦م وقد ألف تاريخاً يتناول الأحداث ما بين عامى ١٤٥١م ، ١٤٦٧م ، وقام باهدائه للسلطان محمد الفاتح ووصفت كتاباته بالليل إلى الأتراك العثمانيين، وبعد ما كتبه مهماً خاصة فيما يتصل بالنهاية البيزنطية عام ١٤٥٣م<sup>(٢)</sup>.

أما فى مجال اللاهوت ؛ فنشير إلى جريجورى القبرص Gregory of Cyprus الذى تولى بطريركية القسطنطينية خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٢٨٣ - ١٢٨٩م وقد تولى ذلك المنصب فى عهد أندرونيكوس الثانى، وقد ألف كتابين فى الإيمان ، وفى «الانبثاق» ، وهناك من يقرر عنه أنه كان خطيباً لايشق له غبار وألف رسائل كثيرة<sup>(٣)</sup>.

وهناك أيضاً جناديوس سكولاريوس Gnadius Scholarius ، ويوصف بأنه أول بطريرك يتولى منصبه بعد الفتح العثمانى للقسطنطينية ، وكان قد اشترك فى مجمع فلورنسا، وقد أيد الاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية ، غير أن فيما بعد عدل عن رأيه وصار من أشد خصوم الاتحاد بينهما ، ومن أهم مؤلفاته كتابه «المرائى» ويحتوى على مادة تاريخية مفيدة خاصة عن أوضاع الكنيسة الأرثوذكسية فى ظل الوجود العثمانى<sup>(٤)</sup>.

١- عنه أنظر المدخل البيليوغرافى .

دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ت. حسن حبشى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٥١ .

٢- نفسه ، ص ٢٥١ .

٣- أسد رستم، الروم، ج ٢، ص ٢٧١ .

Nicol , A Biographical dictionary , p. 45 .

٤- أسد رستم، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٥١ .

ومن أعلام اللاهوت؛ ديمتريوس كيدونيس Demetrius Cydones (١٣١٠ - ١٤١٠م) وقد قام بترجمة أحد مصنفات توماس الاكوينى إلى اليونانية وهناك من يقرر أن أفضل ما كتب مراسلاته مع مانويل الثانى، ويوحنا كنتاكوزين، وغيرهما (١).

كذلك لانغفل بينساريون Bessarion الذى تعرف أنه ولد فى طرابيزون حوالى عام ١٣٩٥م، وعم صوب العاصمة البيزنطية لمتابعة دراسته وفيما بعد انهاها على مدى بليشون الفيلسوف فى ميسترا فى المورة Morea ، مما يذكر عنه ؛ مرافقته يوحنا الثامن إلى مجمع «فلورنسا» (٢)، وبعد سقوط بيزنطة عام ١٤٥٣ اتجه إلى ايطاليا وقد تمكن من جمع ٦٠٠ مخطوط دفع ثمنًا باهظًا لها وصارت فيما بعد نواة مكتبة البندقية (٣).

ثم تسير إلى ايوجنيكوس Eugenikos والذى وصف بأنه من أشد من تمسك بالأرثوذكسية وبقرارات المجامع المسكونية ، وقد حضر مجمع فلورنسا ورفض توقيع قراراته، واشتهر بمؤلفاته فى تنفيذ العقيدة اللاتينية ، كذلك هناك مراسلاته (٤).

وفى مجال الفلسفة والأدب وفقه اللغة نشير إلى عدد من الأعلام ومنهم؛ جيمستوس Ge-mistus (ت ١٤٥٠م) الذى درس فى القسطنطينية وعشق الفكر الكلاسيكى وهناك من يقرر ترويجه لفكرة انشاء أكاديمية أفلاطونية فى فلورنسا ، وقد صنف مؤلفًا فى المفاضلة بين اثنين من أعلام الفكر الفلسفى اليونانى هما أفلاطون وأرسطو (٥).

ومن أعلام البلاغة ، والخطابة خلال تلك المرحلة؛ خمнос Chumnos وقد ترك عشرات الرسائل فى مجالات الأدب وكذلك اللاهوت والفلسفة (٦) مما عكس موسوعية معارفه وتعددتها بين علوم مختلفة .

١- أسد رستم ، الروم ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

٢- نفسه ، نفس الصفحة.

٣- زينب راشد، تاريخ أوربا الحديث، ج ١ ، ص ٧٠ .

٤- أسد رستم ، المرجع السابق، ص ٢٧٠ - ص ٢٧١ .

٥- أسد رستم ، الروم ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

٦- نفسه، ص ٢٧٣ .

ويضاف إليه : بلاندوس Planudes الذى كان عالماً لغوياً ، وعاصر ميخائيل الثامن ، وأندرونيكوس الثانى ومن أهم مؤلفاته رسائل فى جراماتيكا اللغة اليونانية كذلك ساهم فى أمر الترجمة فقام بنقل عدة مؤلفات لاتينية إلى اليونانية <sup>(١)</sup>.

وفى مجال الأدب نشير إلى يوحنا خورتا سمبينوس John Chortasmpnos (ت ١٤٣٦م - ١٤٣٧م) ، ووصلت إلينا رسائله التى وجه أغلبها إلى الامبراطور مانويل الثانى كذلك نظم عدداً من القصائد ، وما يذكر عنه شكواه الدائمة من شظف العيش <sup>(٢)</sup> ومع ذلك فيوصف بعشق الكتب التى كانت له - على ما يبدو - خير عزاء عما عاناه على المستوى المادى.

كما لا تغفل من الأعلام الذين تألق تجمهم خلال تلك المرحلة مانويل خريسو لوراس Ma-nuel Chrysoloras (ت ١٤١٥م) الذى قام بتدريس اللغة اليونانية فى قورنسا عام ١٣٩٦م، كما قام بأدوار دبلوماسية نشطة عام ١٤٠٨م من خلال سفره إلى باريس ، ولندن ، والبندقية. كذلك شارك فى مجمع كوستانس عام ١٤١٤م.

على أية حال ؛ يذكر عنه سعيه إلى إحياء اللغة اليونانية فى إيطاليا ، ومن بين أهم مؤلفاته كتابه عن قواعيد اللغة اليونانية الذى كان له تأثيره البارز وعنوانه : "Erotemata" <sup>(٣)</sup>.

كذلك نشير إلى جورج مينوخيتس (ت ١٣٢٨م) الذى عمل رئيساً للشمامسة وكاتباً ، ويذكر عنه بلاغته الجلية خلال المفاوضات التى جرت بين ميخائيل الثامن مع البابوية وكان نائباً عن الامبراطور المذكور خلال مجمع ليون ١٢٧٤م، وقد ترك بعض المؤلفات العقائدية التى يقرر دونالد نيكول أنها كانت تنمو نحو المذهب اللاتينى <sup>(٤)</sup>.

أما إذا أردنا عقد مقارنة موجزة بين أسرة باليولوج ، والأسرات البيزنطية السابقة عليها ، نجد أنها حكمت قرابة قرنين من الزمان (١٩٢ عاماً) فهي بالتالى من أطول الأسرات الحاكمة

١- نفسه، نفس الصفحة .

٢- Nicol, A Biographical dictionary, p. 23 .

٣- Ibid, p. 24 .

٤- Nicol , A Biographical dictionary , p. 86 .

على مدى ذلك التاريخ المديد وبالتالي فاقت فى ذلك الأسرة المقدونية (١٩٠) عاما على سبيل المثال ، غير أنه من الواضح أن الفارق الزمنى محدود بين الأسرتين.

من جهة أخرى، نلاحظ أن تلك الأسرة تفوقت زمنياً على الأسرة السابقة عليها وهى أسرة المجيلوس إذ حكمت نحو عشرة أضعاف مدة حكمها، ومع ذلك ؛ تتفق الأسرتان فى نوعية الأباطرة الضعاف، فلم تعد بيزنطة بقادرة على إلهاب أباطرة مثل مؤسس الأسرات السابقة، بل من يشيع بيزنطة إلى مثواها الأخير ؛ وإن تشابهت معها فى زاوية أن كلاً من الأسرتين شهدت السقوط البيزنطى كما حدث عام ١٢٠٤م، ١٤٥٣م مع ملاحظة أن الأول استمرت من بعده قرنين من الزمان ، أما الثانى فكان يعنى النهاية.

ولانغفل أنه إذا كانت أسرة قسطنطين (٣٢٤-٣٧٨م) توصف بأنها أسرة البداية والتأسيس فإن أسرة باليولوغوس - فى المقابل- توصف بأنها أسرة النهاية ، وتعد الأسرات الأخرى بمثابة حلقة الوصل بين الأسرتين المذكورتين .

من زاوية أخرى؛ يتطلب الأمر منا الاقرار بأن أسرة المجيلوس تتشابه مع الأسرة الهرقلية، وكذلك الأسرة الابسورية فى التعامل مع الضغط العسكرى للمسلمين فى عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والسلطين العثمانيين وإذا كانت الأسرة الابسورية نجحت فى المواجهة إلا أن الاسرتين الهرقلية وأسرة المجيلوس فشلتا. وإذا كانت الاسرتان الأولى والثانية نجحتا فى المواجهة إلا أن الأخيرة أخفقت فكانت أحداث ١٤٥٣م.

كذلك لا ننكر ؛ أن أسرة باليولوج اتضح خلالها تأزم العلاقة مع الغرب الأوربى على الرغم من التنازلات البيزنطية الغير مسبقة ، وبالتالي ؛ يمكن القول أن ما حدث فى عهد الأسرة العمورية من خلال قطيعة فوشبوس، وكذلك ما وقع فى عهد الأسرة المقدونية من الإنشقاق الأعظم ، اتضح آثاره السلبية على بيزنطة فى عهد أسرة باليولوج التى كان من عوامل سقوطها الصراع الطويل بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى .

ذلك عرض عن أسرة باليولونج آخر الأسرات البيزنطية الحاكمة .

## الخاتمة

نتجت عن هذه الدراسة عدة نتائج مهمة يمكن إجمالها على النحو التالي:

أولاً: إن هناك إشكالية متعددة الأوجه في دراسة التاريخ البيزنطي، لعل من أبرز معالمها؛ الاتساع الزماني والمكاني الخاص بالإمبراطورية البيزنطية، ثم الدور الكاسح لمؤسس الأسرات البيزنطية الحاكمة مقارنة بالأدوار التاريخية الأخرى للأباطرة الثانويين، وما أكثرهم!، ثم هناك «كاريزما» البطل ودورها في معالجة المؤرخ للأحداث التاريخية، كذلك لانغفل الطابع الرسمي للمصادر، ثم زاوية الدعاية في النصوص المصدرة وانعكاسها على المعالجات الحديثة، ولانغفل مشكلة أساسية في صورة المركزية الأوربية التي كان لها تأثيرها الواضح في معالجة بعض المؤرخين العرب من تأثر بها بصورة أو بأخرى.

ولانغفل؛ أنه في حالة إدراك المؤرخ لمظاهر تلك الإشكالية، فبالتالي تتزايد مصاعب دراسة تاريخ تلك الإمبراطورية ويتحول هو نفسه جزءاً منها.

ثانياً: حاولت الدراسة تقديم تصور لأعمال عدد من الأباطرة البيزنطيين من عملت المركزية الأوروبية على إبراز أدوارهم بنوع من الدعائية، ولكن من خلال استعراض تلك الأعمال التي قاموا بها؛ من الممكن التوصل إلى اكتشاف إيجابياتها وكذلك ما فيها من سلبيات تركت أحياناً أسوأ الأثر على مسار التاريخ البيزنطي بوجه عام، ويبقى الأمر مجرد وجهات نظر، ولكل مؤرخ تصورات طالما أنها مدعومة بمنطق الأحداث التاريخية لا من خلال رؤية شيفونية أو من زاوية اعتساف الأحكام أو القولية إلى نحو ذلك من التصورات التي تتعارض مع الموضوعية التاريخية الواجبة ومن الطبيعي أن تختلف التصورات والرؤى لأن ذلك يمثل طبيعة الدراسات التاريخية ذاتها.

ثالثاً: أكدت الدراسة على فعالية العوامل الداخلية ودورها البارز في سقوط بيزنطة أول مرة عام ١٢٠٤م خلال أحداث ما عرف بالصليبية الرابعة، والمرة الثانية؛ عندما سقطت إلى غير رجعة من خلال فعاليات الأتراك العثمانيين في عهد محمد الفاتح عام ١٤٥٣م، وبالتالي كان السقوط من الداخل قبل الخارج، وتفاعلت العوامل الداخلية، والخارجية معاً؛ لتضع النهاية «الواقعية» لتاريخ بيزنطة أطول الإمبراطوريات عمراً في تاريخ العصور الوسطى قاطبة دون منازع؛ وينبغي ألا نخدع بغزارة الاشارات المصدرة والمرجعية من فعاليات العامل الخارجي فقط بمعزل عن تأثير العوامل الداخلية.



رابعاً : اتضح من خلال الصفحات السابقة ! الطابع البرجماتي ، « والميكيا فيلي » في التاريخ السياسي البيزنطي ، وبالتالي ، فإن حوادث الاغتيال ، والخيانة والغدر تمثل جزءاً لا يتجزأ من ذلك التاريخ على نحو لا يستطيع المؤرخ الموضوعي تجنبه مهما كانت درجة تعاطفه مع أبطاله التاريخيين .

ومن الممكن القول : أن بيزنطة الإمبراطورية بعد رحلة دامت أكثر من ١١ قرن من الزمان عجزت عن تقديم نموذج أخلاقي رفيع يتمثل في أحد أباطرتها الكبار إلا ما ندر ، وظل تاريخها تشوبه الدسائس ، والمؤامرات على مستوى ما سمي بالنخبة العسكرية ، والسياسية على الأقل ، وبالتالي ؛ فإن رؤية المؤرخ البريطاني إدوارد جيبون Edward Gibbon حيالها التي أوردها في كتابه عن إضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية منذ زمن بعيد لم تنشأ من فراغ بل من خلال استقراء تاريخي يحمل جانباً من الواقعية ، دون أن تغفل ما كان لتلك الإمبراطورية - في المقابل - من جوانب حضارية مشرقة لا بد من الإشادة بها لأنها جزء من التراث الحضاري الانساني عموماً .

خامساً : تأكد لنا من خلال العرض السابق ؛ أن النطاق الزمني الطويل لبيزنطة على غير المؤلف في أعمار القوى السياسية في العصور الوسطى ؛ لم يكن يرجع إلى قدرات بيزنطية ذاتية فقط بل إن القرنين الأخيرين من عمرها كانت تعيش خلالهما مرحلة احتضار طويل الأجل ، وقد أثرت أحداث فعالة لدى أعداء بيزنطة في « تأخير » سقوطها ، خاصة أنها في مرحلتها الأخيرة لم تكن تمثل عنصراً فاعلاً بل كانت الإمبراطورية الصدى ؛ أي تعبر عن ردود الأفعال على قوة العثمانيين التي تتبرص بها من خلال تناميها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ، ناهيك عن الغرب المترص بها كنسياً ، ثم هناك الضعف البيزنطي بعد أن شاخت وهرمت ولم تعد تستطيع التفاعل بجدارة تاريخية مع تلك « القوة العثمانية الشابة » كانت تعرف هدفها بجلاء وتسعى له بقوة ودائماً التاريخ للأقوى والأصلح .

سادساً : اتضح لنا من خلال العرض السابق ؛ أن التاريخ البيزنطي على الرغم من أن وقائعه ذات معالم واضحة من خلال معالجة المصادر التاريخية المختلفة إلا أن قراءته اختلفت من مدرسة تاريخية غربية إلى أخرى ، ويكفي أن نذكر ؛ أن معالجة المؤرخين المحدثين الروس ، واليونانيين نظرت إلى ذلك التاريخ على اعتبار أنه جزء لا يتجزأ من التاريخ القومي الروسي ، واليوناني ، وإنعكس ذلك بالضرورة على معالجاتهم والمواقف الفكرية التي اتخذوها ،

ونمجندهم لأباطرة معينين، خدمة لأهداف تاريخهم القومي، وهكذا؛ يتأكد لنا أن هناك عدة أشكال مختلفة لقراءة وكتابة التاريخ البيزنطى فى داخل المركزية الأوروبية الواحدة - وهو أمر غير موجود فى المدرسة التاريخية العربية لإنعدام وجود مركزية بديلة أصلاً للأسف الشديد - وبالتالى؛ من الضرورة بمكان الحذر عند التعامل مع إسهامات أولئك المؤرخين الأوروبيين ، وضرورة إدراك دوافعهم للكتابة التاريخية فى المجال المذكور .

سابعاً : ومن الجوانب المهمة التى حرصت الدراسة على إبرازها ؛ ضرورة إيجاد مركزية عربية إسلامية فى مواجهة المركزية الأوروبية كنوع من التعبير عن الهوية ، ولتجنب التبعية الفكرية للغرب الأوروبى، والأمريكى الذى يقدم لنا تصورات، وللأسف هناك من المؤرخين من يأخذها دون ملاحظة أن هناك دوافع لتصورات أولئك الباحثين الغربيين لاتنفصل عن تطور مراحل الكتابة التاريخية فى أوطانهم ذاتها، كما أنها لاتنفصل عن النظرة الاستعمارية الغربية.

كذلك ؛ لاتنفل أن مواجهة الاستشراق تكون من خلال «الاستغراب» - كما نادى بذلك المفكر المصرى حسن حنفى فبدون ذلك ؛ يظل الأمر فى صالح الطرف الآخر، وتكون الكتابة التاريخية العربية فى المجال البيزنطى - كمثال فقط- تعبر عن توجهات الغرب الأوروبى أكثر من توجهاتنا العربية والإسلامية ذاتها !!! مما عبر عن أزمة هوية حقيقية !!!

ثامناً : على الرغم من الطابع الذكورى لمصادر التاريخ البيزنطى ذاتها، وكذلك مسار حكم أسراته بصفة عامة؛ إلا أنه من العسير كتابة معالمة دون المرأة التى كانت الأم والزوجة والابنة، والعشيقة ، وقد كان لها دورها فى معترك السياسة ، وكذلك الحياة العامة بكافة أشكالها وصورها، وينبغى هنا الإشادة بالدراسة الرائدة بالعربية لـ أ.د. عليه الجنزورى عن المرأة البيزنطية . وهى مؤرخة رائدة فى التاريخ البيزنطى، كما تعد أول مؤرخة عربية حديثة للحروب الصليبية .

ولاتنفل فى هذا الشأن ؛ أن التعطش للسلطة الإمبراطورية المطلقة جعل أحياناً المرأة البيزنطية تدخل معترك المؤامرات لتصل إلى قمة عالم السياسة وكان ضحيتها المفضلة الرجل! ونصل إلى تصور واقعى، وهو أن التاريخ البيزنطى ذاته هو حصاد تاريخ كل البيزنطيين الرجال والنساء دون التعصب لطرف عل حساب الآخر، على نحو يضر بالرؤية التاريخية الموضوعية.

تاسعاً : على الرغم من القرون العديدة التي عاشتها تلك الإمبراطورية ، إلا أنها امتازت بوجود أيام مجددة حاسمة ومكثفة تركز فيها تاريخها بصورة غير مسبقة ما بين لحظتى الميلاد والمات، ومن أمثلتها دون حصرها :

- ١١ مايو ٣٣٠م الميلاد .

- ١٦ أغسطس ١٠٧١م؛ معركة مانزكرت .

- ١٣ أبريل ١٢٠٤م ؛ الغزو اللاتينى.

- ١٥ أغسطس ١٢٦١م؛ استرداد البيزنطيين للقسطنطينية .

- ٢٩ مايو ١٤٥٣ ؛ المات.

ومن الملفت للانتباه ؛ أن الأيام المذكورة كان نتاجاً لمرحلة زمنية سابقة عليها قد تطول لتصبح عدة قرون، وبالتالي فهي تعد بمثابة أيام الحصاد « المفترض أن شهور الصيف (أبريل، مايو ، أغسطس) كانت من أكثر شهور العام تأثيراً على مسار التاريخ البيزنطى . وأن «وقف الشتاء» أحياناً إلى جوار بيزنطة كما حدث بالنسبة لشتاء ٧١٧-٧١٨م أسلفت الإشارة من قبل فى عهد الاسرة الأيسورية .

وفيما يتصل بفكرتى الميلاد والمات فى التاريخ البيزنطى؛ نلاحظ أن تلك الإمبراطورية - على نحو خاص- ظلت تكافح شبح الموت بكل وسيلة ممكنة سياسية وعسكرية وتنصيرية على الرغم من كثرة الاعداء من كافة الاتجاهات بصورة غير مسبقة ، إلا أن الموت كان «ضرورياً» على المستوى التاريخى ليضع نهاية لاحتضار طويل بلا فعالية تاريخية حقيقية خاصة خلال المرحلة الأخيرة من تاريخها ،

ومن مفارقات التاريخ ؛ أن مشيد لحظة الميلاد الامبراطور قسطنطين ، ومن عاصر لحظة النهاية حمل نفس الاسم ولكنه قسطنطين الحادى عشر ، كذلك فإن شهر الميلاد كان عينه شهر المات وأعنى شهر مايو حيث ولدت فى ١١ مايو ٣٣٠م ، وماتت فى ٢٩ مايو ١٤٥٣م ، ولانغفل أن البيزنطيين أنفسهم اعتقدوا فى نبوءة تقول أن العدو الذى سيجهز على إمبراطوريتهم سيأتى من الشرق وهو ما حدث فعلاً !! ولانغفل هنا تأثير الجانب الغيبى فى الشخصية البيزنطية بصفة عام .

هكذا تاريخ بيزنطة، صراع بين الميلاد والمات ومفارقات تدعو للتأمل .

عاشراً : تأكد لنا من خلال الصفحات السابقة ؛ أن طول عمر الامبراطورية البيزنطية ساهمت فيه إلى حد كبير عدة عوامل مشتركة مثل سياسات بعض الأباطرة الأقرباء ، وكذلك كفاءة الجيش والأسطول البيزنطيين عندما كانا قادرين على صنع الانتصارات براً وبحراً ، ثم الدبلوماسية والأخيرة ذات دور مزدوج التأثير فعندما كانت الإمبراطورية ذات القدرة على الفعالية التاريخية؛ كانت دبلوماسيتها تعبر بوجه عام عن تلك الفترة ، أما عندما كانت تمر بمرحلة ضعف لجأت إلى الدبلوماسية كحل مؤقت لكسب الوقت وتجنب فتح جبهات متعددة في وقت واحد .

وبصفة عامة؛ من الممكن مقارنة القسطنطينية في مراحلها المتأخرة بغرناطة في الأندلس حيث لجأت العاصمتان إلى طرق بوابة الدبلوماسية رغبة في سلام شاحب حذر، وكان ذلك حلاً خادعاً لأنه كان يعنى تأخير المصير المحتوم الأخير . ويخلق حلماً جميلاً وردياً يستيقظ صاحبه على ضربات الموت !

من جهة أخرى ؛ لانغفل أن من أسلحة تلك الدبلوماسية تمثلت جزئياً في ، التنصير حيث تمكن المنصرون البيزنطيون من تحقيق ما عجزت عن تحقيقه قدرات القادة العسكريين أحياناً ، ولاننسى أن بيزنطة تمكنت من اجتياح روسيا كاملة بفضل ذلك السلاح الفعال ، وإذا أضفنا إلى ذلك كله عنصر المصاهرات السياسية الذي أوجد واقعاً تحالفياً جديداً لصالح الإمبراطورية وكانت تدرك أهميته وفعاليته في تحقيق مصالحها العليا ، وهكذا ؛ تأكد لنا أن بيزنطة « حاربت » بالدبلوماسية كما حاربت بقواتها العسكرية والتقى الأسلوبان معاً ليتم تدعيم الوجود التاريخي لتلك الإمبراطورية، ولاريب في أن تعاملها مع عدد كبير من القوى السياسية المعاصرة لها في الشرق والغرب ؛ أدى إلى إثراء خبراتها الدبلوماسية بصورها المتعددة على نحو أفادها تماماً في التعامل مع تقلبات الظروف الدولية المعقدة التي واجهتها . مع ملاحظة ؛ أن تلك الدبلوماسية لم تكن لتمنع المصير النهائي المحتوم لبيزنطة .

حادى عشر : تأكد بالأدلة التاريخية الجلية؛ أن المسلمين كانوا عنصراً فعالاً في صنع وقائع التاريخ البيزنطى على مدى تسعة قرون كاملة من جملة أحد عشر قرناً هي عمر ذلك التاريخ ، وهكذا ؛ لا يمكن بأي حال من الأحوال كتابة معالمة دون التعرض لفعاليات المسلمين الحربية والسياسية والحضارية على مدى عهود الأسرات البيزنطية الحاكمة منذ عهد الأسرة الهرقلية حتى عهد أسرة باليولرج ، ومن الخطأ البين إبراز وجه العلاقات بين الطرفين على

الصعيد الحربى فقط واغفال الجوانب الأخرى التى عكست حضارة الاسلام فى القرون الوسطى، ولا تغفل أن إبراز الجانب الحربى فقط فى كتابات المؤرخين الغربيين يساعد على تكريس الطابع العدائى لحركة الجهاد الإسلامى وتصويرها على أنها للسلب والنهب ولم تكن مصاحبة بدور حضارى واضح المعالم .

ومن الممكن التقرير بأن هناك ثلاثة من قادة المسلمين فى العصور الوسطى ساهموا مساهمة عسكرية بارزة فى إيصال بيزنطة إلى مشواها الأخير فى صورة خالد بن الوليد عام ٦٣٦م ، وألب أرسلان عام ٧١-١م، ومحمد الفاتح العثمانى عام ١٤٥٣م ، ومن الخطأ البين تصور العام الأخير منفصلاً عن الرحلة الطويلة والشاقة التى قطعها المسلمون من القرن السابع وصولاً إلى القرن الخامس عشر الميلادى من أجل تحقيق الحلم الإسلامى الكبير بفتح القسطنطينية، وهكذا؛ فإن التركيز على المرحلة العثمانية على اعتبار أنها شهدت تحقيق ذلك الحلم بصورة نهائية قد يؤدى إلى عدم الموضوعية والنظرة الاعتسافية الجزئية ، لأن المقدمات السابقة أكدت النتيجة الختامية عام ١٤٥٣م.

ولم يغفر الباحثون الغربيون للإسلام وأهله: ذلك الدور ، ومن ثم وجدنا التحامل من خلال دوافع استشراقية لاتخفى على أحد ويستثنى من ذلك قلة قليلة ، وندرة نادرة من المستشرقين المنصفين.

وجدير بالملاحظة ؛ أن التاريخ دوماً يكتبه الأقوياء ، وفى الوضع الدولى الراهن ، ومن خلال وهم «الاسلاموفوبيا» الذى يسيطر على الذهنية الأوروبية والأمريكية ، من المفترض دوماً مبالغة أن ذلك كله سينعكس بصورة أو بأخرى على مجالات الكتابة التاريخية عن العلاقات الأوروبية- الإسلامية فى القرون الوسطى- والجانب البيزنطى أحد عناصرها . من أجل مواصلة إثارة المواجهات الماضوية واشعار القارئ بأن الإسلام دائماً وأبداً دين العنف والدموية!! وهو أمر مغلوط نظراً لكون الاسلام نفسه حضارة كما وصفه العلامة الراحل حسين مؤنس .

إن الوضع السابق؛ يجعلنا فى مفترق الطرق ، وبدون التنبيه إلى ضرورة أن تكتب تاريخنا بأقلامنا، ومن حصاد تجاربنا القومية، والدينية سيظل «الآخرون» يكتبونه لنا وخطورة ذلك الآن أكبر على نحو ينعكس كله على تاريخنا الذى هو أفضل ما تملك ومن المؤكد أن العلاقات العربية البيزنطية ، ومرحلة الحروب الصليبية على نحو خاص سيتم التركيز عليها فى الغرب تحقيقاً لتصورات وأهمية هى نتاج ما يوصف بأنه عصر العولمة ! والتى فى حقيقتها اذابة الثقافات خدمة للغرب والغرب فقط!

وبعد ؛ فتلک أهم الملاحظات الختامية التي أمکن الخروج من الدراسة، وما زال التاريخ البيزنطي يحمل في طياته الجديد طالما أمکن التعامل معه من خلال رؤية تاريخية نقدية واعیه لمشاكل دراسته ؛ وهي أساسية من الناحية المنهجية ، والأمل معقود على غيرى من الباحثين الجادين من ذوى الخبرة من أجل تسليط الأضواء الكاشفة على تلك الحقبة الحيوية فى تاريخ العصور الوسطى.

ذلك عرض لأهم النتائج التي نتجت عن الدراسة.





## فهرس الملاحق

- ١- الأسرات البيزنطية الحاكمة (٣٣٠ - ١٤٥٣م)
- ٢- الخلفاء الفاطميون في مصر (٩٧٢ - ١١٧١م)
- ٣- السلاطين العثمانيون (١٢٩٩ - ١٥٢٠م)
- ٤- الترتيب الزمني لأهم أحداث التاريخ البيزنطي
- ٥- أبيات من القصيدة الأرمينية التي أرسلها  
الامبراطور نقفور فوكاس إلى الخليفة العباسي  
المطيع لله متهدداً ومتوعداً .
- ٦- المستعمرات البيزنطية التي خضعت للبندقية بعد

عام ١٢٠٤م



## ملحق رقم (١) الأسرات البيزنطية الحاكمة

### أسرة قسطنطين (٣٢٤ - ٣٧٨ م)

- قسطنطين Constantine (٣٢٤-٣٣٧ م)
- قسطنطين الثانى Constantine II (٣٣٧ - ٣٤٠ م)
- قنسطانز Constance (٣٣٧ - ٣٥٠ م)
- قسطنطيوس Costantius (٣٣٧-٣٦١ م)
- جوليان المرتد Julian The Apostate (٣٦١-٣٦٣ م)
- جوفيان Jovian (٣٦٣-٣٦٤ م)
- فالنز Valenz (٣٦٤-٣٧٨ م)

### أسرة ثيودوسيوس (٣٧٩-٥١٨ م)

- ثيودوسيوس الأول Theodosius I (٣٧٩-٣٩٥ م)
- أركاديوس Arcadius (٣٩٥-٤٠٨ م)
- ثيودوسيوس الثانى Theodosius II (٤٠٨ - ٤٥٠ م)
- مارقيان Maracian (٤٥٠ - ٤٥٧ م)
- ليو الأول الكبير Leo I The Great (٤٥٧ - ٤٧٤ م)
- ليو الثانى Leo II (٤٧٤ م)
- زينون Zeno (٤٧٤ - ٤٩١ م)
- أناستاسيوس Anastasius (٤٩١ - ٥١٨ م)

### أسرة جستنيان (٥١٨-٦١٠ م)

- جستن الأول Justin I (٥١٨-٥٢٧ م)
- جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧ - ٥٦٥ م)
- جستين الثانى Justin II (٥٦٥ - ٥٧٨ م)

- تيبيريوس الأول Tiberius I (٥٧٨ - ٥٨٢ م)
- موريس Maurice (٥٨٢ - ٦٠٢ م)
- فوكاس Phocas (٦٠٢ - ٦١٠ م)
- أسرة هرقل (٦١٠ - ٧١٧ م)
- هرقل Heraclius (٦١٠ - ٦٤١ م)
- قسطنطين الثالث Constantine III (٦٤١ م)
- قنسطانز الثاني Constance II (٦٤٢ - ٦٦٨ م)
- قسطنطين الرابع Constantine IV (٦٦٨ - ٦٨٥ م)
- جستنيان الثاني Justinian II (٦٨٥ - ٦٩٥ م)
- ليونتيوس Leontius (٦٩٥ - ٦٩٨ م)
- تيبيريوس الثاني Tiberius II (٦٩٨ - ٧٠٥ م)
- جستنيان الثاني (عودته) Justinian II (٧٠٥ - ٧١١ م)
- فيليبكوس Philippicus (٧١١ - ٧١٣ م)
- اناستاس الثاني Anastas II (٧١٣ - ٧١٥ م)
- ثيودوسيوس الثالث Theodosius III (٧١٥ - ٧١٧ م)
- الأسرة الأيسورية (٧١٧ - ٨٢٠ م)
- ليو الثالث Leo III (٧١٧ - ٧٤١ م)
- قسطنطين الخامس Constantine V (٧٤١ - ٧٧٥ م)
- ليو الرابع Leo IV (٧٧٥ - ٧٨٠ م)
- قسطنطين السادس Constantine VI (٧٨٠ - ٧٩٧ م)
- إيرين Irene (٧٩٧ - ٨٠٢ م)
- خلفاء الأيسوريين
- نقفور الأول Nicephorus I (٨٠٢ - ٨١١ م)

- ستور اكيوس Stauracius (٨١١م)
- ميخائيل الأول رانجاب Michael I Ranagab (٨١١ - ٨١٣م)
- ليو الخامس الأرمني Leo V (٨١٣ - ٨٢٠م)
- الأسرة العمورية (٨٢٠ - ٨٦٧م)**
- ميخائيل الثاني Michael II (٨٢٠ - ٨٢٩م)
- ثيوفيلوس Theophilus (٨٢٩ - ٨٤٢م)
- ميخائيل الثالث (السكير) Michael III , The Drunkard (٨٤٢ - ٨٦٧م)
- الأسرة المقدونية (٨٦٧ - ١٠٥٧م)**
- باسل الأول Basil I (٨٦٧ - ٨٨٦م)
- ليو السادس (الحكيم) Leo VI The Philosoph (٨٨٦ - ٩١٢م)
- الكسندر Alexander (٩١٢ - ٩١٣م)
- قسطنطين السابع بورفيريوجنيتس Constantine VII Porphyrogenitus (٩١٣ - ٩٥٩م)
- شاركه في الحكم رومانوس الأول Ramanus I Lecapeus (٩١٩ - ٩٤٤م)
- رومانوس الثاني Romanus II (٩٥٩ - ٩٦٣م)
- نقفور فوكاس Nicophorus Phocas (٩٦٣ - ٩٦٩م)
- يوحنا الأول تزميسكس John I Tzimiskes (٩٦٩ - ٩٧٦م)
- باسل الثاني (سفاح البلغار) Basil II Bulgaroctonus (٩٧٦ - ١٠٢٥م)
- قسطنطين الثامن Constantine VIII (١٠٢٥ - ١٠٢٨م)
- زوي Zoe (١٠٢٨ - ١٠٥٠م)
- شاركها في الحكم أزواجها :
- رومانوس الثالث Romanus III (١٠٢٨ - ١٠٣٤م)
- ميخائيل الرابع Michael IV (١٠٣٤ - ١٠٤١م)
- ميخائيل الخامس Michael V (١٠٤١ - ١٠٤٢م)



- قسطنطين التاسع (مونوماخوس) Constantine IX (١٠٤٢ - ١٠٥٤ م)
- ثيودورا (عودتها) Theodora (١٠٥٤ - ١٠٥٦ م)
- ميخائيل السادس Michael VI (١٠٥٦ - ١٠٥٧ م)
- أسرتى دوкас وكومنين (١٠٥٧ - ١١٨٥ م)
- إسحق الأول كومنين Issac I Comnenus (١٠٥٧ - ١٠٥٩ م)
- قسطنطين العاشر (دوكاس) Constantine X Docas (١٠٥٩ - ١٠٦٧ م)
- رومانوس الرابع (ديوجينيس) Romanus IV Diogenes (١٠٦٧ - ١٠٧١ م)
- ميخائيل السابع (دوكاس) Michael VII Ducas (١٠٧١ - ١٠٧٨ م)
- نقفور الثالث (بوتانياتس) Nicephorus III Botaniates (١٠٧٨ - ١٠٨١ م)
- الكسيوس الأول (كومنين) Alexius I (١٠٨١ - ١١١٨ م)
- يوحنا الثانى (كومنين) Johan II (Comnenus) (١١١٨ - ١١٤٣ م)
- مانويل الأول (كومنين) Manuel II Comnenus (١١٤٣ - ١١٨٠ م)
- الكسيوس الثانى (كومنين) Alexius II Comnenus (١١٨٠ - ١١٨٣ م)
- أندرونيكوس الأول (كومنين) Andronicus I Comnenus (١١٨٣ - ١١٨٥ م)
- أسرة أنجيلوس (١١٨٥ - ١٢٠٤ م)
- إسحق الثانى Issac II Angelus (١١٨٥ - ١١٩٥ م)
- الكسيوس الثالث أنجيلوس Alexius III Angelus (١١٩٥ - ١٢٠٣ م)
- اسحق الثانى Issac II (١٢٠٣ - ١٢٠٤ م)
- الكسيوس الرابع Alexius IV Angelus (١٢٠٤ م)
- الكسيوس الخامس Alexius V Angelus (١٢٠٤ م)
- الأباطرة اللاتين فى القسطنطينية (١٢٠٤ - ١٢٦١ م)
- بولدوين الأول أمير فلاندرز Baldwin I of Flanders (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م)
- هنرى أمير الفلاندرز Henry of Flanders (١٢٠٥ - ١٢١٦ م)
- بطرس كورتناوى Peter of Courtenay (١٢١٧ م)

- يولند Yolande (١٢١٧-١٢١٩م)
- روبرت الثاني (كورتناي) Rober II de Courenny (١٢٢١-١٢٢٨م)
- بلدوين الثاني Baldwin II (١٢٢٨-١٢٦١م)
- تحت وصاية حنا دى برين ثم منفرداً من (١٢٤٠-١٢٦١م)
- أباطرة نيقية البيزنطيين (١٢٠٤-١٢٦١م)**
- ثيودور الأول لاسكاريس Theodore I Lascaris (١٢٠٤-١٢٢٢م)
- يوحنا الثالث لاسكاريس John III Vanatzes (١٢٢٢-١٢٥٤م)
- ثيودور الثاني لاسكاريس Theodere I Lascaris (١٢٥٤-١٢٥٨م)
- يوحنا الرابع لاسكاريس John III Vanatzes Vanatzes (١٢٥٨-١٢٥٩م)
- ميخائيل الثامن باليولوج Michael VIII Paleologus (١٢٥٩-١٢٦١م)
- أسرة باليولوج (١٢٦١-١٤٥٣م)**
- ميخائيل الثامن Michael VIII Paleologus (١٢٦١-١٢٨٢م)
- أندرونيكوس الثاني Andronicus II (١٢٨٢-١٣٢٨م)
- أندرونيكوس الثالث Andronicus III (١٣٢٨-١٣٤١م)
- يوحنا الخامس John V (١٣٤١-١٣٩١م)
- يوحنا السادس كنتاكوزين John VI Cantacuzene (١٣٤٧-١٣٥٤م)
- أندرونيكوس الرابع Andronicus IV (١٣٧٦-١٣٧٩م)
- يوحنا السابع John VII (١٣٩٠م)
- مانويل الثاني Manuel II (١٣٩١-١٤٢٥م)
- يوحنا الثامن John VIII (١٤٢٥-١٤٤٨م)
- قسطنطين الحادى عشر Constantina XI (١٤٤٩-١٤٥٣م)<sup>(١)</sup>.

١- عن ذلك أنظر :

Ostrogorsky , History of the Byzane State, p. 516 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 725-726 .

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٤٧-٢٥٢ .

## التعليق

عند إمعان النظر فى قوائم الأباطرة البيزنطيين يمكن الخروج بعدة دلالات توجز فى الآتى:

١- من بين عشرات الأباطرة الذين حكموا من عام ٣٣٠ إلى ١٤٥٣م، مع استثناء المرحلة الواقعة بين عامى ١٢٠٤ - ١٢٦١م على اعتبار أنها تمثل احتلالاً لاتينياً ، نلاحظ أن أبرز الأباطرة البيزنطيين من خلال أعمالهم السياسية أو الحربية أو العمرانية أو القانونية هم :

١- قسطنطين الأول ٣٢٤ - ٣٣٧م

٢- ثيودوسيوس الأول ٣٧٩ - ٣٩٥م

٣- جستنيان ٥٢٧ - ٥٦٥م

٤- هرقل ٦١٠ - ٦٤١م

٥- ليو الثالث الأيسورى ٧١٧ - ٧٤١م

٦- ميخائيل الثانى العمورى ٨٢٠ - ٨٢٩م

٧- باسل الثانى ٩٧٦ - ١٠٢٥م

٨- الكسيوس كومنين ١٠٨١ - ١١١٨م

٩- ميخائيل الثامن ١٢٦١ - ١٢٨٢م

من الملاحظ ، أن الصفة الغالبة على أولئك الأباطرة أنهم من مؤسسى الأسرات البيزنطية الحاكمة ، وينطبق ذلك ؛ على الأباطرة أرقام (١) ، (٢) ، (٤) ، (٥) ، (٦) ، (٨) ، (٩) ، أما الاستثناء ، فيرتبط برقمى (٣) ، (٧) .

٢- فى حالة جمع مدد الأعوام التى حكمها أولئك الأباطرة نجد أنها حوالى (٢٦٦) عاماً، ونستطيع القول: أنها الأعوام الأكثر فعالية فى التاريخ البيزنطى، وقد أثرت فى كافة القرون التالية، ومن الممكن القول أن مدة استمرارية التاريخ المذكور والتى بلغت (١١٢٣) عاماً؛ أى أحد عشر قرناً وقرابة ربع القرن، لم تكن فيها فعالية تاريخية حقيقية مؤثرة داخلياً وخارجياً إلا فى ٢٦٦ عاماً مع عدم اغفال بعض الاستثناء أحياناً بالطبع ، أما الأعوام الأخرى؛ فقد تولى أمرها أباطرة ثانويون، ومرة أخرى - لمواجهة جدل متوقع فى هذه الناحية على نحو خاص- فإن الامبراطور الثانوى فى تصورى هو ظل لأباطرة فاعلين سابقين، أو الامبراطور المهزوم عسكرياً وسياسياً أو الذى أثبتت وقائع التاريخ البيزنطى قصر نظره أو حدوث عواقب

وخيمة لسياسته في المرحلة التالية لوفاته ، ولذلك ؛ تم إعتبار الامبراطور مانويل كومنين ١١٤٣ - ١١٨٠ م من أولئك الأباطرة (١).

٣- ليس معنى وجود أباطرة ثانويين ، أنهم بلا قيمة للتاريخ البيزنطي ، إذ أنهم كانوا جسوراً عبر عليها الأباطرة الفعّالين المؤثرين في ذلك التاريخ ، وبدونهم ما كان لنا أن ندرك حجج فعاليات المؤثرين في ذلك التاريخ ، وبدونهم ما كان لنا أن ندرك حجم فعاليات الأباطرة السالقي الذكر سواءً المؤسسين للأسرات الحاكمة أو غيرهم من خلال المقارنة التاريخية . الموضوعية التي وحدها من شأنها الاقتراب - قدر مكان - من الحقيقة .

٤- إن دلالة القول بأن (٢٦٦) عاماً هي تركيز لفعاليات بيزنطة تاريخياً من بين (١١٢٣) عاماً يدل دلالة وضّاحة على أن العمر الطويل لتلك الامبراطورية لم يكن كله وجود بيزنطي فاعل في التاريخ ؛ بل كان أشبه ببيات شتوى طويل الأمد ، ومن بين ما زاد على أحد عشر قرناً من الوجود الزمني ، هناك فقط قرنان وقرابة ثلاثة أرباع قرن فقط من الحيوية التاريخية ، ومن الخطأ البين تصور أن البقاء في التاريخ بقاء زمني بل البقاء يعني « الدور التاريخي » وهو ما لانجده بجلاء إلا لدى قلة من الأباطرة من بين عشرات آخرين كما اتضح من العرض السابق .

وقد يتساءل البعض ؛ ما تعليل تلك الاستمرارية إذ أن بيزنطة عُدت إمبراطورية معمرة في عالم العصور الوسطى ؛ والإجابة ليست عسيرة المنال ؛ إذ أن عبقرية المكان وأعنى به القسطنطينية ؛ كان بمثابة العامل الرئيسي وراء ذلك الوضع دون إغفال تأثير العوامل الأخرى ، مجتمعه ، ولانغفل ؛ أن الأعوام الـ (٢٦٦) كانت بمثابة مقويات فعالة للتأثير في الجسد الامبراطوري (٢) على نحو ضمن لبيزنطة الاستمرار بمثل تلك الصورة ، ولاننكر أن الخلافات

١- أود الإشارة هنا إلى أن تأليف دراسات متخصصة عن مانويل كومنين مثل دراسة ماجد ولينو التي أشدت بها من قبل ، وغيرها ، لايعنى أنه من الأباطرة الرئيسيين الكبار في التاريخ البيزنطي ، بل أن الأمر مرتبط بالجدل الذي ثار بين الدارسين حول جدوى سياساته ومسئوليته عن الأحداث التالية لمدة حكمه ، وبالتالي ينبغي عدل الخلط بين الدور التاريخي الفعلي ، والجدل الذي ارتبط بامبراطور ما من الأباطرة البيزنطيين.

٢- ولا أدل على ذلك من أن أ.د. إسحق عبيد قرر عن الامبراطور ميخائيل باليولوجوس ما نصه :=

الحادة التي كانت تقع في صفوف أعدائها ساعدت على إطالة عمرها ، وقد كان هناك أعداء على جانب كبير من الخطورة في صورة الروس ، والمدن التجارية الإيطالية وعلى نحو خاص البندقية والمسلمين ، والعدو الأول وجدت السبيل لاختراقه من خلال التنصير والثاني وقف وراء كارثة ١٢٠٤م ، بالنسبة للمسلمين فقد امتلكوا القدرة على وضع سطور النهاية في المسرحية البيزنطية البالغة الطول التي جلبت الملل على مشاهديها خاصة في مشاهدتها المتأخرة المتهاوية .

وهكذا ؛ يمكن القول أن ما زاد على ثمانية قرون ونصف وبالتحديد حوالي (٨٥٧) عاماً كانت بيزنطة فيها تسير في تاريخ غمطي وتقليدي تروقه بين الحين والآخر مؤامرة هنا وهناك تصل بأحد السياسيين والقادة العسكريين إلى السلطة التي كان لها بريقها الآخاذ في ذلك العصر .

٥- وقد يختلف الباحثون فيما بينهم حول من هو أكثر الأباطرة السالفى الذكر فعالية وحسماً في التاريخ البيزنطي ، ومنطقي أن يتحسس كل باحث لمن درس من الأباطرة ، وأن يركز الاختيار في أعمال الامبراطور موضع الاختيار ، ومع ذلك ؛ فهناك شخصيتان بارزتان من داخل وخارج بيزنطة كان لها دورها الفعال في تاريخها في صورة قسطنطين الأول المؤسس البارز ومفتتح القسطنطينية ، أما من الخارج فهناك محمد الفاتح العثماني ، الذي لم يقدره المسلمون كما يجب ؛ وراح ضحية المركزية الأوروبية المتعصبة ، مع ملاحظة ، أنه وضع نهاية لكيان منتحر بضعفه الداخلي ، وتعاونت عهوامل الداخل والخارج لتصنع إنجاز عام ١٤٥٣م التاريخي ومن الملفت للانتباه ؛ أن عامي ٣٣٠م ، ١٤٥٣م يعدان أكثر الأعوام فعالية في التاريخ البيزنطي ويكفي للدلالة على ذلك إرتباطه بالممات بعد قرون الاحتضار .

يبقى أن أشير إلى أن كل مؤرخ له اجتهاداته وتصورات وإمكانياته ووجود تصورات مغايرة أمر وارد ومتوقع تماماً .

٦- من بين عشرات الأباطرة الذين أشار إليهم الملحق المذكور؛ لا يظهر دور سياسي لحواء البيزنطية سوى في حالات قليلة ، مثل ثيودورا Theodora زوجة جستنيان ، وإيريني Irene

---

= « لقد حقن باليولوغوس بيزنطة بجرعة من الدم الجديد مدت من عمرها مائتي عاماً تقريباً » انظر: رسحق عبيد ، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ١٢٦١ - ١٢٨٢م ، منشورات جامعة بنى غازى ط . بيروت ب-ت ص ١٢ .

(٧٩٧-٨٠٢م) من الأسرة الأيسورية ، وزوى Zoe (١٠٢٨-١٠٥٠م) من الأسرة المقدونية التي حكمت بمعاونة أزواجها . وهي سنوات قليلة بين أكثر من (١١) قرناً من عمر الزمان، وذلك كله يعكس - بلاريب - الطابع الذكوري للتاريخ البيزنطى ، ولانفضل أيضاً : أن المؤرخين كانوا من الرجال باستثناء حالة واحدة نادرة فى صورة الأميرة أناكومينا ، ومع ذلك ، من الممكن الإقرار بأن النساء فى أحيان متعددة ؛ حكمن من وراء الستار ، وكان لهن دورهن فى توجيه دفة السياسة خدمة لمصالحهن الخاصة بغض النظر - أحياناً - عن الصالح البيزنطى العام .

٧- على الرغم من تعدد أولئك الأباطرة البيزنطيين؛ إلا أن هناك عنصراً مشتركاً فى الكثير منهم إذا عدواً كبيراً منهم وصل إلى العرش من خلال مؤامرة أو تم التخلص منه من خلال أخرى، والمتآمرون فى الغالب من رجال الجيش أو الأسطول والنادر من رجال الاداره ، وهناك عدة أمثلة على الأباطرة الذين تم قتلهم غيلة، ومن أمثلتهم: موريس (٥٨٢-٦٠٢م) وفوكاس (٦٠٢-٦١٠م) ، وجستنيان الثانى (٦٨٥-٦٩٥م) ، (٧٠٥-٧١١م) ، وثيبوس الثانى (٧٩٨-٧٠٥م) ، وميخائيل الثالث السكير (٨٤٢-٨٦٧م) ، ونقفور فوكاس (٩٦٣-٩٦٩م) ويوحنا تزيمسكس (٩٦٩-٩٧٦م) ، والكسيوس الثانى كومنين (١١٨٠-١١٨٣م) ، وأندرونيكوس الأول كومنين (١١٨٣-١١٨٥م) ، والكسيوس الرابع أنجيلوس (١٢٠٣-١٢٠٤م) .

ولانغفل : أن القتل كان مصيراً لعدد من الأباطرة فى ساحات المعارك التى هزموا فيها مثل فالنز (٣٦٤-٣٧٨م) الذى هزم فى معركة أدوتة عام ٣٧٨م ضد القوط الشرقيين ، ونقفور الأول (٨٠٢-٨١١م) الذى هزم فى معركة ضد البلغار عام ٨١١م ، ورومانوس الرابع، يوجنيس (١٠٦٧-١١٧١م) وهزم هو الآخر فى معركة مانزكرت ضد السلاجقة عام ١٠٧١م وأخيراً قسطنطين الحادى عشر باليولوج (١٤٤٩-١٤٥٣م) وهو صاحب الهزيمة الأخيرة فى مواجهة الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م، مما دل على تعدد القتل من الأباطرة البيزنطيين .

٨- هناك عدد من الأباطرة البيزنطيين أنهوا حياتهم السياسية باللجوء إلى الأديرة والانعزال عن المجتمع وجاء ذلك بعد عزلهم عن السلطة والصدمة النفسية عقب الإخفاق السياسى، ومن أمثلتهم : أناستاسيوس الثانى (٧١٣-٧١٥م) وثيودوسيوس الثالث (٧١٥-٧١٧م) ورومانوس الأول ليكابينوس (٩٢٠-٩٤٤م) واسحق الأول كومنين



١٠٥٧-١٠٥٩م) والكسيوس الثالث أنجيلوس (١١٩٥-١٢٠٣م) ، وأندرونيكوس الثانى باليولوج (١٢٨٢-١٣٢٨م) .

٩- لانغل زاوية لها أهميتها وهى تتصل بالناحية النفسية والعقلية لدى عدد من الأباطرة البيزنطيين ومن المؤكد أنها أثرت بصورة أو بأخرى على قراراتهم السياسية ومن أمثلة ذلك أن الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) بعد وفاة زوجته ثيودورا صار رجلاً يفضل الوحدة ، والعزلة وافتقد القدرة على الابتكار - كما لاحظ دونالد نيكول - ومن المفترض اصابته بإكتئاب نفسى كما أن باسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) بعد وفاة ابنه الأكبر قسطنطين عام ٨٧٩ يقال ذلك أثر سلبياً على نفسيته وعلى قواه العقلية على مدى الثمانى سنوات الأخيرة من حكمه ، كما تكرر ذات الأمر على باسل الثانى (٩٧٩-١٠٢٥م) الذى نعرف أن حالات من الاكتئاب أصيب بها والواقع أن التفسير النفسى للتاريخ لايلقى التقدير على الرغم من أهميته ، مع عدم اغفال أن نقص الاشارات المصدريه ومن بعدها المرجعية لاتجعل الباحث يتعمق فى تلك الزاوية .

١٠- هناك عدد من الأباطرة تم الانتقام منهم ببشاعة من خلال تسميل أعينهم، ومن أمثلتهم: فليبيكوس، بردانس (٧١١-٧١٣م) وقسطنطين السادس (٧٨٠-٧٩٧م) وميخائيل الخامس كالافاتس (١٠٤١-١٠٤٢م) ، ورومانوس الرابع ديوجنيس (١٠٦٨-١٠٧١م) .

وقد حدث ذلك كعقاب من جانب خصومهم السياسيين ، أما أشهر حادثة لتسميل العيون فى التاريخ لبيزنطى فهى تلك التى قام بها باسل الثانى ضد البلغار التى أسلفت الإشارة إليها من قبل ، ولارب فى أن ذلك يعكس لنا أن هناك طابعاً «سادياً» على المستوى الفردى أو الجماعى فى ذلك التاريخ لايمكن إنكاره أو تبريره من خلال تصورات العصر ، ومثل تلك المؤامرات التى استهدفت اغتيال عدد من الأباطرة ، وكذلك عمليات التسميل هى التى دفعت إدوارد جيبون Edward Gibbon لتبنى تصوراتهِ السالفة الذكر هى الأخرى هع تحفظنا لمأزق التعميم الذى يفرض تصور مسبق انتقائى دون إدراك كافة الجوانب الأخرى لاسيما الحضارية المتصلة بتاريخ بيزنطة .

## ملحق ( ٢ )

الخلفاء الفاطميون في مصر<sup>(١)</sup>

- المعز لدين الله ٩٥٢-٩٧٥م
- العزيز بالله ٩٧٥-٨٩٦م
- الحاكم بأمر الله ٩٩٦-١٠٢١م
- الظاهر لإعزاز دين الله ١٠٢١-١٠٣٦م
- المستنصر بالله ١٠٣٦-١٠٩٤م
- المستعلى بالله ١٠٩٤-١١٠١م
- الأمر بأحكام الله ١١٠١-١١٣٢م
- الحافظ لدين الله ١١٣٢-١١٤٩م
- الظافر لدين الله ١١٤٩-١١٥٤م
- الفائز بنصر الله ١١٥٤-١١٦٠م
- العاضد لدين الله ١١٦٠-١١٧١م

---

١- مايسه محمود، داود ، المسكوكات الفاطمية بمجموعة متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، دراسة أثرية وفنية، ط. القاهرة ١٩٩١م، ص ١٣ .

ملحق رقم (٣)  
السلطان العثمانيون  
( من ١٢٩٩ إلى ١٥٢٠م )

- عثمان الأول بن أرطغرل ١٢٩٩-١٣٢٦م
- أورخان بن عثمان ١٣٢٦-١٣٦٠م
- مراد الأول بن عثمان ١٣٦٠-١٣٨٩م
- بايزيد الأول بن مراد الأول ١٣٨٩-١٤٠٣م
- محمد بايزيد الأول ١٤١٣-١٤٢١م
- مراد الثاني بن محمد الأول ١٤٢١-١٤٥١م
- محمد الثاني (الفاتح) ١٤٥١-١٤٨١م
- بايزيد الثاني بن محمد الثاني ١٤٩١-١٥١٢م
- سليم الأول بن بايزيد الثاني ١٥١٢-١٥٢٠م

التعليق

الأمر المؤكد : أن السلطان محمد الثاني ١٤٥١-١٤٨١م، الملقب بالفاتح يعد أكبر سلاطين العثمانيين تأثيراً في التاريخ البيزنطي، إذ وضع له النهاية التي تأخرت كثيراً . ويلاحظ أن قيامه بمهاجمة القسطنطينية بعد عامين فقط من توليه السلطنة يؤكد بما لا يدع مجالاً لارتياب مرتاب ، أن إسقاط العاصمة البيزنطية كان هدفاً استراتيجياً للسلطان العثمانيين وما دور محمد الفاتح إلا تكملة لأدوارهم في جهادها، ثم أنه يعكس لنا حرصه الشديد على أن يدخل بوابة التاريخ « مبكراً » من خلال ذلك العمل الفذ الذي فصلت أمره فيما سبق من عرض تاريخي؛ وذلك دونما قولبته أو اعتساف في الأحكام.

من المهم ملاحظة : أن السلاطين الذين سبقوا محمد الثاني وهم ستة من كبار الحكام العثمانيين ، مهدوا لذلك السلطان تحقيق إنتصاره التاريخي الذي قلب الموازين الدولية بصورة غير مسبقة في العلاقات بين عالمي الإسلام والمسيحية في أواخر العصور الوسطى ومطلع الحديثة .

## ملحق رقم (٤) الترتيب الزمني لأهم أحداث التاريخ البيزنطي

- ١١ مايو ٣٣٠م، إفتتاح القسطنطينية؛
- ٩ أغسطس ٣٧٨م معركة أدرنة وهزيمة القوط الشرقيين لغالنز .
- ٣٨١م مجمع القسطنطينية.
- ٤٣٨م إصدار مجموعة ثيودوسيوس القانونية.
- ٤٥١م مجمع خلقدونية الكنسى الرابع.
- ٤ سبتمبر ٤٧٦م سقوط الإمبراطور رومولوس أوجستيلوس آخر إمبراطور روماني في الغرب.
- ١ أغسطس ٥٢٧م جستنيان يتولى العرش.
- ١١-١٩ يناير ٥٣٢م ثورة النصر Nika .
- ٢٧ ديسمبر ٥٣٧م إفتتاح كنيسة أيا صوفيا.
- ٥٤١-٥٤٤م وباء الطاعون يجتاح القسطنطينية .
- ٢٨ يونيو ٥٤٨م وفاة ثيودورا زوجة جستنيان .
- ١٤ نوفمبر ٥٦٥م وفاة جستنيان
- ٦١٥م غزو الفرس لمصر .
- ٦٢٧- هرقل يلحق الهزيمة بالفرس.
- ٣٠ أغسطس ٥٧٠م ميلاد محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام .
- ١٨ يوليو ٦٢٢م الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة .
- ٦٢٩م معركة مؤتة بين المسلمين والبيزنطيين.
- ٢٢ أغسطس ٦٣٦م، معركة اليرموك وإنتصار المسلمين بقيادة خالد بن الوليد على جيش الامبراطور هرقل .
- ٦٣٧م الخليفة عمر بن الخطاب يدخل بيت المقدس .
- ١١ فبراير ٦٤١م وفاة الإمبراطور هرقل .

٦٤٢ م فتح العرب لمصر

٦٤٩ م المسلمون يفتحون قبرص Cyprus

٦٥٤ م المسلمون يفتحون رودس Rhodes

٦٥٥ م معركة ذات الصواري وانتصار المسلمين على البيزنطيين.

٦٦٩ م المسلمون فى عهد معاوية بن أبى سفيان يحاصرون القسطنطينية دون جدوى.

٧١٧-٧١٨ م المسلمون فى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك يحاصرون القسطنطينية خلال حكم الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى.

١٨ يونيو ٧٤١ م وفاة ليو الثالث الأيسورى.

٧٥٤ م عقد مجمع كنسى فى مدينة هيرا على خليج البسفور فى عهد قسطنطين الخامس.

٨ سبتمبر ٧٨٠ م وفاة ليو الخزرى.

٢٥ ديسمبر ٨٠٠ م شارلمان يتوج من جانب البابا ليو الثالث فى كنيسة القديس بطرس فى روما .

٢٥ ديسمبر ٨٢٠ وفاة ليو الخامس الأرمينى

٨٦٧ م قطيعة فوشيوخس بين كنيسة القسطنطينية وروما.

٨٧٠ م المسلمون يفتحون جزيرة مالطة Malta .

١١ مايو ٩١٢ م وفاة ليو السادس.

٩٠٤ م المسلمون يفتحون سالونيك Thessalonica .

٩٨٦ م هزيمة الامبراطور باسل الثانى من جانب البلغار بقيادة زعيمهم صموئيل فى معركة ممر تراجان Tragan .

١٠١٤ م الإمبراطور باسل الثانى يحقق انتصاراً على البلغار فى معركة ممر كيمبالونجو Kembalongo.

١٠٠٠-١٠١٩ م إخضاع بلغاريا وضمها فى عهد باسل الثانى.

١٠٤٥ م إعادة تنظيم جامعة القسطنطينية فى عهد قسطنطين التاسع.

١٥ يوليو ١٠٥٤ م الإنشقاق الأعظم بين كنيسة القسطنطينية وروما .

- ١٦ أغسطس ١٠٧١م هزيمة بيزنطة في مانزكرت على أيدي السلاجقة .
- ١٠٨٠م الكسيوس كومنين يتولى العرش البيزنطى .
- ١٠٨٢م الكسيوس كومنين يقدم امتيازات للبنادقة .
- ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م البابا أوربان الثانى (١٠٨٩-١٠٩٩م) يدعو للحروب الصليبية فى كليرمونت .
- ٩٧-١٠م عقد اتفاقية القسطنطينية بين الامبراطور الكسيوس كومنين وأمراء الحملة الصليبية الأولى .
- ١٢٠٨م عقد معاهدة بين الامبراطور الكسيوس كومنين وبوهيمند .
- ١١١٨م وفاة الكسيوس كومنين وتولى حنا كومنين .
- ٨ أبريل ١١٤٣م وفاة حنا كومنين
- ١١٤٧-١١٤٩م الحملة الصليبية الثانية .
- ١٧ سبتمبر ١١٧٦م معركة مرياكيفالون وهزيمة مانويل كومنين .
- ٢٤ سبتمبر ١١٨٠م وفاة مانويل كومنين .
- ١١٨٢م مذبحة اللاتين فى القسطنطينية .
- ١١٨٥م النورمان يستولون وينهبون سالونيك .
- ٤ يوليو ١١٨٧م - ٢ أكتوبر ١١٨٧م معركة حطين وسقوط مملكة بيت المقدس الصليبية .
- ١٣ أبريل ١٢٠٤م سقوط القسطنطينية فى أيدي اللاتين فى الحملة الرابعة .
- ١٥ أغسطس ١٢٦١م البيزنطيون يستردون القسطنطينية .
- ١٢٦٦-١٢٨٣م محاولات شارل الأنجوى الاستيلاء على القسطنطينية .
- ١٢٧٤م انعقاد مجمع ليون
- ١٣٠٨م العثمانيون يستولون على افسوس Ephesus .
- ١٣٢١-١٣٢٨م الحرب الأهلية بين أندرونيكوس الثانى وأندرونيكوس الثالث .
- ١٣٢٦م العثمانيون يستولون على بورصة .
- ١٣٣١م العثمانيون يستولون على نيقية .



- ١٣٤١-١٣٤٧م الحرب الأهلية بين يوحنا الخامس ويوحنا كنتاكوزين .
- ١٣٤٧م الفناء الكبير The Black Death .
- ١٣٥٤م العثمانيون يستولون على جاليبولي Gallipoli .
- ١٣٦٥م العثمانيون يؤسسون عاصمتهم في أدريانوبل Adrianople .
- ١٣٧٦-١٣٧٩م الحرب الأهلية بين البيزنطيين .
- ١٣٨٧م العثمانيون يستولون على سالونيك .
- ١٣٨٩م معركة كوسوفو .
- ١٣٩٣م العثمانيون يستولون على تساليه Thessaly .
- ١٤٠٢م معركة أنقره وهزيمة العثمانيين على أيدي التتار بقيادة تيمور لنگ .
- ١٤٠٣-١٤١٣م الحرب الأهلية بين أبناء السلطان يزيد على السلطة .
- ١٤٢٣-١٤٣٠م الحرب العثمانية البندقية على سالونيك .
- ١٤٢٥م العثمانيون يستولون على أزمير Izmir .
- ١٤٣٩م العثمانيون يستولون على غربي الأناضول
- ١٠ نوفمبر ١٤٤٤م صليبية نافار Navarre وفشلها
- ٢٩ مايو ١٤٥٣م الفتح العثماني للقسطنطينية بقيادة محمد الثاني بن مراد الثاني ومقتل قسطنطين الحادي عشر .
- ١٤٦٠م سقوط ميسترا Mistra .
- ١٤٦١م سقوط طرابيزون Trebizond .

١- اعتمدت في إعداد الترتيب الزمني المذكور على: دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٨١- ص ٢٨٤ .

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص ٢٥٣- ص ٢٦٤ .

Browning, The Byzantine Empire, Washington 1997. pp. 295-296 .

## ملحق ( ٥ )

أبيات من القصيدة الأرمينية التي أرسلها  
نقفور فوكاس إلى الخليفة العباسي المطيع  
لله ( ٩٤٦ - ٩٧٤ م ) متهدداً ومتوعداً

من الملك الطهر المسيحي مالك	إلى خلف الأملاك من آل هاشم
إلى الملك الفضل المطيع أخى العسلا	ومن يرتجى للمعضلات العظام
أما سمعت أذناك ما أنا صانع	ولكن دهاك الوهن عن فعل حازم
فإن تك عما تقلدت نائمًا	فإنى عما همنى غير نائم
ثغورك لم يبق فيها لوهنكم	وضعفكم إلا رسوم المعالم
فتحنا الثغور الأرمينية كلها	بفتيان صدق كالليوث الضراغم

ويقول أيضاً :

أسير بجندى نحو بصرتها التى	لها بحر عجاج رائع متلازم
إلى واسط وسط العراق وكوفة	كما كان يومًا جندنا ذو العزائم
وأخرج منها نحو مكة مسرعًا	أجر جيوشًا كالليالى السواجم
فأملكها دهرًا عزيزًا مسلمًا	أقيم بها للحق كرسى عالم
واحوى لجداً كلها وتهامها	وسط واتهام مذحج ومخاصم
وأغزو يمانا كلها وزبيدها	وصنعاها مع صعدة والتهائم
فأتركها أيضًا خرابًا بلاقعًا	خلاءً من الأهلين أهل مغانم
وأحوى أموال اليمانية كلها	وما جمع القرماط يوم محارم
أعود إلى القدس التى شرفت بها	بعز مكين ثابت الأصل قائم
وأعلو سريري للسجود معظماً	وتبقى ملوك الأرض مثل خوادم
هنالك تخلص الأرض من كل مسلم	لكل نقي الدين أغلف زاعم

## التعليق

من الجلى البين من خلال مطالعة تلك الأبيات الشعرية عدة دلالات :

أولاً : تخير ذلك الامبراطور البيزنطى استخدام الشعر؛ من أجل إرسال رسالة تهديد ووعيد للخليفة العباسى المطيع وهو أمر يعكس تفضيله الشعر على النثر لتحقيق ذلك الهدف. كذلك ندرك أن ورودها فى عدد من المصادر العربية يدل على انتشارها ومن المحتمل أن أبياتها ذاعت وانتشرت بحكم كون الشعر أيسر فى الحفظ من النثر بصفة عامة .

ثانياً : لانغفل ؛ أن ورود عدة مدن عربية إسلامية مثل بغداد ، والبصرة ، وواسط ، ومكة فى القصيدة المذكورة بالإضافة إلى بيت المقدس؛ يدل على أن ذلك الإمبراطور البيزنطى لم يخصص الحديث عن المدينة الأخيرة فقط، مما ينفى فى الأصل فكرة قيامه بحرب ذات طابع صليبي ؛ من أجل استردادها .

ثالثاً : تعكس تلك القصيدة ؛ أن الإمبراطورية البيزنطية خلال عهد نقفور فوكاس ؛ أدركت بجلاء أهمية سلاح الدعاية من أجل تحقيق أهدافها السياسية ضد أعدائها ، وهكذا ؛ لم تجد أفضل من الزاوية الدينية والعرف على وتر مدينة بيت المقدس؛ من أجل إثارة المعاصرين دون أن يكون ذلك من خلال مفهوم مستقر ومحدد عن الحرب المقدسة.

رابعاً : تكشف تلك القصيدة لنا كيف أن الضعف السياسى لدى المسلمين فى العصر العباسى الثانى؛ جعل ذلك الإمبراطور يتجراً على الخليفة المطيع ويهدده فيها بالوصول إلى مكة المكرمة ، وهو تهديد أرعن ما كان من الممكن أن يحققه لأنه واقعياً لم يتمكن إلا من دخول بعض المناطق فى بلاد الشام ، ولم يستمر بها طويلاً ، وهكذا ؛ فإن تلك القصيدة لاتدرس إلا من خلال الأوضاع السياسية المتردية عامة التى كانت تعيش خلالها الدولة العباسية على نحو أدى إلى تطاول الدولة البيزنطية حينذاك إلى هذا الحد الغير مسبوق فى لغة الدعاية السياسية والحربية المتبادلة بين البيزنطيين والعباسيين ، وهو أمر لم يحدث خلال عهود الراشدين والأمويين والعباسيين فى عصرهم الأول؛ مما عكس تغرد الحادثة فى تاريخ العلاقات البيزنطية- العربية .

خامساً : نظراً لكون ذلك الإمبراطور من القادة العسكريين الذين بلغوا المنصب الامبراطورى ، لذلك رفع مثل تلك الشعارات الديماغوجية الخاصة باسترداد بيت المقدس، ومن المفترض فى حالة كونه خارج نطاق النخبة العسكرية؛ ما فكر فى الأصل فى استغلال «الحلم الجماعى» المرتبط بالحج إلى المحارم المسيحية المقدسة ليكون فى مشروعه السياسى.

## ملحق ( ٧ )

## المستعمرات اليزنطية التي خضعت للبندقية عام ١٢٠٤م

- ١- مودون من ١٢٠٦ - ١٥٠٠م
- ٢- كورون من ١٢٠٦ - ١٥٠٠م.
- ٣- أرجوس من ١٣٨٨ - ١٤٦٣م.
- ٤- نوبليا من ١٣٨٨ - ١٥٤٠م.
- ٥- مونفاسيا من ١٤٦٤ - ١٥٤٠م.
- ٦- ليبانتو من ١٤٠٧ - ١٤٩٩م.
- ٧- نجرو بونت من ١٢٠٩ - ١٤٧٠م.
- ٨- پتليون من ١٣٢٣ - ١٤٧٠م.
- ٩- إيجينا من ١٤٥١ - ١٥٣٧م.
- ١٠- تينوس من ١٣٩٠ - ١٧١٥م.
- ١١- ميكونوس من ١٣٩٠ - ١٥٣٧م.
- ١٢- شمالي سپوراديز من ١٤٥٣ - ١٥٣٨م.
- ١٣- كورفو من ١٢٠٦ - ١٢١٤م / ١٣٨٦ - ١٧٩٧م.
- ١٤- كيفالونيا من ١٤٨٣ - ١٤٨٥م / ١٥٠٠ - ١٧٩٧م.
- ١٥- زانتى من ١٤٨٢ - ١٧٩٧م.
- ١٦- سريجو من ١٣٦٣ - ١٧٩٧م.
- ١٧- سانتامافرا من ١٥٠٢ - ١٥٠٣م.
- ١٨- أثينا من ١٣٩٤ - ١٤٠٢م.
- ١٩- پاتراس من ١٤٠٨ - ١٤١٣م / ١٤١٧ - ١٤١٩م.
- ٢٠- ناكسوس من ١٤٩٤ - ١٥٠٠م / ١٥١١ - ١٥١٧م.

- ٢١- انوروس من ١٤٣٧-١٤٤٠م / ١٥٠٧-١٥١٤م .
- ٢٢- پاروس من ١٥١٨-١٥٢٠م / ١٥٣١-١٥٣٦م .
- ٢٣-  $\frac{1}{4}$  أمورجوس من ١٣٧٠-١٤٤٦م .
- ٢٤- ماينا من ١٤٦٧-١٤٧٩م .
- ٢٥- قوستترا ١٤٧٠م (١)

---

١- اسحق عبيد، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ١٢٦١-١٢٨٢م، منشورات جامعة بنغازي ، ط١، بيروت ب-ت ، ص١٣٦-١٣٧ .

## الخرائط<sup>(١)</sup>

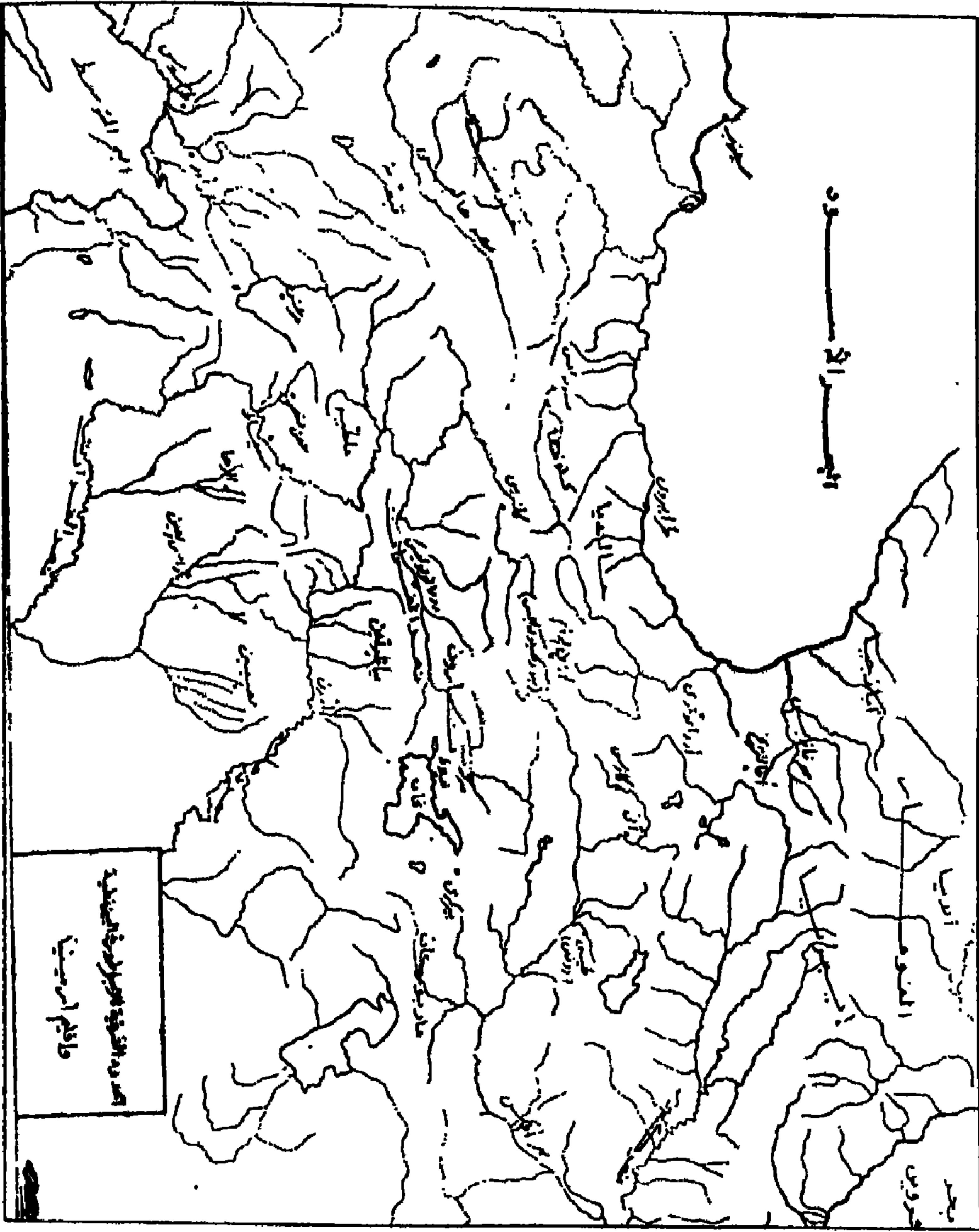
---

\* إعتماًداً على : محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية مدخل إلى التاريخ السياسي والحربي، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م، اسمت غنيم، امبراطورية جستنيان، ط. جدة ١٩٧٧م، نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ط. دمشق ٢٠٠٤م.



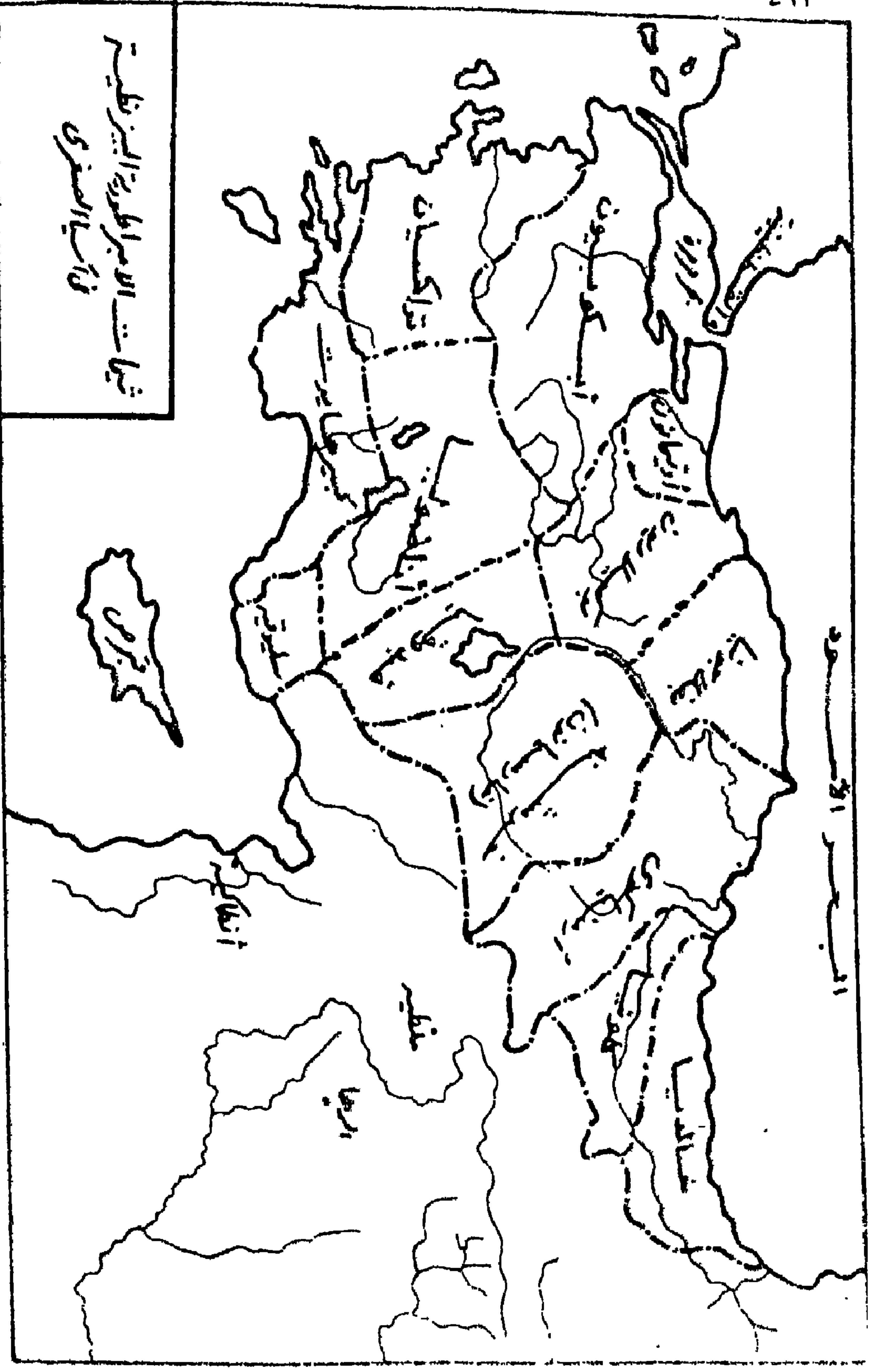






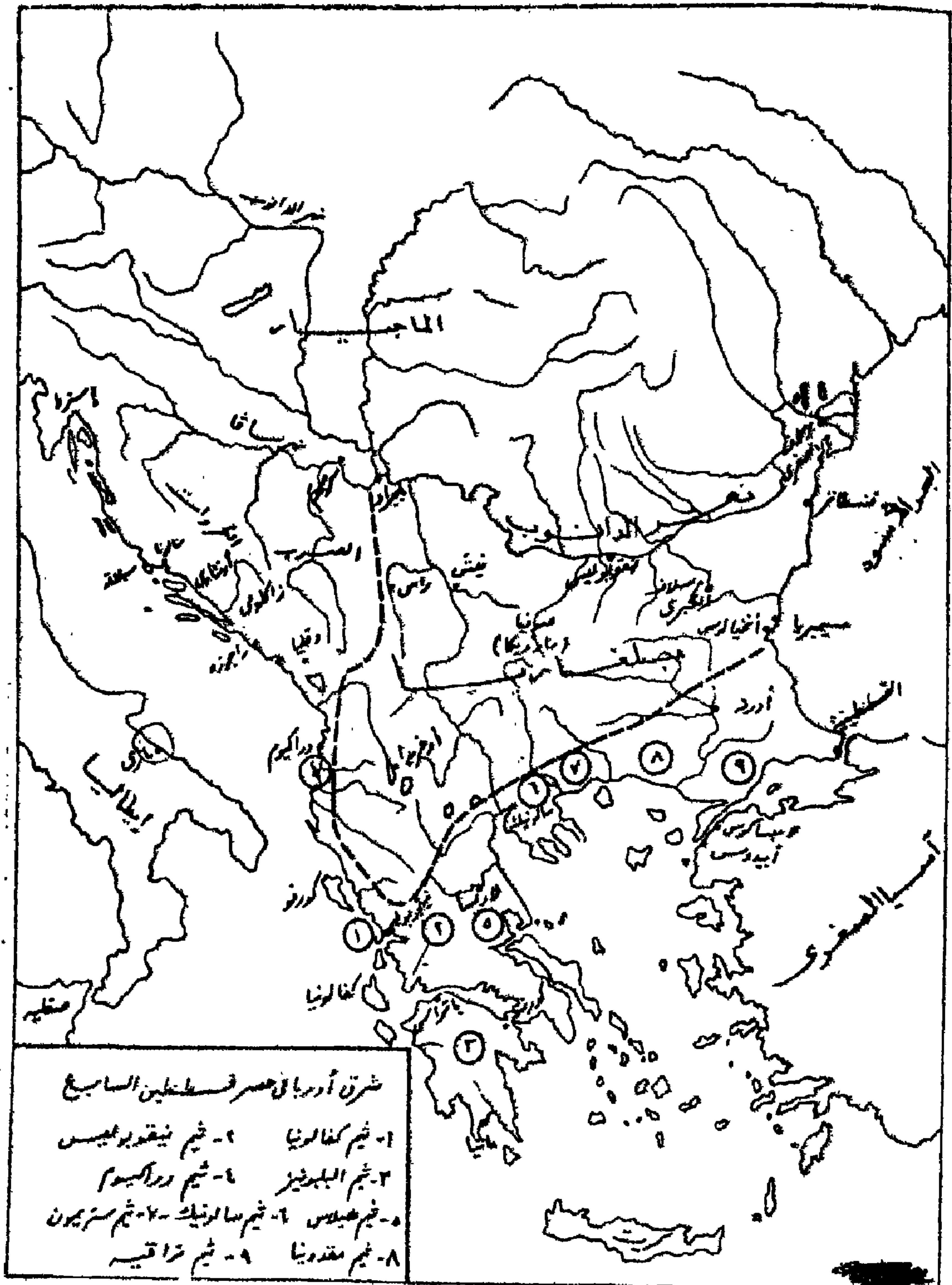
محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الاميراطورية اليزيدية





ثيمات الامبراطورية البيزنطية  
في آسيا الصغرى

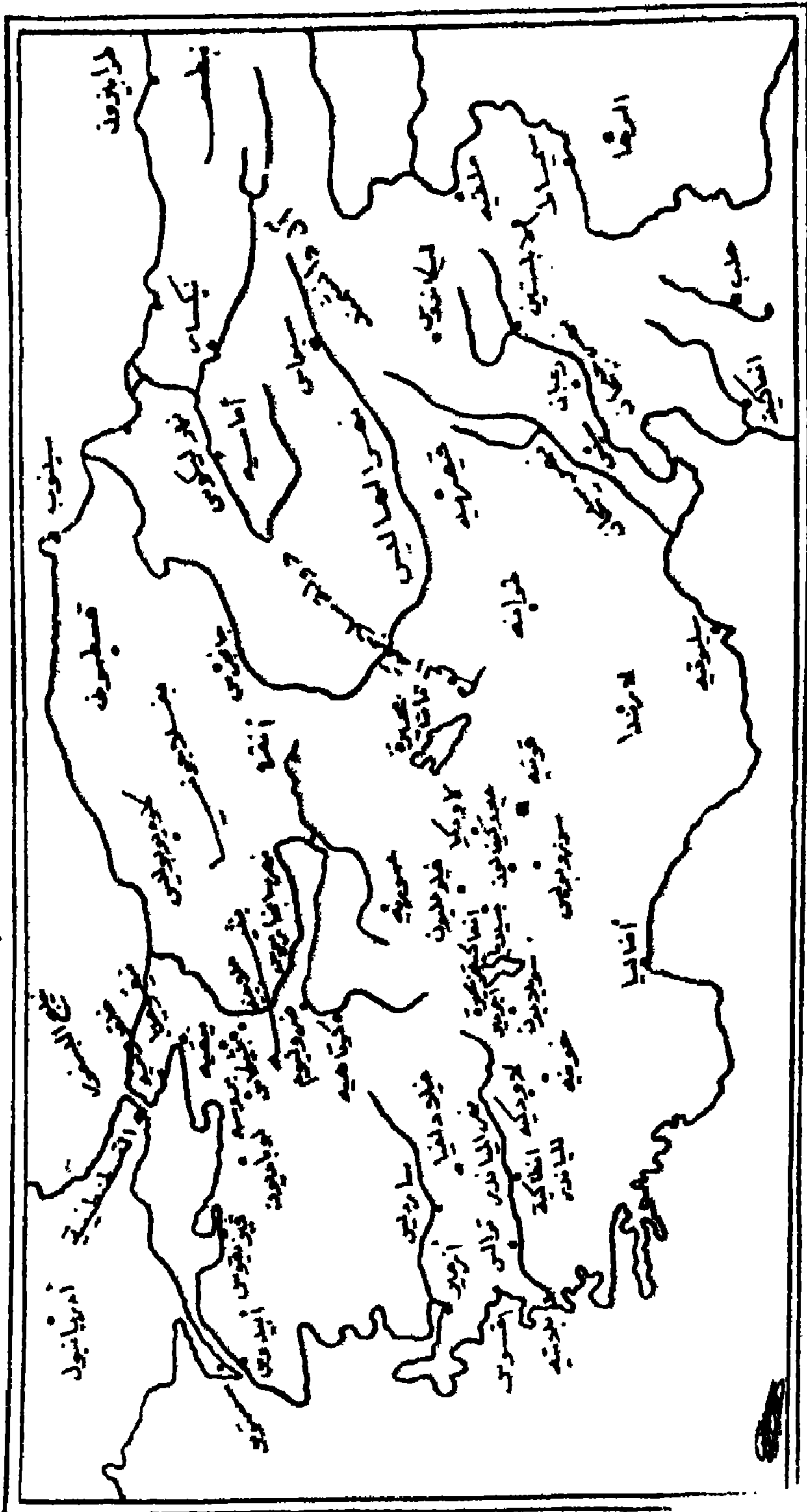
محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية



محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية

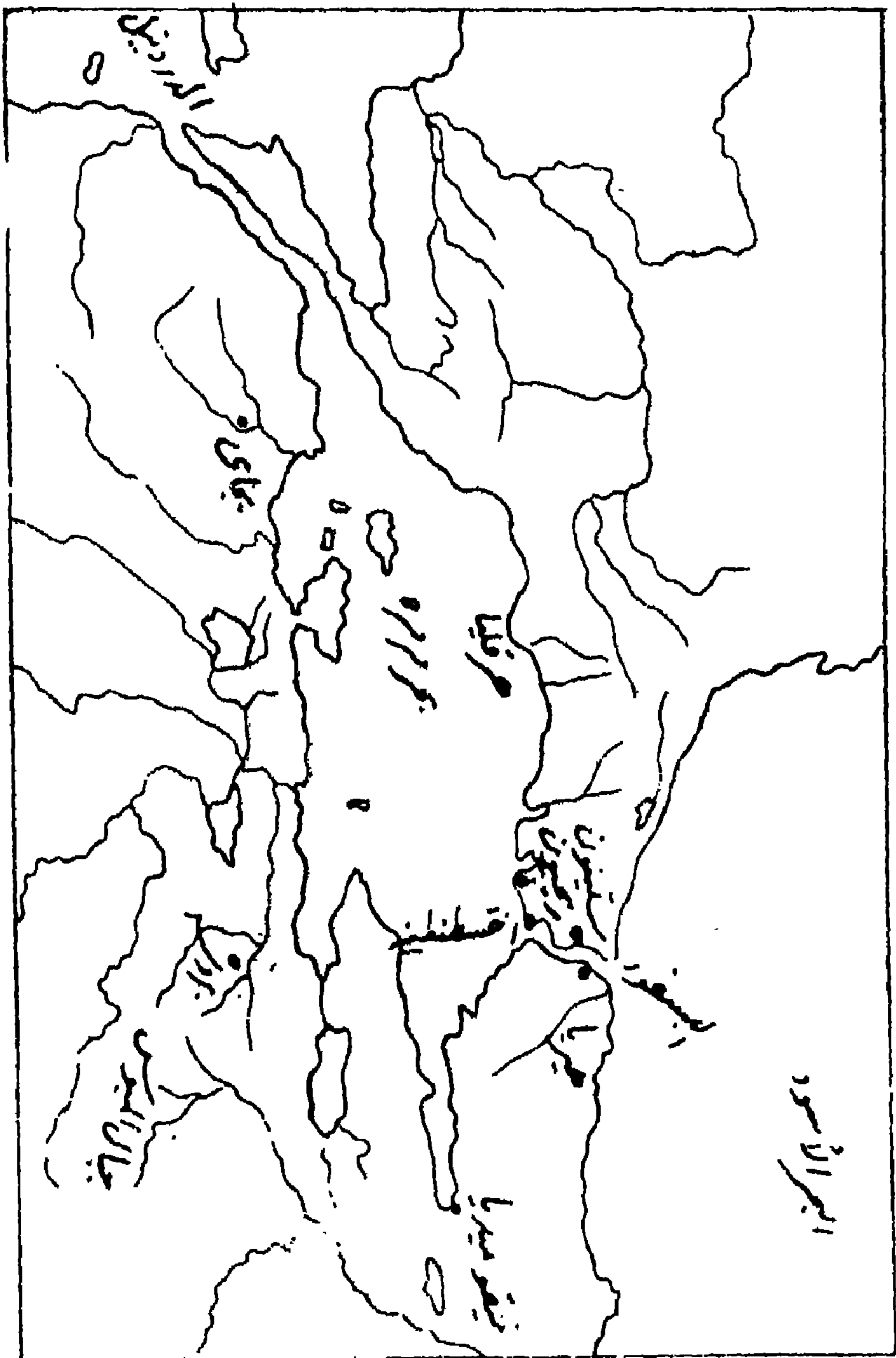






## آسيا الصغرى

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية



منطقه الجبل  
و منظرها الى الاميراطور

محمد سعيد عمران، معالم تاريخ التطويرية البيزنطية

## بيزنطة وإيران في القرن السادس



نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي









## قائمة المختصرات

- A.B.: Analecta Bollandiana.
- A. H.R.: American Historical Review.
- A.O.L.: Archives de L'Orient Latin.
- B.: Byzantion.
- B.B.O.M.: Birmingham Byzantine and Ottoman Monographs.
- B.F.A.A.U.: Bulletin of The Faculty of Arts Alexandria University.
- B.J.R.L.: Bulletin of the John Rylands library.
- B.E.O.: Bulletin des Etudes Orientales.
- B.F.: Byzantinische Forschungen.
- B.Z.: Byzantinische Zeitschrift .
- C.H.A: Collection des Historiens Armeniens.
- E.I.: Eretz. Israel.
- E.W. W.R.: Encyclopedia of World Woman and Religion.
- C.I.G: Corpus Inscriptionum Graecorum.
- C.S.H.B.: Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae.
- C.M.: Classica et Mediaevalia .
- C.M.H.: Cambridge Medieval History.
- D.O.S. : Dumberton Oaks Studies.
- D.O.P: Dumberton Oaks Papers.
- D.T.C.: Dictionnaire de Theologie Catholique.
- E.H.R.: Egyptian Historical Review.
- E.H.R.: English History Review.
- E.Isl: Encyclopedia of Islam.
- E.W.WR.: Encyclopedia of Women and World Religions.
- Ency. Jud. Encyclopedia Judeca.
- E.O.: Echos d'Orient .
- E.R.: Encyclopedia of Religion.
- H.: L'Histoire.
- H.Z.: Historich Zeitschrift.

- J.E.S.H.O.: Journal of Economic and Social History of The Orient .
- I. C.: Islamic Culture.
- I.J.T.S.: International Journal of Turkish Studies.
- J.H.S.: Journal of Hellenic Studies.
- J.J.S. : Journal of Jewish Studies.
- J.O.A.S. : Journal of Oriental and African Studies.
- J.M.I.H.: Journal of Medieval and Islamic History .
- J.R.A.S.: Journal of Royal Asiatic Society.
- H.U.C.A.: Hebrew Union College Annual.
- L.C.L.: The Loyb Classical Library
- O. chr. P.: Orientalia Christiana Periodica.
- O.D.B.: Oxford dictionary of Byzantium .
- P.G.: Patrologia Graeca.
- P.L.: Patrologia Latina.
- P.O.: Patrologia Orientalis.
- P.P.T.S.: Palestine Pilgrims Text Society.
- M.E.R.J.: Middle East Research Journal.
- M.G.H.: Monumenta Germaniae Historica.
- Med.S.: Medieval Studies.
- N.P.N.F.: Nicene and Post Nicene Fathers.
- R.A.: Revue Archaeologique.
- R. Af. : Revue Afrique.
- R.H.: Revue Historique.
- R.H.C.: Recueil des Historiens des Croisades.
- R.O.L.: Revue de L'Orient Latin .
- S. : Speculum.
- S.C.H.: Studies in Church History .
- S.M.: Studi Medievali.
- Z.R.V.I: Zbornik Radova Vizantoloskog Instituta.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً : المصادر اليونانية واللاتينية والأرمينية والسريانية

- Agathias, The Histories Trans . by J.O. Frendo , New York 1975 .
- Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana , in R.H.C., Hist . Occ. T.V , Paris 1879 .
- Albert of Trois Fontaines, Chronicle of Albert of Trois Fontaine, in Andrea and Whalen (eds.) , Contemporary Sources for The Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Ambroise , The Crusade of Richard Heart of Lion , Trans. by Hubert , New York 1948 .
- Anonymous Syriac Chronicle , Trans. by A. S. Tritton and H. Gibb, J.R.A.S., vol . 92 , 1933 .
- Anonymous , The Chronicle of the Third Crusade Atranslation of Itenerarium Peregrianorum et Gesta Regni Recardi , Trans. by Helen Nicholson , London 1997 .
- Anonymous , Devastatio Constantinople , in A.J. Andrea and E.W. Whalen (eds.), Contemporary Sources for The Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Anonymous, The Deeds of Franks and The other Pilgrims to Jerusalem, Trans. by R. Hill, London 1962 .
- Anonymous , The Anonymous of Soissons in Andrea and Whalen (eds.) Conttemporary Sources for the Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Anonymous, The Deeds of Bishops Halberstadt, in A. J. Andrea and B. E., Whalen (eds.), Contemporary Sources for The Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Anna Comnena, The Alexiad , Trans. by E.R.A. Sewter , Penguin Book , London 1979 .
- Baldric of Dol , in Peters (ed.) , The Crusade, The Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials , Philadphia 1971 .

- Bernard of Clairvaux, The Letters of St. Bernard of Clairvaux, Trans . by Bruno Scott James, Institute of Cistercian Studies , Western Michigan University , 1988 .
- Constantine Porphyrogenitus , De Administrando Imperio, Trans . by Jenkins , Washongton 1967 .
- Corpus Juris Civilis , ed . T. Mommsen , p. Kruger, R. Scholl, W. Kroll, 3 vols., Berlin 1945- 1963 .
- Count Hugh of Saint Dol , Report to The West , in A.J Andrea (A.J.), and Brette (E.W.) eds.), Contemporary Sources for The Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Daniel , Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy land, Trans . by Wilson, P.P.T.S., vol . IV , London 1895 .
- Diogenis Akritis, ed. and Trans. by J. Mavrogordate , Oxford 1926 .
- Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottooman Turks, trans. by Magoulas, Detriot 1975 .
- Einhard, Vita Caroli Magni, in Lewis thorpe (ed.) Two lives of Charlamagne by Einhard and Notker the Stammerer , Penguin Book, London 1969 .
- Ernoul, Chronique d'Ernoul et Bernard le Tresorier, ed. Par Mas Laterie, Paris 1971 .
- Evagrius Scholasticus, The Ecclesiastical History, Trans . by Michael Whitby , Liverpool 2000 .
- Eucherius, Description of Jeruslaem, Trans. by A. Stewart , P.P.T.S., vol . III, London 1892 .
- Eusebius, Extraits from Eusebius life of Constantine , Trans. by John Bernard, P.P.T.S., vol . I, London 1896 , The Ecclesiastical History Trans. by Kirsopp Lake, L.C.L., London 1930-1940 .
- Euphrosine , “ Pelerinage en Palestine “, Trans . by De Khitrowo”, R.O.L., T. III, Année 1895 .

- Geoffrey of Vinsauf, Crusade of Richard Coeur de Lion , in Chronicles of The Crusades, London 1908 .
- Guilbert of Nogent , in Petrs (E), (ed.), the First Crusade, The Chronicles of Fulcher of Chartres and other Source materiales, Philadelphia 1971 .
- Gunter of Paris , in Allen (S.T.) and Ant (A.) (eds.), The Crusades, Toronto 2003 .
- Innocent III, The Register of Innocent III , in Andrea (A.J.) and whalen (B.E..) (eds.), Contemporary Sources for the Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Jacques de Vitry, History of Jerusalem, Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., vol IX , London 1896 .
- Jean de Joinville, The life of St. Louis, in Chronicles of The Crusades, Trans. by M.R.B. Shaw , Penguin Book , London 1976 .
- Joannes Phocas , A brief Description of the Holy land, Trans. by A. Stewart , P.P.T.S., vol V , London 1896 .
- John Bishop of Nikou, Chronicle of John Bishop of Nikou , Trans from Ethiopean by Zotenberg , Paris 1883, English Trans . by R.M. Charls London 1916 .
- John Malalas, The Chronicle of John Malalas, Trans. by Elezabeth Jeffrys and Michael Jeffrys, R.Scott, Byzantina Australiensia, Australian Association for Byzantine Studies, University of Sidney 1986 .
- John Moschos, the Spiritual Meadow ( Pratum Spiritual ), Trans. by John Wortley, Kalamazoo, Michigan 1992 .
- John of Wurzburg, Description of the Holy land , Trans. by A. Stewart , P.P.T.S., vol . V London 1896 .
- Julian , Julian letters and Works, trans. by W.C. Wright, 3 vols , London 1913 .

- Kinnamos , Deeds of John and Manuel Comnenus, Trans. by Charles M. Brand, Colombia 1976 .
- Kritovoulos, History of Mehmed The Conqueror , Trans. by C.T. Riggs, Princeton 1954 .
- Life of St. Mary / Marinos , Trans by Nicholas Constat, in Talbot (A.M.) , (ed.), Holy Women in Byzantium , Ten Saints' Lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Matrona of Perge , in Holy Women, Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Mary of Egypt, Trans. by Maria Kouli, in Holy Women, Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Theoktiste of Lesbos, Trans. by Angela C. Hero, in Holy Women, Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Elisabeth The Wonderworker , Trans. by Valerie Karras, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Athanasia of Aegina, Trans. by Lee Francis Sherry, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Theodora of Thessalonike , Trans. by Alice- Mary Talbot, in Holy Women, Dumbarton Oaks , Washington 1996 .
- Life of St. Mary The Younger , Trans. by Angeliki E. Luion in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Theodora of Arta, Trans. by Alice- Mary Talbot, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Thomais of Lesbos, Trans. by Paul Hulsall, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Theodosia of Constantinople , Trans. by Nicholas Constas, in Talbot (A.M.) (ed.), Byzantine , defenders of images , Eight Saints, Lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1989 .
- Life of St. Stephen The Younger , Trans. by Alice - Mary Talbot, in Byz-

- antine defenders , Dumbarton Oaks, Washington 1989 .
- Life of St. Anthousa of Mantineon, Trans. by Alice - Mary Talbot , in Byzantine defenders, Dumbarton Oaks , Washington 1989 .
  - Life of St. Anthousa, daughter of Comnstantine V, Trans. by Nicholas Con-  
stas, in Byzantine defenders, Dumbarton Oaks, Washington  
1989 .
  - Life of the Patriarch Nikephoros I of Constantinople, Trans. by Elizabeth  
A. Fisher, in Byzantine defenders , Dumbarton Oaks , Washing-  
ton 1989 .
  - Life of Sts. David, Symeon, and George of Lesbos , Trans.. by Dorothy  
Abraham and Douglas Domingo- Forasté, in Byzantine de-  
fenders, Dumbarton Oaks, Washington 1998 .
  - Mathieu d'Edesse, Chronique de Mathieu d'Edesse (962-1136) , avec la  
Continuation de Gregoire le Pretre Jusque 1162, ed . M.E. Bul-  
quier , Paris 1858 .
  - Michael le Syrien, Chronique du Michael le Syrien Patriarche Jacobite d'  
Antioche (1166-1199) ed . Par J.B. Chabot , Paris 1899-1905 .
  - Michael Panaretos, Chronicle of the Empire of Trebizond , ed. O lamp-  
sides, Athens 1958 .
  - Nicola Barbaro , Diary of the Siege of Constantinople 1453, Trans . by  
J.R. Jones, New York 1969 .
  - Notker The Stammerer, in Tow Lives of Charlemagne , Trans. by Lewis  
Thrope , Penguin Book , London 1969 .
  - Nicetas Choniates, O'City of Byzantium , Annals of Nicetas Choniates,  
Trans. by Harry Magolias, Wayne State University , Detroit  
1984 .
  - Odo of Deul, De Profectine Ludovici VII in Orientem, ed. by Ginyerich  
Berry , New York 1948 .
  - Oliver of Paderborn , The Capture of Damietta, Trans. by Joseph J. Cav-



- igan, in Peters, (E.) (ed.) *Christian Society and the Crusades 1198-1229* , Sources in Translation including *The Capture of Damietta by Oliver of Paderborn* , Pennsylvania 1971 .
- Otto of Freising , *The deeds of Frederick Barbarossa*, Trans. by Charles Christopher Microw , Toronto 1966 .
  - Otto of St. Blasien, *The Third Crusade 1187-1190* , in Thatcher , *Source Book of Medieval History* , New York 1905 .
  - Philip of Novara, *The Crusade of Frederick II From Philip of Novara* , in Peters (E.) (ed.), *Christian Society and The Crusades 1198-1229* , Sources in translation including the capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 .
  - Photius, *The Homilies of Photius Patriarch of Constantinople* , Trans. by Cyril Mango, D.O.S., 3, Harvard 1958 .
  - Pierre des vaux de Cernay , *The Historia Albigensis*, in Peters (ed.) *Heresy and Authority in Medieval Europe*, Pennsylvania 1980 .
  - Procopius of Caesarea, *The Buildings* , Trans. by H.B. Deaving and G. Downey , London 1940 , *Secret History* , Trans . by Richard Atwater , Michigan 1961 , *The Wandalic War* , Trans. by Dewing, Cambridge 1968 , and also in, Evans, *Procopius*, New York 1972 .
  - Psellus , *Fourteen Byzantine Rulers* , *The Chronographia of Michael Psellus*, Trans. by Sewter , Penguin Book , London 1966 , also , Ashour (S.) and Rabie (H.) , (eds.) , *Fifty documents in Medieval History Cairo* 1971 .
  - Rainier Sacconi , in *Medieval Europe*, Pennsylvania 1980 .
  - Ralf of Caggeshall, *Chronicle of Ralf of Coggeshall*, in Alfred J. Andrea and Brette F. Whalen , *Contemporary Sources for the Forth Crusade*, Leiden 2000 .
  - Ramond d' Aguiliers, *Historia Francorum* , Trans. by John Hill and Lau-

rita Hill, Philadelphia 1948 .

- Robert of Clari, The Conquest of Constantinople, Trans. by E.H. Me Neal, New York 1936 .
- Robert the Monk, in Peters (E.) (ed.), The First Crusade, The Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials, Philadelphia 1971 .
- Roger of Wendover, The Chronicle of Roger of Wendover , in Peters (E.) (ed.), Christian Society and the Crusades 1198- 1229 , Sources in Translation including the Capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 .
- Silvia of Aquitana, Pilgrimage to the Holy Places, Trans. by , P.P.T.S., vol . I, London .
- Tacitus, Tacitus on Britain and Germany , Trans. by H. Mattingly , The Penguin Book, London 1954 .
- The Chronicle of Solomon Bar Simson , in Eidelberg (ed.), The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of The First and Second Crusaders, Wisconson 1977 .
- Theophanes, The Chronicle of Theophanes , An English Translation of anni mundi (6095-6305 A.D. 602-813), with introduction and notes by Harry Turtledove , Pennsylvania 1982 .
- The Narrative of the Old Persecution or Mainz Anonymous, in Edilberg, The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of the First and Second Crusades , Wisconson 1977 .
- The Song of Roland Trans. by Sayer, Penguin Book, London 1977 .
- Villeharduin , The Conquest of Constantinople , in Chronicles of The Crusades, Trans. by M. R. B. Shaw , Penguin Book, London 1963 .
- William of Poitiers, Deeds of Duke William , in Houts, (ed.) The Normans in Europe, Manchester 2000 .
- William of Tyre, A History of Deeds done beyond the Sea Trans. by Bab-

## ثانياً المصادر العربية :

القرآن الكريم .

- ابن الأثير : ( عز الدين محمد ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ) التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليمات ، ط. القاهرة ١٩٦٣ م ، الكامل فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٦٦ م ، ط. القاهرة ١٩٩٩ م .
- ابن أبيك الدوادارى : (أبو بكر عبدالله ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) الدرر الزكية فى الدولة التركية، تحقيق أولرخ هارمان، ط. القاهرة ١٩٧١ م ، الدرر المطلوب فى أخبار بنى أيوب تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة ١٩٧٢ م.
- ابن بطوطة : (محمد بن عبدالله ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ط. بيروت ب-ت .
- ابن تغرى بردى : (جمال الدين يوسف ت ٨٧١ هـ / ١٤٦٩ م) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ط. القاهرة ١٩٦٣ م.
- ابن جبير : (محمد بن أحمد ت ٦١٤ أو ٦١٦ هـ) الرحلة المسماة تذكرة بالأخبار فى اتفاقيات الأسفار ، ط. بيروت ١٩٨٤ م .
- ابن الجوزى : (أبو الفرج عبد الرحمن ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، ج ٩ ، ط. حيدر أباد الدكن ١٣٥٩ هـ .
- ابن الفرات : (ناصر الدين محمد ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) تاريخ الدول والملوك م (٥) ، ج (١) ، تحقيق حسن محمد الشماخ ، ط. البصرة ب-ت .
- ابن حماد : (أبو عبدالله محمد ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م) أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامى نقرة وعبد الحليم عويس ط. القاهرة ١٤٠١ هـ .
- ابن حوقل : (أبو القاسم ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) صورة الأرض ، تحقيق دى جويه ، ط. بيروت ١٩٦٧ م ، ط. بيروت ١٩٩٢ م.
- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبدالله ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) المسالك والممالك ط. القاهرة ب-ت .
- ابن خلدون : (عبدالله بن خلدون ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ط.

بيروت ب-ت ، المقدمة تصحيح وفهرسة ، أبو عبدالله السعيد المندوه ، ط.  
بيروت ٢٠٠٥م.

- ابن خياط : (أبو عمر خليفه بن خياط ت ٢٤٠هـ / ٨٥٠م) تاريخ خليفة بن خياط،  
تحقيق مصطفى نجيب نوار وحكمت نوار، ط. بيروت ١٩٩٥م.

- ابن رسته : (أبو علي أحمد ت ق ٤هـ / ١٠م) الأعلام النفيسة ، ط. لندن ١٨٩٢م.

- ابن الساعي : تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب ج ٤ / ق ٢ ، تحقيق مصطفى  
جواد ط. بغداد ١٩٦٧م.

- ابن شاهين : (غرس الدين خليل ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق  
والمسالك ، تحقيق بول رافيس ، ط. باريس ١٧٩٧م.

- ابن سعد : (ت ٢٣٠هـ / ١٨٤٥م) الطبقات الكبرى، ط. بيروت ١٩٥٨م.

- ابن شداد : (القاضي بهاء الدين ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) النوادر السلطانية والمحاسن  
اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط. القاهرة ١٩٦٤م.

- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبدالله ت ٢٥٧هـ / ٨٧١م) ، فتوح مصر والمغرب،  
تحقيق عبد المنعم عامر ط. القاهرة ١٩٩٩م.

- ابن العبري : (غريغوريوس ت ٦٨٥هـ / ١٢٥٦م) تاريخ مختصر الدول ، ط. بيروت  
١٩٥٨م ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

- ابن العديم : (كمال الدين أبو القاسم ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م) زبدة الحلب من تاريخ  
حلب، تحقيق سامي الدهان ، ج ١ ، ط. دمشق ١٩٥١م ، بغية الطلب في تاريخ  
حلب - القسم الخاص بتراجم السلاجقة ، تحقيق علي سويم - الجمعية  
التاريخية التركية ، ط . أنقرة ١٩٧٦م، الدار في ذكر الدار ، تحقيق  
علاء عبد الوهاب ، ط. القاهرة ١٩٨٤م.

- ابن عذاري : (ت بعد ٧١٢هـ / ١٣١٢م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب  
تحقيق ج .س كولاند وليثي بروثنسال . ط. بيروت ٩٤٨م . ط. بيروت  
١٩٩٨م.

- ابن عريشاه : (أبو العباس شهاب الدين ، عجائب المقدر في نواب تيمور، ط. بيروت  
١٩٨٦م .

- ابن عساكر : (أبو القاسم على ت ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) ، ترجمة محمود بن زنكى تحقيق نيكيتا اليسيف مجلة الدراسات الشرقية . B.E.O., XXV Année 1972
- ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ط. القاهرة ١٩٥١ م.
- ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن عباس ت ٤ هـ / ١٠ م) رسالة ابن فضلان، تحقيق سامى الدهان ط. بيروت ١٩٨٧ م.
- ابن الفقيه : (أبو بكر أحمد بن على ت ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م) كتاب البلدان ، تحقيق يوسف الهادى ، ط. بيروت ١٩٩٦ م.
- ابن الفوطى : (كمال الدين أبو افضل ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابقة، تحقيق مصطفى جواد ط. بغداد ١٣٥١ هـ.
- ابن القلاسى (أبو يعلى حمزه ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز، ط. بيروت ١٩٠٨ م
- ابن كثير : (الحافظ عماد الدين اسماعيل ت ٧٤٤ هـ / ١٣٧٣ م)، البداية والنهاية ، ط. القاهرة ب-ت . الاجتهاد فى طلب الجهاد ، ط . القاهرة ١٣٤٧ هـ .
- ابن منكلى : ( محمد بن منكلى ت ٧٧٥ هـ / ١٣٧٦ م) الأحكام الملوكية والضوابط النموسية فى فن القتال فى البحر، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس ، تحقيق عبد العزيز عبد الدايم، عام ١٩٧٤ م.
- ابن ميسر (محمد بن على بن يوسف ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) منتخبات من تاريخ مصر R.H.C., Hilt. Or., T.III
- ابن نباته : (أبو يحيى عبد الرحيم ت ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م) ، ديوان ابن نباته ، ط. بيروت ١٣١١ هـ.
- ابن نظيف الحموى : (أبو الفضائل محمد ت ٧ هـ / ١٣ م) التاريخ المنصرى- تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان ، تحقيق أبو العيد دودو ، ط. دمشق ١٩٨٣ م.
- ابن واصل : (جمال الدين محمد ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ج ١ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط. القاهرة ١٩٥٣ م.

- ابن وردان (القرن ١٠ هـ / ١٦ م) تاريخ الأنغالبية ، تحقيق محمد زينهم ، ط. القاهرة ١٩٨٨م.
- ابن الوردى : (أبو حفص زين الدين ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) تنمة المختصر فى أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردى . ط. النجف ١٩٦٩م.
- أبو الفداء : (إسماعيل بن على ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) تقويم البلدان ، تحقيق رينو ودى سلان ط. باريس ١٨٤٠م، المختصر فى أخبار البشر ، ط. بيروت ١٩٦٠م.
- أبو تمام : (ديوان أبو تمام ط. بيروت ب-ت .
- أبو شامة : (شهاب الدين أبو محمد ت ٦٥٥ هـ / ١٢٦٧ م) الذيل على الروضتين ، ط . القاهرة ١٣٦٦ هـ.
- أسامة بن منقذ : (مؤيد الدولة أبو المظفر ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ط. بيروت ١٩٨١م.
- إسحق بن الحسين : ( ق ٤ هـ / ١٠ م) آكام المرجان المشهورة فى كل مكان، باعتناء فهمى سعد ، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- الإدريسى : (الشرف الإدريسى ت ق ٦ هـ / ١٢ م) ، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ط. بيروت ١٩٨٩م.
- بيبرس الدوادارى : (ركن الدين بيبرس ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٦ م) ، زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- البلاذرى : (أبو أحمد بن يحيى ت ٧٧ هـ / ٨٩٢ م) فتوح البلدان ، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- الحسينى (صدر الدين على بن ناصر القرن ٦ هـ / ١٢ م) ، أخبار الدولة السلجوقية ، تحقيق عباس إقبال ، ط. بيروت ١٩٨٤م.
- الحميرى : (محمد بن عبد المنعم ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م) الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٧٥م.س
- الدمشقى : (شمس الدين بن أبى عبدالله ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م) نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، تحقيق مهن ط. لبيج ١٩٢٣م.
- الذهبى : ( الحافظ الذهبى ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) العبر فى خبر من غبر ، تحقيق

- أبو هاجر محمد السعيد ، ط. بيروت ١٩٨٥ م ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط. بيروت ١٩٩٣ م.
- الطبري : (أبو جعفر بن جرير ت ٣١٠ هـ / م) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. القاهرة ١٩٩٦ م.
- العدوى : (القاضي العدوى ت ٣٢٠ هـ / ١٦٢٢ م) الزيارات ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط. دمشق ١٩٥٦ م.
- عطا ملك الجويني : (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م) تاريخ جهانكشاي ت. محمد السعيد جمال الدين ، ضمن كتاب دولة الاسماعيلية في إيران ، ط. القاهرة ١٩٧٥ م.
- عماد الدين الأصفهاني : (القاضي عماد الدين ت بعد عام ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م) البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان، تحقيق كلود كاهن ، مجلة الدراسات الشرقية B.E.O., T. VII-VIII Années 1937-1938 .
- العماد الأصفهاني (الكاتب) : (ت بعد عام ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م) الفتح القسي في الفتح القدسي ط. القاهرة ب-ت .
- الفتح البنداري : (الفتح بن علي بن محمد ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) منا البرق الشامي ، تحقيق فتحية النبراوي ، ط. القاهرة ١٩٧٩ م ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ط. بيروت ، ط. القاهرة ١٩٠٠ م.
- القرمانى : (أحمد بن يوسف ت ١٠٠٩ هـ / ١٦١٠ م أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ج ١ ، ط. بيروت ١٩٩٢ م.
- القزويني : (زكريا بن محمد ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) آثار البلاد وأخبار العباد ، ط. بيروت ٩٩٨ م.
- القلقشندي : (أبو العباسي ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ط. القاهرة ١٩٣٠-١٩٣٣ م .
- الكندي : ولاية مصر ط. بيروت ١٩٥٩ م .
- المتنبي : أبو الطيب ت ق ٤ هـ / ١٠ م) ديوان المتنبي، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، ط. بيروت ١٩٨٠ م.



- مجهول : (رحالة مراكشى معاصر للقرن ٦م / ١٢م) الاستبصار فى عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمراتها رحمهم الله والحروب الواقعة فيما بينهم، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، ط. بيروت ١٩٨٩م.
- المسعودى : (أبو الحسن على ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) التنبيه والإشراف ، ط. بيروت ١٩٦٨م)، أخبار الزمان ومن أبياده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء العمران ، ط. بيروت ١٩٩٦م.
- مسكويه : (أبو على أحمد ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) تجارب الأمم، ، ط. القاهرة ب-ت .
- المقدسى : (شمس الدين أبو عبدالله ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ط. بيروت ب-ت .
- مغلطاي : (علاء الدين مغلطاي ت ٧٦٢هـ / ١٣٦٣م) مختصر تاريخ الخلفاء ، تحقيق آسيا كليبيان على البارح ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- المقرئى : تقى الدين أحمد ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) اتعاظ الخنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، ج ٢ ، تحقيق محمد حلمى أحمد ، ط. القاهرة ، ب-ت ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق جمال الدين الشبال ومحمد مصطفى زيادة، ط. القاهرة ١٩٤٠م، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٤ ، تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة .
- ناصر خسرو : (ناصر خسرو علوى ق ٥هـ / ١١م) سفرنامه ت. يحيى الخشاب ، ط. بيروت ١٩٨٣م .
- اليافعى : (أبو محمد عبدالله ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج ٣ ، ط. حيدر أباد الدكن ١٣٤٨م.
- ياقوت الحموى: شهاب الدين ت ٨٧٦هـ / ١٢٢٨م) معجم البلدان ، ط. بيروت ب-ت ، ط. بيروت ١٩٩٧م، المشترك وضعًا والمفترق حقًا ، تحقيق وستنفيلد ، ط. بيروت ١٩٨٦م.
- اليزيدى : (محمد بن أحمد ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) العراضة فى الحكاية السلجوقية ت. عبد النعيم حسنين ، ط. بغداد ١٩٧٩م.

### ثالثًا : المصادر المعربة :

- أنا كومينا : ( ق ١٢ م / ٦ هـ ) الكسياد ت. حسن حبشى ، المشروع القومى للترجمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٥ م.
- بطرس توديبيد ( ت ق ١٢ م / ٦ هـ ) تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ت . حسين عطيه ، ط. الاسكندرية ١٩٩٨ م.
- بروكويوس : ( ٦ م ) التاريخ السرى ت. صبرى أبو الخير ، ط. القاهرة ٢٠٠١ م ( ت ق ١٢ م / ٦ هـ ) ، عزرا حداد ، ط. بغداد ١٩٤٥ م ودراسة وتقديم عبد الرحمن عبدالله الشيخ ، المجتمع الثقافى أبوظبى ٢٠٠٢ م.
- بنيامين التطيلي ( ت ق ١٢ م / ٦ هـ ) الرحلة ، ت. عزرا حداد ط. بغداد ١٩٤٥ م، ودراسة وتقديم عبد الرحمن عبدالله الشيخ ، ودراسة المجتمع الثقافى أبوظبى، ٢٠٠٢ م.
- ثيودريش : ( ق ١٢ م / ٦ هـ ) وصف الأماكن المقدسة فى فلسطين للرحالة الألمانى ثيودريش، القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى ، ت . سعيد عبدالله البيشاوى ورياض شاهين ، ط. عمان ٢٠٠٣ م.
- دانيال الروسى : ( ت ق ١٢ م / ٦ هـ ) رحلة الحاج الروسى دانيال الراهب ، ت. سعيد عبدالله البيشاوى ط. عمان ١٩٩٢ م .
- روبرت كلارى : ( ت ق ١٣ م / ٧ هـ ) فتح القسطنطينية ، ت. حسن حبشى ، ط. القاهرة ١٩٦٤ م.
- فوشيه الشارتري : ( ت ق ١٢ م / ٦ هـ ) تاريخ الحملة إلى القدس ، ت. زياد العسلى ، ط. عمان ١٩٩٥ م.
- قلهاردوين : ( ت ق ١٣ م / ٧ هـ ) من مذكرات قلهاردوين فتح القسطنطينية ، ت. حسن حبشى ، ط. جدة ١٤٠٣ هـ.
- قسطنطين السابع هورفيروجنيتس : إدارة الامبراطورية البيزنطية ت. محمد سعيد عمران، ط. بيروت ١٩٨٠ م.
- مجهول : ( ت بعد عام ١٠٩٩ م / ٤٩٢ هـ ) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ت. حسن حبشى ، ط. القاهرة ١٩٧٠ م.

- مجهول : (مؤرخ سرياني مجهول الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية ، ضمن كتاب الحروب الصليبية ، ت. سهيل زكار ، ط. دمشق ١٩٨٤م.
- مجهول : قصة حملة الأمير إيغور خميس حرج ، ط. موسكو ١٩٨٩م
- مجهول: ( ق ٤هـ / ١٠م) حدود العالم من الشرق إلى الغرب ت. عن الفارسية، وتحقيق يوسف الهادي، ط. القاهرة ٢٠٠٢م .
- نيقولا باربارو : (القرن ١٥ م ٩هـ) الفتح الاسلامي للقسطنطينية ، يوميات الحصار العثماني ١٤٥٣م ت. حاتم الطحاوي ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.
- يوحنا النقيوسي : (عاصر القرن ٧م / ١هـ) تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي ، ت. عمر صابر عبد الجليل ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- يوساب القيساري : تاريخ الكنيسة ، ت. مرقص داود ، ط. القاهرة ١٩٧٩م .

## رابعاً : المراجع العربية والمعرية :

- إبرار كريم الله : من هم التتار ؟ ت. رشيدة رحيم الصبروتى، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- إبراهيم أبو جابر (د.) القدس ومستقبلها فى القرن الحادى والعشرين، دراسات (٢٤) ، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان ٢٠٠٢م.
- ابراهيم العدوى (د.) «إفريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى»، المجلة التاريخية المصرية م (٣) ، العدد (٢) عام ١٩٥٠م، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ط. القاهرة ١٩٥١م، الدولة الأموية والبيزنطيون ط. القاهرة ١٩٥٣م. «قوانين الإصلاح الزراعى فى الامبراطورية البيزنطية»، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، العددان (٣) ، (٤) يونيو ١٩٧٣م.
- إبراهيم أيوب (د.) التاريخ الفاطمى السياسى ، ط. بيروت ١٩٩٧م.
- إبراهيم بيضون (د.) الدولة العربية فى أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢- / ٧١١- ١٠٣١م، ط. بيروت ١٩٨٦م ، «حملة مؤته مقارنة للمشروع السياسى الأول للدولة الإسلامية فى بلاد الشام»، ضمن كتاب تاريخ بلاد الشام إشكالية الموقع الدور فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٩٧م.
- إبراهيم خميس (د.) «الأوبئة والأمراض التى تفشت بين الصليبيين فى الشرق الأدنى الإسلامى وأثرها ١٠٩٨- ١٢٩١م» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى ، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- ابراهيم خورى : الشريف الإدريسى نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مركز زايد للتراث والتاريخ ط. أبوظبى ٢٠٠٠م.
- ابراهيم سعيد فهم (د.) «جى دو لوزينيان وصلاح الدين الأيوبي بين الحرب والسلام» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- إبراهيم طرخان (د.) الحركة اللا أيقونية فى الدولة البيزنطية ، ط. القاهرة ١٩٥٦م.

- تاكيثوس والشعوب والجرمانية ط. القاهرة ١٩٥٩ م، المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٦ م.
- ابراهيم عبد الفتاح المتناوى (د.) فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية ، ط. طنطا ٢٠٠٢ م.
- إحسان عباس (د.) جنون «الخطر الأخضر» وحملة تشويه الإسلام، ط. القاهرة ٢٠٠٤ م.
- إحسان عباس (د.) العرب في صقلية ، ط. القاهرة ١٩٥٩ م.
- أحمد إبراهيم الشريف (د.) دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة ط. القاهرة ١٩٦٨ م.
- أحمد إسماعيل عى (د.) تاريخ بلاد الشام في العصر العباسى ١٣٢ - ٤٦٣ هـ / ٧٤٩ - ١٠٧٠ م دراسة اجتماعية ، ط. دمشق ١٩٨٣ م ، أحمد الببلى (د.) حياة صلاح الدين الأيوبي ط. القاهرة ١٩٤٦ م.
- أحمد الحوفى (د.) الطبرى ، ط. القاهرة ٢٠٠٤ م.
- أحمد الخشاب (د.) التفكير الاجتماعى ، ط. بيروت ١٩٨١ م.
- أحمد جودت (باشا) تاريخ جودت ت. عبد القادر الدنا، تحقيق عبد اللطيف الحميد، ط. بيروت ١٩٩٩ م.
- أحمد حطيط (د.) حروب المغول ، ط. بيروت ١٩٩٤ م.
- أحمد رضا : خيبة السياسة الغربية في الشرق ت. بورقييه والصادق ، ط. تونس ١٩٧٧ م.
- أحمد رمضان (د.) شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٧٨ م ، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى - الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ب-ت .
- أحمد زكى : أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح ، ط. الرياض ١٩٩٥ م.
- أحمد سوسه : الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية، ط. تونس ١٩٧٤ م.
- أحمد عامر (د.) «اليهود وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية حتى النصف الأول من القرن العاشر الميلادى ، التاريخ والمستقبل يناير ٢٠٠٣ م.

أحمد عبد الرازق (د.) تاريخ مصر الإسلامية وآثارها من الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى ، ط. القاهرة ١٩٩٣م.

- أحمد عبد الرحيم مصطفى (د.) أصول التاريخ العثمانى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.  
- أحمد عبد الكريم سليمان (د.) «رسالة من البطريك نيقولا مستيكوس إلى الخليفة العباسى» ، المجلة التاريخية المصرية، م (٢٨) ، (٢٩) ، عام ١٩٨١م - ١٩٨٢م.

- أحمد عبدالله أحمد : التجارة فى الساحل الشامى فى القرنين ١٢ ، ١٣م رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م (تحت إشرافى بالاشتراك مع أ.د. أحمد رمضان).

- أحمد عثمان (د.) تاريخ اليهود، ج ٣ ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.  
- أحمد على عجيبة (د.) الرهبانية المسيحية وموقف الاسلام منها ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.  
- أحمد عودات (د.) وجميل بيضون (د.) وشهادته الناطور (د.) تاريخ المغول والمماليك من القرن السابع الهجرى حتى القرن الثالث عشر الهجرى ، ط. إربد ١٩٩٠م.  
- أحمد فؤاد سيد (د.) تاريخ الدعوة الإسلامية فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين - بلاغ الدعوة ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، الحكم الإسلامى لفلسطين فى ظل دولة الخلافة الإسلامية ١٥هـ - ٤٩٢هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بنى أيوب ٥٦٧هـ - ٦٤٨هـ ط. القاهرة ٢٠٠٢م.

- أحمد فؤاد متولى (د.) تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبى، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.

- أحمد كامل محمود : الحاكم بأمر الله وعصره رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.

- أحمد كمال الدين حلمى (د.) السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ط. الكويت ١٩٨٦م.  
- أحمد محمد عدوان (د.) موجز تاريخ دويلات المشرق الإسلامى ، ط. الرياض ١٩٩٨م.  
- أحمد مختار العبادى (د.) فى التاريخ العباسى والفاطمى ، ط. بيروت ب-ت ، فى

- التاريخ العباسي والأندلسي، ط. بيروت ب-ت، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط. الاسكندرية ب-ت. قيام دولة الماليك الأولى في مصر والشام. ط. بيروت ١٩٨٦م.
- أحمد وصفي زكريا : جولة أثرية في بعض البلاد الشامية وصف طبغرافي تاريخي أثرى عمراني للبقاع والبلدان الممتدة من شمالي الاسكندرية إلى أبواب دمشق، ط. دمشق ١٩٨٤م.
- أدهم الدم ودانيال غوفمان وروس ماسترز : المدينة العثمانية بين الشرق والغرب حلب، أزمير - اسطنبول ت- زلي ذبيان، ط. الرياض ٢٠٠٤م.
- إدوارد جيبون : إضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، ج ١، ت. محمد علي أبوريدة، ط. القاهرة ١٩٩٧م.
- أرثر كريستنس : إيران في عهد الساسانيين ت- يحيى الخشاب، مراجعة عبد الوهاب عزام، ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- أرثر هيرمان : فكرة الإضمحلال في التاريخ الغربي، ت. طلعت الشايب تقديم رمضان بسطاويسي المشروع القومي للترجمة، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م) ت. محمد أحمد عيسى، ط. القاهرة ١٩٦٠م.
- أرشيد يوسف (د.) : سلاجقة الشام من ٤٣٥ - ٥٧٠ هـ، ط. الرياض ١٩٨٨م.
- إرنست باركر : الحروب الصليبية ت. السيد الباز العريش، ط. القاهرة ٩٦٠م.
- أرنولد تويتبي، الفكر التاريخي عند الاغريق، ت. لمعي المطيعي، ط. القاهرة ١٩٩٠م.
- أسامة زكي زيد (د.) صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، ط. الاسكندرية ١٩٨١م.
- اسبوزيتو : التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة ؟ ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ٢٠٠٦م.
- اسحق عبيد (د.) : روما وبيزنطة من قطيعه فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين، ط. القاهرة ١٩٧٠م، الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية



- ط. القاهرة ١٩٧٢م ، الفرسان والأقنان فى مجتمع الاقطاع ط. بنى غازى  
 ١٩٧٥م، الدولة البيزنطية فى عصر آل باليولوغوس ١٢٦٦١-١٢٨٢م . ط.  
 بيروت ب-ت ، «الذات والموضوع فى كتابات مؤرخى العصور الوسطى قراءة  
 فى يوساييوس وبروكوبيوس» ، ضمن كتاب الدراسات التاريخية للحلقة  
 النقاشية (السمنار) - جامعة الكويت، ط. الكويت ١٩٩٥م ، «جان دارك رؤية  
 من خلال الوثائق» الموسم الثقافى للجمعية التاريخية المصرية ، ط. القاهرة  
 ١٩٧٨م. من الارك إلى جستنيان ط. القاهرة ١٩٧٧م. «شمس العرب تسطع  
 على أرض النيل» ، ضمن كتاب أثر الإسلام فى مصر وأثر مصر فى الحضارة  
 العربية الاسلامية، ط . القاهرة ١٩٩٩م. محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها،  
 ط . القاهرة ١٩٧٨م.
- أسد رستم (د.) الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ،  
 جزآن ، ط. بيروت ١٩٢٥-١٩٥٠م ، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ج ٢،  
 ط. بيروت ١٩٨٨م.
- إسرائيل شاحاك : التاريخ اليهودى ، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة ، ت.  
 صالح على سوداح ، ط. بيروت ١٩٩٠م.
- إسرائيل ولقنسون (د.) : موسى بن ميمون حياته ومصنفاته ، ط. القاهرة ١٩٩٣م.
- إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية ، تقديم ومراجعة حسن الزين، ط. بيروت  
 ١٩٨٨م.
- إسماعيل نورى الربيعى (د.) تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ط. عمان ٢٠٠٢م.
- إسماعيل ياغى (د.) العالم العربى فى التاريخ الحديث ط. الرياض ١٩٩٧م ، الدولة  
 العثمانية فى التاريخ الإسلامى الحديث ، ط. الرياض ١٩٩٨م.، تاريخ أوروبا  
 المعاصر ، ط. الرياض ٢٠٠٣م .
- أسمت غنيم (د.) امبراطورية جستنيان ، ط. جدة ١٩٩٧م. ، «معركة مانتزكرت فى  
 ضوء وثائق بسللوس» كلية الآداب، جامعة الاسكندرية عدد عام ١٩٨١م،  
 الإمبراطورية البيزنطية وكرت الإسلامية ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م، تاريخ  
 الامبراطورية البيزنطية ، ط . الاسكندرية ١٩٨٧م .

- اكمل الدين حسان أوغلي (محرر) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ت. صالح سعداوى ط. استانبول ١٩٩٩م.
- ألفوريد بتلر : فتح العرب لمصر ، ت. محمد فريد أبوحديد ، سلسلة تاريخ المصريين ، ط. القاهرة ١٩٨٩م.
- ألفونس ماريا شنيدر : « قبور الصحابة في القسطنطينية » ، ضمن كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين ، ج ١ ، ت. صلاح الدين المنجد ، ط. القاهرة ١٩٩٠م.
- اليكسى جورافسكى : الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم ت. خلف محمد الجراد ، ط. دمشق ٢٠٠٠م.
- أميرة مصطفى أمين يوسف (د.) « كونرادين وعرش الصقليتين » المؤرخ المصرى، العدد (٢) يناير ٢٠٠٢م.
- أمين معلوف : الحروب الصليبية كما رآها العرب ت. عفيف دمشقية ، ط. بيروت ١٩٨٩م، ط. بيروت ١٩٩٣م.
- آمال حامد غانم زيان : الإمبراطور الكسيوس كومنين والحملة الصليبية الأولى في ضوء كتاب الكسياد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ٢٠٠٠م.
- أمل أحمد حامد : مجمع ليون الثانى ١٢٧٠م دراسة في مشروع الوحدة بين كنيسة القسطنطينية وروما في القرن الثالث عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة المنصورة عام ١٩٩٧م.
- أمل سعيد الجابرى : محمد الفاتح وفتح القسطنطينية ، ط. الشارقة ٢٠٠٠م.
- أنور محمد الزناتى : زيارة جديدة للاستشراق ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- الأمين أبوسعده (د.) « بيزنطة في الملاحم العربية قراءة في سيرة الأميرة ذات الهمة » ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، تحرير حاتم الطحاوى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- أنور عبد العليم (د.) : الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت ١٩٧٩م.

- أنيس فريجه (د.) : أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها ، الجامعة الامريكية  
بيروت ، ط. بيروت ١٩٥٦م.
- أيمن فؤاد سيد (د.) الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- إيناس أحمد السيد عياس (د.) صراع القوى في البحر المتوسط بين البيزنطيين والعرب  
في الفترة من ٢٥ - ٢٣٢ هـ / ٦٤٥ - ٨٤٦م رسالة دكتوراه غير منشورة ،  
معهد دراسات البحر المتوسط ، جامعة الاسكندرية عام ٢٠٠٥م ، الترك في  
آسيا الوسطى ، ت. أحمد السعيد سليمان ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- بارو : الرومان ، ت. عبد الرازق يسرى ، ط. القاهرة ١٩٦٨م .
- برنار لازار : مناهضة السامية تاريخها وأسبابها ، ت. ماري شهرستاني ، ط. دمشق  
٢٠٠٤م .
- برنارد كلى : فتح القسطنطينية ، ت. شكرى محمود نديم ، ط. بغداد ١٩٦٢م .
- برنارد لويس : استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، ت. سيد رضوان على ، ط.  
القاهرة ١٩٨٢م. اكتشاف المسلمين لأوربا ت. ماهر عبد القادر ، ط. القاهرة .  
١٩٩٦م.
- برنادين كلى : فتح القسطنطينية ، ت. شكرى محمود نديم ، ط. بغداد ١٩٩٢م.
- بوريس راوشتباخ : «تعميد كييف» مجلة رسالة اليونسكو، العدد التذكارى بمناسبة  
مرور ألف عام على تعميد كييف رقم (٣٢) ، نوفمبر عام ١٩٨٨م.
- بول بوبار : الفاتيكان عاصمة الكثرة في العالم ت. أنطوان الهاشم ، ط. بيروت  
١٩٩٩م.
- بول كنىدى : نشوء وسقوط القوى العظمى ، ت. مالك البديرى ، ط. عمان ١٩٩٩م.
- بول وليمان : ثيودورا ، جزآن ، ط. بيروت ١٩٩٩م.
- بيرل سمايلى : المؤرخون في العصور الوسطى ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة  
١٩٩٨م.
- ترتون : أهل الذمة في الإسلام، ت. حسن حبشى ط. القاهرة ١٩٩٧م .
- تركى مسيمير العتيبي : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقلية الإسلامي ، ط.  
الرياض ١٩٨٧م.

- حاسم يونس الحريري (د.) « دور القيادة الكارزمية » ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط. أبو ظبي ٢٠٠٣م.
- جان جنبير : المسيحية نشأتها وتطورها ت. عبد الحليم محمود ، ط. القاهرة ١٩٨٨م.
- جان فلورى : الحرب المقدسة ، الجهاد والحرب الصليبية العنف والدين فى المسيحية والإسلام ، ت. غسان مایسو، مراجعة د. جلال شحاده ط. دمشق ١٩٩٩م.
- جلال حسنى سلامة (د.) : عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة ، ط. نابلس ١٩٩٨م.
- جلال يحيى (د.) : التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م.
- جلوب : الفتوحات العربية الكبرى، ت. خيرى حماد ، ط. بيروت ب-ت .
- جمال الدين سرور (د.) : تاريخ الدولة الفاطمية ، ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- جمال الدين الشيال (د.) تاريخ مصر الإسلامية ج ٢ ، العصران الأيوبي والمملوكي، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م.
- جمال فاروق الوكيل : تطور استراتيجية الحروب الصليبية فى القرن الرابع عشر الميلادى ضوء كتاب مارينو سانودو ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ٢٠٠٠م.
- جمال فوزى محمد عمار (د.) : التاريخ والمؤرخون فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- جمعه الجندى (د.) : حكم النورمان فى صقلية ١٠٩١-١١٩٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٠م، حياة الفرنج ونظمهم فى بلاد الشام خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين - دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٨م.
- جميل حرب محمود (د.) : الحجاز واليمن فى العصر الأيوبي ، ط. جدة ١٩٨٨م.
- جوستاف لوبون : حضارة العرب ت. عادل زعيتر ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- جورج عطية : «الأثر السرياني فى الحياة الفكرية والعلمية فى بلاد الشام ، ضمن كتاب بلاد الشام فى العهد البيزنطى، الندوة الأولى من أعمال المؤتمر الدولى الرابع

- لتاريخ بلاد الشام، تحرير محمد عدنان البخيت، ومحمد عصفور ، ط. عمان ١٩٨٨م.
- جورج يوزنر : معجم الحضارة المصرية القديمة ، ت. أمين سلامة مراجعة سيد توفيق ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- جوزيف كوسى : تاريخ الثورة الفرنسية ط. بيروت ١٩٨٩م.
- جوزيف داهموس : سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى ت. محمد فتحى الشاعر ، ط. القاهرة ١٩٨٩م. ، سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى ت. محمد فتحى الشاعر ، ط. القاهرة ١٩٩٢م.
- جوزيف نسيم يوسف (د.) «دراسات فى المخطوطات العربية بدير القديسة كاترين فى سيناء» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٨م ، ١٩٩٩م ، «الدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية» ، مجلة كلية الآداب- ، جامعة الاسكندرية م (١) ، عام ١٩٦٩م ، نشأة الجامعات فى العصور الوسطى ، ط. الاسكندرية ١٩٨١م ، العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م ، «أنشودة رولان قيمتها التاريخية وما أثير حولها من نقاش» ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م. ، تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨٤ - ١٤٥٣م ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م ، تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها ، ط. بيروت ١٩٨٧م ، دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م.
- جودفرى ريكرمان : «بحرنا ... البحر المتوسط» ، ضمن كتاب البحر والتاريخ تحديات الطبيعة واستجابات البشر، تحرير أ. رايى ، ت. عاطف أحمد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، أبريل ٢٠٠٠م.
- جونز (ج.ر) : الحصار العثمانى للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة ، ت. حاتم الطحاوى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- جونز : مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية ، ت إحسان عباس ط عمان ١٩٨٨م.
- جيرارد ديمورج : دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية ت. محمد رفعت عواد ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

- جيمس : الماجنا كارتا (العهد الأعظم) ت. مصطفى طه حبيب، ط. القاهرة ١٩٦٥م.
- جيمس تبتلى : اكتشاف الكتاب المقدس قيام المسيح فى سيناء ، ت. آسيا محمد الطريحي ، ط. القاهرة ١٩٨م.
- جيمس رستون (الابن) مقاتلون فى سبيل الله صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة ، ت. رضوان السيد ط. الرياض ٢٠٠٢م.
- جيهان عبد المقصود فهمى : السنوات الأخيرة للأسرة المقدونية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٢م.
- حاتم الطحاوى (د.) بيزنطة والمدن الإيطالية ، العلاقات التجارية (١٠٨١-١٢٠١م) ط. القاهرة ١٩٩٨م. ، « جون ل . اسبوزيتو التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ؟ » ترجمة قاسم عبده قاسم ٢٠٠١م ، J.Esposito, the Islamic Threat , Myth or Reality , Oxford 1999 حولية التاريخ الإسلامى والوسيط م (٣) ، عام ٢٠٠٣م. « كريستوفر كولبس يدعو فرديناند وايزابيلا لشن حملة صليبية والاستيلاء على القدس ١٥٠١م » ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، مجموعة أبحاث مهده إلى الأستاذ قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين عاماً تحرير حاتم الطحاوى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- حازم عبد القهار الراوى : الروح المعنوية للجيش العربى الإسلامى فى صدر الإسلام ، ط. بغداد ١٩٩٨م.
- حافظ حمدى (د.) الدولة الخوارزمية والمغول ، ط. القاهرة ١٩٤٩م ، الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى ، ط. القاهرة ١٩٥٠م.
- حامد زيان (د.) : فردريك بارباروسا والحملة الصليبية الثالثة ، ط. القاهرة ١٩٧٧م.
- حبيب جاماتى : ثيودورا الممثلة المتوجه ، ط. القاهرة ب-ت .
- حسان حلاق (د.) تعريب النقود والدواوين فى العصر الأموى، الحياة المالية والاقتصادية والإدارية ، ط. بيروت ١٩٨٨م .
- حسن ابراهيم (د.) : الفاطميون فى مصر ، ط. القاهرة ١٩٣٢م ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ط. بيروت ٢٠٠١م.
- حسن الباشا (د.) العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل ، ط. دمشق ٢٠٠١م.

- حسن الساعاتى (د.) « منهج أبى الفداء فى البحث » ، مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماء فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٣١م ، ط. دمشق - حماء ١٩٧٤م.
- حسن حبشى (د.) نور الدين والصليبيون حركة الإفاقة الإسلامية فى القرن السادس الهجرى ط. القاهرة ١٩٤٨م ، الشرق الأوسط بين شقى الرعى ، حملة لويس على مصر والشام ، ط. القاهرة ١٩٤٩م ، الحرب الصليبية الأولى ، ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- حسن حنفى (د.) مقدمة فى علم الاستغراب ، ط. بيروت ١٩٩٢م.
- حسن صبحى بكري (د.) الاغريق والرومان والشرق الاغريقى الرومانى ، ط. الرياض ١٩٨٥م.
- حسن ظا (د.) الفكر الدينى اليهودى ، ط. دمشق ب-ت .
- حسن عبد الوهاب (د.) قيسارية الشام فى التاريخ الاسلامى ط. الاسكندرية ١٩٩٠م ، « مصر وأمن البحر الأحمر فى عصر الحروب الصليبية » ضمن كتاب مقالات للحروب الصليبية ، ط . الاسكندرية ١٩٩٧م ، معالم التاريخ البيزنطى السياسى والحضارى ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م .
- حسن محمود (د.) : قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٩٦م.
- حسنين ربيع (د.) « البحر الأحمر فى العصر الأيوبي » ندوة البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، إشراف أ.د. أحمد عزت عبد الكريم ، ط. القاهرة ١٩٨٠م ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ط. القاهرة ١٩٨٧م ، ط. القاهرة ١٩٩٥م.
- حسين أحمد أمين (د.) الحروب الصليبية فى كتابات المؤرخين المعاصرين لها ، ط. القاهرة ١٩٨٣م.
- حسين السيد متولى النحال (د.) الحروب الصليبية المتأخرة على مصر وتونس فى أواخر العصور الوسطى ( ١٣٦٥ - ١٤٠٧م ) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩١م.



- حسين العودات : العرب النصارى عرض تاريخى ، ط. دمشق ١٩٩٢م.
- حسين عبد الحميد الأثرم : دراسات فى تاريخ الاغريق وعلاقته بالوطن العربى ، ط. بى غازى ١٩٩٦م.
- حسين عطية (د.) إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الإسلامية المجاورة ، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣م ، إمارة أنطاكية والمسلمون (١١٧١-١٢٦٨م / ٥٦٧-٦٦٦هـ) ، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م.
- حسين مؤنس (د.) تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ط. القاهرة ١٩٩٣م ، فجر الأندلس ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.
- حسين مجيب المصرى (د.) الصلات بين العرب والفرس والترك ، ط. القاهرة ٢٠٠١م .
- حكمت شريف (بك) تاريخ طرابلس الشام من أقدم أزمانها إلى هذه الأيام ، تحقيق منى حداد يكن ومارون عيسى خورى ، ط. طرابلس ١٩٨٧م.
- حمدى شاهين (د.) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م .
- خليل السامرائى (د.) وعبد الواحد ذنون : تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس ، ط. بيروت ٢٠٠٠م.
- خليل إينالجيك : تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ت. محمد الأرناؤوط ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.
- خليل رستم : القديس يوحنا الذهبى الفم ، ط. دمشق ١٩٨٣م.
- داونى : أنطاكية فى عهد ثيودوسيوس الكبير ، ت. ألبرت بطرس ، ط. بيروت ١٩٦٨م.
- دمترى ميكولسكى : المسعودى هيرودوت العرب ، ت. عادل إسماعيل مراجعة نوفل يتوف ط. دمشق ٢٠٠٦م.
- دنلوب : تاريخ يهود الخزر ت. سهيل زكار ، ط. دمشق ١٩٩٠م.
- دونالد نيكول : معجم التراجم البيزنطية ت. حسن حبشى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- دونالد كواتزت : الدولة العثمانية ١٧٠٠-١٩٢٢م ، ت. أيمن الأرمنادى ، ط. الرياض ٢٠٠٤م.

- ديفيد سوثير : جغرافية الأديان ت. أحمد غسان سبانو ، ط . دمشق ١٩٩٩م.
- ديفيد صمويل مارجليوث : القاهرة وبيت المقدس ودمشق ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو ، ط. دمشق ٢٠٠٠م. دراسات عن المؤرخين العرب ت. حسين نصار ، ط. القاهرة ٢٠٠١م .
- ديتز : أوربا في العصور الوسطى ت. عبد الحميد حمدي محمود ط. الاسكندرية ١٩٥٨م، شارلمان، ت. السيد الباز العرينى ط. القاهرة ١٩٥٩م.
- ديمتري غوتاس : الفكر اليونانى والثقافة العربية حركة الترجمة اليونانية العربية فى بغداد والمجتمع العباسى المبكر، القرن الثانى- القرن الرابع هـ / القرن الثامن - القرن العاشر م . ت. نقولا زيادة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط. بيروت ٢٠٠٣م.
- ذكرى عزيز محمد صالح الصائغ : عصر الملك الكامل الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الموصل عام ١٩٨٨م.
- رأفت الشيخ (د.) ومحمد رفعت (د.) أسيا فى التاريخ الحديث والمعاصر ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.
- رأفت عبد الحميد (د.) «كنيسة بيت المقدس فى العصر البيزنطى» المجلة التاريخية المصرية م (٢٥) عام ١٩٧٨م. «الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب فى العصور الوسطى» ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٢) ، تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٨٣م . الدولة والكنيسة ج ٢، قسطنطين ، ط. القاهرة ١٩٨٢م، ط. القاهرة ١٩٩٩م. «مصر والعرش البيزنطى» ضمن كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، إعداد وتقديم رؤوف عباس، ط. القاهرة ١٩٨٦م ، «سوزمين المؤرخ الغزاوى» ضمن ندوة فلسطين عبر التاريخ إعداد حامد غانم زيان ، مركز البحوث والدراسات التاريخية - جامعة القاهرة ، ط . القاهرة ١٩٩٦م . ، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة ط. القاهرة ١٩٩٧م ، «الثورة الشعبية فى القسطنطينية ٥٣٢م» ، ضمن كتاب بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ط. القاهرة ١٩٩٧م ، «مصرع حوليان الفيلسوف الإمبراطور» ضمن كتاب قطوف دانية مهداه إلى ناصر الدين الأسد، تحرير عبد القادر الرباعى ، ط. عمان ١٩٩٧م. «الملك الكامل بين

- الإفراط والتفريط» ، ضمن كتاب قضايا من تاريخ الحروب الصليبية ط. القاهرة ١٩٩٨م. الإمبراطورية البيزنطية العقيدة والسياسة ط. القاهرة ٢٠٠٠م، الفكر المصرى فى العصر المسيحى ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م ، الدولة والكنيسة المسيحية الجديدة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- رجب محمد عبد الحليم (د.) دولة بنى حمود فى مآلقه بالأندلس، رسالة ماجستير، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م.
- رستو فتزف : تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعية والاقتصادى، ت. زكى على ومحمد سليم سالم، ج ١ ، ط. القاهرة ١٩٥٧م.
- رشاد خميس (د.) سيرة سيد بطل غازى فى القصص الشعبى التركى وأثر الصراع الإسلامى البيزنطى فيها، رسالة دكتوراه غير منشورة- كلية الآداب، جامعة عين شمس عام ١٩٨٨م.
- رشدى الأشهب : المعالم الأثرية فى فلسطين ، ط. القدس ١٩٩٧م.
- رضا هادى عباس (د.) الأندلس محاضرات فى التاريخ والحضارة ط. قاليتا- مالطه ١٩٩٨م.
- رمزى : تلفيق الأخبار وتلفيق الآثار فى وقائع غازان وملوك التتار ، م (١) . ط. أورينورغ ١٩٠٨م .
- روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ت. صالح العلى ، ط. بيروت ١٩٨٣م.
- روبرتس (ج.م) موجز تاريخ العالم ج ١ . ت فارس قطا ، ط. دمشق ٢٠٠٤م.
- روبرت لوبيز : ثورة العصور الوسطى التجارية ٩٥٠ - ١٣٥٠ ت. محمود أبو صوة ، ط. قاليتا- مالطه ١٩٩٧م.
- ريمون استانبولى مفاتيح أورشليم القدس ، حملتان صليبيتان على مصر ١٢٠٠- ١٢٥٠ ، ت. عايدة الباجورى تقديم ومراجعة أ.د. اسحق عبید ط. القاهرة ٢٠٠٤م.
- رينيه جروسيه : الحروب الصليبية ، صراع الشرق والغرب ، ت. أحمد أيبش ، ط. دمشق ٢٠٠٢م.
- زاكية رشدى (د.) «تاريخ الأدب السريانى» مجلة كلية الآداب - جامعة عين شمس ، م (١٧) عام ١٩٧٣م.

- زاهر رياض (د.) شمال أفريقيا فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٨١م.
- زبيدة عطاء (د.) الترك فى العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ، ط. القاهرة ب-ت . ط . القاهرة ١٩٧٧م. المقاتل البيزنطى . ط. المنيا ١٩٨٢م. الشرق الإسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- زكى النقاش (د.) العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، ط. بيروت ١٩٥٨م.
- زهيرة البيلى التاريخ بصنعه المرضى ، ط. القاهرة ١٩٨٥م مدينة القدس وجوارها خلال الفترة ١٢١٥هـ / ١٢٤٥هـ / ١٨٠٠ - ١٨٣٠م ط. عمان ١٩٩٦م.
- زينب بيهره چكلى شعر الثورات الداخلية فى العهد العثمانى ، ط . عمان ١٩٩٩م. ذات السوارى ط. الشارقة ٢٠٠٦م.
- زينب عبد القوى (د.) الإنجليز والحروب الصليبية فى الفترة من ١١٨٩ - ١٢٩١ ط. القاهرة ١٩٩٦م. «جامعة أكسفورد فى العصور الوسطى» حولية التاريخ الإسلامى والوسيط م (٣) ، عام ٢٠٠٣م. اليهود فى إنجلترا العصور الوسطى، ١٠٦٦ - ٢٩٠م ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م.
- زينب عصمت راشد (د.) تاريخ أوربا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- سالم الرشيدى ، محمد القاتع ط. جدة ١٩٨٩م.
- سالم مخيمر (د.) وخالد حجازى أزمة المياه فى المنطقة العربية الحقائق والبدائل الممكنة سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٦م.
- ستيفن رنسيومان الحضارة البيزنطية، ت. عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة زكى على ، ط. القاهرة ١٩٦٤م ، المسيحيون العرب فى فلسطين ، ط . اسكس ١٩٦٨م، تاريخ الحروب الصليبية ت. السيد الباز العرنى ، ط. بيروت ١٩٦٧ - ١٩٦٩م، ط. بيروت ١٩٩٣م
- سر الختم عثمان (د.) مدينة صورة فى القرنين ١٢ ، ١٣ م، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م.
- سرور عبد المنعم (د.) السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك

فولك الأنجوى ١١٣١-١١٤٣ / ٥٢٦ - ٥٣٨ هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠ م . «جودفرى دى بويون حاكمًا للكيان الصليبي ١٠٩٩ - ١١٠٠ م» مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس عدد عام ٢٠٠٤ م .

- سعاد ماهر (د.) البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، ط. القاهرة .

- سعد رستم ، التوحيد فى الأناجيل الأربعة وفى رسائل القديسين بولس ويوحنا ط. دمشق ٢٠٠٢ م. الفرق والمذاهب المسيحية من ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية ، ط. القاهرة ٢٠٠٤ م.

- سعد السعدى : معجم الشرق الأوسط ط. بيروت ١٩٩٨ م.

- سعد زغلول عبد الحميد (د.) الاسكندرية قاعدة عسكرية فى القرن الأول من تاريخها العربى وموقعة الصواري، ضمن كتاب سواحل مصر عبر العصور، سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ٢٠٠١ م.

- سعيد أحمد براجوى ، الدولة العثمانية تاريخها السياسى والعسكرى ، ط. بيروت ١٩٩٣ م.

- سعيد عبدالله البيشاوى (د.) نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠ هـ / ١٠٩٩-١٢٩١ م ط. عمان ١٩٩٠ م. الممتلكات الكنسية فى مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١٢٩١ م / ٤٩٢-٦٩٠ هـ ط. الاسكندرية ١٩٩٠ م ، «الأراضى الزراعية ومنتجاتها فى الخليل فى العصر الفرنجى ٤٩٢-٥٨٣ هـ / ١٠٩٩-١١٨٧ م» ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، تحرير محمد مؤنس عوض ، ط. القاهرة ٢٠٠٣ م ، «الاستيطان الفرنجى فى بيت المقدس والمناطق المحيطة بها (١٠٩٩-١١٨٧ م ، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى ، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤ م .

- سعيد السيد على فرغلى (د.) «إضمحلال حكم الأنجلوسكسون فى إنجلترا ٩٧٩-١٠٦٦ م / ٣٦٨ - ٤٥٨ هـ . بحث ضمن كتاب بحوث فى تاريخ

- العصور الوسطى ، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ط.  
الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- سعيد عاشور (د.) أوربا. العصور الوسطى - التاريخ السياسى ط. القاهرة ١٩٦٢م، ط  
القاهرة ١٩٧٢م، ط. القاهرة ١٩٨١م. «الامبراطور فردريك والمشرق العربى»  
المجلة التاريخية المصرية ، عدد عام ٩٦٣م الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى  
تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٣م. أضواء جديدة  
على الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٦٤م. تاريخ العلاقات بين الشرق  
والغرب فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ٢٠٠٣م.
- سعيد عاشور (د.) ومحمد أنيس (د.) النهضة الأوربية فى العصور الوسطى وبداية  
الحديثة ط. القاهرة ١٩٥٦م.
- سلوى بالحاج صالح (د.) المسيحية العربية وتطورها من نشأتها إلى القرن الرابع  
الهجرى / العاشر الميلادى ، ط. بيروت ١٩٩٧م.
- سليم شعشوع ، صفحات من التعاون اليهودى العربى فى الأندلس ، شفا عمرو-  
فلسطين ١٩٩٠م.
- سليم عرفات المبيض النصرانية وآثارها فى غزة وما حولها ط. غزة - فلسطين ١٩٩٨م.
- سليمان الخرابشة ، الصراع الفاطمى- السلجوقى فى بلاد الشام ٤٤٧- ٥٦٦هـ /  
١٠٠٥- ١١٧٠م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين  
شمس عام ١٩٩٠م.
- سليمان الرحيلى (د.) العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة فى عهد  
الخليفة هارون الرشيد والامبراطور شارلمان ط. الرياض ب-ت .
- سميرة يونس (د.) النورمان والدولة البيزنطية فى القرن الحادى عشر ط. القاهرة  
١٩٩٥م.
- سها إبراهيم منصور ، جامعة اكسفورد نشأتها وتطورها ، رسالة ماجستير غير منشورة  
كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م.
- سهير نعينع (د.) «العلاقات التجارية بين المدن الإيطالية ومصر والشام فى القرنين  
١١ ، ١٢ الميلاديين فى ضوء الوثائق التاريخية» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ

العصور الوسطى كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، تحرير  
على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.

- سهيل زكار (د.) «أبو الفداء» ، ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماه  
فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٣١م ط. دمشق - حماه  
١٩٧٤م ، المدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ط. دمشق ١٩٨١م ، الحروب  
الصليبية ، ت. سهيل زكار ط. دمشق ١٩٨٤م ، الموسوعة الشامية عدة أجزاء  
، ط. دمشق ١٩٩٣-١٩٩٥م.

- سهيل زكار (د.) ووفاء جوثى (د.) واكتمال إسماعيل (د.) حروب الفرنجة  
(الصليبية)، ط. دمشق ٢٠٠٥م .

- سيار الجميل (د.) العثمانيون وتكوين العرب الحديث، ط. بيروت ١٩٨٩م .

- السيد الباز العرنى (د.) أجناد الروم ، ط. القاهرة ١٩٥٦ ، الدولة البيزنطية ٣٢٣-  
١٠٨١م ط. القاهرة ١٩٦٠م ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٦٢م ،  
الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ط. القاهرة ١٩٦٣م.

- سيد أمير على ، مختصر تاريخ العرب ت . عفيف البعلبكي ، ط. بيروت ١٩٩٠م .

- سيد الناصرى (د.) تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ط. القاهرة  
١٩٧٥م ، الروم والمشرق العربى ط. القاهرة ١٩٩٣م .

- السيد عبد العزيز سالم (د.) التاريخ والمؤرخون العرب ط. الاسكندرية ١٩٧٦م ، تاريخ  
الحضارة الإسلامية ط. الاسكندرية ١٩٩٧م ، طرابلس الشام فى التاريخ  
الاسلامى، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م.

- سيده كاشف (د.) مصر فى عصر الولاة ، ط. القاهرة ب-ت .

- شارل ديل ، البندقية جمهورية أرستقراطية ت. أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر،  
ط. القاهرة ١٩٤٨م.

- شارلز أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ت. مصطفى طه بدر ، ط. القاهرة ١٩٥٣م ، ط.  
القاهرة ١٩٦٠م.

- شاكرا أبويدر ، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ط. بيروت ب-ت .

- شاكرا مصطفى (د.) «دخول الترك الغز إلى الشام» ضمن كتاب تاريخ بلاد الشام من



- القرن السادس إلى القرن السابع عشر المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ط. بيروت ١٩٧٤م ، التاريخ العربى والمؤرخون ط. بيروت ١٩٨٠م.
- شحاده على الناطور (د.) تاريخ صدر الإسلام وفجره ، ط. عمان ٢٠٠١م.
- شعبان محمد خلف هتغاريا والحروب الصليبية (١٠٩٦-١٢١٨م / ٤٨٩-٦١٤هـ) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة المنيا عام ٢٠٠٤م.
- شكرى فيصل (د.) حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول الهجرى ط. بيروت ١٩٧٤م.
- شمس الدين الكيلانى ، صورة أوربا عند العرب فى العصور الوسيط ، ط. دمشق ٢٠٠٤م.
- شوقى الجمل (د.) وعبدالله عبد الرازق (د.) تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- شوقى شعث ، القدس العربية الإسلامية الماضى الحاضر المستقبل ، ط. الشارقة ٢٠٠١م.
- صابر دياب (د.) المسلمون وجهادهم ضد الروم فى أرمينية والشغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجرى ، ط. القاهرة ١٩٨٤م .
- صبرى أبو الخير (د.) تاريخ مصر فى العصر البيزنطى ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.
- صالح السعدون ، فتح القسطنطينية ط. دمشق ب-ت . العلاقات الخارجية للأندلس فى عهد الإمارة ط. الرياض ب-ت .
- صبحى عبد الحميد ، معارك العرب الحاسمة ، ط. بيروت ١٩٨٣م.
- صلاح الدين المنجد (د.) المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة ، مجلة معهد المخطوطات العربية ق (٢) ، ج (١) عدد مايو ١٩٥٦ م. معجم المؤرخين الدمشقيين ، ط. بيروت ١٩٧٤ م .
- صلاح الدين بحيرى (د.) أشكال الأرض ، ط. دمشق ١٩٧٩م .
- صلاح الدين المنجد (د.) الشرق فى نظر المغاربة والأندلسيين فى القرون الوسطى ، ط. بيروت ١٩٦٣ م.
- صلاح ضبيع (د.) العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية فى عصر

آل باليولوغوس ١٢٦١-١٤٥٣م رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب -  
جامعة جنوب الوادى عام ١٩٩٨م.

- صلاح هريدى (د.) دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، ط. الاسكندرية  
١٩٩٩-٢٠٠٠م.

- ضيف الله بطاينه (د.) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين ، ط. عمان ١٩٩٩م.

- طارق متري (د.) «المسيحيون الشرقيون والإسلام» ضمن كتاب العلاقات الإسلامية  
المسيحية قراءات مرجعية فى التاريخ والحاضر والمستقبل ، مركز الدراسات  
الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ط. بيروت ١٩٩٤م.

- طارق منصور (د.) الجيش فى الامبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع إلى نهاية  
القرن التاسع الميلادى رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة  
الزقازيق فرع بنها عام ١٩٩٣م. الروس والمجتمع الدولى ٩٤٥-١٠٥٤م ط.  
القاهرة ٢٠٠١م ، قطوف الفكر البيزنطى أولاً: الأدب ط. القاهرة ٢٠٠٢م.  
«ماريا المصرية نموذج للقصاص الدينى فى العصور الوسطى». ضمن كتاب  
قطوف الفكر البيزنطى أولاً: الأدب ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م. «الملحمة البيزنطية  
ديجنيس اكرتيس رؤية أدبية» ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطى أولاً:  
الأدب ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م. بيزنطة والعالم الخارجى ج ١ ، البيزنطيون والعالم  
الإسلامى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م. «فن القتال عند البيزنطيين دراسة فى  
الاستراتيجية فى ضوء تكتيكات ليون الحكيم» ، ضمن كتاب «دراسات فى تاريخ  
العصور الوسطى أبحاث مهداه إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بمناسبة  
بلوغه الستين عاماً» تحرير حاتم الطحاوى ط. القاهرة ٢٠٠٣م. «النار الاغريقية  
- قراءة جديدة فى ضوء المصادر البيزنطية والإسلامية» ، حولية التاريخ  
الإسلامى والوسيط ، م (٤) ، عام ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٥م.

- طارق منصور (د.) ورأفت عبد الحميد (د.) مصر فى العصر البيزنطى ٢٨٤-٦٤١م  
ط. القاهرة ٢٠٠١م.

- طارق منصور (د.) ومحاسن الوقاد (د.) النفط واستخدامه وتطوره عند المسلمين ٦٤-  
٩٢٣هـ / ٦٨٤-١٥١٧م ط. القاهرة ٢٠٠٦م.

- عائشة بنت عبد الله ، البحر الأحمر فى العصر الأيوبي ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٠م.

- عائشة سعيد أبو الجدايل (د.) الإمبراطورية البيزنطية فى القرن السابع الميلادى / الأول الهجرى دراسة التطورات والتغيرات ط. الرياض ١٤١٥ هـ .

- عادل زيتون (د.) العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى فى العصور الوسطى ط. دمشق ١٩٨٠م ، العلاقات الاقتصادية فى العصور الوسطى ط. دمشق ١٩٨٠م ، تاريخ العصور الوسطى الأوربية ، ط. دمشق ١٩٨٢م ، «ملاحظات على أطروحة هنرى بيرين من خلال كتاب «محمد وشارلمان» ، ضمن الدراسات التاريخية للحلقة النقاشية (السمنار) ، قسم التاريخ - كلية الآداب جامعة الكويت عام ١٩٩٣-١٩٩٤م.

- عارف تامر (د.) الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين - الحاكم بأمر الله ، ط. بيروت ١٩٨٠م.

- عاطف مرقص (د.) قبرص والحروب الصليبية فى القرنين ١٢ ، ١٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩١م.

- عبد الحفيظ محمد على (د.) السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عصر حنا كومنين ١١١٨-١١٤٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.

- عبد الحميد البطريق (د.) وعبد العزيز سليمان نوار (د.) التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.

- عباس إسماعيل الصايغ (د.) تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية ، الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين ، ط. بيروت ١٩٩٩م.

- عباس إقبال ، تاريخ المغول ضد حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ، ت. عبد الوهاب علوب ، المجمع الثقافى ، ط. أبو طهى عام ٢٠٠٠م .

- عباس عزاوى ، التعريف بالمؤرخين ، ط. بغداد ١٩٨٧م .

- عباس عمار : المداخل الشرقى لمصر ، ط. القاهرة ١٩٤٦م.

- عباس فاضل السعدى (د.) ياقوت الحموى دراسة فى التراث الجغرافى العربى مع التركيز على العراق فى معجم البلدان ، ط. بيروت ١٩٩٢م.

- عباس محمود العقاد عبقرية خالد ، ط. القاهرة ١٩٩٦م.

- عباس التكروري ، موسوعة الخلفاء الراشدين ، ط . عمان ٢٠٠٣ م.
- عبد الجبار الجومرد (د.) هارون الرشيد حقائق عن عهده وخلافته ، ط. بيروت ١٩٩٩ م.
- عبد الجبار السامرائي (د.) «الرسائل التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة» الفيسل ، العدد (٥٥) ، محرم ١٤٠٢ هـ / نوفمبر ١٩٨١ م.
- عبد الحافظ البتا (د.) النظام الاقطاعي في المملكة اللاتينية في القسطنطينية ١٢٠٤ - ١٢٦١ م رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الزقازيق عام ١٩٩٨ م.
- عبد الرحمن حميدة (د.) «أبو الفداء» ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافي أبو الفداء صاحب حماء - في ذكرى مرور سبع مائة عام على ولادته عام ١٢٧٣ - ١٣٣١ م ط . دمشق - حماء ١٩٧٤ م. «طريق الحرير بين ابن بطوطة وماركوبولو» مجلة دراسات تاريخية - جامعة دمشق السنة (١٢) ، العددان (٣٩) . كانون الأول ١٩٩١ م.
- عبد الرحمن زكي (د.) ومحمود عيسى الحروب بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٤٧ م.
- عبد الرحمن سامي القول الحق في بيروت ودمشق ، ط. بيروت ١٩٨١ م.
- عبد الرحمن العبد الغني (د.) «فوتيوس والقطيعة بين كنيسة روما والقسطنطينية في القرن التاسع الميلادي» ، عالم الفكر، العدد (٣) أكتوبر - ديسمبر ١٩٨٦ م.
- عبد الرازق محمد أسود ، موسوعة الأديان والمذاهب ، ط. بيروت ٢٠٠٠ م.
- عبد السلام الزماني (د.) «أزمة التاريخ الإسلامي ج ١ ق ٢» ، ط. الكويت ١٩٨٢ م.
- عبد السلام زيدان (د.) الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧ - ١١٤٩ م ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي عام ٢٠٠٠ م.
- عبد السلام عبد العزيز فهمي (د.) السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم ، ط. دمشق ١٩٩٣ م.

- عبد الشافى محمد عبد اللطيف (د.) العالم الإسلامى فى العصر الأموى ٤١ - ١٣٢ هـ / ٦٦١ - ٧٥٠ م) ، ط. القاهرة ١٩٨٤ م.
- عبد العزيز الدورى (د.) العصر العباسى الأول دراسة فى التاريخ السياسى والإدارى والمالى ، ط. بغداد ١٩٩٧ م. نشأة علم التاريخ عند المسلمين ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، ط. أبوظبى ٢٠٠٠ م.
- عبد العزيز رمضان (د.) العلاقات البيزنطية - اللاتينية فى عهد الامبراطور مانويل الأول كومنينوس ١١٤٣ - ١١٨٠ م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠ م. المرأة البيزنطية من القرن التاسع حتى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى رسالة دكتوراه - كلية الآداب ، جامعة عين شمس عام ٢٠٠٣ م. «مدخل إلى مواقع الدراسات البيزنطية على شبكة الانترنت» حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٣) عام ٢٠٠٣ م.
- عبد العزيز عبد الدايم (د.) إمارة طرابلس الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧١ م.
- عبد العزيز سليمان نوار (د.) التاريخ الحديث أوربا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية- البروسية ١٧٨٩ - ١٨٧١ ، ط. القاهرة ب-ت . تاريخ الشعوب الإسلامية العصر الحديث ، ط. القاهرة ١٩٩٨ م.
- عبد العزيز سليمان نوار (د.) ومحمود محمد جمال الدين (د.) التاريخ الأوربى الحديث عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط. القاهرة ١٩٩٩ م.
- عبد الغنى محمود عبد العاطى (د.) السياسية الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الكيسوس كومنين ، ط. القاهرة ١٩٨٣ م.
- عبد الفتاح الغنيمى (د.) معركة بلاط الشهداء فى التاريخ الإسلامى والأوربى ، ط. القاهرة ١٩٩٦ م، الإسلام والثقافة العربية فى أوربا ، ط. القاهرة ١٩٧٩ م.
- عبد القادر يوسف (د.) الإمبراطورية البيزنطية ، ط. بيروت ١٩٦٦ م، العصور الوسطى الأوربية، ط. صيدا ١٩٦٧ م علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر ، ط. صيدا ١٩٦٩ م.
- عبد القادر طليمات (د.) ابن الأثير المؤرخ ، ط. القاهرة ١٩٦٩ م.

- عبد اللطيف حمزة (د.) أدب الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٤٩م .
- عبد اللطيف عبد الهادي السيد (د.) «دراسة نقدية لمنهج الكتابة التاريخية عند جاك دي فثري» ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) تحرير محمد مؤنس عوض . ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م .
- عبد الله بن سعيد الغامدي (د.) مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود ، جامعة أم القرى- سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية، مكة المكرمة ١٤١٤هـ .
- عبدالله الربيعي (د.) «الدوافع الدينية للحركة الصليبية ضمن ندوة الاطار التاريخي للحركة الصليبية» إتحاد المؤرخين العرب ، ط. القاهرة ١٩٩٦م .
- عبدالله عنان ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ط. القاهرة ١٩٧٣م .
- عبدالله محمد عبد الرحمن (د.) علم اجتماع التنظيم ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م .
- عبد المنعم ماجد (د.) الحاكم بأمر الله الخليفة المقتري عليه ، ط. القاهرة ١٩٥٩م .
- العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٦٦م .
- التاريخ السياسي للدولة العربية ج ١ ، ط. القاهرة ١٩٦٧م ، ط. القاهرة ١٩٧٩م . العصر العباسي الأول أو القرن الذهبي في تاريخ العباسيين التاريخ السياسي ، ط. القاهرة ١٩٧٣م . ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ، ط. القاهرة ١٩٨٥م ، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية ، ط. القاهرة ١٩٩٧م .
- عبد النعيم حسنين (د.) سلاجقة إيران والعراق ، ط. القاهرة ١٩٧٠م ، دولة السلاجقة ، ط. القاهرة ١٩٧٥م .
- عبد الواحد داود الاشوري ، الانجيل والصليب ، قدم له وعلق عليه محمد علي سلامة ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م .
- عثمان توران ، الأناضول في عهد السلاجقة والإمارات التركمانية ت. علي عوده الغامدي ، ط. الرياض ١٤١٨هـ .
- عرفان شهيد ، روما والعرب مقدمة لدراسة بيزنطة والعرب ت. محمد فهمي عبد الباقي محمود ، ط. القاهرة ب-ت

- عرفان عبد الحميد فتاح (د.) النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها ، ط. عمان ٢٠٠٠م.

- العروسي المطوي ، الحروب الصليبية في الشرق والغرب ، ط. تونس ١٩٥٤م .  
- عزت زكي حامد قادوس (د.) العملات اليونانية والهلينستية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م.

- عزيز أحمد (د.) تاريخ صقلية الاسلامية ، ت. أمين توفيق الطيبي، ط. بيروت ١٩٨٠م.

- عزيز سوريال عطية (د.) العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ت. فيليب صابر ، ط. القاهرة ١٩٧٢م. الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، ت. فيليب صابر ، ط. القاهرة ١٩٧٧م، تاريخ المسيحية الشرقية ، ت. إسحق عبيد، ط. القاهرة ٢٠٠٥م.

- عصام الدين عبد الرؤف (د.) بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ، ط. القاهرة ب-ت.

- عصام محمد شبارو (د.) السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري ، ط. بيروت ١٩٩٤م. الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود ٨٩٧-٩١ هـ / ٧١٠-١٤٩٢م ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.

- عطيه القوصي (د.) اليهود في ظل الحضارة الإسلامية ط. القاهرة ٢٠٠١م،  
- عفاف صبره (د.) العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة ١١٠٠-١٤٠٠م ، ، ط. القاهرة ١٩٨٣م. «الجزيرة الفراتية بين الصراع الفارسي البيزنطي من القرن الرابع الميلادي إلى الفتح الإسلامي ما قبل ٨ هـ / ٦٢٩-٦٨٢م، المجلة التاريخية المصرية م (٤٣) ، عام ٢٠٠٥م.

- علاء الدين حسين مكى ، فن الحرب عند العرب دراسة في الفتوحات الكبرى في العصر الراشدي ، ط. بغداد ١٩٩٩م.

- على أبو عساف «طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم» مجلة دراسات تاريخية جامعة دمشق السنة (١٢) . العددان (٣٩) ، (٤٠) كانون الأول ١٩٩١م.

- على أحمد السيد (د.) التحليل والحرم الابراهيمي في عصر الحروب الصليبية (١٠٩٩-



١١٨٧م / ٤٩٢ - ٥٨٣هـ ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

- على السيد على (د.) «الفناء الكبير» والموت الأسود فى القرن الرابع عشر الميلادى - دراسة مقارنة بين الشرق والغرب، المجلة التاريخية المصرية م (٣٣) عام ١٩٨٦م، المجلة التاريخية المصرية عدد ( ) عام ١٩٩٠م.

- على السيد على (د.) وقاسم عبده قاسم (د.) الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسى ، ط. القاهرة ١٩٩٦م.

- على العواجى (د.) مواقف نصارى الشام ومصر من الحروب الصليبية فى الفترة من ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م إلى ٦٩٠هـ / ١٢٩١م. رسالة دكتوراه غير منشورة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٩٩م.

- على الغمراوى (د.) ملحمة البطولة الجرمانية ، ط. القاهرة ١٩٧٢م «المصادر الهجيوجرافية قبل النهضة الكارلوفنجية»، مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت ، العدد (٢) عام ١٩٧٢م. «المؤلفات الدينية فى أدب الفقهاء اللاتين من القرن السادس حتى القرن الثامن»، مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت، عدد ديسمبر كانون الأول ١٩٧٤م. مدخل إلى دراسة التاريخ الأوروبى الوسيط ، ط. القاهرة ١٩٧٥م «معالم ألمانيا التاريخية - Monumenta Historica مجموعة مصادر التاريخ والتراث الألمانى فى العصور الوسطى»، مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عدد عام ١٩٨٦م.

- على بكر حسن (د.) الطبرى ومنهجه فى التاريخ ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.

- على بن ابراهيم النملة (د.) التنصير فى المراجع العربية دراسة ورصد وراقى للمطبوع ، ط. الرياض ٢٠٠٣م.

- على حسنى الخربوطلى (د.) الإسلام وأهل الذمة ، ط. القاهرة ١٩٦٩م.

- على حسين الشطشاط (د.) نهاية الوجود العربى فى الأندلس ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

- على صالح محميد (د.) الغزو الصليبي والعالم الإسلامى ، ط. الرياض ١٩٨٢م.

- على عبد العظيم تعيلب (د.) الحركات الحديثة للقشرة الأرضية ، ط. القاهرة ١٩٩٠م.

- على عوده الغامدى (د.) «معركة مرياكيفالون ٥٧٢هـ / ١١٧٦م» مجلة كلية الشريعة - جامعة أم القرى، العدد الأول، السنة الأولى، مكة المكرمة عام ١٤٠٩هـ.

- على محمد الصلابى (د.) الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط، ط. بيروت ١٩٩٩م، الشرف والتسامى بحركة الفتح الإسلامى، ط. القاهرة ٢٠٠١م. فاتح القسطنطينية، السلطان محمد الفاتح، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، الدولة الأموية، عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ط. الشارقة، ٢٠٠٦م.

- علياء ديب تبريزى، المخطط الأعظم لتحرير القدس، نور الدين محمد. ط. صيدا ٢٠٠٣م.

- عليه الجنزورى (د.) المرأة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٨٠م، العلاقات البيزنطية الروسية فى عهد الأسرة المقدونية ٨٦٧-١٠٥٦م، ط. القاهرة ١٩٨٩م، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٤م، ط. القاهرة ١٩٨٦م، الإمبراطورة إيرينى، ط. القاهرة ١٩٨١م. هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٩م.

- عماد الدين خليل (د.) الإمارات الأرتقية فى الجزيرة الفراتية ١٠٧-١٤٠٩م / ٤٦٥-٨١٢هـ، ط. بيروت ١٩٨٠م. عماد الدين زنكى، ط. بيروت ١٩٨٢م. «فلسطين فى الأدب الجغرافى العربى»، ضمن كتاب دراسات تاريخية، ط. بيروت ١٩٨٣م.

- عمر عبد السلام تدمرى (د.) «دار العلم فى طرابلس الشام خلال القرن الخامس الهجرى» مجلة عالم الفكر، م (١٢)، الكويت عام ١٩٨١م. لبنان من الفتح الإسلامى حتى سقوط الدولة الأموية ١٣-١٣٢هـ / ٦٣٤-٧٥٠م، ط. طرابلس ١٩٩٠م، لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الاخشيدية ١٣٢-٣٥٨هـ / ٧٥٠-٩٦٩م، ط. طرابلس ١٩٩٢م لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٣٥٨-٥١٨هـ / ٩٦١-١١٢٤م، ط. طرابلس ١٩٩٤م. «مدينة صور فى كتابات المؤرخين والرحالة من الفتح الإسلامى حتى التحرر من الصليبيين» ضمن كتاب صور من العهد الفينيقي

إلى القرن العشرين. منتدى صور الثقافي ١٥-١٦ حزيران ١٩٩٧م ، ط. صور ١٩٩٧م.

- عمر فروخ (د.) «أبو الفداء وتعليل التاريخ» ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماء في ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٣١م ، ط. دمشق ١٩٧٤م.

- عمر كمال توفيق (د.) الامبراطور نقفور فوكاس واسترجاع الأراضي المقدسة ، ط. الاسكندرية ١٩٥٩م. مقدمات العدوان الصليبي الامبراطور يوحنا تزميسكس وسياسته الشرقية ، ط. الاسكندرية ١٩٦٦م، المؤرخ وليم الصوري ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية م (٢١) عام ١٩٦٧م ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٦٧م ، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م .

- عيد علي الحفاف (د.) ومحمد أحمد عقله المومنى (د.) دراسات فى التراث الجغرافى العربى الإسلامى ، ط. عمان ١٩٩٩م .

- الغزى ، نهر الذهب فى تاريخ حلب ، ط. حلب ١٩٤٢م.

- الفاخورى ، تاريخ الأدب العربى ، ط. بيروت ب-ت .

- فاروق عز الدين (د.) القدس تاريخياً وجغرافياً ، ط. القاهرة ١٩٨١م .

- فاروق عمر فوزى (د.) العباسيون الأوائل ١٣٢-٣٤٧هـ / ٧٤٩-٨٦١م الثورة - الدولة المعارضة ، ج ٢ ، ط. عمان ٢٠٠٣م.

- فاروق عمر فوزى (د.) ومحسن محمد حسين (د.) الوسيط فى تاريخ فلسطين فى العصر الاسلامى الوسيط ، ط. رام الله ١٩٩٨م

- فازيليف ، العرب والروم ت. محمد عبد الهادى شعيرة ، ط. القاهرة ب-ت .

- فاطمة الشناوى (د.) معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين فى بلاد الشام ومصر ١١٣٧-

١٢٩١م / ٥٣١-٦٩١هـ) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٧م.

- فاطمة مصطفى عامر (د.) تاريخ أهل الذمة فى مصر الاسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

- فايد حماد عاشور (د.) العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامى فى العصر الأيوبي، ط. الاسكندرية ١٩٨٠م .

- فردريك يو البراكين والزلازل ت. الدمرداش سرحان ، ط. القاهرة ١٩٧٩م .

- فرديناند بروديل تاريخ وقواعد الحضارات ت. حسين شريف ، ط. القاهرة ١٩٩٩م ، البحر المتوسط المجال والتاريخ ت. يوسف شلب الشام ، ط. حمص ٢٠٠١م .

- فايز نجيب إسكندر (د.) دراسة لاتفاقية تجارية بين إمبراطورية طرابيزون والبندقية سنة ١٣٦٤م ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م نيكتاس خونيّاتس واعترافه بتسامح المسلمين وبربرية الصليبيين قراءة نقدية لتجاوزات الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م / ٦٠٠هـ / ب-ت ، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. المنصورة ب-ت ، الفتوحات الإسلامية لأرمينية (١١-٤٠هـ / ٦٣٢-٦٦١م) ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م «متى الرهاوى والحملة الصليبية ١٠٩٢-١٠٩٩م / ٤٨٨-٤٩٢هـ» ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. المنصورة ب-ت ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة ملازكرد (١٠٧١-٤٦٣هـ) فى مصنف تقفور برنينيوس مقارنة للمصادر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م. أسرة برنينيوس ودورها فى التاريخ البيزنطى، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م. استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية آنى، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م ، مصر فى كتابات الحجاج الروس فى القرن الرابع عشر ، والخامس عشر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م. «بنيامين الأول البطريك الثامن والثلاثون بين نهاية العصر البيزنطى وبداية الفتح الإسلامى لمصر (٦٢٣-٦٦٢م) ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ج ١ ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م .

- فتحى عثمان (د.) الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى، ٣ أجزاء ، ط. القاهرة ١٩٦٦م .

- فتحية النبراوى (د.) «حياة الإمبراطور الكسيوس كومنين كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى القرن ١٢م» المجلة التاريخية المصرية م (٢٧) عام ١٩٨١م ، علم التاريخ دراسة فى مناهج البحث. ط. القاهرة ١٩٩٦م .

- فؤاد عبد المعطى الصياد (د.) المغول فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٨٠م .

- فوزى رضوان العربى (د.) «بيت المقدس تحليل تاريخى» ضمن الندوة الدولية القدس التاريخ والمستقبل تقديم أ.د. محمد رأفت محمود تحرير محمد إبراهيم منصور ، ط. أسبوط ١٩٩٧م.
- فوزى مكاوى (د.) تاريخ العالم الاغريقى وحضارته من أقدم عصوره حتى عام ٣٣٢ق.م ، ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- فلاديمير سينفرو ، حياة جنكيز خان الإدارية والسياسية والعسكرية ، ت. سعد بن حذيفه الغامدى ، ط. الرياض ١٩٨٣م.
- فيصل السامر (د.) ابن الأثير ، ط. بغداد ١٩٨٦م .
- فيليب حشى (د.) لبنان فى التاريخ ت. أنيس فريحه ونقولا زيادة ، ط. بيروت ١٩٥٩م.
- قاسم عبده قاسم (د.) أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٧٩م. «الشعر والتاريخ دراسة تطبيقية على شعر الحركة الصليبية ، المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٨) ، (٢٩) عام ١٩٨١-١٩٨٢م. «الدوافع الاجتماعية فى الحركة الصليبية» ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط م (٢) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، الخلفية الأيدولوجية للحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك ، ط. القاهرة ١٩٨٨م ، ماهية الحروب الصليبية ، الايديولوجية - الدوافع ، النتائج ، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٠م، عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسى والاجتماعى ، ط. القاهرة ١٩٩٤م. السلطان المظفر سيف الدين قطز بطل معركة عين جالوت ، ط. دمشق ١٩٩٨م.
- قتيبه الشهابى «صمود دمشق أمام الحملات الصليبية ، ط. دمشق ١٩٩٨م .
- قسطنطين زريق (د.) « ما ساهم به المؤرخون العرب فى المائة السنة الأخيرة فى دراسة التاريخ العربى عن فترة الحروب الصليبية» مجلة الأبحاث - الجامعة الأمريكية بيروت السنة (١٢) ، ج ٢ يونيو ١٩٥٩م ، «عبرة من عصر أبى الفداء» ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماء فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٣١م ، ط. دمشق - حماء ١٩٧٤م .

- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ت. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، ط. بيروت ١٩٩٨ م .
- كارولين جولر ، مستشرقو المدرسة الإيطالية ت. رانيا فرداحي، ط. دمشق ٢٠٠٥ م .
- كارين أرمسترونج ، الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم ، ت. سامي الكعكي ، ط. بيروت ٢٠٠٤ م .
- كامل عياد ، «المؤرخ أبو الفداء ومنزلته العلمية» ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماء فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٣١م ، ط. دمشق - حماء ١٩٧٤ م .
- كراتشكو فسكى ، تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ت. صلاح الدين هاشم، ط. القاهرة ١٩٥٧ م .
- كريستوفر دوسون تكوين أوربا ، ت. محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور ، ط. القاهرة ١٩٦٧ م .
- كمال أمين محمد حسب الله (د.) إمارة أنطاكية الصليبية (١٠٩٨ - ١٢٦٨م) رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٩٠ م .
- كمال الدسوقي (د.) تاريخ ألمانيا ، ط. القاهرة ١٩٦٩ م .
- كمال السيد أبو مصطفى (د.) دراسات أندلسية فى التاريخ والحضارة ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧ م .
- كويلاد وفينوجوادوف الإقطاع فى العصور الوسطى بغرب أوربا ، ت. محمد مصطفى زيادة ، ط. القاهرة ١٩٤٥ م .
- لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ت. بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ط. بغداد ١٩٥٤ م .
- لطفى عبد الوهاب (د.) «بعض المصادر البيزنطية لتاريخ سوريا فى العصر البيزنطى»، بحث ضمن أعمال المؤتمر الدول الرابع لتاريخ بلاد الشام م (١) تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور ، ط. عمان ١٩٨٦ م . «حولية ثيوفانىس مصدر بيزنطى عن بلاد الشام فى العصر الأموى» ، المؤتمر الدولى الرابع لتاريخ بلاد

الشام فى العصر الأموى، عمان ٢٤-٢٩ تشرين الأول عام ١٩٨٧م ، اليونان  
مقدمة فى التاريخ الحضارى ، ط . بيروت ١٩٩٦م .

- ليلى عبد الجواد (د.) السياسة الخارجية للإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية  
١٢٠٠ - ١٢٦١م، رسالة ماجستير غير منشور كلية الآداب - جامعة القاهرة  
عام ١٩٨٠م علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك البحرية ٦٥٩ - ٧٨٤  
هـ / ١٢٦١ - ١٢٨٢ م. مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ، العدد (٤٦) ،  
(٤٧) ، عام ١٩٨٦م. «القسطنطينية فى ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة  
المسلمين» مجلة المؤرخ المصرى، العدد (٣) (٤) ، ط. القاهرة ١٩٨٩م، تاريخ  
الروس من خلال المصادر العربية ، ط. القاهرة ١٩٩٠م. « حملات مانويل  
كومنين على المجر (١١٥١ - ١١٦٧م) فى ضوء كتابات حنا كيناموس » ،  
المجلة التاريخية المصرية العدد (٣٧) ، عام ١٩٩٠م «أضواء جديدة على  
تاريخ بلغاريا تحت الحكم البيزنطى ١٠١٨ - ١٠٩٧م» المؤرخ المصرى ، العدد  
(١٤) يناير ١٩٩٥م . «البابوية والامبراطورية البيزنطية ، ضمن كتاب  
دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) تكريماً  
للأستاذ الدكتور إسحق عبيد تحرير محمد مؤنس عوض ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.

- مأمون كيوان ، اليهود فى الشرق الأوسط الخروج الأخير من الجيتو الجديد ، ط. عمان  
١٩٩٦م .

- ماجدة حسن صدقى ، العلاقات البيزنطية التركية فى ضوء كتاب الكسياد ، رسالة  
ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٩م .

- ماثفرد لوركر معجم المعبودات فى مصر القديمة ت. صلاح الدين رمضان مراجعة الدكتور  
محمود ماهر ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

- مانويل جاسبارومير «رحيل أبى عبدالله مع أسرته وكبار أتباعه» ضمن كتاب فصول  
فى تاريخ الأندلس بداية النهاية ، ت. عبد الفتاح عوض ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

- مایسة محمود داود (د.) المسكوكات الفاطمية بمجموعة متحف الفن الاسلامى بالقاهرة  
دراسة أثرية وفنية ، ط. القاهرة ١٩٩١م .

- مايكل هارت ، المائة الأوائل ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سباتو ، ط. دمشق  
٢٠٠١م .



- مالكوم ليونز وجاكسون ، صلاح الدين ت. على ماضى ، مراجعة نقولا زيادة ، وفهوى مسعد ، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- مجدى غنيم ، الحرير ، ط. القاهرة ١٩٩٣م .
- مجموعة من الباحثين العرب والأوربيين، ابن عساكر فى ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته ٤٩٩ - ١٣٩٩هـ وزارة التعليم العالى السورية ، ط. دمشق ١٩٧٩م.
- مجموعة من المؤرخين الروس موجز تاريخ العالم ، ت. محمد عينانى ، ج ١ ، ق ١ ، ط. بيروت ١٩٨٩م.
- مجيد خورى ، الصلات الدبلوماسية بين الرشيد وشارلمان ، ط. بغداد ١٩٣٩م.
- محسن محمد حسين (د.) «مسئولية صلاح الدين فى فشل حصار صور» المجلة العربية للعلوم الإنسانية م (٧) ، العدد (٢٦) ، ط. الكويت ١٩٨٧م.
- محمد أحمد أبو الفضل (د.) «قضاة ثوار فى الأندلس» ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط ، م (٣) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٨٥م.
- محمد أسد الله صفا ، چنكيز خان ، ط. بيروت ١٤٠٨هـ .
- محمد التونجى (د.) بلاد الشام إبان الغزو المغولى ، ط. بيروت ١٩٩٨م .
- محمد الزحيلي (د.) الإمام الطبرى ، ط. دمشق ١٩٩٠م.
- محمد السيد الوكيل (د.) العصر الذهبى للدولة العباسية دراسة وصفية وتحليلية لتلك الدولة ، ط. دمشق ١٩٩٨م.
- محمد السيد محمد عبد الغنى (د.) لمحات من تاريخ مصر تحت حكم الرومان ، ط. الاسكندرية ١٩٩٩م .
- محمد الصابر ، عبادة مبيتراش فى روما رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩٦م.
- محمد الطالبى (د.) الدولة الأغلبية التاريخ السياسى ت. المنجى الصيادى ، ط. بيروت ١٩٨٥م.
- محمد الهمشوى والسيد أبو الفتوح وعلى إسماعيل موسى ، إنتشار الإسلام فى أوروبا

، ج ١ الرياض ١٩٩٧م.

- محمد بحر عبد المجيد (د.) اليهود في الأندلس ، ط. القاهرة ١٩٧٠م .
- محمد ثابت توفيق ، ذات الصواري ، ط. الرياض ٢٠٠١م .
- محمد جاسم حمادي المشهداني (د.) موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف ، ط. مكة المكرمة ١٩٨١م .
- محمد حرب (د.) العثمانيون في التاريخ والحضارة ، ط. دمشق ١٩٩٩م .
- محمد حرب فرزات (د.) «حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصين وبلاد الشام» . مجلة الدراسات التاريخية جامعة دمشق ، السنة (٢٢) العددان (٣٩) ، (٤٠) ، كانون الأول عام ١٩٩١م .
- محمد حسن العيدروس (د.) تاريخ العرب الحديث ، ط. القاهرة ٢٠٠١م .
- محمد حميد الله (د.) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط. بيروت ١٩٦٩م .
- محمد خالد المومني (د.) الفقهاء وثورة أهل الرض في الأندلس ( ٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢١م) رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - الجامعة الأردنية عمان، ١٩٩٥م .
- محمد دسوقي محمد حسن ، العلاقات السياسية الفرنسية والانجليزية وأثرها على الحروب الصليبية في المشرق والمغرب الإسلاميين ١١٣٧-١٢٢٣ / ٥٣١-٦٢٠هـ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية فرح دمنهور عام ٢٠٠٦م .
- محمد زايد عبدالله عيد ، العلاقات البيزنطية الألمانية ٩٦٢-١٠٥٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م .
- محمد زكي زنجيب (د.) علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عصر أسرة كومنين ١٠٨١-١١٨٥ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٨٥م .
- محمد سهيل طقوش (د.) تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا ومصر وبلاد الشام ، ط. بيروت ٢٠٠١م . تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، ط. بيروت ٢٠٠٢م . التاريخ الإسلامي الوجيز ، ط. بيروت ٢٠٠٢م .

- محمد شاكر محمود ، الجرمان ونظمهم وعلاقاتهم بالإمبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن الثالث الميلادى ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عا ١٩٩٣ م.
- محمد شفيق غربال (محرر) ، اموسوعة العربية الميسرة م (٢) ، ط. بيروت ١٩٩٥ م.
- محمد صالح منصور (د.) أثر العامل الدينى فى توجيه الحركة الصليبية ، منشورات جامعة قاربونس ، ط. بنى غازى ١٩٩٦ م.
- محمد صفى الدين (د.) جيمور فولوجية قشرة لأرض ، ط. بيروت ١٩٧١ م.
- محمد صلاح سالم (د.) القدس الحق التاريخ والمستقبل ، ط. القاهرة ٢٠٠٣ م.
- محمد طه جاسر (د.) تركيا ميدان الصراع بين الشرق والغرب ، ط. دمشق ٢٠٠٢ م.
- محمد عبد الحفيظ المناصير، الجيش فى العصر العباسى الأول ١٣٢هـ / ٢٣٢هـ ، ط. عمان ٢٠٠٠ م.
- محمد عبد الشافى المغربى (د.) آسيا الصغرى فى العصور الوسطى دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى القرن ١١ - ١٣ م ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٣ م. مملكة الحزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين فى العصور الوسطى ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٣ م. العصور الوسطى الأوربية رؤية فى المصادر والنصوص التاريخية وعمليات التعليق والترجمة ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤ م.
- محمد عبد العزيز عزيز (د.) «تخطيط الغرب لإعادة إقامة الكيان الصليبي بعد سنة ١٢٩١م» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران تحرير على أحمد السيد وابراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤ م.
- محمد عبد القادر أبو فارس (د.) دروس وتأملات فى الحروب الصليبية ، ط. عمان ٢٠٠٢ م.
- محمد عبد المنعم ، الاسكندرية المكتبة الاكاديمية فى العالم القديم ، ط. القاهرة ٢٠٠٠ م.
- محمد عبده حتامه (د.) «الاتفاقية السرية الملحقمة بمعاهدة تسليم غرناطة عرض وتحليل» ، ضمن كتاب بحوث ودراسات مهداه إلى عبد العزيز الدورى ، ط. عمان ١٩٩٥ م.

- محمد عثمان عبد الجليل (د.) ثورة توماس الصقلي في الامبراطورية البيزنطية ٨٢١-٨٢٣ هـ ٢٠٥/ -٢٠ هـ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة طنطا عام ١٩٩٢م ، « السامريون في فلسطين وعلاقاتهم بالدولة البيزنطية ٣٠٥ - ٦٣١ م ، المؤرخ المصري ، العدد (٢٨) يناير ٢٠٠٥ م.
- محمد علي القطب ، الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ ، ط. صيدا ٢٠٠٢ م .
- محمد علي المغربي ، الهزات الزلزالية ، ط. القاهرة ١٩٥٨ م.
- محمد فؤاد كوبريللي ، صيام الدولة العثمانية ت. أحمد السعيد سليمان ، ط. القاهرة ١٩٩٣ م .
- محمد فتحي الشاعر (د.) السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي عصر جستنيان ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب- جامعة الزقازيق عام ١٩٨٥ م.
- محمد فريد ، تاريخ الدولة العثمانية ، ط. بيروت ١٩٧٧ م.
- محمد كامل عياد (د.) تاريخ اليونان ج ١ ، ط. دمشق ١٩٩٣ م.
- محمد كرد علي ، خطط الشام ، ط. دمشق ١٩٥٦ م.
- محمد لقمان الأعظمي ، السيرة النبوية ، ط. جدة ب- ت .
- محمد مؤنس عوض (د.) « بيلوجرافية الحروب الصليبية- المراجع العربية والمعربة » ندوة التاريخ الاسلامي والوسيط . م (٣) عام ١٩٨٥ م ، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩- ١١٨٧ ميلادية ، ط. القاهرة ١٩٩١ م ، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٥ م ، وليم الصوري مؤرخًا للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية المرحلة من ١١٣٧- ١١٥٠ م ٥٣٢/ - ٥٤٥ هـ سلسلة دراسات شرق أوسطية ، مركز بحوث الشرق الأوسط - جامعة عين شمس عام ١٩٩٥ م ، الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ط. القاهرة ١٩٩٦ م. فصول بيلوغرافيا في تاريخ الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٦ م ، في الصراع الإسلامي الصليبي معركة أرسوف ١١٩١ م. ط. القاهرة ١٩٩٧ م. في الصراع الإسلامي الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١- ٥٦٩ هـ / ١١٤٦-

١١٧٤، ط. القاهرة ١٩٩٨م، الحروب الصليبية، دراسات تاريخية ونقدية، ط. رام الله ١٩٩٩م، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين ١٢، ١٣ ك / ٦، ٧ هـ، ط. القاهرة ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م، الاضطهاد الصليبي لليهود في حوض الراين عام ١٠٩٥م من خلال حولية الربى اليعازر بارناتان - مركز بحوث الشرق الأوسط - سلسلة دراسات شرق أوسطية عام ٢٠٠٠م، الحروب الصليبية السياسة، المياه، العقيدة، ط. القاهرة ٢٠٠١م، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى)، ط. القاهرة ٢٠٠٢م (تحرير)، إغارات أسراب الجراد وأثرها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ١١١٤-١١٥٩م / ٥٠٩ - ٥٥٤ هـ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، «أضواء على تاريخ موارثة لبنان عصر الحروب الصليبية ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، أبحاث مهداه إلى أ.د. قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين تحرير حاتم الطحاوى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م. «أضواء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية في القرنين ١٢-١٣م / ٦، ٧ هـ حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٣)، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، «الرحالة الأوربيون في العصور الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية في القرنين ٦، ٧ هـ / ١٢، ١٣ م، ط. را الله ٢٠٠٤م «فكرة الجهاد الإسلامى في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية» ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، مؤرخون مصريون رواد لمرحلة العصور الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات، ط. القاهرة ٢٠٠٦م «أ.د. حسن حبشى مؤرخ مصرى رائد للعصور الوسطى»، ضمن كتاب عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات، ط. القاهرة ٢٠٠٦م.

- محمد متولى (د.) وجه الأرض، ط. القاهرة ١٩٧٧م.

- محمد مجدى حسن عبد الفتاح، الحملة الصليبية الرابعة وسقوط اقسطنطينية ١٢٠٤م / ٦٠٠ هـ رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة المنيا عام ١٩٨٧م.

- محمد محمد مرسى الشيخ (د.) الممالك الجرمانية فى أوربا العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٧٥م. «سياسة الامبراطور البيزنطى ثيوفيلوس تجاه الخلافة

- العباسية مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية العدد (١٣) عام ١٩٧٩م. «الخزر وعلاقاتهم بالإمبراطورية البيزنطية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد (٤) ، عام ١٩٨٠م «الفتح النورمانى لإنجلترا - ملحمة فريدة فى تاريخ إنجلترا ونورمنديا فى العصور الوسطى» ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٤م.
- محمد مقيد آل ياسين (د.) الحياة الفكرية فى العراق فى القرن السابع الهجرى ، ط. بغداد ١٩٧٩م .
- محمد مصطفى زيادة (د.) مصر والحروب الصليبية ، رسائل الثقافة الحربية رقم (٢٩) ، منشورات وزارة الدفاع الوطنى ، ط. القاهرة ١٩٥٤م ، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة ، ط. القاهرة ١٩٦١م.
- محمد فريد الشواشى ، ألمع ساعات الحرج فى تاريخ الانسانية ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.
- محمد فتحى أمين (د.) الغزو المغولى لديار الاسلام ، ط. دمشق ٢٠٠٥م.
- محمد نصر مهنا (د.) الإسلام فى آسيا من الغزو المغولى دراسة فى تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م .
- محمود إسماعيل (د.) الأغالبة ١٨٤ - ٢٩٦هـ سياستهم الخارجية ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- محمود الحويرى (د.) العادل الأيوبي صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية ، ط. القاهرة ١٩٨٠م ، رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية ، ط. القاهرة ١٩٩٣م ، اللومبارديون فى التاريخ والحضارة ٥٦٨ - ٧٧٤م ، ط. القاهرة ١٩٨٦م . مصر فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٦م.
- محمود السيد (د.) تاريخ عرب الشام فى العصر المملوكى ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م ، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها ط . الاسكندرية ٢٠٠٠م، التتار والمغول ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، الفتوحات الإسلامية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، تاريخ الحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٢م .

- محمود المقداد (د.) تاريخ الدراسات العربية فى فرنسا ، سلسلة عالم المعرفة ، ط.  
الكويت ١٩٩٢م .

- محمود رزق محمود (د.) العلاقة بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي  
حتى معركة حطين ١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة  
عين شمس عام ١٩٧٣م .

- محمود سعيد عمران (د.) «معركة حارم ١١٦٤ م قصة التحالف البيزنطى الصليبي  
الأرميني ضد نور الدين محمود» المؤرخ العربى، العدد (٨) ، بغداد ١٩٧٧م.  
الحملة الصليبية الخامسة ، ط. الاسكندرية ١٩٧٨م «أركولف ورحلته إلى  
الشرق» ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط م(٣) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت  
عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٨٥م . نيقولا مستيكوس وعلاقة الامبراطورية  
البيزنطية بالقوى الإسلامى من خلال مراسلاته ، ط. بيروت ب-ت . السياسة  
الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد مانويل كومنين ، ط. الاسكندرية  
١٩٨٥م «شارل كونت أنجوين القسطنطينية وتونس والقدس» ندوة بلاد  
المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى/ التاسع  
الهجرى» القاهرة ٢٥-٢٦ نوفمبر ١٩٩٧م ، مملكة الوندال فى شمال أفريقيا ،  
ط. الاسكندرية ١٩٨٥م، «تحصينات مدينة القسطنطينية فى مواجهة الغزوات  
الخارجية بحيث ألقى فى ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحر - إتحاد المؤرخين  
العرب ، ط . القاهرة ٨٠٦ نوفمبر ١٩٩٣م . معالم تاريخ أوروبا فى العصور  
الوسطى ، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية  
مدخل إلى التاريخ السياسى الحربى ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م ، تاريخ الحروب  
الصليبية ١٠٩٥- ١٢٩٢ ، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م . الامبراطورية البيزنطية  
وحضارتها ط . بيروت ٢٠٠٢م.

- محمود شاكر ، موسوعة تاريخ اليهود ، ط. عمان ٢٠٠٢م .

- محمود محمد الروبضى «قرارات البابوية وتأثيرها على بلاد الشام ومصر زمن الحروب  
الصليبية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة المنيا العدد (٤١)  
يوليو ٢٠٠١م . إمارة الرها الصليبية ، جامعة مؤته ٢٠٠٢م.

- مرمرجى الدومنيكى ، بلدانية فلسطين العربية منشورات المجمع الثقافى ، ط. أبوظبى  
١٩٩٧م.



- مصطفى الحاج ابراهيم «الآفاق الجغرافية عند أبي الفداء وكتابه تقويم البلدان» ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماء فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣ - ١٣٣١ م ، ط. دمشق - حماء ١٩٧٤ م .
- مصطفى الحيارى (د.) ، القدس زمن الفاطميين والفرنجية ، ط. عمان ١٩٩٤ م ، صلاح الدين القائد وعصره . ط. بيروت ١٩٩٤ م .
- مصطفى الشكعة (د.) سيف الدولة الحمدانى مملكة السيف ودولة الأقاليم ، ط. القاهرة ٢٠٠٠ م .
- مصطفى الكنانى (د.) العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامى ١١٧١ - ١٢٩١ م / ٥٦٧ - ٦٩٠ هـ . ط. الاسكندرية ١٩٨١ م . حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ١٢٧٠ م / ٦٦٨ - ٦٦٩ هـ ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥ م .
- مصطفى طه بدر (د.) محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول ، ط. القاهرة ١٩٩٩ م .
- مفيد رائف محمود العابد (د.) معالم تاريخ الولة الساسانية عصر الأكاسرة ٢٢٦ - ٦٥١ م ط . دمشق ١٩٩٩ م .
- مفيد الزيدى (د.) موسوعة الحروب الصليبية ، ط. عمان ٢٠٠٤ م .
- ممدوح الزوى ، الموسوعة العربية الميسرة ، الأديان - المذاهب المعتقدات المصطلحات الدينية . ط. دمشق ب-ت .
- ممدوح درويش مصطفى (د.) التاريخ الرومانى من أقدم العصور حتى بداية العصر الامبراطورى ، ط. الرياض ٢٠٠٤ م .
- ممدوح مغازى ، الحياة السياسية وبعض مظاهر الحضارة فى إمارة المورة الصليبية فى عهد أسرة فيلهاردوين ١٢٠٥ - ١٣١٠ م رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة طنطا عام ٢٠٠٠ م .
- ممدوحة محمد سلامة (د.) الكارزمية - القدرة على التأثير على الآخرين « مجلة علم النفس العدد (١٤) ، أبريل مايو - يونيو ١٩٩٠ م .
- منى البرى العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين فى صقلية وجنوبى إيطاليا زمن الأسرة المقدونية ٢٧٣ - ٤٣٢ هـ / ٨٨٦ - ١٠٤٠ م) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩٦ م .

- منى حسن محمود (د.) المسلمون فى الأندلس وعلاقاتهم بالفرنجة ٩٢-٢٠٦هـ / ٧١٤-٨١٥م . ط. القاهرة ١٩٨٦م.
- منى حماد (د.) «وليم الصورى والصراع الفرنجى الإسلامى ١٠٩٩-١١٨٤م» ضمن كتاب أبحاث ودراسات فى التاريخ العربى مهداة إلى ذكرى مصطفى الحيارى تحرير صالح الحمارنة - الجامعة الأردنية، عمان ٢٠٠١م.
- منى محمد بدر محمد (د.) أثر الحضارة السلجوقية فى دول شرق العالم الإسلامى على الحضارتين الأيوبية والمملوكية ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.
- موريس كين ، حضارة أوربا العصور الوسطى ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- موريس لومبار ، الإسلام فى مجده الأول ت. إسماعيل العربى ، ط. الدار البيضاء ١٩٩٠م.
- موسى ميلاد العصور الوسطى ت. عبد العزيز توفيق جاويد ومراجعة السيد الباز العرينى ط. القاهرة ١٩٦٧م. ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- مونتجومرى (الفيلد مارشال) ، الحرب عبر التاريخ ت. عبد المنعم النمر ، ط. القاهرة ١٩٧١م.
- مونتجومرى وات، فى تاريخ أسبانيا الإسلامية (مع فصل فى الأدب بقلم ببيركاكيا) ت. محمد رضا المصرى ، ط. بيروت ١٩٩٤م.
- ميخائيل اسكندر ، القدس عبر التاريخ ، ط. القاهرة ١٩٧٢م .
- ميخائيل زابوروف ، الصليبيون فى الشرق ت. إلياس شاهين ، ط. موسكو ١٩٨٦م.
- مى علوش ، أشهر حصارات المدن فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٩٤م.
- ميشيل جحا ، (د.) الدراسات العربية والإسلامية فى أوروبا ، ط. بيروت ١٩٨٢م.
- ميشيل جرجس ، الكنيسة المصرية ، ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- ميشيل مان موسوعة العلوم الاجتماعية ت. عادل مختار الهوارى وسعيد عبد العزيز مصلوح ، ط. الكويت ١٩٩٤م.
- ميكيلى أمارى ، تاريخ مسلمى صقلية ، ط. ت. محب سعد ابراهيم وسوزان اسكندر، ط. فلورنسا ٢٠٠٣م.

- ميلاد المقرحى (د.) تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨م ، منشورات جامعة قاريونس، ط. بنى غازى ١٩٩٦م .
- نادية حسن صقر (د.) السلم فى العلاقات العباسية البيزنطية فى العصر العباسى الأول دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٥م .
- ناصر عبد الحميد زيدان : الدولة البيزنطية فى عهد الامبراطور جستين الثانى وتيبريوس ٥٦٥-٥٨٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م.
- ناهد عمر صالح (د.) السياسة الخارجية للدولة البيزنطية فى عهد الامبراطور أندرونيكوس الثانى باليولوغوس (١٢٨٢-١٣٢٨م) . رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٩٩م ، «الاتحاد الكنسى فى عهد الامبراطور يوحنا الخامس باليولوغوس (١٣٥٤-١٣٧٦م» مجلة المؤرخ المصرى، العدد (٢٨) يناير ٢٠٠٥م .
- نبيل عبد الحميد رضوان (د.) جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده فى مطلع العصر الحديث ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٨م .
- نبيل لوقا بباوى (د.) إنتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م .
- نبيلة ابراهيم (د.) ، سيرة الأميرة ذات الهمة دراسة مقارنة ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- نبيلة ابراهيم مقامى (د.) العلاقات بين الدولة البيزنطية والنورمان فى جنوب إيطاليا وصقلية ١٠٢٥-١١٩٧م ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٩م .
- نبيلة عاقل (د.) الإمبراطورية البيزنطية ، ط. دمشق ١٩٦٩م. تاريخ خلافة بنى أمية ، ط. دمشق ١٩٧٥م.
- نجلاء حسين توفيق ، سياسة الدولة العثمانية فى البلقان تجاه الصرب ١٣٢٦-١٤٥٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة أسيوط عام ٢٠٠١م.
- نجيب العقيقى (د.) المستشرقون ، ج ١، ط. القاهرة ١٩٨٠م. الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي ، ط. القاهرة ١٩٦١م . تاريخ إنجلترا وحضارتها فى العصور القديمة والوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٨م .

- نعمان محمود جبران (د.) «محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير أسباب ونتائج»  
مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، السنة (١٢)، العددان (٣٩)، (٤٠)،  
كانون الأول عام ١٩٩١م.

نعم شقير (بك) تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام  
والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجارية والحربية وغيرها عن  
طريق سينا من أول عهد التاريخ إلى اليوم.

- نعيم زكي فهمي (د.) العلاقة بين إمارة أنطاكية الصليبية والدولة البيزنطية في عهد  
الحملة الصليبية الأولى، ط. القاهرة ١٩٦٨م.

- نعيم فرح (د.) «ثلاثة مصادر تلقى بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاقتصادية  
في بلاد الشام في العهد البيزنطي» الندوة الأولى من أعمال المؤتمر الدولي  
الرابع لتاريخ بلاد الشام، تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور، ط.  
عمّان ١٩٨٦م. تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ط. دمشق  
١٩٩٥م. الحضارة البيزنطية، ط. دمشق ٢٠٠٣م، تاريخ بيزنطة السياسي،  
ط. دمشق ٢٠٠٤م.

- نعيمة إبراهيم (د.) اسيا الصغرى والحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي  
رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب، جامعة القاهرة عام ٢٠٠١م.

- نقولا زيادة (د.) «سوريا زمن الصليبيين المقتطف عدد يوليو ١٩٣٥م. رواد الشرق  
العربي في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٦م، ط. بيروت ١٩٨٦م،  
الجغرافيون والرحلات عند العرب، ط. بيروت ١٩٨٢م.

- نور الدين حاطوم (د.) المدخل إلى التاريخ، ط. دمشق ١٩٦٥م. تاريخ العصر الوسيط  
في أوروبا ج ١، ط. دمشق ١٩٨٢م.

- نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية ت. حسين مؤنس ومحمود زايد ط. القاهرة  
١٩٥٧م.

- نورمان كانتور التاريخ الوسيط ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ١٩٩٧م.

- واشنطن إيفرنج، أخبار سقوط غرناطة ت. هاني يحيى نصرى، ط. بيروت ٢٠٠٠م.

- وديع فتحي (د.) العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي

(٧٤١-٨٢٠ م / ١٢٤-٢٠٥ هـ) ط. الاسكندرية ١٩٩٠م. بيزنطة ومسلمو جنوب إيطاليا وصقلية في عهد باسيل الأول المقدوني (٨٦٧-٨٨٦ م / ٢٥٣-٢٧٣ هـ) ، ط. الاسكندرية ١٩٩٣م ، العلاقة بين الدولة والكنيسة في عصور نقفور الأول (٨٠٢-٨١١ م) ، مجلة المؤرخ المصري العدد (٢٨) عام ٢٠٠٥م.

- وسام عبد العزيز فرج (د) العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي ، ط. الاسكندرية ١٩٨١م . «الإمبراطور باسيل الثاني (سفاح البلغار) ٩٧٦-١٠٢٥ العوامل التي أثرت على السياسة في عصره ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط ، ط. القاهرة ١٩٨٢م. «قوانين الملكية الزراعية في الامبراطورية البيزنطية دراسة تحليلية ندوة التاريخ الاسلامي والوسيط، م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م. دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية من ٣٢٤-١٠٢٥ م ، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م ، الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس ٨٨٦-٩١٢ ، ط. الاسكندرية ١٩٩١م . «السلاف الصقالبة في شبه جزيرة البلقان وجهود الامبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها (٥٩١-١٠١٨م) ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والاداري ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م. «التجارة في العصر البيزنطي الأوسط (من القرن السابع وحتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

- وفاء عبدالله المزروع (د.) جهاد المسلمين خلف جبال البرنات من القرن الأولى إلى القرن الخامس الهجري ط . القاهرة ب-ت .

- وفاء محمد ، الامبراطور موريس ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس .

- ول ديورانت ، قصة الحضارة ج١٤ ، ت. محمد بدران ، ط. القاهرة ١٩٧٥م .

- وليم سليمان قاده (د.) «العلاقات الإسلامية المسيحية في الواقع المصري ، المفهوم الأساسي الماصي والحاضر والمستقبل» ضمن كتاب العلاقات الإسلامية - المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، ط. بيروت ١٩٩٤م .

- وولتر فيشيل ، يهود فى الحياة الاقتصادية والسياسية للدولة الاسلامية ، العباسية - الفاطمية الالخانية، ت. سهيل زكار ط. دمشق ٢٠٠٥ م .
- هبة الزحيلى (د.) الإسلام وغير المسلمين ، ط. دمشق ١٩٩٨ م.
- هارتمان وباراكلاف ، الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى ت. جوزيف نسيم يوسف، ط. الاسكندرية ١٩٧٠ م، ط. الاسكندرية ١٩٨٤ م.
- هارفى بوتر ، موسوعة مختصر التاريخ القديم ، ط. القاهرة ١٩٩١ م.
- هارولد ايدرس بل مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، ت. عبد اللطيف أحمد على ومحمود عواد حسن ، ط. القاهرة ١٩٥٤ م .
- هارولد لامب ، جنكيز خان وجحافل المغول ، ت. متري أمين، ط . القاهرة ١٩٦٢ م .
- هارى ألز بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ج ١ ت. محمد عبد الرحمن برج ، ط. القاهرة ١٩٨٤ م .
- هاملتون جب «تاريخ دمشق» ، ضمن كتاب صلاح الدين الأيوبي» ، دراسات فى التاريخ الاسلامى ، ت. يوسف أبيش ، ط. بيروت ١٩٧٣ م.
- هانى عبد الهادى البشير (د.) العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية ودولة البلغار الأولى ٦٨١ - ١٠٨١ م، رسالة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٩ م. «البياصة فى آسيا الصغرى فى ضوء مصنف بطرس الصقلى» المؤرخ المصرى، العدد (٢٤) يناير ٢٠٠١ م. «نقفور بطريك القسطنطينية (٨٠٣-٨١٥ م) ، ومؤلفه التاريخ المختصر ، المؤرخ المصرى، العدد (٢٦) يناير ٢٠٠٣ م.
- هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ، ط. ت أحمد محمد رضا، ط . القاهرة ١٩٨٥ م.
- هيرت فشر ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ت. محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العرينى ، ط. القاهرة ١٩٥٧ م.
- هسى ، العالم البيزنطى ت. وأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٩٧ م .
- هنادى السيد محمود ، مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد بلدوين الأول ٤٩٤ -

٥٢ / ١١٠٠ - ١١١٨ م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦ م.

- هناء بركات ، التاريخ السياسى لإمبراطورية طرابيزون البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادى حتى سقوطها ١٤٦١ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٨ م.

- هنرى كتن ، القدس الشريف ت. نور الدين كنانه ، ط. عمان ١٩٨٩ م.

- ياسر عبد المعبود ، جامعة باريس ودورها فى النهضة الفكرية فى العصر الوسيط ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ م.

- ياسين التكريتى ، الأيوبيون فى شمال الشام والجزيرة رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة عام ١٩٨١ م.

- يسرى الجوهري (د.) جغرافية البحر المتوسط ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤ م.

- يحيى أحمد عبد الهادى (د.) أهل الذمة فى العراق فى العصر العباسى الأول الفترة السلجوقية نموذجاً ٤٤٧ - ٥٩٠ هـ / ١٠٥٥ - ١١٩٤ م ، ط. إربد ٢٠٠٤ م.

- يورى ميخايلوفتش كويسانوف، الشمال الشرقى الأفريقى فى العصور الوسطى المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع ، ت. صلاح الدين عثمان هاشم ، ط. عمان ١٩٨٨ م.

- يوسف أحمد ياسين (د.) بلدان الأندلس فى أعمال ياقوت الحموى الجغرافية (٥٧١ - ٦٢٦ هـ / ١١٧٨ - ١٢٢٦ م) مركز زايد للتراث ، ط. أبوظبى ٢٠٠٤ م.

- يوسف العشى، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ط. دمشق ١٩٩٨ م.

- يوسف بغدادى، «الرها» مجلة المشرق ، السنة (٨) العدد (٤) ، عام ١٩٠٥ م.

- يوسف بن أحمد حواله ، بنو عباد فى أشبيلية ٤١٤ - ٤٨٤ هـ / ١٠٢٣ - ١٠٩١ م دراسة سياسية وحضارية ، ط. جدة ١٩٨٩ م.

- يوسف درويش غوانمه (د.) إمارة الكرك الأيوبية ، ط. عمان ١٩٨٢ م ، معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج ، ط. عمان ١٩٩٥ م.



- يوشع براور ، عالم الصليبيين ت. قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن ، ط. القاهرة ١٩٨١م.
- يوغوليو بسكي «رحلة السائح الروسى دانيال إلى الأراضى المقدسة فى أول عهد الصليبيين مجلة المشرق ، العدد (٩) السنة (٢٤) ، عام ١٩٢٦م.
- يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والاستشراق فى أوربا حتى بداية القرن العشرين ت . عمر لطفى العالم ، ط. بيروت ٢٠٠م.
- يوهان هوينجها ، إضمحلال العصر الوسطى. عبد العزيز توفيق جاويد ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

### خامسًا : المراجع الأجنبية

- Adams (G.B.) , The History of Engand from the Norman Conquest to the death of John (1066-1216), London 1905 .
- Adelson (H.L.), Medieval Commerce, New York 1962 .
- Allen, "The Justinian Plague", B., 49, 1979 .
- Amelineau (E.), " La Conquete de L'Egypte par les Arabes ", R.H.I. vol CXIX , 1915 .
- Anastos (M.V.), " Dumbarton Oaks and Byzantine Studies: a personal account ", in Laion and Magnice (eds.), Byzantium Aworld Civilization , Washington 1992 .
- Angold (M.) , Byzantium The Bridge from Antiquity to the Middle Ages, London 2001 .
- Arnold (T.), The Spread of Islam in The World , A History of Peaceful Spreading , India 2001 .
- Asbrighe (T.), The First Crusade , New History , The Roots of Conflict between Christianity and Islam, Oxford 2004 .
- Asimov (I), Constantinople the Forgotten Empire , Boston 1970 .
- Aṭiya (A.S.) The Crusade of Nicopolis , London 1934 , The Crusade, Historigruphy and Bibliography , London 1962 .
- ATtwater (D.) The Penguin dictionary of Saints, London 1977 .
- Awad (M.M.) " Highlights on the Medical Contribution of Musa Ibn Maimun (1135-1204 A.P.525- 602 A.H.) during the Ayyubide Rule in Egypt ", M. E. R. J., vol 12, March 2003 .
- Babinger (F.), Mehmet der Eroberer und Seine Zeit, Munich 1953 .
- Baldwin (M.) " Mission To the East in the Thirteenth and Foureenth centuries", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol . V, Philadelohia 1985 ., " The latin States under Baldwin III and Amalric I 1143-1174", in Setton (ed.), A History of the Crusades , vol II Pennsylvania 1958 .

- Barisic (F.) (ed.) *Melanges Georges Ostrogorsky* , Beograd 1963 .
- Barker (ed. (ed.) , *Relations between East and west in the Middle Ages* Edinburgh 1973 .
- Barker (E.), *The Crusades*, London 1949 .
- Barker (J.) *Justinian and the Later Roman Empire* , Wisconsin 1966 . *Manuel II Paleologns (1391- 1425) A study in later Byzantine Statesmanship* , New Brunswick 1969 .
- Barth (H.), *Constantinople*, Paris 1906 .
- Bartlett (W.B), *An ungodly war The Sack of Constantinople and the Fourth Crusade*, Gloucestershire 2000 .
- Baynes (N.) "The death of Julian the Apostate in a christian legend , in *Byzantine Studies and other Essayes*, connecticut 1974.
- Bynes (N.) and Moss (L.B.) (eds.) *Byzantium* , Oxford 1948 .
- Beatan (R.) and Ricks (D.) (eds.) , *Digenes Akrites, New approaches to Byzantine Heroic Poetry* , Lodon 1993 .
- Becher (M.), *Charlemagne* , Trans. by David S. Bachrach, London 03 .
- Beer (J.M.), *Villehardouin : Epic Historian*, Geneva 1968 .
- Berry (V.G.), " The Second Crusade , in Setton (ed.) , *A History of the Crusades*, vol . I , Pennsylvania 1950.
- Binns (L.E.) , *Innocent III* , London 1931 .
- Bosworth (C.E.) , " The Byzantine Defence System in Asia Minor and the First Arab incursions" , *Proceedings of The Second Symposium on the History of Bilad al- Sham during the early Islamic Period up to 40 A.H., A.D. 640 , the Fourth international Conference on the History of Blad al- Sham ed. by M.A . Bakhit , vol . I , French and English Papers*, Amman 1987 . , " *Byzantium and the Syrian Frontier in the Early Abbasid Perios (132-A.L/ 750-45), A.H. / A. D 1059)*, *Proceedings of the Fifth international*

conference on the History of Bilad al- Sham , ed. M.A . Bakhit (English and French Section ) , Amman 1991 . “ Byzantium and the Arabs War and Peace between Two World Civilizations “ J.O. A.S., 3-4 , Athens, 1991-1992 .

- Bowersock (G.W.) , Julian the Apostate, London 1978 .
- Brand (C.M.), “ Byzantium and Saladin 1185-1192 , Opponents The Third Crusade”, S. vol . XXXVII, 1962 , Byzantium confront the west 1180-1204 , Cambridge 1968 .
- Brehier (L.), La Schism Orientale du XI Siecle, Paris 1899 , L'Eglise et L'Orient au Moyen age , Paris 1928 ., Vie et Mort de Byzance, Paris 1946 .
- Brice (W.C) , ” The Turkish Colonization of Anatolia , B.J.R.L., vol XXXVIII, 1955 .
- Bridge (R.) , “ The History “, in Daniel (G.) (ed.), The Byzantines, London 1962 .
- Brook, A History of Europe 911 to 1198, London 1938 .
- Brooks (E.W.), “ The Campaign of 717-718 from Arabic Sources”, J.H.S., vol . XIV, 1899 ., “ Byzantium and Arabs in the time of the Early Abbasids”, E.H.R., vol . XV , 1900 . “ Arabic lists of the Byzantine, Themes”, J.H.S., vol XXI, 1901 . , “ The Arab Occupation of Crete”, E.H.R., vol . XXVIII, 1913 .
- Brown (H.F.) The Venetians and Venetian quarter in Constantinople to Close of the Twelfth Century “, J.H.S., vol . XL , 1920 .
- Browning (R.), The Emperor Julian , London 1975 . History of the Byzantine Empire , New York 1980, Justinian and Theodora, London 1987 .
- Brubacker (L.), Haldon (J.) Byzantium in the Iconoclast Era (Ca 680-850): The Sources , An annotated Survey , B.B.O.M., Birmingham 2001.

- Brundage (J.) (ed.), The Crusades, motives and achievements , Boston 1964 , “ Holy war and The Medieval Lawyers”, in The Crusades motives and achievements , Boston 1964 .
- Bryer (A.) and Herrin (J.), (eds.), Iconoclasm , Birmingham 1971 .
- Buekler (G.), Anna Comnena, London 1929 ., Harunl Rashid and Charles The Great , Massachusetts 1931 .
- Bury (J.B.), A History of the Eastern Roman Empire, London 1952 ., “ The treatise De Administrando Imperio”, B.Z., vol. XV, 1906 .
- Byrne (E.), “ Genoese Trade with Syria in the Twelfth century “, A.H.R., vol . XXV, 1919 .
- Cahen (C.), “ La Campagne de Mantzikert d’apres les Sources musulmans”, B., T IX , 1934 , La Syrie du nord a l’epoque des Croisades , Paris 1940 ., “ The Turkish Invasion “ Setton (ed.), A History of the Crusades , vol . I , Pennsylvania 1952, Pre- Ottoman Turkey , a general Survey of the material and Spiritual culture 1071-1330, Trans. by J.J. Jones, New York 1968 .
- Cameron (A.), Procopius and The Sixth century , Oxford 1989 , Los Angeles 1985 .
- Canard (M.) , Sayf al Daula, Alger 1934 ., Histoire de la dynastie des Hamdanides de Juzira et de Syrie , T.I , Paris 1953 ., “ La Guerre Sainte dans le monde Islamique et dans le monde Chretien “, R. Af., T. LXXIX , Année 1956, “ La destruction de l’eglise de la resurrection par le Calife Hakim et L’Histoire de la descente du feu Sacre “, B. XXXV, Année 1965 .
- Cantor (N.), Medieval History , The life and death of Civilization, New York 1969 .
- Carr (A.), Hill (B.) , Brand (C.) Peterson (T.) and Takacks (S.) (eds.) Komnenian Culture, Papers From the Session at the 20 th Annual

Byzantine Studies conference , Ann Arbor , Michigan, on 21 September 1994 (B.F. vol. XXIII, 1996).

- Chalandon (F.) , Les Comnènes, Jean II et Manuel I Comnène, Paris 1912
- Chapman (C.) Michael Paleologue restaurateur de L'Empire Byzantine (1261-1782) , Paris 1926 .
- Charanis (P.), " The Byzantine Empire in the eleventh Century", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol . I, Pennsylvania 1958 .
- Cheira (M.A.), la lutte entre les Arabes et Byzantines : La Conquete et L'Organisation des Frontieres aux VII et VIII Siecles, Alexandrie 1947 .
- Chibnall (M.), The Normans , Massachosetts 2000 .
- Ciggaar (K.) , Western Travellers to Constantinople, The West and Byzantium 962-1204 , Cultural and Political Relations , Leiden 1996 .
- Clot (A.), Mehmed II le Conquerant de Byzance (1432-1481), Paris 1990.
- Colomans (C.B.), Constantine The Great and Christianity , New York 1914 .
- Colish (M.L.), Medieval Foundations of the Western intellectual Tradition 400-1400, London 1998 .
- Collins (R.), " Visigothic Spain , 409-711, " in Carr (D.) (ed.) Spain A History , Oxford 200 .
- Conrag (L.), The Plague in Early Medieval Near East , Unpublished . D. diss in Near Eastern Studies , Princeton university 1981 .
- Constantinides (C.C.), " Byzantine Scholars and the Union of Lyons 1274", in Beaton (R.) and Roneche (C.) , (ed.) the Making of Byzantine History , Studies dedicated to Donald M. Nicol, centre for Hellenic King's College, London 1993 .

- Coulbora (ed.) , Feudalism in History Princeton 1950 .
- Cowdrey (H.E.), "Pope Urban II and the Idea of Crusade", S.M. 36, 1995.,  
" Pope Gregory VII and the Bearing of Arms" in kedar , Riley -  
Smith and Hierstand (eds.) Montjoie : Studies in Crusade His-  
tory in Honour of Hans Eberhard Mayer, Aldershot 1997 ., " "  
The Carthusians and their Contemporary World : The Evidence  
of Twelfth- Century Bishops, Vitae ," in The Crusades and latin  
Monasticism, 11 th - 12 th centuries, Great Yarmouth 1999 .
- Crampton (R.J.), A concise History of Bulgaria, Cambridge 1997 .
- Dargon (G.), Emperor and Priest , The imperial office in Byzantium,  
Trans. by J. birrell, Cambridge 2003 .
- Dastrup (J.), " Manuel's Coup against Genoa and Venice in the light of  
Venice Commercial Policy ", C.M.T.X, 1949 .
- Davis (e.) " William of Tyre", in Barker (ed.) , Relations between East and  
West in the Middle Ages, Edinburgh 1973 .
- Diehl (C.) , " Etude Byzantines, Introduction a' L'Histoire de Byzance ,  
Paris 1905 , History of the Byzantine Empire, Trans. by George  
B. Ives, Princeton 1925 .
- Byzantium, Greatness and decline , Trans. by Naomi Walford , New Jerisy  
1957 .
- Theodora "Empress of Byzantium, Trans. by Samuel R. Rosenbaum, New  
York 1972.
- Dols (M.W.) The Black Death in The Middle East , Princeton 1977.
- Doney (D.) , Earthquakes at Constantinople and vicinity (324-1453), S.,  
vol XXX, 1955 .
- Dowins (N.), Basic Documents in Medieval History , New Jerisy 1959 .
- Doyle (W.), Origins of The french Revolution , Oxford 1999 .
- Dvornik (F.), The Photian Schism History and Legend, Cambridge 1948 .
- Ebeid (E.), " Was Pope Innocent III an accomplice in the diversion of the  
Fourth Crusade 1204", E.H.R. vol XV, 1969 .



- Edbury (P.) , The Kingdom of Cyprus and the Crusades 1191-1374 , Cambridge 1981 . “ William of Tyre , A Historian of the Crusades and The Kingdom of Jerusalem ( 1130-1148) “, B.F.A.A.U., 1988 .
- Edbury (P.) and Rowe, William of Tyre Historian of the latin East , Cambridge 1988 .
- El - Azhari (T.K.), The Saljuqs of Syria during the Crusades 463-549 A.H. / 1070-1154 A.D, Berlin 1997 .
- Emereau (C.) , “ les Origins et la Formation de Constantinople” R.A., T.XXXI, 1925 .
- Enan (M.A.), Decisive moments in the History of Islam, New Delhi 2001 .
- Evans (G.R.), Bernard of Clairvaux, New York 2000 .
- Evans (J.A.S.) , Procopius , New York 1972 , The Nika Rebellion and the Empress Theodora”, B. LIV, 1984 ., The Age of Justinian, The Circumstances of imperial Power, London 1996 , The Empress Theodora Partner of Justinian, Texas 2002 .
- Fahmy (A.M.), Muslim Sea - Power in the Eastern Mediterranean from the Seventh to the Tenth century A.D., Cairo 1966 .
- Farag (W.A.), Byzantium and its Muslim Neighbours during the reign of Basil II, 976- 1025, ph . D., University of Birmingham 1979 ., “
- Finly (G.) , History of Greece vol . III, Oxford 1877 .
- Fouracre (D.), The Age of Charles Martel, Essex 2000.
- France (J.) , Victory in the East, A Military History of the First Crusade Cambridge 1996 .
- Freedman (Ch.) , The Greek Achievement , the Foundation of the Western World, New York 1999 .
- Friedley (F.A.,) Julian The Apostate and the Rise of Christianity, London 1937 .
- Friedman (Y.) Encounter between enemies in Captivity and Ransom in the Latin kingdom of Jerusalem, leiden 2002 .

- Friendly (A.) the Dreadful ful Day : The Battle of Manzikert 1071 , London 1981 .
- Fuller (J.F.), Decisive battles of Western Europe and their influnces upom history , London 1954 .
- Gadolin (A.R.), “ Alexios I Comnenus and the Venetians Trade Privileges: A New interpertation” B., 50, 1980 .
- Gardiner (L.), Byzantine Emperors , Woman and Power in Byzantium A.D. 527-1204 , London 1999 .
- Geanokoples (G.J.), Emperor Michael Paleologus 1282-1298, Cambridge , 1959 .
- Gero (S.) , Byznatine Iconoclam during the Reign of Leo III with Particular attention to the Oriental Sources , Louvain 1999 .
- Gibb (H.), “ Zengi and the Fall of Edessa”, in Setton (ed.), A History of the Crusades , vol .I , Pennsylvania 1952 .
- Gibbon (E.), The decline and Fall of the Roman Empire , vol III, New York 1995 .
- Gibbons (G.A.), The Foundations of The Ottoman Empire, Oxford 1916 .
- Gill (J.) The Council of Florence , Cambridge 1959 ., “ Greek and Latin in acomnon council, The Council of Florence ( 1438-1439), O. chr. P. vol XXV, 1959 .
- Goodwin (G.) , A History of the Ottoman Architecture, Oxford 1997 .
- Graber (A.), “ Byzantine Architecture and Art “, C.M.H., vol. IV Cambridge 1967 .
- Grant (R.M.), Eusebius as Church Historian, Oxford 1980 .
- Goitein (S.), “ Contemporary letters on the Caprue of Jerusalem by The Crusaders “, J.J.S., vol X, 1952 . , “ Saladin and the Jews”, H. U.C.A., vol XXVII , 1956 .
- Gregoire (H.), Le Communique arabe sur la prise de Thessalonique 904”, B. 22, 1952 .

- Grousset (R.), *Histoire d'Asie , le monde Mongol*, Paris 1922 :
- Hagenmeyer (H.) , *Peter der Ermite*, Leipzig 1879 , “ Chronologie de la Premiere Croisade”, R.O.L. , T. VII, Année 1899 .
- Halden (J.F.), *Byzantium in the Seventh Century , The Transformation of aculture*, Cambridge, 1997, “Blood and Ink : Some Observations on Byzantine attitudes Toward Warfare and diplomacy “, in Shepard (J.) , and Franklin (S.), (eds.), *Byzantine Diplomacy , Papers from The Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine studies*, The Promotion of Byzantine Studies, Hampshire 2003 .
- Halecki (O.), *The Crusade of Varna*, New York 1943 .
- Hamilton (B.) , “ The Elephant of Christ : Regnald of Chatillon” in *Monastic Reform , Catharism and the Crusades, 900-1300*, London 1979 , “Manuel I Comnenus and Baldwin IV of Jerusalem” in J. Chrysostomides (ed.), *Katheyetria, Essays Presented to Jean Hussey for her 80 th birthday* , Cambridge 1988 , “ The Cathars and the Seven Churchs of Asia”, in J. Howard Johnstone (ed.) *Amsterdam 1988* , “ Wisdom from the East: The Reception among the Cathars of Eastern Dualist Texts, in Biller (P.) and A. Hudson (eds.) , *Heresy and literacy , 1000-1530*, Cambridge 1994 .
- Harris (J.) *Byzantium and the Crusades*, London 2003 .
- Havighurst (A.), *The Pirenne Thesis Analysis Criticism and Revision*, Boston 1958 .
- Hammad (M.), *Latin and Muslim Historiography of the Crusades, A Comparative Study of William of Tyre and izz Addin Ibn Al Athir*, ph . D. University of Pensylvania 1987.
- Head (C.) *Justinian II of Byzantium*, Madison 1972 , *Imperial Twilight : The Palaeologos Dynasty and the decline of Byzantium*, Chi-

cago 1977, Imperial Portraits, Byzantine Portraits , A verbal and graphic gallery , New York 1982 .

- Hergentother (J.), Photius Patriarch von Constantinople : Seine Leben , Seine Schriften und das griechirlichte Schsma , 3 vols, Regensburg 1897- 1869 .
- Herrin (J.) Women in purple , Rylers, of Medieval Byzantium , Princeton 2001 .
- Hillenbrand (C.) The Crusades. Islamic Prospectives, illinois 1999 .
- Hedges (R.), Whitehouse (D.), Mohammed , Charlemagne and the Origins of Eyrope, Archaeology and The Pirenne Thesis, New York 1983.
- Hollister (C.W.) Medieval Enrope: A Short Source Book, U.S.A. 1992 .
- Holt (P.M.), The Crusader States and their Neighbours , London 2004 .
- Housely (N.), Crusades aganest Chirtians Their Origins and early development 1000-1216", in Peter W. Edbury(ed.), Crusade and Settlement, Cardiff 1982 , The Crusades, London 2002 .
- Houts (ed.) The Normans in Europe, Manchester 2000 .
- Higgins (M.J.), The Persian war of the Emperor Maurice I , Washington 1939.
- Hill (G.H.,) History of Cyprus , 3 vols , Cambridge 1948 .
- Hill (J.H.), Raymond IV Count of Toulouse , Syracuse 1967 .
- Holmes (W.G.), The Age of Justinian and Theodora, 2 vols ., London 1912 .
- Holmes (G.), (ed.) The Oxford History of Italy, Oxford 1997 .
- Hunt (J.) The French Revolution, London 1998 .
- Hussey (J.), " Michael Psellus" S., vol . X , 1935 , " The Later Macdonians the Comneni and The Angeli," C.M.H., vol . V, Cambridge 1979, The Byzantine World, New York 1961 .
- Hutton (W.H.) , Constantinople, The Story of the Old Capital of The Empire , London 907 .

- Inalcik (H.), "Busra and the Commerce of The Levant", J.E.S.H.O., vol III, 1960, "L'Empire Ottoman", Actes du 1er Congres International des Etudes balkaniques et Sud-est europeennes, III, Sophia 1969, "The Ottoman Turks and the Crusades 1451- 1522", in Setton (ed.), A History of the Crusades vol. VI, Wisconsin 1989, "The question of the Emergence of the Ottoman State", I.J.T.S., vol. II, 1980.
- Inalcik (H.) and quataert (D.), (eds.), An Economic and Social History of the Ottoman Empire, vol. II, 1600-1814, Leiden 1972.
- Janin (R.), Constantinople byzantine: development Urbain et repertoire Topographie, Paris 1950.
- Jarry (D.) and Jary (J.) Collins dictionary of Sociology, Glasow 1995.
- Jeffreys (E.), Croke (B), and Scott (R.) (eds.) Studies in John Malalas, Sydney 1990.
- Jenkins (R.J), "The Supposed Russian attack on Constantinople in 907", A., 1949.
- Jones (A.H.M.), The Later Roman Empire 284-602, Baltimore 1986.
- Jones (J.R.M.), The Siege of Constantinople 1453, Seven Contemporary accounts, trans. by J.R. M. Jones, Amsterdam 1972.
- Jugue (M.), Le Voyage de L'Empereur Manuel Paleologue en Occident" E.O., T.XV, 1912, "Michael Psellus", D.T. C.T. XIII, 1936.
- Kaegie (W.), Byzantium and The Early Islamic Conquests, Cambridge 2000, Heraclius Emperor of Byzantium, Cambridge, 2003.
- Kamil (J.), Coptic Egypt, History and Guide Cario 1990.
- Kaplan (S.), The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe, New York 1960.
- Kazhdan (A.P.) (ed.), Oxford dictionary of Byzantium, Oxford, 1991.
- Kazhdan (A.P.) and Epstein (A.W), Change in Byzantine, Culture in The Eleventh and Twelfth centuries, los Angelos 1985.

- Kedar (B.), Crusade and Mission, European Approaches to the Muslims, Princeton 1988 .
- Keen (M.) The Pelican history of Medieval Europe, London 1976 .
- Kelly (J.N.D.), The Oxford dictionary of Popes, Oxford 1996 .
- Kleinbauer (E.), Saint Sophia at Constantinople, Dublin 1999.
- Kleinbauer (E.), White (A.) Muthhews (H.), Hagia Sophia, Istanbul 2004 .
- Kordses (M.), “ The Question of Constantine Palaiologos” Coronation”, in Beuton (R.) and Roveche (C.) (eds.) The Making of Byzantine History , Studies dedicated to Donald M. Nicol, Centre for Hellenic Studies, King’s College , London 1993 .
- Krey (A.C.) , “ A Neglected Passage in The Gesta and its Bearing on the literature of the First Crusade”, in The Crusades and other Historical Essays Presented to Dana C. Munro by his former Students, New York 1928 , “ William of Tyre, The making of an historian in the Middle Ages”, S., vol XVI , 1941 .
- Kuelzer (A.), Byzantine and early Post Byzantine Pilgrimage to the Holy land and Mount Sinai in Byzantine World , Burlington 2002.
- La Due (W.J.) , The Chair of Saint Peter , A History of The Papacy , New York 1999 .
- La Monte (J.) , “ To what extent was the Byzantine Empire the Suzerian of The Latin Crusading state”, B., vol vol. VII, 1932 , The World of The Middle Ages, New York 1949 .
- Lethaby and Swainson , The church of Sancta Sophia Constantinople As-tudy of Buzantine building, London 1894 .
- Lewis (A.), Naval Power and Trade in the Mediterranean 500-1000 A.D., Princeton 1954 .
- Lewis (B.), “ Maimonides, Lionheart and Saladin”, E.I., vol VIII, Jerusalem 1964 .
- Lille (D.) , Byzantium and the Crusader States 1096-1204, Trans. by J.C. Morris and Tean Ridings , Oxford 1993 .

- Little (W.) and Coulson (F.) , The Shorter Oxford English dictionary of Historical Principles, vol . II, Oxford 1950 .
- Lock (P.) The Franks in The Aegean 1204-1500 , London 1995 .
- Longnon (J.) , “ The Frankish States in Greece (1204-1311) , in Setton (ed.) A history of the Crusades, vol. II , Wisconsin 1989 .
- Lopez (R.) , “ Silk Industry in the Byzantine Empire, “ S., vol . XX , 1945.
- Lopez (R.) and Raymond (L.W.) , Medieval trade in the Mediterranean world , New York 1961 .
- Luchaire (A.), Innocent III, 6 vols, Paris 1905-1908.
- Maas (M.), John Lydus and the Roman Past , London 1992 .
- Maddan (TF) A Concise History of the Crusades, London 1999.
- Magdalino (P.) , The Empire Manuel I Komnenos 1143-1180, Cambridge 1997 .
- Mainston (R.J.), Hagia Sophia Architecture , Structure and liturgy of Justinian's Great Church , Hungary 1997 .
- Mango (C.) Byzantium the Empire of New Rome, New York 1980 .
- Maniatis (G.C.), “ Organization, Market Structure and Modus Operand; of the Private Silk industry in the 10 th Century Byzantium” D.O.P., 53 , 1999 .
- Manz ( B.F.), The Rise and Rule of Tomerlane, Cambridge 1989 .
- Marriot , The Eastern question , Oxford 1958 .
- Martin (E.G.) A History of the Iconoclastic Controversy , London 1978 .
- Mayer (H.E.) Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzuge , Hannover 1960, “ Literat urbericht uber die Veroffentlich , Ungem 1958-1967 , H. Z., 3, 1969 ., The Crusades, Trans. by John Gillingham, Oxford 1987 .
- Mayer (H.E.) & Mclellan (L.), “ Select Bibiography of the Crusades” in Setton (ed.) A History of the Crusades, vol . VI Wisconsin 1989 .



- Mazower (M.), *Salonica City of Ghost , Christians, Muslims and Jews, 1420-1950* , New York 200 .
  - Mckitterick (R.) and quinuault (R.) (eds.) *Edward Gibbon and Empire*, Cambridge 1997 .
  - Mcyendorf and Baynes (N.), *The Byzantine Inheritance in Russia” in Baynes and Moss (eds.) Byzantium An Introduction to the East Roman civilization*, Oxford 192 .
  - Mijotovich (G.) *Constantine Paleologus , The last Emperor of the Greeks 1448-1453* , Chicago 1968 .
  - Mohammad (T.M.), “ *Ibn Mangali between the Arab and Byzantine Worlds: New Evidences*”, J.M.I.H., vol . III 2003 .
- Mohammed (O.N.) , *Muslim Christian Relations , Past , present , Future* , New York 1999 .
- Mundy (J.H.), *Europe in the High Middle Age 1105-1309* , London 1973.
  - Moorhead, *Justinian* , London 1994 .
  - Munro (D.) , “ *The Speech of Pope Urbanus II at Clermont*” A.H.R. , vol II , 1905 ., “*Did The Emperor Alexius I ask for aid at the Council of Piacenza*”, A.H.R., vol. XXVII , 1922 .
  - Nelson (R.S.) *Hagia Sophia 1850-1950, Holy wisdom modern monuments* , Chicago 2004 .
  - Newhall (R.A.), *The Crusades*, New York 1963 .
  - Niavis (P.G.), *The Reign of The Byzantine Emperor Nicephor I*, Athens. 1987 .
  - Nicholson, *Tancred: Astudy of his Career and work in Their reation to the First Crusade and the establish ment of the Latin States in Syria and Paestine*, Chicao 1940 .
  - Nicol (D.), *Biographical Dictionary of The Byzntine Empire*, London 1991, *The Byzantine Lady: Ten Portrit 1250-1500*, Cambrige 1994 , *Byzantium and Venice A Study in Diplomatic and Cul-*

tural Relation Cambridge 1995 , The Reluctant Emperor A biography of John Cantacuzene, Byzantine Emperor and Monk 1295-1383, Cambridge 2002 , The Last Centuries of Byzantium 1261-1453, Cambridge 2002 .

Nicolle (D.) , Yarmuk ad 636, The Muslim Conquest of Syria, Oxford 1994, Constantinople 1453- The end of Byzantium, London 2005 .

- Noouan (T.), “ Byzantium and khazars a special relashonship “, in Shepard (J.), and Frankin (S.), (ed.) , Byzantine Diplomacy , Papers from the Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine studees, Cambridge , March 1996, Hampshire 1997 .

- Norwich (J.J.), A Short History of Byzantium , Penguin Book, London 1998 , Byzantium , The decline and Fall, New York 2000 .

- Oman (C.) , A History of the art of war in the Middle Ages, London 1924 .

- Ostrogorsky (G.), Pour L'Histoire de Feodalite byzantine, Trans. by H. Gregoire, Brussels 1954 , History of the Byzantine State, Trans . by J. Hussey Oxford 1956 , “ De Pronoia unter den Komnenen”, Z.R.V.I, 1970 .

- Painter (S.) , A History of the Middle Ages 284-1500, New York 1954 .

- Parker (K.), Early Modern Tales of Orient , London 1999 .

- Perroy (E.), The Hundred Years War , Trans. by D.C. Dauglas , London 1951 .

- Peters (E.) (ed.), Christian Society and the Crusades 1198-1229 , Sources in Translation including the Capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 , Heresy and Authority in Medieval Europe, Pennsylvania 1980, Europe and the Middle Ages, New Jersy 1997 .

- Pirenne (H.), Mohammed and Charlemagne, London 2001 , Medieval Europe Economic and Social History of Medieval Europe, Economic and Social History of Medieval Europe, London 1972 .

- Pitcher (D.E.) , An Historical Geography of the Ottoman Empire From

- earliest Times to The end of The Sixteenth Century Leiden 1972.
- Pazhdan (A.) (eds.) Oxford dictionary of Byzantium , Oxford 1991 .
  - hilips (J.), and Hoch (M.) (eds.) The Second Crusade , Scope and Consequences, Manchester 2001 .
  - Prawer (J.) , The Latin Kingdom of Jerusalem , European Colonialism in The Middle Ages, London 1979 .
  - Prundage (J.) “ Prostitutions , Miscegenation and Sexual Purity in the First Crusade”, in Edbury (ed.) Crusade and Settlement , Cardiff, 1985 .
  - quataert (D.) , The Ottoman Empire 1700-1922, Cambridge 2000 .
  - Raaflaub (K.), “ The Transformation of Athens in the fifth century “, in Boedeker (D.) and Raaflaub (K.) eds.), Democracy , Emire and the Arts in fifth century's Athens, Cambridge 1998 .
  - Rand (E.K.), Founders of the Middle Ages, New York 1975 .
  - Rashdall (H.), The Universities of Europe in the Middle Ages, Oxford 1936 .
  - Regan (G.), The First Crusades Byzantine's Holy Wars, New york 2003 .
  - Peinink (G.I) and Stolte (B.H.) (eds.) The Reign of Heraclius (616-641), Crisis and confrontation , Paris 2002 .
  - Riant (C.), “ Inventaire Critique des Lettres Historiques des Croisades “, A.O.L., T.I, Année 1880 .
  - Riasauovsky (N.) , A History of Russia , New York 2000 .
  - Richard (J.) La Comte de Tripolis Sous la Dynastie Toulousaine , Paris 1945 , “ La bataille de Hattin, Saladin defeat L'Occident “, H.T. XLVII, Année 1982 , The Crusades 1071- 1291, Trans, by Jean Birrell, Cambridge 1999 .
  - Ridley (F.A.), Julian The Apostate and the Rise of Christianity, London 1937 .
  - Ringrose (K.), “ Eunuchs as cultural Mediators”, in B. F., vol . XXIII, 1996 .
  - Roscher (H.), Papst innocent III und die Kereuzzuge, Gottingen 1969 .

- Roth, Ashort History of the Jewish People, London 1953 .
- Ruhricht (R.), Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heligen Landes Bezuglichen Literatur, vol 333 Bis 1878, Berlin 1878 .
- Runciman (S.), A History of the First Bulgarian Empire, London 1930 , The Byzantine Civilization , New York 1956 , The Eastern Schism , Astudy of the Papacy and the eastern churches during The XI and XII centuries, Oxford 1956 , The Emperor Romanus Lecapenus and his reign , Cambridge, 1963 , The Fall of Constantinople 1453, Cambridge 1965 , " The Pilgrimage to Palestine before 1095" , in Setton, A History of the Crusades, vol . I , Pennsylvania A History of the Crusades, Penguin Book, London 1978 .
- Rybarov , Early Centuries of Russian History , Moscow 1965 .
- Schlumberger (G.), Un Empereur Byzantine au Dixieme Siecle Nicephor Phocas, Paris 1890, le Siege , la prise , et le Sac de Constantinople par les Turcs , Paris 1922 , Renauld de Chatillon Prince d'Antioch au Temps des Croisades, Paris 1932 .
- Segal (J.B.), Edessa, The Blessed City, Oxford 1970 .
- Sharf (A.), Byzantine Jewry from Justinian to the Fourth Crusade, New York 1971 .
- Shepard (J.) and Franklin (S.) (eds.) , Byzantine Diplomacy, Papers from The Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies , The Promotion of Byzantine Studies , Hampshire 2003 .
- Siegfried (A.), The Meditteranea , Trans. by Hemming , London 1948 .
- Skinner , Physical Geography , New York 1974 .
- Spuller (C.A.) , L'Eclogue des Isaurians : Texte, Traduction et Histoire , Cernaurzi 1929 .
- Stephenson (C.) , Medieval History, New York 1943 .
- Stephenson (P.) , Byzantium's Balkan Frontier A Political Study of the Northern Balkan 900-1204 , Cambridge 2000 ., The Legend of

- Basil The Bulgar- Slayer , Cambridge 2003 .**
- Steigler , Dictionary of earth sciences , London 1976 .
  - Stein (E.), Studien zur Geschichte der byzantinischen Reiches vornehmlich unter den Kaisern Justinus II und Tiberius, Stuttgart 1919 .
  - Swainson (H.), Lethaby (W.R.) The Church of Sancta Sophia Constantinople , A Study of Byzantine building , London 2003 .
  - Sumption (T.), The Albigensian Crusade, London 1988 .
  - Sybel , The History and literature of the Crusades, Trans. by . Duff Gddon, London 1861 .
  - Thomson (J.K.T.) , Decline in History , The European Experience , Cambridge 1998 .
  - Throop, (P.A.) Cirticism of the Crusade A study of public opinion and crusade propaganda, Amsterdam 1940 .
  - Tobler (T.) , Bibliotheca Geographica Palestinae , Leipzig 1876 .
  - Topping (P.) , “ The Morea 1374-1470”, in Setton (ed.) , History of the Crusades, vol . II, Wisconson 1989 .
  - Tougher (S.) The Reign of Leo VI (886-912) , Politics and People, Leiden 1997 .
  - Tout (T.F.), The Empire and the Papacy 918-1273, London 1914 .
  - Toynbee (A.), Constantine Porphyrogenitus and his world , London 1977 .
  - Treadgold (W.) , History of the Byzantine state and society , California 1997 , A Concise History of Byzantium , New York 2001 .
  - Turk (E.L), The History of Germany , London 1999 .
  - Umann (W.), History of Political Thought , The Middle Ages, London 1978 .
  - Ure (P.N.) , Justinian and his age , London 1951 ,
  - Van Houts (E.), The Normans in Europe , New York 2000 .
  - Vasiliev (A.), “ The Iconoclastic Edict of the Caliph Yazid II A.D. 721”,

- D.O.P., Nos. 9-10 , Massachostes 1956 , “ The Foundation of the Empire of Trebizend (1204-1222) , S., vol XI, 1936 , “ The Empire of Trebizond in History and Literature” B.vol . XV, 1940-1941 , History of the Byzantine Empire , Madison 1952 .
- Vatikotes (P.T.), “ Al Hakim BI Amrilla The God King idea realised”, I.C., vol XXIX , No . I, January 1955 .
  - Vikan (G.), “ Byzantine Art” in Augeliki E. Laiou and Henry Maguire (eds.) Byzantium Aworld Civilization D.O.S., washington 1992.
  - Vissey (D.) , “ William of Tyre and The art of Historiography”, Med . S., vol XXXV, 1973 .
  - Vogot (A.) Basile ler Empereur de Byzance (807-886) et la Civilisation Byzantine à la fin du Ixe Siecle, Paris 1908 .
  - Vryonis (S.), The decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the eleventh through The Fifteenth century , Berkely , los Angelos 1971 .
  - Waley , Later Medieval Europe from St. Louis to Luther, London 1976 .
  - Walker (P.) “The Crusade of John Tzimisce in the light of New Arabic evidence” B. XLVII, 1977 .
  - Weitzmann (K.), The Monastery of Saint Catherine at Mount Sinai , the Icons , vol . I, Princeton 1976 .
  - Whittow (M.) , The Making of Byzantium 600-1025 , los Algelos 1996 .
  - Wilkinson (J.) Jerusalem Pilgrims before the Crusades , London 1977 .
  - Wolfran (H.) , History of the Goths , Trans. by Thomas J. Dunlop, Berkely 1990 .
  - Wolff (R.K.), “Baldwin of Flanders and Hainaut , First latin Emperor of Constantinople, his life and resurrection,” S., vol XXVII, 1952 .
  - Wright (W.), Early Travels in Palestine, London 1848 .
  - Yewdale (R.B.), Bohemond I Prince of Antioch, Amsterdam 1970 .

- Yecel (E.) Hagia Sophia , Istanbul 1986 .
- Ziegler (C.B), The History of Russia, London 1999 .
- Ziegler (P.) The Black Death London, 1960 .

- مواقع على شبكة الانترنت :  
- مركز الداهرتون أوكسي

Dumbarton Oaks  
WWW. doaks. org.

مركز دراسات العصور الوسطى والتاريخ البيزنطي - جامعة فوردهام  
Fordham University , Center for Medieval Studies  
WWW . Fordham . edu.

- جمعية الرقي بالدراسات البيزنطية  
- Society for the Promotion of Byzantine Studies.  
WWW byzantium . uk sp Bs.

جامعة نوتردام  
University of Notre Dame  
WWW. byzantine , nd. edu.

جامعة شمالي فلوريدا  
University of North Florida  
WWW . Unf. edu .







رقم الايداع ٢٠٠٧/٣٤٨٢  
الترقيم الدولي I.S.B.N. 977-322-207-1

مطبعة صحوة

٧ شارع اسماعيل رمضان - الكوم الأخضر - فيصل  
تليفون وفاكس / ٣٨٧١٦٩٣ - ٠١٠١٠٠٩٦٧٨



مكتبة المفتدين الإسلامية

